مؤلفات.. ثروت أباظة ١٠

المقالات

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

المقـــالات

الاخراج الفني : فاتن أحمد رضـــا

ســمات من الزمان

- ١ -

كان وفديا متعصــبا ، ولكن تعصبه كان بعيدا كل البعد عن أى اقتناع أو مناقشة فكرية أو جدل منطقى . ولكن تعصبه أولا وأخيرا كان لأن صديقه الذى يحنو عليه ويسانده أباه فى منصب العمودية كان وزيرا من الوزراء الثابتين فى الوزارات الوفدية .

ومن ناحية أخرى كانت الأغلبية الوفدية سببا قــويا فى تعصبه للوفد ، فقد كان ينتوى أمرا ويخفيه فى دخيلة قلبه ، وان لم يكن يخفى الوسيلة أو الوسائل التى تحقق له هذا الهدف الخبىء فى بعيد نفسه .

وقد كان اخفاؤه لهذا الهدف عنصرا من عناصر سعيه الوثيق الى تحقيق هذا الهدف .

كان مراد دياب طلبة ابن عمدة وحفيد عمدة ، وكان هذا فخرا أى فخر لأسرتهم ، وطالما تناقل أبناء وأحفاد العمدة القديم عبد الستار طلبه أن التليفون لم يغادر باحة دارهم منذ ستين عاما .

وكان مراد خليقا أن يكتفى بهذا الشرف ولكنه كان يزيد على أبيه وجده بأنه نال حظا من التعليم بعد دراسته فى الكتاب حتى نال الابتدائية ، وقضى بعض ســنوات متعثرة فى التعليم الثانوى حتى وصـــل متقطع الأنفاس الى الثــالثة الثانوية حين كان زملاؤه قد حصلوا على التوجيهية ودخلوا الجامعة بينما لم يتجاوز أبوه وجده الدراســة فى الكتاب تلك الدراسة التى مكنت لهما أن يجيدا القراءة والكتابة وحفظ نصيب لا بأس به من كتاب الله الكريم ، وان كانت الأيام أنستهما ما حفظا من القرآن لأن كليهما لم يحرص على ما حفظ بلزوم القرآن ومداومة قراءته .

على أية حــال كان دياب طلبة والد مراد حريصا على أن يعلم ابنه ويصل به الى التخرج فى الجامعة وان يكن مراد قد خذله فما كان لهذا شأن كبير عند دياب فحسبه أن له ولدا يرث عنه العمودية بعد أن كاد يصل الى اليأس من انعام الله عليه بولد .

فقد ظل بلا مولود أو مولودة خمس سنوات بعد زواجه من ابنة عمه بهدوية عبد الموجود طلبة ٠

وكان مراد أول ما من الله به عليــه ، وتبعته بنتان أسمى الأولى نجاح ، وربما كان هذا الاسم ينبض بما كان يراوده ، من نجاح أخيها فى الدراسة ، وأسمى الأخرى فاطمة تيمنا بستنا فاطمة كريمة النبى عليه الصلاة والسلام ٠

كان فى صحبة مراد فى المدرسة نديم راشد ، وكان أبوه من الشخصيات المرموقة فى حزب الوفد ، وكان ينتظر الوزراء فى كل مرة يؤلف فيها الوفد الوزارة ٠

توطدت الصداقة بين مراد ونديم ٠ ولما كان مراد يقيم عند عمه صالح طلبة الذى كان موظفا بوزارة الأشغال بالقاهرة ، فقد كانت الرقابة عليه هينة لينة لا تعنت فيها ولا حزم ولذلك كان يستطيع أن يقضى وقته جميعا فى غير مواعيد الدراسة فى منزل فكرى بك راشد مع ابنه نديم ٠ وكان كثيرا ما يتناول غداءه مع سعادة البك فى يومى الاثنين والخميس اللذين كانت الدراسة فيهما لا تستغرق الا نصف اليوم ٠

وعلى مائدة الغداء فى يوم من أيام الاثنين كان الجميع يعلم أن الوفد يؤلف الوزارة فى تلك الساعات ٠ وكان فكرى بك فى حالة من الترقب الذى يجاهد أن يخفيه بكل ما يملك السياسى من خبرة واسعة فى كبت مشاعره وزجرها أن تبين منها خلجة على وجهه بله فى تصرفه ٠

كان جالسا الى المائدة يتلطف كل التلطف مع مراد صديق ابنه ويعده بهدية قيمة اذا هو نجح مع نديم فى الامتحان ٠

وكان مراد سعيدا بهذا التلطف غاية السعادة ، مضمرا أن يبلغ أباه بهذه المكانة التى بلغها عند هذا السياسى الكبير ٠

وفجأة رن جرس التليفون ، وجاء الخادم يبلغ فكرى بك أن معالى سكرتير الحزب يطلبه على التليفون ، وهنا انكشف كل ما كان يكاتمه فكرى من ترقب ، وهب لا تكاد تسعفه قدماه الى التليفون ٠

وتوقف كل من على المائدة من المآكل بل والمشرب ٠

وعاد سعادة فكرى بك وهو معالى فكرى بك وزيرا للدولة وكأنما لم يجد أحدا يفرغ عليه سعادته الا مراد ، فاذا هو يصيح به :

ــ أنت فتى ميمون الطالع يا مراد طلبة وستنال منى هدية عظيمة لأننى طوال فترة الغداء وأنا متفائل بك ٠

ومنذ ذلك اليوم أصبح مراد مقربا من فكرى الذى أصبح باشا وكان مراد سعيدا بمكانته هذه ، وكان يحس أن الباشا يدلله ولا يرفض له طلبا ، وعرف أهل الميمونة التى ينتمى اليها والتى يشغل أبوه فيها منصب العمدة هذا المكان الذى بلغه مراد فى ساحة معالى فكرى باشا ، فكانوا كثيرا ما يلجأون اليه ليرجو لهم الباشا فيما يعرض لهم من مشاكل أو تعيينات أو ترقيات أو تنقلات • وكان الباشا يستجيب لرجائه ، سواء كان خارج الوزراة أو داخلها •

فرجال هذا الزمان لم تكن الحزبية تقف بين بعضهم البعض ان تقوم بينهم الصداقات ، وأن يلبى كل منهم ما يتشفع فيه واحد لدى الآخر مهما يكن أمر الخلاف الحزبى الا اذا كان المطلب يضر بالحزب الذى ينتمى اليه صاحب المنصب • وكان المشفع دائما ذكيا فلا يعرض نفسه لمطلب يمس حزب صديقه • فهو الآخر سياسى ويعلم كل العلم ما يجوز الرجاء فيه وما لا يجوز •

وهكذا لم يكن عجيبا أن ينشأ مراد طلبة وفديا متحمسا ، ولم يكن بهذا يخالف ضميره ، فهو لا يعرف عن حزب الوفد أو غيره من الأحزاب شيئا على الاطلاق حتى يثبت ضميره على شىء أو يخالفه لا شأن له بتاريخ أى حزب أو مبادئه ، وفدا كان هذا الحزب أو كان حزبا آخر •

كل ما كان يعنيه أن فكرى باشا راشد واحد من وزراء الحزب الوفدى فهو اذن وفدى •

●●●

- ٣ -

كان مراد فى العشرين من عمره حين رأى أبوه أن من الخير له ولابنه وللزراعة وللعمودية أن يمكث مراد بالميمونة ولا داعى لاكمال الدراسة فهو على كل حال ، سواء نال الشهادة الجامعية أو لم ينلها ، كان أمله كله أن يصبح مراد عمدة بعده ، وأن يشرف على المائتى فدان اللتين يملكهما •

وهكذا استقر مراد بالقرية ، وكان زميله نديم قد أصبح فى السنة الثانية من كلية الحقوق بجامعة فؤاد ، ولكن هذا الفارق فى الدراسة لم يقطع ما بين الصديقين من رابطة وثيقة ، ولم يؤثر فى شىء على رعاية فكرى باشا لمراد •

حتى لقد طلب الباشا من مراد أن يدعو أباه للغداء معه · فرجال السياسة ثروتهم تتكون من الناس قبل المال ·

ورحب الحاج دياب بهذه الدعوة · مع صداقته لعمر المفتى عضو النواب الحر الدستورى عن الدائرة · ولكن معرفة فكرى باشا أعظم نفعا

وهكذا عرف مراد معالى فكرى باشا ، بل انه لم يكتف بهذا ، بل دعاه الى الغداء بالميمونة مركز الزقازيق ، وقبل الباشا الدعوة ·

وحين لباها وجد العمدة قد أقام على شرف الباشا حفلا حافلا ، فالمظاهرات تستقبل الباشا قبل ظاهر القرية بعديد من الكيلو مترات ، والقرى المجاورة تجامل العمدة والباشا جميعا بالتجمهر أمام قريتهم والهتاف لمعالى الباشا ·

وكان دياب من العمد الأذكياء فدعا عمد البلاد التى يمر عليها الباشا أولا ليظهر أمامهم أنه يستطيع أن يدعو الباشاوات الى بيته ، ولأنه يعلم كل العلم أن الباشا يحب أن يتعرف الى هؤلاء العمد ليكونوا أو يكون كثير منهم — على الأقل — من أنصار الحزب عند الانتخابات ·

وطبعا انطلقت الأعيرة النارية الى عنان السماء فما كان العمد جميعا سواء الداعى أو المدعوون ينظرون الى السماء فى هذه الساعات ، بل كانت نظراتهم وآمالهم جميعا أرضية مغرقة فى الأرضية ·

وبعد الغداء أعلن الحاج دياب أنه منذ اليوم وفدى متحمس ، ولن يترك الوفد مهما تكن الضغوط عليه ، ولم يكن عجيبا ان يقول زميله عمدة النمايرة أنه أيضا يعلن انضمامه الى الوفد ، وكان الحاج دهشان النمر عمدة النمايرة من كبار العمد ومن كبار الأعيان أيضا ، وكانت بلدته أكبر البلاد عددا فى المنطقة ·

وهكذا لم يكن عجيبا أيضا أن يعلن جميع العمد انضمامهم الى الوفد · ومهما يكن شأن هذه المظاهرة فكل هؤلاء العمد كانوا على أتم استعداد للانضمام للأحزاب الأخرى حين تتولى الحكم ، ولكن لا بأس بالمجاملة ما دامت لن تصيبهم فى مناصبهم أو أموالهم أى اصابة مهما تكن هينة بل هى الى النفع أقرب ، وكان كل منهم يعرف عن نفسه وعن الآخرين أنهم على أتم الاستعداد للانضمام للأحرار الدستوريين أو السعديين اذا كانوا فى حضرة أى وزير من أى من الحزبين ·

ولم يكن فكرى باشا يغبى هذا ، بل كان يعرفه كل المعرفة فهو سياسى مخضرم ·

وبممارسته الحزبية ومرانه السياسى تظاهر بأنه صدق كل الذين انضموا الى حزبه ، وأظهر الفرح الشديد بهذا الكسب الحزبى الكبير ، والله يعلم بل أحسب أن جميع الحاضرين بلا استثناء كانوا يعلمون ويعملون دستور النفاق هذا الذى يسود الانضمام والقبول فى وقت معا ٠

وربما كان هذا اليوم هو ميلاد أو تمكن الخاطر الذى يهفو له مراد ٠

وما البأس وها هو ذا فى سنه هذه الباكرة يتمكن من اقامة هذا الاستقبال الضخم للوزير الوفدى الأمر الذى يعجز عنه كثير من عتاولة العمد وعتاتهم ٠

وما البأس عليه أن يتوق الى هذا الذى يأمله لنفسه ، وما البأس عليه أن يذكر البيت القديم :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى   والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

●●●

— ٣ —

قال الحاج دياب لولده مراد :

ــ لقد قاربت السن التى ينبغى فيها أن تعين عمدة وأنا أريد أن أراك عمدة على حياة عينى ٠

ــ أطال الله عمرك يا أباه وأعطاك الصحة والعافية ٠

ــ فليطل عمرى ما شاء الله أن يطول وأنت عمدة ٠

ــ أنا لم أعص لك أمرا فى حياتى ٠ ولكن لى رأيا آخر ٠

ــ نهارك أسود ٠٠ رأيا آخر فيهم ٠

ــ لا تخف ٠ سيرضيك هذا الرأى ولكن أوانه لم يأت بعد ٠

ــ ما هو ؟

ــ سوف أقوله لك فى الوقت المناسب ٠

ــ وما المانع أن تقوله الآن ٠

ــ من ناحية المانع لا مانع ، ولكن لكل كلام حينه ٠

ــ ما هذه الفلسفة لماذا لا تقول ما تفكر فيه ؟

ـ لو قلته الآن سيبوخ لك على أن نفرح أنا وأنت فرحا لا مثيل له ٠

ـ افرح كما شئت ، ولكن لا ترفض العمودية ٠

ـ يا أبى أنا تحت أمرك ، ولك أن تتأكد أنى لن أخرج عن طاعتك طول عمرى ، والله على ما أقول شهيد ٠

ـ اذن فافعل ما تحب ، ولا تنس أن التليفون لم ينتقل من دوار آل طلبة منذ قرابة سبعين عاما ٠

ـ ولن ينتقل ٠٠ لا تخف ٠٠ التليفون قاعد فى مكانه ٠

وضحك الأب والابن معا وقال مراد :

ـ أنا تحت أمرك ٠

وقال الحاج دياب وهو يبتسم :

ـ ومن وجاهة العمودية أن تكون رب أسرة ٠

وتولى مراد شىء من الدهشة فهو لم يكن يتوقع أن يحيد الحديث الى هذا الأمر ، ولكنه سرعان ما تمالك نفسه ٠

ـ أما أن أتزوج فهـذا أمر محترم ، ولكن هل ترى اختـرت لى الزوجة أيضا ؟

ـ معاذ الله بل أنت الذى تختار ٠

وقال مراد وفى نفسه ما فيها من آمال عراض :

ـ فاترك لى بعض الوقت ، وسوف أرضيك ان شاء الله ٠

● ● ●

كان مدنى طلبة ابن عم مراد من أقرب أسرته اليه ، وكان يخالصه بدخيلة نفسه لا يخفى عنه شيئا الا هذا الأمل الذى يداريه فى البعيد القريب من أعماقه ٠

قال له :

ـ مدنى ! اذا طلبت منك أن تخطب لى فمن تراك تختار ؟

ـ انت يا بنى تعلمت فى مصر ، ولابد أنك تريد من تحب حتى تتزوج ٠

ـ دعك من حكاية الحب هذه ٠

ـ معناها أنك لم تحب فى مصر ٠

ـ وهبنى أحببت ٠

ـ لعلك تصبو الى هذه المحبوبة ٠

ـ هيهات !!

ـ هذه قصة لم تحكها لى ٠

ـ لم تأت مناسبة ٠

ـ وها هى ذى قد جاءت ٠

ـ أحكى لك ٠

ـ احك ٠

ـ كنت مقيما ـ كما تعلم ـ مع عمنا صالح

ـ بالمنيرة أعرف ذلك ٠

ـ ولم يكن البيت بعيدا عن مدرسة الخديو اسماعيل ٠

ـ لا جديد فى هذا ٠

ـ أمام المدرسة مباشرة عمارة جديدة كنا مبهورين بهـــا ، وكان يسكن فيها واحد من زملائنا اسمه وافى الامبابى ٠ وكان تلميذا عظيما فى الفصل لا يترك المذاكرة ليلا ولا نهارا ، فقلت فى نفسى أمد خيوط الصداقة بيننا لعلى أذاكر وأنجح بدلا من هذه الخيبة الثقيلة التى أعانيها ٠

لم أكذب خبرا توددت الى الولد ، وكان لطيف المعشر رضى الخلق ، وقلت له ألا تعمل فى معروفا وتجعلنى أذاكر معك ؟ فقال وهو يمزح لن تستطيع معى صبرا قلت أنا أتصور أن أكون فى مثل تقدمك ، وكل ما أريده هو أن أنجح ولا أقضى فى كل سنة سنتين أو ثلاثا ٠ قال وتسمع الكلام ؟ قلت واسمع الكلام ٠٠ لا أطيل عليك ٠٠ قامت بينى وبين وافى صداقة ٠٠ وكنت أفرغ من المدرسة فيصحبنى الى بيته وقد اشترط على واحدة من اثنتين : اما ألا أزيد بقائى عنده عن ساعة يشرح لى فيها كل ما أطلبــه واما أن أبقى معــه أذاكر حتى التاســعة مساء بلا توقف ٠ تصور أنت أننى أذاكر من الرابعة الى التاسعة ملعون أبو النجاح ان لم يتحقق الا بهذا ٠ قلت له : لا يا عم أنا تكفينى الساعة وتفيض ٠

فى ثانى أو ثالث يوم ذهبت اليه ، ودخلت الحجرة فتاة طالما رأيتها خارجة من باب العمارة ، وطالما أعجبت بها ، ولم أكن أعرف أن لها بوافى أى صلة ٠ وأذكر أننى تجرأت مرة وقلت لها : صباح الخير ٠ فلم تلتفت الى وذهبت الى طريقها وكأنها ما سمعت شيئا ٠

فحين دخلت الى الحجرة التى أجلس فيها أنا ووافى خيل الى أن

قلبى سيقف من المفاجأة فالبنت حلوة يا ولد يا مدنى حلاوة تفوق الوصف ٠

ــ كيف ؟

ــ ماذا تعنى بكيف ؟

ــ يعنى ما شكلها ؟

ــ حلوة ٠

ــ يا أخى ماذا وراءنا صفها وأطل فى وصفها ٠

ــ عينان سوداوان واسعتان ذوات رموش تشرئب الى أعلى فى انثناءه مقوسة رائعة الحلاوة موضوعتان داخل خدين ناعمين أنعم من الحرير ٠

ــ وكيف عرفت ؟ لامست خدها ؟

ــ ليس فى أول يوم على أى حال ٠ بالنظر هل لابد أن تمسك الحرير لكى تعرفه ٠

ــ نهايته أكمل ٠

ــ قوام ممشوق كل شىء فيه مرسوم بدقة شغل رب قادر وهى الى النحافة أقرب ، ولكن ذلك لم يمنع الأماكن التى يجمل بها أن تكون عظيمة من أن تكون عظيمة فى كبرياء يا ولد يا مدنى وفى اشارات تأمر بالاعجاب ولا ترضى به بديلا أنا رأيتها داخله ٠

ــ وقلبك كان سيقف قلت هذا من قبل ٠

ــ وركبنى ذهول وقبل أن أفيق قال لها وافى : تعالى يا هند هذا زميلنا مراد وفجأة تذكرت محاولتى أن ألقى عليها تحية الصباح ، وركبنى الرعب أن تذكر شيئا عنها لأخيها ، ولكنها قالت فى صوت ناعم مخملى كما يقولون وفى غير كلفة : أهلا وفى خبث لم تشأ أن تفوت الفرصة دون أن تغمزنى فى تجرئى على القاء تحية الصباح ٠ فقالت كثيرا ما رأيته وهو ذاهب الى المدرسة يظهر أن عمارتنا فى طريقه ٠ والخبيثة تعلم أننى لو شئت أن أذهب الى المدرسة مباشرة لذهبت دون أن أمر بباب العمارة ٠ فقد كان طريقى من شارع الملك الناصر ، والقاصد الى مدرستى لا يحتاج أن يمر بالعمارة ولكننى كنت أتحرى أن أقف لحظات أمام العمارة لعلها تخرج ٠

ــ يعنى كنت تعرف جمالها ٠

ــ لم أكن تحققت منه كما فعلت وهى تسلم على ويدها فى يدى وتقول أهلا ٠ كنت أعرف أنها جميلة ، ولكن تفاصيل هذا الجمال لم

تتضح في ابهار كما اتضحت وهي معنا في الغرفة . قالت لأخيها أنت مشغول أجيء لك في وقت آخر فقال لها هل هناك شيء ؟ قالت مسألة حساب كنت أريد أن أسألك فيها . قلت أقسم بالله العظيم ثلاثا ان لم تحل لها المسألة لشيت من فوري لا ساعة ولا عشر فضحكت ملء قلبها ، وسألت عن حكاية الساعة هذه ، فأخبرتها وأكملت : وأنا يا آنسة هند لست أتحمل المذاكرة أكثر من ساعة في اليوم الذي أكون فيه مجدا كل الجد ، وهيهات لي أن أكون كفء أستاذنا وافي .

ـ طبعا كنت تريدها أن تحل المسألة لتبقى أطول فترة ممكنة .

ـ عجيبة وفهمتها وحدك ! فلماذا يقولون عنك غبي ؟

ـ أنت قليل الأدب .. أكمل .

ـ حل المسألة وأنا لا أفهم مما يقول شيئا ، فأنا عنه وعن المسألة في شغل شاغل بالمسألة الالهية الكبرى التي أبدع الله خلقها . قل عرفتها . وأصبح من الطبيعي أن أنتظرها في اليوم التالي ، وأصبح من الطبيعي أن أقول : صباح الخير ، فتقول : صباح الخير . يوم والثاني والعاشر تجرأت وقلت لها : وبعد ؟ قالت : وبعد في ماذا ؟ في صباح الخير . وصباح الخير أليس لها آخر ؟ قالت : ماذا تقصد ؟ قلت : أنت تعرفين ما أقصد ، قالت : بل لا أعرف شيئا . قلت لابد من التصريح قالت بماذا ؟ بأنني معجب غاية الاعجاب اما أن ألقاك أو فقاطعيني أو ماذا ؟ تنتحر مثلا ، قلت الحقيقة أنني لن أنتحر فبصراحة ليس عندي هذه الشجاعة ، ولكنني لا أدري ماذا سأفعل ، وكلمة مني وكلمة منها تواعدنا على اللقاء . وواجهت في هذا اللقاء يامدني ياأخي أكبر حب عرفته أو سأعرفه في حياتي .

ـ الى أي مدى كان هذا الحب ؟

ـ على مهلك . ماذا تتصور ؟ أتظنها عاهرة من الطريق ؟ انها فتاة بنت ناس وأبوها تاجر كبير .

ـ يعني الى أي حد وصل الحب ؟

ـ قبـــله .

ـ فقــط .

ـ ولم أكن أتصور أنني سأنالها في حياتي لولا أن هند أحبتني يا مدني .. أحبتني فعلا ووثقت بي وثوقا كاملا .

ـ متى كان هذا ؟

ـ قبل أن أترك المدرسة بسنتين ٠

ـ يعنى كنت فى الثامنة عشرة ٠

ـ تقريبـــا ٠

ـ فلماذا لم تطلب من أبيك أن أن يزوجك بها ؟ لقد كان وأنت فى هذه السنن واثقا أنك ان شاء الله لن تفلح فى الدراسة ٠

ـ قلت انتظر سنة أخرى أكون اقتربت من العشرين ٠

ـ فلنفرض

ـ فى هذه السنة حدث الخراب الكامل ٠

ـ لمن ؟

ـ لأبيهـــا ٠

ـ ماذا حـــدث ؟

ـ أفلس الأب افلاسا كاملا ٠

ـ ومالنا نحن ؟

ـ كيف ٠

ـ ألا تحبهـــا ؟

ـ أحبها جميعها بجمالها وبمال أبيها ٠

ـ تقصد أنك كنت تنظر الى غنى أبيها ؟

ـ لا شك انه كان شيئا مهما ٠

ـ وماذا فعلت ؟

ـ ليس أنا الذى فعل ٠ ربك هو الذى فعل ترك وافى مدرســـة الخديو اسماعيل لأن أباه لم يكن يستطيع أن يدفع ايجار الشقة المرتفع وأصبحت لا أرى هندا ٠

ـ ألم تبحث عنها ؟

ـ عرفت أنهم سكنوا فى الحلمية ٠

ـ ولم تذهب ؟

ـ ولماذا أذهب ؟!

ـ لا ٠٠٠ لك حق ٠٠٠ ولماذا تذهب ؟

ـ المهم هل تعرف لى عروســـا ؟

ـ الآن أستطيع أن أقول لك : نعم أعرف ٠

ـ هل أنت واثق ؟

ـ عرفت من العروس التى تريدها ولكن قل لى لماذا ؟

ـ أى لماذا ؟

ـ انك عندك من المال ما يكفيك ويفيض ٠

ـ يكفينى لأن آكون ماذا ؟

ـ عمـــدة ٠

ـ أنت العمدة ٠

ـ ماذا تقـــول ؟

ـ كلام ابن عم حديت ٠

ـ طبعا ٠ وهل يمكن أن يكون العمدة أحداً آخر غيرك ؟

ـ نرجع لموضوعنا ٠ ماذا تعرف عن العروس التى أريدها ؟

ـ أن تكون ذات مال ٠

ـ طبعا ٠٠ وماذا أيضا ؟

ـ هذا الذى فهمته وأكذب لو ادعيت أننى فهمت معه شيئا آخر ؟

ـ دعنى أرحك من البحث ٠

ـ أرحنى أراحك الله

ـ عليك أن تتعرف لى من البلاد التى حولنا البنات اللاتى تصلحن زوجات لى ٠

ـ أتريد بحجة الزواج أن ترى بنات المنطقة كلها ؟

ـ اعمل ما أقوله لك ، وسترى أنك مغفل فى استنتاجاتك ٠

ـ ألا يمكن أن تتكلم من غير قلة أدب ؟

ـ ماذا أعمل لك مادمت تريد أن تعمل نفسك ذكيا وأنت خائب ؟

ـ حفظت ٠

ـ انت بالذات تعرف الناحية كلها ٠٠ فأنت الى جانب أرضك تعمل فى تجارة القطن على خفيف ولكن لا شىء يجعل الواحد يعرف الناس فى البلاد مثل هذه التجارة ٠

ـ والله انك ناصح ٠٠٠ فلماذا اذن لم تفلح فى المدارس ؟

ـ المدارس شىء ، والدنيا شىء آخر ٠

ـ كل الخائبين يقولون هذا القول ٠

ـ لعنة الله عليك ٠٠ لا تغير الحديث ٠

ـ يا سيدى علم ٠

ـ عـــلم ؟!

ـ علم وينفـــذ •

٤

طلب الحاج دياب زميله الحاج دهشان عمدة النمايرة في التليفون المباشر ، لا في تليفون العمودية •

ـ يا صباح الخير •

ـ يا أهلا حاج دياب •• مشتاق لك •

ـ من بعض ما عندنا •

ـ أتأتى الى أم آتى أنا اليك ؟

ـ غداؤنا عندك اليوم •

ـ يا مرحب •

ـ أنا والعائلة جميعا •

ـ أى سعادة وهناء ؟

●●●

ـ أنا اليوم يا حاج دهشان أسعد انسان فى العالم •

ـ اذاً فأنا أيضا أسعد الناس فسعادتك سعادتى •

ـ قل لى لماذا ؟

ـ ولماذا أسأل وأنت ستقول فحديثك عن سعادتك تمهيد لحديث آخر قادم فى السكة •

ـ طـــول عمـرك لا تفـــوتك الفـــائتة •• أنا طلبت الغداء عندك لســـبب •

ـ انطـــق •

ـ أريد نازلى ابنتك الوحيدة لابنى الوحيد •

ـ لمراد ؟

ـ وهل عندى ولد آخر ؟

ـ وأين رآها ؟

وهنا نطق مراد :

ــ وهل لابد أن أراها يا عم الحاج ؟

ــ هذا سلوككم يا أبناء المدارس •

ــ يكفينى انها ابنتك •

ــ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » •

وقال الحاج دياب :

ــ ألم تجهز لنا الغداء ؟

ــ لقمة على ما قسم •

ــ ستراه ويراها ، ويؤدم بينهما •

●●●

لم تكن جميلة ولكنها كانت صبيحة الوجه ودودا هادئة الحديث والتصرف تحسن استقبال الضيف • وقد كان مراد ينوى خطبتها على أية حال وان كانت عجوزا شوهاء شمطاء رديئة الخلق والخلقة فقد كان ــ كما قال ــ يريد أباها الحاج دهشان فهو رجل ذو ثراء كما تعلم ليس له من البنين ولا البنات الا نازلى ، ثم هو صاحب شفاعة عند الكبار من المديرية كلها • بل ومن غيرها أيضا •

ولم يخل الأمر على الغداء من ابتسامة يسفر بها مراد لنازلى اجابتها ابتسامة منها •

قال الحاج وهم يتناولون قهوة ما بعد الغداء •

ــ نقرأ الفاتحـــة •

ونظر الحاج دهشان الى مراد :

ــ سأكون لك ابنا صالحا ان شاء الله يا عم الحاج •

وقال الحاج دهشان :

ــ أنا ليس لى فى الدنيا الا هى ، وقد بعت لها أرضى كلها بعقد

مسجل ، ولا أمل لى الا أن تكون سعيدة •

وقال مراد :

ـ أظننى فى غير حاجة أن أقدم لك نفسى ، فأنت منى كأبى وتعرف عنى كل شىء •

ـ ماعدا أنك لا تحب العلم •

وهنا قال الحاج دياب :

ـ شغلتنا يا حاج دهشان لا تحتاج الى علم •

وقال الحاج دهشان :

ـ ولكن نازلى أخذت الابتدائية وترطن وكأنهـــا بنت من بنات فرنســـا •

وهنا سأل مراد :

ـ أكانت بمدرسة الراهبات بالزقازيق ؟

وقال الحاج دهشان :

ـ طبعـــا •

وقال مراد :

ـ ربنا يســـتر •

وقال دهشـــان :

ـ مالـــك ؟

وقال مراد :

ـ أصل أنا فى مسألة اللغات هذه يدك والأرض •

وضحك ثلاثتهم ، وقال الحاج دياب :

ـ وماله ! هى تعلمك •

وقال مراد :

ـ ان شـــاء الله •

وقال الحاج دياب :

ـ امدد يدك يا حاج دهشان •

وقال الحاج دهشـــــان :

ـ على بركة الله ••

ولكن مراد سأل فى شبه خجل ليس طبعا فيه :

ـ أسألتها يا عم الحاج • ربما تكون غير راضية عنى •

ولولا ابتسامة المائدة ما سأل مراد هذا السؤال •

وقال الحاج دهشان :

ـ أو كنت أقول على بركة الله • ان لم أكن ســألتها انها بنتى الوحيدة وغدا تعرف الى أى مدى يحب الآباء أبناءهم فهذا شىء لا يعرفه الأبناء الا حين يصبحون آباء •

وأنهى الحاج دياب الحديث •

ـ امدد يدك يا حاج دهشان •

ـ على بركة الله ان شاء الله •

ومد يده وقرأ ثلاثتهم الفاتحة •

●●●

٥

تم الزواج ، وانتقلت نازلى الى دار الحاج دياب ريثما يتم المنزل الذى رسمه مهندس حسن الذوق ليقيم فيه مراد وزوجه ، وكانت الحاجة بدوية أم مراد سيدة رضية الخلق ، وقد فرحت بزواج ابنها الأوحد فرحا لا يدانيه فرح ، ورحبت بنازلى غاية الترحاب ، وخصصت للعروسين جناحا فى الدور الأعلى من المنزل ، وأصرت قبل الزواج أن يلحق بالجناح حمام خاص بالعروسين ، ولم يجد المهندس الذى رسم بيت مراد مشقة أن يقلب غرفة مجاورة للجناح الى حمام للعروسين •

ومع ذلك فان الحاج لم ينجح فى جعل مراد وزوجته مستقلين عن البيت الكبير ، أو السراية كما يسمى أهل الميمونة بيت العمدة • وربما كان اتساعه وأنه مبنى بالطوب الأحمر سببا فى هذا اللقب الذى أضفاه أهل البلدة على منزل العمدة •

كان مأكل العروسين وشربهما وسائر ما يشغل أهل البيت متوحدا لا انفصال فيه بين العروسين والحاجة بدوية أو الحاج دياب •

وأصرت نازلى أن تقوم هى نفسها بعمل القهوة لحميها وحماتها كلما طاب لهما أن يتناولا القهوة • وكانت نازلى صناعا فى شئون المطبخ فكثيرا ما كانت تتحف الأسرة بطعام تختاره هى لهم وتتقن صنعه •

وهكذا ازداد حب بدوية لنازلى وبخاصة أنها وجدت نازلى لا تحاول أن تبدو وكأنها ست البيت • بل كان ترجع فى صغير الأمور قبل كبيرها الى نينا بدوية كما كانت تدعوها •

وما هو الا شهر وبعض شهر حتى انطلقت الزغاريد فى بيت العمدة اعلانا عن الحمل الذى ظهرت بوادره على نازلى والذى أكده الطبيب المختص فى البندر•

كان طبيعيا أن يشمل الفرح الأسرة جميعا ، ولم ينس الحاج دياب أو الحاجة بدوية منذ عرفا هذا النبأ العظيم أن يدعوا بعد كل صلاة أن تقوم نازلى بالسلامة وأن تهب لهما غلاما •

وتمر الأيام والشهور ويأتى الغلام ، ويصبح اسمه دياب مراد دياب طلبة •

ولا تمر على ولادة الطفل أيام حتى يصبح بيت العروسين الجديد مستعدا لاستقبال الأسرة الجديدة •

ربما كان فرح الحاج دياب أعظم من الجميع ، فقد ضمن لاسمه البقاء من بعده وبعد ابنه • فالجد يلد حفيده مرتين كما يقول أمير الشعراء •

وفى ذكاء شديد وفطره مواتية ينتهز مراد الفرصة من سعادة أبيه الغامرة ويقول له :

ـ ما رأيك يا أبا فى الانتخابات الجائية ؟

ـ أى انتخابات ؟ هل هناك انتخابات ؟

ـ لابد أن تأتى انتخابات •

ـ طبعا ولكن متى ؟

ـ على الأقل حين تنتهى الدورة •

ـ يا من يعيش !

ـ ربنا يطيل عمرك الأمر ليس بعيدا سنة والأخرى ويبدأ الاستعداد للبرلمان الجديد ٠

ـ ولد يا مراد ٠

ـ نعم يا ابا ٠

ـ قل ما تريد ولا تلف على أبيك ؟

ـ أنا لا ألف ولا أدور ٠٠ ألم تنضم للوفد وتصبح عضوا فيه ؟

ـ انضممت وأصبحت عضوا فيه ٠

ـ أو لم تصبح صديقا لفكرى باشا راشد ؟

ـ افرض ٠

ـ أنا لا أفرض أنا أعرف مكانك عنده وصـــلتى أنا بابنه نديم ، والباشا يستقبلنى بكل ترحاب كلما زرتهم ٠

ـ هل عرف أنك أصبحت أبا ؟

ـ لا أظن ولكنك تذكر أننا دعوناه الى الفرح وجاء ومعه ابنه نديم وسجادة غالية الثمن ٠

ـ حصـــل ٠

ـ آبا ٠

ـ هيـــه ٠

ـ لماذا لا ترشح نفسك فى الانتخابات الجائية ؟

وبهت الحاج دياب لحظات ثم أفاق فى بطء شديد ليجد نفسه قائلا لابنـــه :

ـ أجننت ؟!

وابتسم مراد أنه أثار انبهار ابيه :

ـ أترى أننى جننت ؟

ـ والعمـــودية ؟!

ـ أى عمودية يا آبا ؟ أنا أكلمك لتكون عضو مجلس نواب تقول لى عمودية « أى عمودية » يا آباه ؟!

ـ أفوتها ؟!

ـ وهى أين ستروح ! انها باقية فى العائلة •

ـ أنت تريد أن تصبح عمدة بسرعة •

ـ أنا •• لا يمكن •• أولا أنا لم أبلغ السن •• ومسألة العمودية بعيدة عن ذهنى تماما ولا أفكر فيها •

ـ كيف ؟!

ـ يا أبا أريد أن تكون عضو نواب ، والعمودية لها حديث آخر

ـ فاجأتنى يا ولد يا مراد •

ـ وفيم المفاجأة ؟

ـ لم أكن أفكر فى هذا عمرى كله •

ـ غلطـــان •

وصمت الحاج دياب وشرد ذهنه وأمعن فى التفكير ، ثم ما لبثت ابتسامة متفاخرة آن علت شفتيه •

ـ والله يا ولد ربما كنت على حق يمكن أنا غلطان فعلا ولماذا لا ؟
وصاح مراد :

ـ يعيش حضرة النائب •

ـ هس لا يسمعنا أحد •

ـ لك حق •• اسمع اذن يا آبا •

ـ هيـــه •

ـ لعضوية النواب ترتيبات مهمة •

ـ فعلا ••• أتعرفها ؟

ـ يا آبا أنا ليس لى أمل فى حياتى منذ أدركت الحياة الا أن أراك نائبـــا •

وهكذا راوغ مراد أباه عن دخلية نفسه وعن الأمل الذى طالما أخفاه لقد كان يريد أن يكون هو نائبا وليس يعنيه أن يكون أبوه أو لا يكون ولقد دبر فيما دبر أنه مادامت سنه لا تسعفه لنيل هذا المنصب فلماذا لا يسبقه فيه أبوه •

ويخلف هو أباه وتكون الطريق قد مهدت ، ويكون قد لف الدائرة وعرف من لم يكن يعرف ، وعرفه من لم يكن سمع عنه ٠

وما كان اختياره نازلى فيمن عرضه عليه مدنى الا لأن أباها عمدة لأكبر بلد فى الدايرة الى جانب ثرائه وهكذا وجد فى نازلى كل الذى يحقق ما تهفو له نفسه ، ويدنى له من الأمل المتشبث به تشبث الانســـان بالحيـــاة ٠

قال أبوه :

ـ ومن أين نبدأ ؟

ـ وهل المسألة عايزة تفكير ؟

ـ كيف ؟

ـ نبدأ بالباشا ٠

ـ أى والله صحيح نبدأ بالباشا ٠

●●●

- ٦ -

قال مراد للباشـــا :

ـ أتكلم أنا أم يتكلم أبى ؟

ـ وهل هذا سؤال مادام أبوك موجودا فالكلام يكون له ٠

ـ طبعا الأمر كما تقول معاليك ولكن أريد أنا أن أتكلم ٠

وضحك الباشا وقال :

ـ والله كبرت يا مراد وأصبحت تلف وتدور على سياسى محترف ٠

ـ أولا معاليك لم تهنئنى ٠

ـ ألم أحضر فرحك ؟

ـ وهدية معاليك تتصدر المديرية كلها لا بيتنا فقط ٠

ـ اذ فيم أهنئك ؟

ـ بالحاج دياب الصغير ٠

وأراد الباشا أن يبدو مسرورا كل السرور وهو يقول :

ـ كذا ٠٠ انت لحقت ٠٠ ألف مبروك ٠٠ وقبل أن نتكلم افتح يدك واخرج محفظة والتقط منها ورقة كبيرة واستطرد قائلا :

ـ نقطة المولود يا أبا دياب ٠

وأعطاه ورقة بمائة جنيه وقال الحاج دياب :

ـ كثير يا معالى الباشا ٠٠ هذا كثير ٠

وقال مراد :

ـ لا يا أبا أنا عند الباشا مثل نديم بك وأنا أعرف ذلك ربنا يطيل عمرك يا معالى الباشا ويكرمك ٠

وقل الباشا :

ـ المهم ٠٠ ماذا كنت تريد أن تقول ؟

ـ مرة واحدة كده نريد أن نرشح أبى لمجلس النواب عن دايرتنا ٠٠

ـ العضو الآن عمر المفتى ٠ ونحن نرشح فى هذه الدائرة ٠٠

وقاطعه مراد :

ـ كامل الزينى ٠

وقال الباشا :

ـ عمر المفتى قوى ٠

وقال مراد :

ـ ليس هو القوى ، ولكن كامل الزينى هو الضعيف ولا يخـــدم الدائرة مطلقا ٠٠ اذا كان يعمل محاميا ، ويسلخ أهل الدايرة فى الأتعاب الى جانب انه ٠٠

وقاطعه الباشا قائلا :

ـ بخيل ٠٠ أعرف ذلك وبيته مقفل دائما ٠

وصـــاح مراد :

ـ يعيش معالى الباشا ٠

وقال الباشا في تؤدة وفي تفكير :

ـ والله يا ولد يا مراد ٠٠ المسألة فيها كلام ٠

وقال مراد :

ـ قل معاليك نعم وهى لا يصبح فيها كلام ٠

وقال الباشـــا :

ـ المسألة ليست بهذه السهولة ٠ كامل عضو قديم والأمر ليس بيدى وحدى ، بل لابد من الرجوع الى الرئيس والسكرتير العام وأعضاء مجلس الادارة فى الحزب ٠٠ الأمر ليس سهلا كما تتصور وبخاصة أن لكامل أصدقاء كثيرين فى الحزب ٠

وقال مراد :

ـ وماذا يهم أن يكون العضو قديما أو جديدا اذا كان لاينجح ؟

ـ المسألة ليست كما تتصور ٠

ـ البركة فيك ٠

ـ ليست حكاية بركة ٠

ـ أنت تذلل كل العقبات ٠

ـ بل أنت يا حاج دياب الذى يمكنك أن تساعدنى ٠

وكان الحاج دياب تائها طوال هذا الحوار وكأنما أفاق فجأة بنداء الباشا له صائحا :

ـ أفنـــدم ٠

ـ ألست معنـــا ؟

ـ بل معك تماما يا معالى الباشا ٠٠ أنتظر أمرك ٠

ونظر الباشا الى الحاج دياب وابنه ، وصمت لحظات طويلة ثم قال :

ـ ألم تكن عضوا فى حزب قبل ذلك يا حاج دياب ؟

ـ أول مرة يا معالى الباشا ٠ النائب الذى أعرفه عمر بك المفتى رجل طيب ، وتعـودنا أن نعطيـه أصـواتنا فالمعرفة بيننا معرفة جـــدود ٠ وأنا لا أشتغل بالسياسة الا وقت الانتخابات ٠

وأعاد اليهما الباشا نظرة ثاقبة ثم قال لمراد :

ـ قل لى يا فصيح أنت يا من أسكت أباك وتكلمت . ألم تأت عندنا فى الحزب ولو مرة .

ـ كيف ؟ اننى ذهبت لمعاليك هناك أكثر من مرة ، سواء وحدى أو مع نديم ..

وصمت لحظة ثم قال مستدركا :

ـ مع نديم بك .

ـ وقال الباشا :

ـ أليس هذا الحزب يحتاج الى ميزانية ضخمة ؟

وهنا صاح الحاج دياب :

ـ أفنـــدم .

ـ أم ماذا تظن ؟

ـ أنا يا باشا تحت أمرك ، ولكن ميزانية لماذا ؟

ـ يا الهى ! لماذا ألا تعرف يا حاج دياب ؟ أبسط شىء الانفاق على الانتخابات . واصدار الصحف ، وهذا وحده يحتاج الى مئات الألوف .

ـ أى والله معقول . انما قل لى يا معالى الباشا .. أينفق الحزب على الانتخابات ؟

ـ طبعا .. مثلا لنا أعضاء أقوياء فى دوائرهم ؟ ولكن ضعفاء فى حالتهم المالية .

وهنا قال مراد :

ـ ماداموا ليسوا قادرين على الانتخابات فليتركوها للقادرين .

وضحك الباشـــا :

ـ على مهلك يا أستاذ الموضوع ليس بهذه البساطة فهؤلاء أن لم يساعدهم الحزب تركوه وأصبحوا ضده ، وليس بعيدا أن يرشحوا أنفسهم بأموال حزب آخر الى جانب انهم سيؤثرون فى دوائر أخرى بشخصياتهم .

وقال مراد وكأنما رد الى عقله :

ـ والله معقول يا معالى الباشا .

ـ الى جانب مصاريف أخرى حزبيـــة سرية لا يعرفهـا الا رئيس الحزب والسكرتير العام ، وهذه طبعا لا تذكر ٠

وهنا قال مراد مذهولا :

ـ مثل ماذا يا معالى الباشا ؟

ـ مثل الأموال التى نعطيها لمن ينقل لنا أخبار الأحزاب ٠٠ ولاحظ أننى أفشيت لك سرا من أسرار الحزب ٠

وصـــاح مـــراد :

ـ يا خبر أسود ٠

ـ لا أسود ولا أبيض هذه ســياسة والأحزاب الأخـــرى تعمل مثلنا ٠ وهناك المصاريف الادارية فى الحزب مثلا ٠

وهنا أراد دياب أن يعرف رأسه من رجليه وسأل الباشا فى حسم :

ـ كامل الزينى يدفع للحزب كم جنيها يا معالى الباشا ؟

ـ المبالغ لا أعرفها ، ولكنـــه يدفع مع الاشتراك مبلغـــا محترما فيما أعتقد ٠

ـ أنا يا باشا أدفع ضعفى ما يدفع ٠

وتجلت الفرحة على وجه مراد ، وقال فى شجاعة :

ـ ونحن سننجح يا باشا ، وكامل لم ينجح مرة واحدة فى حياته ٠٠ ما رأى معاليك ؟

ـ توكلنـــا على الله ٠٠ على فكرة أنتم مدعـوان لفـرح نديم يوم الخميس القـــادم ٠

وصـــاح مراد :

ـ وهو مازال فى الكلية ٠

ـ ابنة عمه وواضح انهما متفقان ، فقلت بدلا من أن تشغله عن المذاكرة يتزوجها ٠

وقال مراد :

ـ على بركة الله يا معالى الباشا ولو أننى أرجو أن تبلغ نديم أننى عاتب عليه ٠

ـ لماذا ٠

ـ أنا أقرب صديق له وأعرف الخبر من معاليك ٠

ـ انه لم يبح لأحد مطلقا ٠ لابد أن تحضر الفرح ٠

ولم ينس الحاج دهشان أن يرسل الى الباشا عشرة خراف نقوطا لتذبح فى الفرح ٠

●●●

- ٧ -

حين خلا مراد الى أبيه قال الحاج دياب :

ـ استرحت ؟

ـ كيف ؟

ـ ألم يعد الباشا ؟

ـ أتظن أن الحكاية انتهت هكذا ؟

ـ على الأقل مؤقتا الى أن تأتى الانتخابات ٠

ـ يا أبا الحكاية أكبر بكثير مما تظن ٠

ـ يعنى يا ولد أنت ناوى تعلمنى الانتخابات وأنا فيها منذ بدعوا الانتخابا تفى البلد ؟!

ـ أنت فيها بأن تعطى صوتك ، وهذه أول مرة ترشح فيها ٠

ـ أتريدنى أن آعلن ترشيحى من الآن وأصبح مضحكة ٠

ـ لا يا أبا ٠٠ لا اعلان ولا يحزنون ٠

ـ فماذا تريدنا أن نعمل ؟

ـ نعمل ٠

ـ ماذا نعمل ؟!

ـ أصحابك فى البلاد تزورهم ٠

ـ هكذا من غير مناسبة ٠

ـ زيارات ودية أما المناسبات سواء كانت مآتم أم أفراحا فلا يفوتنك منها واحدة • وتدفع في الأفراح نقطة كبيرة •• واذا كان صاحب المأتم رقيق الحال نغمزه بكم جنيه ليواجه أعباء الوفاة ••

ـ من الآن يا ابنى ؟

ـ بل من الأمس يا أبا •

وأعجبت الاجابة الحاج دياب فراح يقهقه ملء فمه ، ثم قطع الضحكة وهو يقول :

ـ ولكن الأمر سيكلفنا كثيرا يا ولد •

ـ ليس هناك مال يساوى أن تصبح عضو مجلس نواب •

ولم يستطع أن يكتم آماله فاذا هو يقول في تسرع الشباب :

ـ والذى سننفقه اليوم جنيها سنجمعه غدا عشرة •

ووجم الحاج دياب وهو يسأل في شبه استنكار :

ـ كيف ؟

وتنبه مراد الى تعجله وأراد أن يصلح ما أوشك أن يفسد •

ـ مصالحنا في المديرية بل في الدولة كلها •• هل يستطيع أحد أن يقف ضدنا ، وغير هذا كثير مما ستعرفه حين تصبح عضو نواب يا أبا •

وأطرق الحاج دياب قليلا :

ـ طيب والعمودية ؟

ـ مالها ؟

ـ من يتولاها ؟ أنت لم تصل الى السن القانونية •

ـ عضو النواب يعين من يريد •

ـ وتخرج من دار طلبة ؟

ـ بل تبقى •

ـ هل تقترح أحدا ؟

ـ عندى ألف •• فقط توكل أنت على الله •

ـ توكلنا على الله •

●●●

وبدأ الحاج دياب يعمل بنصائح مراد الذى كان يعد للأمر منذ زمن بعيد ، وقد بدأ حملته باقامة دعوة غداء واسعة كل السعة بمناسبة ميلاد دياب الصغير ، وانتقال مراد وأسرته الى بيتهم الجديد •

ولم يقتصر مراد ودياب دعوتهما على العمد ، بل دعوا كل ذو مكانة أو أكرومة فى بلده •

ولم يخل الأمر من القاء الشيخ سليم الديب المدرس الازامى بالميمونة قصيدة شعر مهما تكن هشة بعيدة عن الرصانة الا انها أدت الغرض منها ، واستقبلها شهود الحفل بالتصفيق والتهليل •

وتبارى آخرون فى القاء خطب المديح والتمنيات الطيبات للمولود الكريم والتنبؤ له بأن يكون عمدة بعد مراد •

ولم يفت الأذكياء الماكرين من العمد وأعيان البلاد والتجار أن هذه الدعوة تخفى وراءها ما تخفى وان لم يستطع ذكاؤهم أن يصل واثقا الى ما ينتويه العمدة وان كان بعضهم لم يستبعد أن يكون عاقدا العزم على ترشيح نفسه فى الانتخابات • ومما جعل هذا الأمر معقولا الى حد ما فى ذهن من قام بذهنه أنه لم يدع عمر بك المفتى مع أنه تعود فيما قبل أن يكثر من دعوته •

وهمس خميس الملوانى فى اذن الحاج دهشان :

ـ نسيبك ناوى على ماذا ؟

ـ لم يفاتحنى فى شىء •

ـ بل فاتحك •

ـ كيف ؟

ـ لقد فاتح الجميع بهذه العزومة الطويلة العريضة التى لا أشك أنها ستتلوها عزائم أخرى •

ـ بأى مناسبة ؟

ـ ومن غير مناسبة وشرفك ؟

ـ دع شرفى فى حاله •

ـ وشرفى أنا ولا تزعل •

ـ « لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون » •

ـ صدق الله العظيم • لو أننى أعتقد أن هذا النبأ سيتأخر بعض الشىء ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ ما تعـــلم ٠

ـ أتظن ذلك يا خميس ٠

ـ ان غدا لناظره لقريب ٠

ـ ولكن غدا هذا بعيد بعض الشيء ٠

ـ انه يعمل له من بعيد ٠

ـ آه ٠ ربنا يوفقه ٠

ـ ويوفقنا ٠

ـ ماذا تنوى ٠

ـ وقت الله يعين الله ٠

ـ على رأيك ٠

●●●

ـ ٨ ـ

ما أسرع السنوات وأبطأ الأيام والساعات !!

استطاع دياب ومراد أن يجمعا الناس حولهما بشتى طرق ومختلف سبل لا يقصران فى مجادلة أو مال أو تهنئة أو مواساة ٠ ويكاد لا يمر بهما أسبوع أو أسبوعان دون أن يولما الولائم ٠

حتى اذ حل موعد الانتخاب كان الحاج دياب قد أخذ أهبته كاملة للترشيح ٠

وصدق فكرى راشد وعده له بعد أن قدم ديـــاب للحزب ضعفى ما كان يدفع كامل الزينى ٠

ورشح حزب الوفد الحاج دياب طلبة ليكون نائبه فى هذه الدائرة وكان للوفد فى هذه الانتخابات كفة راجحة غاية الرجحان ، لأن الشعب المصرى لا يحب أن يبقى حزب أو حزبان فترة طويلة فى الحكم أقصى فيها حزب الوفد عن الوزارة ٠

ويعلم الله أن الوفد قد كسب من ابتعاده عن الحكم أضعاف ما كسب خصومه من بقائهم فى الحكم ٠

فالوفد لم يكمل دورة واحدة فى حياته فما ان يتولى الوزارة ويمضى به بعض الوقت ، ويبدأ الشعب فى كراهيته كما يكره المحكوم حاكمه الظالم حتى يقيله الملك فتنقلب كراهية الشعب له اقبالا عليه واعجابا به لا حبا فيه وانما كراهية لفكرة الاقالة ذاتها التى أصرت انجلترا المحتلة أن توضع فى الدستور اطمئنانا منهم أن أحداً من الملوك لن يجرؤ على معارضتهم اذا هم أرادوا أن يغيروا الوزارة ويأتوا برئيس جديد ، كما أتوا بمصطفى النحاس فى حادث ٤ فبراير الشهير الجهير الحقير .

نجح الحاج دياب طلبة فى الانتخابات وجلس تحت قبة البرلمان ولا ينسى أحد كم كان فرحا سعيدا حتى لقد لبس وشاح النواب ، وذهب الى مقهى لونابارك فى القاهرة منذ باكر الصباح قبل موعد الافتتاح ليعلم كل من يمر به أنه عضو بمجلس النواب .

كان عليه أن يختار بين العمودية والنيابة فى ثلاثة أشهر . وطبعا هو لم ينفق هذا الانفاق من ماله وجهده ليبقى آخر الأمر بالعمودية .

ومراد لم يبلغ السن القانونية .

ـ ماذا تفعل فى العمودية يامراد ؟ .. أنت بعد لم تبلغ السن .

ـ وحتى اذا بلغتها انما مسألة العمودية هذه لا أفكر فيهـا على الاطلاق .

ـ هل جننت ؟

ـ لاتغضب أنا لم أبلغ السن القانونية وحين أبلغها يفرجها الذى لا تغفل له عين .

ـ ليكن ، هل فكرت فيمن يكون عمدة من دار طلبة ؟

ـ هل سعادة النائب فكر ؟

ـ ربما ولكنى أحب أن أسمع منك .

ـ ما رأيك فى مدنى طلبة .

ـ مدنى بن الحاج اسماعيل

ـ شباب ذكى وفاهم وعلى قدر من التعليم المطلوب وبلغ السن .

ـ ألا تخشى أن يكون كثيرون من كبار العائلة طامعين فيها ؟

ـ هم يحبونه جميعا ولن يرضى أحد منهم أن يـرد لك رأيا وانت كبيرهم وزعيمهم ، وشرفتهم بما لم يشرفهم به أحد من عائلتهم فى حياة العائلة من جدهم الكبير الى يومنا هذا .

ـ ولكنى لا أريد أن أغضبهم ٠

ـ وهل جئنا بعمدة من خارج العائلة ؟

ـ ولكنى مع ذلك لا أحب أن أغضبهم ٠

ـ أقول لك أنا سأمر على كبار العائلة وأعرض على كل منهم الأمر على أن الشباب يجب أن يأخذ حظه وأن العمودية هم وانفاق ، ومسألة الانفاق هذه مهمة جدا عندهم جميعا فليس فى العائلة ـ والحمد لله ـ كريم الا أنت ، وسأقول ان دوار العمدة لابد أن يظل مفتوحا ليلا ونهارا ليستقبل ضيوف البلدة وموظفى المديرية ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ أترك الشيوخ على أنا ٠

ـ اتفقنا ٠٠ اذا قبلوا نتوكل على الله ٠

ـ سيقبلون وبخاصة مدنى يعتبر من أغنياء الأسرة فقد ورث كما تعلم أباه وأمه التى كانت غنية هى الأخرى ٠

ـ على بركة الله ٠

● ● ●

وصدق حدس مراد ووجد أغلب الكبار فى العائلة زاهدين فى العمودية ٠ فقد كانوا تعودوا على نوع خاص من المعيشة يصعب عليهم أن يغيروه فى سنهم المتقدمة هذه ، ومن كان طامعا فى العمودية أقنعه مراد بمنطقه هذا الذى قدمه بين يدى أبيه ٠

● ● ●

قصد مراد الى بيت مدنى وكان قد تحرى أن يكون ترشيحه له عند أبيه سرا مكتوما عنه ، كما حرص ألا يذكر اسمه لواحد من شيوخ الأسرة الذين كلمهم ، وانما كان يطلق حديثه مع محدثه ، وكأنه لا يجد فى الأسرة صالحا للعمودية الا هو ، وينتظر أثر هذا منه ويميل معه فى الحديث ، وينفره من العمودية فى لهجة الحريص على ماله وصحته وينبئه أنه اذا رفض العمودية ٠

ـ سنتعب كثيرا حتى نجد العمدة المناسب ، ولكن وماله نتعب نحن وترتاح أنت ٠

وهكذا لم يظهر اسم مدنى فى الأفق على الاطلاق ، ومن يتصور أن يتولى العمودية شاب أكمل السن منذ شهور ولا يتولاها الكبار المتصدرون لمجالس القرية واجتماعاتها ٠

قال مراد لمدنى :

ــ كم تدفع لتصبح عمدة ؟

وقفز مدنى عن كرسيه :

ــ ماذا تقول ؟

ــ ما ســمعت •

ــ وهل يعقل هذا ؟

ــ كم تدفــع ؟

ــ كم تريــد ؟

ــ ألف جنيــه •

ــ ألف جنيــه !!

ــ ألف جنيــه •

ــ ادفــع •

ــ هــات •

ــ الآن •

ــ فى بيتك أكثر من هذا •

ــ من سيأخذها ؟

ــ أنــا •

ــ أنت ؟! حسبب أن الحاج دياب هو ••

ــ الحاج دياب لا يعرف عن الألف جنيه شيئا •

ــ يا أخى خف بعض الشيء •• اننى سرك ونجيك وحبيبك •

ــ ولهذا لم أقل ثلاثة آلاف •

ــ لك حق •

ــ هــات •

ــ الفلوس فى الداخل •• لحظات وتكون فى يدك •

●●●

وأصبح مدنى طلبة عمدة للميمونة •

●●●

كانت هذه الوزارة هي الأخيرة لحزب الوفد ، وهي التي ألغى فيها النحاس باشا المعاهدة ، وكان ساسة مصر جميعا يعلمون أن الغاءها خراب مؤكد لمصر ، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يعالنوا برأيهم هذا ، فالغاء المعاهدة في ظاهره عمل وطني لابد أن تؤيده الأحزاب الأخرى بل لقد أيده أيضا الساسة الكبار البعيدون عن الأحزاب ، ولكنهم جميعا ، وبلا استثناء ، كانوا واثقين أنه سيؤدي بمصر الى أوخم العواقب •

كانت مقاومة المصريين للانجليز على أشدها ، حتى لقد فجر الانجليز فجورا لا مثيل له في تاريخهم بمصر الا في حادثة دنشواى ، وقد تمثل أبشع ما تمثل في حصارهم لمركز شرطة الاسماعيلية الأمر الذى اضطر وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا ان يأمر بأن يقاوم المصريون الذين كانوا من الوطنية في أعلى معانيها وأجلى صورها حين نفذوا الأمر وجادوا بأرواحهم في سبيل مصر •

كان نديم قد حصـل على شهادة الليسانس ، ورغب عن الوظيفـة الحكومية التي كانت يسيرة بالنسبة له غاية اليسر ، فعمل محاميا في مكتب واحد من كبار المحامين هو منير فراج ، وكان من زملائه في المكتب عبد الوهاب فتحي وأمجد شرف الدين ، وكان كلاهما يعمل في حـركة المقاومة بكل جد وجهد • وكانا على صلة بالضباط الذين كانوا يطلقون على أنفسهم الضباط الأحرار ، وكان أقرب هؤلاء الضباط اليهما سـعيد سلطان وكان برتبة يوزباشي •

وقد انضـم نديم بحماسـة شديدة الى زميله وتعرف باليوزباشي سعيد الذى فرح به كابن واحد من الوزراء في الحزب الحاكم •

وكان المحامون الثلاثة بحكم صلتهم بالموكلين في المكتب يستطيعون أن يتعرفوا مواطن السلاح وأخبرهم نديم أنه أيضـا يعرف كيف يخفي هذا السلاح •

وفي يوم من الأيام التي كان تمر شأنها شأن سائر الأيام وجد مراد نفسـه يستقبل نديم في بيته الخاص •• وتعانق الصـديقان في شرفة البيت ، والدنيا لا تكاد تسع مراد من الفرح •• وبادر نديم سائلا :

- أين سيارتك •
- أحببت أن أجيء بالقطار •
- لمـاذا ؟
- ستعرف •

ـ وهو كذلك .

ـ أولا أريد أن أرى دياب الصغير .

ـ والكبير أيضا وحياتك .

ـ طبعا ولكن أريد أن نكون وحدنا قبل أن نذهب الى حضرة النائب .

ـ أمـرك

وحين خلا بهما المكان قال نديم وهو يحتسى القوة :

ـ أنا أعمل فى المقاومة .

وقفز مراد عن كرسيه قائلا :

ـ يا نهار أسود من الحبر الكوبيا .

وقال له نديم فى هدوء ورباطة جأش

ـ اقعد .. اقعد .. اذا كان هذا رد فعلك لأننى قلت لك اننى أعمل بالمقاومة فماذا أنت صانع اذا أكملت ما جئت لك بشأنه ؟

وقال مراد وهو يجلس شبه تائه

ـ من أجل هذا جئت ؟

ـ هذا خبر لا يحتاج الى مجىء .. لقد جئت لأنك ستعمل معى .

وهب مراد واقفا :

ـ أنا ؟ وماذا أفعل فى المقاومة ؟ أخاف من خيالى .

ـ أقعد يا أخى .. وهل ستذهب الى الثكنات الانجليزية ؟

والتقط مراد بعض أنفاسه وسأل وهو يلهث :

ـ اذن ماذا سـأفعل ؟

ـ اقعـد .

ـ قعـدت

ـ الأسبوع القادم سآتى اليك ومعى واحد من الضباط الأحرار .

ـ هل سمعت عنهم ؟

ـ لا .

ـ انهم جماعة تكونت فى حرب فلسطين ، ويريدون أن يغيروا الامور فى مصر ، وهم الآن مشغولون بمعـاونة المقاومة العمل مع الفدائيين .

منهم من يذهب الى الثكنات متخفيا ، ومنهم من يعد لهم السلاح ويرسله الى العاملين بالميدان •

ـ وصاحبك هذا من أى الفريقين ؟

ـ يعمل على الناحيتين •

ـ وأنا ماذا سيكون عملى ؟

ـ سنخفى عندك السلاح •

وصمت مراد ، واحترم نديم صمته ، اذا أخفيت السلاح أصبحت واحدا منهم ، وحين يأتى الوقت يرشحنى الوفد وأصبح من الأبطـــال ولو حـــدث ـ ولو أن هذا بعيــد ـ واستطاع هؤلاء الضباط أن يغيروا الأوضاع فسيكون لهم شأن أى شأن ولا شـــك ان صـــاحب نديم هذا سيصبح فى المقـــدمة •• ومسألة اخفـــاء السلاح ليست صعبة على • فأنا هنا أعرف مخابىء كثيرة ، بل ان بيتى نفسه لن يفكر فيه أحـــد •• ما المانع •• ما المانع •• كله فائدة •• لاخطر هناك ، وأنا سأظهر بمظهر الأبطـــال •

ـ نديم ؟

ـ نعـــم •

ـ أنا نفسى ملكك فما بال بيتى ؟ •• أنا تحت أمرك •

وقام نديم ، فقام مراد ، وتعانق الصديقان •

ـ متى تجىء أنت وصاحبك ؟

ـ سنطب عليك •

ـ أهلا فى كل وقت ما اسم صاحبك ؟

ـ ستعرف حين يجىء •

ـ أسرار •

ـ ربمـــا •

ـ أمـــرك •

● ● ●

لم تمض أيام حتى كان نديم وسعيد عند مراد • ولاحظ مراد أن سعيد ارتاح له •• كما اطمأن هو اليه •• وبعد أن تبادلا حديثا عاما فاجأ سعيد مراد :

ـ أين ستخبىء السلاح ؟

ولم يفاجأ مراد بالسؤال ، وان كان فوجىء من توقيت القـائه ، فقد جاء على غير انتظار بعيدا كل البعد عما كانوا يأخذون فيه حديث .. ألجمته المفاجاة لحظة ثم قال :

ـ هنا فى بيتى .

ـ فقط .

ـ وفى أماكن أخرى كثيرة .

ـ معناها أن يعرف أصحاب هذه الأماكن ما نحاول أن تخفيه .

ـ اطمئن هذه مسئوليتى .

ـ لا هذه مسئوليتى أنا .

ـ ما رأيك فى بيت العمدة ودواره ؟

ـ وسيعلم .

ـ انه كشخصى وكل ما أرجوك فيه أن تطمئن تمـاما وتثق فى ثقـة تامة .

ـ لو لم أكن وثقت فيك من النظرة الأولى لما فتحت الموضوع أمامك.
ـ أكثر الله من أمثالك يا سعيد بك .

ـ بك هذه بعيدة عن قاموسنا كل البعد .. سعيد سلطان وتقول لى سعيد كما أننى لن أقول لك الا يا مراد دون بك ولا يحزنون .

ـ ويا ولد يا مراد اذا أحببت .

وضحك ثلاثتهم ، وقال سعيد لمراد :

ـ ستكون بيننا رحلة طويلة يا ولد يامراد .

ـ أحس بهذا .

ـ واضح انك رجل يعتمد عليك .

وقال نديم :

ـ وهل كنت عرفتك به اذا لم يكن كذلك ؟

وقال سعيد :

ـ أهدافك مرسومة فى ذهنك ، وستصل اليها •

وقال مراد :

ـ المهم ان أعرف الطريق اليها •

وقال سعيد :

ـ ربما تكون قد وضعت رجلك عليه •

وقال مراد :

ـ البركة فيك أنت ونديم •

وقال سعيد :

ـ توكل على الله •

ـ وقال نديم :

ـ أنا أعرفه كما أعرف نفسى هو مستعد ان يتوكل على الله أو على الشيطان • فقط المهم ان يصل •

وصاح مراد مذعورا ، وكأنه يرى نديم يقرأ خبىء نفسه •

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم •• حرام عليك يا شيخ •

ـ وقال نديم :

ـ ولا يهمك •• فلنتوكل على الله •

وقال مراد :

ـ هكذا يكون الكلام •• توكلنا على الله •

وقال سعيد :

ـ توكلنا على الله •

●●●

- ١٠ -

تلاحقت الأحداث بصورة لم تشهد مصر لها مثيلا ، وحدث حريق القاهرة الذى لم يستطع أحد أن يحدد الفاعل الأصلى فيه •

واستقالت وزارة النحاس باشا وتدهـور الحجم فى مصر تدهورا فظيعا ، ورفض حزب الأحرار الدسـتوريين والهيئة السعدية تاليف

الوزارة ، وكانت حجتهم قوية ، فقد كتب رجال الحزبين بالاشتراك مع كبار الساسة من المستقلين عريضة اشتهرت بعريضة الثلاثين لأن الموقعين عليها كانوا ثلاثين عملاقا من عمالقة مصر • نددوا فى العريضة بتصرفات الملك الشخصية والعامة تنديداً لم يكن له سابقة فى تاريخ مصر ، وطالبوه أن يقوم من تصرفاته الشخصية ، ويبعد عن حاشيته ذا السمعة الساقطة ، وحذروه ، أنه اذا لم يفعل فان المستقبل لمصر وللجميع مظلم ومخيف •

وذعر الملك من العريضة ، ولكنه كان يسعى الى حتفه بظلفه ، وظل على ماهو عليه من فساد وضلال وهوى لم يغير من نفسه شيئا ، كما لم يغير من زبانيته أحدا ، فكان طبيعيا أن يحدث ما توقعه زعماء مصر ورجالاتها •

فحين أزفت الآزفة وحاول الملك أن يستصرخ الحزبين الكبيرين اللذين كانا خارج الحكم فقال الحزبان فى اجماع رائع ما كان لنا أن نستجيب فما كنا لاهين حين كتبنا عريضة الثلاثين ، وما يتصور أحد أن نستجيب لصرخته حتى ينفذ كل ما جاء بالعريضة •

وهكذا تعاقبت الوزارات المحايدة وهى نـــوع من الوزارات التى لا يكتب لها البقاء عادة ، ولكنه فى هذه المرة تجاوز الرقم القياسى فى قلة الأيام التى كانت تبقى فيها الوزارة حاكمـــة حتى لقـد رأى المصريون بهى الدين بركات باشا يكلف بتأليف الوزارة وبدأ يؤلفها فعلا حتى حل عليه عميق المساء فنام على أن يكمل التأليف فى غده •

نام وهو رئيس وزراء ، وصحا ليجد الصحف تعلن أن حسين سرى باشا ألف الوزارة ، وحلف الوزراء اليمين ، وسارت الحال على هذا المنوال حتى قامت الثورة •

●●●

ولم يكن عجيبا أن يستقبلها الشعب بما هو معروف فى التاريخ من ترحاب صاخب طاغ ، ومن فرح عريض جهير •

●●●

وما لبثت الثورة أن شنت هجومها الشرس على الأحزاب ورجالها ، وقتلت الدستور أول ما قتلت مع أن بيانها الأول أعلن أنها جاءت لتحمى الدستور من العبث به ولتثبيت أركانه ، فكان أول ما فعلت فى سبيل تثبيت هذه الأركان أن تلغى الدستور ، فكان شأنها شأن الطبيب الذى دخـــل البيت لينقذ رب الأسرة المريض فكان أول ما صنعه أن أطـــلق الرصاص على قلب المريض ، وقتله فى الحال متمثلا بالقول الشائع أن

الموت احدى الراحتين ، وقد اختارت الثورة الموت للدستور حتى يرتاح تماما من الاعتداء عليه ٠

●●●

هيهات ! فما قدمت اليك لأكون مؤرخا لما حدث فى هذه الفترة وما خربت من بيوت ، وما هتكت من أعراض ، وما استباحت من كرامات ، وما سفحت من دماء ، وما استلبت من أموال ٠٠ فكل هذا أتركه للتاريخ ٠٠ وقد حكم فعلا وكأن منطوق الحكم على منصات القضاء المصرى رفيع الشأن سامى المكان ٠

ولكن ما لنا وهذا ، ولو أن حديث الأفاعى طويل المدى ، ولكننى لا أسوق لك تلك الأحداث فى هذه الرواية ، فمكانها مجالات أخرى غير هذه الرواية بين يديك التى أخشى عليها أن يلهينى عنها غير ما رصدته لهـــا ٠

فلنعد الى البدء ونقف أثر أبطالنا ونتتبع طريقهم الخاص ، وما حديثى عن الثورة الا حتم من الحتم ففى ركام أحداثها مهدوا سبيلهم ولابد لمن يروى ما ساروا فيه من سبيل أن يرسم ولو فى كلمات قلائل معالم هذه السبيل ٠

فاليهم اذن عودتنـــا نقص خطـاهم ٠ ونتتبع سيرهم ومسراهم ٠ فانما هم الذين اجتذبوا عقلى ومشاعرى أن أروى هذا الذى بين يديك ولك الحرية المطلقة أن تطلق عليها من الأسماء ما شئت ٠ أما أنا فانما أريد أن أكتب لك ما عهدت منى من روايات ٠٠٠ فهى اذن رواية ٠

●●●

- ١١ -

صادرت الثورة فيما صادرت أسرة محمد على بأموالها ، وعلى رأسها طبعا الملك وزوجته وأولاده ، وأعلنت أنها كونت لجنة لتحصر أموال الملك والأسرة العلوية وغيرها من الأموال المصادرة جميعا ، وكان سعيد واحدا فى هذه اللجنة ٠ وبدأت اللجنة أعمالها ، وكان من بين أعضاء اللجنة واحد من رجال المال فى الحكومة ٠٠

فى الجلسة الأولى لاجتماع اللجنة قال العضو المختص ، وقد بدأوا باحصاء أموال فاروق وزوجه ، وقال المختص لسكرتير اللجنة :

ـ أكتب عندك يا سيدى عدد واحد قرط ٠٠ ثانيا ٠٠

واذا بالمندوب المالى الذى انتدب مراقبا على طريقة الاحصاء يتولاه الذعر ويصيح :

ـ انتظر كيف ننتقل الى ثانيا ؟

ـ وماذا تريد ؟

ـ هذا القرط الذى بدأت به الاحصاء ما وصفه ؟ ان هنـــاك قرطا لا يساوى أكثر من خمسة قروش ، وآخر يفوق ثمنه المليون جنيه ! لابد من ذكر وصف القرط وما فيه من أحجار كريمة وأحجامها والتقدير المالى له ٠

فاذا عضو اللجنة يقول :

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ الأوامر عندنا كذا

ولم يكن السعار من الثورة قد بدأ واضحا بعد مما جعل المندوب المالى يصيح :

ـ وأنا مستقيل من اللجنة ٠

ـ أنت حـر ٠

ـ سلام عليكم ٠

ـ وعليكم السلام ٠

●●●

وحينئذ بدأت اللجنــة أعمالها فعلا ، ووجد سعيد نفسه في موضع تردد معه بعض الشيء ٠٠ اذا استقلت فالله يعلم مصيرى ، واذا اعترضت فمصيرى المؤكد مصادرة حياتى جميعا ، ليس أمامى الا أن أفعــل مثل ما يفعلون مادامت الأوامر هكذا ٠ فمفهوم طبعا ما يراد منا ، ومفهوم طبعا أننا سننال حظنا من الغنائم ٠

لاسبيل الى التردد ٠ أنا واحد منهم وسأظل واحدا منهم ٠

●●●

النائب دياب طلبة أعلن انتماءه للثورة أعظم مايكون الانتماء ، وقد استطاع أن يتصرف فى أرضه وأمواله بحيث لم تنل منه الثورة سهما من أرضه ، أو مليما من ماله ٠ وقد كان شأنه فى غمار الناس أهون من أن

يكون تحت الحراسة ، وقد رضى المسئولون عن الثورة انضمامه إليهم ، واعتبروه جنديا من جنودها ·

أما مراد فقد رأى في الثورة فى أول عهدها كارثة تسحق آماله جميعا ··

ولكن الأيام مالبثت أن أتاحت لهذه الآمال أن تنتعش من موات · فقد كان المسئولون عن الثورة فى المديرية من أصدقاءه المقربين اللصقاء ، فكان طريقه اليهم واسعا ، وكانت الأبواب مفتحه أمامه على مصراعيها جميعا ·

وكان أول ما صنع من الناحية السلبية أن يقطع صـــلاته جميعا بنـديم ·

ولم يكن هذا غريبا على نديم فما انتظر من صديقه الحميم غير هذا ·

ولم يكن أثر الثورة على نديم فادحا كما كان بالنسبة لوزراء آخرين · فلم يكن أبوه ذا شأن خطير فى الحزب ، وان يكن قد بلغ منصب الوزارة فما كان وزيرا ذا خطر يخشاه أعداؤه ·

ولم يكن فكرى باشا ذا مال يستحق أن توضــع عليه الحراسة · فما كان وفير الغنى ·

ومادام مقدور الرزق والخطر ففيم تلتفت اليه الثورة · فلتصرف انتقامها الى الذين ان حاربتهم أصابت بهم أحزابهم وأشياعهم ومناصريهم ·

أما نديم فقد ظل يعمل فى مكتب المحاماة ، وقطع تمــاما جهـاده السياسى ·

وقد استطاع نديم فى فترة قصيرة أن يصبح المحامى الثانى للمحامى الكبير منير فراج ، ومضى فى طريق المحاماة صعدا · وقال له منير :

ـ يانديم أعرف أنك تنوى أن تفتح مكتبا خاصا ·

ـ ليس الآن على أى حال يا سعادة البك ·

ـ لا تفعل هذا الآن ولا بعد الآن ·

ـ أمرك ، ولكن لماذا ؟

ـ أنا أرى مستقبلك في المحاماة عظيما ، وأنا ليس لى أولاد ، وسنى أصبحت لاتحتمل جهد المحاماة · فأنا سأبيع لك المكتب لأنك الوحيـد بين زملائك الذى أطمئن على قضايا موكلى بين يديه ؟

ـ لكن يا سعادة البك ·

ـ لكن يا سعادة البك ٠

فقاطعه منير بك :

ـ لا تكمل أنا أعرف تماما حالتك المالية وحالة الباشا أيضـا ٠ سيكون البيع أقرب الى الهدية منه الى البيع ٠ لولا خشيتى أن أثير عليك حسد زملائك لأهديته اليك ٠ والله يعلم ما اخترتك الا لأمانتك ٠ ولحرصى على مصالح موكلى الذين بذلت عمرى كله فى اكتساب ثقتهم ٠

ـ أنا لا أدرى ماذا أقول ٠٠ الا أننى دائمـا سـأظل ابنك فى المحاماة ، وفى الحياة جميعا ٠

وسواء بالنسبة للقضايا التى ستتركها فى المكتب ، أو القضـايا التى قد يأتى بها موكلون جدد الذين لن يقصدوا الا الى الاسـم الرفيع الذى يتمتع به المكتب بفضلك ٠ فانك أنت دائما ستظل أستاذى ومرجعى فى كل هذه القضايا قديمها وحديثها ٠

ـ هذا ما توقعته ٠٠ لاتقل كلمة مما دار حولنا الا لوالدك ٠ فانا لا أريد أحدا غيره يعلم ما انتويت ٠

ـ هذا طبعا ما كنت أنوى عمله ٠

ـ على بركة الله ٠

●●●

ـ ١٢ ـ

فوجىء مراد بتليفون منزله يستدعيه ٠

ـ ألو من ؟

ـ أنا سعيد سلطان يا مراد ٠

ـ يا مرحب يامرحب سعادة الباشا ٠

ـ الباشاوية الغيت ٠

ـ لكى تأخذوها أنتم ٠ وأين الباشاوات منكم ياسادة الدنيا كلها ؟!

ـ أنت لم تتغير ٠

ـ أمر منك ان أتغير الى أى شـكل تريد ٠ أنـا من يدك ذى الى يدك ذى ٠

ـ أحب أن أراك •

ـ أجيء الآن •

ـ تعرف بيتى ؟

ـ لم أصل الى هذا الشرف •

ـ فى الحلمية شارع نسيم باشا رقم ٤ الدور الرابع •

ـ بعد ساعة •

ـ لا • أنا أنتظرك فى الساعة السابعة اليوم •

●●●

بيت متهالك عجيب الشأن لامساحة له عبارة عن واجهة بلا عمق الا بمقدار حجرة واحدة • فالحجرات فيه متراصة متجاورة فى نظام عجيب لم يشهد له مراد مثيلا • وعرف لماذا يخبره سعيد عن رقم الشقة لأن الدور على ضآلته شقة واحدة ، وكانت المرة الأولى التى يشاهد فيها مراد عمارة بأكملها لاتزيد على واجهة فقط ، وهى تدل دلالة واضحة عن الحالة المالية لسكان هذا البناء العجيب الذى لايجرؤ أحد أن يسميه عمارة •

فتح الباب لمراد فتاة فى سن الشباب الباكر تلبس جلبابا من الكستور الرخيص لاتوحى لرائيها بشيء ، فلاهى جميلة ، ولا هى قبيحة ، ولا هى طويلة فارعة ، ولا هى قصيرة قزعة ، ولا هى نحيفة ضامرة ولا سمينة ممتلئة • انها كالشيء الذى لا معنى له ، أو مثلها مثل الكلمة العابرة التى ان سقطت من الكلام لايتغير معناه • وقادته الى غرفة خبيثة الأثاث والرائحة معا واضح أنها لم تفتح منذ عهد بعيد •

ـ أهلا وسهلا •

ـ مراد طلبه • البك ينتظرنى •

ـ تفضل •• أتشرب قهوة أم تفضل الشاى ؟

ـ لا داعى للتعب •

ـ هذا واجب لابد منه •

ـ اذن قهوة زيادة اذا سمحت •

ـ حاضر •• سعيد أخى يلبس وسيأتى حالا •

●●●

قال سعيد :

ـ اسمع ٠٠ ان الحديث الذى سيجرى بيننا اذا عرفه أحد ثالث ٠٠

ـ لا سمح الله ٠

ـ لا ٠ المسألة ليست مسألة كلام ٠٠ اذا عرفت أنك نطقت بكلمة مما سأقوله لك سأقتلك ؟

ـ عيب يا سعيد بك ٠٠ ألا تثق فى ؟

ـ ما عيب الا العيب ٠٠ أنا لا أقصـــد أقتلك على سبيل التهديد والتخويف ٠٠ لا ٠ سأقتلك فعلا بالرصـــاص وأنت تعلم أن هذا ليس صعبا بالنسبة الى ٠

ـ يا خبر أسود ٠٠ على كل حال ان كنت تشك فى فعلا فلا داعى أن تقول لى شيئا ٠

ـ لو كنت أشك ما طلبتك ٠

ـ اذن فما هذا الكلام الذى تقوله ؟

ـ لأخلص ذمتى من ذنبك ٠٠ ليس عندى الا القتل ٠

ـ أمرى الى الله ٠

ـ وأمام هذا التهديد هناك الوعد بالثراء بصـــورة لاتخطـر لك على بال ٠

ـ كيف ؟

ـ لن أقول لك أكثر من أننى أعمل بلجنة الجرد ٠

ـ وما معنى هذا ؟

ـ معناه كثير جدا ٠

ـ أفهم ٠

ـ سأحصل على مجوهرات وتحف لا تقدر بمال ٠

ـ معقول ٠٠٠٠٠ وأثاث طبعا ٠

ـ لا الأثاث والأشياء الكبرى لها جهات أخرى ٠

ـ مفهوم ٠ والمطلوب ؟

ـ ألم تفهم ؟

ـ فقط أستفسر ٠

ـ هذه التحف والمجوهرات اذا بعتها أنا فى مصر فستباع بأبخس الأثمان ٠ هذا بجانب أننى لا أجرؤ أن أعرف نفسى للمشترين ٠

ـ وماذا تريده منى ؟

ـ تبيعها بالنيابة عنى ، ولك النسبة المئوية التى ترضيك فى كل صفقة ٠

ـ أين أبيعها ؟

ـ فى الخارج طبعا ٠

ـ والخروج بها وكل ما يتعلق بالمســـائل الأمنية وشرطة المطار والتفتيش ؟

ـ كل هذا لا شأن لك به ٠٠٠ ما رأيك ؟

ـ وهل فيها رأى ؟!

ـ اتفقنا ٠

ـ على بركة الله ٠

ـ على بركة الله ٠

●●●

- ١٣ -

ما أسرع ما انضم مراد الى هيئة التحرير ، وما لبث سعيد أن جعل منه عضوا متميزا فى شتى مناحى الحياة السياسية ، فعرف الدهاليز والدروب ٠

وكان من الطبيعى أن يصـبح موئل طـلاب الجامعات ، ليس فى الميمونة وحدها كما كان شأنه أيام صلته بفكرى باشا ، وانما اتسع مجال خدماته مدفوعة الأجر ، فشمل المنطقة كلها ٠

وكان الحاج دياب فخورا كل الفخر بما بلغه ابنه من مكانة رفيعة ، ولم يكن يعنيه فى قليل أو كثير أن يتقاضى ابنه أجرا مقابل خدماته أو لا يتقاضى ٠

ولم يكن مراد كاذبا كل الكذب حين يقول لمن يرشونه أنه يضطر أن يقدم هذه الرشي لمن يملكون قضاء هذه الحوائج •

وكانت نازلي أشـــد الناس فرحا بالأهمية الباذخة التي يمرح في ساحتها مراد تياها فخورا • وكانت في نفس الوقت أشد الناس خوفا • لقد كان خليقا أن يكتفي بالصفقة التي عقدها مع سعيد ليصبح من أثرى أثرياء المديرية جميعا •

ولكن أي شيء يمنعه أن يتقاضى الرشاوى ، ويزيد أمواله ويجعلها قناطير مقنطرة • فهو من غياب ضميره في سعادة نفسية ومالية لا يبلغها أي انسان من الذين يخافون الله ، أو أولئك الذين وهب الله لهم اثارة من ضمير •

وكان دياب الصغير في أول عهد أبيه بهذه الفتوحات المشـــهودة يغمغم الكلمات ولكنه مع مرور السنوات أصبح ينطقها •

ولم يكن لدى مراد أي فراغ لينظر الى مستقبل ولده ، وترك هذا الأمر بكليته لزوجه نازلي ، واستأجر شقة أنيقة بالقاهرة ، فقد كانت أعماله تقتضي منه أن يقيم بالقاهرة ، أياما كثيرة ، فان الاتفاق وحده الذي تم بينه وبين سعيد كان يحتم بقـاءه بالقـاهرة فترات طويلة قد تستغرق أسبوعا أو أسابيع في بعض الأحيان • فكيف اذا أضيفت اليه الأعمال التي كان يتوسط فيها لذوي الحاجات ، كما أن هيئة التحرير في القاهرة غيرها في أي محافظة من المحافظات • فهي في القاهرة تساعد أفرادها على أن يكونوا ذوي جاه عريض في الوزارات والمصالح •

وهكذا استأجر شقة أنيقة بحي المنيل ، واستجلب اليها من البلد فتوح سيد أحمد ليكون طاهيا وخادما في وقت معا ، وليحرس الشقة أثناء غيابه عنها •

وهكذا كانت نازلي هي وحدهـــا ، بعون ضئيل من حميها الحاج دياب ، مسئولة عن ابنها دياب ، وقد حرصت على أن تجعله ينتظم في الدراســة المنزلية منذ سن باكرة فقد ضنت به أن ينتظم في المدرســة فأقامت له مدرسة خاصة كاملة في البيت ، وقد بدأت معه بأن استجلبت له الشيخ عبد المعطي الدروي ليعلمه القرآن ، فحفظ بعض ســوره • ثم انتقلت به الى التعليم المدني ، وراحت تستدعي المدرسين الى البيت حتى لا يذهب دياب الصغير الى المدرسة •

وحين دخل دياب الى المدرسة الابتدائية كان متفوقا على زملائه بما حصل من التعليم المنزلي •

ومضت السنون •

وكان من الطبيعي أن يكون لسعيد شأن أى شأن فى أن يكون مراد مرشح السلطة فى الدائرة •

وحين ذهب مراد الى سعيد فى شأن الانتخابات لم يكن طبعا محتاجا أن يسأله عن عنوانه الجديد • فقد كان بحكم الإتفاق الذى تم بينهما كثير الذهاب اليه • وان كانت نوعا من الكثرة التى لا تلفت الأنظار ، الأمر الذى كان يراعيه الطرفان معا كل الرعاية •

كان سعيد وأخته قد انتقلا الى شقة فاخرة فى جاردن سيتى فى عمارة من العمارات التى استولت عليها الحكومة فى شارع النباتات • وكانت الشقة مكونة من سبع غرف وبهو طويل مترامى الأطراف • وطبعا لم يكن الذى يفتح الباب محبوبة أخت سعيد ، وانما كان واحدا من الخدم الثلاثة الذين يعملون فى بيت سعيد • ولكن هذا لم يمنع أن يرى مراد محبوبة فى أغلب المرات التى يزور فيها شريكه سعيد • وطبعا لم تستطع الثروة أو الجاه أن يغيرا شيئا من وجهها وطبيعة خلقها ، وان كان قوامها قد امتلأ بعض الشيء امتلاء لا يصل لحد السمنة ولم تكن الملابس غالية الثمن التى تفقد الذوق بمطيقة وحدها أن تغير من شخصية محبوبة ، ولكن الذى لا شك فيه أن بلغت من السنين عددا يجعلها قريبة كل القرب من أن تكون عانسا •

كان مراد طبعا يعرف مواعيد سعيد ، فما كان ليذهب اليه ويخطئه قط ، قال لسعيد :

ــ شكرا لك كل الشكر على ترشيحى •

ــ وهل كنت تنتظر غير هذا ؟

ــ ولكن هناك مشكلة •

ــ ما هى ؟

ــ سيتقدم في الدائرة ستة مرشحين •

ــ من هم ؟

ــ لا تهم أسماؤهم الا أن من بينهم عمر المفتى •

ــ لا تخف منه •

ــ كيف ؟ لقد كان نائب الدائرة لسنوات طويلة •

ــ ألم ينتصر عليه أبوك •

ـ كان وفديا ، وطبعا أنت تعرف أن الحكومة كانت تساعد الوفد في هذه الانتخابات ومع ذلك نجح أبى بصعوبة بالغة . ولولا وقوف العمد معه لما نجح .

ـ سنشطب اسمه .

ـ عظيم .... والباقون ؟

ـ صعب .

ـ وهل هناك شيء صعب بالنسبة اليك ؟

ـ لا نريد أن نزيد من أعدائنا .

ـ يا سيدى الأمر لا يستحق ... أنت فقط كلم المسئول ، وسينفذ لك كل ما تريد .

ـ غير معقول .

ـ اذن لا فائدة .

ـ ادخل الانتخابات وأعدك بالمساعدة .

ـ لا أضمن النجاح .

ـ وأنا لا أستطيع أن أشطب خمسة .

ـ الأمر لله .

●●●

وانصرف مراد ، وهو يفكر ويطيل التفكير ، وحين عاد الى الميمونة وجد نازلى تعلم دياب مبادىء اللغة الفرنسية ، فلم يعلق على ما تفعل ، ولا انتظر أن يتعلق به دياب شأنه فى كل يوم يراه فيه .

فلم يكن مراد يراه كل يوم ، فقد أصبح بقاؤه فى القاهرة يعادل ان لم يزد على بقائه فى بيته بالبلدة وتعودت نازلى على هذا الوضع راضية به ، وان كان رضاؤها ليس عن اختيار . فهى لم تكن تملك الا تقبل اهمال مراد لها ولابنهما فى وقت معا .

ولم تكن نازلى غبية ولا جاهلة فان تكن السنوات التى قضتها فى التعليم قليلة الا أنها أصبحت تتكلم الفرنسية بقدر من الطلاقة لا بأس به ، وزاد من معرفتها باللغة الفرنسية قراءتها لكتب العالميين من كتاب فرنسا وما ترجم الى الفرنسية من الآداب الأخرى الانجليزية أو الروسية

أو الألمانية كما كانت حريصة على القراءة العربية لكبار الكتاب هذا جميعا الى جانب حرصها على تتبع الأخبار فى الصحف والراديو على السواء ٠

وهكذا أصبحت على قدر من الثقافة يعتبر غريبا على زوجة تعيش فى القرية ، لا تكاد تغادرها الا القليل النادر ، مرات الى الزقازيق ، ومرات أقل الى القاهرة ٠

وقد تمكنت ثقافتها أن تجعلهــا تعرف تمــام المعرفة ذلك السعار المحموم الذى أصاب زوجها فى جمع المال وسعة السلطة والجاه ، وأدركت أن شخصا هذا شأنه لا يمكن أن يلتفت الى بيته أو تعليم ولده ، فحزمت أمرها أن تكون هى المسئولة وحدها عن تعليم دياب وتثقيفه أيضا ٠ فان حزبها أمر لجأت الى حميها ، وقد كان يستجيب لكل ما تريده ، مدركا بحنكة الشيخ المجرب أن نازلى تنازلت عن حقوق الزوجة وأصبحت وحدها المسئولة عن ابنها الذى أهمل أبوه شأنه ٠

وما كان مراد ليستطيع أن يهتم بشئون بيته وماله وآماله العراض وكان عليه أن يختار بين أن يكون أبا وزوجا مع مال موفور ولكن ليس بالوفرة التى يريدها ، وجاه لا بأس به ، ولكن ليس بالضخامة التى يصبو اليها ، وبين أن يكون نوعا من الديناصور البشرى وقد اختار الأمر الأخير وليذهب ولده وزوجه الى أى مصير يلقفهما ٠

وقد اختار فعلا المال والجاه ، وانقضى الأمر ، وأصبحت ملائكة السماء والأرض عاجزة كل العجز أن تجعله يغير وجهته أو سمته ٠

كما أنه كان يعتبر أن نازلى قد استنفذت أغراضها بعد أن توثقت صلته بسعيد وان كان ما زال يطمع الى عون أبيها فى الانتخابات ٠

ولو أن الحاج دهشان ما زال ذا مكانة فى البلدان الأخرى وطبعا فى عموديته الكبيرة الا أن مراد قدر أن الحكومة أقوى من كل الأعمدة التى تستند اليها مكانة الحاج دهشان فلم يكن عجيبا اذن أن يسعى سعيه الخبيث المستميت لدى سعيد أن تشطب الحكومة المرشحين أمامه ٠

وهو فى دوامة الحصول على عضوية البرلمان فى شبه غيبوبة تلهيه كل الالهاء عن ابنه وزوجه ، أو أى انسان ، أو أى شىء فى الدنيا أو الآخرة على السواء ٠

فلم يكن غريبا أن تعتبر نازلى نفسها متزوجة من بعض رجل وأن أغلب هذا الرجل أصبح سعارا فى سبيل المال والسلطة ٠

ولم تحاول أن تناقشه أو حتى تسأله الى أى غاية يريد أن ينتهى ، وأى مدى يشتهى أن يبلغ ٠

فهى تعلم بثقافتها أنه ليس لطالب سلطة أو مال غاية ينتهى عندها أو مدى يقف عنده ٠

●●●

أما الحاج دياب فتفرغ كل التفرغ لأرضـــه والأرض التى كتبها بأسماء ابنه وابنتيه ٠ ومع أن مدنى طلبة كان يقوم بشئون العمودية فقد حرص أن يكون تحت جناح عمه الحاج دياب وقد حرص أن يجلس الى الناس فى دوار العمدة القديم ، وأن يظل تليفون العمدة أمام هذا الدوار الذي لم يغادره منذ السنوات الطوال ٠ وهكذا كان الأمر مستقرا في القرية كل الاستقرار ، واستطاع مراد أن يفرغ لسعار المال والجاه تفرغا كاملا ٠

- ١٤ -

قال مراد لسعيد :

ـ جئتك اليوم فى أمر بعيد كل البعد عما يشغلنا ٠

ـ خيرا ٠

ـ لا مقدمات ٠ أريد أن تزوجنى محبوبة ٠

وصدم سعيد بالطلب ، وصمت وأن لم يطل صمته ، ثم عاد وقال :

ـ ماذا تقول ؟

ـ لماذا كل هذه الدهشة ؟

ـ ألا تعرف ؟

ـ أى عجيبة أن أتزوج أختك ؟

ـ الزواج في ذاته ليس عجيبة ولكنك أنت ٠٠٠

فقاطعه مراد :

ـ متزوج ٠

ـ وعندك دياب ٠

ـ أتظننى أحتاج منك أن تعرفني أنني متزوج وعندي ولدا ؟

ـ اذن ٠

ـ زوجتي مشغولة تماما بابنها ٠ وهي مقيمة في البلدة ٠

ـ ولماذا لا تأتي الى مصر ؟

ـ ولماذا لا أتزوج من محبوبة ، وتقيم هى فى مصر ، وتظل نازلى بالبلدة ؟

ـ هل نسيت أن دياب سيضطر أن يأتى للقاهرة ؟

ـ من أجل الجامعة تقصد ؟

ـ مثلا ٠

ـ ما زالت أمامنا سنوات ٠

ـ السنوات تمر سريعة ٠

ـ يقيم معى ومع محبوبة ٠

ـ وهل تقبل نازلى ؟

ـ دع هذا لوقته المهم ما رأيك أنت ؟

ـ والله المسألة تحتاج الى تفكير ، ثم طبعا لابد ٠٠٠

وقاطعه مراد :

ـ من موافقتها ٠٠٠ هذا أمر لا شك فيه ٠

●●●

ومن سيتزوج مثلى اذا لم أقبل أن أكون زوجة ثانية ، لقد مرت السنوات وقاربت من العنوسة وأنا أعلم أننى لست جميلة ٠ وزوارنا قليلون أو نادرون ٠ وسعيد قطع رجل أقاربنا جميعا لأنه فى مكانته الجديدة أصبح لا يشرفه أن ينتسب اليه هؤلاء الأقارب ٠ وطبعا سيرفض سعيد أى متقدم من أقاربنا ٠ فجميعهم من صغار الفلاحين أو الصناع وطبعا سعيد لن يقبل أى شخص منهم اذا تجرأ وطلب يدى ٠ ليس لى أمل فى الزواج اذا أنا لم أقبل مراد ٠

وما شأنى أنا بزوجته الثانية ٠ هى فى البلد وأنا هنا ، ولن ترانى ولن أراها ٠ وكل منا فى حالها ٠

وابنها ٠٠٠

مالى أنا بابنها ٠٠٠

ماذا أصنع اذا أقام معى ٠

الذى يفعله ربنا ساعتها سيكون ٠

صحيح سعيد ترك لى الخيار ولكن هل أمامى خيار .

وواضح أن سعيد مقبل على هذا الزواج طبعا . فهو يخشى أن أظل معه اذا عنست ، وأحول بينه وبين الزواج أو أكون مصدر مضايقة له — على الأقل — عندما يتزوج .

وقد مضى عليه شهور يحدثنى عن منى ابنة رئيسه .. وواضح أنه يريد أن يتزوجها .

وماله ؟ لقد كبر هو الآخر ، ولابد له أن يلحق بالقطار .

واذا لم يتزوج وهو فى هذه السن وهذه البحبوحة التى صار اليها فمتى ؟ انه لا خيار أمامى ... زوجة ثانية ... زوجة ثانية والله يفعل ما يريد .

●●●

وتم الزواج ، وانتقلت محبوبة الى بيت مراد بالمنيل . ولم تجرؤ أن تطلب اليه أن يستأجر لها شقة أفخر . فهو قد رأى الشقة التى كانت تسكن فيها قبل أن تنتقل الى شقة جاردن سيتى .

واستطاع مراد أن يكتم خبر زواجه عن أبيه وزوجته على الرغم من أنه زواج رسمى وليس عرفيا ، ولكن فتوح ذهب الى البلد فى أجازة بعد أشهر من الزواج وهمس فى أذن الحاج دياب .

●●●

قال الحاج دياب لابنه :

— لماذا يا مراد ؟

— يا آبا أنا وحدى فى مصر التى أصبحت أقضى بها معظم وقتى ، والوحدة وحشة .

— لا .. ليس هذا هو السبب .

— وما المانع أن أتزوج يا آبا ؟

— زوجتك نازلى لا مثيل لها ، وربنا يبارك لك في دياب .

— وهل أنا قصرت نحو زوجتى أو ابنى ؟

— أنت مقصر معها قبل أن تتزوج .

— البركة فيك يا آبا .

ـ البيت لا يستغنى عن رجله • والزوجة تحتاج الى زوجها ، والابن يحتاج الى أبيه •

ـ يا أبا هل معنى أن أتزوج واحدة تقيم معى فى مصر أننى سأترك نازلى أو دياب ؟

ـ المهم لا فائدة من الكلام ••• الحقيقة يا دياب أنا لا أخاف عليك من أحد الا من نفسك •

ـ لماذا يا أبا ؟

ـ تريد أن تحصل على الدنيا كلها دون أن تقدم أى ثمن •

ـ ومن الذى لا يريد هذا يا أبا ؟

ـ لو كان الناس جميعهم مثلك لأكل بعضهم بعضا •

ـ توكل على الله يا أبا •

ـ وهل لنا غيره •• أنا لن أخبر نازلى بزواجك •

ـ مصيرها تعلم •

ـ لتعلم من غيرى •

●●●

فتوح متزوج • وزوجته تعمل عند نازلى فى البيت ، واستطاعت عديلة أن تكتم الخبر عن ستها يوما ويومين وثلاثة ، ولكن هل تستطيع المرأة أن تكتم سرا كهذا أكثر من بضعة أيام •••• هيهات •

●●●

نزل الخبر على نازلى نزول الصاعقة ••• فهى مهما تكن مثقفة فهى امرأة ••• ومشاعرها كمشاعر النساء جميعا •

لماذا ••• ماذا فعلت له ؟! ••• أهذا جزائى لأننى لا أحاسبه على اهماله لى ولابنه وأنى لا أسأله متى تسافر ومتى تعود ••• لا ••• انه يسعى بزواجه هذا الى شىء آخر غير الزواج ••• المؤكد أن فى زواجه نفعا ماديا له •

عديلة تقول أن الزوجة ليست جميلة ••• لعلها تحاول بهذا أن تعزينى • ولكنه عزاء لا قيمة له • وأعتقد أن عديلة على حق ، وأن زوجته

الثانية ليست جميلة • فهو لا يهمه الجمال أو القبح • المهم أن يصل الى أطماعه التى لا تنتهى •

والآن كيف أتصرف ؟

أذهب الى أبى •••••

ولم لا ••• لابد أن يعرف •

وماذا بعد أن يعرف ؟

وماذا أفيد أنا حين أجعل الأمر الذى سيسمعه الناس فيصدقه بعضهم ويكذبه آخرون حقيقة ثابتة لا شك فيها •

أى فائدة تعود على حين أعلن أننى فشلت فى أن أبقى على زوجى • مع أن الله يعلم أننى أنا لم أفشل أن أكون زوجة صالحة ، والذى فشل هو مراد فى أن يكون انسانا طبيعيا ، شأنه شأن كل الناس • وانما هو انسان تعميه مطامعه وان داس بها على شريكة عمره ، بل وان أساء الى ابنه الوحيد مهما يكن قدر الاساءة • ولكن كم من الناس سيقيم ميزان العدل بينى وبينه •

وماذا أنا قائلة لأبى ••• طبعا سأخبره ، ولكن ماذا يستطيع أن يفعل ••• لقد مارس مراد حقا شرعيا له ••• وأنا بين أمرين اثنين اما أن أقبل وأصمت ، أو أثير الدنيا وأفضح ما ينبغى أن أستره من من أمر بيتى ، ولن أسىء بهذا الا لولدى ولنفسى ، وأنا لم يبق لى فى الدنيا الا ولدى •

قالت نازلى لمراد فى أول لقاء بعد علمها بزواجه :

ـ مبروك •

ـ خير •

ـ مبروك يا مراد وكتر خيرك •

ـ أعرفت ؟

ـ لا شىء يختبىء •

ـ لن تجد منى أى تغيير •

ـ لا يمكن أن تتغير •

ـ كيف ؟ ألا تخشين أن يجعلنى الوضع الجديد أتغير ؟

ـ الى ماذا ••• أنت وقبل أن تتزوج لم تكن تهتم بى ولا بدياب

أى اهتمام فماذا يستطيع زواجك الجديد أن يصنع منك أسوأ من هذا ؟

ــ هل ينقصك شيء ؟

ــ أنا انسانة ، ولست مثلك . أنت كيان لا شأن له بالانسانية . أنت عبارة عن سعار للمال وللجاه ، وقد طمرت أطماعك الانسان فيك حتى لتحسب أن الانسان ما دام يأكل ويشرب فهو لا ينقصه شيء فسؤالك ان كان ينقصنى شيء غير غريب منك .

وأصر مراد قائلا :

ــ هل ينقصك شيء ؟

ــ ينقصنى الزوج لى ، والأب لابنتى ... فقط مسألة بسيطة .

ــ لقد أفسدتك القراءة .

ــ القراءة لا تفسد ، وانما الجهل هو الذى يفسد .

ــ أنا جاهل ؟!

ــ لست مثقفا على أية حال .

ــ الأمر لا يصل الى قلة الأدب .

ــ فعلا لك حق . فالحقائق دائما قلة أدب .

ــ انتهينا .

ــ بل بدأنا .

ــ ماذا تريدين أن تفعلى ؟

ــ ماذا تظن أننى سأفعل ؟

ــ أنا لا أعلم أنت حرة . افعلى ما تشائين .

ــ لا وحياة دياب لن أجعل حبيبا يرثى له أو لى ، أو أجعل عدوا يشمت به أو بى .

ــ أنت دائما عاقلة .

ــ أكثر من اللازم .

ــ هذا ما توقعته .

ـ بل هذا ما شجعك على الزواج على .

ـ أتعتقدين ذلك ؟

ـ أقول شجعك . أما السبب الحقيقى والأهم فهو أمر آخر أعرفه كل المعرفة .

ـ ما هو ؟

ـ المنفعة ... الانتخابات ... المال ... الجاه ... أخذ الرشاوى من الناس .

ـ ماذا ... ماذا ... ما هذا كله ؟

ـ أسباب زواجك ان لم يكن كل ما ذكرت فبعضه على الأقل .

ـ لا ... ناصحة .

ـ لا .. لست ناصحة ، ولكن ان لم أعرف زوجى فمن أعرف ؟
أهكذا تظنين بى ؟

ـ ليس ظنا بل ثقة تامة .

ـ أنت متأكدة .

ـ وأنت ألست متأكدا ؟

ـ ان لم أسع الى تحسين وضعى فى هذا السن فمتى ؟

ـ كل المسعورين يجدون الأعذار لسعارهم .

ـ رجعنا الى قلة الأدب .

ـ العفو يا سعادة البك ! أم تريد أن أقول الباشا ، وما البأس الباشويات اليوم أصبحت على قفا من يشيل .

ـ وسخرية أيضا !!

ـ قلنا العفو .

ـ انتهينا .

ـ انتهينا .

- ١٥ -

سافر مراد عدة مرات الى دول أوروبية مختلفة ، وكان يستعين بلغته الانجليزية المتهرئة فى بيع ما كان يحمله من تحف ومصوغات ، وقد كان العائد ضخما جزيلا •

ولكن مراد أحس أن هذه المجوهرات التى كان يبيعها فى شتى البلاد الأوروبية ليست هى كل ما يحصل عليه سعيد •

وقد جرى العمل على أن يودع نصف حق سعيد فى بنوك متفرقة فى دول العالم ، ويرجع اليه بالنصف الآخر •

وطبعا كان الخروج من مصر والدخول اليها بالنسبة لمراد أمرا ميسرا كل التيسير ، مع استحالته لسائر الناس الذين لا يتمتعون بما يتمتع به هو من صلات عليا مع سعيد •

●●●

حين تزوج مراد من محبوبة أصبح بالنسبة لسعيد موضع ثقة كاملة يستطيع أن يبيح له ما لم يكن يبيحه حين كانت الصلة أقل شأنا مما صارت اليه •

ـ اسمع يا زوج أختى •

ـ قل ما شئت •

ـ كل الذى بعته من مجوهرات لا يساوى شيئا بالنسبة لما أخفيه عندى ولم أبعه بعد •

ـ كنت واثقا من ذلك •

ـ لماذا ؟

ـ ليس فيما أبيعه شىء خارق للمألوف ••• مجوهرات نفيسه نعم • ولكن بالنسبة للأسرات الكبيرة وأسرة محمد على ••• شىء أقل من المستوى الى حد ما •

ـ كنت تعلم أن الأسر الأخرى أيضا أصبحت تحت اشرافى •

ـ وهل تعجب أن أعرف شيئا كهذا ؟

ـ لنتكلم فى المهم •

ـ أنا تحت أمرك •

ـ ستخرج فى كل مرة بقطعتين أو ثلاث على الأكثر •

ـ ليكن •

ـ لاحظ أننى لا أحصل على هذه الأشياء وحدى • وانما يشترك فى قبض أثمانها أشخاص كثيرون •

ـ أعلم هذا •

ـ وهذا أيضا تعلمه •

ـ شيء بدهى • فما كانوا ليبقوا عليك طوال هذه الفترة ان كانوا لا ينالون منك أكثر مما يتوقعون •

ـ لا يخشى عليك •

ـ أنا أخشى عليك أنت •

وجزع سعيد وامتقع لونه •

ـ لماذا •••• ؟ لماذا ؟

ـ هؤلاء قوم لا صديق لهم •

ـ هذا صحيح ، ولكن العمل الذى أقوم به يصعب أن يجدوا من يحل فيه غيرى •

ـ ولهذا لا تتسرع فى بيع المجوهرات ، ولا فى توزيع النفائس من المفروشـــات والسجاجيد واللوحات العـــالمية ، بل أجعل توزيعك بمقدار •

وصمت سعيد لحظات طوالا ثم قال :

ـ لعلك على حق •

ـ المهم نتكلم فى السفر •

ـ بعد ثلاثة أيام ستسافر •

ـ الى أين فى هذه المرة ؟

ـ الى باريس ومعك ثلاث قطع •

ـ طبعا لن أعرضها على صائغ واحد •

ـ طبعا ••• تعرض كل قطعة منفردة ، بل ينبغى الا يعلم من يشترى منك قطعة أن معك غيرها •

ـ مفهوم •

استطاع مراد أن يبيع قطعتين لصائغين مختلفين ، وأبقى القطعة الكبرى ، وهى وشاح ضخم من الماس الخالص والذهب الأصفر والأبيض جميعا ، وقد ذهب به مراد الى أشهر متجر ماس فى العالم ••• وقدمه الى الموظف ، فاذا بالموظف يرفع سماعة التليفون ، ويطلب صاحب المتجر • وفى لحظات يأتى وينظر الى الوشاح ، ويقلبه بين يديه بعناية شديدة ، ثم يقول لمراد بالانجليزية :

ـ هل يمكن أن تتركه لنا وتأتى غدا لنتفاوض فى الثمن ؟

ـ كيف ؟

ـ سأعطيك ايصالا به حتى تبيت ليلتك مطمئنا ، ولو أن متجرنا لا يحتاج لمثل هذا الاجراء •

ـ أمرك •

وكتب له صاحب المتجر الايصال ، وانقلب مراد الى فندقه متصورا أن الوشاح من العظمة بحيث يحتاج الأمر الى لجنة لتقرير قيمته الحقيقية •

وفى الصباح قال له صاحب المتجر :

ـ هذا الوشاح نحن الذين صنعناه خصيصا لشاه ايران ليهديه الى عروسه فى ذلك الحين الأميرة فوزية • وهو وشاح شهير فى عالم الماس •

وقدم الى مراد كتابا به القطع النادرة التى صنعها المتجر وفتح فى الكتاب صفحة معينة وأشار الى صورة بها وهو يقول :

ـ أليس هذا هو الوشاح الذى تعرضه علينا ؟

وكان مراد يتوقع أى شىء الا هذا الذى هو فيه ، وتولاه الجزع والعجب ، وارتعدت منه الفرائص ، بل أن تأمات وجهه أصابتها الرعشة الواضحة ولم يجد شيئا يقول الا ••

ـ أنت تعلم أن الحكومة المصرية استولت على أموال أسرة محمد على •

وقال التاجر :

ـ والأسرات الأخرى أيضا •

وقال مراد وهو في رجفته لا يزال :

ـ فأي عجيبة أن تبيع الحكومة ما استولت عليه ؟

وقال صاحب المتجر في صراحة وحسم :

ـ اذا كانت حكومتكم قد سرقت أموال أسراتها فليس معنى هذا أن نعاونها •

ثم انك لم تقدم لنا صفتك الرسمية التى تدل على أنك تمثل الحكومة المصرية •

وقال مراد :

ـ وماذا تريد أن تفعل ؟

ـ لقد فعلت •

ولم يسعف الجفاف الذى أصاب لسان مراد الا بأن يلملم حروفا متناثرة •

ـ ماذا ؟

قالها بصعوبة شديدة حتى لقد دهش كيف استطاع أن يجمعها لتصبح كلمة مسموعة •

وقال صاحب المتجر :

ـ لقد اتصلنا بشاه ايران فأمر بأن نأخذ الوشاح ولا نقدمك الى الشرطة •

وهب مراد واقفا :

ـ الشرطة ؟!

ـ هذا ما كان ينبغى أن نفعله • أنت تبيع قطعة نادرة من الماس • ولست صاحبها • بل اننى واثق أنك لا تملك ما يثبت تمثيلك للحكومة المصرية •

وأطرق مراد يجمع شتات نفســـه ويجرض ريقه لعله يعينه على الحديث • واستطاع أخيرا أن يقول :

ـ ما أنا الا رسول • فهل يمكن أن تكتب لى ورقة أعطيها لمن كلفنى ببيع هذه القطعة ؟

ونظر اليه صاحب المتجر طويلا ثم قال :

ـ نظرا لحالتك التي أراها لا مانع من هذا •

ـ وبالعربية الفصحى تنفس مراد الصعداء وهو يقول :

ـ الحمد لله ٠

●●●

- ١٦ -

أدرك مراد أن أيام سعيد لن تطول ٠

مراد اليوم عضو مجلس أمة بعد أن استطاع سعيد أن يجعل الحكومة ترفض ترشيح أربعة مما كانوا مرشحين ضد مراد ، ولم تبق الا على مرشحين اثنين هزيلين فكان طبيعيا أن يفوز مراد بالدائرة ٠

وقد فكر طويلا بعد أن عاد الى مصر من رحلته الماسية ٠

الماس والمجوهرات ستنتهي ٠ وكذلك الرياش والنفائس مصيرها الى نفاد ٠ فما مصير سعيد بعد ذلك ؟ أيبعدونه أم يبقون عليه ؟ وان أبقوا عليه وهو أمر مستبعد أيبقى هو على أنا ، لأكن زوج أخته بل لأكن أخاه الشقيق ما لهؤلاء أمان ٠

لقد تزوجت محبوبة لأضمن عضويتي في مجلس الأمة ٠ أما بعد ذلك فالذى لا شك فيه أن مفعولها ضئيل جدا ٠

صحيح سعيد تزوج وأصبح لا يتصور أن تعود أخته للعيش معه ٠ ولكن هذا لن يمنعه أن يمزق العلاقة التى بيني وبينه مطمئنا في نفسه أن أخته تستطيع أن تعيش وحدها اذا عن لى أن أطلقها ، ولا تثريب عليه في هذا التفكير ٠

وان كان على مصاريف معيشتها فقد أصبح يستطيع أن يعطيها ما يكفيها ويفيض عن حاجتها دون أن تتأثر أمواله الطائلة بهذا ٠

لا مناص لى أن أوطد صلتي بأصحاب السلطان بالطرق المشروعة وغير المشروعة ٠٠٠ والطرق غير المشروعة أقوى وأيسر ٠

ماذا تراني أستطيع أن أفعل ما دمت ما أزال على صلة طيبة بسعيد ٠ فما لى لا أجعله مفتاح الباب الى الساحات الرفيعة لأصحاب الجاه والسلطان ؟

ولكن لابد أولا من شقة فاخرة أستطيع فيها أن أدعو هؤلاء الآلهة الجدد ٠

ـ لابد من ذلك أولا ....

لابد .

وما أسرع ما أتاح له سعيد شقة بجواره فى جاردن سيتى تحقق ما يصبو اليه .

وما أسرع ما راح يدعو أهل القمة الى بيته الجديد ، وما أسرع ما لبوا .

وتوالت الحفلات ، وكان العدد فيها فى كل مرة يزيد واحدا أو اثنين ، وكان الواحد أو الاثنان يمثلان عند مراد نجاحا يفوق كل الحدود .

وراحت الأواصر تترابط بين مراد وبين وجوه الزمان ، وراحت الهدايا منه تترى اليهم ، وتوثقت علاقاته بعرى الهدايا ، واستطاع بذكاء شديد أن يدرك الهدية المناسبة لكل وجه من الوجوه .

وكانت حفلات الشقة الجديدة حفلات صاخبة فيها ما يرضي الأذواق جميعا ، شرابا كان أو دخانا أو طعاما مما لم يكن متوافرا الا فى السراديب الرفيعة التي لا يبلغهـا الا الكبـار والضخام واللائذون بهم والمنتسبون اليهم .

ومهما تكن أناقة الحفلات وروعتها وتوافر جميع عناصر البهجة فيها فلم تكن تخلو أيضا من سيدات صنعهن مراد خصيصا لهذه الحفلات ، وكن بطبيعة الحال يدرين مصيرهن المحتوم اذا تجرأت واحدة منهن وأذاعت من أمر هذه المهرجانات ما ينبغي أن يظل مستورا فى طى الكتمان .

ولم يكن مراد حريصا أن يكون المدعوون كثرة . بل هم قلة يعرف كل منهم ـ قبل أن يأتى ـ أسماء المدعوين القادمين معه .

ولم يكن مراد يعنى أي عناية باسم التنظيم الذي ينضـوى تحت لوائه .

فهو مع هيئة التحرير ، وهو في الإتحاد القومى ، وهو مستعد أن يكون في أي تجمع ما دام على صلة بالأعمدة الكبرى من هذا التنظيم .

● ● ●

لم تمنع الحفلات مراد أن ينجب من محبوبة طفلا وأسماه أيمن ٠ فقد جاء الطفل ويمن الطالع يفرش ظلاله على حياة مراد أكثر مما كان يتوقع ٠

ولم تمنعه مشاغله فى القاهرة أن يلم بنازلى ودياب ، فكان يشهد تقدم دياب فى الدراسة وتفوقه تفوقا ملحوظا ٠ بل انه أيضا عرف مبادىء اللغة الفرنسية وراحت أمه تغدق عليه من كتب هذه اللغة ما يناسب سنه ٠

وكانت نازلى تعلم كل العلم أن مجىء دياب الى بيته فى البلدة ليس رعاية لحقوقها أو حقوق ابنها فقد كانت تعلم أنه أصبح شريكا للفلاحين فى بهائمهم ، ولكل التجار فى تجارتهم ، وكانت تعلم أن جميع شركائه فى غاية السعادة بهذه المشاركة ٠ فقد ضمنوا أن لهم ظهرا قويا يستندون اليه ٠

ولم تعجب نازلى حين زار أبوها زوجها فى البلدة ، وعرض عليه أن يشاركه فى ماكينة الطحين التى يملكها والتى آن لها أن تعفى من الخدمة ، وتحل محلها أخرى حديثة ٠

وهكذا اطمأنت نازلى الى ما فعلته حين علمت أن مراد تزوج عليها وحين رفضت أن تترك بيتها الى بيت أبيها ٠ فما كان أبوها ليناصرها اذا لجأت اليه ٠

●●●

وتمر السنوات ومراد يصبح النائب الدائم فى الدائرة ، ويصبح من الوجوه الواضحة فى الاتحاد الاشتراكى العربى ٠

وكما سبق أن قلت لك لم يكن يعنى مراد شيئا الاسم الذى يعلن للتجمع الذى ينتمى اليه ٠

الا أن الجديد الذى لاحظه مراد أن سعيد لم يعد ذو خطوة عند المسئولين ، وأصبح بعض منهم يخشى أن يذهب الى حفلاته لصلته بسعيد ٠

وحين تكرر هذا من شخصيات لهـا خطرها لم يتردد مراد لحظة وطلق محبوبة وأعادها هى وابنهـا الى شقة المنيل وان لم يقطع عنهما ما يكفيهما لملاقاة الحياة ٠

وكان عمله هذا حاسما بالنسبة لسعيد ٠ فقد أدرك تماما الموقف

الذى يريد مراد أن يتخذه منه • فلم يحاول الاتصال به من قريب أو بعيد •

وعادت الحفلات الى بهجتها • فما كان لمحبوبة أية صلة بهذه الحفلات بل كانت تحرص فى أثنائها ألا تغادر حجرتها ، ولا شأن لها أى شأن بما يجرى فى حجرات الاستقبال والمائدة • وحاول مراد أن يبقى على دماء من ماء وجهه بقوله لها :

ـ اننا فلاحون ، وحريمنا لا يسهرن مع الرجال •

مع أن هؤلاء الحريم أنفسهن كن يتصدرن للدعوات الأخرى التى لا تتداول فيها الأيدى الكاسات أو مصادر الدخان •

●●●

- ١٨ -

لم تكن وفاة الحاج دياب مفاجأة لمراد فقد بلغ من السن ما جعل أيامه الأخيرة متصلة المرض •

وكان مراد فى السنوات الأخيرة هو الذى يشرف على الزراعة ، وما كان اشرافه عليها يكلفه أى جهد • فقد حرص الحاج دياب بعد الثورة ألا يقوم بزراعة أرضه أو أرض مراد أو بنتيه اللتين كونت كل منهما أسرة • الأمر الذى جعل أرضه وأرض ولده وبنتيه فى مأمن تام من كل قوانين الاصلاح الزراعى •

ولكن مراد بعد وفاة أبيه رأى أن يزرع الأرض جميعها بالموالح • وكان قد استطاع فى أثنـــاء أســفاره الى الخارج أن يتعرف ببعض المستوردين ، وكان يدرى أيضا أنه لا يفهم شيئا فى شئون الزراعة • كما أن مدنى العمدة لا يجيد زراعــة الموالح ، وان كان يجيد زراعــة المحاصيل المألوفة من قطن الى ذرة الى قمح الى شعير الى برسيم أما خارج هذه الحدود فلا يعرف شيئا •

وقد اتفق مراد مع أختيه بعد وفاة أبيهما أن يزرع أرضهما هما أيضا بالموالح ورحبت أختاه بما يريد •

وبهذا أصبحت المساحة التى سيزرعها جديرة بأن يشرف عليهــا مهندس زراعى من خريجى الزراعة العليا المتخصصين فى الموالح ، وكان يقدم له مرتبا ضخما لا يحلم به الخريج من أمثاله • فقد كان يدفع له

مائة جنيه فى الشهر مع نسبة ٥٪ من الأرباح وكان المهندس واسمه فؤاد برعى ماهرا كل المهارة فى خبرته ٠

فما هى الا سنوات حتى أصبح محصـــول الموالح فى أرض مراد وأختيه مضرب الأمثال فى الوفرة وامتياز الثمار فى وقت معا مما شجعه على أن يسافر ويستفيد بصـلاته السابقة فى الأسفار ، ويوقع العقود بالتصدير ويزيد ماله ويزيد ٠

●●●

وقد اختار الله أيضا الحاج دهشان الى جواره بعد أن كان قد باع أرض نازلى جميعها لمشترين آخرين قبل موته بفترة طويلة ٠

وقد كان البيع لأنها وزوجها سيصبحان مخالفين لقوانين الاصـلاح الزراعى ٠ فلم يكن عجيبا أن يتغلب الحاج دهشان على تلك الصعوبة بأن يبيع الأرض للفلاحين ويقيم عمارة فاخرة بالقاهرة باسم ابنته ٠ وطبعا كان مراد هو الذى يدير هذه العمارة ٠

وكان طبيعيا بعد قوانين الاسكان ألا يؤجر فيها شقة واحدة بايجار عادى ٠ وانما أجر شققها جميعا ايجارا مفروشا حتى يستطيع أن يخرج السكان وقتما يشاء ٠ وفى نفس الوقت أبقى شقتين متجاورتين بدون تأجير لتتصرف فيهما نازلى كما تشاء ، أو لتقيم فيهما حين يذهب دياب الى الجامعة ٠

وهكذا مات الحاج دهشان مطمئنا على ابنته ٠

أما آلة الطحين فقد ارتأى مراد بعد وفاة حميه أن يبيعها ٠

ــ ما رأيك يا نازلى فى ماكينة الطحين ؟

ــ ما تراه يا مراد ٠

ــ أنا أرى أنها تحتاج لوجود شخص مأمون الى جوارها حتى تظل تنتج كما كانت تنتج أيام المرحوم الحاج ٠

ــ فعلا ٠

ــ والشخص المأمون لا يوجد فى هذا الزمان ٠

ــ فماذا ترى ؟

ــ سأعرضها للبيع ٠

ــ وماله ؟

ـ أنا عندى فعلا توكيل ، ولكن أردت أن أعرف رأيك •

ـ الحقيقة أنك مع حبك للمال لا تبخل على ولا على دياب • ثم ان حقى من العمارة يصلنى على دائر المليم • فالذى تراه أفعله •

وفعلا باع مراد ماكينة الطحين وقال لنازلى :

ـ ما رأيك نشترى بثمنها أرضا للبناء فى القاهرة •

ـ ما المناسبة ؟

ـ تكون لدياب حين يكبر •

ـ نحن عندنا شقتان فى عمارة الدقى •

ـ أعلم ولكن دياب سيتزوج فى يوم من الأيام •

ـ نخلى له شقة في عمارتنا •

ـ ولماذا ؟

ـ مع أزمة السكنْ الأرض ثمنها سيزيد •

ـ أكتب الأرض باسم دياب مباشرة •

ـ وهو كذلك •

وهكذا كانت الأحوال المالية لمراد فى انتعاش مستمر • والانتعاش يغرى بالمزيد منه • والأرقام ليس لها نهاية • فليمض به الطريق ونحن من ورائه نقص أثره ونتنطس أنباءه •

● ● ●

- ١٩ -

فى ثورة مايو كان مراد غاية فى الحصافة والذكاء ، وكان يدرى على وجه اليقين لمن سيكون النصر •

فما أسرع ما تنكر لكل المارقين على السلطة العليا للبلاد ، وراح بأنف متمرس يبحث عن الأعمدة الجديدة للحكم الجديد •

ولم يهمه فى شيء أنه كان يدعو الى الاشتراكية بكل قـوته أيام سيطرة الاشتراكية وكان فى آرائه البرلمانية متحمسا للمذهب الاشتراكي تحمسا يقصر عنه ماركس ولينين وستالين جميعا •

ولم يهمه فى شيء الأعراض التى انتهكت ، ولا مذبحة ٦٦ ، ٦٧ لمن أسمتهم بالاقطاع فهو مع كل ما له كان محصنا بآرائه الاشتراكية ، وهتافاته المتواصلة للعهد ، وأربابه وصلاته الوثيقة بمن كانوا يبقون فى الصـــدراة وتنكره كل التنكر لمن يقصيهم الحكم ، ويتخذ منهم موقفـا عدائيا ، وكأنهم لم يكونوا فى يوم من الأيام هم الأقمار الساطعة فى دعواته وصلاته ومهرجاناته ومشاربه المائية أو ذات الدخان ٠

وحين وقعت حرب ٦٧ أوشك أن يشارك النائب الراقص فى رقصه لولا بقية هزيلة من حياء ٠

فقد أدرك أن الهزيمة وان كانت قد زلزلت العهد زلزالا شديدا الا أنها لن تقضى عليه ، فكان من أوائل من حشدوا الهاتفين ، واستأجر عشر لوريات مليئة بالرجال والعصى انتظارا لمهزلة التنازل ، وكان يدرى كل شيء عن مناورة التنازل والتجميع والهتافات ، فلم يترك الفرصـــة للمشاركة فى التمثيلية الفجة التى مثلها العهد بعد الهزيمة النكراء ، ولم يعنه فى شيء من قتلوا من أبناء مصر مع الأموال الضخام التى سفحت مع الدماء على رمال سيناء ٠

وفى مجلس الأمة كان أشد المصفقين للنائب الراقص على أشـــلاء مصر ٠ حتى اذا أراد الله للعهد أن ينتهى كان هو مع العهد الجديد أشد ما يكون تحمسا ، وأعلى ما يكون صـــوتا فى الهتاف والتأييد للعهد الجديد ٠

وقد أدرك العهد أن مراد ممن يمكن الاعتماد عليهم ، فما دام رجل قد احترف الهتاف فهو لن ينصرف عنه فى سبيل أى شيء ، وانما سيستمر على الهتاف لأن حنجرته لا تستطيع أن تصنع شيئا الا هذا الهتاف ٠
ولابد من هاتفين لكل عهد ٠

فما أسرع ما أقيمت الولائم فى بيت مراد لسدنة العهد الجديد ، وما أحسن ما سارت معه الأمور ٠

● ● ●

وطبعا كان ضمن المرشحين فى منبر مصر ٠

وكان أول من قيد اسمه فى حزب مصر ٠

كما كان الأول أيضا فى قيد اسمه بالحزب الوطنى ٠

وظل هو دائما نائب الدائرة ٠

انتقلت نازلى الى عمارتها بالقاهرة ليصبح دياب طالبا فى كليه الحقوق ويبدأ دياب حياة جديدة كل الجدة مع أنه كثيرا ما كان يأتى الى القاهرة فى الاجازات ويقيم فى شقتى والدته اللتين احتفظ بهما أبوه ٠

وكان طبيعيا أن ينضم مراد الى أسرته ويؤجر شقته الفاخرة مفروشة ومع ذلك كان لا شأن له بدياب الا فى الماماث عابرة ٠

وكان دياب متقدما فى دراسته دائما ، ولما كان يتقن اللغة الفرنسية فقد اختار كلية الحقوق ٠ ووافقت أمه ، أما أبوه فلم يشترك فى الرأى الا بالموافقة وفى الكلية تعرف به طالب اسمه فكرى نديم راشد ٠

وفى أحد الأيام بينما دياب وزوجته وابنه على مائدة الغداء أحب مراد على غير المألوف من عادته أن يظهر اهتماما بشئون دياب ولو على سبيل قطع الصمت على مائدة الطعام ٠

ـ ما أخبار الكلية يا عم دياب ؟

ـ الحمد لله عظيمة ٠ والدراسات فيها تستهوينى ٠

ـ هل تعرفت بأصدقاء هناك ؟

ـ كثيرين ٠٠ أذكرتنى يا أبى ٠

ـ بماذا ٠٠٠ خيرا ٠

ـ كنت أسمع جدى يتحدث عن الوزير السابق فكرى باشا راشد ٠

ـ نعم لقد كنت أنا سبب تعرفه على جدك ٠

ـ كيف يا أبى ؟

وكان دياب تواقا أن يتحدث الى أبيه أو يتحدث أبوه اليه ٠ فما ان وجد أباه فتح حديثا حتى سارع يستحثه أن يتكلم ٠ قال أبوه :

ـ ألم يقل لك أبى ٠٠

ـ ربما قال ٠٠٠ ولكنى أحب أن أسمع منك ٠

ـ كان ابنه نديم زميلى فى المدرسة ، وكان الباشا يحبنى مثل ابنه ، لأنه كان يستبشر بى ٠ فقد كنت على مائدته يوم استدعى ليكون وزيرا ٠ وبعد ذلك دعانا أنا وأبى الى بيته ، ودعاه أبى الى بيتنا فى البلد ، وأقام له حفلة مازالت بلدنا والبلاد المجاورة تتحدث عنها حتى اليوم ٠

ـ أيكون فكرى هذا ابن نديم صديقك ؟

ـ لابد أن يكون كذلك ٠

ـ ماذا يعمل نديم ؟

ـ فى المحاماة وقد أصبح اليوم من أكبر المحامين فى مصر ٠

ـ انه هو لا شك ٠

ـ ان للزمن تصاريف عجيبة ٠

ـ انه شاب مهذب جدا ، وقد تعلم فى المدارس الفرنسية ٠

ـ لقد حضرت فرح أبيه ، وكان بعد ميلادك بفترة قصيرة جدا ٠٠٠ أنا لا أنسى ذلك اليوم ٠٠٠ انما أعتقد أنه أصغر منك بسـنتين على الأقـل ٠

وهنا تدخلت نازلى :

ـ طبعا فان دياب لم ينتظم فى المدارس الا بعد أبناء سنه بسنتين تقريبا وربما أكثر ٠٠ فأنت تعلم أننى كنت حريصة أن يتعلم فى البيت وربما تكون هذه الدراسة هى التى جعلته دائما متفوقا على زملائه ٠

وقال دياب :

ـ لك حق هذا صحيح ٠٠ قل لى يا دياب هل تقدر أن تأتى لى من زميلك بتليفون أبيه ٠

ـ أقدر جـدا ٠

ـ والله زمـان ٠

●●●

أدار دياب قرص التليفون وأجابه صوت وقور :

ـ ألـو

ـ لو عرفتنى تكون فعلا أكبر محامى فى مصر ٠

ـ تحدث قليلا ٠

ـ وفيم تريد الحديث ؟

ـ فى أى شىء يعجبك ٠

ـ تريد أن تستجوبني كما تستجوب الشهود فى المحكمة ٠٠ ولكنى لن أمكنك من هذا ٠

ـ أهذا معقول ؟! ٠٠ بعد كل هذه السنين ٠ مراد أيها الرجل الناقص ٠

ـ أنعم وأكرم ٠ أنت نديم بذكائك الشديد لم ينقص بل زاد ٠

ـ أين أنت ٠٠٠ لا تقل أنت مشغول فى أشياء كثيرة فأخبارك تصل الى أولا فأولا ٠

ـ الكلام فى التليفون لا ينفع ، تتغدى أو تتعشى معى أو عندى لا يهم ٠

ـ اذن ٠٠٠ نتعشى عندى يوم الاثنين القادم ٠

ـ وهو كذلك ٠

ـ أنت ونازلى هانم ودياب ٠

ـ طبعا ٠٠٠ فان دياب هو السبب فى تجديد الصـــلات فهو كما تعرف ٠٠

ـ نعم عرفت من فكرى أنهما زميلان فى الكلية ٠

ـ يوم الاثنين اذن ٠

ـ يوم الاثنين ان شاء الله فى الثامنة والنصف ، وأيضا لترى دينا أخت فكرى ٠

ـ بسم الله ما شاء الله ودينا ايضا ٠

ـ نعم وهى طالبة فى الجامة الأمريكية ٠

ـ اللهم وفقها يارب ٠

ـ أنا منتظركم ٠

ـ ان شـــاء الله ٠

وهكذا عادت الصداقة القديمة الى مجراها ٠ ولم يعد هناك حرج على دياب أن يصادق أبناء الوزراء السابقين الذين حاربتهم الثورة بكل ســـلاح ٠

فالعهد الجديد لم يكن جبارا فاتكا كسابقه ٠

وتعرف دياب على السيدة الهام وجدى زوجة نديم وأم ولده وابنة عمه ، ولم يكن رآها الا فى يوم الفرح • كما تعرف بابنته دينا فتاة جميلة واضحة الذكاء مع خفة روح لا تخفى •

وكانت السنون قد أعملت يدها فى الصديقين والزوجتين ، ولكن السمات الأساسية لم تتغير • فمهما تصنع التجاعيد فانها لا تستطيع أن تمحو ما يعرفه الصديق عن صديقه من الملامح والطريقة التى يتحدث بهما كل منهما •

وان كانت الموضوعات قد تغيرت اليوم عن الأمس البعيد ، وتعرفت نازلى على الهام • وتقاربت بينهما الأفكار ، وعرفت كل منهما أن ثقافة الأخرى فرنسية • فالموضوعات بينهما موصـــولة لا فارق ثمة بين ابنة العمدة السابق ، وابنة المستشار السابق أيضا •

فكل المناصب بالنسبة للآباء من الزوجين ومن الزوجتين مناصب سابقة • وقد جاوز أربعتهم سنوات الشباب والكهولة واقتربوا جميعا من الشيخوخة ولم يبق من شبابهم الا الآمال المعلقة بأولادهم الجالسين معهم يشاركون فى الحديث بمنطق مختلف كل الاختلاف عن الوالدين والأمين جميعا •

وأحس دياب اعجابا شديدا بدينا التى لم يكن رآها الا فى ليلتهم هذه ، وقد استطاع فى لباقة أن يبدى اعجابه فى كلمة عابرة وفى الاهتمام الشديد بما تقول •

●●●

- ٢١ -

حرص مراد فى مهرجان الانفتاح ألا يغامر بأمواله مطلقا ، كما حرص ألا يفتح أبوابا جديدة من التجارة ، ولكنه حرص على توطيـــد علاقاته وصداقاته برجال البنوك الكبار والاقتصاديين ، منتسبين الى الحكومة كانوا أم كانوا من العاملين فى الميادين الاقتصـــادية أو التجارية العامة والخاصة على السواء وقد اتخذ لنفسه موقفا صلبا وهو ألا يشارك أصحاب الملايين أو رجال الأعمال فى مشروعات اقتصادية مطلقا •

وكثيرا ما ألح عليه أصحاب مشروعات ضخمة أن يشترك معهم فكان يأبى هذا لأنه يرى أن كل مشروع يحتمل المكسب والخسارة ، وهو لا يريد أن يخسر مطلقا •

وكان المال موفورا لديه وقابلا للزيادة · فقد كان رجال الأعمال هؤلاء يلجأون اليه فى كثير من الأحيان لتسهيل أمور لهم لدى الحكومة ولدى البنوك · وكان لا يتأخر عن قاصد مطلقا مادام يقدم له الهدية التى نسميها نحن الرشوة ·

وقد كان محصول هذه الرشى ضخما الى حد بعيد · فقد كانت الرشوة تبدأ حيث تبدأ ، وقد تنتهى بنصف مليون أو ربعه ·

فما بعجيب منه اذن أن يرفض الدخول فى مشروعات قابلة لكسب أو لخسارة · فهو مهما يكسب منها لن يصل كسبه الى دخله من باب الرشـــوة ·

قصـــده عبد الحميد عنارة رجل الأعمال الكبير والذى يعمل فى الاستيراد والتصدير · والاستيراد طبعا أكثر من التصدير وكان عنارة يستورد فيما يستورد الحديد بجميع أحجامه وأنواعه · وقال عبد الحميد لدياب :

ــ أمامى صفقة عمر ·

ــ خـــيرا ·

ــ حـــديد ·

ــ بـــكم ؟

ــ بمائة مليون جنيه ·

ــ يا واقعة ســـوداء !!

ــ يا رجل حرام عليك قل بيضاء ان شاء الله ·

ــ بيضاء بيضاء ان شاء الله · والمطلوب منى ؟

ــ تدخـــل معى ·

ــ أين ؟

ــ فى العملية ·

ــ حرام عليك · الرقم وحده أصابنى بالرعب · فكيف أتصور ان أشارك فى عملية بهذا الحجم ؟

ــ انها مضمونة كما أنك ترانى الآن ·

ــ مبروكـــة عليك ·

ـ دخولك أساسي ٠

ـ لماذا ٠٠٠ هل تعتقد أن أموالي كلها ذات قيمـــة في مثل هذه المبـــالغ ؟

ـ ليس مالك هو المطلوب ٠٠٠ هل تعتقد أن عندي ما يواجه مبلغا كهذا ٠٠٠ ؟ لو كان عندي لاعتزلت العمل ٠

ـ اذن ماذا تريد مني ؟

ـ ألا تعرف ؟

ـ لابد أن تقول ٠

ـ مســـاعدتك ٠

ـ مساعدتي أنا ٠٠٠ فيم ؟

ـ لا يا مراد بك أنت لا تحتاج الى شرح ٠

ـ ربما كنت غير محتاج الى شرح ، ولكن لابد أن تكون المسائل واضحة تماما حتى لا يحصل لبس ٠

ـ تساعدني في الحصول على المبلغ من البنك ٠

ـ على مائة مليون ؟

ـ لا على ثمانين فقط ٠

ـ والله الأمر يتوقف ٠٠٠

ـ على ماذا ؟

ـ على ما تعرضه أنت على ٠

ـ كم يكفيـــك ؟

ـ في عملية كهذه ٠٠٠ لا أقل من مليونين ٠

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ لا يمكن ٠٠ هذا كثير ٠

ـ أمرك ٠٠٠ أنا لن أقبل أقل من هذا مليما واحدا ٠

ـ ألا يكفيك مليون ؟

ـ لا يكفيني أقل من المليونين بعشرة جنيهات ٠

ـ أنت متشـــدد جدا ٠

ـ وعلى شرط ٠

ـ وشرط أيضا ؟

ـ ألا أتكلم فى الموضوع قبل أن أحصل على حقى ٠

ـ أنت سميته حقك ؟!

ـ أنت تعرف الجهد الذى أبذله فى حياتى لتصبح وساطتى مقبولة ٠ فهو حقى لا شك ٠

ـ فلنقل نصفه قبل موافقة البنك و ٠٠٠

ـ لا تكمل ٠٠٠ لن أخطو الى البنك خطـــوة قبل أن آخذ حقى كامـــلا ٠

ـ اتفقنـــا ٠

ـ على بركة الله ٠

وفعلا ذهب مراد مع عنارة الى البنك ، وقدمه الى رئيس البنـــك وأوصى بكل حماس ٠ وكان من الذكاء بحيث استأذن أن ينصرف لموعد مهم ، مقدرا أن رئيس البنك ربما يريد أن ينال حقه هو أيضا ٠

●●●

- ٢٢ -

نال دياب شهادة الليسانس ولم تمض الا أشـهر قلائل حتى عين بالنيابة العامة ٠

وبدأ يفكر فى الزواج يشجعه أبوه وأمه على ذلك وبخاصة أنه كان مستقرا على العروس التى سيخطبها ٠

فقد استطاع بعد تعرفه بدينا أن يصل اليها فى الجامعة الأمريكية ، ونشأ بينهما ما ينشأ بين كل شـــاب وفتاة يجد كل منهما فى الآخر ما يرضى مشاعره ومنطقه وعقله جميعا ٠

وفى حفل صاخب انتهز فيه مراد الفرصـــة ودعا كل ذى مكانة أو شأن أو مال أو صلة تمت الخطبة والوالدان والأمان سـعداء غاية السـعادة ٠

أما أيمن فقد توكأ فى دراسته حتى وصل الى كلية التجارة لاهثا ، وكان أبوه يحرص على أن يتصل به أو بأمه مرة أو مرتين فى الأسبوع ليتأكد أنهما فى غير حاجة الى مال ٠

فان يكن مراد مسعورا فى المال الا أنه حريص كل الحرص أن يكون ابنه الذى ينتسب اليه فى مظهر لائق بين زملائه ومن يعرفونه ٠

وربما كان هذا الحرص فى ذاته مكملا لعالم السعار المالى الذى يتمتع به ٠

فان مظاهر الأبناء ما هى الا لافتة لآبائهم ، ومراد فى حاجة جائحة أن تكون عناصر الأبهة جميعها متوافرة له فيها يستطيع أن يسعى سعيه فى الوساطات ، ويستطيع أن يحافظ على صلاته بذوى الشأن والسلطان ٠

ولهذا لم يكن غريبا أن يشترى لأيمن سيارة يوم دخل الجامعة كما فعل لدياب من قبل ٠

فهو يعلم بخبرته أن السيارة فى الجامعة أصبحت منتشرة وأنه من العار ألا يكون ابن مراد طلبة دون سيارة مهما يكن مطلقا لأمه ٠ فزملاؤه لا شأن لهم بما بين الأب والأم ، وانما لهم الشأن كل الشأن ان كان زميلهم ذا وفرة فى المال والوجاهة ٠

والعار والشرف عند مراد لا يتمثلان الا فى المال والسيارات ومظاهر الرفاهية وعضوية المجلس الذى أصبح اسمه مجلس الشعب ، ثم ليس فى أى شىء آخر ٠

وهكذا كان أيمن بما لا يملكه من تفوق فى الدراسة يعوض نكوصه فى العلم بتفوقه فى اظهار الغنى واتخاذ كل الوسائل التى تجعل منه بين اخوانه شخصا يشار اليه ٠

وأى شىء يعينه على هذا أكثر من أن يعرف طلاب الكليـة جميعـا والأساتذة أن أباه عضو بمجلس الشعب ، وأنه ثرى ذو سيارة ووفرة فى المال وقدر كبير من وجاهة المظهر والملبس ، وليذهب الجوهر الى أى جحيم يطيب له ٠

ولم يكن غريبا أن يصبح كثير الأصدقاء من الزملاء ، والكثرة تجمع فى طواياها الخبيث والطيب ٠ والخبيث أكثر اقناعا من حميد الخلق السوى الطريق ٠ وهكذا كان من المتوقع ما حدث حين طلبت منجوبة زوجها السابق مراد بالتليفون وهى تصيح مولولة :

ـ الحقنى يا مراد ٠

ـ ماذا بك ؟

ـ الولـــد ٠

ـ ما لـــه ؟

ـ مغمى عليه !!

ـ هل طلبت الدكتور ؟

ـ أى دكتور ٠٠٠ الحقنى أنت وهات معاك دكتور ٠

●●●

تبين أن أيمن تناول قدرا من المخـدرات لم يحتملهـا ففقد الوعى وأسعفه الطبيب الذى أحضره أبوه وأبلغ أباه بحقيقة الغيبوبة ٠

●●●

وكان طبيعيا أن ينقل أيمن الى المستشفى ، وكان طبيعيا أن يحضر خاله سعيد ٠ بادره مراد :

ـ أهذا جزائى لاننى لم أتأخر عن أى طلب له أو لأمه ؟

ورد سعيد فى جفاء :

ـ هذا جزاؤك أنك أهملته ٠ والأبوة ليست المال وحده ٠

ـ أخوه لا ينال من اهتمامى أكثر منه ٠

ـ الخطأ لا يبرر الخطأ ٠

ـ ولكن أخاه من أحسن الناس خلقا ، وهو أيضا متفوق ٠

ـ لا تنتظر أن يكون الاخ كأخيه لكل منهما ظروفه النفسية ٠

ـ اسمع أنا سأنقل أيمن الى بيتى ليكون تحت اشرافى ٠

ـ ألا يغضب هذا زوجتك ؟

ـ زوجتى سيدة مثالية وستعامله كما تعامل دياب ٠

ـ ومحبـــوبة ؟

ـ انك أخـــوها ٠

ـ نعم ٠٠٠ أهلا بها ٠٠٠

ـ أعرف أنك تزوجت وخلفت ولدين • ولكنك لن تعجز عن ايجاد غرفة لأختك •

ـ طبعا لن أعجز •

ـ ولن أنسى أنا العشرة وسوف يكون لديها ما يكفيها •

ـ أنا لن أكون نذلا لدرجة أننى أرفض قبول أختى فى بيتى : وليس من المعقول أن أتركها وحدها •

ـ وهو كذلك •

طبعا مراد قد أعد فى نفسه أن يؤجر الشقة التى ترك فيها محبوبة وابنها مفروشة ، ولا شك أن ما سيعطيه لها أقل مما سيتقاضاه من الايجار وفى نفس الوقت يشعر ابنه أيمن أنه لم يهمل أمه •

شفى أيمن من الادمان وانتقل الى بيت أبيه • ودأبت نازلى أن تعامله أحسن معاملة • كما أن دياب كان يشعر بنوع من الأنس بوجود أخيه معه • وبخاصة أن النيابة كانت تأخذ كل وقته ، ولم يكن يلم بالبيت الا فى فترات ضئيلة • وكان قد روعه أن يصاب أخوه بالادمان • فمثل هذا الأمر اذا عرف يؤثر لا شك على مكانته فى النيابة • فقد كان يدرك أنها وظيفة حساسة غاية الحساسية وأى لغط حول واحد من أسرته كفيل بأن يؤثر على نظرة المسئولين والزملاء اليه •

ولذلك كان حريصا كل الحرص على متابعة أخيه فى دراسته وصلاته وخلطائه وأصدقائه •

وتحت هذه الرقابة الثلاثية من الأب وزوجة الأب والأخ لم يجد أيمن سردابا يعود به الى الادمان ، ولم يجد شيئا يفعله الا المذاكرة وأمره الى الله •

●●●

- ٢٣ -

حصل عبد الحميد عنارة على الاعتماد الذى توسط فيه مراد لدى البنك •

ولكنه بدلا من أن يستورد به الحديد رأى أن الكشنت مهما يبلغ لن يصل الى المبلغ الذى حصل عليه فعلا • فراح يهرب أجزاء منه على فترات الى الخارج ، معدا نفسه أن يلحق بالمال ، ويقيم بالخارج بعد أن يودعه

جميعا بعيدا عن السلطات المصرية وان كانت نيته هذه لم تمنعه أن يسافر بعد كل مبلغ يهربه حتى يطمئن على سلامة وصوله واستقراره فى البنك الأجنبى ·

ولم يكن عنارة يتصور أن عليه عيونا رواصد · فاذا أمره ينكشف فجأة قبل أن يهرب من المبلغ الا ثلاثة ملايين من الجنيهات لم يرد فى مقابلها حديد كما كانت الاتفاقية مع البنك تنص ·

وقبض على عبد الحميد عنارة ·

وتداولت الصحف الصفقة السارقة لأموال البنك والدولة معا ، وبدأ التحقيق واتسع ، ولاكت الصحف اسم مراد دياب طلبة عضو مجلس الشـــعب ·

وكدأب الصحافة ما ان تجد فرصة كهذه يكون من بين عناصرها شخص مثل مراد حتى توسعها بالتفاصيل · منها الصادق ومنها ما تتناقله الاشاعات ومنها ما يختلقه المختلقون ·

وأصبح مراد فى حالة من الكرب لم تمر به فى حياته جميعا، واختلط عقله · وفجع يوم عرف أن وزارة العدل طلبت رفع الحصانة عنه ·

ولم يجد له ملاذا الا نديم يلجأ اليه ويستفتيه من الناحيتين الشخصية والقانونية معا ·

وســـأله نديم :

ــ هل لك صلة بهذه العملية ؟

ــ أكذب لو قلت لا ·

ــ تذكر أننى محام ، والمحامى اذا لم يعرف الحقيقة كاملة يستحيل عليه أن يدلى برأى ·

ــ طبعـــا ·

ــ ما صـــلتك ؟

ــ أنا الذى قدمت عبد الحميد عنارة الى أمجد حسانين رئيس مجلس ادارة البنك ·

ــ هل ضمنت ؟

ــ ليس لى توقيع واحد فى العملية ، وكل صلتى بها أننى زكيت عنارة عند أمجد حسانين الذى طالما دعوته الى بيتى ·

ـ ماذا تعرف عن أمجد حسانين ؟

ـ لا أعرف دخائله ٠

ـ ولكن اسمه ليس فوق مستوى الشبهات ٠

ـ معـــك حق ٠

ـ فلماذا تتصل به ؟

ـ اذا لم أصادق الا من ترتفع أسماؤهم عن الشبهات لخاصمت الكثيرين من الذين ترتبط مصالحى بمعرفتهم ٠

ـ ماذا تقصد بكلمة مصالحى ؟

ـ سبحان الله ألا تعلم ؟

ـ طبعا أعلم ، ولكن أريدك أنت أن تقول ٠

ـ أنا أعمل فى التصدير ، ثم اننى عضو بمجلس الشعب ، وأبناء الدائرة لهم طلبات لا تنتهى ٠ فلابد أن أكون وثيق الصلة بكل من يملك التوقيـــع ٠

ـ كيف تعلل السبب الذى دعا الى ذكر اسمك فى قضية عنارة ؟

ـ طبعا لابد أن أمجد ذكر اسمى ٠

ـ أنت واثق أنك لم توقع على ورقة ؟

ـ ثقتى من أننى أقعد أمامك ٠ لقد طلب منى عنارة أن أشاركه ولكنى رفضت ٠

ـ هل تقاضيت منه شيئا ؟

ـ ولكنى لم أوقع على ورقة فهذه أمور لا يمكن اثباتها ٠

ـ لك حق ٠

ـ بماذا تنصحنى أن أفعل ؟

ـ متى يجتمع مجلس الشعب ٠

ـ يوم السبت القادم ٠

ـ هل سينظر فى رفع الحصانة ؟

ـ لا أظن فقد أحال رئيس المجلس الطلب الى اللجنة التشريعية ، وهى عادة تستغرق وقتا حتى تقدم تقريرها الى المجلس ٠

ـ أتريد نصيحتى ؟

ـ فلماذا أنا هنا ؟

ـ طلب الحصانة ، هل هو مقدم بالاتهام أم لسماع الأقوال ؟

ـ لســـماع الأقوال ٠

ـ عظيم ٠٠٠ سعادتك تتقدم بطلب الى المجلس برفع الحصانة ٠

ـ أنا ؟

ـ طبعا ليس أنا ٠٠٠ أنت طبعـــا ٠ وبهذا تظهر أنك لا تخشى أن تسأل وأنك مطمئن الى براءة ساحتك ٠

●●●

رفعت الحصـــانة وتمت المحاكمة وأدين فيها رئيس البنك للخطأ الجسيم وعدم التثبت من الضمانات المقدمة على ضعفها كما أدين طبعا عبد الحميد عنارة ٠

وبرأت المحاكمة ساحة مراد دياب طلبة ٠

●●●

هيهات فان مثل هذه الأمور لا تجدى فيها براءة المحكمة ٠ فقد زاد اللغط حول مراد ٠ حكى كل من قدم له رشوة كيف قدمها وكم دفع له ٠ وما احتفظ به الراشون من أسرار أصبح على كل لسان ، وخيم السواد والمهانة على بيت دياب ٠

وارتفعت الرقابة عن أيمن ٠ وعاد الى طريقه القديم ٠٠٠ اذا كان أبى لصا فما أهون أن أكون أنا مدمنا ٠

أما الذى أصيب اصابة قاتلة فهو المسكين دياب عضو النيابة ٠

- ٢٤ -

جلس دياب أمام نديم فى مكتبه

ـ أرجو أن تأمر كاتك ألا يدخل اليك أحدا ·

ـ وهو كذلك ·

أصدر أوامره وقال دياب :

ـ ان الذى بينى وبين دينا اعجاب شديد ، وربما كان اجلالى لك يمنعنى من أقول الكلمة الحقيقية ·

ـ أنا لست محتاجا أن أسمعها ·

ـ ألا زلت ترانى كفئا لها ؟

ـ وما الذى جد ؟

ـ الذى تعرفه ·

ـ الذى أعرفه ليس جديدا على ·

ـ أكنت ···

وقاطعـــه نديم :

ـ أنا أعرف أباك منذ نحن تلاميذ صغار ، وصداقتى به ، بل وحبى له لم يكونا فى يوم من الأيام حائلا بينى وبين معرفة أخلاقه معرفة تامة ·

ـ وقبلتنى ؟

ـ لســـببين ·

ـ أولهما ؟

ـ اننى أعلم أن والدتك هى التى قامت بشأنك منذ الطفولة ·

ـ هذا حق ··· ولكن أتعرف والدتى ؟

ـ أخلاقها وما صنعته مع أبيك حين تزوج عليها من أجل مصالحه وثقافتها وعقلها ·· كل هذا معروف وأنا محام وأخبار الناس تأتى الى من كل سبيل ·

ـ وما السبب الثانى ؟

ـ أنا أستطيع من لقاء أو لقائين أن أعرف دخيلة الناس • وقد ارتحت اليك ووثقت أنك على النقيض من أبيك تماما ، وقد صدق حدسى بما سمعته عنك فى الفترة القصيرة التى قضيتها فى النيابة •

ـ أشكرك ••• وأحمد الله على أن يكون هذا رأيك ، ولكن بقى الأهم من ذلك رأى دينا •

ـ أنت خطيبها أسألها أنت •

ـ قد تجد حرجا أن تقول لى رأيها صريحا •

ـ دع هذا لى •

ـ هذا ما أرجـــوه •

ـ وهو كذلك •

ـ وهناك خبر آخر أرجو أن تعرفه •

ـ خـــيرا •

ـ لقد استقلت من النيابة •

ـ ليس هذا غريبا عليك • وماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ هذا ما سأقوله لسعادتك حين تخبرنى برأى دينا •

ـ ليـــكن •

ـ متى آتى ؟

ـ لن أطيل فترة انتظارك ••• ليكن هذا اليوم فى الساعة السابعة

ـ أســـتأذن •

ـ مع الســـلامة •

وقصد نديم أن يقف اجلالا لخطيب ابنته ويصافحه بحرارة وهو يودعـــه •

●●●

قال نديم لابنته دينا ما دار بينه وبين خطيبها بما فى ذلك استقالته من النيابة وكانت أمها بمشهد •

ـ فما رأيك ؟

ـ ما رأيك أنت ؟

ـ رأيي أحتفظ به لنفسي حتى لا يكون له أي تأثير عليك ٠

وقالت الهام والدة دينا :

ـ أنا لا أريد أن أدلي برأي ٠ ولكن اسمحا لي أن أعجب بموقف دياب واقدامه هو على هذا السؤال ٠ وأنا أعرف مقدار حبه لدينا وحرصه على الزواج منها ٠

وقال نديم :

ـ اتركي دينا تقل رأيها ٠

وقالت دينـا :

ـ الحقيقة يا أبي أنا لا أرى له ذنبا فيما يفعله أبوه ٠ واذا كان ذا ضمير وأبي يفرض نفسه علينا بعد ما شاع عن أبيه فلا يجوز أن أكون أنا حقيرة وأتخلى عنه في شدته ٠ أنا الآن متمسكة به أكثر ما كنت ٠

●●●

ونقل نديم رأي دينا الى دياب وقال له :

ـ والآن حان لك أن تخبرني ماذا تنوي من جهة عملك ؟

ـ ان كل ما فكرت فيه مرده اليك واليك وحدك ٠

ـ أوضـــح ٠

ـ أريد أن أعمل في مكتبك ٠

ـ لقد كنت أخشى أن تكون متجها الى وجهة أخرى ٠

ـ اذن تقبلني ؟

ـ اذا كنت قبلتك زوجا لابنتي الوحيدة فأنا أرحب بك زميلا في مكتبي طبعا ٠

وعمل دياب بمكتب نديم ، وتم الزواج في فرح قصد مراد أن يكون باذخ الفخامة ليعلن به نسبه الى نديم المحامي العملاق وابن فكري باشا راشـــد ٠

●●●

يقى فى هذه الرواية سطر واحد ٠

لقد رشـــح مراد نفســـه فى الانتخابات التالية ، وفاز بنجاح ســـاحق !!

ولا تعليق

تمت

مجلس الشورى فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٩٤ الساعة الثانية والنصف مساء ٢٩ ربيع ثان عام ١٤١٥ هـ ٠

مقـــــالات

ســـنة ٨٣

الحزب ••• وكيف يكــون ؟

حين قامت الثورة ألغت الأحزاب بعد شهور قليلة من قيامها •

وحاولت الثورة بشتى وسائــل وبمختلف طرق أن تنشىء تجمعات تجعل منها أحزابا •

أنشأت هيئة التحرير وجعلت منها فى كل مدينة فرعــا ثم جعلت منها فى كل قرية فريعا وظن أعضاء هيئة التحرير انهم قادة وراح كل منهم برسم نفسه لانتخابات لم يكن يدخلها الا الوصوليون وأصحاب المصالح الشخصية وفشا أمرهم بين أنحاء بلادنا حتى ضاق بهم الناس وضاقوا هم بالناس لأنهم كانوا أبعد ما يكونون عن الشعب انما كانوا أقرب شىء الى جيش احتلال مصرى يحتل المصريين وقد كانوا مصريين بالجنسية لا بالجنس وبالاسم لا بالانتماء •

وكان كره الشعب لهيئة التحــرير من الظهور والوضــوح حتى لم تستطع السلطة أن تتعامى عنه فألغت هيئة التحرير وأنشأت شيئا اسمه الاتحاد الاشتراكى وكان التيار الشيوعى قد بدأ يتدسس فى عنف فى السياسة المصرية ولكنه فى نفس الوقت كان يخشى أن يكشف القناع عن اسمه الحقيقى وكان من أمثلة هذا التخفى ذلك الاعلان الذى صدر بالصحف فى ستينات هذا القرن أن الحزب الشيوعى المصرى قد قرر أن يحل نفسه، ولم يكن أحد قد قرأ اسم الحزب الشيوعى فى الصحف قبل اليوم الذى أعلن فيه حل نفسه •

فالحزب اذا لم يعلن فهو ليس حزبا يستطيع أن يكون جماعة ارهابية أو تجمعا سريا أو أى شىء الا أن يكون حزبا وهكذا ولد الحزب الشيوعى المصرى ومات فى خبر واحد موءود هو منذ ميلاده •

وقد كان من الطبيعى أن يعلن الحزب الشيوعى حله لنفسه فقد كان أعضاء الاتحاد الاشتراكى مثل على صبرى ورفعت وغيرهما ممن لا داعى لتذكير الناس بهم يقومون عن الحزب بكل ما يشتهى الحزب أن يصنعه وطفا على سطح الحياة المصرى الشيوعيون والمتشيعون والنهازون الذين لا يشبهون الا أبرة البوصلة تتجه حيث تتحقق منفعتهم بغير مبدأ وبغير

شرف وبغير ضمير وحين يتخفى هذا تتعلق المنفعة الخاصة ويطفح على سطح البحيرات الآسنة العفن والقذر والوباء ٠

وتكدس هذا جميعه فى لافتات الاتحاد الاشتراكى ونشأ أبناؤنا أمل مصر اليوم وضميرها المنشود ومستقبلها المرتقب وهم لا يعرفون ماذا تعنى كلمة الحزب فقد رأوا أعضاء الاتحاد الاشتراكى فى القرى والأحياء يقيمون من أنفسهم آلهة صغيرة والشعب الذى يريد أن يعيش ويريد أن يطمئن وهو حريص كل الحرص أن يبتعد عن المشاكل وأن يتلافى الخلافات فيسمع ويطيع لا يدرى لماذا ولا يهمه أن يدرى كل همه أن يتركوه لينصرف الى لقمة ينتزعها من فم الأيام انتزاعا ٠

فحين أعلن السادات قيام المنابر ثم الأحزاب ظلت هذه الأسماء عند كثير من شبابنا أسماء لا يدرون ماذا تعنى ٠

ولهذا أرى الحزب الوطنى وهو حزب الأغلبية بحق ليس يدرى شبابه ماذا عليه أن يصنع فهو يسمع من يقول ان عليه أن يشارك فى رفع المعاناة عن الشعب والحقيقة ان هذه ليست وظيفة الحزب فالحزب ينتخب نوابه ، ونوابه يشرعون للوزراء والوزارة هى التى ينبغى أن تعمل على رفع المعاناة عن الجماهير واذا كان على الجماهير واجب فهى أن تعين الوزارة على عملها ولا تزيد العبء عليها وهذا واجب كل فرد فى مصر مهما يكن الحزب الذى ينتمى اليه فالحزب اذن بمفهومه الواسع ــ انما هو الناخبون ٠ والديمقراطية تقول ان وظيفة الناخب تنتهى عند صندوق الانتخاب ــ فماذا اذن هو واجب الحزب ؟

الحقيقة ان هناك واجبا يقع أول ما يقع على قيادات الحزب بأن تجتمع بأعضائه وتشرح لهم فكرة الديمقراطية وفكرة الأحزب ثم عليها بعد ذلك أن تشرح فى أمانة وصدق آراء الأحزاب الأخرى وأفكارها ومن هذه الأحزاب ما له أفكار ومنها ما لا يمثل الا تجمعات لا تلتئم الا على المهاجمة كاذبة كانت هذه المهاجمة أو صادقة ٠

على قيادات الحزب الوطنى أن تشرح لأعضائه من الشباب الأفكار والتجمعات عليها أن تشرح لهم ولو فى تبسيط فكرة النظرية الشيوعية وتشرح لهم مدى ما وصل اليه تطبيقها فى مختلف بلاد العالم ولا بأس أن يستعين الحزب بعلماء جامعيين محايدين حتى يعرف الشباب الحقيقة كاملة ولا يسمع الألفاظ ولا يعرف مدلولها ، وعلى الحزب أن يستعين بائمة الهداة ليشرح الفارق بين الدين ، ذلك الصلة السامقة بين الانسان وربه ، وبين الدين عند قوم يريدون أن يجعلوا منه وسيلة للوصول الى الحكم وقد رأينا أمثلة رائعة من الدكتور أحمد هيكل والدكتور الأحمدى

وغيرهما فى المناقشات التى عرضها علينا التليفزيون وعلى القيادات أن تشرح فكرة الديمقراطية فى مصر وهى ديمقراطية من نوع خاص لا تطبق مصر غيرها ، الآن بعد هذه الفترة الطويلة من غياب الديمقراطية لأن الديمقراطية تواصل وأجيال تخلف أجيالا وليست الديمقراطية عملية كيماوية تتم فى لحظة اذا توافرت عناصر المادة المراد الحصول عليها ، وانما الديمقراطية شجرة ذات فروع ومن الفروع تنبت فروع والشجرة الديمقراطية تستغرق السنوات الطوال ٠

على قيادات الحزب أن تستعين بالعلماء ليعلموا هذا لشباب الحزب حتى اذا عرف الشباب هذا وأكثر من هذا أصبح الحزب حقيقة وأصبح يجتمع على فكرة يمثلها أفراد يشق أبناء الحزب أنهم يسيرون على هدى الفكرة التى اعتنقوها ويستطيعون أن يناقشوا كل الأفكار الأخرى ويتصدوا لها بالفكر لا بالتهريج ٠

بهذا وهكذا على مدى العصور تكونت الأحزاب وبغير هذا أخشى أن تظل الأحزاب أسماء بلا أعمال ولافتات بلا بيوت وانى واثق ان هذا الذى أقول يعرفه كل من يعمل بالسياسة فى مصر أو فى خارج مصر ولا يحتاج الا الى شىء بسيط غاية فى البساطة هو أن ننفذه ٠٠ !

مايو ١٠/١/١٩٨٣ ٠٠

الصـدق الفنى
فى ديوان جديد
للشاعر عـلى الفقى

الشاعر على الفقى من ذلك الرعيل النابه من الشعراء الذين حملوا الراية بعد الخالد شوقى ذلك الجيل الذى ازدهرت به سنون الأربعينات والخمسـينات والذى لاننسى منه نـاجى وعلى محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وصالح جودت وغنيم وأبو فاشا ومخيمر وعبد العليم عيسى ومحمد مصطفى حمام ومحمد الأسمر وعبد الفتاح مصطفى ومصطفى عبد الرحمن والمهدى مصطفى ومحمد عبد الغنى حسن وأحمد الغزالى · وقد كان من الطبيعى أن يتصدر هؤلاء الكبار وزملاؤهم ممن لا تعيهم الذاكرة الصدارة فى الشعر العربى لولا أن طغى على الأدب العربى والصحف المصرية لون مائع من الشعر واللغة وحاول أعداء العربية وما لى لأقول أعداء الدين أن يطمسوا معالمها بلون من الشعر الذى لا يدرى لنفسه أصـلا ينتمى اليه فلا هو الى عربية انتسب ولا هو بأعجميـة اتصـل · وران هـذا الوجه المصبوغ على الأسلوب الأدبى جميعه وأصبح كثير ممن يدعون الأدب يكتبون بلغة العيى أو العيان وهو كما يقول القاموس من لا يستقيم لفظه وهكذا تميع الأدب العربى فى موطنه وتاه فى البلد الأم وأصبح غريبا بغير دار تحميه ولا قلم يقف بجانبه ولولا الشامخون من أجيال الطليعة مثل طه حسين والعقاد وهيكل والزيات وأحمد أمين وتوفيق الحكيم وتيمور والمازنى ومن جاء بعدهم مثل نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله والسحار لأصبح مصير النثر كمصير الشعر ولا نفصل الكاتب العربى عن القارىء العربى ولكن الله برفيع حكمته أراد لهذه اللغة التى هى لغة قرآنه أن تبقى وأن رغمت من الأنوف أنوف ·

واليوم أكتب عن شاعر ألزمته الظروف أن يظل صامتا فترة طويلة يغرينى بالكتابة عنه أنه شـاعر كبير حجبته سنون العدوان على العربية وأجبرته أن يقل من النشر ويغرينى أيضا هذا السيل من المكالمات وبرقيات التهنئة والخطابات التى انهالت على بعد أن كتبت مقالى عن الظلم الذى وقع على أسرة أبو الفتح حتى أرسل الى محام رفيع الأسلوب شريف اللفظ يقول

انه لا يعرف أسرة أبو الفتوح ولكنه يعرف الظلم الذى تعرضوا له ، وكان يريد أن يكتب مستصرخا الحكومة أن ترفع عنهم ما وقع من عنت وجور ولكننى كفيته مؤونة الكتابة ٠

وليس هناك كاتب لا يسره أن يجد لما يكتبه صدى أو بعض صدى مهما علت السن بهذا الكاتب ولكننى فى هذه المرة تملكتنى النشوة وغمرتنى البهجة ان مصر تعرف الحق وان أبناءها يرفضون الظلم ويمحقونه وان مصر تعرف لصاحب الفضل فضله وتعرف لغير الشريف ذلته وهوانه وان أبناءها اذا صمتوا فـانما يصمتون فى انتظار العدل لا جهلا منهم بهذا العدل ٠ وقد كنت حين كتبت هذه المقالة التى جعلت عنوانها ان الحق قديم أظن أننى أخاطب الحكومة وحدها فليس غريبـا اذن أن تتملكنى النشوة وتغمرنى البهجة حين وجدت نفسى أخاطب الانسان فى مصر أو ان شئت فقل فى كل مكان ٠

ولهذا فأنا أكتب عن هذا الديوان « فى غيابة الجب » راجيا ألا يكون حديثى الى الأدباء وحدهم أو الشعراء وحدهم وانما الى بنى العربية كلهم ليعرفوا ان بين ظهرانيهم شعراء وكتابا شرفاء لم يلوثوا قلمهم يوما بكلمة نفاق وانهم اذا كانوا قد ارتضوا لأنفسهم أن يختفوا عن الساحة فلانهم وجدوا فى الاختفاء كراماتهم وصونا لشرف كلمتهم واعلاء لضمير الفنان بين جـوانحهم ٠

والشاعر على الفقى شاعر على دراية واسعة بلغته تجد الألفاظ فى أبياته مستقرة مستريحة ساكنة ثائرة وتحس ان الشاعر لم يرغم كلمة أن تنسلك مع اخواتها وانما الألفاظ عنده نمير متدفق سلسل المجرى عذب النغم نفاذ الى صميم الوجدان بسحر الشاعرية وبالقدرة الفائقة التى أتاحها الله للشاعر العظيم ٠

أسمعه يقول :

كفكفى يـا نفسى دمـع الندم — ليس يأسو الجرح طول الألم
واهدئى لا تعجبى من عاطـــل — عز قـدرا ، وهو دون الحـلم
اصمتى لا تنطقى عن جاهـــل — صار بين النـاس رب القلم
ولئيـــم مسـرف فى غيــه — ملك الأمـر ، ولمـا يرخـــم
وانظرى حولك كم من ملهم — واصرخى ياليتـه لـم يلهـم

وأسمعه يقول فى كبرياء الشاعر واعتزازه :

ومن الظلم ان ننام على الظلم — ونغضى عن كبريـات الكبائـر
ومن العجـز ان نسـلم طوعـا — والمنـايا من حـولنا والمخـاطر

ويضيق الشاعر بالحقد والحاقدين فيصيح بهم :

يا عدو الحياة كانت كما شئنا صفاء ، ورتقا ، وابتساما
تتلاقى فيها القلوب على الود وتسمو حبا ، وتصفو وئاما
جمعتها أواصر الدم والقربى فكانت محبة وسلاما
عامرات بالخير قربا وبعدا لم يزرها الخصام الا لماما
دب ما بينها الشقاق فأضحت تقطع العمر فرقة وخصاما
قد بذرت البغضاء في الشعب حتى لم يعد فيه من يصون الذماما
واذا الأبن نافر من أبيه والشقيقان قطعا الأرحاما

ولا يكتفي بهذا الحديث للحاقدين وانما هو يلحقها بقصيدة أخرى ، وما هذا بعجيب فنفس الشاعر صفاء وحب وما بغريب ان يرفض الصفاء الحقد وما بعجيب أن يهاجم الحب الحاقدين .. أسمعه يقول :

العداء المحموم والغل والحقد تفشى ما بين جار وجار
مضى يخرق الحواجز كالسيل يثير الشقاق في كل دار
بين زوج وبعلها بعد عمر قضياه في نعمة وقرار
بين أم وبنتها ، بين جد وحفيد نضا ثياب الوقار
بين مولى وخادم . بين بان ومقيم ، وبين كاس وعار

يثور الشاعر الكبير وهو يرى الأزهر الأشم يفقد تفرده بين جامعات العالم فيصيح بقصيدته الأزهر العتيد :

أين منك الرجال رجال الدين أين الحماة أين الثقاة ؟!
ناشرو العلم والمعارف والنور على هديهم تسير الحياة
حاملو مشعل الهدى يغمر الناس فتنجاب عنهمو الظلمات
رافعو راية الشريعة فوق الشمس تعنو الهامها الهامات
ناصرو الحق في السلام وفي الحرب اذا ما عدا عليه العداة
لايبالون بطش باغ ولا عاد ولم تثن عزمهم مثلات
أوهنوا الأزهر العتيد فاقعى وتولت أيامه النضرات
وذوى زهرة ، وصوح مرعا وجالت بروضه الأفات
وهوى صرحه وفرق أهليه من الدهر غربة وشتات
وانطوى عهده وشاهت مجاليه وحلت بصحنه الكارثات

ويروع الشاعر لما أصاب لغة القرآن الكريم من وهن ولما يحاول أعداؤها أن ينزلوه بها فينظم قصيدته الرائعة لغة الوحي يقول فيها :

لغة الضاد أذنت بمغيب بعد ما غاب من بنيك النحاة
نال منها المشيب في ضحوة العمر والوى بجامعيها الشتات

ومشى الداء عاتيا فى حنايـا ... ها ، عضـالا تحار فيه الأساة
وبدت الكنة على السمع عجما ... ورانت آياتهـا البينـات
قوضـوا صرحها العتيد فأقوى ... وتهاوى الأسـاس واللبنـات
خيمت فوقهـا الكآبه والحـز ... ن ، وراحت أيـامها المشرقـات
أعرضت سـاحة المعـاهد عنها ... وأشـاحت بوجهها الجامعـات
وغدت كالغريب في العلم الرحـب ... وسـارت على لغاهـا اللغـات
وأين منك الحياة يالغة الوحى ... ومن قاتليـك أين النجـاة

وأحسب أن الشاعر يحس اليوم ان اللغة لم تقتل وهيهات لأحـد أن يقتلها وهى لغة القرآن الكريم الذى وعد الله سـبحانه وتعالى بحفظه بقوله :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

وقد صدق سبحانه وتعالى وعده وهل ادل على ذلك من أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ما زالت هى لغة العرب ووحدتهم ألفا وأربعمائة عام وتزيد وستظل ٠٠ ! اطمئن أيها الشـاعر الكبير فما كان لهذه اللغة الا أن تعيش وتظل مصاحبة للحياة ما بقيت الحياة ٠٠ !!

ما على ظنى بأس

من الطبيعي أن ترد الى خطابات كثيرة ومن الطبيعي أن تكون هذه الخطابات مختلفة الاتجاهات · وليس من المعقول أن أجيب على كل خطاب يصل الى · وانما هناك خطابات بذاتها أجدها تفتح فى موضوعات أجد أن الكلام فيه عام ليس مقصورا على شخصي ولا هو مقصورا على كاتبه ·

من هذه الخطابات ذلك الذى جاءنى فى بريد هذا الأسبوع من الطالب جمال عيسى نافع بكلية الأعلام · والخطاب سؤال برىء شريف عما يدعونى أن أتجه بكتاباتي في بعض الأحيان الى الطابع السياسى أو المضمون السياسى ويرى هو أنه أحرى بى أن أميل عن هذا الى الأدب · وخاصة فى صفحة الأدب ·

والواقع يا صاحبى ان ليس هناك أدب بغير سياسة فأنا لست أستاذا فى الجامعة أتناول الموضوعات الأكاديمية كالجمال الفنى عند البحترى وجزالة اللفظ عند المتنبى وسلاسة الأسلوب عند البهاء زهير · ولا أنا أيضا ناقد أتناول بداية الرواية فى الغرب وتطور الأساليب الروائية والنظريات الأدبية من كلاسيكية الى رومانسية الى واقعية الى دادية الى رمزية الى ما يسمونه اليجورى الى العبثية ·

أنا يا صديقى لست بهذا · انما أنا كاتب روائى وكاتب قصاص وكاتب تمثيلية اذاعية سابقا ومسرح سابقا أيضا وكاتب مقالة أدبية بما أنا روائى وقصاص · والمقالة يا سيدى نوع من أنواع الأدب لها حريتها التامة أن تتناول ما تشاء من شئون الحياة · وانما يطلب من الأديب كاتب المقال أن يظل أديبا فيختار تعبيره ويقدم مقالته بشكل فنى لا يهبط به عن المستوى الأدبى الذى ينبغى أن يتسم به ·

وليس هناك يا أخى أدب بلا سياسة فالأدب بلا سياسة لغو انما الأديب شاهد على عصره وهو لسان هذا العصر وكلمته ورأيه وصيحته وأحيانا هو صرخته ·

ولا أعرف أننى كتبت رواية بعيدة عن السياسة فان لم تكن السياسة هى أساسها فهى خلفيتها ولو أنك تتبعت معى الروائيين الذين نحترمهم

فى العالم الغربى أو العالم العربى لوجدت أن السياسة ان لم تكن صلب رواياتهم وأساسها فهى تطل عليك من خلف الرواية فى الحاح واصرار ·

والأديب يظل أديبا فى كل فن يتناوله فهو أديب حين يكون روائيا وهو أديب حين يكون قصاصا وهو أديب حين يكون كاتب مقال ·

فالأدب هو مرآة العصر واذا لم يستطع الأديب أن يكون ابن عصره فأولى به أن يختفى من الحياة ·

فأنت اذا قرأت بلزاك فى فرنسا عرفت كيف كانت فرنسا فى عصر بلزاك واذا قرأت تولستوى ودستيوفسكى فى روسيا عرفت ما هى روسيا فى عصرهما واذا قرأت ديكنز فى انجلترا عرفت كيف كانت الحياة فى انجلترا فى عصر ديكنز ولعل كتابه مذكرات بيكويك يغنيك كل الغناء ويغنينى معك عن مزيد من التفصيل ·

والأمثلة التى اخترتها أنت لى من مقالاتى أسئلة كان أولى بك أن تراها أدبا فالذى لا شك فيه أن الشكل الذى تقدمت به اليك هو شكل فنى · وهذا عملى أنا · أما تفسيره واستخراج ما وراءه من أعماق فهو عملك أنت · فالواقع اذن أنك أنت الذى كنت سياسيا حين قرأت مقالى أو قصتى بينما لم أكن أنا الا أديبا قدم خاطرة فنية فى شكل جديد يجمع بين القصة والمقالة وليس على أنا حرج ولا قيد أن أختار لما أكتب الشكل الذى يحلو لى ·

واذا كنت يا صاحبى قد فسرت قصتى أو مقالى تفسيرا سياسيا فهذا شأنك أنت وليس شأنى أنا وربما بل لعل الأرجح أن الغالبية العظمى من القراء قد ساروا على نهجك ونسجوا على منوالك ولكن هذا يظل شأنهم هم وليس شأنى ·

على أن هذا الحديث ليس مانعى أن أكتب مقالات سياسية صريحة لا مجال فيها لتأويل ولا اختلاف فى شأنها عند التفسير لأن الأديب المنشىء له أن يختار لتفكيره القالب الذى يحلو له وليس عليه فى ذلك سلطان الا نفسه وما تمليه عليه ·

ولست أدرى يا أخى لماذا تريد أن تفصل الأديب عن السياسة . أليست السياسة هى العناية بأمر الشعب والعمل على اسعاده بكل الوسائل الممكنة · أوليس الأديب هو ذلك الانسان الذى أصبح الشعب هو عجينته وهو دماؤه وهو شرايينه · أوليس من الحتم أن يكون الأديب منقوعا فى

تقاليد بلده وقيمها تشرب كل قطرة من قطرات أخلاقها وتشكل بها حتى أصبح هو بلده وأصبحت بلده هو · فان كان الأمر كذلك وأنه لكذلك فمن يكتب فى السياسة اذا لم يكتب الأديب ·

وبعد يا أخى اذا لم يكن الأديب هو ذلك الذى اعتقد أنا أنه كذلك أليس من حقه على الأقل أن يكون مصريا مثل كل المصريين · أفتسمح لكل مصرى أن يتكلم فى السياسة ولا تسمح لأديب أقل ما يوصف به أن يعرف كيف يكتب ان يكتب فى السياسة ·

وأنت يا أخى نسيت ـ لا شك ـ شعر شوقى فى السياسة فهل أذكرك ببعضه · وما البأس ما دمت تحب الأدب · اقرأ شوقى وهو يصف المؤتمر الذى تم فيه الصلح بين الأحزاب :

صرح على الوادى المبارك ضاحى ... متظاهر الأعلام والأوضاح
ضافى الجلالة كالعميق مفضل ... ساحات فضل فى رحاب سماح
وكأن رفرفة رواق من ضحى ... وكأن حائطه عمود صباح

الى أن يقول :

هبت سماحا بالحياة شبابها ... والشيب بالأرماق غير شحاح
ومشت الى الخيل الدوارع وانبرت ... للظافر الشاكى بغير سلاح
وقفات حق لم تقفها أمه ... الا انثنت آمالها بنجاح
واذا الشعوب بنوا حقيقة ملكهم ... جعلوا المآتم حائط الأفراح

ويصف رجال المؤتمر فيقول :

شمس النهار تعلمى الميزان من ... « سعد » الديار وشيخها النضاح
ميلى انظريه فى الندى كأنه ... عثمان عن أم الكتاب يلاحى
عدلى الجليل بن الجليل من الملا ... والماجد ابن الماجد المسماح
حلو السجية فى قناة مرة ... ثمل الشمائل فى وقار صاح

ويقول عن محمود باشا سليمان والد محمد محمود باشا الذى استضاف المؤتمر فى بيته :

يادار محمود سلمت وبوركت ... أركانك الهرمية الصفاح
وازددت من حسن الثناء وطيبه ... حجرا هو الدرى فى الأمداح
الأمة انتقلت اليك كأنما ... أنزلتها من بيتها بجناح
بركات الشيخ بالصعيد محمل ... عبء السنين مؤمل نفاح
بالأمس جاد على القضية بابنه ... واليوم آواها بأكرم ساح

وبعد فقد اخترت هذه القصيدة وحدها لاقنعك بها ولو شئت لذكرت لك مئات الأبيات لشوقي في السياسة ٠

وبعد يا أخي فاني أشكر لك خطابك وعهد بيني وبينك وبين القراء ألا يقرأوا لى الا أدبا وكن على ثقة يا سيدى ان السياسة هى أهم ما يتناوله الأدب سواء كان هذا التناول بالمقالة الصريحة أو المقالة الرمزية أم بالرواية أم بالقصة أم بالمسرحية وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعينني أن أحفظ عهدى هذا اليك والى القراء وهو عهد قطعه على نفسه الأئمة الرواد هيكل وطه حسين والعقاد والمازنى والزيات وأحمد أمين وتوفيق الحكيم وكلهم أديب فنان ٠ ثم جاء نجيب واحسان والسباعى والشرقاوى فكانت أغلب رواياتهم سياسية ما عدا شيخنا نجيب محفوظ فان كل رواياته سياسية بالرمز والتنكير والتصريح أيضا ، ولو كنت تقرأ لنجيب مقاله الأسبوعى فى الأهرام لرأيت أن الأديب الفنان اذا لم يكن على أعمق وعى بحياة بلده السياسية فأولى به أن يترك مهنة الأدب الروائى والقصصى ويبحث له عن صنعة أخرى ولو انك قرأت أعمال أخينا عبد الرحمن الشرقاوى الروائية والقصصية والمسرحية لوجدت السياسة تدمغ كل سطر فيها ٠

وبعد يا أخى فقد كان سؤالك غاية فى البراءة والشرف ولهذا وجدت من حقك على أن أجيبك بكل اخلاص وبشىء من الاطالة أيضا ٠ ومع ذلك فانى على استعداد أن اناقشك الرأى وانس تماما ان لى صفحة أكتب فيها فى حين لاصفحة لك فاعتبر صفحتى هذه صفحة لك حتى تقتنع أنت أو أقتنع أنا وما عليك اذا اقتنعت بأس ولا على أنا أيضا بأس اذا أقنعتنى وسلام عليك ٠

الأهـــرام ١٦/١/١٩٨٣ ٠٠

لأمر فيك تجديد

يقول المتنبي :

عيـــد بأية حال عـدت يا عيــــد بما مضى أم لأمــر فيـــك تجـديد

وبيت المتنبي هذا نفحة ملهمة فهو يعلم أن الانسان دائما يهفو الى التجديد وأنه دائما غير راض ففي التجديد أمل والعيش بالأمل ولو لفترة قليلة خير من الركون الى اليأس • ولم يحدث في التاريخ أن رضي قوم عما هم فيه فان كانت تلك هي طبيعة البشر وهم في رغد وهناء فكيف بهم اذا كانوا يلاقون من حياتهم غنتا وقد مرت مصر بفترات رهيبة وتولى المناصب فيها من يعرف كيف يكون ذليلا ومن كان هينا على نفسه فبذل من ماء وجهــه حتى نضب ماء وجهه واستطاع بالصغار أن يصبح كبيرا وبالنفاق أن يصبح ذا سلطان وفشا هذا النوع على وجه مصر حتى أصبحت لا تجد من هو جدير بمنصبه الا القليلين النادرين • وحين يصنحب هذا أموال شحيحة بقيت بعد أن صرفت الأموال الطائلة في مصارف بعيدة كل البعد عن مرافق مصر • وتركت مصر نهبا للزمن يأكل أنابيب المياه فيها جارية أو منصرفة والتليفونات تعمل بالحبـال لا بالأسـلاك بينما تليفونات العـــالم أجمع تعمل بالالكترونات لا بالســلوك • ووســائل المواصـلات تسلمها من لا يعرف من أمورها شيئا حتى لم تصبح هناك مواصلات وطرق القاهرة ضاقت بروادها وسياراتها لأن المال الذي كان ينبغي أن ينفق في تلافي الكارثة قبل وقوعهـــا اسـتلب لخراب مصر لا لتعميرهـا • ونرى الى اليابان التي اشتركت في حرب عالمية ضروس خرجنا منها نحن ونحن دائنون لبريطانيا العظمى ، وخرجت منها اليابان هشيما محطما فاذا نحن اليوم نجد الطرقات فيها طبقا فوق طبق فوق طبق • أو ننظر الى ألمانيا التي خرجت من الحرب دولتين لا دولة واحدة فنجد ألمانيا الغربية مثلا أعلى في المواصلات والتليفونات ومرافق الحياة جميعا • وتملأنا الحسرة نفوسنا والحكومة هنا تلاحق المصـــائب التي تراكمت عليها من فعل السنين ولكنها لا تحسم الأمور وتحاول أن ترضي

الشعب ولا تشركه معها فى مواجهة واقعه • ويفرح الشعب بالدعم وكأن الدعم مال مرسل من السماء وليس ماله هو ولو أن هذا الدعم نظم فلا يناله الا من يستحقه لأصبح الأمر فى شأنه مقبولا ولكننى لا أتصور أن يشترى بعضهم سيارة بخمسة وعشرين ألف جنيه وفيديو بألفين وخمسمائة جنيه وثلاجة بألفى جنيه أو ثلاثة آلاف ومع ذلك يستفيد من الدعم فى البنزين والسجائر ورغيف العيش والدواء • والنتيجة أننا لا نجد الدواء • وهو الدواء •

وادراك الأزمة ليس بالكتابة عنها فى الصحف ولا بالرسوم الكاريكاتيرية وليس ادراك الأزمة بأن نجعل موضوعها أحاديث الصباح وسمر المساء انما ادراك الأزمة يكون بمواجهتها ولست اقتصاديا حتى أقحم نفسى فى وسائل هذه المواجهة وانما الذى أعرفه تمام المعرفة وأثق فيه • انه ليس من العدل أن ينتهب أموال الدولة شخص قادر على أن يركب سيارة فاخرة ويستمتع بفيديو ويدخن • وعلى الدولة وحدها أن تعرف كيف تضع الفروق بين الذين يصارعون الحياة ليحصلوا على لقمة العيش فتدعم لهؤلاء عيشهم وتيسر لهم بعض اليسر فى عنت حياتهم وبين أولئك الذين يستمتعون من الحياة بكل ما تمنحه الحياة من متع ثم هم بعد ذلك يغولون الدولة ويقبلون لأنفسهم أن يشتروا الرغيف والسجائر والكستور والغاز والكهرباء مدعومة من الدولة • هذه الدولة التى ينبغى أن يدعموها هم بالضرائب المفروضة على دخولهم حتى تستطيع أن تواجه الالتزامات المفروضة عليها نحو غير القادرين •

ان يكن الدواء مرا فالمرض أشد مرارة وان تكن القوانين تبدو قاسية فى مظهرها فهى عادلة فى غاياتها وأهدافها والشعب لابد أن يدرك أن هذا الدعم انما يقتطع من قوته هو وانه انما يصرف فى مصارف غير عادلة •• ما دام يذهب الى القادرين فى وقت نحن فى أشد الحاجة اليه لنواجه المرافق المتهرأة والديون التى ما تزال تزداد فى كل عام •

ولابد أن يعرف كل فرد من هذا الشعب فقيرا كان أو غنيا أن كلمة مصر تعنيه هو وتعنى زوجه وابنه وليس يكفى أن نبكى من أجل مصر ودواء مصر فى جيوبنا لا نخرجه لتتداوى به ونتداوى به نحن أيضا • والغنى لابد أن يعرف أن مصر اذا لم تحصل على الازدهار المالى فغناه الى فقر بل ان غناه الذى يظن انه يتمتع به انما هو وهم قد يطلع عليه صباح فيجده فقرا وجوعا ومسغبة وشقاء •

واذا كان الغنى لا يعف عن الدعم فهو خائن لنفسه قبل أن يكون خائنا لوطنه وهو معتد على أبنائه قبل أن يكون معتديا على بلاده •

مايو ١٩٨٣/١/٣١ ••

أدب السياسة ٠٠ وسياسة الأدب

الأستاذ جمال عيسى نافع الطالب بكلية الاعلام أرسل الى خطابا آخر يقارع فيه حجتى بحجته والخطاب جدير بكل اهتمام فالموضوع الذى يثيره الأستاذ نافع موضوع عام لا يجوز أن يترك فيه الرأى مائعا غير واضح المعالم فهو يقول مثلا أن الأستاذ نجيب محفوظ يكتب رأيه السياسى فى الصفحة المخصصة للسياسة فى جريدة الأهرام فى حين أكتب أنا رأيى السياسى فى الصفحة المخصصة للأدب وردى على ذلك يسير قريب فأولا الأستاذ نجيب ليس له صفحة أدبية فى الأهرام ولو خصصت له صفحة لكتب فيها رأيه السياسى لأنه يرى كما أرى أنا أن الكتابة فى السياسة أدب ما دام التناول أدبيا أما رأيك أن كتابتى حزبية فالشيوعية كما تعلم نظرية تبحث فى الدين والسياسة والمجتمع والأدب ومناقشة هذه الآراء جميعا مناقشة سياسية لا شك فيها أتناولها أنا ـ فيما أظن ـ بأسلوب أدبى ٠ ورفض الشيوعية فى رأيى موضوع قومى وليس حزبيا لأنك تعرف لا شك أن الشيوعية ترفض القومية وترفض الانتماء الى الوطن ٠ أما اذا تناولت فى صفحتى من يعتدى على انسانية الانسان وكرامة البشر فأنا أديب كاتب أنادى بما ينادى به أى أديب فى العالم أجمع ٠٠ وحين أهاجم فى مقالتى من حرضوا على سحق الانسان وامتهان كرامة الآدمى وانتهاك أبسط ما ينبغى أن ينال البشر من حقوق فأنا انسان أولا وأنا أكتب فى الأدب وسواء عندى اعتبرته أدبا سياسيا أو سياسة أدبية ٠

أما الأمر الثانى الذى تثيره يا أخى هو سؤالك الذى تبنيه على سؤالى فأنا أسأل فمن يكتب فى السياسة اذا لم يكتب الأديب وبناء على هذا السؤال تتساءل أنت فمن يكتب فى الأدب اذا لم يكتب الأديب وكنت أريدك أنت أن تجيب على هذا السؤال ٠ والجواب واضح أنه هو الأديب أيضا يكتب فمن قال أن الأديب اذا كتب فى السياسة امتنع عليه أن يكتب فى الأدب هل قلت أنا هذا وهل تتصور ان أقوله ٠ حين أقول ان الأدب بلا سياسة لغو انما أقصد أن يكون الأديب على أدق علم بالحياة السياسية حوله ثم ليس من الحتم بعد ذلك ألا يكتب الا سياسة فأننا اذا أخذنا بهذا الرأى ألغينا التراث العربى القديم كله وما ظننت لحظة أنك تتوهم أننى أفكر هذا التفكير ٠ كل ما أريد أن أصل به اليك أن الأديب لابد أن يكون شاهد عصره ثم هو على كامل حريته بعد ذلك أن يكتب أدبا

خالصا أو أدبا سياسيا • وأريد أيضا ان أصل اليك برأى آخر أكثر أهمية ان كتابة الأديب فى السياسة لا تقصيه عن الأدب بل هى تجعله فى صميم فن الأدب وهكذا يا سيدى يظل كل من ذكرتهم من الشعراء مثل قيس وابن أبى ربيعة ومن لم تذكر أكثر ممن ذكرت مئات ومئات يظل هؤلاء جميعا شعراء من أعظم الشعراء •

أما التناقض الذى ترى اننى وقعت فيه فانى آسف أن أقول أنك أنت الذى وقعت فيه فحين أقول اننى كتبت خاطرة فنية فى شكل جديد يجمع بين القصة والمقالة بعد أن قلت أننى لم أكتب رواية أو قصة بعيدة عن السياسة لا أتناقض أنا مع نفسى • فالسياسة حين تكون فى خلفية الرواية أو القصة أو المقالة لا تحتم على القارىء أن يقرأها على أنها سياسة لأننى لم أكن سياسيا صريحا فيما كتبت فحين تفهمها أنت فهما سياسيا محددا تصبح أنت السياسى الصريح لا أنا • أما انك تريدنى أن أكتب السياسة فى مجلة مايو والأدب فى جريدة الأهرام فأنت بهذا تفرض على ما أكتب وما أظنك تريد هذا أما أنا فلم أقبل بعد من أحد أن يفرض على ما أكتب •

وأما التحليل الذى قرأته لبعض القصائد والذى تشير اليه فتأكد يا أخى وما لى لا أقول يا بنى أننى قرأت من أمثاله طول حياتى وان كان لى أسلوب أكتب به وثروة لفظية تعيننى على أن أقول ما أريد فما اكتسبتها الا من هذه القراءة وأمثالها •

أما المثل الذى اخترته لى أنه أدب أعجبك فى مقالى عن الأستاذ على الفقى فأنك لو أنعمت فيه النظر لوجدت السياسة تسيطر عليه أيضـــا والألفاظ التى أعجبتك منه تؤكد ما أذهب اليه أنا أن الكتابة فى السياسة لا تعوق الأسلوب الأدبى أن يأخذ طريقه ومجراه •

وعلى سبيل التذكير سأقدم لك من روايات شوقى التى يعتبرها الجميع أدبا خالصا لا شك فيه سياسة لا يختلف حولها اثنان اقرأ معى فى مجنون ليلى وهو يقول :

ليــلى : دار النبى كيف خلفتهـــ   كيف تركت الأمـر فيها يساسى

ابن ذريح : تركتها بالليل مضبوطة   يحكمهـــا وال شـــديد المراس

كـــلام النـــاس فى يثـــرب   همس وخطو الناس فيها احتراس

واقرأه معى وهو يقول على لسان الأخير :

نصيب صـــه ولا تســلكن   بنـــا مســـالك التهـــم

نحـــن رجـــــال دولـة   قوامـــة عــــلى الأمــم
ليس بعينهـــــا عمـــى   ولا بأذنيهـــــا صـــمم
تســمع فى ظـــل القصــــور   همس رعيــــان الغنــم

اتشك يا بنى لحظة ان هذا الشعر فى صميم السياسة فاذا شـككت فاقرأ معى ما يقول فى روايتـــه الخالدة كليوباترة

اســـمع الشـــعب ديـــون   كيـــف يوجـــون اليـــه
مـــلأ الجـــو هتـــافا   بحيـــــاتى قـــاتليه
أثـــر البهتـــان فيـــه   وانطلـــى الـــزور عليـــه
يـاله مـــن ببغـــــاء   عقلـــه فى أذنيـــــه

واليـــك :

هتفوا بمن شرب الطلا فى تاجهم   وأصـــار عرشهمو فراش غـــرام
ومشى على تاريخهـــم مســـتهزئا   ولو اسـتطاع مشى على الأهـــرام

واقرأ قصيدة كليوباترة فى وصفها لمعركة اكتيوما واقرأ روما حنانك واغفرى لفتاك .

يا بنى لا سبيل للنقاش لقد اختلطت السياسة بالأدب فى العصر الحديث وهيهات هيهات وألف هيهات أن يستطيع أحـد أن يفصـــل بينهما ... ومرة أخرى انى أحبيك .

الأهـــرام : ١٩٨٣/٢/٦ ..

الجاهلية الحديثة

لغة النقاش واسلوبه هما أهم معالم الحضـارة . فالمتحضر الذى يستطيع أن يقارع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان والدليل بالدليل انسان يتكلم عن حضارة ويصدر فى رأيه عن عقيدة ويواجه النظرة الأخرى بوجهة نظره هو من داخله لا من داخل منفعته .

والقرآن الكريم قمة الحضارة الانسانية يقول الله فيه لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : « وجادلهم بالتى هى أحسن » ذلك أن حجة القرآن الكريم الهية لا شك فيها ومن أكثر ثقة بحجته من خالق البشر أجمعين .

ولكن الكفار حين كانت تقرعهم الحجة ولا يستطيعون معها مواجهة يفرون من العقل والمنطق والمجادلة بالتى هى أحسن الى اللجاجة الحمقاء والهجوم الدنىء والاعتداء على النبى الأجل صلوات الله عليه وسلامه وعلى صحابته والتابعين بكل وسيلة حقيرة يملكونها ولذلك لم يكن عجيبا أن يندب النبى عليه الصلاة والسلام حسن بن ثابت ليرد بشعره على هجاء الكفار ويحطم بلسانه الحديد ايذاءهم للنبى صلى الله عليه وسلم .

وقد كان الكفـار لا يحكمون عقلهم وانما كانوا يحكمون جاهليتهم وصوالحهم المالية . فمنهم من كان يتاجر فى الحريم وكان هؤلاء يسمون بأصحاب الألوية الحمراء . ويبدو ان هذه التجارة لم تكن مجلبة لسقوط الكرامة فى عصر الجاهلية وكانوا فى جاهليتهم يعتمدون على الربا . وقد حرم الاسلام الربا وكانوا يعتمدون على المراهنة وقد حرم الاسلام القمار ، فالعقل اذن ليس له شأن مطلقا بدفاع الكفار عن كفرهم . وانما الأموال التى كانت تنهمر عليهم من جاهليتهم هى التى كانت تتحكم فيهم . واذا ذكرنا الى جانب ذلك ضياع هيبتهم بجانب هيبة النبى عليه الصلاة والسلام وانهيـار كبرهم الكاذب مع المسـاواة التى جاء بها الاسلام فجعلهم هم وعبيدهم عند الله سـواء الأمر الذى محق نعرتهم الجاهلية وانتفاخهم الأجوف عرفنا ان الاسلام كان وبالا عليهم فى كل ما يقدسونه وما كانوا يقدسون الأوثان والأصنام وانما كانوا يقدسون المال وان كان من الألوية والتكبر الفارغ فما كان عجيبا منهم أن يرفضوا الاعتراف بأنه الا اله الا الله

وأن محمداً رسول الله • فقد كان كل فرد منهم يظن انه لا اله الا هو ذاته وأنه لا يحتاج الى رسول بشرا كان ذلك الرسول أم كان ملاكا •

وموقفنا من الشيوعيين فى هذه الأيام هو موقف الحق من الجاهلية منذ ألف وأربعمائة عام •

كلما جادلهم مجادل بالحسنى انهالوا عليه بالسب والهجوم والتطاول ذلك أن الأسباب التى تقف وراء الشيوعية فى نفوسهم هى نفس الأسباب التى كانت تقف وراء نفوس زعماء الجاهلية وكبرائها •

نسأل الشيوعيين : أليست النظرية ملحدة بطبيعة تكوينها فيقولون من أنتم حتى تحكموا على الملحدين والمؤمنين فنقول لهم ان النظرية شيوعية وأنتم بانتمائكم اليها تعلنون الحادكم • فالأمر لم يصبح بين الفرد منكم وربه وانما أصبح معلنا ومشهرا لا حاجة معه الى اجتهاد أو رأى • فيشتمون ويسبون لأن الحاجة انقطعت وليس لهم غير الشتم وسيلة !! •

تقول لهم ان الشيوعية قتلت ٦٠ مليون مواطنا روسيا فى احصاء علمى منذ بدأت الى أن مات ستالين فيرموننا بالكذب وبكذب الاحصاء فنقول فان كان الاحصاء كاذبا فما هو الاحصاء الصادق فتغلق دونهم المسالك ويسبون ويشتمون •

نقول لهم ان الدول التى فرضت عليها الشيوعية جميعها لم يكن للشعب نصيب فى اختيار الشيوعية بها وانما فرضت عليها النظرية وتطبيقها بقوة السلاح والدليل على ذلك ان كل هذه الدول حاولت ان تزيح نفسها من جنة الشيوعية ، ونذكر المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وغيرها ونذكر مقتله مائة وستين ألفا من المجر عام ٥٦ وقول المذيعة الشيوعية نعم قتلوا مثل هذا العدد ولكن الذين قتلوا انما هم الضالون أعداء الشعب ونسألهم من الشعب اذن اذا كان القتلى منهم مائة وستين ألفا • فيسبون ويشتمون • !

ونسألهم اليوم ما رأيكم فى أفغانستان ولا نزيد • فالأنباء التى ترد الينا منها أكبر من أى تعليق فيسبون أيضا ويشتمون • والسب والشتيمة لا يقيم حجة ولكن أليس من حقهم علينا أن نرثى لهم لانعدام الحجة بين أيديهم أو — على الأقل — لاضطرارهم الحتمى أن يخفوا الأسباب الحقيقية التى تجعلهم يكفرون بالله ويؤمنون بالشيوعية • وماذا يمكن أن ننتظر منهم ان يقولوا • لو كان أرباب الجاهلية كشفوا عن الأسباب الحقيقية التى جعلتهم يحاربون الاسلام لكشف هؤلاء عن الأسباب الحقيقية التى جعلتهم يعتنقون مذهبهم الذى به يدينون • !

ولكن أترى يحق لنا أن نعجب أن تمر ألف وأربعمائة عام ونيف والنفوس هى النفوس ونعجب أن تمر هذه الأحقاب والأجيال ويظل المال الدنس مسيطرا على ايمان فئة من الناس ٠ ولكن ما العجب انما هم ناس من الناس كذلك هم فى الجاهلية كانوا وكذلك هم فى قمة الحضـارة والمدنية ما يزالون والأمر من قبل ومن بعد لله الواحد القهار ٠٠ !!

مايو ١٩٨٣/٢/٧ ٠٠

انها لكبيرة .. ولكن ما أهونها

من أعجب ما يثيره أولئك الذين يرفضون السلام ان هناك غزوا فكريا ستمنى به مصر ، وأسأل ومن الغازى ؟ ! . وتتماع الاجابات وتختلط فلست تعرف منها سمة ولا تتبين لها خطوطا ، ثم يقول قائلهم ومن اسرائيل . وتثور ثائرتى . أهذه الدولة التى لم تنشأ بعد والتى تترنح لغتها الأدبية بين لغات العالم أجمع تغزو مصر جميعا غزوا ثقافيا ! فيالهوان آنفسنا على أنفسنا وكأننا لا ندرى من نحن .

نحن مصر رواد الثقافة فى الشرق أجمع لغتنا هى لغة القرآن اللغة الوحيدة التى نزل بها كتاب سماوى ، وظل على لفظه وحرفه ألفا وأربعمائة عام لم يتغير منه جزء من حرف .

شعرنا هو شعر العرب وروايتنا هى رواية العرب وقصتنا هى قصة العرب ومسرحنا هو مسرح العرب . وفننا هو فن العرب نحن أصحاب الأفلام السينمائية العربية فى الشرق كله وغناؤنا هو الغناء الوحيد الذى يردده العالم العربى كله . نحن هؤلاء .. يغزو ثقافتنا قوم يكتبون أدبهم بكل لغات العالم . واذا شاءوا أن يدرسوا الأدب العربى ويكتبوا عنه درسوا أدبنا نحن وكتبنا نحن وروايتنا نحن . أهؤلاء القوم الذين ما يزالون يصارعون الزمن ليثبتوا أحقيتهم فى الأرض التى يقيمون عليها يغزون مصر التى ينغرس تاريخها فى أعماق الزمن منذ سبعة آلاف عام .

وهناك ما نشر منذ أيام أنهم وجدوا آثارا بالاسكندرية عمرها سبعة آلاف عام . أمثلنا نحن يغزوهم شعب لا قومية له وانما هو فرق من شتى دول ومن مختلف جنسيات ومن ألوان متباينة متباعدة لا يجمع بينهم وطن واحد بل لا تجمع بينهم منطقة بل لا تضم خيوط أنسجتهم قارة . فمنهم الروسى ومنهم الأمريكى ومنهم الفرنسى ومنهم الانجليزى ومنهم المصرى ومنهم السورى ومنهم اللبنانى ومنهم من كل بلد فى العالم فرقة . أهؤلاء يغزون مصر ثقافيا .

ولكن ما العجب ؟ .. والذين يثيرون هذه القالة هم الشيوعيون الذين لا يعترفون بالوطن أبا ولا بالقومية أما ولا بآصرة التاريخ نسبا وقربى . انهم فقط يريدون أن يشوهوا السلام الذى حصلنا عليه والذى

استعدنا به أرضنا وأمن به طائرنا واستقر معه مضطرب حياتنا . الذين كانوا هم السبب الأول فى اضطرابه وانقضاضه . وحين نحاول اليوم فى ظل الأمن الذى مده علينا السلام أن نربط ما تقطع من أوصال مرافقنا ، صرخوا بنا الغزو الثقافى أو راحوا فى تبجح لا يتمتع به الا الكفرة يعيبون هم ما خربوا بأيديهم من جنبات حياتنا ويعيرون مصر بالمياه الفائضة أو الغائضة أو التليفونات .

الا فليعلم هؤلاء الذين برعوا فى تركيب الجمل ذات البريق الخادع والألفاظ ذات المدلول الكاذب ان شعبا فى العالم لا يستطيع ان يغزو مصر غزوا ثقافيا ، وقد حاولتم أنتم وتحاولون وتستميتون فى محاولاتكم .. ولكن كل جهدكم مصيره الفشل الكامل الذريع ولن تستطيعوا أن تمسوا ثقافة مصر ولا دين مصر ولا قومية مصر ولا تستطيع أمريكا وهى أمريكا ولا تستطيع أى دولة أو جماعة أن تقترب من ثقافة مصر . فاذا اقتربت فستأخذ ثقافة مصر ما يزيدها قوة ومنعة وعنفوانا ورسوخا وشموخا . وتبقى . والدليل على ما أقول حاضر من قريب ومن بعيد . فأما القريب فأنتم قد استوليتم على أقدار مصر فى الستينات وقلتم تقدمية عن مذهبكم وقلتم رجعية عن ديننا ولغتنا .. ثم محاكم الله ورفضتكم مصر ولم يكن شعورها نحوكم الا مقتا وسخرية واحتقارا وبقى ديننا وسيبقى ، وبقيت لغتنا وستبقى .

أما الدليل من بعيد فقد احتل نابليون مصر وحاول أن يخادعها باسلام منه كاذب ليتسلل الى ثقافتها وقوميتها فما استطاع وانما اكتسبت مصر من الحضارة الغربية ما دعمت به لغتها وقوميتها وازدادت الثقافة المصرية عظمة وجبروتا ومنعة .

وأعقبه الانجليز وحاولوا ما حاول بسلاح المحتل وجيشه وجبروته فاذا محاولاتهم تجعل المصريين ينتبهون الى الخطر الذى يريد أن يقترب منهم فاذا العباقرة فى كل علم وفن ينبثون متفجرين حرابا فى صدور المحتل وينشأ ذلك الجيل العجيب فى كل ألوان الثقافة وأنواعها فنرى هيكل وطه وحسين والحكيم والمازنى والعقاد وعبد العزيز فهمى ومرقص فهمى وعلى ابراهيم والمنياوى ومشرفة وغيرهم وغيرهم مما لايحصيهم العدد . واذا الانجليز أنفسهم يعترفون بعبقرية المثقفين المصريين ويستعين علماؤهم بعلمائنا .

وبعد فصيحوا أنتم وهللوا بلغوكم ما شئتم فان مصر التى رفضتكم حكاما سيزداد رفضها لكم دجالين ومخرفين وكفرة .

مايو ١٤/٢/١٩٨٣ ..

الأدب .. والطبول !

الكاتب انسان ، وليس انسانا من لا ضعف فيه والأصل فى الكاتب انه وجد نفسه محبا للأدب مكبا عليه تمسك الهواية بتلابيبه وبمجامع نفسه لا يستطيع عنها فكاكا ولا عنها منصرفا . ولذلك أحار حين يسأل المذيع أو المذيعة كاتبا « كيف بدأت هوايتك للأدب ؟ » وأعجب من السؤال وأجده فى منتهى السذاجة فهو أشبه بمن يسأل انسانا ما كيف وجدت عينيك خضراوين ؟ أو كيف أصبحت طويلا أو لماذا خلقت قصيرا ؟ . فالأمر فى الهواية جزء من الطبيعة مركب فى النفس مفروض عليها فرضا . ويذهب الشباب الى الكتاب المعروفين يسألونهم كيف نجد طريقنا فى الأدب . وكأنه يسأل عن عنوان بيت وينتظر من الكاتب القديم أن يقول له مل يمنة ثم يسرة ثم امش الى آخر الشارع تجد الأدب ينتظرك . ان الأدباء فى جميع أنحاء الأرض وجدوا أنفسهم أدباء وحركتهم غريزتهم الى ما يقرأون والى ما لا يقرأون وأغلب الأمر أنهم حين بدءوا القراءة لم يكونوا مصريين أن يصبحوا كتابا وانما وجدوا متعتهم وهواء حياتهم الذى ينشقونه فى رائحة هذه الكتب حتى لا حياة لهم دون أن يقرأوا وهم يقرأون كل شىء وأى شىء فى نهم لا ينتهى الى شبع بل كلما ازدادوا قراءة ازدادوا نهما للقراءة واعرف منهم من كان يقرأ كتابين وثلاثة كتب وأربعة فى وقت معا وهو لا يسأل نفسه لماذا يقرأ ولا يفكر حتى ان يسأل نفسه انها متعته التى لا تماثلها متعة فى الحياة . ثم يأتى على هذا القارىء حين يحس انه يريد أن يكتب وأنه يريد أن يقول شيئا . وهنا يبدأ شقاء المتعة ويغفر طريق الآلام فاه أبشع ما تكون الآلام . فالقراءة متعة خالصة ليس يعنى القارىء رأى الآخرين فيما يقرأه وانما هو يستمتع فقط أما حين يبدأ الكتابة فان مصيره أصبح معلقا بالآخرين . وهؤلاء الآخرون لا يرحمون ولا تنفع عندهم شفاعة ولا يجدى لديهم رجاء .

ولكن هذا لم يمنع بعض كتاب أن يبدءوا كتاباتهم ويلازموا بدايتهم بطبول وقد مارسوا أعمالهم الأدبية بمصاحبة هذه الطبول ولكن اهتمامهم بالدعاية لهذه الأعمال كان أضخم بكثير من اهتمامهم باتقان أعمالهم الأدبية . وقد نجح بعضهم ان يصدروا أسماءهم فى عالم الأدب لا بفضل طبولهم ولكن لأنهم فعلا كانوا على نصيب لا بأس به من الاجادة . وان كانت

الطبول تعطيهم أكثر من حقهم بعض الوقت فان أصـــوات هذه الطبول ستخفت ويبتلعهـــا الزمن فيما يبتلع ولا يبقى منهم ولا لهم الا الأدب الأصيل ·

فكم من أديب كان مع ابن المقفع ومع الحريرى ومع بديع الزمان وهؤلاء الأدباء كانوا أكثر شهرة فى هذه الأزمان من هؤلاء العمالقة ولكن ما أسرع ما انحسرت عنهم الشهرة ونخل الزمن الأعمال ولم يبق منها الا الباذخ الرفيع الذى فرضه الزمن على البقاء ·

وهناك مثال آخر فالأصفهانى كان يكره المتنبى كراهيـة شخصية ولذلك حرص الا يذكر عنه كلمة واحدة فى كتابه الخالد الأغانى ومع ذلك اخترق المتنبى جدران الأجيال وظل أعظم شعراء العربية حتى ظهر شوقى وهذا رأيى أنا وان كان آخرون يرون ان شوقى لم يلحق به ولكن المتنبى يظل هو المتنبى على رغم الأصفهانى وألف أصفهانى معه · وخلود المتنبى لا يرجع الى الطبل الكثير الذى أطلقه حول نفسه وانما هو خلد برغم هذا الطبل لأن شعره هذا لابد أن يخلد ولا يستطيع انسان كائنا من كان أن يرده عن الخلود وكما لا يستطيع انسان أن يرد كاتبا أصيلا عن الخلود لا يستطيع أحد ولا جماعة أن ترغم كاتبا أو فنانا على الجمهور · وكم قرأنا عن سلاطين حاولوا أن يضموا الى بلاطهم شعراء ليجعلوا منهم متنبين (جمع متنبى) أو بحاترة (جمع بحترى) أو نواويس (جمع النواسى أو أبى نواس) فخاب فال السلاطين وظل العمالقة عمالقة والأقزام أقزاما وأجاز الخلود هذه الحقيقة فبقى العظماء وضاع المهازيل فى زحمة الأيام ·

وفى الستينيات من هذا القرن حاول الشيوعيون أن يخلقوا كتابا واستصدروا من ذوى السلطان فرمانات بتعيين مهازيل هيـاف روائيين وقصاصين وشعراء وكانت فرمانات هذا العصر مصحوبة بالقهر والسطوة والجبروت وكان الناس ينفذون كل فرمان يصدر لهم اتقاء لهذا القهر وتلك السطوة وذلك الجبروت · الا فرمانات الأدباء والروائيين والقصاصين والشعراء فقد رفضها الناس وخاب الشيوعيون فيما سـعوا اليه خيبة واسعة ·

وكيف كان لهم ان ينجحوا وقد حاولت دولتهم الأم روسيا السوفيتية أن تخلق روائيا أو قصاصا فحبط سعيها وخاب فالها ومات بسترناك وهرب سولجستين ·

وتعسفوا فى محاولاتهم هذه حتى أصـدروا أوامرهم فى روسيا يمنعون بها الناس أن يقرأوا لبعض الكتاب العالميين فذاعت كتب هؤلاء الكتاب حتى اضطرت أن ترجع روسيا عن أوامرها تلك ·

وذلك لأن الأدب الخالد يحطم أوامر السلطان حتى ولو كان سفاحا القتل أقل ما ينزله من عقاب ٠

والأدب حرية فحين حاولت روسيا أن تلزم كتابها الا يكتبوا الا فيم يريد الحزب أن يكتبوا مات الأدب السوفيتى وخلد من رفض هذه الأوامر مثل د٠ جيفاجو وكل كتب سولجستين ٠

وهكذا لا حيلة مع الناس ان يفصلهم أحد أو جماعة أو حتى دولة عن كاتب أحبوه أو يصلهم أحد أو جماعة أو دولة بكاتب رفضوه ٠

ولكننى فى الحق أحس وخزة ألم حين أجد كاتبا لا يعرف قيمة القلم الذى يمسك به ٠ وحين أقول كاتبا فانما أقصد من يستحق هذا اللقب ، وهو ذلك الذى أسبغ الله عليه موهبة الكتابة وجعل له قراء يعجبون به ويرضون عما يكتب ٠ هذا الكاتب أحس وخزة ألم اذا رأيته يسعى وراء الصحافة والاذاعة والتليفزيون ليذيعوا اسمه ويعلنوا عنه ويحدثوا له ذكرا ٠

فاعتقادى أن الكاتب الحق يجب أن يعرف مكانته ٠ وهى اسمى بكثير جدا من أن يستجدى معها اذاعة اسمه فى جريدة بطريقة معينة كأن يكون فى الصفحة الأولى وأن يكون اسمه بحجم معين أو أن يتوسل الى التليفزيون أو الاذاعـــة كل هـــذه الأشـــياء تجعلنى أحس أن الكاتب لا يدرك قيمة أن يكون كاتبا واذا اغتفرنا هذا لشاب يبدأ حياته الأدبية فأنا لا أستطيع أن أقبله من كاتب استقر اسمه بين الكتاب ٠ كذلك يقع فى نفسى أسوأ وقع أن أرى بعض كتاب يدورون بالهدايا العينية والمثلية على من يستطيع أن ينشر عنهم خبرا أو كلمة أو حكاية سخيفة ، فان أمثال هؤلاء يسيئون الى أنفسهم والى مكانة الأديب شر اساءة ٠ وتبلغ الاساءة ذروتها حـــين يذيع بعض الكتاب المســـتقرين أخبارا عن أنفســـهم لا تتصل بسبب الى الحقيقة والأمر فى شأنها سرعان ما ينكشف ثم يبلغ مبنى الألم أقصاه حين أجد هذا الكاتب المختلق جامد الحس لا يمس الحياء ذرة من كيانه أو قطرة من ماء وجهه ٠

اذا لم يعرف الكاتب قيمته ويرتفع بها عن الصغار فانه بهذا لا يشين نفسه وحده وانما يشين معه كل من ينتسب معه الى أقدس مهنة عرفها التاريخ ٠

وكفى بمهنة الكتابة شرفا أن الله اختار الكتاب ليكون معجزته الخالدة على مدى الزمان وكفى القلم شرفا قوله تعالى « ن والقلم وما يسطرون »

الأهـــرام ١٤/٢/١٩٨٣ ٠٠

اذا رضيت فحسبك

قال صاحبى :

ـ اننى فى موقف ما أظن أن أحدا شهده قبلى · لى صديق رقيق الحال أعينه على الحياة ما أتاحت لى الحيـاة أن أعين · وقد وقفت الى جانبه منذ عرفته ونحن صبيان فى معاهد الدراسة الأولى · ولم يكمل هو تعليمه واستطعت أن أسعى له أن يعين بما نال من شهادة متواضعة ثم مرت بنا الحياة لا يفارقنى فهو يسعى الى فى أوقات متقاربة يستعيننى فأعين ان كان بمال فبمال أو كان برجاء لدى مسئول فبرجاء حتى أصبح يعتبرنى مسئولا عنه مسئولية شخصية واستقر فى نفسه ان من حقه أن يطلب دائما واستقر فيها أيضا ان ليس من حقى أن أرفض أو أتردد أو أفكر فى التردد ·

وحين تمر السنوات الطوال على منوال واحد يصبح نسيج هذا المنوال أمرا مفروغا منه لا يقبل التعديل أو التغيير · وهكذا استقرت الصلة بينى وبين هذا الصديق · ولكن النفس لا تستطيع أن تطمئن الى وضع هى غير راضية عنه · وهذه النفس شأنها عجيب فهى قد تقبل الأمر لسنوات طوال ثم فجـأة تنفجر ثائرة وتأبى ما كانت ترضاه وترفض ما كانت تقبله ·

وقد ثارت على نفسى فى هذه الأيام والعجيب أن عقلى يؤيدها فى ثورتهـا ··

·· فأنا شخص أسعد بعمل الخير · وأحمد الله دائما كلما أمكننى أن أقدم معروفا لانسان وأشعر أن الله يكرمنى بأن جعلنى أستطيع أن أكون ذا فائدة لانسان · مهما يكن شأن هذا الانسان · وأنا يا صاحبى لم أرد طالب حاجة أستطيع أن أقضيها قط أو أنا على الأقل لا أذكر اننى فعلت ذلك فى حياتى · ولم أفكر يوما أن يكون هذا الذى أسعى له عدوا أم صديقا · ولكن نفسى مع ذلك ثائرة على بشأن هذا الصديق فى هذه الأيام ثورة عارمة لا تهدأ ولا تستقر بى على قرار ·

أما أن عقلى يؤيدها فهذا أمر طبيعى فصديقى هذا الذى حملت عبء حياته طوال حياته يملك قدرا من الحقد لو وزع على العالم أجمع لجعلهم

جميعا حاقدين . قد يشكر لى المعروف حين أقدمه ولكنه لا يستطيع أن يخفى عن عينيه ذلك البريق الخاطف من الغضب أن يدى هى التى تعطى وبده هى التى تأخذ واننى المفضل دائما فى حين هو المفضول على سبيل الدوام والاستمرار وبغير استثناء .

قلت لصاحبى .

ـ ما الذى يغضبك من حسده .

قـال :

ـ الحسد نفسه .

ـ والذى يغضبك من الحسد .

ـ قد لا يعنينى الشكر وقد لا يعنينى أيضا أن أحس اننى صنعت الجميل فى مكانه أو فى غير مكانه أما ان ينقلب ما أقدمه من خير حسدا على .

ـ ألا تشعر بالسعادة وأنت محسود .

ـ أشعر بالتعاسة أن يحسدنى من أقدم له الجميل .

ـ فأنت المخطىء اذن وليس هو .

ـ خطأ لا أستطيع أن أصححه . انه شعور منى بالغضب لا أستطيع أن أتقيه .

ـ أعتقد أن غضبك فى غير موضعه . فالذى يحسدك ينال جزاءه من داخل نفسه . فهو يحترق بغضبه وأنت لا ينالك من حسـده شىء يضيرك .

ـ ألست انسانا .. أليس لى الحق ان أشعر بسعادة الذى أقدم له المعروف . فاذا رأيت فى عينيه بدلا من هذه السعادة حقدا وحسدا الا يحق لى أن أغضب . أو أحزن على الأقل .

ـ هل سألت نفسك يوما لماذا تقدم الخير لمن تقدمه له..

ـ لا والله ما فعلت .

ـ فانت اذن تقدم الخير عن طبيعة لا عن تصنع .

ـ أو أقدمه لأننى لا أفكر أن أمتنع عن عمل خير أستطيع أن أقدمه .

ـ لم يختلف الأمران .

ـ ولكن الطرف الآخر ٠٠ ألا يشكر ٠

ـ وماذا يعنيك من شكراله ٠

ـ أليس من الطبيعى أن أحس أننى أسعدته ٠

ـ اذا كان هذا هدفك أصبح ما تطلبه من حقك ٠

ـ لا ٠٠ أنا لا أظن أن هذا هو هدفى ٠

ـ الحقيقة أنك تشعر بالسعادة لأنك قدمت خيرا وأنت بهذه السعادة قد نلت مكافأتك وليس من حقك أن تطلب أكثر من هذا ٠ بل اننى أعتقد أنك نلت بسعادتك أعظم الجزاء فماذا تريد أكثر من هذا ٠

ـ لعلك على حق ٠

ـ لقد فعلت خيرا وسعدت به ونال المفضول خيرا وشقى به فكلاكما نال الجزاء الذى يستحقه وهو جزاء عادل لا ظلم فيه ٠

ـ ولكننى مع ذلك كنت أرجو أن أجده سعيدا ٠

ـ ان الحقد والحسد مرضان فلماذا تشقى أنت بمرض غيرك ٠

ـ أليس من الطبيعى أن يشقى الانسان لمرض الآخرين ٠

ـ اذا لم يكن هؤلاء الآخرون هم الذين يصنعون أمراضهم بأيديهم ٠

ـ ومن يدرى أليس من الممكن أن يكون الله قد خلقهم مرضى بالحسد والحقد فأفقدهم الشعور بشكر المعروف ٠

ـ لقد بدأت تدافع عنهم ٠

ـ أهذا دفاع ٠

ـ لقد جعلت من أمراضهم أمراضا خلقية ٠

ـ ألا يجوز هذا ٠

ـ لا أظن وانما أعتقد أنهم هم الذين يغذون الحقد فى نفوسهم ويمرنون عليه ويلتذون به ٠

ـ فى الحقد لذة ٠

ـ من الناس من يجد لذة فى الشكوى فى غير داع للشكوى وهكذا الحاقدون والحاسدون ٠

ـ لقد بدأت أنت تهاجمهم ٠

ـ انما قصدت أنهم يستطيعون أن يشـــفوا أنفسهم من أدوائهم ولكنهم لا يريدون ومع هذا ليس هناك ما يدعوك أن تغضب منهم وانما هناك ما يدعوك ويدعونى أن نشفق عليهم فهم فى شقاء لا ينتهى • وأى بؤس أدهى من انسان لا يرضى • والله يقول لنبيه صلى الله عليه وســلم ليبشره : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » والرضا قمة السعادة وعطاء الله هنا هو هذه القمة • لم يقل سأعطيك ملكا ولا مالا وانما اكتفى بقوله انه سيعطيه ما يجعله يرضى فالرضا مكانة لا ينالها أعظم ملك ولا يبلغها أعظم مليونير فاذا أنت رضيت وأنت تعطى فحسبك ••• فقد بلغت وأنت المعطى ولم يبلغ حاسدك وهو الآخذ ••• ! يكفيك هذا ••

قال صاحبى فى سعادة :

ـ الحمـــد لله •

الأهـــرام ١٩٨٣/٢/٢١ ••

المــــواهب

أى موهبة رائعة تلك التى وهبها الله جل علاه للقارىء انه سبحانه العدل المطلق ٠

أعطى الكاتب من موهبة الكتابة وضم الأنامل على القـلم والتعرف على الكلمة والبلوغ الى أسرارها وكوامن خوافيها واللعب بالمعانى والتصرف فى الجمل وتركيب الحرف يثير به الحزن والضحك وينزل الدمع الهتون من العيون الجامدة القادرة المتحجرة ، ويسعد الشقى الذى طم عليه الأسى والألم والحزن ٠ ويجعل الحجة بينة المعالم واضحة السمات ٠ ويدعم الرأى فاذا هو قصر باذخ قوى الأركان متين البنيان أو يدحض الحجة فاذا هى وقد كانت تبدو قوية شامخة تصبح هباء من الهباء وكأنها لم تكن بالأمس حجة سامقة البناء شديدة الأركان ٠

أعطى سبحانه الكاتب هذا جميعه وبقدر العطاء تكون المسئولية ٠٠ لهذا قدر سبحانه الا يكون هناك كاتب الا أن يكون له قراء أو هو اذن كاتب غير موجود يكتب فى الهواء ، ويصرخ فى الوديان ، ويخط على المياه ، اذن فاذا قلنا كلمة كاتب يعنى هذا من تلقاء نفسه أنه ذو قراء ٠ ومن هذا الطرف الآخر الملازم لكل كاتب تأتى المحاسبة ولا أقول تأتى المسئولية ٠٠ لأن مسئولية الكاتب لابد أن تنبع من داخل نفسه ومن قرارة ضميره ومن عميق كيانه فاذا تخلى عن هذه المسئولية وأراد أن يفوت على القارىء كلاما غير مقتنع به فانه يتردى فى هاوية ليس لها قرار ٠

فليبذل فى سبيل الرأى الذى لم يقتنع به كل ما يطيق من مهارة ومن لعب باللفظ ومن تجهيل للأسلوب وليبلغ من البيان أرفع سماوات البيان الا أنه مع ذلك لن يستطيع أن يخدع القارىء عن الحق أبدا وتلك هى الموهبة التى أعطاها الله للقارىء فالقارىء أذكى من أن يخدعه مخادع مهما يكن بارعا فى الخداع ذلك لأن القارىء ليس واحدا وانما هو مجموع قوم متواصلين فيما بينهم وما يفوت على واحد يدركه الآخر وما لا يعرفه فرد يكشفه غيره والذى يدرك الحقيقة لا يخفيها وانما يذيعها ٠ والكلمة بين الناس أوسع انتشارا من أى صحيفة فالكلمة بين الناس تتلقفها اذن عن لسان ثم يذيعها لسان الى اذن فاذا هى بين الناس أحدوثة واذا الكاتب مفضوح بين خلق الله ٠

والعجيب ان الناس لا تنسى وان نسى الكاتب ولا شك أن الكاتب المحترف ينسى أحيانا ما يكون قد كتبه منذ سنوات فهو يكتب بصورة منتظمة وكمية ما يكتبه كبيرة فلا عجب أن ينسى وربما تسألني فان كان ينسى فهو معرض أن يخالف اليوم رأيا كتبه منذ سنوات وهنا أصيح بك هذا مستحيل فهو قد ينسى كيف صاغ رأيه ولكنه لا يمكن أن ينسى رأيا قاله ما دام هذا الرأى نابعا من صميم وجدانه فان لم يكن فليتحمل اذن ما سيواجهه به قراؤه فانهـــم هم لا ينسون وتلك قد تبـــدو عجيبة لا يتوقعها أحد من الناس فانهم أبدا لا ينسون ما يكون الكاتب قد كتبه وان مر على ما كتبه هذا عشرات السنين • واذا أنعمت النظر فستجد أنه ليس هناك داع للعجب فالقراء آلاف وآلاف وأجيال تخلف أجيال ومن لم يشهد فقد سمع ومن لم يقرأ بنفسه فقد قرأ بغيره من أبيه أو أمه أو جده أو أخيه أو صديقه •

فالكاتب الذى يهاجم اليوم من كان يمجد بالأمس عليه أن يعرف أن القراء يعرفون أنه منافق محترف وأنهم يذكرون كل ما كان يمجد به ولا يغفرون هذا له وعدم غفرانهم يتمثل فى احتقار داخلى يكنونه للكاتب قد لا يبينون عنه ولكنه مستقر فى دخيلة نفوسهم لا شك فى ذلك •

والكاتب الذى يغير رأيا عليه أن يعلن أنه غير رأيه وأن يبين لماذا جنح من رأى الى آخر فى وضوح وفى غير مواربة لأنه لن يستطيع أن يزيف رأيه الجديد على القارىء •

والكاتب الذى يخطىء عليه أن يعتذر فالاعتذار عمل شريف فى كل وقت الخداع عمل خسيس فى كل وقت أيضا •

مايو ١٩٨٣/٢/٢٨ ••

أما نحن فلا نعجب

تقول ابنتى مامعناه

ـ يا أبى سمعت عن قوم يعملون اليوم عند أثرياء من دول البترول وكانوا فى مصر يحملون ألقابا ورثوها وهى ألقاب رفيعة أقصى ما تكون الرفعة سامقة أعلى ما يكون السموق وكانوا يملكون أموالا ٠ ولاشك أن المال مهما يكن مصدره واللقب مهما يكن موروثا خليقان أن يكسبهما شيئا من الكبرياء وقد كنا نسمع أنهم كانوا متكبرين فى الأرض ٠ وأنا يا أبى لا أعجب لهؤلاء القوم ان يعملوا لدى أصحاب الثراء فمن حق كل انسان بل من واجبه أن يبحث عن الرزق ولكن المهنة التى يمتهنون حقيرة غاية الحقارة دنيئة كل الدناءة حتى أننى لا أسمح لنفسى أن أنطق بها ٠ فقلت لابنتى :

ـ أحمد الله يا أبنتى أن جيلك يملك ملكة التعجب والدهشة فاننا نحن جيل حرم علينا أن نعجب من شىء أو ندهش لأمر فقد مر بجيلنا من الأهوال ما أفقده نعمة التعجب ٠

وان كنت عجبت من أمر هؤلاء فلانك لاتعرفين أنهم قوم كانوا على قدر من الغباء لم يتح لجماعة من الناس قط ٠ فقد سكبت عليهم مصر من نعمها ما جعلهم على قمتها ثراء ومكانة وجاها وسلطانا وبدلا من أن يشكروا لها أنعمها ويندمجوا بشعبها ويبذلوا من أموالهم ومن جاههم ما يعين بائسا ويكسو عريانا ويقيت جائعا ٠ وبدلا من أن يتصدروا جهات البر وجمعيات الخير طغى أغلبهم واستكبر وشغلوا بكل حقير تافه من الحياة الا قلة منهم كانت حيث ينبغى لها أن تكون والشكر لهذه القلة محتم لأنها اختطت فى الحياة طريقا لم يسنه لها الكثرة العالبة من أسرتها ٠

أما الكثرة الغالبة فكانت غارقة فى عميها وترفها الفارغ وكانت لا تنطق العربية وتتعلم كل اللغات الا لغة مصر التى تعيش من جدواها ومن خيرها ٠ فحين نزلت بهم الكارثة تمزقوا فتاتا من الآدميين لا يجدون ملجأ أو ملاذا وهانوا على أنفسهم وهانوا على الناس ولاشك انك، يا ابنتى سمعتنى أردد بيت المتنبى ٠

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجـــرح بميت ايــلام

فان العظمة يا ابنتي والكبرياء واحترام الذات لايكونها المال والسلطان وانما هي تنغرس في داخل النفوس الشريفة اذا كانت لا تقدم الا صالحا ولا تسعي الا الخير ولا تعمل الا كل ما هو شريف نقي يعود نفعه على المجتمع بأسره وليس على فرد ولا على أسرة فقط • فهؤلاء يا ابنتي لهم عذرهم اذا هم انحدروا الى مهاوي الحضيض فما كانوا عظماء قط وما كان انتفاخهم الا هواء فاسدا • ومظهرا خداعا لا يقتنع به الا من كان تافها مثلهم •

فلا عليـك يا ابنتي أن تعجبي ولكن أليس الأولى بك يا ابنتي أن تعجبي من أقوام آخرين ، ألا تعجبين من قوم هبط عليهم الثراء الفاحش تصيدوه من كل طريق ملتو ومن كل مظنة عفنة حتى أصبحوا على جبل من المال وان يكن مالا حراما • الا تعجبين منهم بعد ذلك يظلون يجمعون المال لا يشبعون ، ربما قلت يا أبي أن هـؤلاء أصبح جمع المال بالنسبة اليهم غاية لا وسيلة وانني يا ابنتي اذا قلت هذا سأوافقك عليه ولكن الا تعجبين أنهم لايزالون يبيعون كرامتهم بيع السماح ويقبلون أن يكونوا موطئا للنعـال ويقبلون أن يظلوا متسـولين على الأبواب يسألون الرضاء أو يستجدون منصـبا أو يتشممون أرجـــل كرسى فعل الكلاب التى لا صاحب لها •

وان شئت يا ابنتي فاعجبي من قوم أكرمهم قومهم وجعلوا لهم فى المجتمع المصرى وزنا ولكنهم يخونون قومهم ومصرهم ويتسقطون على بلاد تقف منا موقف العداء والتهجم والاستفزاز فى صغار مضحك وفى طفولة تدعو الى السخرية والهزء يتمتعون بها فى كل أنحاء العالم المتحضر وغير المتحضر على السواء الى هؤلاء من تكرمهم بلادهم ليكونوا هناك يدا تتسول ولتكون البضاعة التى يبيعونها كرامة مصر وكرامة الشعب المصرى •

ألم تتعجبى يا ابنتي من أقوام يظلون يطوفون ببلاد العالم ليزدادوا على الغنى مالا هم عنه غناء • ولكن رخصت عليهم كرامتهم وهانت عليهم نفوسهم ومادامت نفوسهم قد هانت عليهم فلاشــــك أن مصر التى هم ينتسبون اليها شاءوا أم أبوا أكثر عليهم هوانا •

أو لم تعجبى يا ابنتى من قوم نالوا المناصب وشاركوا فى المصائب التى تواجه مصر اليوم وفى الكوارث التى تحيط بشوارعهـــا ومبانيها وتليفوناتها وكهربائها • وأبعدوا عن مناصبهم فاذا السعار يتفشاهم واذا هم ينقلبون صراخا لاينقطع وحين كان الواحد منهم ملقى على كرســـيه السلطانى كالشيء لايستطيع أن يهمس بمعارضة ولا يجرؤ ان يحادث نفسه بكلمة واحدة من جملة تدل على أنه لايوافق • ولكن اليوم وفى ظل

الحرية ينطلق هجومه ويعلو صوته وكأنه البطل المغوار أو الأسد الرئبال وبماذا يطالب ؟ أيطالب بالحرية ناسيا أنه حين يطالب بها على الملأ يعلن بما لايدع مجالا للشك أنه فى ظلها يعيش وفى أجوائهـــا يتنفس بـل ويصيح أيضـــا ٠

وان شئت يا ابنتى فاعجبى من قوم يقوم قائمهم على اذلال الانسان وقتل الشعوب وسفك دمائها والتسلط عليها قهرا بقوة السلاح والفتك والجبروت ٠ ولا عليك يا ابنتى أن تفكرى من هم فما يكلفك الأمر الا نظرة الى أفغانستان وبولندا اليوم أو نظرة أخرى الى ما فعلوا فى المجر وفى تشيكوسلوفاكيا وفى غيرها ٠

أعجبى لهؤلاء القوم يساندون شيعتهم فى مصر ويظاهرونهـم بكل وســـائل المساندة والمظاهرة ولن أفعـــل ٠ ويصيح شيعتهم مطالبين بالديموقراطية والديموقراطية كما تعلمين هى حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب ٠ فهم اذن يطالبون أن يحـــكم الشعب بالشعب ٠ وهم الذين يقتلون الشعوب لتقبل حكمهم وهم الذين يختطفون الأطفال اليوم فى أفغانستان ليلقنوهم الحادهم ٠ وقد سمعنا عن عصابات تختطف أطفالا ولكنك ما أظنك يا أبنتى سمعت عن دولة تختطف أطفالا شيعة هذه الدولة وأنصارها يطالبون بالديموقراطية وبالحرية ٠ ولايجدون من يقول لهم أنهم حين يطالبون بالديموقراطية والحرية ويعلنون هذه المطالبة يؤكدون دون أن يشعروا أنهم يعيشون الديموقراطية أو ما يشبهها على الأقل ويعيشون الحرية أكمل ما تكون الحرية ٠ لأن البلاد الدكتاتورية لا تسمح طبعا لأحـد أن ينادى فيهـا بالديموقراطية وويل كل الويل لمن يطـالب فيها بالحرية ٠ وقد عشنا يا ابنتى أياما سوداء لا تذكرينها أنت كانت الحرية فيها قتيلا لايجرؤ أحد أن يذكر مقتلته ٠ وكانت لا اله الا الله لا تقال الا خفية وكأنها جريمة ٠

وبعد يا ابنتى فما أقل هذا الذى ذكرت مما يستحق تعجبك ٠ أما أنا يا ابنتى فكما قلت لك فقد فقدت نعمة التعجب لا أفقدك الله اياها فان فى تعجبك أنت وأبناء جيلك أملنا فى الغـد ونظرتنـــا المضيئة الى المستقبـل ٠

الأهـــرام ١٩٨٣/٣/٢١ ٠٠

فى الديكتاتورية اذن ؟!

تدل اسرائيل على العرب فى اذاعتهـا وفى اذاعات العـالم بواسطة عملائها وبممثليها ومندوبيها أنها الدولة الوحيدة فى المنطقة التى تطبق الديموقراطية تطبيقا سليما • وأنا لا أريد أن أدخل فى جدل حول هذه المقولة ولكن أريد أن أتساءل ليس هناك شىء اسمه روح الديموقراطية فهل تقبل الديموقراطية أن يحكم بيجن بأغلبية صوت واحد طوال هذه المدة التى حكم بها • بهذه الأغلبية الوهمية •

وهـل تقبـل روح الديموقراطيـة أن يخالف ما تسعى معاهدة كامب ديفيد الى اقراره من سـلم فى الشرق الأوسط وهـل احترام هذه المعـاهدة يتمشى مع الهجـوم البشـع الذى قام به على بيروت أو يتمشى مع المجـازر التى حـدثت هنـاك • وهـل يتمشى مع المسـتوطنات التى يقيمونها فى كل يوم ليواجه العالم العـربى بعد ذلك بحالة الأمر الواقع • وهل هذا الموقف الصغير الذى يقفونه فى طابا من الديموقراطية فى شىء أم الديموقراطية عندهم لافتة يرفعونها ثم يتصرفون تصرف الدول التى تعيش بلا قانون على الاطلاق سواء كان هذا القانون منتسـبا الى الديموقراطية أو الى الديكتاتورية أبشع ماتكون صور الديكتاتورية •

والغريب أنهم يتحدثون عن تطبيع العـلاقات أن العـلاقة كلمة تعنى فى مبناها أنها صلة بين كائنين اثنين على الأقل • فمع أى جهـة تريد اسرائيل أن تطبع العلاقات مع مصر التى تريد أن تغتصب منها طابا والتى تجزر اخوانها فى لبنان وتحتلها حتى اليوم لا تريد عنها جلاء أن العلاقات بين الدول لابد أن تكون بين الشعوب فليس هناك قوة ترغم أحدا • على اقامة علاقة مع آخر وانما تنمو هذه العلاقة من المحاسنة وطيب الجوار والتقارب فى المشاعر فهل ديموقراطية اسرائيـل التى يتزعمها بيجن تتيح هذا ؟ هيهات : وعلى أية حال اذا كان بيجن يحكم بأغلبية صوت واحد وهو مطمئن الى هذا الحكم مرتئيا أن تلك هى الديمواقراطية • فما قوله اليوم بعد أن سقط مرشح الحكومة أو مرشـح بيجن فى الانتخابات • أمايزال بيجن يرى أنه يتمتع بالأغلبية الأوحدية التى كان متمتعا بها •

هل هناك شك أو ظل من الشك أنه فقد بالأغلبية بهذه الانتخابات الأخيرة لرئيس الجمهورية الاسرائيلية • وليست هذه انتخابات بلدية ولا حكم محلي وانما هي انتخابات رئيس الجمهورية بأكمله وهو عنوان الدولة حتى وان كانت ديموقراطيتهم المزعومة ديموقراطية برلمانية الا أن رئيس الجمهورية يظل هو رمز دولتهم ورئيسها الذى يمهد مراسيم التعيين لرئيس الوزراء والوزراء والذى لابد أن يوقع قرار اجراء الانتخابات الى غير ذلك من مهام • فهل يرى السيد بيجن أن يظل فى الحكم بعد هذا الحكم على حزبه أم أن له أن يستقيل ويجرى انتخابات أخرى حتى يصدق زعمه وزعم مندوبيه وعملائه أن اسرائيل تعيش حكما ديموقراطيا حقا •

وأن لاسرائيل وشعبها أن يقولوا رأيهم الصريح فى الاعتداء على لبنان وفى مذبحة شاتيلا وفى ألعوبة طابا التى يتمسكون بها أن الفندق المقام على الأرض المصرية هناك مملوك لذوى المناصب والنفوذ فى حكم بيجن •

وان للشعب الاسرائيلى الذى استبشر بالسلام أن يحاكم رئيس وزرائه وحكومته على ما صنعوه بهذا السلام وعلى محاولاتهم المستميتة أن يقتلوه ويقضوا عليه وكأنما نسوا ما اتفقوا عليه أن تكون كامب ديفيد هى الباب الى السلام الشامل فى المنطقة ترى هل يظن السيد بيجن أن حرب لبنان هذه سلام • وهل يظن أن بقاءه فى لبنان يبشر بأى سلام • ماذا يظن السلام المستر بيجن وما هو مفهوم السلام عنده • أم ترى الأمور جميعا مختلطة فى اسرائيل فالصوت الواحد أغلبية والحكم به ديموقراطية وسقوط مرشح الحكومة لرئاسة الجمهورية أغلبية والحكم بعده ديموقراطية والحرب سلام والمجازر انسانية ، وبناء المستوطنات على أرض العرب تقرب للعرب ، واغتصاب طابا تحبب للمصريين •

ان كان الأمر كذلك فالشعب الاسرائيلى خليق أن يصحح الأفكار لرئيس وزرائه كما تعودت الشعوب دائما أن تصحح وضع الميزان حين يميل الميزان •

مايو ١٩٨٣/٣/٢٨ ••

أو فليشهروا اسلامهم

حين ظهر نجيب محفوظ كان واضحا ان الشكل عنده مخالف تماما للمذهب الشيوعى فمن المعروف أن الشكل فى المذهب يقتضى ان تنتهى الرواية أو المسرحية أو القصة بالتفاؤل لأن الحلول لجميع المشاكل حاضرة عندهم من قريب . فما على الفرد أو الأسرة أو الجماعة أو الدولة التى تواجه مشكلة الا آن تطبق المذهب الشيوعى حتى تصبح المشكلات جميعها محلولة فى أمان الله . أو فى أمان النظرية المادية فهم لا يعترفون بالله .

ولكن نجيب لم يكن شيوعيا فى يوم من الأيام وانما هو منذ بدأ الكتابة يؤمن بالمذهب الاشتراكى بصورة لا يختلف معه فيها كاتب فى العالم فهو ينادى بالحرية وينادى بتقريب الثروات وذلك بأن يقدم ذو الغنى حق المجتمع الذى أثراه الى المجتمع حتى يحاول به أن يقيم حياة قوم آخرين يطحنهم الفقر . ويرى للفقير الحق فى أن يعيش عيشة كريمة لا يتعرض فيها للجوع أو العرى أو المذلة . وقد كانت هذه الأفكار فى الأربعينات سائدة بين الكتاب بعيدة كل البعد عن جمهور الناس . ولكن من المؤكد انه ليس فى العالم كاتب لا يؤيد نجيب محفوظ فى أفكاره هذه فليس من المعقول أن يكون كاتبا ينطق بلسان الانسان فى بلده وفى كل مكان فى العالم ويقبل أن يسيطر على الآدمى الفقر أو الجهل أو المرض .

وهذه الأفكار لاتتعارض مع الحرية والديمقراطية بطبيعة الحال وهى مستوحاة أولا وقبل كل شىء من العقائد السماوية .

ولذلك فالاشتراكية هى أعدى أعداء الشيوعية لأنها تحقق شعاراتهم وترفض فى نفس الوقت طغيان الطبقة البروليتارية كما ترفض القهر واذلال انسانية الانسان وجعله قطعة من آلة أو سائمة يتاجر بانسانيتها المستلبة قادة الحزب وطواغيته .

فلم يكن عجيبا اذن أن يهاجم الشيوعيون نجيب محفوظ فى أول حياته الفنية وقال عنه بعضهم البرجوازى الصغير وغير ذلك من الألقاب التى يبرعون فى تصنيعها والتى تموت فور ظهورها على سطح الحياة .

ولكن نجيب محفوظ لم يأبه لهجومهم ولم يلتفت الى شعارهم وانما

سار في الطريق الذي يسير فيه كل كاتب شريف فهو صادق مع نفسه ، لا يكتب الا ما يؤمن به ولا يخط حرفا لاتمليه عليه خالصة نفسه مستنبطا ما يعتقد غير ناظر الى فئة بذاتها أو فكر يتعارض مع فكره فانما غايته الارتفاع بالانسان عن الجهل وحمايته من طغيان المادة واذلالهـا • ومع الأيام أصبح نجيب محفوظ جبلا فارعا شاهقا فاذا بالحزب الشيوعى يحتضنه فجأة مزيفا على الناس ذلك الفارق البعيد بين ما تهدف اليه أفكار نجيب وبين ما تسعى اليه الشيوعية •

ولكن نجيب الذكى الفهم الذى استطاع بعبقريته أن ينفذ الى أعمق أغوار الانسان والانسانية لم يستجب لمديحهم مدركا الزيف الذى يحاولون به أن يخدعوا الناس عن حقيقة فنه • وكما صمت عند الهجوم والهجاء والثورة عليه سكت عند المديح والاكرام والتهليل له •

وسار طريقه الذى يؤمن به وأذكر أبيات شوقى لغاندى :

وعد لم تحفل الذام ولم تغتر بالحمد
فهذا النجم لاترقى اليه همة النقد

وبدأ نجيب يبحث برواياته وبعقله عن الايمان بالله دون فكر مسبق فكانت روايته الأولى أولاد حارتنا وتبعها بروايات أخرى كلها بحث عن فكرة الايمان من واقع حياة الانسان لا من واقع الفكرة المتوارثة حتى انتهى الى رواية الشحاذ وأنهاها بالصوت يسمعه الجريح وحياته تترجح بين الذهاب والبقاء لماذا تبحث عنى وأنا قريب منك • وهكذا أعلن الايمان والاسلام جميعا بالفكر والمنطق فالله بنص القرآن قريب من عبده يجيب دعوة الداعى اذا دعاه •

حينئذ أدرك الشيوعيون أنهم فشلوا تماما فى احتواء نجيب محفوظ فبدأوا ينقلبون عليه شر منقلب • ولم يحفل الفنان الشريف أمرهم وأكمل طريقه وسط صراخهم الغاضب عليه فاذا هو يكتب ثرثرة فوق النيل وميرامار ويصيح فى وجه الطاغوت بتلك القنبلة الثقيلة الرائعة الرافضة الثائرة «الكرنك» يدين بها عهدا بأكمله ينتمى الى الشيوعية قدر ما ينتمى اليه الشيوعيون •

حينئذ أصبح نجيب محفوظ من أعظم أعدائهم وعالنوا بالغضب عليه وصدرت الأوامر صريحة بمهاجمته أو بعدم الكتابة عن رواياته واهمين أن صمتهم سيصرف القراء عنه • وطبعا خاب فألهم وارتكسوا فى الخيبة وظل نجيب هو نجيب فياطالما جربوا الهجوم والصمت مع كتاب آخرين • وبقى الكتاب ومات النقاد منهم عند الناس وعند الحق •

وقاموا بتجربتهم نفسها مع أستاذنا الرائد توفيق الحكيم ولكنــــه استعصم منهم بمكانته وثقته بفنه وكرثهم بالسلطان الحائر وايزيس وبنك القلق ثم أنزل بهم هو الآخر قنبلته الصريحة الصارخة « عودة الوعى » لم يغلفها باطار روائى ولا أحاط صراحتها بأستار فنية وانما هى كتابة مقالية صريحة لاتحتمل تأويلا ولا مناص من مواجهتها فهاج هائجهم وماج مائجهم وصاتوا وسفلوا الى الحضيض الذى يسفلون اليه دائما ٠ ويظل توفيق الحكيم هو توفيق الحكيم ويظلون هم فى مهواهم وحضيضهم ٠

كل هذا لاغرابه فيه فمن الطبيعى أن يحاول حزب بلا كتاب مبدعين خلاقين أن يبحث لنفسه عن كاتب مبدع ولا عجب ان تختاروا جبانين من الكتاب الذين يدافعون عن انسانية الانسان حتى وان كان مذهب الحزب الشيوعى يسعى الى طحن الانسان واعدام آدميته وكرامته بدعوى أنهم سيعطونه لقمة العيش ٠ وحتى لو انتهى الأمر بهم وبالانسان انهم استلبوا آدميته ولم يعطوه لقمة العيش ٠

فالأمر فى ذاته لايدعو الى الدهشة

وانما الدهشة استولت اليوم على كثير من الناس لست من بينهم من هذه الضجة التى يحيط بها الكتاب الشيوعيون جارودى الذى محق مذهبهم محقا وركله لايرضاه لنفسه مذهبا وأشهر اسلامه مرتئيا فى الدين الأقوم السبيل الوحيد الى مواجهة مشكلات العصر ٠

يتسائل كثير من الناس فيم احتفاء الشيوعيين بجارودى ولايلتفت أحد من هؤلاء المتسائلين الى ما كتبه قراجوز من خدم الشيوعية فى احدى الصحف أنه يتمنى لو لم يكن جارودى قد أسلم حتى يحارب مع العرب فى الجانب الآخر ٠ فالعقيدة عند القراجوز أمر يسير يباع ويشترى ويعلن ويحبس ٠ واسلام مفكر عظيم مثل جارودى أمر كان يتمنى الا يحدث حتى يفيد القضية العربية وكانما أصبحت القضية العربية هى الكفر والالحاد ورفض الاسلام ٠

واحسرتاه على الناس وعلى الدين عند هؤلاء الذين يحملون أســـماء مسلمة وقلوبا كافرة ٠

ان أمر هذا الكاتب أقرب مايكون بالراقصة الرخيصة التى تشيع عن نفسها كل حقير من الشائعات بأمل أن يظل اسمها على الألسنة حتى يثب الى الذهن اذا كان هناك فرح يقام أو ليلة تحيا بغير ذكر الله ٠

ولكن هذه الراقصة يأتيها الثراء من المتاجرة بشرفها فى حين يقوم وجود الكاتب من وجود شرفه ، فكيف يبيعه بيع السماح وفى سبيل ماذا وأى شىء فى الوجود يساوي أن يفقد الكاتب شرفه ويركع لغير الله ٠

ان الشهرة للكاتب لابد أن تأتى صاغرة تسعى اليه ولايسعى هو اليها والا فلا جاءت ولا كانت ويبقى هو عزيزا على نفسه وعلى عشرة قراء يقرأونه حتى وان كانوا عمال مطبعته ٠

وعلى كل حال فلنترك أمر هذا القراجوز الذى أرفض أن أذكر اسمه حتى لا أنيله ما يصبو اليه من شهرة وذيوع صيت قذر ولنبحث عن حالة المديح التى أحاط بها الشيوعيون قدوم جارودى الى مصر مدعوا من الأزهر الشريف العريق الشامخ فى تاريخ الاسلام وتاريخ البشرية ٠

أما أنا فاعتقد أن الأوامر صدرت من موسكو بهذه الحفاوة حتى يظن الناس ان جارودى لم يقتل الشيوعية باسلامه ٠ وعند عامة الناس الذين يسوح بينهم الشيوعيون بأراجيفهـــم يمكن أن يلبس هؤلاء الشيوعيون الأفاقون العدو ثوب الصديق والحق ثوب الباطل ٠ لا يهمهم أن يناقضوا انفسهم وأن يكيلوا المديح اليوم لمن كالوا له الذم بالأمس ٠

فان لم أكن محقا فى هذا الظن فعـــلى الشيوعيين اذن اذا كانوا صادقين فى الاعجاب بجارودى وبفكره وبفنه وبما سنه لنفسه بالحياة أن يرتضوا خطته ويسيروا فى طريقه ويفعلوا مافعل عليهم اذن أن يشهروا اسلامهم كما أشهره هو أو فليصمتوا ٠٠ وليعلموا اذا لم يكونوا قد علموا أن الاسلام يجب ما قبله وفى مغفرة الله سعة حتى لتشمل ما أجرموا فى حق البشرية وقد أعلن جارودى اسلامه بعد بحث واختيار ٠

وأعلنوا هم الحادهم بالاختيار أيضا ولكن أشك كثيرا أنهم بحثوا فى أصول الاسلام ثم اختاروا النظرية وأغلب الأمر انهم قارنوا بين الفوائد التى تعود عليهم من الاسلام والفوائد التى تعود عليهم من الشيوعية ثم اختاروا ٠

فاذا شاءوا اليوم أن يرجعوا الى ســاحة الاسلام فسوف يجدون مغفرة الله تنتظرهم ٠٠ فانه الله ٠٠ وانه أكبر ٠٠ أكبر من كل مخلوق ومغفرته أكبر من كل ذنب ٠ فان عدتم اليه بعد شرك وكفر والحاد فهو قابل التوب وهو العزيز الحميد ، فقط أشهروا اسلامكم كما أشهر جارودى اسلامه واستغنوا عن الدنيا وفكروا فى الآخرة وفى كرامتكم ٠٠ ترى هل يجد ندائى سامعا ٠٠ من يدرى ٠٠ فما شىء على الله ببعيد ٠

الأهـــرام ١٩٨٣/٣/٢٨ ٠٠

كرامة ومال

هو رجل واسع الثراء عميق الجهل يقال له في منطقته فلان بك . شاءت الظروف أن يكون مدينا لنا نتيجة محاسبة — لا اقتراض بطبيعة الحال — بمبلغ مائتي جنيه .. وكان المبلغ مستحقا لي ولاخوتي معي فكان من الحتم أن أطالب به . وقد فعلت فراح يراوغ ويماطل ويسوف ويؤجل حتى اضطررت آخر الأمر أن أقول له انني سأقدم الكمبيالة للمحكمة وكنت محاميا في هذه الفترة من الزمان وفهم البك بحكم ممارسته للحياة معنى أن يقدم محام كمبياله للمحكمة . فان الكمبيالة هي التي ستترافع أما مرافعة المحامي فتكون بالصمت . وسارع البك قادما الى وقد أيقن ألا سبيل له من التهرب الكامل وبقى أن يماحك في المبلغ نفسه وأخذتني الدهشة فثروة الرجل باذخة والمبلغ بالنسبة اليه على الأقل ضئيل لا يحتاج الى هذه المماحكة فاضطررت آخر الأمر أن أقول له — يا فلان بك ان المال قد صنع لنحفظ به كرامتنا بادىء ذي بدء واذا بالرجل يقول في بساطة وفي سليقة مواتية ودون أي تردد — والله يا فلان أن مسألة الكرامة دي متلزمنيش .. مش تحت خبر ملهاش لزوم عندي نهائي . الكرامة دي متعبة وأنا مش ناقص تعب .

ولست أدرى مدى الذهول الذي أصابني الا أنني واثق أنه كان ذهولا مفجعا فقد وجدتني دون أن أحس أمزق الكمبيالة وألقي بها في وجهه وأنا أقول :

— وأنا ملتزمنيش فلوس من واحد زيك حتى ولو كانت حقي وحق أخـــوتي .

وصاح الرجـــل :

— الله يخليك .. الله يطول في عمرك .

وقام وخرج وهو في غاية السعادة أنه كسب المائتي جنيه وخسر حياءه وماء وجهه ولكن أكان ذا حياء أو كان لوجهه ماء حتى يخسره .. أنه لم يخسر شيئا فهو يعلن في بساطة أنه بلا كرامة ومن يعلن مثل هذا الاعلان لا يبقى له شيء يحافظ عليه الا المال .

كانت هذه القصة فى السنوات الأولى من الخمسينات • وقد ننسيها فيما ينسى الانسان وانما أذكرها كلما كررت الحياة أمام عينى تبجحا أو سقوط الكرامة قريبا مما أشهدنيه ذلك البك الثرى ، ولكنى واثق أن الحياة لم تلق أمام عينى مثلا له حتى كانت الأيام القليلة الماضية وروى لى أحد الناشرين الشرفاء قصة عن كاتب كان يتعامل معه أعادت الى ذهنى صورة تلك الجبلة التى بنيت بمعاملتها منذ قرابة ثلاثين عاما • قال الناشر أنه تعاقد مع الكاتب على نشر بعض كتبه ودفع له مقدم العقد وبدأ يطبع الكتب • ولكن الناشر فوجىء بأن الكاتب تعاقد على نفس الكتب مع ناشر آخر فى نفس الوقت وقبض منه مقدم العقد فقصد الى الكاتب يسأله عن صحة ما بلغه فأكد له الكاتب أن ما بلغه وقع فعلا •

ـ أهذا يصح ؟!

واذا بالكاتب التقدمى يقول له فى هدوء وبساطة :

ـ عليك أن تعاملنى على أنى ابن •• بلا قيم ولا أخلاق

وروع الناشر مما يسمع وقال له :

ـ وأنا لا أعامل ابن •• بلا قيم ولا أخلاق

وتركه وانصرف

وهكذا وجدت فى هذه القصة مهانة للانسانية أعظم من تلك التى شهدتها من البك الثرى • فان الجهل قد يصلح مبررا لهوان البك ولكن ما المبرر للكاتب التقدمى المثقف وهو من ناحية الثراء موفور لا يحتاج الى صبابة من مال وانما يرتكب هذا الذى يرتكبه لأن نفسه لا ترى بأسا أن يفعله •

وقد يجد الكاتب من يقول عنه مدافعا أنه لا بأس عليه أن يكون بلا أخلاق ما دام يقدم فنا وان التاريخ ليذكر لنا كتابا مثله وشعراء ولكنهم قدموا فنا مازال باقيا على مر العصور وقد يذكر المدافع فى هذا المضمار بودلير وأوسكار وايلد وأبا نواس وغيرهم وغيرهم كثير ولكن هذا الدفاع ينهار اذا ذكرنا العهد الذى كان يعيش فيه هؤلاء الكتاب وما أصبح الكاتب يمثله اليوم • لو أننا ألقينا نظرة على التاريخ لعرفنا الفارق البعيد بين مكانة الشاعر والفنان فى ذلك الحين وبين مكانته اليوم • فالشعراء فى الأمة العربية كانوا يعيشون على جدوى الحكام والأثرياء وكانوا يصطنعون المديح ليجدوا قوت يومهم وقوت عيالهم فاذا لم يستجب لهم الأمير أو الثرى أو صاحب النفوذ أوسعوه هجوما وذما وحسبنا أن نذكر المتنبى وموقفه من كافور وغيره من حكام ذلك الزمان •

وفى فرنســا يكفى أن أذكر موقف الكونتيسية التى كانت تأوى لافونتين فى بيتها ليجد ما يطعمه • ولكنها كانت تعتبره حليــة تباهى بوجودها فى بيتها كأنه قطعة أثاث نادرة أو تحفة فنية لاتزيد على صورة على الحائط أو علبة نشوق جميلة الصنع حتى انها سئلت يوما :

ـ من ستصحبين معك الى مصيفك

فأجابت :

ـ لا أحد كلبى ولافونتين •

وهكذا نزلت بالكاتب العبقرى الى مرتبة الكلاب •

فذلك عصر لم يكن الكتاب فيه أصحاب فكر لا من كان منهم قادرا على مواجهة الحياة دون عون من صاحب ثراء أو صاحب سلطان •

أما العصر الحــديث فقد رفع الكتاب الى مكانة سامقة فى المجتمع وأصبح المسرح والسينما والاذاعة والتليفزيون يدرون على الكتاب فى البلاد المتقدمة ما يجعلهم يعيشون عيشة رغدة وسعادة وبلهنية • أما فى البلاد التى تماثل بلادنا فان الكاتب يستطيع أن يكون مكفول الرزق فى غير ثراء نعم ولكن فى غير حاجة أيضا أن يبيع قلمه أو ضميره • ومهما يكن الأمر فهو فى غير حاجة أن يكون كما وصف ذلك الكاتب نفسه • بل ان كتاب ذلك الزمان الذى كان الشعراء فيه يستجدون العيش وكان الكتاب فيه مقتنيات فى قصور الأثرياء لم نسمع ان كاتبا فيه أو شاعرا وصف نفسه بهذا الذى يراه الكاتب الذى تروى قصته فى نفسه • ولكن مادام قد ارتأى أن هذه هى حقيقته فهو من هذه الناحية ومن هذه الناحية فقط أعلم الناس بنفسه وان كان فى غير هذا أجهل الناس بنفسه مادام الأمر كذلك فان لهذا الكاتب أن يصنع ما يشاء فلا حساب عليه وقديما قال الشــاعر •

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجــرح بميت ايــلام ؟

الأهــرام ١٩٨٣/٥/٨ ••

لا عجب

تنازعني وأنا أمسك القلم مذهبان أحدهما يغريني بالكتابة والآخر يقصيني عنها • ولكل من المذهبين منطقه ورأيه وحجته فأما الأول فيرى أنني كتبت عن الأستاذ هيكل وهو قائم حي فلا داعي هناك أن أكتب عنه وقد أنتحر بشهوة الشهرة والتكبر وأصبح قتيلا عدما لا وجود له ، وأما الآخر فيرى أن هنك أشياء تحتاج الى تذكير الناس بها حتى لايعجبوا مما بلغه الأستاذ هيكل وأمثاله من حضيض • فقد كان طريقهم الذى اختاروه لأنفسهم مؤديا بطبيعته الى هذه النهاية التى لا نهاية غيرها فهو طريق لايتفرع ولا يزدوج وانما هو طريق واحد الى نهاية واحدة لانهاية غيرها واستقربى الأمر الى ما ترى ورحت أتساءل ولم يطل بى التساؤل • كيف وقع الأستاذ هيكل فى هذا المأزق صحيح أن الشخصية العامة لاينطبق عليها ما ينطبق على سائر الناس من وجوب ستر العيوب على الموتى فلا تذكر الا محاسنهم وصحيح أن التاريخ مزق الأستار على العظماء فذكر كل مايدور فى حياتهم الخاصة من خير ومن شر فلم يترك من خفاياهم خافية الا ذكرها ولكن المؤرخين حين صنعوا ذلك لم يكونوا معاصرين لهؤلاء العظماء ولم يكتب أحد منهم عن هؤلاء الأشخاص فى الفترة المتصلة بحياتهم الا نقدا أو مدحا لأعمالهم العامة أما التنقيب فى شئونهم فلم يأت الا بعد فترة طويلة من حياتهم كان الذين عاصروهم قد ماتوا أثناءها وكان أبناؤهم قد أصبحوا أيضا فى ذمة التاريخ أما فى الزمن المعاصر لهؤلاء العظماء فما أحسب أن أحدا صنع هذا دون أن يجد من الرأى العام استنكارا ورفضا واحتقارا • وأذكر بعد وفاة الرئيس الأسبق أن تناوله مصرى فى الكويت بصورة بشعة وكتب عن أهله وذويه بقلم عنيف وكانت الحكومة الكويتية لاتحب الرئيس الأسبق ولكنها رفضت هذا الذى كتب وأمرت المصرى أن يرحل عنها فى مدى أربع وعشرين ساعة من ظهور مقالته •

ومهما يكن رأينا فى الأستاذ هيكل فاننا لانستطيع أن نجحد انه امام علامة فى فن النفاق • خبير لايشق له غبار فى ميدان الملق • ويكفيه ما ذكره هو فى كتابه عن زعيمه حين كلفه أن يبحث له أمرا وينتهى اليه رأيه فيه فلم يجد مايقوله لزعيمه الا جملته الخالدة فى سجل الهوان : انك أنت الزعيم الملهم فاستلهم وحيك وأصنع ما يشير عليك به •

فكيف أخفق هذا الاخفاق هذه المرة وسقط هذا السقوط · وفتح على نفسه وعلى زعيمه بابا لو ولجنا منه اليهما لزكمت منا الأنوف · ولكن ما كان لنا أن ندخل بابا مثل هذا عفة منا وبعدا عن المهاوى التى سار اليها الأستاذ هيكل بطبيعة مواتية وسليقة غير مبصرة ولكن حقيرة ·

وبعد فالسادات راية خفاقة فى سماء مصر والعالم العربى بل والعالم أجمع الى أبد الآبدين فقد صنع الحرب وهو من هيأ لجيش مصر الفرصة العبقرية أن يستردوا كرامتهم التى أهدرها الحكم السابق على حكم السادات فى رمال سيناء وعلى هضاب التاريخ · وهو الذى أفاد من هذا النصر الفريد فى حياة العرب الحديثة فشق الخطوب والأهوال الى سيناء وكانت حياته هى الثمن وكذلك أفذاذ التاريخ يقدمون حياتهم رخيصة عينة فى سبيل أوطانهم وشعوبهم · والسادات من قبل نصره الحربى انتصر على نفسه فلم يقبل أن يظل ممسكا بأرواح الناس يصرفها كيف شاء وكأنه شيطان مسلط على بنى قومه فهو الذى أطلق الحريات فى ١٥ مايو وأصبح المصرى الذى كان قبل السادات مرعوبا على حياته وعرضه وماله وكرامته · مطمئنا الى الحياة ، أمن سربه ، وهدأ مضطربه وقر ثائر خوفه ، يتطلع الى الغد فى أمل وينام ليله فى أمان ويسعى فى مناكبها فى طمأنينة، فى وجهه اشراق ، وعلى فمه ابتسامة ، وفى قلبه ايمان · وبهذا انتصر الجيش وقد تعلق بأسباب السماء وأصبح الجنود البواسل الكرام يحسون أنهم عن أوطانهم يدافعون وليس عن مطامع رئيسهم وآماله أن يصبح زعيما لعالم ·· أى عالم ·· أفريقيا كان هذا العالم أو عربيا ·

وقد كان هيكل هو سوط سيده وكان مكبر الصوت الذى يعلن عقوباته البعيدة عن كل عدل أو منطلق والبعيدة طبعا عن أى رحمة أو انسانية فالرحمة والانسانية والمحبة مراتب فوق مرتبة العدل او المنطق ·

وكان هيكل هو اليأس القاتل وجيشنا الباسل يعد نفسه لمعركة العصر الحديث حتى لقد أغرت كتاباته بعض الكتاب منا الذين كانوا يظنون أنه مطلع على بواطن الأمور أن يكتبوا بيانهم يقولون للرئيس السادات مادامت الحرب بعيدة المنال فأعطنا حريتنا · ولم نكن نعلم وأنى لنا أن تعلم أن الحرب قاب قوسين أو أدنى والكاتب الذى ظللنا السنوات الطوال نبحث عن مصائرنا فى ضباب صراحته قد أعلن أن دون الحرب أهوال لايقوى عليها الا الجن والشياطين ونسى أن الله الذى خلق الجن العاصى خلق الجن الصالح المؤمن فكان جيشنا منهم وصاح الله أكبر وكان النصر الذى لم نكن نحن أصحاب البيان نتوقعه فحين شهدناه لم نكابر ولم نجادل فى الحق الذى لاشك فيه واعترفنا جميعا بعظمة السادات لم يتخلف منا أحد ولا حتى المأفون والمخدور الغارق فى خمره ومورفينه ·

فالأستاذ هيكل كان دائما الزغرودة والأغنيـــة السعيدة الهانئـة والأهزوجة الفرحانة الطروب فى أحزاننا وأهوالنا وآلامنا ومأتمنا ٠

وكان البوم المشؤوم والغراب الناعق وزعيم النائحات فى أفراحنا الحقيقية التى تتمثل فى عودة حريتنا وفى انتصار جيشنا وفى افشاء السلام على ربوعنا وفى عودة سيناء الى أرضنا وهى ملتقى كلام الله بنبيه موسى ومراح يوسف الصديق ومأمن مريم وعيسى ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى ٠ وهى من بعد ومن قبل التاريخ أرض مصر ٠ أترى أن مثل هذا يمكن أن يثير العجب فيما يفعل أو يقول هيهات ٠

١٩٨٣/٥/١١ ٠٠

الحق واضح

لا انسى كلمة منثورة كتبها الشاعر الكبير عزيز أباظة قال فيها « ان النصائح هى أبغض الطيبات على النفوس ٠٠ » وانى مؤمن بهذه الحكمة ايمانا كاملا فالذى يسألك النصيحة فى أغلب الأمر يريدك ان تشير عليه بما عزمت نفسه على صنعه وليس بما يمليه عليك ضميرك ٠٠ فان وافق رأيك ما ينتويه فأنت فى رأيه قد نصحت فأخلصت فان خالفت مذهبه فأنت عنده لم تخلصه النصيحة ٠٠

فان كان هذا للفرد فان أمرك مع المجموع أشد خطرا ٠٠ فانه من نافلة القول ومن العبث الضائع ان ننصح الشعب بالأمانة والاخلاص فى العمل والجدية فى الانتاج ومراعاة الله فى العمل وفى أداء الواجب كاملا مادام قد تقاضى الحقوق كاملة ٠٠ فليس بين البشر من لا يعرف اين تنتهى حقوقه وأين تبدأ واجباته ٠٠ فاذا رأيت ظالما ذا لجاجة على الحق واعتداء على العدل ٠٠ فهو جائر يعرف انه جائر وليس الحق بمبهم عنده ولا هو بغامض وانما هو كما قال الشاعر القديم :

والظلم من شيم النفوس فان
تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

والله سبحانه وتعالى هو خالق النفوس يعرف منها وخائنة الاعين وما تخفى الصدور ولا يغيب عنه من ظاهر الانسان ومن باطنه نامة ولا خلجة ولأنه سبحانه يعرف هذه النفوس خلق لهم الثواب والعقاب ولو كان البشر يسيرون على الصراط المستقيم دون خوف من عقاب أو طمع فى ثواب لاكتفوا بما هداهم به الله وليس بعد هدى الله هدى ٠٠ فالحرام بين والحلال بين ٠٠ والضمائر رقيبة على النفوس ٠٠ والضمائر تعرف الحق وتجيد معرفته ولكنها ٠٠ أيضا تعرف كيف تنام وتغفو وكيف تبيح ما ليس مباحا وتجيز ما ليس جائزا ٠٠

فالبشر لا يحتاجون بعد الكتب المنزلة الى من يهديهم سواء السبيل وربما احتاجوا الى من يشرح لهم ما جاء فى هذه الكتب فى تفصيل ٠ أما الأسس فلا تحتاج حتى الى شرح فليس بين البشر من لا يعرف ان الاعتداء على أى حق من حقوق الآخرين كبيرة عند الله ٠٠ فالاعتداء على

العرض كبيرة والاعتداء على المال كبيرة والاعتداء على الكرامة كبيرة وكبيرة الكبائر الاعتداء على حقوق الدولة لأنه اعتداء على حق المجموع والمجموع أعظـــم من الفرد وصـــور الحقـد تتسع فتشمل فى ثوبهـا حقوق شعب بأكمله ..

فمحاولة النصح للناس الا يسرقوا والا يعتدوا على عرض الى آخر هذه المحاولات عبث .. فكل انسان يعرف تماما وهو يرتكب هذه الجرائم انه يرتكب اثما يرفضه الله من فوق سبع سموات ويرفض كل انسان شريف فى المجتمع ، بل قد يرفضه غير الشريف أيضا ولكن يرفضه ان وقع من غيره ويقبله لنفسه فمن بين مخادعات النفس للنفس أن كثيرا من الناس يعتقدون انهم صنف آخر غير صنف البشر وان ما هو محرم على الناس مباح لهم . وبعض الناس من غير الشرفاء يرفضون اجرام الغير بألسنتهم ويعجبون به فى دخيلة أنفسهم ويتوهمون انهم لو انهم هم الذين ارتكبوا هذا الجرم لكانوا خليقين ان يستروه ، فلا يظهر ولا يعرفه أحد فهم حين يعلنون غضبهم على المخطيء لا يغضبون للخطأ فى ذاته وانما يغضبون لخيبة فاعله الذى لم يدبر أمره بحيث لا ينكشف ما ارتكب ولا يفتضح ما أجرم .. وهم طبعا لا يعرفون بيت ابن ابى سلمى ..

ومهمـــا تـــكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على النـــاس تعـــلم

الناس اذن ليسوا فى حاجة الى نصح أو ارشاد وانما هم فى حاجة أشد الحاجة الى ثواب وعقاب فينال المحسن جزاء احسانه وينال المسيء عقبى اساءته . فالبشر بشر وليسوا ملائكة .. وهيهات أن يقوم انسان بعمله ان لم يعرف ان وراءه قانونا سيثيبه بالخير عند احسان وسينزل عليه العقاب عند اساءة .. على هذا تسير الدول بشتى نظمها الدول الشيوعية تقتل المسيء فان ترفقت نفته الى ما يشبه الموت . واذا غاب العقاب والثواب انتكس الانتاج وتناقص الى أسوأ حال يمكن أن يصل اليه . ولن يكون هناك مخلوق أرفق بخلق الله من الخالق نفسه وهو سبحانه وتعالى أعد للظالمين سعيرا وأعد للمتقين جنات النعيم .

مايو ١٦/٥/١٩٨٣ ..

المجتمع والأدب والسياسة

قدم الى الصحفي الأديب الفلسطيني يوسف بركات موفدا من جريدة أردنية كبرى وكان من بين الأسئلة التي وجهها الى « لماذا يكتب الأستاذ احسان عبد القدوس مقالات سياسية بكمية أكبر مما يكتب في القصة أو الرواية . ألست ترى انه يجب عليه أن يعود الى كتابة القصة والرواية ويقلل من كتابته للمقال » .

وكأن جوابي على الصحفي هو ان الكاتب يستلهم نفسه فيما يكتب ويترك قلمه على سجيته فان أرغم القلم على لون بذاته نفر منه القلم وأبى ان يجرى في يده . وقد رأيت الموضوع جديرا بمناقشة أكثر اتســاعا فالقصة أو الرواية لا يستطيع الكاتب أن يقتسرها اقتسارا أو يعتسفها اعتسافا فهي فكرة تثب الى الذهن يقذف اليه بها مجهول لا يعلم أحد الا الله حقيقتها يسميها بعض الناس وحيــا ويسميها بعض آخرون الهاما وهي مسميات لمجهول يحاول بها المخلوق ان يستر جهله .

فهيهات وألف هيهات ان يكتب روائي أصيل رواية لا تنبعث شرارتها الأولى من ذلك المجهول الذي نطلق عليه أسماء ولا نعرف عن سره شيئا وكذلك الأمر في المقالة وفي القصة وفي المسرحية . فالكاتب يعتمد دائما على تلك الخاطرة التي تومض في ذهنه ثم تتناولها موهبته وقلمه وثقافته وتجربته فتصبح في الصورة التي يطالع بها الناس . فليس من حق أحد مهما يكن شأنه أن يسأل كاتبا لماذا تكتب مقالة ولا تكتب قصة قصيرة أو رواية أو مسرحية لأن الخاطرة الأولى هي التي تحدد للكاتب الطريق الذي يرى أنه يصلح لمسيرة هذه الخاطرة وبلورتها .

وليس من حق أحد أن يسأل كاتبا لماذا يكتب في السياسة ولا يكتب في الأدب . فليس هناك أدب بلا سياسة الا أن يكون أدبا رومانسيا يستنبع الخيال . فكل أدب عظيم أدب سياسي لأن السياسة تتسع فتشمل كل مناحي الحياة في المجتمع . والأدب يتسع ويشمل كل خفايا الانسان وكل أفعاله . فاذا لم يلتق الأدب والسياسة ومجال كل منهما الانسان فانها تصبح عجيبة من العجائب التي لا يسيغها منطق ولا يقبلها عقل سليم .

حتى الشعراء فى العصور التى كان الشعر فيها وسيلة لكسب العيش كانوا يكتبون أدبا سياسيا ٠

فحين يقول المتنبى فى رائعته شعب بوان :

يقـــول بشـــعب بوان حصـــانى
اعن هذا يســـار الى الطعـــان

أبوكـــم آدم ســـن المعـــاصى
وعلمكـــم مفـــارقة الجنـــان

يصبح شعره من عيون الأدب الانسانى والسياسة موضوعها الانسان فهو يدعو بابياته الى السلام ويسخر من الانسان الذى يترك النعيم ليسعى الى الشقاء والقتل وسفك الدماء ٠

وحتى حين يصف المتنبى شعب بوان وجداوله وعناقيد العنب فيه وخمائله يصف الانسان ومدى الجمال الذى يستطيع أن يحققه اذا اتقن عمله ٠ وهذا شأن من شئون السياسة ٠

وحين يصف سيف الدولة فى الحرب ويقول :

وقفت وما فى الموت شـــك لواقف
كأنـــك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطـــال كلمى هزيمـــة
ووجهـــك وضـــاح وثغرك باســـم

نجده سياسيا من الطبقـة الأولى يصف شجاعة القـائد الحربى وما ينبغى ان يكون عليه من الجرأة والسكون والهدوء فى عاصف الحرب ودفاعها والحرب جزء من السياسة ٠

واذا تركنا المتنبى وذهبنا الى البحترى وتذكرنا أبياته الرائعة فى السينية الشهيرة عن ايوان كسرى التى يصف فى أبيات منها الرسوم فى الايوان ويبلغ القمة الرفيعة من تجسيده هذه الرسوم فيقول :

يغتلى فيهمـــو ارتيـــابى حتى
تتقراهمـــو يـــداى بلمس

فهو لا يصدق ان هذه الرسوم رسوم فيجرى أصابعه عليها ليستوثق انهم ليسوا أحياء وانهم حقا رسوم ٠

هو فى هذه القصيدة يصف التاريخ ومدى الرفاهية التى كان يعيش فيها كسرى ٠ والتاريخ مصدر رئيسى للسياسة وتسجيل لها فى وقت معا

والبحترى سياسى حين يصف مقتل المتوكل بقصيدة من أروع قصائد الأدب العربى والتى يقول فيها :

أكان ولى العهـد اضـمر غـدرة
فمن عجب ان ولى العهـد غـادره

وهو فى هذه الكلمات القلائل يضع قضية سياسية كاملة مقتضاها انه لا يجوز ان يقوم بأمر الجماعة غادر لا عهد له ولا موثق .

وإذا تركنا هذا الزمان والشواهد فيه تجل عن الاحصاء وجئنا الى عصرنا الحديث استحال علينا ان نلم بالشعر السياسى الذى قيل فيه وحسبنا ان نلقى نظرة سريعة خاطفة على شعر أمير الشعراء ولن الجأ الى الديوان وأنا اكتفى بما أذكر .

فى السينية التى يقول فى مطلعها :

اختلاف النهـار والليـل ينسى
اذكرا لى الصـبا وأيـام أنسى

وسلا مصر هل سـلا القلب عنها
أو أسى جرحـه الزمان المـؤسى

كلمـا مرت الليـالى عليـه رق
والعهـد فى الليـالى تقسى

نفسى مرجـل وقلـبى شراع
بهما فى الدمـوع سـيرى وارسى

واجعـلى وجهـك الفنـار
ومجراك يد الثغر بين رمل ومكس

وطنى لو شـغلت بالخلـد عنه
نازعتنى اليـه فى الخلـد نفسى

ولن أذكر شعرا لشوقى بعد ذلك فان الأمر يحتاج الى كتب عديدة ليلم بشعره السياسى فان أغلب شعره سياسى وحسبى ان أذكر بعضا من قصائده « كبار الحوادث فى وادى النيل » « صدى الحرب » « انتصار الأتراك » « بعد المنفى » « مشروع ملنر » « مشروع ٢٨ فبراير » « تكليل انقره » « وداع كرومر » « نكبة دمشق » فاذا أضفنا الى هذه القصائد أغلب مراثى الجزء الثالث نجد ان السياسة هى المصدر الأول لالهام شوقى .

واذا انتقلنا الى عزيز أباظة نجد كل رواياته سياسية حتى قيس ولبنى لا تخلو من السياسة · وان نقاشه لحكم الفرد وحكم الشعب فى روايته قيصر تعتبر من كنوز الفلسفة السياسية ·

فاذا تركنا الشعر وانتقلنا الى النثر نجد ان جميع كتابنا بلا استثناء تقف السياسة وراء كتاباتهم لا تتركهم ولا هم يبتعدون عنها فطه حسين والدكتور هيكل والعقاد والزيات والمازنى والحكيم ونجيب محفوظ ويوسف السباعى وعبد الرحمن الشرقاوى واحسان عبد القدوس وفتحى غانم وكل من لم أذكرهم لا يكاد يبتعد منهم أحد عن السياسة وان ابتعد فهو انما يولى وجهه الى المجتمع والمجتمع هو مسرح السياسة وشغلها الشاغل · فليس غريبا اذن أن يكتب احسان مقالاته وليس غريبا أيضا ان تتجه روايات له كثيرة الى السياسة بل ان رواياته الاجتماعية هى فى ذاتها سياسية لأن الرواية لا مورد لها الا المجتمع الذى هو أساس السياسة · فالسياسة هدفها الأول أن ترتقى بالمجتمع أو هكذا يدعى الساسة على الأقل ولا يرد على هذه القاعدة خذلان ان جعل بعض الساسة مناصبهم شباكا لمنافع شخصية ففى كل فئة الصالح والفاسد ولا يعيب هذا الفئة وانما يعيب الفرد وحده ·

الأهـــرام ١٩٨٣/٥/٢٠ ··

القاموس والمعارضة

قرأت فى جريدة معارضة مقالا لرجل احترمه ويحترمه الرأى العام ولفت نظرى عنوان المقال من ان حرية الرأى المتاحة اليوم هى حرية النباح · وعجبت ان يقول رجل فى مثل مكانته هذه القولة ويكتبها ويوقع عليها ·

ورأيت ان أرجع الى القاموس أبحث عن الكلمة فاننى لم اتصور ان يكتب رجل عرف برجاحة العقل وقوة المنطق ويحتم عليه عمله أن يعرف معنى الكلمة ، هذه اللفظة بمفهومها الذى نعرفه ويصف بها الحرية التى يتمتع بها كما تتمتع بها الجريدة التى نشر بها هذا الرأى كما تمرح فى اتساعها كل الجرائد المعارضة ·

ورجعت الى القاموس وبحثت عن مادة نبح وهاك ما وجدت « نبح نبحا ونبوحا ونبيحا ونباحا وتنباحا الكلب صات فهو نابح والجمع نوابح ونبح ونبوح · يقال نبحه الكلب ونبح عليه وأصل النباح لصوت الكلب » اذن فالنباح الذى يقصده الأستاذ الدكتور بجريدة الشعب هو النباح الذى نعرفه للكلاب ويعرفه معنا كل من ينطق العربية الأصيلة أو العامية · أفيكون الأستاذ الدكتور قد عرف للنباح معنى آخر لم يرد فى القاموس ··· ربما ··· فان كان ذلك كذلك فلماذا لم يشر الى هذا المعنى فى صدر مقاله وخاصة انه لم يقل فى المقال جميعا شيئا يستحق المناقشة الأمر الذى دهشت ان يكون من رجل له ما للأستاذ الدكتور من شهرة واحترام ·

أفيقصد الأستاذ الدكتور ان كلام المعارضين نباح · الحقيقة ان العنوان والمقال لا يمكن ان تخرج منهما بغير هذا المعنى والأستاذ الدكتور محام كبير فلماذا لم يختم مذكرته بالطلبات التى تعلمنا حين كنا نعمل بالمحاماة انه ينبغى ان تختم بها كل مذكرة · أليس من حقنا أن نطالب الأستاذ الدكتور أن يذكر لنا فى نهاية مقاله ماذا يريد · أوليس من حقنا اذن ان نضع نحن هذه الطلبات أو نضع النتيجة المنطقية للمقدمات التى ساقها فنتصور انه يطالب المعارضة ان تقلب صوتها من النباح الصوتى الى الكلام الآدمى فتقول ما يفهم وتناقش الأمور وتقترح على الهيئة التنفيذية أو الهيئة التشريعية حتى تصبح معارضتها ليست أصوات نباح التى رأى الأستاذ الدكتور انها أصواتهم ــ وانما أصوات بشر يتفاهمون ويعرضون للرأى بالنقد والتفنيد لا بالنباح ·

فاذا كان هذا ما يقصد اليه الأستاذ الدكتور ولا احسب انه يقصد الى غيره فنعم الرأى رأيه واكرم بالهدف الذى يسعى اليه ٠

واذا استمعت المعارضة الى هذا الرأى واستجابت له اتيح للقائمين بالأمر ان يتعرفوا ما تريد المعارضة فى كلام واضح مبين لأن الناس لا تستطيع أن تفهم شيئا من النباح الذى يصف به الأستاذ الدكتور الحرية المتاحة اليوم ٠ حتى سيدنا سليمان عليه السلام تعلم لسان الطير وما أحسبه تعلم للنباح معنى ٠

وبعد فمعالم الحرية واحدة لا تكاد تتغير من بلد الى آخر ولكن الذى يتغير من بلد الى بلد بصورة بشعة هم الممارسون لهذه الحرية ٠

فاذا استجابت المعارضة لدعوة الأستاذ الدكتور وقالت ولم تنبح أصبح من الممكن ان تستجيب الهيئة التنفيذية بدورها لدعوة كاتب آخر معارض لكل شيء ينشر مقالاته بجريدة قومية يدعو فيها الحكومة ان تستجيب لاقتراحاته المعارضة ٠

واحسب انه يريد من الحكومة ان تستجيب لاقتراحاته هو فقط لأن المعارضة فى رأى جريدة الشعب وكاتبها الكبير تنبح ولا تقترح فاذا كان فيها واحد يقترح أحيانا اقتراحا فهو صوت واحد لا يبين بين أصوات النباح ٠ ولا أحسب ان الصوت الواحد يكفى لتستجيب الهيئة التنفيذية والتشريعية لمقترحاته ٠ فانه يبدو لى ان هذا الكاتب الذى ينتمى بولائه واعجابه وحبه وثرائه الى العهد الشمولى يرى انه ينبغى على مصر ان يقول فيصبح قوله هو الأمر وان يشير فتصبح اشارته هى النفاذ والطاعة والامتثال ٠ والواقع الذى ننشده جميعا أن يصبح الأمر شورى وأن تثبت دعائم الديمقراطية التى تتصارع فيها الآراء ويكون الخضوع فيها لرأى الأغلبية التى نتمنى ان تصبح مع الأيام أغلبية رشيدة بعيدة من الغوغائية والله سبحانه كفيل بتحقيق الآمال جميعا ٠

مايو ١٩٨٣/٥/٢٣ ٠٠

الى هؤلاء وحسبى هم

اصدر وزير الداخلية بيانا ان هناك عناصر شيوعية تعمل فى الخفاء وقد يبدو هذا غريبا وهو فى نفس الوقت غير عجيب . اما انه يبدو غريبا فذلك لأن قراء هذا النبأ سيتساءلون فيم يعمل الشيوعيون فى الخفاء ولهم جريدة تصدر في مصر تحمل كل آرائهم وتحمل من أفكارهم ما يصدم الشعور العام ويثير النفوس الشريفة وهم لا يكفون بجريدتهم عن تمزيق جروح الناس وتأليبهم على النظام العام وهم يقولون ما يقولون فى علن وفى غير مواربة ولا غموض .. ففيم اذن حاجتهم ان يعملوا خفية .

الى هـذا قد يذهب تاريخهم وأخـلاقهم وتركيبة مذهبهم وتكوين نفوسـهم ..

أما غير هؤلاء وانا منهم فنرى ان عملهم السرى لا غرابة فيه فكما لا يعيش السمك الا فى الماء لا يعيش الشيوعى الا تحت الأرض وانى اعتذر للسمك ان شبهتهم به .. فان خياشيم الشيوعى لا تستطيع ان تشم من الهواء الا فاسده .. فهناك تحت الأرض فى سراديب العفن الذى يعيشون فيه .. يدبرون المؤامرات ويختلقون الشـائعات ، ويبتكرون التهم على الشرفاء ويمزقون السمعة الواضحة النقاء ، ويعلنون فيما بينهم سخيمتهم على كل من يتقى الله والضمير فيما يقول أو يفعل أو يتغيا .

وهناك سراديب العفن يبيتون أمرهم بالليل الدائم الذى يعيشون فيه على الايمان بالله ، يحاولون ان يزعزعوا رواسخه الشماء فى نفوس المؤمنين ..

وفى هذا الخفاء تدبر الكوارث التى لا يستطيون ان يعلنوا عنها فى الصحيفة المعلنة على الناس ، وانما تعمل الصحيفة على تهيئة الرأى العام لما يدبره المتآمرون المستخفون فى غياهب الأرض من مؤامرات ضد الدين والوطن والشرف ، والنقاء ، والحرية ..

فارض الشيوعية لا تكون الا فى مستنقع العذاب والانسحاق لجماهير الناس ، ولا ينمو نبتها الا بدماء البشر وعصير كراماتهم ..

ورجال الأمن هم المسئولون عن أمر هؤلاء ونحمد الله ان وزير الأمن عندنا يقظ على علم بما يفعلون ونحمد الله ان عينيه قد اخترقتا عليهم سراديبهم وكشفت عنهم خفاءهم ..

ولكننا نحن الشعب نجد الأجواء من حولنا تفوح منها في كثير من الأحيان ريح الشيوعية .. وان كان هؤلاء المتآمرون يدبرون أمرهم تحت الأرض فان هناك قوما آخرين يسترون عن العلن بالتنكر في ازياء بريئة يخفون تحتها أسلحة فاتكة تنفذ الى العلن في حياتنا بخبث أسود . وربما كان الذين تحت الأرض هم الذين يرسمون الأدوار ويحددون الأعمال لمن هم على سطح الأرض .. فان أولئك يتولون من أمورنا نواحي هي غاية في الخطورة .. وهم يبثون الدعاية الشيوعية مستخفية في كلام ظاهره بريء ولكن الحقيقة فيه تحمل السم الزعاف .. وقد يتنكر هذا الكلام في زى تمثيلية أو مسرحية يتنبه للشيوعية فيها بعض الناس ويسرى السم في نفوس البعض الآخرين دون ان يدركوا أنهم تجرعوه وسرى في دمائهم ففي أجهزة الاعلام فئة ليست قليلة من الشيوعيين .. وفساد الفرد منهم يكفي لفساد الآلاف لأنهم متصلون بالجماهير ولهم في الحديث اليهم تمرس ودربة .. ولهم في دس السم الشيوعي بأعمالهم وسائل وطرق ..

والشيوعيون أيضا منتشرون في الوسائل الأخرى لمخاطبة الجماهير وقد يتنكر بعض منهم بكثرة الحديث عن الايمان أو باصدار كتب عناوينها الايمان وموضوعها الالحاد وهؤلاء يتخذون من وظائفهم الرسمية درعا يدارون بها عن أنفسهم المظنة لأن المتعاملين معهم يسترون عليهم ليبلغوا هم هدفهم الذى يسعون اليه من نشر أو اذاعة أو تليفزيون ..

وهناك أساتذة في الجامعات يمسكون برقاب الطلبة العزل الذين لا يملكون سلاحا أمام السلاح الفاتك الخطير الذى يشهره الأستاذ الشيوعي عليهم من اسقاط في الامتحان واضاعة للمستقبل وتدمير للحياة .. وهؤلاء الأساتذة الشيوعيون لهم جرأة على الحق لا تتأتى الا لمن ألحد بالله والوطن والقيم الرفيعة وبالخلق الأسمى وتدلى الى حضيض لا يبلغه الا من كان مثلهم شيوعيا ..

وبعد فان عملي الحياة ان انبه الناس الى هذا الوباء فان كانت كلماتي هذه ستستطيع ان تجد سبيلها الى الناس فيصبحوا على حذر مما يدسه الاعلاميون الشيوعيون من سم لهم فما حيلتي مع هؤلاء الطلبة المغلوبين على أمرهم والأساتذة يسدون عليهم منافذ الحياة ..

احسب انه ليس هناك من سبيل الى هؤلاء الأساتذة الا ان يكون زملاؤهم من المؤمنين بالله وبالوطن على بينة بأمرهم ..

وان تكون مجالس الجامعات على وعى بما يصنعه هؤلاء الشواذ فيقمعوا جبروتهم ويقلموا اظفارهم السفاكة ، ويحدوا من بطشهم الرهيب ..

ولقد أعلم ان هناك من يتساءل عن هذا الحديث الذى نسوقه عن الشيوعية فان كان للمؤمنين فهم ليسوا فى حاجة اليه فلن يستطيع الكافرون مهما يكن لهم من أساليب أن يزحزحوا ايمانهم قيد شعرة ..

وان كان الحديث للشيوعيين فهم مرتبطون بمذهبهم ارتباط حياة مادية تعود عليهم بالبحبوحة فى العيش والرفاهية فى الدنيا التى اشتروها بآخرتهم وبوطنهم وبكرامتهم وبضمائرهم .. فما هم اذن بعائدين الى الطريق الحق مهما يكن الحق واضحا أمامهم ومهما تكن الحجة التى تواجههم منى أو من غيرى قوية لا رد لها ولا جواب عليها ..

والحق اننى اكتب هذا الذى اكتبه لشباب برىء لم يختر طريقه بعد وتتجاذبه نوازع متعارضة من أضواء الكلمات البراقة التى يلفقها عليهم الشيوعيون .. من تقدميه ورفض للرجعية وخروج عن مألوف الناس من دين ووطنية وخلق ونوازع أخرى مما استقر عليه المجتمع الشريف من قيم دينية وخلقية ووطنية ..

الى هؤلاء اسوق الحديث وحسبى هم ؟

الأهرام ١٩٨٣/٥/٢٩ ..

الآن عرفت السبب

الأستاذ عبد الدايم أحمد عمر موجه عام اللغة العربية يصرخ ونحن أبناء العربية نصرخ معه • ضاعت اللغة العربية وهى الى ضياع أشد مع ما تلقاه من وزارة التربية والتعليم فكلام الأستاذ عبد الدايم أحمد عمر كلام رجل مسئول وليس الأمر هزلا ولا قولا من غير مختص •

فهو يقول ان النظم الجديدة منها ألا يرسب تلميذ فى الصف الأول الاعدادي والنقل شبه الالى من الصف السادس الابتدائى اذا كان راسبا فى اللغة العربية • ثم يضيف ان نسبة النجاح فى الصف الأول الاعدادى باحدى المدارس التى زارها فى الأيام الأخيرة هى ٤٣٪ فاذا بالادارة ــ ولا أعلم اى ادارة ــ تصدر الى المدرسة أمرا • انه لابد أن ينجح الجميع فى الدور الثانى فلا رسوب ولا اعادة فى الصف الأول • والى هنا ينتهى كلام الأستاذ الموجه • والذى نعرفه ان الطالب اذا لم يعرف مبادىء اللغة فى السنوات الأولى من حياته المدرسية يصبح من العسير عليه ان يكون على الفة أو معرفة باللغة بعد ذلك • وقديما علمنا أساتذتنا ان العلم فى الصغر كالنقش على الحجر • فلا عجب اذن والحال على ما ذكر الموجه ان يصبح التعليم فى المدارس المصرية فى الصغر كالنقش على الماء لا يجدى ولا يأتى بثمرة •

وقد كنت اعجب كيف يرســـل الى خريجون من الجامعات مقالات وما يسمونه هم بقصائد واجد فيها أخطاء املائية تتأبى على الحصر وتثير فى نفس الوقت لواعج الألم واليأس والأسى لما بلغته اللغة العربية عند أبنائنا • أما اليوم وبعد أن قرأت ما كتبه الأستاذ الموجه لا عجب بل العجب أن يكتب هذا الجيل كلاما سليما لأنه حينئذ سيكون قد بذل جهدا مضاعفا ألف ضعف ليقيم لغته معتمدا على نفسه دون عون من مدرسة أو استاذ •

وكم أنا حزين ان أوجه هذا الحديث الى وزارة التربية والتعليم التى يقوم على شأنها رجل أكن له كل تقدير واحترام • ولكن الكارثة أعظم من أن نسكت عليها • أما يكفينا ما حل باللغة العربية وبتعليم القرآن الكريم حين أصبح الأزهر جميعه مدرسة مدنية أو جامعة مدنية لا يختلف شأنه عن آلاف الجامعات باقطار الأرض • أكان لابد ان تكتمل المصيبة أيضا بأن النجاح فى اللغة العربية يصـــبح مفروضـــا دون ان يتعلم التلاميذ شيئا •

اننى أعرف أن العجز فى المدرسين وفى أماكن الدرس هو السبب الذى يقف وراء هذا الأمر العجيب الذى طالعنا به موجة اللغة العربية . ولكن أيكون العجز سببا أن تصبح مدارسنا ديار جهالة بدلا من أن تكون ديار علم .

كيف يمكن ان يتعلم التلميذ اذا لم يكن على ثقة انه سيسقط آخر العام ان لم يذاكر وسينجح اذا هو ذاكر . أم ترى أصبح التلاميذ الصغار يتمتعون بحق النجاح دون عقوبة السقوط شأنهم فى ذلك شأن العاملين الذين لا يؤدون واجبهم ويملأون الدنيا صراخا مطالبين بحقوقهم . فواضيعة العـــلم اذن .

واذا كان التلميذ لا يعرف فى بدء حياته ان العلم حتمى وان المذاكرة هى الســـبيل الوحيد ان يصبح متعلما فمتى يعرف ذلك . ان خطوات التلميذ الأولى هى التى تحدد وجهته فى الحياة وهى التى ترسم له الطريق حين يشب عن الطوق . وقد سمعنا من علماء النفس ان الطفل وهو رضيع يحتاج الى عطف أمه ويحتاج الى من يهدهد فراشه ويربت كتفه ، فاذا كان هذا وهو بعد رضيع فكيف يكون الأمر اذا وجد التلميذ المجد نفسه يتساوى مع اللاهى الذى لا يبذل أى جهد الا فى لعب الكرة ومشاهدة التليفزيون . وغير ذلك مما لا يتصل بالمذاكرة أو التعليم . وما الذى يدعوه للمذاكرة والكرة أكثر متعة والتليفزيون أكثر تسلية وهو على كل ناجح ناجح وليذهب العلم والدراسة والمستقبل الى أى جحيم يشاء .

وحسبنا الله ونعم الوكيل فى مستقبل التعليم ولا أقول الثقافة فى مصر العظيمة .

مايو ١٩٨٣/٥/٣٠ . .

الكتاب والكرة

حين كنت طالبا بالمدرسة الثانوية كانت المكتبة فى المدرسة عامرة بكل ما نفكر أن نقرأه من الكتب • ولم نكن نكتفى نحن التلاميذ بذلك وانما كنا ننشىء مكتبة فى فصلنا يأتى فيها كل تلميذ بما قرأه من كتب اشتراها وتكون النتيجة أن يقرأ تلاميذ الفصل جميع الكتب التى اشتراها زملاؤه • ولم تكن الكتب مرتفعة الثمن شأنها اليوم ولم يكن الآباء يضنون على أبنائهم بثمن الكتب •

وكنا فى أيام الأجازات الصيفية نجد المكتبة العامة فى باب الخلق نقرأ فيها كل ما نريد • فاذا انتقلنا الى الزقازيق وجدنا مكتبة البلدية وبها كل ما نطلبه • فاذا ذهبنا الى المصيف فى رأس البر أو الاسكندرية كانت الكتب تسعى الينا على الشواطىء وفى الكازينوهات المقامة على البحر الأبيض أو على النيل •

وكان من المفروض أن يزدهر الكتاب وينتشر على مدى الأعوام ولكنه واحسرتاه انحسر وذوى واقفرت منه الحياة •

ولست انسى خطابا جاءنى من احدى مدن الصعيد كتبه الى طالب بالجامعة يقول لى أنه لم يقرأ فى حياته الا نصف كتاب استلفه من صديق له واسترده الصديق قبل أن يتاح له أن يكمل قراءته •

والواقع ان هذا الخطاب ملأنى جزعا واشفاقا على مستقبل الشباب عنـــدنا •

وربما يقـــول قائل وكيف للشـــباب أن يقرأ واغراء التلفزيون والرياضة والملاعب يأخذ عليه كل وقته • وهذا قول مردود • فقد كانت الرياضة مزدهرة فى أيامنا مع الكتاب • ولكل عصر متعه وملاهيه فقد كنا نشاهد أفلام السينما جميعها تقريبا وكنا نذهب كل أسبوع الى مسرح الريحانى الرائع الخالد الذى لم يأت له مثيل أو قريب من مثيل حتى اليوم • فحياتنا لم تكن قراءة فقط وانما كان الكتاب هو أعظم متعة فى حياتنا التى كانت مليئة بأصناف الامتاع الرفيع الأخرى •

واذا كان التليفزيون اليـــوم يسد منافذ الحياة فالحاجة الى الكتاب

تصبح أشد فربما كان فى الكتاب ترياقا من سم المسلسلات التافهة وربما اذا عرف الشباب الأدب الرفيع اضطر كتاب المسلسلات أن يبذلوا جهدا ليقدموا الى المشاهد المثقف فنا رفيعا أو قريبا من الارتفاع على الأقل ٠ وأعجب وأنا أشاهد فى كل قرية ناديا رياضيا ٠ ويهتم ذلك النادى بالكرة على جميع أصنافها من كرة قدم الى كرة يد الى كرة طائرة الى كرة طاولة وان النفقات التى تبذل فى اعداد لعبة واحدة من لعبات الكرة تكفى لانشاء مكتبة حافلة ولكن القائمين بأمر الشباب استقر فى أذهانهم بصورة لا تقبل المناقشة أن يهتموا بالأقدام ويتركوا الرؤوس ٠

فاذا كان هذا أمر هيئات الشباب أفما كان من الطبيعى أن تعوض وزارة الثقافة هذا الاهمال الفظيع فى شأن الكتاب عند هيئات الشباب بأن تقيم مكتبة فى القاهرة تليق باسم القاهرة ثم تقيم مكتبة فى كل حى ومكتبة فى كل مبنى من تلك المبانى التى ظلموها فأطلقوا عليها قصور ثقافة وربما كان أولى بها أن يسموها قصورا فى الثقافة لتقصيرها فى شأن الكتاب ٠

واذا كانت وزارة الثقافة قد تخلت عن الكتاب واعتبرته مادة لا تدخل فى اطار اختصاصها الثقافى ٠ أفلا ترى وزارة التربية والتعليم أن واجبها يحتم عليها أن تقوم هى بامداد مكتبات المدارس بالكتب بحيث يجد التلاميذ بغيتهم فيها وتتعاون مع الناشرين ليمدوا المكتبات بالكتب بدلا من أن تعفى نفسها من هذا الواجب مكتفية بأن تعطى كل مدرسة بضعة مليمات ينفقها النظار فى نشاطات الجسم ولا يفكرون أن ينفقوها فى نشاطات العقل ٠

واذا كانت كل هذه الهيئات قد تخلت عن واجباتها فكيف نستطيع أن نقول للشباب تلك الكلمة التى افتتح بها الله سبحانه رسالته الى خاتم الأنبياء وسيد البشر صلى الله عليه وسلم « اقـرأ » فان أول سؤال سيجيبنى به الشاب ماذا أقـرأ وأين أقـرأ وكيف أقـرأ وأين لى بثمن الكتاب وأين لى بالمكتبة العامة ٠ فلا لوم عليه اذن ولا تثريب أن يكون جاهلا أشد الجهل مادام يعيش فى مجتمع أصبحت فيه الأقدام فوق الرؤوس ٠

مايو ١٩٨٣/٦/٦ ٠

لابد لهـا من وقود

كريم هو الله رؤوف بعباده شفوق ٠ بما رحمة منه استطاع الانسان عبر العصور وعلى مر الدهور أن يحتمل آلامه وأن يصبر نفسه على البلاء تتداول عليه أيام النحس والسعود ٠ والنحس من بعد سعود شر أنواع البلاء ٠ فاذا هو صابر صادق ٠ وتصدق عليه الآيات الكريمات : « كم تركوا من جنات وعيون ٠ وزروع ومقام كريم ٠ ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين ٠ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » « سورة الدخان » ويذهب هؤلاء الى الجحيم أو يغفر لهم ربهم فيوفيهم جزاءهم فانه سبحانه هو العدل المطلق ولهذا فاليأس لا يداخل أبناءهم من رحمة الله ولا يمسهم قنوط ويسعون فى الحياة سعيهم ، منهم من يتبع الطريق الأقوم ومنهم من يحيد ٠ وجميعهم على شوك الحياة صابر ٠ لقد خلق الله هذا الانسان من قوة لا تماثلها قوة ومن ضعف لا يدانيه ضعف هو قوى حين تتصل أسبابه بالرحاب القدسى وحين يتجه بروحه الى الملكوت الاعلى فانه حينئذ يصبح وقد عجزت مغريات الأرض جميعا أن تلحق به ٠٠ قد تتأرجح خطاه فى أول الطريق وقد تراوحه من متع الدنيا أقسام تتخلج لها نفسه بين اقدام واحجام حتى اذا سيطر على نوازعه وتملك أمره وزجر الدنيا ٠ ازدجرت وأصبح هو أقوى ما عرفت البشرية ٠ انه الانسان الذى حمل الأمانة وبيده أن يختار المتعة العاجلة واللذة العابرة والنساء والمال وكل ما يقدمه الشيطان من اغراء أو يخوض فى غير هذا ينظر الى الآفاق العليا من السماء وتصبح هذه الدنيا جميعا بكل ما يحكمه الشيطان فيها هباءة لا قيمة لها الانسان سيدها وجبارها ، وهو هو نفسه عبد الله الخاضع له ، اخبت اليه وسجد مع الساجدين وسبح باسمه واجدا فى عبوديته تسيده ، وفى خضوعه جبروته ، وفى اصابة كرامته عزته ، وفى سجوده مجده وكبرياءه ٠

وذلك الانسان بلغ ما بلغ بايمان داخلى ٠ هو واحد من النجدين الذى هداه الله اليه ٠ وطريق من طريقين ٠ وهو الطائر الذى فى عنقـه ليختار حرا فى اختياره بين لذة سريعة فى الدنيـا وبين متعة خالدة فى الآخرة ٠ ومتعة الدنيا حاضرة ماثلة يشهدها بكل حواسه يراها بعينيه ويشمها ويسمعها ويلمسها ٠ ومتعة الآخرة ايمان فى النفس لا يزيد على

مجرد شعور لم يره ولم يشمه ولم يسمعه ولم يلمسه وانما أدركه بقلبه ، ثم أمعن فيه بعقله وملأت كلمات الله أقطار الدنيا حوله حين يقول سبحانه عز من قائل « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » فاذا الانسان المؤمن يصبح هذا العملاق السيد العبد الجبار الخاضع .

هذا التسيد وهذه العبودية وذلك التجبر وذلك الخضوع هو مصدر سعادة لا يعرفها الا من كان مثله . وبهذه السعادة يقطع الانسان طريقه الوعر الخشن بين أنياب البشر الحادة وبين أضراس الدنيا الفاتكة تغريه بكل فتنتها أو تذله بكل ظلمها ويظل هو ذلك السيد العابد عازفا عن فتنة الدنيا ومتكبرا على اذلالها فلا تملك الا أن تنحسر عنه وهى خاضعة ذليلة .

يعمل فلا يعمل الا فيما يشرف ويسعى فلا يسعى الا فى النور . والناس أغلبهم لا يحبون الشرف ولا يحبون النور . فقد أوهنتهم الدنيا أن يقاوموها وأذلهم سلطانها أن يخضعوها .

هؤلاء المساكين من الناس هم الفئة الغالبة . ضعاف . لا لأنهم لم يتسيدوا الدنيا ويتغلبوا على أنفسهم فان هذا أمر شاق عسير لا يطيقه الا من كان عاتى القوة فذا عملاقا .

أما هم فمساكين لانهم حينما يلقون بأنفسهم الى اضراس الدنيا تظل تمخضهم بين نحس وسعود وبين مرتفع وحضيض وتمضغهم فتفقد نفوسهم احتراما لأنفسهم ويصبحون دون أن يشعروا فى دفاع الهول الوبيل وأى هول يلقاه انسان شر من احتقاره لنفسه وبغضه لها واستصغاره لشأنها . هذا الانسان الحقير هو شر عدو للانسان الذى تمكن من الدنيا وحرمها أن تتمكن منه .

وقد يكون الانسان الضعيف مالكا للمال لا يحصيه عددا ولسلطان ليس له أمد وقد يكون الانسان القوى مقترا عليه فى الرزق وليس له من السلطان نصيب . ولكن وبعزة الله وقدرته يصبح الغنى الباذخ الغنى أمام هذا الفقير حشرة أو أقل شأنا . ويصبح ذو السلطان الشاهق العريض أمام من اختار سلطان الله متسولا يستجدى منه قبسة هينة مما يسعد به من راحة ضمير ، وهدوء خاطر ، واطمئنان حياة ، وثقة بالنفس ولا يستمدها الا من ذلك الايمان وتلك الثقة بالله الواحد القهار .

وتصبح الدنيا عند ذى المال والسلطان هى حياته الواحدة فهو يعلم أنه لو فقدها فالجحيم مثواه فى الناحية الأخرى . فهو أحرص ما يكون على هذه الدنيا . والدنيا لا تذل أحدا قدر ما تذل حريصا عليها . فقد

يزول ماله ويدمر عليه سلطانه وتصدق عليه الآيات الكريمة من سورة الدخان ولكنه يظل متشبثا بالحياة وان كان فيها يتسول المطعم أو كان فيها ذليلا عبدا للبشر ولما يلقونه اليه من فتات ويحاول أن ينسى ولايستطيع أن ينسى قوله سبحانه وتعالى : « يا أيهــــا الانســـان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » « سورة الانشقاق » فهو يخشى هذا اللقاء فهو لم يعد له فى حياته شيئا ٠٠٠ كان فى فم الدنيا الجائعة أكلته وكان يخيل اليه أنه يأكلها وامتصته وكان يتوهم أنه امتصها حتى أفاق الى نفسه استبانت له الحقيقة ٠ لم يبق منه الا ما يصلح للحريق ٠

مسكين هذا الانسان ٠ حمل الأمانة وما كان كفؤا لها والذى خلقه يعلم ضعفه بل لا يعلمه الا هو ٠ وهو سبحانه يمهد بالغفران طريق الخاطئين ويفرس بالرحمة سبيل الضائعين ٠ ولا يرفض فى رحاب رضوانه الا المشركين الذين يجادلون فيه عن جهالة ، ويصـــــدون عن وحدانيته بالحادهم وعن ملكوته بكفرهم ٠ أولئك هم التائهون حقا ٠ وأولئك هم وقودها ٠٠ وانه لابد لها من وقود ٠

الأهــــرام ١٩٨٣/٦/١٢ ٠٠

لا ملجأ الا هـو

أكتب هذا وأنا في طريقي الى أقدس زيارة يقوم بها مسلم فأنا ذاهب لأطوف بالكعبة الغراء وأسعى بين الخالدين الصفا والمروة ثم أزور أشرف قبر عرفته الحياة لأشرف انسان عرفته الحياتان · وأنا رجل كثير الأسفار ولى عند كل سفر بهجة وتشوق واشراق نفسى متطلع سعيد · ولكننى لا أشعر فى سفر لى بما أشعر به فى طريقى الى الأراضى المقدسة ·

فالبهجة التى تحتوينى فى الاعداد لهذا السفر لا تعدلها عندى بهجة فى العالم مهما يكن مأتاها ومهما تتلون أسبابها · يمازجها خشوع نفسى ورضا عن الحياة وتصالح معها وقبول لكل ما نلاقيه فيه من الالاقى · أحس أننى فى طريقى الى مكان يجدد كيانى كله أعود منه فى طهارة وليد، وفى خبرة كهل ، وفى نقاء النور ، وفى شفافية ايمان لا يعرفها الا من يقول من أعماق فؤاده ومن بعيد مشاعره لا اله الا الله · محمد رسول الله · أطوف هناك بأركان الكعبة · لبيك اللهم لبيك · وهل لنا فى الحياة الا لبيك · اللهم لبيك وأسعى بين الصفا والمروة أردد الدعاء كما يلقنه لى الملقن وقد يلحن فى اللغة فأقيم اللحن على لسانى وأستمر فى الدعاء فاللغة هى اللغة التى اصطفاها الله لتكون لسانه وسبحانه الى البشر أجمعين فى المعجزة الوحيدة من معجزات الأنبياء التى شاء سبحانه أن تظل باقية حتى ينفخ فى الصور · حتى اذا أديت مناسك مكة سبقنى قلبى الى الرسول عليه الصلاة والسلام أهفو الى الوقوف فى رحابة فلا والله ما خفق فؤادى مثل خفقه وأنا أمام شباكه يحف به الطاهران أبو بكر وعمر · ما هذا الجلال الذى أضفاه رب العرش على هذا المكان ··· ما هذا الاشراق لا يبرح جنابه فى ليل أو نهار ··· صدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ··· وهل كان الا رسولا نبيا ··· ان الروضة قطعة من الجنة · فنحن هناك فى سماء ولا أرض فى سموق لا تعرفه نفوسنا الا فى هذا الرحاب الأسنى ولولا تواضعه صلى الله عليه وسلم لقال ان أمام شباكه نفحة من نفحات النعيم · وهناك حيث مهبط الوحى وحيث وصل جبريل عليه السلام السماء بالأرض وحيث أرسل الخالق كلماته الى رسوله البشر النبى الأمى سيد العالمين ·

هناك تدرك أن كل ما تعرفه عن الجنة وهم من الوهم ··· لأن الجنة التى أعدها الله للمتقين وصفها سبحانه بما يعرفه البشر ولكن المشاعر

التى سيكون عليها البشر لا يعرفها الا هو سبحانه وتعالى لأنها أبعد ما تكون عن ادراك البشر فى هذه الحياة · ويخيل الى أن نفحة منها تسرى هناك بين الروضة الشريفة وبين مثوى النبى عليه الصلاة والسلام ·

أنا فى طريقى الى هناك فهينة هى الدنيا بكل ما فيها من آمال وآلام · وصغار هم البشر بكل ما يدبرون ويبيتون · ونفسى منذ الآن ليس فيها الا الشوق الى لقاء أول بيت أقيم للناس ببكة المكرمة وأعظم ناثم فى البشر أجمعين ·

كل ما يمر بنا هنا من أزمات لا شىء كل ما يكيده لنا الأعداء هزل لا جد فيه · وكل الحياة بما تسعه الحياة لا يساوى وقفتى أمام أعظم انسان عرفته البشرية وأمام مسعاى بين الصفا والمروة وطوافى حول البيت ·

ولو لم أنل فى حياتى كلها الا هذا الشعور الذى يراوحنى الآن لكان حسبى زادا فى دنياى جميعا ·

مساكين أنتم أيها المشركون لو عرفتم حلاوة الايمان لعرفتم مدى السعادة التى تحيط بى · لكم الله · فانكم مهما تشركوا ستعلمون أنه لا سبيل لنفوسكم أن تطمئن ولا لنيران سعاركم أن تهدأ ألا أن تقولوا هو الله ··· لا اله الا هو سبحانه · ولا ملجأ لنا منه الا له تقدست أسماؤه ·

· ١٩٨٣/٦/١٣ ·

بعض المسلمين وليس الاسلام

الاسلام هو أعظم حضارة عرفتها البشرية فمعجزته هى المعجزة الباقية على الدهور. لا يحتاج أن يرويها راو عن راوية .. وانما هى كتاب كريم فى صحف مطهرة لقفها عام عن عام حتى زاد بقاؤها من الف وأربعمائة عام وهذا واقع حدث فعلا لا مجال فيه لظن وهو باق الى قيام الساعة وهذا يقين المؤمنين الذى يصل فى ثبوته عندهم الى ثقة هى والواقع الذى حدث فعلا سواء ..

وقد يرمينا الملحدون شيوعيين كانوا أو كانوا آدميين اننا نؤمن بالغيب ونسخر نحن المؤمنين مما يقولون فنحن نؤمن بالله الذى يرينا آياته فى الآفاق وفى أنفسنا ونحن مبصرون ، نحن نؤمن بأن الروح فى الانسان والروح فى كل مخلوقات هى من صنع الله لا يعلم سرها الا هو .. ومادام هناك سر لم يعرفه الانسان وهذا السر فى ذاته أصل حياته ووجوده وسبب حياة العالم أجمع فهناك اذن قوة عليا لا يدركها عقل الانسان ولا يستطيع الوصول اليها ..

ونعلم نحن المسلمين ان هذا القرآن لا يسطع الا من قوة عليا لا ندرك مداها ولا سبيل لنا ان نبلغ أيسر أسبابها وبما هذا نحن مؤمنون وبما كتاب الله نحن مسلمون ..

فلا غيب اذن فى الأمر ولا غيبوبة ..

أما الغيبية الحقيقية والرجم بالظن الذى يصل الى أبعد آفاق السذاجة والسطحية فهو فى قول الملحدين شيوعيين كانوا أم كانوا آدميين ان أصل العالم مادة ... عجيبة .. أو كانوا عند ذلك العالم وهو ينشأ .. فمن أين لهم اذن أن يعرفوا ان المادة أصله الا أن يكون ذلك اعمالا للظن الذى لم يثبته علم . فادعاؤهم انهم يعتنقون العلم بهذا الذى يقولون هو فى ذاته غيبية لأن العلم لا يعرف الا اليقين فمن أى يقين عندهم أثبتوا ان أصل العالم مادة ..

ان العلماء الحقيقيين أجمعوا فى أقطار الأرض جميعا على انهم وصلوا من العلم الى ظواهره والى جزء من مداه وان هناك اصبعا تطلع عليهم عند أمد

معين من بحوثهم تامر فى حسم الملك الوحد الأحد : مكانكم ··· الى هناك وينتهى اجتهادكم وما بعد ذلك هو شأن العليم الأول والآخر والذى تنتهى اليه أسرار كل ما فى السماوات والأرض التى هو بديعها ··

ويجمع العلماء انه هذه الأصبع واحدة هى هى لا يتغير شكلها فى شتى مناحى العلوم هى أصبع الكهرباء والذرة والطبيعة والكيمياء والطب وكل العلوم بلا استثناء ··

عرف الانسان كيف تسير آلة جسمه ولكنه لا يعرف سر الروح ولا يعرف ما الذى جعل الكبد يفرز الصفراء ولا ما الذى جعل العيون تبصر وتفيض بالدمع ولا عرفوا سر تلك القوة الالهية المتمثلة فى العقل ··

ووصل الانسان الى القمر ولكنه لم يعرف من الذى أودع فى الوقود هذه الطاقة ·· عرفوا الظاهر ولم يعرفوا سره ولا باطنه توصلوا الى العارض البادى ولم يتوصلوا الى ما وراء هذه .لقوة العجيبة فى الجماد التى بلغ من جبروتها أن وصلت بالانسان الى القمر كل ما استطاع الانسان أن يتوصل اليه هو مدى فاعلية ما تحمله المادة من قوة أما سر هذه المادة فهو لم يعرفها كما لم يعرف الطبيب ما الذى نظم الجسم هذا النظام الأمثل ولهذا يضطر الطبيب أن يؤمن بقوله تعالى « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » ويضطر علماء الأخلاق أن يؤمنوا بقوله تعالى « ثم رددناه أسفل سافلين » فلا شك ان فى بنى الانسان من هو فى أسفل سافلين وهل هناك أسفل من الجاحدين الذين يرون آيات الله رأى عين فى أنفسهم وفى الآفاق ولا تصيح كل خالجة فيهم الله أكبر لا اله الا الله .

ثم يدعون انهم مسلمون ··· أو مسلمون هم وهم يقولون بالمادة لا بالله ·· أو مسلمون هم وقد حرموا ما أحل الله وما نهى عن المساس به ·· أو مسلمون هم وهم يدينون بالولاء لبلاد تقتل النفس الانسانية وتعذبها وتشردها وتحبسها وتغلق عليها منافذ الحرية ·· أو مسلمون هم فهل قرأوا قوله تعالى « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » من الآية ٨٥ من سورة أسمها سورة البقرة أفسمعوا بها ما أظن والا فما لهم يقولون ان المؤمنين بدين الله بعيدون كل البعد عن الحضارة وانهم جامدون متحجرون حتى لقد أشاعوا بين فصيلة من الشباب ان التفتح العقلى والسمو الفكرى والتألق الذهنى لا يكون الا هؤلاء الذين لا يحافظون على دينهم ولا يرعون حقوق ربهم لأنه لا رب عندهم الا المادة ولا اله الا الطغيان ولا فيصل الا السلاح ولا حاكم الا الجبروت .

أو مسلمون هم فما لهم يطلقون تلك الكبيرة ان التمسك بأسباب

السماء بعد عن الحضارة ولو أنعموا النظر أو أمضوا الفكر لتبين لهم ان الدين هو الحضارة البشرية وان الدين الاسلامى هو قمة هذه الحضارة لأن الطريق الذى اختاره بارىء البشر للبشر والا فليذكروا هم لنا طريقا آخر لا يضل الانسان ولا يصبح قطعة من جماد حقير لا تصلح أن تكون انسانا ..

اذا كانوا يظنون ان تخلف بعض الدول الاسلامية دليل على تخلف الاسلام فهم يغالطون أنفسهم ويغالطون الناس فما تخلف الاسلام وانما تخلفت الأغلبية الكاثرة من المسلمين وما كان تخلفهم هذا الا لخروجهم عن أوامر الاسلام وروحه وقيمه الباذخة السموق .. فالقرآن يحض على العلم وهم لم يتعلموا والاسلام يحض على السعى وهم قعدوا ويحض على السمو بالرغبات وهم سفلوا ويحض على كرم المال والنفس وهم بخلوا فلا والله الذى لا اله الا هو ما تخلف الاسلام وانما تخلف بعض المسلمين .. وبعض منهم آخر ربما كان قليلا ولكنه يحطم قول المجترئين على جلال ديننا .. أولئك قوم غزوا الغرب فى قمة تقدمه العلمى وكانوا أساتذة أجلاء علماء سابقون فسبقوا ولم يلحق بهم لاحق .. والأمثلة لا حصر لها ولا تعداد وهم سابقون بفضل دينهم وتمسكهم بروح هذا الدين وتعاليمه .. وتحضره وتقدميته فليست التقدمية الحادا وانما هى ايمان فالالحاد سابق على الدين .. والايمان تصحيح لمسار البشرية والاسلام أعظم ما هدى به الله البشر « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » سورة المائدة . ولا يمكن أن تكون آخر رسالة من السماء الى الأرض ألا قمة الحضارة الفكرية .. فاذا قيل لنا ان غير المسلمين هم الذين تقدموا حضاريا لقلنا لهم ما كان ذلك منهم ألا لانهم هم طبقوا تعاليم الاسلام من علم وثقافة وسعى وجهد .. اهتدوا اليها بما أودعه الله فى قلوب البشر من قبسته النورانية فوصلوا الى ما وصلوا اليه من حضارة بينما زاغ المسلمون أنفسهم عن تعاليم دينهم فتأخروا هم ولكن الدين من تأخرهم براء فهم قد تأخروا على الرغم من انهم مسلمون لا لأنهم مسلمون فليس الاسلام مجرد صلاة وصيام وزكاة .. وانما هو روح وجهاد وسعى حثيث وتجميل للحياة وتمازج بين العلم والروح ..

وليس هناك دين ولا تشريع أغفل الروح وأفلح أو أغفل العلم وكتب له النجاح .

فليقصر اذن الكافرون الملحدون .. وليحترموا آدمية الانسان .. وليتركوا له الحرية التى وهبها الله .. وأما الاسلام فانه سيد الحياة شاءوا أم أبوا .. والله غالب على أمره وان كره الملحدون شيوعيين كانوا أم كانوا من البشر ؟

١٩٨٣/٦/١٩

الله للغة العرب

أترانا نكتب لأنه ينبغي علينا أن نكتب أم ترانا نكتب لتسلية القراء وازجاء أوقات فراغهم ودفع الملاله عنهم ٠٠ أم هي والسلام ملء لصفحات جريدة لابد أن يشغل صفحاتها البيض حبر أسود منقوش بقلم كتاب تعود القراء أن يطالعوا أسماءهم في كل يوم أو في أيام معينة من الأسبوع ان كان الأمــــر كذلك أو شبيها بذلك فبطن الأرض خير من ظهرها ٠٠ ولنقصف الأقلام ولتكن الصحف بيضاء فهذا خير لها ولنا على السواء ٠ وان كان الأمر كذلك أو شبيها بذلك فأولى بنا نحن الذين نسود الصحف أن ننقش الأقلام ونتسمت بجهدنا سمتا أكثر نفعا لنا وللناس وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠٠

واذا كان الأمر كذلك أو شبيها بذلك فقد ضاعت الكلمة اذن وهي التي اختارها الله سبحانه وتعالى معجزته الباقية على الدهر وآيته الخالدة الى الزمان ٠

وان لم يكن الأمر كذلك أو شبيها بذلك فما للمسئولين يسمعون ولا يجيبون ٠٠ ويقرأون ولا يحفلون ٠٠ أم تراهم لا يسمعون ولا يقرأون فتلك اذن الكارثة التي لا تصــل اليها كارثة والمصــيبة التي لا تماثلها مصيبة ٠٠ فالمسئولون هم القــائمون على الأمر والكاتب هو صوت هذا الشعب الذي يقومون على أمره فان لم يسمعوا ما يقول الشعب فكيف اذن سيقومون بشأنه ويصبحون أمناء على مستقبله حراسا على صوالحه ٠٠ ولست أعني ان كل ما يكتبه الكاتب يصبح أمرا واجب التنفيذ والا أصبح الكتاب هم الحكام وانما أعني أن يكون كل ما يكتبه كاتب دون غــرض أو غاية أو مصلحة شخصية موضوع نقاش من المسئول واهتمام ومداولة ٠٠

ولابد أن يعرف المسئول ان بقــاءه على كرسيه أمر وقتي له نهاية أسرعت النهاية أم توانت وأبطأت ولكن صوت الكاتب الذي تخلو نبرته من المنفعة الخاصة أو من السعي الى البطولة الزائفة يبقى صداه على مدى الزمان بلا نهاية ٠٠

ربما كان هذا الذي أكتبه مليئــا بالســخط والغضب واقســم ما غضبت لنفسي انما للحق الذي أؤمن به كانت غضبتي ومنــذ سنوات

كتبت عدة مقالات طالبت فيها ‥ أن يعود الأزهر الى الأزهر ‥ وصرخت ان العالم تملؤه الجامعات المدنية ولكن ليس في العالم الا أزهر واحد استضاءت بفيض أنواره جنبات الشرق أجمع وألقى شعاعه الى كل مناحي الدنيا ‥ وكان هذا الأزهر أمينا على فقه القرآن الكريم والدين الحنيف ‥ واللغة العربية هي السبيل الى فهم القرآن والدين وحسبنا ما جاء في كتاب أخينا عبد الرحمن الشرقاوي عن الامام الشافعي نقلا عن الثقاة من أنه كان يقيم فترات طويلة في البادية ليستقيم لسانه العربي ويصبح جديرا بأن يتصدى لما تصدى له حتى استقام له مذهب يتبعه فيه حتى اليوم قوم لا يحيط بهم حصر فهو واحد من أئمة أربعة استقرت أسماؤهم على قمة العلم في الفقه الاسلامي ‥ والأئمة الثلاثة الآخرون هم أيضا كانوا على ثقة لا تقبل المناقشة من انهم اذا لم يعرفوا لغتهم حق المعرفة فليس لهم أن يجلسوا للفتوى وكذلك الأمر مع كل ما سار على نهجهم أو مشى في طريقهم ‥

وطالبت في ذلك الحين أن تعود الكليات الدينية الى سابق العهد بها وان يصبح حفظ القرآن شرطا لدخول هذه الكليات ‥ وان ردني أحد بأن حفظ القرآن لم يعد ضرورة بعد أن وجدت المطبعة وتبعتها الاذاعة والتليفزيون سارعت اليه ‥ ما على القرآن خفت فهو محفوظ بأمر كن من صاحب الأمر وانما خوفي على اللسان العربي عند التنشئة وعند المهتمين بشئون الدين الاسلامي فاولئك أن لم يحافظوا القرآن فاننا على مدى سنوات قليلة لن نجد قارئا فاذا وجدنا فلن نجد متفقها في الدين يخلف الأئمة الأعلام الذين يضيئون اليوم ساحات الأزهر والحياة في طول بلاد العالم وعرضها ‥

وقد كتبت حينذاك عدة مقالات ولم أجد لها صدى فثرت وأعلنت انني سأطوي الشراع واتوقف عن الكتابة في هذا الموضوع وعند ذلك كلمني فضيلة الامام الأكبر السابق عارضا أن يزورني فأقسمت أن أزوره أنا وزرته ودار بيننا حديث طويل انتهى الى أن الأزهر اقتنع بما قلت وانه في مدى عامين من ذلك اليوم سيكون النظام الذي رجوت أن يكون ومضت بعد العامين أعوام والحال على ما هو وأذكر البيت العربي القديم :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ‥
انيس ولم يسمر بمكة سامر .

وبالأمس القريب قرأت مقالا لأستاذ فاضل هو الأستاذ حليم فريد تادرس موجه أول الفلسفة بالتعليم الثانوي ‥ ويتساءل الأستاذ في بداية مقاله عن أسباب تدهور اللغة العربية بين أبناء الجيل الحالي ويرجع

ذلك الى أربعة أسباب وأورد من بين الأسباب السبب الذى أراه أنا أهمها وأعظمها شأنا وهو هبوط مستوى معلم اللغة العربية ويقول ان هذا يظهر من قبول كليات الأزهر المتخصصة لطلاب لم يتلقوا اللغة العربية فى معاهد الأزهر ويقترح الأستاذ حليم فريد تادرس تقرير أجزاء من القرآن الكريم على تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية حفظا وتفسيرا بحيث ينتهى الطالب من مراحل التعليم قبل الجامعى وقد حفظ معظم القرآن ويرى الأستاذ ان تلك من ناحية ضرورة دينية ومن ناحية أخرى ضرورة تعليمية لغوية خاصة اذا علمنا ان اللغة العربية ترتبط ببلاغة القرآن هذا المعجز الخارق على تعبيرالأستاذ حليم ويرى الأستاذ أيضا اعادة النظر فى نظام القبول الحالى بكلية دار العلوم وكليات اللغة العربية بالأزهر وأقسام اللغة العربية بالجامعات المصرية بحيث لا يتسرب الى هذه الكليات أو الأقسام الا من تؤهله قدرته اللغوية على دراسة اللغة العربية والتخصص فيها أسوة بما هو متبع فى أقسام اللغات الأجنبية بالجامعات ..

ويرى الأستاذ حليم انه لابد من عودة الأزهر الى ساحته الأساسية ليقوم بوظائفه الأساسية مسجدا جامعا ومجمعا لحراسة الاسلام وحماية دعوته وجامعة كبرى للتربية والتعليم الدينيين وعلى رأسهما القرآن الكريم واللغة العربية ليؤدى على الأقل الدور الذى أداه فى عهد العثمانيين (٩٢٢ ـ ١٢١٣ هـ) وهو العهد الذى استغرق نحو ثلاثة قرون كانت من أسوأ عهود الأزهر والأمة الاسلامية فى تاريخه العلمى والثقافى اذ كان للأزهر فى هذا العهد الفضل الأكبر فى مغالبة عوامل الانحلال والضعف والعجمة وفى حفظ ما بقى من التراث العلمى والعربى ولولاه لقضى على هذا التراث بل لقضى على اللغة العربية ذاتها ..

والى هنا ينتهى كلام الأستاذ حليم فريد تادرس موجه الفلسفة وتبدأ حسراتنا تعود الينا أمواجا كثيفة وسوادا ماله من بصيص لقد انحسر الأزهر الشريف عن حياتنا وأصبح عهد العثمانيين الذى كان من أحلك عهود مصر أملا لنا نصبو اليه ونهفو الى المكانة التى بلغها الأزهر فى ظلال أيامه ..

وتجتاح النفس أمواج أخرى من الألم وأوشك أن أقول من الخزى ونحن نرى اللغات الأجنبية فى الجامعات تنال نصيبا وافرا من الاهتمام بينما تضيم لغتنا ويلتوى لساننا بالعجمة فى بلد الأزهر مصر عميدة الشرق العربى ..

والامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق رجل جليل فاضل وأنا لا أشك لحظة أنه على بينة بهذا الهوان الذى تعانيه لغة القرآن وهو قادر على أن يرد على المدافعين عن الجامعة الحديثة بقولهم ان أغلب الصحابة كانوا

لا يحفظون القرآن بكلمة بسيطة غاية البساطة هى ان لسان الصحابة كان عربيا أصيلا ولم تكن اللكنة والانهيار والضياع قد أصابت اللغة العربية فما عليهم من بأس الا يحفظوا القرآن ٠٠ والصحابة لم يكونوا معلمين للغة العربية فى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعة ولو كان لعلموا أبناء العربية كيف يكون النطق العربى والنحو العربى واللسان العربى ٠٠ أما المدرسون اليوم فهيهات ان يستطيعون تعليم العربية لأنهم هم أنفسهم لم يتعلموها ٠٠ ولا يمكن أن يعطى الشىء من لا يملكه وانى أحذر أن يأتى الى مثل هذا الخطاب الذى جاءنى منذ قريب من شاب يقول اننى ظلمت الجيل الجديد حين رميته بالجهل ويذكر لى صاحب الخطاب انه هو شخصيا يعرف خمس لغات ٠٠٠ يا أخانا اننا حين نقول كلاما عن فئة أو عن جيل انما نذكر الصفات الغالبة فى هذا الجيل والاستثناء يؤكد القاعدة ٠ ٠

ترى هل هناك مزيد يقال ٠٠ وان كان هناك مزيد هل هناك فائدة ترجى من قوله ٠٠ ما الظن ٠٠ ومرة أخرى حسبنا الله ونعم الوكيل ٠٠

٠٠ ١٩٨٣/٦/٢٣

يا غوثاه .. يا غوثاه

لنا صديق شاعر هو اليوم من أكبر شعراء مصر . كان وهو طالب يسكن بالقاهرة حين كان أبوه وأسرته يقيمون فى محافظة من محافظات الدلتا . واحتاج الشاعر الى مال فأخذ يرسل الى أبيه يستنجده ولكن أباه لم يكن يرد على استغاثته به واشتد به الضيق ونضب المال من يده حتى لم يعد لديه ثمن تذكرة القطار أو السيارة العامة التى تنقله الى أبيه . فلم يجد بدا من أن يرسل برقية الى أبيه فيها « مات ابنكم احضر فورا » ثم وقع البرقية باسم أحد أصدقائه .

وكانت البرقيات فى ذلك الحين تصل فى موعدها تماما فما هى الا سحابة نهار حتى كان أبوه وأمه على باب بيته بالقاهرة . وكان هو مع صحبه ينتظر قدومهم بلهفة المفلس المنتظر لفرج الله فما أن سمع صوت بكاء أبيه ونحيب أمه على باب الشقة حتى قفز من فوره الى غرفة نومه ووضع الغطاء على جثمان نفسه وتماوت . ولقى الأصدقاء الأب والأم بعد أن وضعوا على وجوههم مسحات الحزن والأسى . ودخل الأبوان المفئودان وقد علا نحيبهما وراحا يقولان « أين ابننا .. ترى الغالى .. أين هو » .

وقاد الصحاب الأبوين الغارقين فى الدموع الى حجرة الفقيد المزعوم وتقدمت الأم تكشف الغطاء عن وجهه فاذا هو يقفز واقفا على السرير فى وجه أبيه وأمه صائحا .

— ألا تأتى يا أبى الا اذا مت ...

ويروع الأبوان ويغمى على الأم ويظل بها الصحاب حتى تعود الى وعيها ويحصل الشاعر على المال الذى كان أبوه أحضره ليدفنه به ..

وبعد فشر البلاء ما يضحك ... فقد ذكرت هذه القصة وأنا أشهد ما يحدث اليوم على الساحة المصرية . يتلوث الماء وتتلوث الحياة كلها بأكوام القمامة . ويزداد تلوثها بالعربات المخزية المخجلة التى تنقلها والتى تذيع على العالم أجمع أن مصر الرائدة تصر أن تظل تحيا فى عهد المماليك بذلك الحمار وتلك العربة وهذه المافيا التى يفرضها الزبالون على دولة

ذات طول وحول وذاته جيش وشرطة ووزارات ومحافظات عجزت جميعا أن تنقل الزبالة بالسيارات لان الزبالين يرفضون أن يتنازلوا عن العربة والحمار ·

انها لكارثة ليس لها من دون الله كاشفة ·

ويتلوث ماء الشرب وتظهر الحالات المرضية فى أنحاء مصر جميعا وحينئذ ··· وحينئذ فقط تهب وزارة الصحة لتقاوم التلوث وتواجه القذر ··· أكان لابد أن تموت حتى تقاوم الدولة التلوث · فهل التلوث هو الأصل والاستثناء هو النظافة اذن فيا لضيعتنا وهواننا على الحكومة التى هى بمثابة الأب والأم للشعب جميعا · ولكن الشعب لا يستطيع أن يصنع صنيع الشاعر المتماوت مع الحكومة لأن الحكومة لا يجوز عليها ما يجوز على أب مسكين فى أعماق الدلتا لا يملك أن يعرف من الأمور الا ظاهرها ولا سبيل له أن يصل الى مواطنها · أما الحكومة فهى العليمة ببواطن الأمور · وهى هى اعلام الشعب وهى هى حماه وهى هى مفزعة ووقاؤه · فمن للشعب أن أغضى عنه اعلامه وحماه ومفزعة والشعب أيضا لا يعرف كيف يتماوت وانما يعرف فقط كيف يموت ·

وعلى الحكومة أن ترد عنه العادية · وان تحميه من نفسه ومن أعدائه · فاذا كانت الحكومة لا تستطيع أن تواجه مافيا الزبالين فياغوثاه يا غوثاه ·

ان الزبالين لا يجمعون الزبالة وانما يستعرضون بها شوارع مصر العريضة ويوزعون بالعربات البطيئة الحقيرة وبحميرهم العرجاء الجراثيم على أبناء مصر بكل عدل وأمانة · ان كان فى توزيع الموت عدل أو أمانة ·

وحتى لا أكون مثل المعارضة التى تحاول أن تتصيد الأخطاء دون ذكر العلاج أهيب بالحكومة صائحا بكل ما يملك قام أن يصيح اننا لابد أن نستعين بخبراء الغرب وتقدمه فى هذا الميدان وليكن ما ننفقه فى هذا السبيل باهظا فاننا قبل أن نوفر الماء والكهرباء والتليفون لابد أن نحافظ على الانسان الذى سيستعمل الماء ولكهرباء والتليفون ·

ولو قدر لمسئول أن يزور السعودية لوجدها قمة فى النظافة بفضل الشركات التى أتاحت لها الحكومة أن تقوم بهذا العبء ولا مجال عندنا للحديث عن الأموال ففى هذا تنفق الأموال أولا ثم نبحث بعد ذلك عن أى مصرف آخر ·

مايو ١٩٨٣/٧/٤ ··

الله ٠٠ الله فيم تكتبون

يبدو أن عودة الحرية بعد غيبة طويلة جعل معالمها غير واضحة وألقى على سماتها ظلالا من ضباب حتى أصبح بعض الكتاب يخلط بينها وبين الفوضى الغوغائية ٠٠ وراح هؤلاء الكتاب يبحثون لأنفسهم على حساب الحرية عن بطولات تدعو الى الأسى ، والأسف والحزن ، فما هم بكتاب صغار ولا هم فى حاجة الى هذا النوع المخرب من الكتابة ملقين بمستقبل مصر الى جحيم اصطلوا هم بسعيره أكثر مما اصطلينا ٠٠ وكواهم لظاه أكثر مما أكتوى به غيرهم ٠٠ وأحرقت نيرانه سنوات غالية من حياتهم ٠٠ وقد كنت أتصور أى شيء الا أن يطلع علينا هؤلاء الكتاب بدعوة الى الثورة ٠٠ والدعوة منه موجهة الى فئات هى أبعد ما تكون عن حب الوطن أو مراعاة الله أو تحسب الضمير ٠٠ فبعض هذه الفئات ينتمى بولائه لغير مصر ، وينتمى بعقيدته لغير الله بحكم المذهب الذى يدينون به ٠٠

وبعض منهم آخر كانوا السوط فى يد الطغيان وكانوا النار المحرقة وكانوا المشاركين فى الاعتداء على الأعراض والأموال والأرزاق ٠

وكانوا هم المعينين على خراب مصر التى مازالت تعانى آثاره حتى اليوم ٠٠ أتلك هى الحرية ٠٠ علم الله أن الحرية براء منهم الى يوم الحساب ٠٠

أما الفئة الأولى فهى تركب خيول الحرية والديمقراطية واطلاق الرأى جاهدة أن تسعى بها الى الحكم ويومئذ ـ لا كان هذا اليوم ولا شهده الوطن أبدا ـ فلا حرية هناك بل القهر والقتل وسفك الدماء وكتم الأنفاس واطلاق الفساد واعدام الدين ، واعلاء الالحاد ، والانتماء الى الشيوعية العالمية التى لا ترى لأحد حقا فى أن يكون وطنيا ولا تسمح لصاحب دين سماوى أن يعبد الله ٠

وأما الفئة الأخرى فهى الفئة الباغية التى ضرب الخبث فى تاريخها فهى الفساد والافساد والقتل والتعذيب وتحطيم القيم وهدم كل ما هو سامق نبيل فى حياة الانسان ٠٠

عجيب مذهل ان يدعو كاتب مثل هذه الفئات أن تثور ... ومن أجل ماذا ... من أجل الحرية .. يالك من مظلومة أيها الحرية .. يركبك الراكبون ليقتلوك .. ويصيح بك الصائحون ليكتموا أنفاسك .. ويرفعوا أعلامك الوضاحة المشرقة ليمزقوها ويحرقوها فاذا هى ذرات من رماد أو هشيم .

ويصيح الكاتب الذى اربأ بقلمى أن يذكر أسمه حفاظا منى على كرامته وقدره .. ان الانتخاب بالقائمة النسبية عدوان على حرية الشعب وقمع للديمقراطية واعتداء على قدسيتها ..

ولا أدرى من أى مرجع دستورى جاء بهذا الرأى الساذج الا أن يكون الكاتب يريد أن يصيح فى غير مادا ع للصياح ويتظاهر بالغضب من أجل الديمقراطية دون أن تكون الديمقراطية غاضبة ولا رافضة ولا هى تشعر أن القائمة النسبية تمس قدسيتها من قريب أو بعيد ..

وقد كنت أرجو – والكاتب ليس هين الشأن – أن يرجع الى المراجع الدستورية ويتحرى الأمر قبل أن يجرى قلمه بما جرى به .. فليس الأمر صياحا ولا يكون الكسب فى ميدان الرأى للصوت المرتفع .. ولا للضجيج الفارغ الخالى من البحث ..

فليس الأمر هتافا وانما هو علم ودراسة وتعمق وتفهم والنظرة العاجلة البريئة من الهوى والبحث عن بطولة زائفة تدرك أن الانتخاب بالقائمة النسبية تعمل به دول ديمقراطية تعتبر من أعظم الدول فى هذا المضمار وحسبى أن أذكر سويسرا وألمانيا الغربية والبلاد الاسكندنافية وغيرها كثير ..

وأنا من الذين يرون ان الانتخاب بالقائمة فيه تحضر ينبغى لمصر أن تسعى اليه .. فالاختيار فى انتخابات القائمة النسبية يكون للآراء والمبادىء والأفكار ولا يكون للأشخاص ..

وهذا يجعل الناخب يدرس الآراء وينتخبها ولا يعطى صوته للشخص لمجرد صلته به سواء كانت هذه الصلة متمثلة فى قرابة أو صداقة أو منفعة .. وفى ظل هذا الانتخاب المعتمد على القائمة تمحى تماما أى مظنة لأى صلة بعيدة عن المصلحة العامة ولا يكون هناك مجال لما يعرفه الكاتب تمام المعرفة ولم يعرفه المصريون جميعا من وسائل انتخابية بعيدة عن النزاهة كل البعد ..

والأصل فى النائب أن يكون نائبا عن الدولة كلها وليس عن دائرته فقط .. ولكن واقع الأمر يجرى على عكس هذا تماما .. فالنائب المسكين

مشغول ليله ونهاره بتعيين أبناء الدائرة ونقلهم وترقية أقاربهم وادخال أبنائهم للمدارس والحصول على استثناءات لا يحظى بها أفراد الشعب الذين لا يكون نائبهم بهذا النشاط الذى لا اعتبره أنا وطنيا بأى حال من الأحوال ..

والنائب فى الانتخاب المباشر يظل طوال فترة نيابته وعينه على الدائرة وأعيانها وأصحاب الجاه والسلطان والأصوات فيها فان أرضاهم فقد ضمن النجاح وان عجز فالويل له والثبور والسقوط فى الانتخاب والخروج من رحمة الله .

ولست أنسى ذلك النائب الذى أغدق على أفراد دائرته من الأموال العامة حتى اتهم وقدم للمحاكمة وجاءت الانتخابات والقضية التى تتهم ذمته أمام القضاء فاذا الهتافات فى الدائرة تكتسحها .. حرامى .. حرامى لكن بنحبه .. وينجح المرشح المشكوك فى نزاهته نجاحا منقطع النظير ..

أيرضى الكاتب عن هذا ... أيرى أن الانتخابات فى مصر على ما هى عليه الآن تتيح الفرصة للعالم والمثقف أم هى تتيحها لأقرب المرشحين الى الناخبين وأكثرهم خدمة لمطالبهم التى غالبا ما تكون استثناء وخروجا على القانون واعتداء على عدالة الفرص ..

أيستطيع أستاذ فى الجامعة يحتاج المجلس التشريعى الى رأيه وعلمه ودراسته وممارسته أن يقترب من دائرة انتخابية وينجح فيها .. ومن أين له هذا وهو مشغول بدراسته وبقضايا وطنه يتعمقها تعمق أستاذ عالم ... أنه اذا رشح نفسه يضمن السقوط الفادح ان شاء الله وأغلب الأمر انه لن ينال مائة صوت من آلاف الناخبين ..

أيستطيع مثقف أن يرشح نفسه .. أيستطيع طبيب أو مهندس أو محام أو اقتصادى .. هيهات الا أن يكون قد تنازل عن كثير من الوقت الذى كان يجب أن يكرسه لعلمه ليخدم مصالح الأفراد فى دائرته وانى لأعلم أنه بين أعضاء مجلس الشعب اليوم وفى كل مجلس سابق أساتذة عظماء وكان فى مجالس قبل الثورة ساسة عباقرة ولكنهم فى كل المجالس كانوا قلة نادرة ومصر اليوم تحتاج أن تكون مجالسها التشريعية زاخرة بكنوزها الثقافية .. فهى اليوم أشد ما تكون حاجة الى علم العالم وجرأته فى الحق وقدرته على أن يعلن الرأى فى سبيل مصر لا من أجل أشخاص فى مصر ..

والانتخاب بالقائمة النسبية لن يبعد الموجودين اليوم فكل حزب لا يمكن أن يستغنى عن النابهين فيه ولكن المؤكد ان عدد النابهين سيزدادون

وتصبح المجالس التشريعية قادرة على أن تواجه الأزمات التى تعانيها ٠٠

فيا أيها الكاتب رفقا بمصر ورفقا بالحرية ورفقا بالديمقراطية واتق الله فيما تكتب ٠٠ فان الكاتب أولى النــاس بأن يخشى الله ولاء لوطنــه ورعاية لحقه وشكرا لرب العرش ان حمله أمانة القلم ٠٠

الأهـــرام ١٩٨٣/٧/١٠ ٠٠

لن نتقدم الى الوراء

قامت الأحزاب المصرية قبل الثورة والأساس الفكرى فيها جميعا هو تخليص البلاد من الاحتلال .

وقد قرأت برامج هذه الأحزاب جميعا فما وجدت حزبا يختلف عن حزب . والسؤال الطبيعى الذى يرد فيم اذن تكونت هذه الأحزاب وان نظرة عاجلة الى تاريخ انشائها يلقى الضوء على الخلافات بينها .

أما حزب الوفد فقد تكون بعد أن ذهب سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى الى المندوب الانجليزى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى يطالبون باستقلال مصر . وبعد أن أدوا الرسالة قال المندوب الانجليزى انهم لا يمثلون الأمة فكان رد مصر هو تكوين حزب الوفد وقد انضم الى الثلاثة الرواد صفوة من أقطاب مصر وكبار شخصياتها منهم محمد محمود واسماعيل صدقى وحمد الباسل وغيرهم ورافق طريقهم كل الشباب الذين أصبحوا فيما بعد زعماء ووزراء وجمعت التوكيلات لأعضاء الوفد الجديد ان الأمة المصرية تفوض وفدها هذا لمفاوضة الانجليز بغية الحصول على الاستقلال لمصر . ونفى الانجليز أقطاب الوفد واندلعت ثورة ١٩١٩ ولم يجد الانجليز بدا من قبول المفاوضات .وذهب الوفد للمفاوضة وتقول مذكرات محمد كامل سليم الكثير عن هذه المفاوضات . وقد بدا فى هذه المذكرات الصدق الأمين الذى لم يستطع الرجل العف الضمير أن يخفيه . فعلى رغم حبه العميق لسعد زغلول واخلاصه له كان يروى وقائع المفاوضات والأعمال التى قام بها كل مفاوض والأحداث الصغيرة التى تربط أعضاء الوفد بالوفد أو ببعضهم البعض فى كل صدق وبعد عن التحيز وأنا لا أنسى له — وكيف لى أن أنسى — تلك القصة الصغيرة الضخمة التى رواها عن عبد العزيز فهمى فقد كان أعضاء الوفد يقيمون فى فنادق باريس على حسابهم الخاص وليس على حساب الوفد حتى تقرر أن ينضم الى الوفد الدكتور حافظ عفيفى ومصطفى النحاس وكان كلاهما فى أول حياته فلم يكن عجيبا أن يكون كلاهما رقيق الحال لا تطيق موارده الاقامة فى باريس ورأى سعد زغلول فى كياسة ولباقة أن ينزل أعضاء الوفد فى الفنادق على نفقة الوفد حتى لا يكون العضوان الجديدان استثناء من القاعدة العامة ولا يشعران بالحرج أمام زملائهم ووافق أعضاء الوفد الا عبد العزيز فهمى

ولكن الأغلبية أخذت قرارها واتفق الأعضاء على أن يأخذ كل عضو خمسمائة جنيه ينفق منها على اقامته · وظل عبد العزيز فهمي مصرا على رفضه حتى قال له محمد محمود انه سيحرج زملاءه بهذه الرفض فاضطر الرجل أن يقبل ولكن أنظروا ماذا فعل ·· كان يقيم على نفقته فى فندق من فنادق الدرجة الأولى بغرفة أنيقة لها حمام خاص · فحين أصر اخوانه أن تكون الاقامة على حساب الوفد راح يبحث حتى وجد غرفة فوق سطح بيت حقير تشترك فى حمامها الغرف الأخرى على السطح حتى اذا انتهت المفاوضات بقى من الخمسمائة جنيه مئات أعادها الى ميزانية الوفد ·

وبعد فتلك قصة عارضة المهم أن سعد زغلول اختلف مع جميع أعضاء الوفد الا اثنين منهم أو ثلاثة حسب رواية محمد كامل سليم · وحين عاد الى مصر دون أن تنجح المفاوضات تكون حزب الأحرار والبندالأول فى برنامجه هو خروج الانجليز من مصر · وانما تكون الحزب من الذين يعارضون سياسة سعد زغلول ولهذا لم يكن عجيبا أن يكتسب عضو حزب الوفد اسما آخر بجانب صفة الوفد وهو صفة سعدى نسبة الى سعد زغلول كما اكتسب الحزب الدستورى صفة عدلى نسبة الى عدلى يكن رئيس حزب الأحرار ·

وهكذا كانت الأشخاص لا الأهداف هى التى تجمع الأحزاب · وحين نشأ حزب الهيئة السعدية كان نتيجة مباشرة لاختلاف أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى مع النحاس · وكان الحزب الجديد صريحا فنسب نفسه الى سعد فى صميم اسمه ·

وهكذا أيضا نشأ حزب الكتلة ·

واليوم وقد خرج الانجليز من مصر ومر على هذه الفترة نيف وستون عاما أيكون من المعقول أو الطبيعى أن تتكون الأحزاب حول أشخاص · ألم تبلغ مصر بعد رشدها لتكون الأحزاب فيها حول مبادىء لا أشخاص · تلك اذن عجيبة من عجائب الدهر أن يتقدم العالم أجمع الى الأمام فى حين تتقدم مصر الى الوراء وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

مايو ١١ يوليو ١٩٨٣ ··

أم لأمر فيك تجديد

يطيب لى ونحن فى أعقاب العيد أن أتذاكر هذه الأبيات لأيليا أبو ماضى فى قصيدته هدايا العيد :

خرج الناس يشترون هدايا	العيد للأصدقاء والأحباب
فتمنيت لو تساعفنى الدنيا	فأقضى فى العيد بعض رغابى
كنت أهدى اذن من الصبر	أرطالا للمنشئين والكتاب
والى كل تاجر حرم التوفيق	زقين من عصير الكذاب
والى معشر الكسالى قصورا	من لجين وعسجد فى السحاب
علنى استريح منهم فقد	صاروا كظلى فى جيئتى وذهابى
والى ذى الغنى الذى يكنز	المال ازدياد الذى به من عذاب
كلما عد ماله مطمئنا	أبصر الفقر واقفا بالباب
والى الصاحب المراوغ وجها	أسودا حالكا كوجه الغراب
اذا لاح فرت الناس ذعرا	من طريق المنافق الكذاب
والى من يسبنى فى غيابى	شرفا كى يصونه من سبابى
والى حاسدى عمرا طويلا	ليدوم الأسى بهم من مابى

وفى القصيدة أبيات كثيرة اكتفيت منها بهذه الأبيات . وشعر أيليا بطبيعته لا يحتاج الى تعليق فهو مع اشراقة الديباجة فيه وسلاستها وعذوبتها واضح بين حتى اننى أحسب أن أى شرح له أو تعليق عليه يفسد جماله يغض من سموقه . فالشاعر المهجرى العظيم قادر دائما على أن يقدم اليك المعنى كاملا عميقا فى غير حاجة الى مزيد من تبيان وفى غير حاجة أيضا الى تعميق .

ولكن القصيدة جعلتنى أتساءل ترى لو كان الشاعر العربى الكبير حيا أكان سيكتفى بتقديم الهدايا الى أفراد جماعات أم كان سيقدم هداياه الى الشعوب التى جعلت الأعياد مذابح . والهدايا قنابل . والتهنئات

أرواحا تزهق · ووشائج ارحام تمزق · جماعات تمحق · وأمهات تثكل · أطفالا تتيتم · آباء يفقدون كل عائلاتهم ·

لو كان الشاعر كبيرا حيا لضن بصبره يقدمه الى الأدباء والشعراء وحاول أن يقدم الى أسود أفغانستان وهي تحارب في اصرار وجبروت ثانى قوة كبرى في العالم والتاريخ · والدولة الغازية التى يدعى شياعها انهم ببحثون عن السلام للانسـان وعن الابتسـام يقدمونه الى شـفاه الأطفال تنقض انقضاض الظلم المؤيد بالمال والسلاح على أفغانستان التى لا تملك شيئا الا الايمان بالله الواحد الأحد لا ترتد عن ايمانها الا بالشهادة عالمة ان في هذه الشهادة أسمى ما يتمناه المؤمنون · وتسوخ أقدام العـدوان في بحار من دماء والضحايا منهم بيد المؤمنين أكثر من الضحايا في الشعب المؤمن الذى يقتلهم العدوان بآخر ما وصل اليه العصر البغيض من آلات سفك الدماء والقضاء على أرواح الأبريـاء · والظلم بقدر ما هو واقع على أفغانستان المؤمنة الشامخة بايمانها واقع أيضا على أفراد الجيش الغازى فهم مسياقون الى هذه الحرب لا يدرون أين يحاربون ولا لماذا ولا يدرون لماذا يقتلون هذا الشعب ولا لماذا يقتلهم هذا الشعب فجميع أفراد الجيش الغازى ينطبق عليه بيت شوقى أمير الشعراء :

كالشـاة تنسـاق الى القتـل بيـده جبـار ذى بطـش

ولو كان ايليا أبو ماضى حيا لأهدى بعض العقل الى ايران التى تصر على الحرب مع دولة مسلمة تريد أن تكف عن الحرب وتقدم في كل يوم عروضا للصلح ولكن ايران المسلمة التى يحكمها لأول مرة في تاريخها عالم مسلم ترفض السلام والصلح وكل ما يعرض عليهـا · ومهما تكن العراق هى البادئة بالحرب أفلا يكفى الزعيم الايرانى العالم المسلم أن تكون العراق نفسها هى البادئة بالسلام · أين الاسلام اذن وليس بين أسماء الأديان اسم يحوى من حروف السلام ما يحويه اسم الاسلام ولكن الاسلام عندهم اسم على غير مسمى وكلام بغير عمل وشقشقة ولا تنفيذ ·

ولو كان ايليا حيا لأهدى بعض الحياء لذلك السادل المخبول في الجماهيرية وهو يتقافز فعل القردة في كل ميدان حرب أو شقاق أو حتى معركة أيد وعصى ·

ولو كان ايليا أبو ماضى حيا لأهدى سوريا بعض الرحمة تخفف بها الوطء على شعبها أو على شعب لبنان الذى قاسى من البلاء سنوات طوالا عجافا حمراء داكنا لونها قطعت أوصاله وأوهنت قواه فأصبح وهو يوشك أن يكون بلا كيان ليس يدرى أيواجه الانقسامات والصراعات في داخله أو يواجه العدو الصهيونى الذى يريد أن يحطم كل العرب أم يواجه الأخ

الشقيق من سوريا وهو يحتل أرضه ويرفض له السلام ويأبى أن يجلو عن لبنان التى دخلها بدعوى حمايتها فأصبحت وهى أشد ما تكون حاجة الى من يحميها من حاميها ويرد عنها عدوان شقيقتها سوريا التى أمست شرا عليه من صهيون ودولة اسرائيل وأذكر البيت العربى الشهير :

وظلم ذوى القربى أشد مرارة على النفس من وقع الحسام المهند

رحمك الله أيليا أبا ماضى وقد فعل وأكرمك أن ترى هذا البلاء الذى نعانيه فنصيح جميعا مع المتنبى عيد بأية حال عدت يا عيد .

الأهـــرام ١٧ يوليو ١٩٨٣ ..

قصة عجيبة

المهندس عصام عباس رئيس مجلس ادارة الشركة المساهمة للمباني التابعة لشركة المقاولين العرب · وهو المسئول عن هذه الشركة وعن الانجازات الضخمة التي حققها كما أنه المسئول عن نادى المقاولين العرب وعما حققه من نجاح · وهو شعلة من النشاط الأمين الصادق الشريف · واني أقدم له هذا التقديم لانني ما كنت أصدق ما سمعته منه لولا أنه هو قائله وليس غيره ·

يقيم المهندس عصام عباس فى ميدان رحيب يقع خلف نادى الزمالك· وفى نفس الميدان أقامت الحكومة منشأة لبيع المواد الغذائية على جميع أصنافها ·

أصبح الصباح ذات يوم فوجدت المنشأة والسكان أن الميدان الذى جمله السكان على نفقتهم الخاصة قد انقلب الى مقلب للزبالة · وأصبحت القمامة هى مسرح المواد الغذائية وصالون الانتظار للمشترين · وقد كنت خليقا ألا أروى هذه القصة والحكومة الآن تعمل على نظافة القاهرة ومن المعقول أن أنتظر حتى أرى ما سيؤول اليه أمر هذا الميدان فى الاجراءات الجديدة التى تعدها الحكومة لمواجهة مثل هذه الأمور ·

ولكن الذى يعنينى من القصة فى هذه المرة ليس هو القمامة وانما الذى يعنينى هو كيف جاءت الى هذا المكان فقد قصد المهندس عصام عباس الى رئيس الحى المسئول فروى عليه حكاية عجبا هى التى دفعتنى أن أقدم هذه القصة الى جميع المسئولين لا استثنى أحدا ·

قال رئيس الحى · ان هذا المقلب كان مكانه بعيدا عن العمران فى منطقة لا يسكنها الا بضعة أفراد قليلين جدا · وحدث ان انفجرت هناك ماسورة مياه عطلت السيارات التى تحمل القمامة أن تذهب الى مكانها واحتاج الأمر أن يحفروا فى المكان الذى كان معدا لتجميعها لاصلاح الماسورة حتى اذا أصلحت الماسورة وحاولت السيارات أن تعود لتلقى أحمالها فى المكان الذى تعودت أن تلقيها فيه وقف أحد السكان القليلين هناك وأقسم بالطلاق ألا تلقى القمامة فى هذا المكان فاضطر رئيس الحى – على حسب روايته هو – أن يترك هذا المكان ويغير مكان القمامة من المقلب

القديم الى المكان الجديد أمام منشأة الدولة لبيع الأغذية وفي وسط الميدان الذى جمله ساكنوه على نفقتهم الخاصة • الى هنا ينتهى كلام رئيس الحى وأبدأ أنا فى الأسى والألم والحسرة الموشكة على اليأس •

فقد أعلم أن زوجا ما يملك أن يرمى بيمين الطلاق على زوجته ولها هى أن تطيعه أو لا تطيعه ولقد أعلم أن مثل هذه الايمان تحتاج الى فتوى شرعية تقضى بوقوعها أو عدم وقوعها • أما أن يرمى شخص ما أنا لا أعرف مقدار سطوته وسلطانه يمين الطلاق على الحكومة فتلك عجيبة من عجائب الدهر لا ينقضى بلاؤها حتى قيام الساعة. أما الكارثة الكبرى التى لا مثيل لها فى التاريخ أن يخاف رئيس الحى من يمين الطلاق وينقل المكان ويقول للمهندس عصام عباس ماذا أفعل •• ماذا أفعل •• الرجال ذو السلطان والذى يمثل الدولة يقول للمهندس الحر الذى يمثل الشعب•ماذا أفعل•• الرجل حائر لا يعرف ماذا يفعل •• فما مصيرنا نحت الشعب •• وماذا نفعل نحن والى من نلجأ اذا كان رئيس الحى يخضع ليمين طلاق ويسأل أفراد الشعب ماذا أفعل ••

ليست النظافة هنا هى التى أبكيها وانما هيبة الدولة التى يمثلها رئيس الحى هذا الذى لا أعرف اسمه والذى يعرفه لا شك المهندس عصام عباس •

وليس الموضــوع أمرا فرديا لا يستحق أن يروى وانما هو مصير الحكومة جميعا التى لا يعرف رئيس حى فيها كيف يواجه يمين طلاق يلقيه عليه واحد من أفراد الشعب •• فان هذا الأمر اذا سكتنا عليه أصبح الأمر فوضى ضاربة الأطناب وهيهات أن تصلح الفوضى أساسا لأى أصلاح •

مايو ١٨ يوليو ١٩٨٣ ••

قراءات ومشاهدات

قرأت في الفترة القريبة الماضية روايتين ومجموعة قصصية أما الروايتان فهما « تمساح البحيرة » للأستاذ اقبال بركة و « الاختطاف » للأستاذ حسن محسب٠٠واما المجموعة القصصية فهى «النبش فى الدماغ» للأستاذ أحمد الشيخ ٠ وشاهدت على طول شهر رمضان أغلب مسلسلات التليفزيون وانما يعنينى منها مسلسل محمد رسول الله وحسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا للكتابة أما رواية الأستاذة اقبال بركة فهى رواية عظيمة بكل المقاييس الفنية وقد استطاعت الكاتبة المتمكنة أن ترسم شخصية البطلة بكل المشاعر التى تتراوح فى نفس فتاة فى مثل سنها ومثل ظروفها الاجتماعية والعاطفية وكما كانت اقبال موفقة فى رسم هذه الشخصية واكبها نفس التوفيق فى رسم شخصيات الأم وصديق الزوج وكانت بالغة التفوق فى رسم شخصية الأب ولعله من المناسب هنا أن أتكلم عن شخصية الأب هذه ٠ فهى شخصية مسطحة وقد جرى كثير من النقاد أن يجعلوا من كلمة مسطحة هجوما على رسم الشخصية جاهلين أن أعظم الشخصيات الدرامية هى الشخصية المسطحة لأنها الشخصية التى تهب نفسها لقضية واحـدة لا يشغلها فى الحيـاة غيرها وحينئذ تصبح الشخصية بطولية لا يعنى المؤلف من شأنها الا بالقضية التى كرست نفسها لها ٠ وأعماق هذه الشخصية هامة فى الناحية التى تتصل بالقضية التى حرص الكاتب على أن يرصد الشخصية للدفاع عنها فشخصية جان دارك مثلا شخصية مسطحة وهى مع ذلك من أعظم الشخصيات الدرامية التى عرفتها الأعمال الروائية أو المسرحية على السواء ٠ وهكذا يقع النقاد فى أحبولة الكلمة ويظنون أنهم يحطمون الشخصية الفنية اذا وصفوها بأنها مسطحة ٠ وانما يعيب الشخصية أن تكون سطحية وهنا تتجه الكلمة الى معنى آخر هو السذاجة وعدم الاقناع وهذا طبعا يعيب العمل الفنى ويوشك أن يحطمه وأشهد أن شخصيات رواية « تمساح البحيرة » جميعا بعيدة عن السطحية ٠ الا شخصية واحدة اعتمدت فيها الكاتبة على ما كانت تنشره وسائل الأعلام دون معايشـة لنمـاذج هذه النفر من النـاس ٠ هذه الشخصية هى شخصية الحد فى روايتها فواضح أن الأستاذة اقبال لم تعرف نموذجا لمثل هذا الحد قط ولهذا جاء رسمها للشخصية ترديدا لشعارات هيئة التحرير والاتحاد الاشتراكى وهكذا أصبحت هذه الشخصية

باهتة ساذجة سطحية وليست مسطحة • وأنا كنت أرجو للأستاذة اقبال وهى على القدر من الموهبة أن تتعمق فى هذه الشخصية وتتعرف على أبعادها ولا تكتفى فى شأنها بألفاظ جوفاء تعطى وجها واحدا باهتا لفئة قامت على أكتافها وعلى كدحها لفترة طويلة أعمدة الاقتصاد المصرى • وان كان فى بعض من أفرادها عيوب فقد كان على الكاتبة أن ترى الى الشخصيات الأخرى التى تمحى عندها هذه المثالب ، وكان عليها فى رسمها للنموذج الواحد أن ترى فيه الجانبين وترى فى سماته كل معالم هذا النموذج وهى سمات كثيرة فيه الرفيع السامق وفيه أيضا المادى الذى لا رفعة فيه ولا سموق •

وحان لى الآن أن انتقل الى رواية الأستاذ حسن محسب « الاختطاف » وهى رواية تدل على براعة الكاتب وفنيته وقدرته على رسم المجتمع الذى اختاره فى تفوق وعمق • فشخصية الزوجة مرسومة بريشة قادرة صناع وشخصية الزوج الذى عاش فترة من أبشع فترات مصر وهو المصرى الصميم الذى تجرى دماء مصر فى أعراقه منذ آلاف السنين واحسب أن هذه الشخصية التى رسمها الأستاذ حسن محسب تعتبر نموذجا رائعا لعصره جمعت جوانب من الحياة شقيت بها الحياة وشقى بها خاصة هذا الجيل الذى يمثله بطل الرواية • وكان الأستاذ حسن محسب عظيما حين نفذ الى الرواية فى سرعة السهم فاذا نحن منذ اللحظة الأولى فى أعماق المشكلة التى اختارها لروايته واذا هو يجسد الفجيعة فى سرد روائى بارع ثم هو يلاحق هذه الفجيعة فى نفس البطل ويظهرنا على أثارها ثم ينتقل فى براعة الى ما كان فى حياة البطل من احباط بسبب القوة الغاشمة والسلاح الظالم والرواية كلها صراع بين حق الانسان فى الشرف والحياة وبين السلاح الذى لا يعرف حقا •

وحسن محسب كان موفقا كل التوفيق فى رسم هذا الصراع بقلم يجمع الى الفنية القادرة الانسانية البللورية الشفيفة وان كان لابد لى أن آخذ على الكاتب شيئا فهو أنه افتعل التشويق فى نهايات بعض الفصول بينما الرواية بطبيعة موضوعها وبقدرة مؤلفها كان فيها من التشويق ما يكفيها ويزيد •

أما المجموعة القصصية التى قرأتها للأستاذ أحمد الشيخ فقد وجدت فى قصصها أديبا متمكنا قادرا يعرف كيف يضع كلمته ويصونها عن أن تكون لهوا فالكلمة معنى يختارها الكاتب فى قدرة حتى لا تحتاج الى مرادف لها فهى حادة قاطعة قوية شاعرة أنها فى مكانها الطبيعى غير قلقة ولا هى متوفزة •

وموضوعات القصص بالغة الذكاء تموج بالانسانية والشفافية وطريقة العرض تجمع الى الحداثة والتجديد المنطقى والمعقولية فهو كاتب يعرف

عصره ويعبر عنه لأبناء الجيل وبلغتهم وبأسلوبهم فهو يفهم معاناتهم لأنه منهم وهم يفهمون عنه ويحسون أنهم هم أبطال قصصه وان عناء المؤلف هو عناؤهم والذى يشغله فى الحياة هو الذى يشغلهم ٠

أترك الكتاب بعض الشيء وأنتقل معك الى مسلسل الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ وأبدأ بأن أهنىء نور الدمرداش عميد مخرجى التليفزيون بهذا العمل العملاق الذى قدمه اخراجا أما النص فلى عنه بعد ذلك حديث ٠ أما نور الدمرداش كمخرج فقد بلغ قمة التوفيق فقد استطاع أن يقدم الينا المسلمين أعزة شامخين لا أذلة ضعافا خانعين ٠ يلبسون أكرم ملبس متفرحين بما أتاهم الله من فضله فى الدنيا مقبلين على أعتاب الآخرة اقبال المشوق المعدم الذى لا يشعر بأن له فى هذه الدنيا ما يبقى عليه وهذا هو قمة الايمان ٠ فالذى يقبل على الموت وهو ضيق بالدنيا رجل ضعيف الايمان أما الرجل الذى تطالعه الدنيا بوجهها الباسم المشرق فيقبل عليها فى غير معصية ولا جنوح عن سنن الله ونبيه حتى اذا دعا داعى الجهاد أقبل على العليا اقباله المتعجل الهانىء السعيد بكل ما يتكشف عنه مصير المعركة فأما نصر فحياة فى الدنيا وأما نصر فحياة أكرم وأعظم فى العليا خالدا هناك عند ملك الملوك رب العرش سبحانه وتعالى ٠

واستطاع نور الدمرداش أن يقدم الينا الشخصيات المؤمنة سعيدة باسمة فحطم بذلك تلك الطقوس البغيضة التى ترسم المسلم حزينا دائما كسيرا مكشرا غاضبا ٠ وتلك عجيبة من عجائب الزمان ٠ ما الذى يحزنه وهو الذى عرف الطريق واتصل ما بينه وبين الايمان ٠٠ وأى شىء يملأ النفس سعادة وهناء وحبورا وطمأنينة ورضا وفرحة واشراقا مثل الايمان وكلما كان الايمان عميقا ازدادت السعادة والهناءة والحبور والطمأنينة ٠

ان نور الدمرداش ما زال يقتعد قمته التى عرفها له العالم العربى لم يتركها بل أحسب أنه يصنع لنفسه قمما جديدة أما النص فلى عليه قول آخر فالأستاذ صبرى سلامة خير من يتكلم العربية فى الاذاعة وأنا لا أقول من خير ولكن هو خير من يتكلمها ولكن الحوار التليفزيونى أمر آخر هو أيضا ٠ فالصياغة التى نسمعها فى الحوار وان كانت مطعمة بالكثير من الأساليب العربية الا أنها هى نفسها حديثة وليست هى الصياغة العربية التى تواكب ذلك الزمان ٠ وقد سمعنا النغمة الصحيحة فى أسمى مراتبها من الكاتب الكبير عبد الفتاح مصطفى فان لغة هذا العصر كانت تجرى على ألسنة الأبطال وكأنهم هم الذين يتحدثون من وراء التاريخ ولكن هذا لا يمنعنى أن أرحب بأخى الصديق سلامة فى ميدان التمثيلية وأحسب أنه سيبلغ المكانة الجديرة به اذا هو قدم الينا أعمالا فى عصور أكثر حداثة من عصر النبى عليه الصلاة والسلام ٠٠٠

الأهـــرام ١٩٨٣/٧/٢٤ ٠٠

انما القانون نفاذ

ليس فى تنفيذ القانون عنف انما فى عدم تنفيذه يقع الظلم على مجموع الناس • لأن الذى يخالف القانون – فردا كان أو عددا قليلا – من الشعب فاذا الدولة لم توقع عليه أو عليهم الجزاء الأوفى وقعت الظلم الأكبر على مجموع الناس الذين لم يخالفوا القانون • وكل تهاون فى توقيع العقوبة أو فى تنفيذ القانون – أى قانون – انما هو ظلم فادح يقع على جميع أفراد المجتمع • وانما سميت النيابة نيابة عامة لأنها تنوب عن أفراد المجتمع فى تقديم المعتدى على القانون الى القضاء ليأمر القاضى بتوقيع العقوبة عليه • واذا لم تنفذ السلطة التنفيذية القانون وأحكام القضاء أصبح الأمر فوضى • وشعر المواطنون الآمنون أن انتاجهم الطريق الشريف خطر عليهم وأمسوا غير آمنين على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم •

وقد يكون القضاء بطيئا لتراكم القضايا أمامه ولقلة عدد القضاة وقد نغتفر له هذا ولكن السلطة التنفيذية لا نغتفر لها البطء فى تنفيذ القانون • فكل معتمد على القانون هو فى الحقيقة معتمد على الدولة جميعا والشعب بأسره هو أول من يعانى من الاعتداء •

فالعمارة التى يبنى صاحبها أو أصحابها أدوارا بغير ترخيص عدوان فادح على القانون • وتعريض لأرواح أسرات بأكملها أن تموت شر ميتة • وهذا العدوان فى ذاته تشجيع للآخرين أن يعتدوا على القانون وينهار كيان المجتمع ، والشعب هو المضرور فى كل جانب من جوانب حياته •

وليس فى منع المعتدى من الاعتداء مظنة عنف أو شبهة قسوة انما العنف الحقيقى والقسوة كل القسوة فيما صنع هو •

والمرتشى فى وظيفة عامة محطم للمجتمع وجريمة الذى يسكت عنه أبشع من جريمته • والرحمة بريئة كل البراءة من صنع المتستر على المرتشين • فالذى لا يرحم مجتمعا بأسره ليس جديرا بأن يرحمه أحد ، بل ان فى رحمته اجحافا وظلما يقعان على الناس أجمعين • وليس فى الدولة التى تمت فيها الجريمة فقط • لأن المعانى الانسانية مترابطة فى شتى أنحاء الأرض وكل مساس بها فى أى مكان يسىء اليها جميعا أشبه ما تكون بجسم انسان ان مس الألم اصبعا فيه شمل الألم الانسان كله •

وبعد فقد يكون هناك دواع يخفف معها الحكم على المرتشى . وهذه الدواعى ينظر فيها قاضى الموضوع وهى من شأنه وحده . ولذلك نجد العقوبات دائما تتراوح بين حد أدنى وحد أقصى ، والقانون فى العالم قديم . وان وقع فى تطبيقه ظلم واحد فان عدم تطبيقه يؤدى الى ظلم العالم أجمع .

وكنا فى كلية الحقوق قد تدارسنا مثالا على تنفيذ القانون يعتبر من أعظم النماذج التى تدل على أن تطبيق القانون لابد منه مهما تكن الدوافع . فقد كانوا يقولون لنا اذا تصادف أن صديقا عزيزا يأكل معك على المائدة ووقفت لقمة فى زوره وسارعت أنت لتنقذه فضربته بجماع يدك على ظهره راجيا أن تخرج اللقمة من زوره وتتخلى عن منافذ الهواء التى قد يؤدى احتلالها الى موته . ولكن بدلا من أن تخرج اللقمة خرجت روح صديقك بفعل ضربتك ... أيقع عليك العقاب أم لا يقع . والمنطق هنا يقول أنه لا عقاب ولكن القانون يحتم العقاب . لأن اذن المجنى عليه الضمنى أو الصريح لا يمنع من العقوبة . وقد تتساءل أنت كيف لا يسير القانون مع المنطق ولكن هذا السؤال متسرع فالواقع أن القانون قد فرض العقاب تمشيا مع المنطق . لأن القاتل قد يستطيع أن يحصل على اذن القتيل قبل أن يقتله ويهرب من العقوبة . وفى هذا المثال الذى سقته قد تخفف العقوبة الى أقصى حد فيلحق بها ايقاف التنفيذ أو قد تكون حبسا بسيطا لمدة أسبوع واحد . ولكن لا بد من العقوبة على أية حال . وقد فرض القانون العقوبة فى هذا المثال على أنها الأصل حتى يكون قاضى الموضوع حرا فى تقدير كل حالة على حدة . فاذا وجد دافعا فقد تصل العقوبة الى حدها الأقصى .

وهكذا نجد أن القوانين لا عيب فيها ولا عوج وانما العيب فى التنفيذ .

وحين أتكلم عن القوانين انما أقصد الثابت الأصيل منها ولكن الطوفان الذى طالعنا من القوانين لابد من اعادة النظر فيها حتى تنسجم جميع القوانين مع بعضها البعض ولا يستبهم الأمر فيها ولا يستخفى على المنفذين . فان قانونا لا ينفذ قانون لم يولد .

مايو ١٩٨٣/٧/٢٥ ..

جاهلية جـديدة

حين جاء الاسلام كان المجتمع العالمي يقوم الأساس فيه على القوة المادية الباطشة • فالسيد هو من يملك السلاح والمال والعبيد وكانت هذه الأعمدة للسيادة واضحة كل الوضوح في المجتمع القبلي الكائن في جزيرة العرب • فالبطش بالانســان هو المظهر الأول للسيادة ، وكثرة العبيد والمال هي المعالم التي ترفع الانسان بين قومه ، والانحلال الخلقي وانعدام القيم وفوضى الأمور هي السمات الأساسية التي تقوم عليها شئون الجماعة • وعبادة الفرد هي العبـادة • وما كانت الأصنام حبيبة اليهم الا لأنها كانت تنأى بالانسان عن التفكير وتجعل المجتمع يقبل ما يرزح فيه من تعبد للأفراد • فما كانت الأصنام الا أقنعة لهؤلاء السادة حتى يعبد الناس الأصنام في ظاهر الأمر بينما هم في الحقيقة يعبدون السادة الذين يحمون هذه الأصنام ويدافعون عنها بأرواحهم •

والشعر الجاهلي ملئ بالأمثلة التي تؤيد هذا المذهب الذي يؤكد أن الفرد الغاشم كان هو الحاكم المطلق السيد الذي لا يرد له أمر وأسمع معى عمرو بن كلثوم في معلقته :

اذا بلغ الرضيع لنا فطاما   تخر له الجبابر ساجدينا

وهذا المعنى تكرر في كل الشعر الجاهلي الذي نظمه شعراؤهم في الفخر •

وتلك عجيبة من العجائب• فما الذي يجعل الجبابر يسجدون للرضيع الذي لم يصنع بيديه شرفـا ولاقدم لمجتمعه فضـلا الا أن يكون الجبابر خائفين من قومه ذوي البطش والجبروت •• وربما قيل ان هذا الشعر كان تفاخرا كاذبا ولا يدل على واقع الأمر • وهذا القول حق ولكن يظل هذا الشعر مع ذلك يمثـل ما يهفو اليه أبناء المجتمع الذين ينطق الشـعراء بلسانهم من جعل الناس وعلى رأسهم الجبابر ساجدين لقومهم مرتعدين منهم خائفين مرعوبين من سطوهم •

وكان من مظاهر السطوة كثرة المال وما كان المجتمع يعنى في قليل أو كثير من أين يحصل صاحب المال على ماله • وهكذا كان السادة يشترون

الاماء ويجعلون منهم تجارة ويبيعون المتعة لمن يشتريها ممارسين بذلك أحقر ما يمارسه انسان فى مفاهيم الفترة التى أعقبت ظهور الاسـلام • وكان الأثريـاء السادة لا يرون أى بأس أن يكونوا قطاع طريق يسرقون المال بالقوة ممن لا قوة له ولا حول • ويعود قاطع الطريق بعد أن يرتكب جريمته ليصبح بكل وقاحة سيدا فى قومه الحر له الجبابر ساجدين •

وكانت المرأة متاعا لا أكثر حتى اننا نجد الدكتور هيكل فى مقدمة كتابه الخالد حياة محمد يقول ان المرأة فى عصر من عصور الجاهلية لم تكن زوجة لفرد وانما كانت زوجة للقبيلة كلها وما كان على الذى يريد أن ينفرد بها الا أن يغرس عصاه خارج خيمتها فيعرف أفراد القبيلة أن واحدا منهم فى خلوة معها ويرتد عن الخيمة بما فيها ولا أقول من فيها فقد كان الذين بداخلها فى تقديرنا نحن حيوانات وما كانوا آدميين •

وتتم الخيانة اذا خـلا بالمرأة واحد من غير أفراد القبيـلة ويقول الدكتور هيكل انه حدث مرة أن اجتمعت القبيلة جميعا أمام خيمة امرأة لها فلم يجدوا أحدا منهم غائبا فاقتحموا الخيمة واكتشفوا ان امرأتهم تخونهم فقتلوها هى ومن معها وهكذا كان المجتمع متحللا منهارا أبشع ما يكون التحلل والانهيار • وظهر الدين الجديد يصيح « لا اله الا الله »•• الله أكبر ، اذن فالأفراد ليسوا آلهة ، واذن لن يعبد الناس أفرادا من الناس وان لا سادة هناك ولا عبيد • واذن سيستلب الدين الجديد كل مظاهر السيادة التى يرتع فى نعمائها السادة الذين يتاجرون فى المتعة والذين يغتصبون أموال الناس وكراماتهم أفكا وبهتانا وعنوة • بلا حق لهم فقد كان الحق غريبا فى دنياهم يكاد لا يجد له مأوى الا عند قلة نادرة هى التى سارعت الى الاسلام أول من سارع • واذن فلا تجارة فى أجسـاد البشر ولا كسب من بيـع المتعة • واذن فلا اعتداء على أمـوال النـاس ولا عدوان على كراماتهم ولا على مقدراتهم • ويوغـل الاسـلام فى تحطيم سلطانهم فيسوى بين الرجـل والمرأة فى الحقوق ويجعل الذمة الماليـة للمرأة منفصلة عن الذمة المالية للرجل ويحدد حقوقها فى تفصيل لم تعهده البشرية من قبل اذن فالعتاة المستكبرون لن يستطيعون حتى أن يمسوا أموال زوجاتهم • ما هذا الدين ومن أين جاءهم ليقضى على كل ما يلغون فيه من دماء البشر •

ويزداد الدين وضوحا • وتتوالى آياته • ان فضل الانسان على الانسان لا يكون الا بتقوى الله والاخلاص فى عبادته وحده لا شريك له • والتصدر فى المجتمع يكون بالعطـاء لا بالأخذ أو النهب • والعطاء لا يكون بالمال فحسب وانما بالنفس وبالمعاملة وبالتحية ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه لوال له هو أبو موسى الأشعرى « أس بين الناس فى وجهك

وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك » ويرن هذا الخطاب فى سمع الأجيال حتى يصبح فى زماننا الأخير واحدا من أسس القوانين العالمية · وماله لا يكون وقد حرص فيه أمير المؤمنين أن يحاسب القاضى أو الوالى نفسه فى نأمة وجهه وفى الجهة التى يتسمتها هذه الوجه فلا يقبل على شخص ويعرض عن آخر ·· يالهوان المجتمع الجاهلى اذن ويالضيعته · انه الاسلام قد قلب كل الموازين وسحق كل العرف الذى كان سائدا كما قلب الأصنام وسحقها · ان هذا الدين الذى صنع ذلك جميعه فى فترة من أقسى فترات التاريخ على الانسان سواء كان هذا الانسان فى الجزيرة يحيا أم كان يعيش فى مكان من أطراف المعمورة بل لعل الأمر كان أشد وأنكى فى فارس وبلاد الروم وهما الامبراطوريتان اللتان كانتا على قمة عالم ذلك الزمان ولذلك لم يكن عجيبا أن ينهار سلطانهم أمام مبادىء الاسلام البالغة السموق ·

ولكن ماذا حدث بعد ذلك · أما الاسلام فقد اشتد عوده وأصبح يكتسب مع مرور الزمان قوة وعنفوانا ويتجدد جديده الانتشار وبمقارنته بجميع النظم الأخرى التى تحكم المجتمعات ولكن ويا لهول لكن هنا · عاد كثير من المسلمين الى الجاهلية الأولى · وعاد الاتجار بالمتعة يتسيد مجتمعات كثيرة وأوشك تاجر المتعة أن يعلن عن بضاعته فى وسائل الاعلام الحديثة التى تنطلق الكلمة فيها فاذا هى تتردد فى أسماع العالم أجمع وسقط الحياء عن هؤلاء التجار ويوشك بعضهم أن يباهى بتجارته ·

وعاد المال الى التحكم فى المجتمعات الاسلامية فهو السيد الذى لا سيد غيره · وأصبح القوى هو الذى يأخذ لا الذى يعطى وأصبح الرفيع المقام هو الذى ينهب لا الذى يعدل ·

وتفجرت الذرة فاذا السلاح هو أداة المال فى التحكم وفى وضع الأمم فى منازلها التى يختارها لها المال بمعونة من السلاح وحاربت الدولة المسلمة الدولة المسلمة · وفشا فى الدول العربية سرطان حاكم لا يسمع عن حرب الا زج بنفسه فيها يعين من يحلو له أن يعينه بلا فكر أو تدبر أو نظر الى صوالح دولته أو جماهيريته كما شاء أن يسميها فى جنون أخرق مضحك مبك فى أن معا ·

وانقسمت جماعات الفدائيين على بعضها البعض وحارب الأخ أخاه وكلاهما نبت قضية واحدة وهب حياته لها ثم عدل عن ذلك وسفح دماء نفسه من أجل وهم وبلا مبدأ جلى ولا سبب فيه لمحة من منطق ·

لقد عاد مسلمون كثيرون الى جاهلية أخرى جديدة هى أسوأ من الجاهلية القديمة وأعظم رزءا من كل ما واجهته المجتمعات الاسلامية على مر العصور ٠

ولكن الاسلام أقوى ٠ وهو قادر أن يرد الغاوين الى رشاد والصابئين الى مستقيم الصراط والله غالب على أمره الى أبد الآبدين ٠

الأهـــرام ١٩٨٣/٧/٣٠ ٠٠

تجربة مع الشيوعيين

الأستاذ الدكتور طارق حجى غنى عن التعريف فهو كاتب مستقر فى ميدان الحياة المصرية وهو يحمل قلما عربيا فصيحا وأستاذ فى القانون العام وقد قام بتدريس القانون فى كثير من جامعات العالم العربى ..

ظهر له منذ قريب كتاب جديد عنوانه « تجربتى مع الشيوعية » والكاتب ـ كما ترى ـ أستاذ محقق فهو لا يلقى الكلام على عواهنه ولا يسوق الرأى الا بعد أن يبذل الجهد الجهيد فى الحصول له على الأدلة التى لا تقبل المناقضة . وهو يقبل على بحثه اقبال العالم الحر الرأى . ويرى فيه رأيه بما تقدمه اليه الأدلة والأسانيد فهو فيما يقدم من رأى قاض يحاسبه ضميره على كل كلمة يقولها حتى اذا أصدر حكمه كانت الحيثيات حاضرة بين يديه من قريب . وقاضى الرأى يحمل على كتفيه مسئولية أفدح ثقلا من قاضى المحكمة . فان الرأى المنشور قد تكون له عواقب وخيمة على ملايين من الناس اذا لم يقف من ورائه الحق والصدق والبحث الذى ينأى به عن الغرض والتحيز الذى لا يرضى به العلم . وقد كان الدكتور طارق حجى شيوعيا فى بواكير حياته وهو يروى عن الشيوعيين المصريين الذين خالطهم فى هذه الحقبة فنرى أسماء كثيرة يرمز اليها بالحروف الأولى مثل ل.أ . و أ ب.ب . و ى . أ.و م.س . أو أ .ص . ع ول . ع وغ . ش . وف . م . وغيرهم .

وهو يرى عن بعض ما شاهد من هؤلاء ما تأنف الانسانية من ذكره وما أضرب أنا عنه صفحا ولو أننى ما تمنيت فى حياتى أن أنقل الى القراء كتابا بأكمله بكل حرف من حروفه الا هذا الكتاب الذى بلغ فى صدقه وقوة الحجة فيه وسلامة المنطق أو عمق البحث وجدية الكاتب ما لم أشهده الا فى كتب العمالقة الأفذاذ الذين فرضوا أنفسهم على تاريخ البحوث الاجتماعية والفقهية .

وكم أتمنى أن تواتى الشجاعة واحدا من الشيوعيين الذين تخصصوا فى السب والهجر والايذاء فيتصدى لهذا الكتاب بالنقاش الجاد أن استطاع الى النقاش الجاد سبيلا .

وما دمت لا أستطيع أن أنقل الكتاب جميعا فانى أرجو أن أقدم بعضا قليلا مما جاء فيه ٠

يقول المؤلف مثلا أنه تبين له من الدراسة ومن معايشة الشيوعيين أن المذهب وأشياعه يرون أنه ينبغى التمرد على كل القواعد الأخلاقية ٠ والأصول الاجتماعية ٠ فالأصالة والأمانة والاستقامة والطهارة والنزاهة والشرف والعفة والبراءة ٠٠٠ كلها نعوت ذميمة ابتكرهـا البرجوازيون ولا أساس حقيقيا لها من الصحة الا خدمة مصالح الطبقة المستغلة وبهذا التمهيد استطاع المؤلف أن يعلن من الحقائق والاحصاءات ما لم يكن أحد يتصوره رغم أنها حقائق وعلى الرغم من أنها أرقام احصائية يقدمها الى القارىء وما أحسب قارئا سيقرأها الا ويصـاب بما أصبت به أنا من الذهول ٠ وانى ناقل اليك كلام المؤلف بنصه فان فيه ما فوق الكفاية ٠

يقول فى صفحة ٢٤ من الكتاب :

« وقد قدمت لنا التجارب المعاصرة والأيام المتوالية على تلك التجارب أعظم وأجلى الأدلة على فداحة الأخطار الجسيمة لهذا المفهوم الأخلاقى وعلى التجاوزات غير الانسانية لاستشرائه وغلبته على تصرفات وأفعال الماركسيين سواء كأفراد أو كجماعات وتنظيمات ، فبالاستناد لهذا المفهوم التبريرى الميكيافيلى فان ضحايا لينين من بين معارضيه ما بين سنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٣ فقط قد بلغوا مليونا وثمانمائة وواحدا وستين ألفا وخمسمائة وثمانية وستين قتيلا ٠ وكما ذكر البروفيسور كونوف فى دراسته عن ضحايا النظام السوفيتى فان عدد هؤلاء ما بين سنة ١٩١٧ و ١٩٥٩ قد بلغ زهاء ستة وستين مليون مواطن ٠

واستناد لنفس المفهـوم فان دراسة الصحفى البريطانى « فاندر اليست » التى نشر موجزها فى عدد ١٩ مارس سنة ١٩٧٩ من جريدة « الديلى تلغراف » البريطانية تحصى ضحايا النظم الماركسية منذ سنة ١٩١٧ وحتى ١٩٧٩ بمائة وثلاثة وأربعين مليون قتيل ، منهم ٦٦ر٧ مليون قتيل بالاتحاد السوفيتى حتى سنة ١٩٥٩ وثلاثة ملايين بالاتحاد السوفيتى ما بين ١٩٥٩ و ١٩٧٩ و ٦٣ر٨ مليون قتيل فى الصين الشعبية وثلاثة ملايين قتيل المانى على يد الجيش الأحمر (بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تماما) ومليونين فى كمبوديا خلال أقل من ثلاث سنوات فقط ١٩٧٥ ــ ١٩٧٨ على يد نظام الخمير الحمر وثلاثة ملايين فى مناطق أخرى من العالم » ٠

الى هنا وينتهى الاحصـاء الذى نقله الدكتور طارق حجى وكنت خليقا الا أعلق فكل تعليق يتضاءل أمام هذه الأرقام الا أننى أريد فقط أن أذكر أن هؤلاء القتلى لم يقتلوا فى حروب وانما هم ضحايا جيش بكل

سلاحه الجبار الضخم أمامه قوم عزل من السلاح أو يكادون ، ونمضى مع الكاتب بعد ذلك لتجده يكشف لنا فى بحوث لا تقبل الجدل وبناء على أحداث لا ينكرها الشيوعيون مدى ما لقيه المخالفون فى الرأى من عذاب وتشريد ونفى وسجن ويضرب مثلا على ذلك ما حدث للكتاب والعلماء الروس ثم نجد الكاتب ينقل الينا من أراء لينين وماركس وانجلز وتروتسكى وماو وغيرهم ما يجعلنا على بينة بقيمة الديموقراطية عند مؤسسى المذهب الشيوعى • ففى صفحة ٤١ يقول الكتاب « ولينين هو القائل : ففى البرلمانات يكتفون بالهزر بقصد معين هو خداع العامة ••• وقد استطاعوا توسيخ السوفيتات على نمط البرلمانية البرجوازية الأشد اثارة للقرف وذلك يجعلها ندوات للهزر الفارغ » •

وانجلز يقول فى مقدمته لمقالاته أنه لا يستطيع أبدا استعمال كلمة اشتراكى ـ ديموقراطى • ويصف ممثلى الشعب بكلاب الصالونات •

ويقول تروتسكى ان المشاكل بين البروليتاريا وغيرها لا تحل بالدم والحديد •

ويقول ماو « أن دولتنا هى دولة الدكتاتورية الديموقراطية الشعبية » •• ثم يقول فى تفصيل لهذه العبارة أن هذا النظام يقوم على :

ـ خضوع الأقلية للأغلبية •

ـ خضوع الأغلبية للحزب •

ـ خضوع الحزب للجنة المركزية •

وانطلاقا من هذا المفهوم يقول الدكتور حجى ان الماركسى لا يسمح ـ متى قبض على زمام السلطة ـ بحرية الأحزاب وحرية المعارضة السياسية • ويأتى فى سياق الكتاب أن المنظرين يرون استغلال السذاجة الديموقراطية بمطالبتهم بالحرية والأحزاب • والمعارضة حتى اذا تمكن الماركسى من السلطة قضى على هذا جميعه •

ثم يتحدث الدكتور حجى عن الماركسيين وولائهم الوطنى المفقود ويسوق من الأدلة ما لا يبقى مجالا لشك أن ولاء الشيوعى منعدم الا لروسيا وحدها ويقدم سجلا رائعا أيضا عن موقف الشيوعيين العرب والمصريين فى القضية الفلسطينية وكيف عارضوا انشاء اسرائيل ثم كيف أيدوا انشاءها بكل قوتهم وكيف عارضوا التقسيم فى ٤٨ ثم أيدوه بكل قوتهم حتى لقد خرجت مظاهرات يتقدمها زعيم شيوعى عربى وآخر يهودى تدعو الى المعايشة السلمية بينهما • ثم كيف طالبوا بحرب اليهود ثم كيف اختلقوا الخزعبلات عن نصر ٧٣ أول نصر عربى فى العصر الحديث •

وحين ينتقل الى الاقتصاد يبين كيف أن النظرية الماركسية وحديثها عن العمل وفائض القيمة قد نشأت ميتة وازدادت مواتا بظهور البترول ومع ذلك فهو يرجع هذه النظرية الى كتاب آخرين من علماء الاقتصاد مثل ريكادو وطومسون بل أنه يرجع بها الى عبد الرحمن بن خلدون الذى سبق هؤلاء بقرون بالحديث عن العمل وقيمته وان كانت حصافة ابن خلدون قد حالت بينه وبين زلات ماركس الذى اعتبر العمل هو القاعدة المطلقة ليبنى عليه رأيه الذى كونه مسبقا دون بحث ·

وعند الحديث عن الدين حسبنا أن نذكر ما أورده الدكتور حجى من أقوال ماركس « والدين أفيون الشعوب فهو اختراع ابتكرته عقلية المستغلين لامتصـــاص غضب المستغلين وتوطينهم على قبول الأمر الواقع والصبر على الاستغلال والرضاء بالقضاء وعدم النظر لما فى يد الغير وعدم الاعتداء على ما أعطاه الله لفريق من عباده ··· الدين هو الأفيون الذى يخدر المظلومين والمستغلين ليظلوا راضين بقسمتهم فى الحياة ·· الدين رجعى بطبيعته ورجال الدين رجعيون حتما والدولة التى ترفـع رايات الدين هى دولة رجعية بالضرورة » الى هنا وينتهى ما اقتبسه الدكتور حجى من أقوال ماركس وأحسب أن أى تعليق على هذا تزيد لا نحتاج اليه · والله أكبر ·

الأهـــرام ١٩٨٣/٧/٣١ ··

أســماء في جملة

أعتقد اننى تتبعت المسلســل التليفزيونى المأخوذ عن رواية أخى الصديق العظيم يوسف السباعى رحمه الله · وكدت أرفض حلقاته الأولى الثلاث لأنها كانت بعيدة عن النص الأدبى ولكن ما لبثت أن وجدت المسلسل يدخل فى صميم الرواية ويخرج عنها أحسن عمل اقتبسه كتاب السيناريو من الرواية العظيمة للكاتب الكبير ·· وانى أسوق هذا الحديث تمهيدا لجملتى حوار بين فؤاد المهندس كبير ممثلى الكوميديا المصرية وبين القدير محمد شوقى ·

فبعد ان فشت الصراحة فى القاهرة بفعل حبوب الصراحة التى ألقياها فى النيل جرى هذا الحوار بين الصديقين يقول فؤاد المهندس ·

ـ انت أجدع صديق عرفته ·

وفى حدة صريحة صادقة يبادر محمد شوقى قائلا ·

ـ بالعكس أنا أنذل واحد فى الدنيا وأنا جدع لما أعرف أن الجدعنة مش حتضرنى أما اذا عرفت اننى ممكن أنضر من الجدعنة فأنا أعظم ندل فى الدنيا ·

وعجبت كيف يستطيع الفن أن يكون سامقا فى رسم الواقع الى هذه الدرجة · فالكثرة الغالبة من كتاب المعارضة اليوم جاءت أسماؤهم على لسان محمد شوقى فى هذا المسلسل ·

فهم اليوم يزأرون عن أنياب الســباع ويصيحون بالحاكم العــادل صياح الشجعان فى الحروب · وكلما زادت الحرية تباكوا على الحرية وكلما اقتربنا من الديمقراطية والتحضر ولولوا على ضياع الديمقراطية ·

وما هم بصناديد · كل ما فى الأمر أنهم كما وصفهم محمد شوقى يعلمون علم يقين أن أى ضرر لن يصيبهم من زئيرهم وصياحهم ولا من صيالهم وجولاتهم وما دروا أنهم بكل هذا التهجم الذى يزيفونه على الشعب يثبتون للعالم أجمع ان مصر اليوم تتمتع فى ظل حكم حسنى مبارك بحرية لم تشهدها مصر من قبل · ومن أين لها أن تشهدها ·

ثم نكبت مصر بعد ذلك بحكام مصريين لا يعانون الاحتلال وانما بمراكز القوى المصريين كان احتلالهم فاذا هم يسمونها أسوأ عذاب شهدته محتلة كانت أو غير محتلة ٠

ثم جاء السادات فأعاد اليها كرامتها السليبة بحرب أكتوبر وأفسح بعد ذلك الميادين للحرية أن تسعى هونا فى البلاد فالحرية المفاجئة بعد الكبت والطغيان قد تؤدى الى الفوضى والانهيـــار حتى اذا تولى الرئيس مبارك الحكم أتاح الحرية الكاملة لكل الآراء ٠ ولكن البكاء لم يرتفع على الحرية قدر ما ارتفع اليوم بعد كل هذه الحرية التى نشهدها ٠

أين كانت هذه الأقلام حين كنا محتاجين اليها ٠ كانت طبــلا مع الطبالين وزمرا مع الزامرين ٠ ولست أقبل من أصحابها ان يقولوا كنا مرغمين ٠ فقد كان فى استطاعتهم وهم الكتاب المحترفون المتمرسون أن يقولوا ما يشاءون من وراء الكلمات ٠ فاذا لم تسعفهم هذه الشجاعة فقد كان بيدهم لا شك أن يصمتوا والصمت فى كثير من الأحيان يكون أشد وقعا من أى كلام فما بالك اذا كان الكلام نفاقا رخيصا تافها حقيرا ٠

لك الله يا أستاذ محمد شوقى لقد ذكرت فى جملتك البسيطة عديدا من الأسماء وأنت لا تدرى ٠

مايو ١٩٨٣/٨/١ ٠٠

تتغير الدنيـا ولا تتغير

ما أكثر ما نقرأ ٠٠٠ وكم تخدعنا الكلمات المطبوعة فتجعلنا نقرأ ما كان يحسن بنا ألا نقرأه ٠٠ وقد زاد الهزال وندر الكريم ٠ واختلطت معانى الحياة فأصبحت الثقافة هى رقص العـــاريات والعلم هو دعاية الفارغين ٠ وســاد تجار الشرف وتوارى ذو الخلق الرفيع يدارى شرفه وسمو نفسه وكأنه بهما من ذوى العاهات ٠

عصر بخيس مهين هو نتــاج فترة رشـــا فيها القائمون على الأمر الجماعات كجماعات لا أفرادا أو وحدانا ٠

فسولوا للعاملين أن يأخذوا ولا يعطوا ورتبوا لهم حقوقا ولم يرتبوا عليهم واجبات وانماع ميزان الحياة ٠ فاذا العامل فى المصنع لا يعمل الا أن يلهو واثقا أن العلاوة ستوافيه وان العقاب عنه قصى بعيد وتنخرب مصر ويهبط الانتـــاج فيها وتلجأ الدولة الى الضمير فلا تجده أو الى الأمانة فتفتقدها لتفقدها ويعـلو الضجيج مع ضجيج الآلات التى لا تجـــد من يديرها ٠

ويزيد عـدد المدافعين عن عدد اللائمين فى زمن الخلق الخراب ٠ والشرف المضاع ٠ والضمير القتيل وبيد أصحابه كان القتل ٠

ويرشو عهد تلك الفترة التلاميذ فيقدم لهم التعليم المجانى بغير قيد ولا شرط وتنفق الدولة من دماء أبنائها الشرفاء ويأبى التلاميذ أن يبذلوا بعض الجهد ليردوا فضل الدولة ويرسب الطـالب عامـا وعامين ولا يجد رادعا ولا عقوبة ٠ فما له اذن لا يلهو ويلعب ما شاء ٠ وما له لا ينصرف عن المذاكرة ما حلا له المنصرف ما دام واثقا أنه فى عامه القادم تلميذ وبمجانية كاملة أيضا ٠

وحين يصيح شريف أوقفوا هذا العبث تتعالى الصيحات فى وجهه ان التعليم مجانى وسيظل مجانيا ٠ حتى للطلبة العابثين الماجنين اللاهين اللاعبين ٠٠ نعم حتى لهم ٠

فاذا قال عقلاء ليكن التعليم مجانيا للجاد من الطلبة وليس للماجن ارتفعت لافتة الفساد صائحة بل للجميع ٠ وحين يقول قائل أليس هناك

فى مقابل كل حق واجب • يلفظون بما لا تفهم ويهلوسون بما لا يعقل • ونصر نحن على القول ان المجانية للشعب ان يتعلم على شرط واحد هو أن يكون راغبا فى التعليم لا راغبا عنه فاذا رسب الطالب مرة حرم من المجانية • ولكن هل من مجيب •

ان الزمان زمان لهو ومجون ، ونرى الفن فى زماننا هذا فنجد الأشعار بلا موسيقى ونرى الموسيقى بلا طرب ونرى الرسوم بلا معنى ونرى الكلام وقد فقد مقوماته وأسسه فلا الرواية رواية ولا القصة قصة ولا التمثيلية تمثيلية ولا المسرحية مسرحية •

ويدخل الى الميدان من لا يدرى عن أسسه شيئا ويسقط الذوق العام • فنرى التمثيلية فاذا هى مقالة ونرى المقالة فاذا هى عى وبلاهة ونرى القصة فاذا هى حدوتة ونرى الرواية فاذا هى ظلام وقتامة وانحطاط • وتنشأ طبقة من المغنين تضج ولا تطرب وتصوت ولا تقول • ونسمع الأصوات فاذا الحرف لا يكتمل كلمة والكلمة لا تكتمل جملة والجملة لا تعطى معنى ويعم الخراب • فان فن الحياة الخراب لابد أن يكون خرابا •

ونصبح البلد الوحيد فى العالم الذى ينال الانسان فيه حقوقا ولا يتحمل واجبات فيسقط معنى الحياة ويسقط معها فنها •

ونرى الرشوة وهى عماد الاقتصاد ونرى صاحب القلم وهو يبيع قلمه وهو يعلم أن من يبيع قلمه فقد باع شرفه • ونرى كتابا يتاجرون بالوطنية على شعبهم ويزايدون بادعاء البطولة على قومهم • وهم يدرون أنهم لصوص يسرقون ثقة القراء بهم وربما لا يدرون أنهم بما يفعلون شر من اللص الذى قد يسرق مالا محدود القيمة بينما ثقة الشعب لا يساويها مال فى العالم •

واقرأ بين خرف المخرفين أنه لا بأس أن تتغير بعض القيم • شاه من قائل وشاه قوله • كيف تتغير القيم • هيهات • فان القيم أصبحت قيما لأنها ثابتة لا تتغير •

فالقاتل منذ قتل قابيل وهابيل واللص سارق مرفوض من كل خلق ومن كل دين والمرتشى ساقط الكرامة آكل للسحت ملعون بنص كتابنا والسحت هو الرشوة وهو ملعون من الله والناس وملعون قبل الأديان •

والخائن خائن وتاجر العرض فى الحضيض الأسفل من المجتمع وفى الدرك الأسفل من النار · والمنافق انسان رخيص باع انسانيته باختياره فصار شرا من الحيوان ·

والشريف يظل شريفاوالنبيل من الخلق يظل نبيلا ويظل السـامق سـامقا ·

ومرفوض قول القائل نترك الماضى · فان فترة الطغيان هى التى حطمت هذه القيم · وقد نصلح ما خرب ودمر من وسائل الحياة ولكن هيهات ان القيم ما تفسخ من قيمنا واضمحل الا اذا ادركنا ادراك يقين لا شك فيه أن القيم ثابتة وانه لا يجوز لها ولا يعقل أحد أن يتغير منها شيء · ولابد ان نعرف المائل حتى نقيم مائله وان نستوثق من المعوج حتى نقوم عوجه ·

ولا يقولن قائل ان كل ماض فات · فلا هو من الماضى ولا هو قد فات · فموسولينى مازال يلقى بظله على ايطاليا حتى اليوم وهتلر مازال تخريبه لألمانية ماثلا فى تقسيمه لشعبها الى دولتين تشفى كل منهما بما جلبه عليهما · وشاه ايران هو مصدر ما تلاقيه ايران من دمار ·

وقد شقينا بفاروق ولا نستطيع ان نقول عنه انه ماض ولا من جاء بعده يعتبر ماضيا ·

فالتاريخ حلقات مترابطة متصلة لا تنفصل حلقة منه عن حلقة ·

والذى نشهده اليوم من فساد ضمائر وفساد ذمم وانحطاط بشرى هو بعض أثار الأيام القريبة التى رأنت علينا بالطغيان ·

والرئيس الحالى من أشرف من عرفت خلقا ومقصدا وهو بهذا الشرف فى الخلق والمقصد يريد ان يعيد الى مصر وجهها المشرق النبيل · ومن كان مثله شريفا يكون ضيقه بالانحطاط مضاعفا ألف ضعف · وهو يعلم علم اليقين انه لابد ان تعود لمصر القيم التى نشأ فى ظلها وهو يعلم علم يقين ان القيم ثابتة ثبوت الأزل · قط لم تتغير وأبدا لن تتغير ·

وأنه قد تتغير العوائد والتقاليد والمظاهر أما القيم فهى أشد ثبوتا من اعتى الجبال تتغير الدنيا ولا تتغير ؟

الأهرام ١٩٨٣/٨/٧ :

هم يعلمون ولكن ٠٠٠ !

قد يظن بعض الكتاب انه لا ضير عليهم اذا هم تظاهروا بالبطولة وكالوا الشتم والنقد للحكام ٠ وغالوا فى المطالبة بالحرية متمثلين بالدول الديموقراطية الأخرى ٠ ولكن هؤلاء الكتاب قسمان أحد القسمين وهم قلة كبار ويعرفون أن الذى يطالبون به طبل أجوف وهم انما يكتبون ما يكتبون ليظهروا أنهم كبار ويظنون فى سذاجة أن الكبار لا يجوز لهم أن يميلوا الى التأييـد ٠ ولا ينبغى لهم أن يقـارنوا بين ألوان الخسف والهوان والاعتداء على الأعراض وعلى حياة الناس وكرامتهم الذى كنا فيه وبين ما ننعم به اليوم من حرية تبيح لهم ــ على الأقل ــ أن يكتبوا هذا الذى يكتبون دون رقيب أو حسيب الا ضمائرهم ٠ وهم ينسون أو هم ــ على اليقين ــ يريدون أن ينسوا أن مصر العظيمة بعد ما بلاها الله به من نقص فى الأموال وبعد هذه الحرية التى نعيش فى ظلها اليوم أصبحت مطمع المخابيل من عشاق الزعامات أمثال ذلك الأهبل فى الجماهيرية الذى ينفق من أموال دولته بغير عقل ليسقط الحكم فى القاهرة وفى تشاد أو فى أى بلد تتيح له أن يكون زعيما عربيا غير مكتف أن يكون رئيسا لجماهيريته التى جعل اسمها اسم جمع وقد أعيته الحيل ان يجمع الى دولته أخرى ٠

وهم يريدون أن ينسوا هذه العصابات المسلطة على حكم مصر بأموال تغدق عليهم فى الخارج ليسقطوا النظام ويصبحوا هم حكاما على أقدارنا ويا هول مصر والعالم لو تم لهم ما يريدون ٠

وهم فئات يتقاذفها أقصى اليمين وأقصى اليســـار وهم على تنافر المبادىء بينهم مجمعون على خراب مصر وتدميرها فى سبيل أن يجلسوا هم على كراسى الحكم ٠ أغرتهم بذلك الحرية الممنوحة والتى أن زادت عن ذلك لتم لهم ما يريدون ٠ والكتاب الكبار ــ وهم قلة قليلة ــ يدركون ذلك كل الادراك ولكنهم فى سنهم الكبيرة هذه يريدون أن يتعاموا عن هـذه الحقيقة ليسمعوا التصفيق من الدول الرافضة والدول الشيوعية التى يعادونها ويرفضــون مبادئها ولكن صــوت التصفيق يسكرهم وتتملكهم نشوة المخمور الصغير ويضربون بمصالح بلادهم عرض كل أفق ٠

وأنا فيما أسوق من حديث لا أحتاج الى دليل ٠ وهم يملكون من

الأدلة أكثر مما أملك لوجودهم فى سراديب الصحافة ومعرفتهم الأخبار والأنباء والخفايا بصورة لا تتأتى لغيرهم ٠

ولقد أعلم انهم سيقولون انه بمزيد من الحرية يمتنع على هؤلاء أن يصلوا الى أهدافهم ٠ ولهذا القول بريق الحق ولكنه يحمل فى طواياه سم الباطل وكذبه وتمويه الأمور وكذابها ٠ فان الدول التى تأخذ بالأنظمة التى يدعون اليها من تعدد الأحزاب بلا قيود ومن اطلاق الحرية بلا حدود دول استقرت فيها الديموقراطية مئات السنين وبعضها تجاوزت سنوات الديموقراطية ٠ فيها الألف وسبعمائة سنة ٠ وهى دول يدرك الشعب فيها مصالحه تماما ٠ وينتخب حين ينتخب المبدأ لا الشخصى لأنها شعوب ليس فيها أمي واحـد ٠ ونحن بانتخابات القائمـة النسبية نحاول مع المحاولين أن ينتخب الشعب المبدأ للمبدأ ولا ينتخب الشخص الذى يسعى لادخال الابن الى المدرسة والحمار الى الشفخانة وينقل الموظف أو يسعى لترقيته استثناء متعديا على حقوق المواطنين الذين يرفض نائبهم أن يطالب لأحد بما ليس له بحق ٠

وبعد فهذا شأن كبار الكتاب من أصحاب المعارضـة الثابتة التى لا تحاول أن تكون عادلة ٠

أما القسم الآخر فان شأنه حقير يدعو الى التقزز فهم قوم ـ وكم يؤلمنى أن أقول هذا ـ قد باعوا أقلامهم لصحف تعيش على مهاجمة مصر والغض من شأنها وذكر كل ما تعانيه من متاعب بكل تضخيم ومبالغة ، والتغاضى عن كل الجهد الذى تبذله مصر للتغلب على هذه الفترة الحرجة من تاريخها ٠

وبعد مرة أخرى فمصر دولة قدر لها أن تخرج من فترة طغيان ماحقة صدرت فيها القوانين بغير دراسة وافتعلت فيها الصناعة افتعالا وفرضت عليها أوضاع سياسية لم يشهد العالم لها مثيلا ٠ وملك الأمر فيها الجاهل والمنافق والباحث عن مصالحه على حساب مصالح الشعب ٠ ولا يستطيع الرئيس الحالى كما لم يستطع الرئيس الشهيد الراحل أن يغير هذا جميعه بين عشية وضحاها ولذلك كان لابد أن تصدر التشريعات وهى تتحسب تشريعات أخرى وتحاول الا تواجهها وانما تستفيد منها ما أمكن الاستفادة ٠ ويحاول الرئيس الحالى ـ أعانه الله ـ أن يجعل الصناعة والقطاع العام فى مصر على أسس علمية حتى تنال منه البلاد أقصى خير متاح ٠ فانه يستحيل أن يلغى القطاع العام وقد أصبح اليوم عماد الاقتصاد المصرى ولكن لابد أن يتجه الى ما يعود على مصر بأكبر عائد يمكن أن يعطيه ٠

علم الله ان الكتاب الكبار يعلمون هذا كل العلم وأرجـو الله أن يرشدوا ٠ وعلم الله أن الكتاب الذين يتاجرون بأقلامهم يعلمون هذا أيضا ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل ٠

أيها التاريخ ترقب

سبحانه جل وعلا ، له عند اليأس يد لطف ترد اليأس الى أمـل وتحيل ظلام القنوط الى اشراقة فرحة ، وهو سـبحانه وتعالى من يقول ألم نشرح لك صدرك • ووضعنا عنك وزرك • الذى انقض ظهـرك ورفعنا لك ذكرك • فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب •

ويكرر سبحانه وتعالى ان مع العسر يسرا مرتين فى بلاغة معجزة لا يصل اليها الا بارىء النفوس • العالم بمداخلها الخبيثة والخبير بأين تستقر الكلمة فى الضمائر وهو سبحانه حين يقول هذا لنبيه عليه الصلاة والسلام لا يقصر قوله عليه وحده وانما هو يخاطب الناس كافة والتاريخ بأسره •

فكل انسان انقض ظهره الوزر يضع الله عنه وزره ايمان يملأ صدره بلطف الله العلى القدير ، ثم هو سبحانه يرفع له ذكره ويؤيـده بالقول الثابت ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فامض فى غايتك أيها العبد المؤمن وارغب الى ربك الذى وضع عنك وزرك ورفع لك ذكرك وهيأ لك بعد العسر يسرا لأن الله سبحانه يتبع عسر المؤمن بيسر من لدنه تقدست مشيئته •

وقد مرت مصر بعسر أي عسر وتعرض شـبابنا لفترة من أحلك فترات التاريخ وقد استقبلوها فى مشارق أعمارهم وفى غضارة حياتهم • والعيدان منهم كانت لا تزال خضرا غضة • فوضعوا كل ثقتهم فى جماعة لا تستحق هذه الثقة • وفجأة تفجرت الحقيقة على نفوسهم الشابة المفعمة بالأمل • المترعة بالوثوق فيمن أسلموهم قيادهم عن اقتنـاع وخبرة • وقد كانوا قد ضربوا صفحا وأغلقوا أذنا عن كل ما كان يتناقله آباؤهم واخوانهم الذين يكبرونهم عما يرتكبه العهد من أثام تبدأ بالاعتداء على الأعراض وتنتهى بالاعتداء على الحياة بازهاقها • وكانوا قد ضربوا صفحا وأغلقوا أذنا وعينا عن الرعب الذى تغشى وجه مصر جميعـا مقتنعين فى حماسة الشباب أن كل هذا يهون فى سبيل مصر فقد كانوا يظنـون أن ما كان العهد يقترفه كان من أجل مصر وليس من أجل الاستيلاء على مصر والالقاء بها ورقة مراهنة لاصطياد الأمجـاد الفردية واقامة امبراطورية

لشخص فى زمان اندثرت فيه الامبراطوريات • حتى اذا رأى الشباب مصر وقد صرعت كرامتها فى عام ٦٧ أفاقوا الى صراخ الحق • ورفضوا من بعد أن يضربوا صفحا أو يغلقوا أذنا أو يغمضوا عينا • وهالتهم ـ كان الله لهم ـ تلك الهوة السحيقة بين ما اقتنعوا به وبين ما طالعتهم به الحقيقة التى ترفض المناقشة • وانماعت أمامهم وجوه الحياة • وغابت فى أعينهم مسالك الطريق وراحوا ينعمون النظر فاذا دينهم قد ضاع فى غمرة الالحاد • ووطنهم قد تلاشى فى تقديس الأفراد ، وقيمهم قد انهارت فى حمأة الشعارات ، واذا الفراغ يطل عليهم من وراء اللافتات ، وكفروا بما رفع عليهم من أقوال تردد أن الولاء سابق على الكفاءة ، والولاء هنا لغة كاذبة تعنى فى صريحها النفاق فمن شاء أن يصحح الكذب بالصدق فعليه أن يقول النفاق قبل الكفاءة أو الوطنية أو الايمان بالله أو بالحرية أو بكرامة الانسان •

وهكذا تصدعت قلوبنا نحن الآباء والأخوة الكبار على شباب هذا الجيل المصرى وحسبنا أنه تاه عن مصريته ضل السبيل عن ربه وفقد الانتماء لقيمه الأصيلة • وما كان من لا يعرف الايمان بالله والحب للوطن أن يكون منتميا •

وازددنا جزعا ونحن نرى الدين يصبح عند بعض منهم سلما يصطنعونه الى مغانم دنيوية وطريقا يزيفونه ليستولوا به على الحكم ، ورأينا فئات منهم تغلوا فى دينها غلوا ينأى بها عن الدين فى جوهره وروحه ويدنو بهم الى مظهر لا يعنى الا الفراغ من لحية تطلق أو جلباب أصبح كأستار مسرح للمضحكات التى لا جد فيها ولا عمق • ويزداد بنا الجزع ويبلغ أقصى مداه فى نفوسنا حين نرى فئة أخرى منهم يخدعها الشيوعيون عن أديانهم وعن عروبتهم ليقذفوا بهم الى متاهات ماركس ولينين والى مذابح ستالين وماو •

ولكن الله سبحانه وتعالى يمد من فوق سبع سماوات يده باللطف الربانى فيرفع عنا وعنهم وزرنا ووزرهم الذى انقض ظهورنا وظهورهم ويرفع بذكر مصر ذكرنا وذكرهم • ونلتفت فجأة فنجد مصر على حقيقتها تموج بالحياة فى نفوس الأصلاء من شبابها • أولئك الذين لا تعرف الأرض مفرقهم الا مصلين • فهم شم الأنوف • عامرة أفئدتهم بالايمان برب العالمين مخضلة جنبات جوانحهم بحب مصرهم العالية فاذا هم يزحفون زرافات ووحدانا الى قلعة صلاح الدين ومسجد محمد على ليعيدوا اليها واليه رونق مصر وجلال الايمان •

ان الشباب الذى عمل فى صمت ولكن فى عزم يعيد الزخرف الى الآثار التى هدمت والمتاحف التى احترقت والى المساجد التى دمرت أراد أن يعيد بشبابه الشباب الى مصر ، وبجمال روحه الجمالى وجه

مصر · وبعزمه الفتوة الى عزمات مصر · وبفنه الريادة الى فن مصر أراد الشباب وفعـــل ·

اذن فذلك هو الشباب الذى أحزننـا بعض منه بمظهره · ها هو ذا يتكشف لنا عن أصوله ويزيح عن حقيقته الباذخة ما ألصقه بها التافهون منهم والضائعون والمضيعون ·

هذا الشباب الذى وقف الأيام الطوال والشهور المتلاحقة على الهواء ليزيح عن آثار مصر ما أفسدته أزمان مقيتة أزاح فى ذات الوقت عن نفسه سوء الظن به الذى رماه عليه فئة منه قليلة قلة الاستثناء الذى يؤكد القـاعدة · والقـاعدة هنا عملاقة تقف رؤوسها عالية مع المآذن التى عاد اليها الله أكبر الله أكبر ولا اله الا الله · ومحمد رسول الله صلى الله عليه وســلم·

ان هذا الشباب هو مصر القادمة · فأصخ أيهـا التاريخ ان مصر المؤمنة بالله وبالشرف وبالحق وبالحرية قادمة اليك فى الطريق وقد بدت منها الطلائع كاشراقة فجر فى يوم ربيع ·

ان هذا الشباب الذى عرف الله والوطن والجمال لن يعرف الرشوة الكافرة ولا التجارة الشائهة ولا الخنـوع الذليل · انه غـد مصر أيها التاريخ ·· فترقب ·

انه كلمة الله ووعده الحق ·· ان بعد العسر يسرا ·· ان بعد العسر يسرا ·· ان بعد العسر يسرا ·· فاللهم شـكرا لك على ما شرحت من صدورنا · وما وضعت من أحمالنا ، وما رفعت من ذكرنا واللهم غفرانك لنا حين تولانا اليأس فى عسرنا وحين نسينا أن بعد العسر يسرا ·

الأهرام ١٩٨٣/٨/١٤ :

انها كرامة مصر

يقول الله تعالى فى سورة الأنعام « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون » الآية ١٢٣٠

ولو كان الشيوعيون يقرأون القرآن أو يتدبرون محكم آياته ما أقدموا على ما أقدموا عليه من اشاعة الشك فى القرعة التى جرت بمجلس الشورى ٠

ولو كانوا يعقلون ٠ وهيهات للملحد أن يعقل ٠٠ ما سقطوا كالأنعام العمياء فى هوة هم الذين حفروها لأنفسهم ٠

فقرعة تجرى على ملأ الناس ويكون نتيجتها خروج نصف الأعضاء الذين يزيدون على المائة ولا يفكر واحد منهم أن يتشكك لحظة أو جزءا من لحظة فى سلامة الاجراءات هى قرعة لا يمس نزاهتها الا مخبول ٠ أو أكابر المجرمين الذين يحاولون أن يمكروا فلا يمكرون الا بأنفسهم ٠ ولا عجب فانهم لايشعرون ٠

ان ما كتبته جريدة الأهالى هو شر ما ترمى به الأهالى نفسها ٠ فهم فيما نشروه كانوا مسلطين على أنفسهم وليس على مجلس الشورى فقد كشفوا فى وقاحة لا تتأتى الا للكافرين أنهم غاية فى السذاجة والسخف ٠ وليس هذا بغريب منهم ولا هو عجيب فقديما قال الشاعر

لايبلغ العالم من جاهل

ما يبلغ الجاهل من نفسه

والا فكيف يتصور أحد أن تزور لجنتان القرعة للمعينين والمرشحين ثم لايستفيد أعضاء اللجان جميعا ثم يجرون التزوير بعد ذلك لغيرهم ٠ فكيف اذن أسفرت القرعة عن خروج رئيسى اللجنتين وثلاثة أرباع اللجنتين كليهما ٠

وكيف جرى التزييف والذين خرجوا جميعا شهود عليه ٠ اكل هؤلاء أصابتهم الغفلة ولم توات النباهة الا كتاب جريدة الأهالى ٠

وكيف جرى التزييف والصحافة شاهدة عليه من شرفاتها · أكل الصحفيين الذين حضروا أغبياء وليس فى مصر أذكياء الا ملحدو الأهالى ·

وكيف زورت القرعة والأوراق تسحب بمشهد من قرابة ثلاثمائة مشاهد بينهم أساتذة الجامعات ومديروها وأعلام مصر فى كل ميدان من ميادين الحياة المصرية بل والعربية ·

وقبل هذا جميعا لماذا تزيف القرعة والأمر لا يعدو خروج نصف الأعضاء قد يعود أغلبهم الى أماكنهم بعد فترة وجيزة يظل فيها الأعضاء الذين خرجوا أعضاء لا تتخلى عنهم عضويتهم الا بعد انتخاب وتعيين من ستصدر بهم القوائم ترشيحا وتعيينا ·

ولكن الأمر على سخافته لاينبغى أن تسكت عليه مصر · فقد يكون مقبولا فى عرف الكذب والادعاء أن يهاجم حزب فردا بذاته مهما يكن شأن هذا الفرد · وقد تسكت مصر عن حملة التشويه وتلويث السـمعة التى يشنها حزب التجمع فى جريدته على قوم يرفضون الالحاد ويرفضـون أن يكون المصرى منتميا لغير مصر · وللفرد أن يرفـع الأمر الى القضاء اذا مسوا كرامته أو طهارة يده ·

ولكن أن يتجرأ أعضاء حزب التجمع وجريدتهم على انتهاك حرمة مجلس تشريعى بأكمله فيرموا المجلس فى شخصيته المعنوية بالتزوير والتزييف وعدم الأمانة ويرموا أعضاءه مجتمعين بالغفلة والغباء وهم من هم قدرا ومكانة فذلك ينبغى أن تتصدى له مصر جميعا ·

فالكلام موجه الى العالم أجمع يريد به أصحابه أن ينالوا من شرف مجلس كريم رفيع القدر · ويرى به أصحابه أيضا أن ينالوا من سمعة أبناء مصر جميعا الذين يتصور أعضاء حزب التجمع أنهم سيصدقون هذا الهراء والخرف ·

ان هذا الذى نشرته الأهالى ليس امتهانا لمجلس الشورى كشخصية معنوية · وليس امتهانا لاعضائه الذين خرجوا والذين بقوا على السواء فحسب وانما هو امتهان لعقليـة الشعب المصرى أجمـع لا أستثنى منه أحـــدا ·

ولقد نعلم أن أعضاء حزب التجمع لا يؤمنون بمصريتهم لأن الشيوعية لا تؤمن بالوطن ٠ ولكن أن يعلنوا هذا على ملأ العـــالم أمر لابد للشعب المصرى أن يتخذ منه اجراء لا أقول بوسيلة من وسائل القهر فان الأحرار لايقبلون القهر وان كان الشيوعيون يدينون به ولا يستعملون ســلاحا غيره ٠ وانما على أبناء مصر أن يعلنوا على ملأ العالم أنهم ليسوا أولئك الذين ترميهم جريدة الأهالى وترمى علماءهم ومثقفيهم بالغفلة والغباء ٠

وان أقل ما ينبغى أن يصنعه أبناء مصر أن يقاطعوا هذه الجريدة الحمراء المخضبة بدماء البشرية ودماء كرامة المصريين الشرفاء وكرامة الوطن التى تعلو كل كرامة ٠

مايو ١٩٨٣/٨/١٥ ٠٠

الأدب والبشرية

أقرأ فى هذه الايام كتاب « الخالدون مائة أعظمهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام » والكتاب ترجمه الى العربية الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور .. ومؤلف الكتاب مايكل هارت عالم فلكى رياضى .

والكتاب عرض سريع لهؤلاء الخالدين يمكن أن يكون تعريفا بهم لمن لا يعرف عنهم شيئا ، أما هؤلاء الذين يعرفون هذه الشخصيات سيجدون فى العجالة التى أوردها الكتاب تذكرة لهم بهؤلاء الأعلام . والكتاب ممتع فى عرضه يهب للقارىء سعادة ويدفع عنه الملالة حتى اننا لنقرأ ما يعرضه الكتاب فنجد أنفسنا تواقين الى المضى فيه ولا نجد عسرا فى عرضه للشخصيات التى قدمت أشياء خالدة فى تاريخ البشرية فى فروع بعيدة عن تخصصات القارىء .

وانما أثار اهتمامى فى هذه الشخصيات ما كتبه المؤلف عن شكسبير من رأى يدل على أن الكاتب لا يدرى شيئا عن وظيفة الأدب ولا عن قيمته فى الحياة . فهو رأى أقل ما يقال عنه أنه ساذج فطرى . عجبت كل العجب أن يصدر عن شخص له ما للمؤلف من ثقافة . ثم رددت تعجبى وقمعت الدهشة حين تذكرت أن المؤلف عالم فلكى ورياضى وأولئك قوم فى أغلبهم لا يدركون الا المحسوسات ومن يدرك المحسوسات ولا يدرك غيرها انسان جامد الحس . قاصر النظر . سطحى التفكير . وليس هذا الذى أقوله عنهم ذما وانما هو وصف لا أظنهم يضيقون به . فالذى يتكلم لغة الأرقام ولا يقبل الا العلم البصرى لا يؤمن الا بما يراه رأى عين لا تتعمق بصيرته الى عالم الروح والى مكامن النفس والى دخائل الضمائر ومكنونها .

يقول الكاتب :

« وعلى الرغم من عبقرية شكسبير وعظمته المؤكدة فانه لم يظهر فى وقت مبكر من قائمة الخالدين . وقد جاء دوره متأخرا قليلا لا لأننى لا أقدر عظمته وعبقريته ولكن لأننى أعتقد أن الأدباء والفنانين ليس لهم الا أثر ضئيل على تاريخ الانسانية » .

واعتقاده هذا هو الذى أثارنى الى هذا المقال . فالرجل اذن لا يفكر الا تفكيرا محدودا . الدليل على ذلك اننا نجده يضع بين خالديه أسماء

أفنت من الأرواح ما أفنت ودمرت من البشرية ما دمرت واعتبر أن هؤلاء الخالدين فى رأيه أعظم أثرا على البشرية • فالذى يهـــدم البشرية عنده يتقدم على الأدباء والفنانين لأنه يعتقد أن الأدباء والفنانين ليس لهم الا أثر ضئيل على تاريخ الانسانية •

ولأنه عالم فلكي ورياضى لم يستطع أن يتخيل لحظة ماذا كل يمسى تاريخ البشرية لو خلا من الأدباء والفنانين •

فلو أن الاحساس بالفن مسه من قريب أو بعيد لتخيل عالما لا أدب فيه ولا فن • ولو أنه أعمل النظر قليلا فى التاريخ لوجد الأدب هو الذى جعل الناس تعرف معنى الحـرية ومعنى الشرف ومعنى الشرف ومعنى الأقوة ومعنى الوفاء والحب الذى صعدت البشرية على هداه الى مراقى الانسانية •

ولو أن هذا الكاتب نفسه قرأ شكسبير وأحسن قراءته لوجد أن كثيرين ممن اعتبرهم خالدين انما هم قتلة ســـفاحون أعاقوا البشرية • وان كان هو قد ذكر ما صنعوه فى ظاهر الحياة وسطحها فان شكسبير قد غاص منهم الى الأعماق وكشف خبيئة نفوسهم وجعل الفرد منهم الذى طغا وتجبر وعتا لا يزيد فى حقيقته عن مخبول أو مجنون • وأنه ما ارتكب ما ارتكب الا لأنه نبا فى تركيبه عن شرف الانسان وعما ينبغى لأسمى المخلوقات من رحمة واشفاق بالبشر وعطف على أخوته فى الانسانيه • ولو أنه قرأ شكسبير والأدباء الأخرين فى لغته وفي غير لغته لوجد أن الامبراطور الأعظـــم والملك المتـــوج والرئيس المتـــأله الذى تهتف باسمه الحشود عن حق أو ضلالة ليسوا عند الأديب الا أناسى وبشرا من البشر لا يزيدون عنهم فى شيء • وربما كان أولئك الأباطرة والملوك والرؤساء أقل من الناس شأنا بلؤم الطبع ، وخسة المتجه ، ودناءة الهدف • وربما كانوا أحقر من الانسان بالوسائل الوحشية التى يتبعونها • وبالاحتيال واخفاء الحقائق والبطش الوحشى ، بطشا يبين فى أعين أمثال المؤلف من الماديين مبررا وهو عند الأدباء الأمناء لاتبرير له مطلقـــا • فما يقبـــل الأديب أن يهان الانسان وما يقبل الأديب أن يستغل شخص ما مهما يكن ملكا أو امبراطورا أو رئيسا سطوة منصبه ليهين الانسانية متمثلة هذه الانسانية فى أى فرد مهما يكن مكانه فى المجتمع • وما يقبل الأديب أن يكون الفقر مذلة ولا أن يكون نوع العمل مهما يكن شأنه داعيا للاعتداء على كرامة الانسان أو على حقه فى الحياة الحرة الشريفة •

ولو أن الكاتب قرأ شكسبير أو غيره من الأدباء لعرف أن الخصومة السياسية ورفض الرأى لا يجوز أن يسمح للامبراطور أو الملك أو الرئيس أن يقمع بالسلطان خصمه أو ينال بالسيف رضاه • فما الامبراطور أو الملك أو الرئيس الا فرد يخطىء كما يخطىء الناس ويصيب، كما يصيبون •

ولو أنه قرأ شكسبير أو غيره من الأدباء لعرف أنهم يرون أن الشرف ليس مقصورا على طبقة دون طبقة ولا على ناس دون ناس وانما هو مشاع بين كل الطبقات لا اختلاف بينهـــم ولا فارق • فكمـا يجوز أن يـكون ابن الامبراطور أو الملك أو الرئيس شريفا يجوز أيضا أن يكون وضـيعا فى خلقه ساقط الكرامة يرتضى لنفسه مالا يرضاه الا السفلة والأفاقون •

ويجوز أيضا أن يكون الفقير شريفا سامق النفس عالى الهمة ويجوز أيضا أن يكون ابن الوضيع وضيعا •

ولو كان قرأ لشكسبير أو لأحد من الأدباء لعرف أن المال الذى أصبح الها فى النظرية المادية الشيوعية والذى هو الاله فى النظرية الرأسمالية ليس عند الكتاب فيما يكتبون الا وسيلة وما هو بغـــاية • وأن الناس الذين يجعلون منه غاية هم أرخص خلق الله على الله وعلى البشر •

وان الغنى لا يجعل الانسان عظيما وان الفقر لا يجعل الانسان حقيرا وانما الانسان عند الأديب عمله وليس ماله وخلقه وليس أخلاق ثيابه •

فالادباء والكتاب هم صرخة البشرية فى وجه من يعادى البشرية على نور أقلامهم سار الخالدون الذين ذكرهم بأستثناء محمد وعيسى — عليهما الصلاة والسلام — فى كتابه اللذين جاءهما الهدى من السماء •

وقد اختار الله لأعظم الخالدين محمد عليه الصلاة والسلام أن تكون معجزته متمثلة فى الكلمة ، ولكن العالم الفلكى الرياضى لا يستطيع أن يفهم هذا المعنى ولا أن يقدره • ومن أين له أن يعرف قدر القرآن الكريم وهو لا يتحدث لغته •

اذا كان المؤرخون هم الناقلون أحداث التاريخ الى الأجيال فان الكتاب هم الناقلون منائر القيم الى كل الأزمان •

واذا كان المؤرخ يثبت الأحداث فان الاديب يبلور روح العصور الى العصور •

واذا كان هناك من يكفر بقدر الأديب فهو جاهل • أو غبى • وكلاهما شر من أخيه •

وان كان هناك من يقول ان الأدباء بما يملكون من أقلام يعظمون قدر أنفسهم فان هذا القائل عمى عن الحقيقة وانفصل عن البشر • لأن الناس هم الذين يقدرون الكتاب ويرفعونهم الى مراتب الأنبيـــاء والصـــديقين بما أناروا أزمان البشر منذ الأزل والى الأبد •

الأهـــرام ١٩٨٣/٨/٢١ ••

اقتراحات وليست برنامجا

غمرتنـــا السعادة وأنا أسمع جملة معينـة في خطـاب الرئيس حسنى مبارك الى المغتربين من المصريين وأنا حريص أن أنقل الجملة بنصها من الخطاب فهو يقول ٠٠

« واسمحوا لى أيها الاخوة والأخوات أن أطرح عليكم بعض النقاط التى تعينكم على الخروج بتصور كامل للأسلوب الأمثل لخدمة مصركم العزيزة أثناء وجودكم فى الخارج وهى نقاط لا أطرحها لكى تتحول آليا لبرنامج عمل بل أن ما أقصده هو أن تكون مجالا للدراسة والتمحيص والنقاش الى جانب ما تبدونه من أفكار وآراء » ٠

ثم أضاف الرئيس فى تأكيد وهو يطرح النقطة الخامسة من مقترحاته كلمة قالها من خارج الخطاب المكتوب وباللغة العامية « برضه ده مش برنامج عمل » ٠

وهذه الكلمات القليلة خطيرة الشأن فى حياتنا الديموقراطيـــة ٠ فالرئيس يعلن على الملأ أنه يريد فى مجال الرأى أن يبدى رأيه شأنه فى ذلك شأن أى عضو من أعضاء اللجان ولا يريـد أن تكون آراؤه قرارات وانما يريد أن يبديها فقط وقد كان ينبغى ألا يحتاج الرئيس أن يعلن هذا لولا ما يشهده فى الحياة العـامة من أقوام يعتبرون كل حديث لرئيس الجمهورية قرارات أو برنامج عمل ٠ غافلين أن الرئيس حين يريد أن يصدر قرارا جمهوريا فانه يتخذ لذلك الوسائل الدستورية المعروفة لاصدار القـــرار ٠٠

ولكن الرئيس يريد أن يكون فردا من الجماعة وأن يـكون له فى الشورى رأى شأنه فى ذلك شأن ســـائر أفراد الجماعة ٠٠ ويريد من الجماعة أن تناقش هذه الآراء بالرفض أو القبول فاذا انتهــوا الى راى يكون هذا الرأى قرارا أو توصية ٠

والرئيس يريد أن يقول لكل العاملين فى مصر ، ان كونه رئيسا للجمهورية لا يجوز أن يمنعه الحق فى ابداء رأى على أن يكون مجرد رأى وليس قرارا جمهوريا ٠ وهذه التفرقة بين الانسان المصرى حسنى مبارك وبين الرئيس المصرى حسنى مبارك غاية فى الأهمية فى حياتنا العامة ٠

فالانسان المصرى حسنى مبارك يريد أن يدلى برأيه ويكون هذا الرأى موضوع مناقشة حرة ولايكون أمرا واجب التنفيذ فور صدوره عنه ٠

أما الرئيس حسنى مبارك فانه حين يريد أن يصدر قرارا جمهوريا فهو يستشير فى شأنه أولى الرأى المتخصصين فى ميدان القرار حتى اذا اطمأن أن الرأى قد أنضجه التقليب واستقر عليه التفكير وامعان النظر أصدره قرارا واجب التنفيذ ٠ فالرأى أمر مختلف كل الاختلاف عن القرار ٠

والرئيس حسنى مبارك بهذا الذى قاله يعلن على الملأ أنه يريد أن يكون فردا من الشعب المصرى يناقش شئون مصر مع الناس أجمعين ويريد الا تمنعه رئاسة الجمهورية من تداول الرأى والادلاء بما يراه كفرد من الناس وليس كرئيس جمهورية يملك أن يصدر القرار ٠

ويريد أن يعلن على الملأ أن رئيس الجمهورية لا يجوز له فى الحكم الديمقراطى أن ينفرد وحده بالرأى وأنه لا ينبغى له أن يصـــدر قرارا ما الا بعد أن يعرف آراء الآخرين فيه ٠٠

ان هذه الكلمات القلائل التى قالها الرئيس حسنى مبارك هى الفارق الفاصل المحدد بين الدكتاتورية وروح الديموقراطية ٠٠

فالديكتاتور يصدر القرار منفردا به وفى أى لحظة ودون أى مشورة ٠ وقد يكون وهو يصدر القرار ممغوصا أو مصدوعا فيخــرج قراره أيضــا ممغوصا أو مصدوعا ، ومغص القرار وصداعه يصيب قوما كثيرين وقد يقضى عليهم قضاء مبرما ، وذلك لأن الديكتاتور كثيرا ما ينسى أنه انسان يصدق عليه ما يصدق على الانسان من خطأ وصواب ، ومن مرض وصحة ، ومن بهجة وشقاء ٠

يحسب الديكتاتور أنه نسيج وحده من الناس وأن الذى خلقه سواه من طينة غير طينة البشر ٠ ولذلك وجد الأباطرة والطغاة من الملوك والظلمة من رجال الثورات من يقول لهم ان الوحى ينزل على السنتهم من السماء مباشرة وان ما ينطقون به انما هو أوامر من رفيع السماوات ذى العرش ٠ وصدقوا هم فى أنفسهم هذه الأوهام ٠ والنفس هى شر مخادع لصاحبها ٠ والمنافقون من الناس يعلمون هذه الحقيقــة فيزيــدون الطغـــاة طغيانا ويزودونهم بالحجج التى تجعل نفوسهم تخادعهم عن الحق كل خداع ٠٠

مايو ١٩٨٣/٨/٢٢ ٠٠

ومن الهدم بناء

في قديم الزمان منذ ألف عام ونيف قال المتنبي :

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

والعجب ان هذه المضحكات تزداد على الأيام ارتفاعا وتزداد دواعي البكاء فيها شدة وشناعة .

ارتفع قوم بغير ضمير بعمائرهم .. وسارعوا فباعوها حتى يتحمل غيرهم البلاء كله متمثلا في مالهم أول الأمر ثم متمثلا في حياتهم جميعا .

وكان من الطبيعي ان تصرخ مصر ويعلو منها الضجيج ان بين أبنائها أقواما تجردوا الى هذا الحد من الانسانية بل وتجردوا أيضا من بعد النظر لأن أدوات البناء من أسمنت وحديد لا تقبل الرشوة وتأبى ان تسكت على مايرتكبون ولابد لها ان تعلن احتجاجها .. واحتجاجها ليس كلمات على الورق وانما هو انهيار وقضاء على أرواح وعلى مستقبل أقوام لا تفرق حين تقتل بين شخص وآخر وانما هي تقتل الجميع في غير عقل ولا رحمة .. ولماذا ترحم قوما اقبلوا على شراء هذه الشقق دون ان يتحققوا من ان البناء قام فيها على أسس هندسية سليمة ورخصت ببنائه الجهات المتخصصة في اعطاء الترخيصات .. وحين يعلن الأسمنت والحديد رفضه سيصبح الملاك ومهندسوهم جميعا مسئولين وهكذا تخلى عنهم بعد النظر أيضا ..

وحين أصبح انهيار العمارات ظاهرة .. وحين أصبح لا يقتل من يقتل فقط من أفراد وانما تعدى ذلك الى سمعة مصر التي تحتاج اليها لتعيد الطمأنينة الممزقة التي ورثتها عن أيام القهر .. تصدت السلطات لهذه الظاهرة وصدر القانون بهدم كل بناء قام بغير اذن ..

وبدأت الجهات التنفيذية تمارس واجبها في تطبيق القانون .. فاذا بأقلام مصرية ويمسك بها آدميون من بني الانسان تصيح بالذين يطبقون القانون أن ما يفعلونه ظلم وطغيان .. وأن الهدم لا يستغرق الا لحظات

فى حين يحتاج البناء الى سنوات ٠٠ وقد نسوا ان الذى حدث ليس هدما وانما هو بناء ٠٠ هم يهدمون بضعة طوابق ويبنون هيبة دولة بأكملها ٠٠

ما هذا الهراء أيها الآدميون ٠٠ أيبقى البناء لتنهار فى كل يوم عمارة على ساكنيها وعلى سمعة مصر وكرامتها ٠٠

أتبقى العمارات لتتحدى القانون وتجعل منه أضحوكة ٠٠ ان بلدا لايحترم فيها القانون بلد جديرة بأن تمحى من الوجود ٠٠ وان شعبا يعيش فى بلد بلا قانون شعب مشرد تائه يأكل الناس فيه بعضهم بعضا والشريعة بينهم السلاح والتقرب من ذوى السلطان ويومذاك يصبح الفرد فى هلع وفى حيرة مهلكة بلا حماية ٠٠

فالقانون وحده هو الحماية ٠٠ وان الابقاء على العمارات التى ارتفعت بغير اذن قتل للقانون وقتل لهيبة الحق ، وهيبة الدولة ٠ وحين تصبح الدولة بلا هيبة تسقط جميعا ولا تستحق ان تعاش ٠

ان الذى أقام هذه العمارات أقامها على باطل فهى باطل ولابد ان يسحق الحق والقانون كل ما هو باطل ٠٠ وان قوما سكنوا هذه العمارات هم واحد من اثنين اما جاهل لم يحاول ان يعرف كيف أقيمت هذه العمارات وهكذا يصبح مغفلا والقانون لا يحمى المغفل ٠٠ واما مغامر قامر بحياته وبماله راجيا ان تغضى الحكومة عنه عينا اذا سكت عنه الأسمنت والحديد ولم ينهارا عليه وعلى أسرته ٠٠ وعلى المغامر ان يقبل كل ما ينتج عن مغامرته ٠

والدفاع عن هؤلاء وهؤلاء من ملاك الى مشترين من ملاك أو مستأجرين جريمة أضخم من جريمة المالك الغشاش القاتل السفاح ٠٠ لأن الدفاع عنهم دفاع عن تمزيق القوانين وعن قتل الناس وعن القضاء على سمعة مصر وكرامة القانون وهيبة الدولة ٠٠

وهاتان عمارتان قد سقطتا فى يوم واحد فى الاسكندرية والقاهرة ٠٠ وتزداد الكارثة فى كل يوم هولا واتساعا ٠٠ ونسمع – وويل لأرواح الناس مما نسمع – ان التنفيذ قد أوقف فى بعض العمارات حتى تحكم المحكمة ٠٠ ترى هل الأسمنت والحديد عندهما خبر بالانتظار حتى تحكم المحاكم وهى التى تغص بالمتقاضين وهيهات ان تفرغ قبل وقت لا يعلم أحد مداه الا الله سبحانه فى علياء سمائه ٠

واذا كان الأسمنت والحديد قد بلغهما هذا الذى قيل فهل يستطيع أحد أن يسألهما ان كانا ينتويان الانتظار أم سينقضان على السكان بغير اذن من المحكمة أو من أى جهة أخرى ٠٠

ولقد يتصور بعض الناس أن يجرم المجرمون القتلة من أجل مزيد من المال وان كان الذين يرتكبونه تمزيقا أى تمزيق لكل معانى الانسانية ٠

ولكن كيف نتصور ان يدافع عن هذا أصـــحاب أقلام يريدون ان يقيموا من أنفسهم زعماء ٠٠ علم الله ان زعامتهم لن تكون الا وبالا عليهم ٠٠ لأنهم لا يتركون عملا تقوم به الدولة الا هاجموه فى شراسة حتى حين تحافظ الدولة على هيبتها وهيبة القانون فى وقت معا ٠٠

وليس مقبولا او يقال ان أزمة المساكن اليوم تدعو الى التهاون فى تطبيق القانون ٠٠ فنظرة واحدة الى هذه العمارات التى خالفت تجعلنا ندرك فورا انها لغير الذين يعانون من أزمة السكن وانمـــا هى للاثرياء الفاحش ثراؤهم وأغلبهم يريد ان يحسن بها مسكنه أو يتاجر فيها ٠٠ فأغلب هذه العمارات ان لم تكن جميعها من السكن الفاخر وليس فيها ما بنى ليواجه أزمة الشعب فى المساكن ٠٠ ومحاولة اللجوء الى هذه الحجة رفع لشعارات على الهواء تعود هؤلاء الكتاب ان يرفعوها كلما وجدوا الى ذلك من سبيل ٠٠

حتى وان كان هذا على حساب مصر ٠٠ نعم وان ٠٠ حتى وان كان على حساب القانون : نعم وان ٠٠ حتى وان كان على حساب هيبة الدولة ٠٠ نعم وان ٠

الأهـــرام ١٩٨٣/٨/٢٨ ٠٠

الديمقراطية رجال لا رجل

الديموقراطية هى أكثر الأنظمة احتياجا للبشر · فمعروف أنها حكم الشعب بالشعب لمصلحة الشعب ، وقد بدأت الديموقراطية أيام الرومان وكان الجمهور كله يشترك فى ابداء الرأى ، فيجتمع الشعب فى الساحة ويطرح عليه موضوع المناقشة · وشهوة الكلام قديمة فى البشر فكل انسان يحب أن يستعرض معارفه على الناس ، ولا أحد يعرف الحقيقة عن نفسه · فان الله سبحانه وتعالى بلطف منه وبتقدير عليم بنفس عباده جعل كل انسان يجد ما يرضى به عن نفسه حتى يقبل الحياة · ولو أن كل انسان عرف حقيقة نفسه لانتحر نصف البشر أو ثلاثة أرباعهم · وربما كنت متفائلا فى هذه النسبة ·

وهكذا استقر الأمر أن ينيب الشعب عنه نوابا وأطلقوا عليهم مجلس السناتورز التى ترجمت بمجلس الشيوخ فى بعض البلاد وترجمت عندنا بمجلس الشورى ، وهكذا بدأت فكرة النيابة منذ أيام الرومان وكم تعثرت وكم استقام بها الطريق ·· ثم استقرت الديموقراطية وأصبحت خير أنظمة الحكم · ويقول عنها علماء القانون أنها ليست النظام الأمثل ولكنها أقل الأنظمة عيوبا · وأكثرها اتاحة لتحقيق حكم الشعب للشعب · وقد كان من أوضح عيوب الديموقراطية أن النائب يحاول أن يرضى ناخبيه على حساب المصلحة العامة على رغم القاعدة الدستورية المعروفة أن النائب يمثل الأمة كلها منذ يوم انتخابه · وعلى الرغم من القاعدة الدستورية الأخرى التى تقول : ان عمل الناخب ينتهى عند صندوق الانتخاب · ولكن القواعد القانونية شىء وتنفيذها شىء آخر تماما ·

فانه من النادر أن نجد نائبا يفضل مصلحة الأمة كلها على مصلحة دائرته · فهو دائم النظر اليها يبحث عما يضمن له أن يعيدوا انتخابه عند الانتخابات القادمة ، ويندر أن نجد ناخبا يترك نائبه يتفرغ لدراسة مهام عضو الهيئة التشريعية وهى مهام جسيمة تحتاج الى كثير من الجهد · وهكذا ترى أن الذين ساندوا النائب فى الانتخابات لا يفكون الحصار عنه مطلقا وانما هم دائما يلاحقونه بمطالبهم ومطالب أصدقائهم وأصدقاء أصدقائهم ان لم يجنوا من ذلك مالا على سبيل الرشوة المؤكدة جنوا من

ذلك سلطانا ومكانة بين الناس وهى فى ذاتها نوع من الرشوة أيضا وان كانت رشوة غير دنيئة ٠

وهكذا رأت بعض البلاد العريقة فى الديموقراطية أن تلجأ الى انتخابات القائمة ٠ ولا شك أن هذا النوع من الانتخاب يجعل النائب فى نجاة من المطالب الشخصية لأبناء الدائرة الى جانب ما تتيحه انتخابات القائمة النسبية من تمثيل للأغلبية المطلقة من الشعب وليس للأغلبية النسبية فهى تحفظ أصوات الناخبين أن تضيع عبثا ٠

وهكذا تتحقق الحكمة الكبرى من الديموقراطية ٠ ولكن بقى ما هو أهم من ذلك وهو أن يكون أغلبية النواب الذين تقدمهم القائمة على درجة رفيعة من شرف السمعة وطهارة اليد والثقافة السياسية العامة والعلم بأحوال البلاد والأمانة المطلقة عند الكلام فى المجالس التشريعية فلا يكون الدافع شخصيا ٠ وينبغى قبل كل هذا أن يكون النائب موضع احترام من كل الذين يعرفونه فلا يسلك مسالك التهم ولا يراه أحد فى مكان ينقص من هيبته فهو يمثل الدولة فى أعلى مراتب الدولة فهو الذى يشرع لها التشريعات والقوانين وهو الرقيب على رئيس مجلس الوزراء والوزراء ٠ واذا كان الرقيب متهما سقطت الحياة النيابية جميعا ٠

وهكذا فالديموقراطية هى النظام الذى لا يستقيم الا بمجموعة ضخمة من الشخصيات الرفيعة المستوى التى تعف عن الصغار وتكبر نفسها عن الاستجداء وتعلو بمكانها عن الشبهات ٠ وليس هم بالأمر اليسير المنال ٠ ولكنه فى نفس الوقت أمر لا غنى عنه لتتحقق الديموقراطية ٠

ففى حكم الفرد يكفى أن يكون الحاكم المطلق شريفا وفى الحكم العسكرى يكفى أن تكون القلة الحاكمة شريفة أما فى الديموقراطية فلا بد أن تكون العناصر التى تعمل فى كل الأجهزة التشريعية على مستوى رفيع من الشرف وأنا فى غنى كل الغنى أن أذكر عيوب الحكم الفردى مهما يكن شأن الفرد الحاكم وعيوب الحكم العسكرى مهما يكن العسكريون الحاكمون ٠

مايو ١٩٨٣/٨/٢٩ ٠٠

صــورة قلميــة

الثورة المذءوب

من لوزان ـ سويسرا

سعار أصاب الرجل منذ البواكير الأولى من حياته أنفق عمره يتعلم لغات غير لغته العربية وله من الوقاحة ما يحاول به أن يكون أديبا فى اللغة العربية وانتهت حياته أو أوشكت ولكن المسكين فشل أن يكون بين قومه أديبا وفشل أن يكون فى اللغات التى تعلمها وأتقنها شيئا مذكورا أو غير مذكور ٠

أنه ثور أصابه سعار الذئاب المفترسة يريد أن يحطم الحياة من حوله ولكن لأنه ضئيل القــدر هين الشأن حقير النفس وضيع الفكر لم يحطم الا نفسه ٠

هم أول ما هــم باللغة العربية والتراث العربى وراح يحارب كل ما هو أصيل فى أدبنا وتراثنا ونظره الكليل المنحرف مصوب على أن اللغة العربية هى لغة القرآن وهو يظن بما ركبت عليه نفسه من اجتماع الثور والذئب أنه يستطيع أن يحطم اللغة ليبعد الناس عن القرآن وعن الدين واستقبله فيما تكالب عليه الفشل الوبيل ٠ وأحس الناس بما فى هجمته من سعار فرفعوا المصاحف على الرؤوس وألجموه بما لا يطيق وانهالوا عليه رجما فاذا الثور فيه والذئب جميعا يتمخضان عن كلب أجرب يضع ذيله بين فخذيه الخلفيتين ويسارع فى تلصص المجرمين يعدو باحثا عن مخبأ أمين يلعق فيه جربه وجراحه ويصمت حتى يهدأ ما ثار من الناس وحتى ينثنى عنه الراجمون وينساه الذين يقولون لا اله الا الله محمد سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فاذا هذا الضجيج عاد الى الميدان مرة أخرى يحاول فى غباء الثور وفى سعار الذئب أن يبحث عن قنص آخر بعد أن عزه أن يهاجم لغة القرآن ورأى بشانئه بصره ومريض بصيرته أن يهاجم من يجله المسلمون من عمالقة العلماء وأشراف الفقهاء وراح يرمى عليهم سخائمه ويختلق عنهم تهما لم يسمع أحد أنها يمكن أن ترقى الى أعتابهم ٠ ولكن ذنبهم الوحيد ان العرب

المسلمين يذكرون أسماءهم فى اجلال واكبار وتقديس . وذنبهم الأكبر عنده أن كل الفقهاء الذين جاءوا بعدهم تتلمذوا عليهم أو على تلامذتهم . بل ان أعلام الوطنية والاخلاص القومى ينتسبون بأفكارهم الى تعاليمهم . وهذه ذنوب عند الثور المذءوب لا غفران لها . فماذا عليه لو أنه صدم فيهم مشاعر الجماعة وحاول أن يزيل هذه الهالة عن افذاذ لم يذكرهم التاريخ الا بما يشرف الرجال ويرفع صيتهم على أحقاب الزمان .

ومرة أخرى تداولتـه الحجـارة وانهال عليـه المسـلمون والعرب والوطنيون بسـهام الحـق يردونه عن قوم يكنون لهم الاحترام والتوقير ويلعنونه .

ويحاول الثور المذءوب أن يلجأ الى حرية الرأى . والى أن كل انسان ينبغى أن يتمكن من ابداء رأيه مهما يكن شأن هذا الرأى وهو قول حق ولكنه يستتر عند هذا الرجل بالذات باطلا فادحا . فاولئك الذين يجرح مشاعرهم بهذه الوحشية ويسب لهم أعلام دينهم لا يستطيعون أن يمنحوا أنفسهم الحرية فى مهاجمة ما يقدسه هو وأمثاله من الذين يحاولون أن يحطموا المساجد وأشياخها على رؤوس مرتاديها ومريديهم لأن ديننا ينهانا أن نثير الفتن بين الناس والفتنة عندنا أشد من القتل بينما هى عند الثور المذءوب هدف حياة ونشيدة عمر وهب نفسه لها لا يريم عنها ولا ينثنى .

وبلغت به الوقاحة أن هاجم القرآن نفسه وحاول أن يرد آياته الى عصور سابقة عليه وحاول أن يفسرها وهو أبعد ما يكون عن دراسة أعماقها أو لغتها أو مفاهيمها أو أسباب نزولها .

والحرية هى كرامة الانسـان ولكن من قال ان الحرية هى تحطيم الأديـان . وامتهان كرامة الجماعة . والاعتداء على مقدسات الشـعوب وما آمنوا به .

فصلة الانسان بربه صلة لا يعلمها الا الانسان نفسه وعالم الغيب والشهادة والاعتداء على هذا الحرم تحطيم للحرية نفسـها الا أن تكون الفتنة هى بغية المعتدى والوقيعة بين الأديان هى هدفه الذى يتغياه ويرصد حياته لبلوغه . ومرة أخرى يفر الثور المذءوب كلبا أجرب يلوى ذيله بين فخذيه ويتلمس مخبأ يرد عنه عاديات الهجوم .

ولكن هـل من ينتهى .. هيهات .. اذا كان قد خاب فاله وحبط مسعاه مع الدين وجها لوجه ومع فقهاء الدين بالاعلان فما له لا يحاول أن يهاجم شعراء العربية وكتابها أجمعين ويجعل من ذكراهم عفنا وحينئذ يقول هذا رأيى وما على من بأس أن أرفض كل هذا الشعر وكل هذا الأدب وهذا حقه لا شك فى ذلك ولكن كشأنه يستتر به باطلا حقيرا .

فان الناقد حين يرفض شاعرا عملاقا أو كاتبا شامخا يتعين عليه أن يذكر عيوب هذا الشاعر أو ذلك الكاتب وما الذى يدعوه الى رفضه ولماذا هو أكذوبة فى أدبنا • والا كان الرفض وليد أغراض أخرى وخبيئات نفس مريضة ترمى برفض الشاعر أو الكاتب الى رفض اللغة التى أكبرها هذا الشاعر أو ذلك الكاتب فأكبرته والذى أكرمها فأكرمته ورفعها فرفعته •

ان الأفذاذ من شعراء الأمة وكتابها هم تاريخ أدبها وهم الرايات الخفاقة التى تسافر عبر الأجيال تحمل الخلود لبلادهم على مر العصور وتحمل أجيالهم على أعناق الزمن الى سائر الأجيال •

وقد كان تشرشل الزعيم الانجليزى على وعى عظيم بشأن الشعراء حين قال لو لم يكن لبريطانيا فضل الا أنها ولدت شكسبير لكان حسبها •

ومازال الفرنسيون يتيهون فخرا بكورنى وراسين وهيجو وبودلير وبكتابها من أمثال بلزاك ودوديه وأناتول فرانس وغيرهم ومازالت ألمانيا ترفع علم جيته وزفايج وعظماء شعرائها خفاقا على كل الأجيال وكذلك تفعل كل الدول •

فما بال هذا الثور المذءوب يريد أن ينكس أعلام العمالقة من شعرائنا وكتابنا ويرفض أى شاعر أو كاتب لم يشهد هو ميلاده ولم يعلن هو شاعريته ويمنحه هو صك الوجود الا أن يكون متشبثا بتحطيم لغتنا فى وهم منه كبير أنه سيستطيع أن يحطم بها ديننا وقرآننا •• ولكن ربنا قال « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وهو طبعا لا يؤمن بما قال ربنا • ولكن الا يؤمن بما تم فعلا وبما يرى أن القرآن بقى ألفا وأربعمائة سنة ونيف لم يتغير منه حرف واحد ولكن على قلوب أقفالها وعلى البصائر منه مغاليقها • فليمكر ما شاء له المكر فانا نحن المؤمنين نعلم كل العلم أن الله خير الماكرين •••

الأهـــرام ١٩٨٣/٩/٤ ••

المبدأ ثم الشخص

هل تدرك الأحزاب المعنى الحقيقى لانتخابات القائمة . أننا لأول مرة فى مصر لن ننتخب شخصا . وقد كان الأمر دائما يسير على أن يختار الناخب بين أشخاص ، والناخب فى أغلب الأمر وأوشك أن أقول دائما يختار من يعرف . وقد يكون من يعرف هذا ليس هو الأصلح ولكن اللى نعرفه أحسن من اللى ما تعرفوش . وهذا مثل خاطىء خطأ فاحشا . وأبسط دليل على خطئه اننا ما دمنا منعرفوش فكيف نحكم عليه .

واختيار النائب أمانة أى أمانة . فانك اذا كنت تحسن الاختيار لمن يخلع لك ضرسا وان كنت تختار فى دقة من يتولى الدفاع عنك فى قضية لا تزيد حصيلتها عن مائة جنيه أليس من الطبيعى أن تحسن الاختيار غاية الاحسان لهذا الذى سيشرع لبلادك جميعا ويعطى رأيه فى كبريات المسائل التى تتعرض لهـا مصر ويراقب الهيئة التنفيذية ويستجوبهـا ويسألها حريصا على المصلحة العامة بعيدا عن المصلحة الخاصة .

واليوم يقع هذا العبء أول ما يقع على الأحزاب فهى التى ستقبل ترشيح من يتقدم لها ثم هى ستعرض نفسها فى قوائمها ، فى هذا العرض سيعرف الناس ان كان الحزب يريد المصلحة العامة أم هو ينظر الى غير ذلك من صداقات وعلاقات وكل ما لا يتصل بمصالح الدولة فى شىء . ولا يحسبن حزب من الأحزاب أن خافية من خوافى المرشحين بعيدة عن علم الناس . فالناس يعرفون الناس . ومن يعرف يخبر من لا يعرف . وما يحسبه الانسان سرا مكنونا لم يطلع عليه أحد هو فى الحقيقة معلن بين الناس مشاع . وللهمس صـدى أشد وقعا وأعلى طنينا من وسائل الأعلام . وقديما قال الشاعر:

ومهمـا تكن عند امرىء من خليقة

وان خالهـا تخفى على الناس تعلم

والحزب يعرض بعض نفسه بمرشحيه وفى انتخابات القائمة ينتخب الناس أحزابا ولا ينتخب أفرادا . والحزب الذى لا يكتسب احترام الناخبين بشره منذ اليوم بالسقوط الوبيل والفشل الثقيل .

ولكن قائمة المرشحين ليست الا جانبا من الصورة التى يقدمها الحزب الى ناخبيه · ولكن الشىء الذى يحدد معالم الصورة ويتسع حتى يوشك أن يملأ الصورة جميعها هو المبدأ الذى سيتقدم به الحزب الى الناخبين · فكل حزب بغير مبدأ لا قيمة له ولا وجود له · ولابد أن تكون هذه المبادىء واضحة المعالم جلية الحدود لا شبهة فيها ولا غموض ·· وليس يكفى فى هذا المضمار أن يقول حزب ما ان مبدأه ديموقراطى وحسب فالديمقراطية صور وألوان شتى لابد أن يذكر الحزب النهج الديمواقراطى الذى ينتوى أن ينهجه ولابد أن يقع هذا فى مواد كمواد القوانين سواء بسواء حتى يكون الناخب على بينة بمصير صوته ·

والحزب الذى يريد أن يكون شيوعيا عليه أن يبين فى وضوح ما هى الشيوعية وما هى المبادىء التى سينتهجها ويعرضها على الناس فى وضوح والمفروض أن يكون أمينا فى العرض ولكن من أين تأتى الأمانة لقوم يرفضون الله والوطن · وقديما قال الشاعر :

ومكلف الأشياء ضد طباعهـا
متطلب فى الماء جذوة نار

وعلى أية حال ، فانه لابد لكل حزب أن يفكر منذ اليوم فى طبع المبدأ الذى سيتقدم به الى ناخبيه وينشره عليهم وهذا المبدأ يشكل تعهدا من الحزب الى الناخبين أنه سيسير على هذا النهج فى أى موقع يشغله سواء كان هذا الموقع فى الحكم أو فى المعارضة · حتى اذا حاد عن هذه المبادىء أو جنح عنها أصبح من الطبيعى أن يحاسبه ناخبوه فى الانتخابات التالية · والواقع أن الأحزاب التى سبقت الثورة كانت جميعها تطبع مبادئها · والواقع أيضا أنه لم يكن هناك خلاف يذكر بين مبادىء الأحزاب بعضها وبعض · فكلها كانت تضع فى صدر مبادئها العمل على انتهاء الاحتلال البريطانى ثم تجىء بعد ذلك عدة مبادىء أخرى لا اختلاف فيها وان كان الخلاف فى الأشخاص وليس فى المبادىء ·

ولكن الأمر اليوم مختلف كل الاختلاف · فالأحزاب الشيوعية لم يكن يسمح لها بالقيام فى هذه الفترة · والاحتلال الانجليزى كان يجثم على البلاد وكان من الطبيعى أن يكون هدف الأحزاب جميعا هو التخلص من هذا الاحتلال · ففى ظله تكون أيدى المصريين مغلولة وليست مطلقة الحرية ·

أما اليوم فلا احتلال يجثم على مصر · ومصر تنعم بحرية لم تشهدها من قبل فلا عذر للأحزاب أن هى لم تعلن عن مبادئها التى تطلب بها من الناخب أن يدلى بصوته فى جانبها ·

مايو ١٩٨٣/٩/٥ ··

على أنفسهم يعتدون

ان هناك بعض القوانين تبدو فى ظاهرها انها لمصلحة الشعب بينما هى فى الواقع ضد الشعب . فحتى يكون القانون لمصلحة الشعب يجب أن يعم نفعه جميعا لا فئة منه دون فئة . لأن الفئة التى يجاملها القانون انما يجاملها على حساب الشعب أجمع . فالهيئة التنفيذية اذا تقدمت بمشروع قانون يعطى بعض الحقوق لفئات لا ترتب عليها واجبات يقوم الشعب أجمع بدفع الثمن ولا يدفعه أعضاء الهيئة التنفيذية . ومجلس الشعب حين يوافق على هذا القانون انما يفرض على الشعب أجمع أن يدفع لهذه الفئة ما أعفيت من دفعه ولا يدفعه أعضاء مجلس الشعب . وهؤلاء الأعضاء يمثل كل عضو منهم الأمة جميعها بكل طبقاتها وجميع فئاتها ومختلف محافظاتها ومراكزها وقراها لا أستثناء فى ذلك ولا اختلاف .

وحين غاب القانون راجت القرارات الفردية تصدر جزافا لمصالح فئات بعضها فى غيبة عن الضمير وفى غفلة من الحق . وما دام القانون قد غاب فكل شىء مباح .

وتراكمت الاعفاءات والشعب يدفع الثمن . وتكاثرت حقوق الأفراد دون أن تفرض عليهم واجبات . وكل من أصاب فى هذه الهوجة ما يسميه هو حقا وما هو بحق يعض عليه بالنواجذ ويرفض أن يتقبل مقابل الحق أن يتحمل واجبا .

واعرف فيما أعرف أن ما يزيد عن ٢٦٪ ستة وعشرين فى المائة من الانتاج قد نقص لاستعمال أصحاب الحقوق المزعومة حقوقهم فى الحصول على الأجازات . فاذا كانت هذه النسبة نقصت من أجل ذلك فقط . فكم نقص مقابل العمل فى تكاسل وفى غير جدية وفى تدلل الذى يعلم أن أحدا لن يستطيع أن يوقع عليه جزاء رادعا أو غير رادع .

تلك كارثة ان لم يتصد لهـا الذين يحملون أمانة تمثيل الشعب انتهى الأمر باقتصادنا الى الانهيار الكامل . فالمفروض أن يكون اقتصاد الشعب من أجل مصلحة الشعب أجمع وليس من أجل مصلحة فئة من الشعب . وان نظرة بسيطة لهذا الأمر تجعل هؤلاء المتواكلين النائمين الناهبين لحقوق الشعب يثبتون أنهم يخدعون فلا يخدعون الا أنفسهم .

ويتهاونون فلا يتهاونون الا فى حق أبنائهم وأسراتهم وذواتهم · فهم أيضا من الشعب فاذا انهار الاقتصاد الوطنى فهو ينهار على رؤوس الشعب أجمع لا يفرق بين فرد وفرد ، ولا بين فئة وفئة ·

ولهذا فلابد أن يتنبه مجلس الشعب الى هذا الوبال ويسارع باصدار قوانين من أجل الشعب جميعه وليس من أجل فئة خاصة من الشعب · فان القانون حين أنشىء لمجموع الذين يعيشون على أرض واحدة وانما يحسد بانشائه الا تفتئت فئة على حق فئة أخرى · وضعت فئة على فئة يؤدى أن يقع الظلم على الفئة التى أغدقت عليها سواكب الحقوق الخالية من الواجبات لأن هذه الفئة لا تستطيع الا أن تكون أفرادا من الشعب فان كانت قد تناولت حقا باليمين أو اليسار فهى هى ستدفعه باليمين أو اليسار ، لأن ما تناله جماعة من الشعب يدفعه الشعب أجمع · هكذا يتضح أن فرح هذه الفئات بما نالت من حقوق فرح ساذج عبيط لأنها توهمت انها اغتصبت حقا ولم تدرك أن الاغتصاب كان من نفسها · وليس من شعب آخر ·

فالذين يعملون بغير ضمير والذين يظنون أنهم أفلتوا من عقاب القانون بما استلبوا من حقوق ومن عقاب الرئيس بما كف من يده ومن عقاب الله على غيبة ضمائرهم فاتهم أن عقاب الدنيا وقع عليهم فعلا بتكاسلهم وبأيديهم أوقعوا العقاب على أنفسهم لأنهم يجعلون الانتاج ينقص وترتفع الأسعار وهم الذين يشترون وليس غيرهم · وان كانوا يظنون أنهم يستطيعون أن يتصايحوا لينالوا أرباحا من شركاتهم التى لم تربح فليعلموا أنهم نالوا هذا الربح من الشعب جميعا وهم بعض من هذا الشعب وانهم سيردون ما أخذوه زيادة فى أثمان الأشياء التى يرتفع سعرها نتيجة تهريجهم ·

ولا سبيل لنا أن ندعو هؤلاء أن يتقوا الله فى أوطانهم والذين يصنع صنعهم لا يعرف الله وانما أدعوهم أن يفكروا فى شأن مصالحهم هم لأن عدوانهم واقع عليهم هم وهم لا يعرفون ·

مايو ١٢/٩/١٩٨٣ ··

بهلوان فى لوزان

أجلس فى لوزان على مقهى صغير فى ميدان شبهير هنا يسمى ميدان سان فرنسوا ، ويمتاز هذا المكان بالهدوء وكثرة المارة • وعجيب ان يجتمع فى مكان واحد الحركة والهدوء فى وقت معا • وقد أحببت سويسرا كلها من هذا الميدان فالناس دائما فى سعادة وفى اقبال على الحياة دون ان تعدو هناءتهم على هدوء الآخرين • فالسعادة عندهم ابتسامة تنبىء عن قلب ليس فيه ما ينغص حياته • والاقبال على الحياة عندهم توسعة للآخرين ان يقبلوا على حياتهم •

فى اليوم التالى لوصولى الى لوزان ذهبت الى المقهى فى الصباح فوجدتها على عهدى بها • ولا أدرى ما الذى جعلنى أفكر ان أذهب اليها فى بعد الظهيرة أيضا • وقليلا ما أفعل • فوجدت الميدان مزدحما متحلقا حول بهلوان يعرض ألعابه عليهم وهم على مشاهدته مقبلون • وفكرت قليلا • وعجبت • كيف اهرب من البهلوانات فى القاهرة لأجدهم سبقونى الى لوزان • ولكنى عدت الى نفسى وفكرت • ان هناك فرقا • فبهلوانات القاهرة يعرضون ألعابهم وقد تزيوا بزى المحترمين من القوم واستروا للناس عن وجوههم التى خلقهم الله بها واتخذوا أدوات البهلوانية من العمل والقلم والورق • وادعوا الحق وهم فى أقصى الباطل وتظاهروا بالأمانة وهم غرقى فى الخداع والمخادعة •

أما بهلوان لوزان فهو بهلوان يعلن على الملأ انه بهلوان ولا خفاء •

وبهلوان لوزان ينشد الحصول على صبابة من مال ويقولها فى صراحة ووضوح ويتزيا لغايته فى ملابس البهلوان ويصبغ وجهه بصبغة المهرج • فهو بما يقدم سعيد والناس بما يرون منه سعداء بغير حقيقته • وهو يقف على أرجل طويلة ولكنه لا يحسب بهذا انه أرفع من الناس قدرا • أو أنه قادر بذلك على ان يخدعهم عن حقيقة قامته •

وبهلوانات القاهرة قصار القامة ضئيل حجمهم بكل المقاييس ولكنهم فى جرأة المنافقين يحاولون ان يموهوا على الناس ويجعلوهم يظنون بهم ارتفاع الهامة وشموخ الرأس • ولو كانوا على قدر ولو ضئيل من الذكاء لقدروا أن أول مبادىء الذكاء ان تقدر ذكاء الآخرين وأن الشعوب هى

أذكى العالم نفرا فمن يحاول ان يخدعهم سرعان ما يكشفوا أمره ويتبينوا حقيقته ·

من هذه البهلوانات من عملوا فى خدمة الطغيان فكانوا الآلة الصماء تمسك بهم يد حديدية فراسه باطشة راحت تلعبهم وتتلاعب بهم ·

ومنهم من كانوا لصاحب السلطان أو قل لصاحب الطغيان جواسيس ينقلون اليه أنباء الآمنين من النـاس فان لم يجـدوها لفقوها ثم جعلوه يتخذها ذريعة لكل ما تقشعر منه الانسانية وتأنف ان يكون بين أفرادها من يفكر فيه بله يصنعه ·

ومنهم من أمر بهم ان يكونوا قواد جيوش وأسـاطين حرب فاذا بطولاتهم تسفر عن ٦٧ وحسبهم هى خزيا ·

وجميع هؤلاء اليوم يريدون أن ينتفضوا عن وطنيين مرنوا على مكاذبة الحياة والغدر بعقول المصريين فهم يسعون جهدهم ان يعودوا الى الحياة العامة وليس يبالون تاريخهم الأسود بل هم يدعون اليـوم انهم كانوا يرفضون ما كان يحدث ولا أدرى ماذا هم قائلون عما اقترفوه فعلا وهم قضاة أو رجال دولة · ولست أدرى أيضا ماذا هم قائلون عما اغتالوه من أموال لأنفسهم مازالوا ينعمون بها حتى اليوم الى جانب ما اغتالوه من أرواح بشر مصريين وما إغتالوه من كرامة مصر نفسها · بل ان منهم من يصور له وهمه ان انقاذ اقتصاد مصر معلق بعبقريته فهو يعد المشاريع ليزيح عن مصر الهول الآخذ الذى كان هو نفسه من الدعامات الكبرى فى انزالها بمصر ·

بهلوانات كثيرة ذكرنى بها ذلك البهلوان ولكن بهلوان لوزان لم يسىء الى بلاده ولم يشارك فى انتهاب أموالها والبهلوانات الآخرون شقوا الأفق ليغيبوا فيه شمس مصر يريدون اليوم ان يعوقوا الأيدى التى تحـاول أن تشد شمس مصر من مغربها لتعود الى الاشراق على ربوعها · ولتزدان مصر بالحرية التى خنقوها وتهنأ بالحب الذى جعلوه حقدا وبغضا وكراهية · وبالسلام بعد حرب منتصرة حققناها بعد ان أشعلوا هم الحرب على ابناء مصر حين فشلوا فى حروبهم مع أعداء مصر ·

الأهـرام ١٩٨٣/٩/١٥ ··

المنافق الشجاع

صورة قلمية

شجاع غاية الشجاعة · جبان أشد الجبن ·· يزار كالأسد الأغلب الكاسر · ويموء كالقط الرعديد الذليل · وله لكل حالة ملبس ولكل موقف وجه ولكل قوم مظهر ولكل جلسة نغمة ·

يمدح غاية المديح فيبلغ من النفاق أحط النفاق وأرخصه · حتى اذا خلا بمن يأمن شره ويثق أنه لن يمخض به الأرض أو يمزق منه الأوصال هاجم فى شراسة وعدا على كرام الناس فى وقاحة من لا حياء عنده · وفى سعار من لا عرض له ·

رأيته مع صديق لى أجله واحترمه · وهذا الصديق لا يقبل الضيم قادر دائما على أن يرد العدوان بمثله ان لم يكن بأشد · رأيت المنافق الشجاع أمامه كقط ذليل يسوق له المديح وابلا بغير حدود ويتزلف له فى خسة وضراعة يوشك أن ينحنى على يديه يقبلهما ظهر البطن · ورأيت الصديق الذى أجله يخجل من المديح · ويتواضع ويبحث عن شىء من الألفاظ ترد عنه عادية هذا المديح وكان الرجل الكريم يعلم أن رأى المنافق يبتعثه الرعب ويعلنه النفاق · حتى أذن الله وانفضت الجلسة ثم لم تمض الا أيام قلائل · وجمعتنى والمنافق دعوة لم يكن فيها ذلك الذى أوسعه نفاقا منذ أقل من أسبوع · وكانت الدعوة تضم السيدات والرجال · وكانت جلستى قريبة من المنافق وقد صاحب الدعوة المدعوين بعضهم الى بعض · وكان بين السيدات سيدة نجهل أن اسمها اسم الأسرة التى يحمله الصديق الذى كان موضع التكريم والاجلال من المنافق الشجاع وما هى الا لحظة حتى وجدته يسأل السيدة :

ـ ألك قرابة بفلان ؟

فقالت السيدة فى تواضع :

ـ انه أخى ·

واذا المنافق الشجاع يقول دون أن يمسك لسانه بعض الحياء من وجودى أو بعض الأدب المفروض فى الحديث الى السيدات ·

ـ انه أسخف انسان عرفته ٠

واذا السيدة تقول وقد وقفت عن مجلسها :

ـ انه أخي واني أحبه كل الحب ولا أسمح لأحد أن يتحدث عنه في غيابه وتستطيع أن تقول رأيك فيه له هو ان أردت أما أنا فاسمح لي أن أنصرف عن مجلس يذكر فيه اسم أخي بهذا الأسلوب ٠

وانصرفت السيدة عن مجلسنا في أدب ودون أن يرتفع لها صوت أو يعلو منها حس ٠ وقد كان المنافق الشجاع يعلم أن السيدة لن تسمح لنفسها أن تفعل أكثر مما فعلت فهو يعلم من طول ما عاشر الحياة كيف يتصرف الكرام ٠

أما أنا فلم أطق صمتا وسألته :

ـ قل لي أيها الرجل ٠ أليس الشخص المقصود هو نفسه الذي رأيتك منذ أيام قلائل تسكب عليه غدقا من المديح أوشكت أن تغرقه به ٠

ولكن للمنافقين فلسفة خاصة ٠ ربما كانت فلسفة حقيرة مهينة ولكنها ترضيهم عن أنفسهم وتهب لهم الأمن والطمأنينة ٠ فاذا يقول لي :

ـ وماذا كنت تريدني أن أقوله له ٠ لو أنني قلت رأيي الحقيقي لما أمنت أن يضربني ضربة قد تودي بحياتي ٠

ومرة أخرى لم أطق صمتا ٠

ـ كنت تستطيع الا تكيل له المديح أو الذم ٠ وأنت تعلم أنه يعرف رأيك الحقيقي فيه لأنك تعلم أن رأيه فيك شر من رأيك فيه ٠ أما وقد نافقت ما نافقت وعلى مشهد مني فكنت تستطيع على الأقل الا تقول لأخته ما قلته الآن حتى لا ازداد احتقارا لك ٠

ـ ولكن رأيك لا يعنيني ٠

ـ ذلك لأنني لا أضرب الناس وان كنت أعتقد الآن أن هذه قاعدة ينبغي أن أخرج عليها من حين الى آخر ٠ وعلى كل حال ما شأن أخته التي لم ترها الا اليوم حتى تجرحها في أخيها وهو غائب ٠

ـ أريد أن أقول رأيي ٠

ـ فاذا بلغه ؟

ـ واضح أنها سيدة فاضلة ولن تنقل الى أخيها ما سمعته مني ٠

حتى لا تجرحه فالفضليات من السيدات لا يحببن أن ينقلن الى الناس

الا ما يسعد الناس · فما بالك وهو أخوها الذى تحبه · لا شك أنها لن تخبره حتى لا تغضبه ·

ـ وحسبت أنت الحسبة فى لحظات وأعلنت رأيك فى هذه الخسة اذن فاعلم أنى ناقل هذا الحديث الى صاحبه ·

ـ لو كنت أعرف انك ممن ينقلون الحديث ما قلت الذى قلت ·

ـ اسمع الحقيقة اننى كنت أحتقرك احتقارا شديدا حتى لقد كنت أحسب أنه ليس هناك من سبيل الى مزيد لهذا الاحتقار · ولكننى أهنئك فقد بلغت من المهانة مكانة لا يبلغها الا أنت وأهنئك فقد نجحت أن تجعل احتقارى لك يزداد أضعافا مضاعفة أهنئك ·

ـ شكرا ·

ليس الصديق الذى كان موضوع المديح والهجوم نكرة فى الناس ولا هين الشأن · بل هو رجل بعيد الصيت واسع الشهرة له شأن عظماء الرجال الكثيرين الذين يحبونه حبا عميقا صادقا · وله أيضا الأعداء الذين يبغضونه أشد البغض · ومن لا يغيض له ولا رأى له · وهو صاحب رأى وهو يعلنه فى غير مداراة ولا تحايل وانما هو يصدع به أعداءه فى علن الكرام وفى صدق أصحاب الرسالات لم يكن عجيبا اذن ان ينتقل اليه هذا الحوار جميعا من شخص آخر أثر الصمت فى الدعوة التى جرى فيها الحديث · ولم يعلن أنه يعرف الشخص موضوع الحديث ·

لقيت الصديق الذى أجله وسألنى فتأبيت أن اقص عليه شيئا مما حدث وعرف هو أننى أداور بالحديث لا انفى ولا اثبت فادرك صحة ما بلغه فهو يعلم أننى لا أريد أن أكذب وهو يعلم أننى أربأ بنفسى عن النميمة والايقاع بين الناس · فلست بهذا · فاذا الرجل يقول فى كبرياء

ـ أنا لا أشكرك فمثلك أتوقع عنده ما قلت · أما هذا المسكين الذى تريد أن تستر عليه فاعلم انه مفضوح بما ينشره على الناس · وأنا لا أغضب من أى انسان يسبنى فى غيبتى فحسبى شرفا أن أمثال هؤلاء يخشوننى ولا يجرأون على مهاجمتى الا حين أكون بغير مشهد وحين يكونون بعيدين عن حضرتى ·

وقلت فى صدق ·

ـ وهذا ما أتوقعه عندك · وهكذا يكون شأن الكرام ·

الأهــــرام ١٩٨٣/٩/١٨ ··

ماذا لو أكرموا أنفسهم

حين انتهت الحرب العالمية الثانية أجريت الانتخابات فى انجلترا وكان الحزب المرشح للفوز واحدا من الحزبين الكبيرين المحافظين والعمال . وكان يتزعم حزب المحافظين ونستون تشرشل الذى حقق النصر الباذخ للامبراطورية وأبقى عليها كرامتها التى أوشك هتلر أن يمحقها محقا .. وكان يتزعم حزب العمال كلمنت اتلى وكانت هيئة الأمم المتحدة تنشأ فى نفس الفترة التى كانت الانتخابات دائرة فى انجلترا . ولم يكن أحد يتصور أن يهزم تشرشل وحزب المحافظين فى الانتخابات بعد ان حقق هذا النصر التاريخى . ولكن هذا التأكد لم يمنع تشرشل ان يصحب أتلى معه كلما توجه الى اجتماع من اجتماعات هيئة الأمم المتحدة ولم يكن أتلى فى ذلك يشغل أى منصب رسمى الا انه زعيم الحزب المعارض الذى يراوده أمل ضعيف ان ينجح فى الانتخابات . ولكن هذا القصور الذى كان غاية فى الهزال لم يمنع تشرشل ان يصحب خصمه فى كل مرة حضر فيها اجتماعات الهيئة الدولية الكبرى . ذلك ان الزعيم البريطانى كان يضع مصلحة انجلترا فوق كل اعتبار . وكان يدرك أن الخصومة بينه وبين أتلى انما هى خصومة لا تتغيا الا صوالح بريطانيا .

وما دام الأمر كذلك فلابد أن يكون زعيم حزب المعارضة على علم دقيق بجميع التيارات التى تسرى فى المجتمع الدولى . فقد كان تشرشل لا يتصور ان تنتهى رئاسته للوزارة ولا يكون رئيس وزراء انجلترا على غير علم بالأحوال الدولية جميعا . ولم يكن يقبل ان يتسقط رئيس الوزراء أنباء المجتمع الدولى من الجرائد والراديو بل لابد أن يكون مشاركا فى هذا المجتمع يدرى كل الخلفيات التى تتخفى وراء الدول وممثليها فى هيئة الأمم ومجلس الأمن وجميع المؤسسات الدولية التى كانت تتكون فى ذلك الحين .

وحدثت المعجزة ونجح المحافظون فى الانتخابات وأصبح أتلى رئيسا للوزراء .

وهذا يدل أولا على ان ثبات النظام الديمقراطى فى انجلترا هو أهم عناصر الديمقراطية فيها . وهكذا كان تشرشل على يقين أن أتلى هو الذى

سيكون رئيس الوزراء اذا نجح حزب المحافظين وليس هناك بديل لذلك ولا شك فيه ٠

ويدل أيضا على ان الأحزاب جميعا تعرف فى ثقة أن صوالح الدولة هى أهم عناصر الحياة السياسية ٠ وقد رسخ هذا التفكير من طريقة المعارضة على مدى السنين ٠٠ فهى معارضة رشيدة تؤيد حين ينبغى التأييد وتعارض حين ترى أن المعارضة أصلح للوطن وللشعب وليس للمصلحة الشخصية وليس للبطولات الذاتية ٠

وكانت المعارضة فى انجلترا وما زالت تدرك انها اذا ذكرت بيانات كاذبة للشعب فستفقد ثقة الشعب الى الأبد فلا تجد معارضا يقف فى ساحة المجلسين التشريعيين ويدلى ببيانات هو غير واثق منها كل الوثوق وهكذا تكون المعارضة فعالة تصل الى أهدافها من الصالح العام وتهز أعمدة الحكومة اذا أخطأت الحكومة ٠

أما حين تكون المعارضة لا شىء الا التوقح والهجوم البذىء والاعتداء على الكرامات والتهجم على اقدار النــاس دون ذكر وقائع محددة مؤيدة بالأسانيد والحجج فانها تصبح هذرا فارغا لا يخيف الحكومة بل يجعلها تسقطها من حسابها لأنها هانت على نفسها فهانت على الشعب وأصبحت معارضة بلا كرامة ولا قيمة ٠ ومن لا كرامة له ولا قيمة لا يخيف حكومة ولا يخيف أفرادا ٠ لأن المعارضة تستمد قوتهــا من تأييد الشعب لهــا والشعب لا يؤيد من يكذبه ولا من يحــاول أن يخــدعه ولا من يدأب على تضليله ٠ فاذا راحت المعارضة تثير قضايا تحشد لها كل وسائلها من الدعاية ثم ما تلبث هذه القضايا عند تحقيقها أن تتكشف عن أكاذيب لا يساندها واقع ولا يدعمها حق حينئذ يفقد الشعب ثقته فى المعارضة والمعارضين ٠ واذا قرأ صحفهم كانت قراءته أشبه ما تكون بمشاهدة سيرك من الحيوانات والبهلوانات والبلياتشو ٠

وهذه المعارضة الهازلة تفقد الديمقراطية أهم جانب فيها ٠٠ فقيمة الديموقراطية الأولى ان تكون فيها معارضة ٠ ولكن المعارضة الهازلة ليست معارضة وانما هى تهريج والشعب قادر دائما ان يعرف التهريج وقادرا أيضا على أن ينزله الى الدرك الحقير الذى يستحقه ٠

فماذا على المعارضة لو انها احترمت نفسها لتكون معارضة جديرة بدولة تحاول أن تعيد الى نظامها الحياة الديمقراطية الشريفة ٠

وماذا على المعارضة لو أدركت أن الهجوم اليوم لا يشكل بطولة فالدولة لا تمنع أحدا أن يقول كلمته والدولة لا تعتدى على عرض أو مال أو حياة فلا بطولة هناك الا بطولة المهرجين فى السيرك وأعيذهم ان يكونوا كذلك ٠

مايو ١٩٨٣/٩/١٩ ٠٠

لابد للمد أن ينحسر

ماذا أصاب السينما المصرية ؟ وأى شيطان هذا الذى سيطر على موضوعاتها ومؤلفيها ومخرجيها ومشاهديها فى وقت معا ٠

كيف أصبحت المواخير والحانات فى مصر هى تاريخ مصر ٠

وكيف أصبح الداعرات والراقصات وبائعات الهوى والقوادون هم أعلام مصر الخفاقة وهم الساسة والأبطال وهم المجد والفخار ٠

أيتصور هؤلاء المؤلفون وأولئك المخرجون ان مصر ماخور كبير لا يمثله الا هذه الحثالة التى تسحقها نعال من يتعاملون معها قبل أن تسحقها نعال الآخرين ٠

اننى بما أشاهده اليوم من أفلام وما أراه من اعلانات سينمائية أعتبر أن الدعارة قد عادت الى مصر عودة رسمية تحف بها مواكب الطبل والزمر والدعاية والاعلان ٠

وقد كانت قبل أن تلغى متخفية مستخزية اذا ذكر أحد أمرها ذكره همسا فى حياء ٠

ولكن الحياء سقط وأسفرت الدعارة عن وجهها المقيت فى أفلام الكتاب والمخرجين ٠

والعجيب فى أمر هذه الأفلام انها حين ترسم المخططات لابد أن تجعل منهن ضحايا وأنهن الطاهرات العفيفات البريئات اللاتى أرغمهن الزمان على ممارسة المهنة الوبيلة فى الأفلام بعد ذلك تدور كلها مثل ظلم المجتمع لهاتيك الداعرات وكانهن ما القين انفسهن ولا أرتكبن خطيئة ولا اشتركن مع من اعتدى عليهن فيما صار اليه أمرهن ٠

والذى نعرفه أن الزنا لا يتم الا بطرفين ، والذين يعرفه الناس أن أحدا لا يستطيع أن يصل الى امرأة تأبى ذلك الا أن يكون ذلك بحريتها الكاملة ٠ وما شاهدت فيلما الا وجدت التى يريدون أن يجعلوا منها ضحية كانت تستطيع ألا تكون ضحية فى كل الظروف التى يفتعلونها افتعالا والتى يدبرها المؤلف فى سذاجة بالغة التهافت وربما لا أستثنى من ذلك الا حالة التهديد والاغتصاب وتلك حالات نادرة كل الندرة ٠ والنادر

لا يصلح أن يكون قاعدة الا أن يتاجر به المنتجون والمؤلفون والمخرجون ٠

انني أتصــــور أن المنتجين والمؤلفين والمخرجين الذين يقدمون هذه الأفــــلام قد ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا تجار خطيئة ٠ واذا كان تاجر الخطيئة يمارس تجارته متسترا في همس فهم يمارسونها علانية يذيعون أنباء تجارتهم بكل وسائل الاعلان ٠

واذا كان تاجر الخطيئة يمارس تجارته مع أفراد فهم يمارسونها مع جماهير وشعوب ٠

واذا كان تاجر الخطيئة ســاقط الحياء وضيعا فهم أشد منه فجرا وأنكأ منه فحشا وأسقط حياء وأحط وضاعة ٠

أيدري هؤلاء ماذا يصنعون بالفتيات وهم يعلنون عليهن الا بأس عليك يا فتاة أن تخطئي فانك ستعتبرين حينئذ شهيدة جار عليها الزمان ولم تجر هي على عرضها وعرض أبيها وأمها وشرف أخواتهــا وأسرتهــا جميعا ٠

أيدري هؤلاء التجار ماذا يصنعون بتاريخ مصر وقد جعلوا معــالمه الجغرافية المواخير والحانات وبيوت الدعارة ٠ ومعالمه التاريخية الداعرات والقوادين والساقطين والفاشلين والمنحرفين والشذاذ والمهترئين من البشر ٠

أيدري هؤلاء ماذا يصنعون بمصر اليوم وهو يقدمونها الى العالم كله على هذه الصورة النتنة وكأنها لم تلد من فتاة الا الداعرة ولا من رجل الا القواد والشاذ فنحن اذن لسنا أول دولة في العالم العربي تصبح فيه المرأة على هذا المستوى الرفيق السامق الذى نشرف به في كل بلد في العالم نزوره ٠

ان المرأة عندنا شرف وعفة وملائكية وأمومة في بيتها وهي في مجالات الأدب فخار ومجد وفي ميادين العلوم رفعة واعتزاز لمصر جميعا وللمصريين بل للعرب بل للانسانية جمعاء ٠

ومصر في رجالها أعظم من أن تذكر فضلها ولا سبيل أن نحيط بعظمتها وبغناها في رجالها ٠ فان غنى مصر الأول والحقيقي انما هو بما تملكه من عظماء في كل ميــدان ٠ هي رائدة الثقافة العربية العلمية والأدبية والفنية على السواء ٠

وهي التي تصدر اليوم الكفاءات الشاهقة من علمائها الى أعظم البلاد تحضرا ٠

فلماذا يريدون أن يجعلوا مصر العالمية برجالها على هذه الصورة ٠٠ ! أكل هذا من أجل بضعة أموال يجمعونها ٠ أو ليس هناك من سبيل آخر

لجمع هذه الأموال · أتراهم لو قدموا فنا لا دعارة فيه يخطئهم المال · أم هي نفوسهم وما ركبت عليه من حب الاتجار بالخطيئة · أم هانوا على أنفسهم وهانت عندهم كرامتهم فهم يصرخون على ملأ العالم أنهم تجار خطيئة ويفخرون بالخزي · ويعتزون بالذلة · ويباهون بالفجور ·

ان هناك دولا أوروبية ما زالت بها الدعارة رسمية ونشاهد أفلامها فاذا هي رفيعة المستوى في موضوعها وفي فنها على السواء ·

ومعروف أن الفن هو كيف تقول وأننا نرى أفلام هذه الدول اذا تعرضت لموضوع داعر فان هذا يكون استثناء نادرا لا يكون سمة ولا يشكل موجة · ثم هم حين يفعلون يجعلون الداعر داعرا والشريف شريفا ولا يدافعون عن الخطيئة وكأنها هي سنة الحياة ·

فاذا كان هذا في بلاد ليس فيها ما في بلادنا من تقاليد شرقية وتعاليم تقدس الحياة النقية والعرف ترى الشرف حياة والموت دون العرض أسمى مراتب المجد · فكيف سولت لهؤلاء المنتجين والمؤلفين والمخرجين نفوسهم أن يعصفوا في شراسة ضارية بكل مقدساتنا وتقاليدنا وتعاليمنا وأعرافنا · ان أشد الأقوام عداء لمصر لا يستطيعون أن يسيئوا اليها كما يسيء هؤلاء المصريون ببطاقاتهم ، الشياطين الكافرون الفاسقون بحقيقتهم وانتمائهم ·

وأنا لا أطالب الرقابة · فواضح أنه لم تعد هناك رقابة · فان اسم أي فيلم من هذه الأسماء كان كفيلا وحده بالرفض بادىء ذي بدء · وقد أحسن الوزير فعلا حين منع فيلمين ولكن الأمر أفدح من مجرد فيلمين · لقد أصبح الأمر ظاهرة ولذلك فانني أطالب الجمهور أن يتيقظ لما يريد أن يصمه به هؤلاء الداعرون من اقبال على السقوط وما يريدون أن يصموا به مصر من خزي ·

ولكنني واثق أن كل موجة الى انحسار · وان الجمهور ان أقبل على مثل هذا الهوان فترة فهو مرتد عنه من فوره · وفي البلاد التي يسمح فيها بالأفلام الداعرة أصبحت دور السينما خالية من عرض هذه الأفلام وانحسرت هناك الموجة لأن الجمهور الذي أقبل سرعان ما أصابه القرف وانصرف متعففا أن يرى الانسان وهو ينقلب الى حيوان ·

فيا أيها المنتجون ويا أيها المؤلفون ويا أيها المخرجون قريبا ستعرفون الى أي منقلب أنتم ساعون ولن يخلف الله موعده ·

الأهـــرام ١٩٨٣/٩/٢٠ ··

الوزراء ومواقع العمـل

من الشعارات التى ارتفعت حينا من الزمان وتمكنت منا حتى أصبحت وكأنها قاعدة مسلمة بها لا تقبل المناقشة ٠٠ أن الوزراء يجب أن يتركوا مكاتبهم وينزلوا الى الشعب ويتواجدوا فى مواقع العمل وهذا شعار يدعو الى الضحك والأسف فى وقت معا ، وكم صاحب الضحك الأسف ٠

فعلى كاهل الوزير تقع مسئولية كل الأعمال التى تقوم بها وزارته وقد تبلغ هذه الأعمال مائة أو تزيد عددا ، فلو كان الوزيـر من الجن السابع فى أطباق السماء لاستحال عليه أن يتواجد فى كل هذه المشروعات التى تقوم بها وزارته ٠

انما على الوزير أن يحسن اختيـار المشرفين على مرافق وزارته ٠ ويثيب المحسن ويعاقب المسىء ، ويجلس فى مكتبه تتوالى عليه التقارير عن كل المشروعات ويجده المسئولون حيث ينبغى أن يجدوه فى مكتبـه ليرجعوا اليه فى كبريات الأمور ٠ وليتصل بالوزراء الآخرين ليزيل ما قد يتأتى من وزاراتهم من معوقات فان حدث حادث خطير فى أحد المواقع فهنا فقط ينتقل الوزير ليرى الأمر على حقيقته ويعرف مداه ثم يعود الى مكتبه ويجتمع بمعاونيه ويوجه كلا منهم الى الوجهة التى يختـارها له ليواجه هذا الحدث ٠

ان كل وزير يعلم ٠ أن ذهابه الى مواقع العمل ما هو الا دعاية ودعاية لا جمهور لها ٠ فاما ان كان ذهابه ليمتدحه الشعب فان الشعب لا يعنيه أن يذهب الوزير أو لا يذهب وانما يعنيه فقط النتيجة وان يتم العمل بالصورة التى تحقق أمله فيه سواء عنده أن يكون هذا قد تحقق بزيارة الوزير أم بغير زيارته ٠

واما ان كان المقصود بالدعاية أشخاصا بذواتهم فتلك هى النكبة النكباء لأن وظيفة الوزير هى قمة الوظائف الحكومية ولا يجرؤ وزير أن يفكر فى ارضاء أحد الا نفسه وضميره فان الديمقراطية لا تعرف للوزير رئيسا ، ورئيس الوزراء انما هو رئيس مجلس الوزراء لا يرأس الوزير الا فى المجلس ولا يجوز له أن يتدخل فى أعمال وزارته لأن مسئوليـة الوزير أمام المجالس النيابية مسئولية كاملة لا يشاركه فيها رئيس مجلس

الوزراء • ففيم الدعاية اذن ولمن هي موجهة • فان الدعاية لا تكون الا اذا وجدت من يستقبلها فمن المستقبل اذن في هذه الحالة •

ان مكان الوزير هو مكتبه ولا يستطيع وزير ان يجري شئون وزارته من الطريق العام ومن مواقع العمل فانما هذه أمكنه معاونيه وليست بحال من الأحوال مكانه هو •

والوزير يعلم والشعب من قبله يعلم ان زيارة الوزير لمواقع العمل لن تجعله يعرف كيف يسير العمل في الموقع الذي زاره •

فالوزير والشعب يعلم ان كثيرا من الموظفين يموهون الحقائق ويعدون في يوم زيارة الوزير ما لم يكن معدا وما لن يكون معدا بعد زيارة الوزير • فالأمر لن يكون الا تلفيقا وتظاهرا سيتظاهر الوزير أنه صدقه لأنه لا يملك من الوقت ما يكشف به عن الحقائق المستورة • وهكذا تصبح زيارة الوزير وبالا وتخديرا للوزير يظل تحت تأثيره طوال سنوات العمل في هذا الموقع حتى يكشف الأمر ، ولابد لكل نبأ من مستقر ويكون الوزير قد ترك الوزارة وتبدأ المأساة فصولها مرة أخرى مع الوزير الجديد اذا ظل المسكين واقعا تحت تأثير هذا الشعار المضحك المؤسف •

ان أهم ما يجب أن يتوفر في الوزير ان يحسن اختيار معاونيه ليكونوا هم عيونه المبصرة ويكون بهم حاضرا في كل موقع دون أن يبرح مكتبه ، ففي مكتب الوزير يجب أن يجد كل العاملين الرئيس الأعلى للوزارة • ومن مكتب الوزير ينبغي أن تصدر القرارات بعد دراسة كبار الخبراء •

فانه مهما يكن الوزير خبيرا في أعمال وزارته فهو لن يستطيع أن يصل الى القرار الأمثل اذا هو لم يستمع الى آراء جميع الخبراء في شتى شئون الوزارة • ولست أحب ولا يتصور أحد أن القرارات يمكن أن تصدر من الطريق العام •

ان كثيرا من اللافتات رفعت على كلمات جوفاء بهرت بعض الناس فأخذ بها دون اعمال نظر فيها • ومع أن هذه اللافتات قد أثبتت بقوة خواءها •• الا أن كلماتها مع الأسف ما زالت تعيش ••؟

مايو ١٩٨٣/٩/٢٦ ••

وداعا .. يا عوضى

أخى العوضى

كيف تسافر فى رحلة الخلود وأنا عنك بعيد . لقد تعودت منك طيلة السنوات الخمسين التى عرفتك فيها ألا تصنع شيئا الا بعد أن تنبئنى به فأنا من كل أنبائك على بينة منذ كنت أنا طفلا فى المدرسة الابتدائية ومنذ كنت أنت مدرسا بمدرسة خليل أغا . فكيف تقسو علينا هذه القسوة وتتوارى عنا فى صمت لم نتعوده منك : ترى هل كرهت الحياة التى وهبت لها قلبك وفنك وروحك ولم تهب لك الا الجحود والنكران . لست بهذا . فقد كنت ـ عمرك ـ الصفوح ، النقى الصفحة الناصع السريرة ، المشرق النفس بالأمل فى الغد اذا أختانك اليوم . أتراك مللت انتظار هذا الغد فارتحلت أنت اليه حتى لا تنتظره بعد اليوم . ولماذا اخترت يوم سفرك وأنا فى بلاد غير البلاد .. بعيد عنك .. أتراك أردت الا تحملنى مرارة الوداع فقد كنت دائما أشفق الناس بى وبكل من تحب .. وربما أردتنى أن أردد مع البحترى الذى كنت تحبه وتكبره والذى لم يصل الى قوة صياغته ورفيع نسجه الا القلة النادرة من الشعراء .. وكنت منهم .

لا تعـذلنى فى مسـيرك
يـوم سـرت ولم الافك
انـى حزرت موافقـا
للبين تسفح غرب ماقك
وعـرفت ما يجـد المودع
عنـد ضـمك واعتنـاقك
فتركـت ذلك عامـدا
وخرجت أهـرب من فراقك

وبعد يا أخى العوضى وأنت فى دار الخلود أذكرك بأبيات نعيت بها أنت صديقا لك شاعرا واسمح لى أن أستبدل باسمه اسمك .

عبد الحميـد وداع ذى مقة
ان الوداع لموقف مـــر
عرفوك بعــد الموت نابغة
وكذاك تعـرف أهلهـا مصر

وان كانت مصر فى هذا الزمان تعرف للنابغين حقهم بعد الموت فقد أصبحت اليوم تجحد حق النابغين حتى بعد فراقهم فاذا أنت وأنت من أنت تودع الحياة ويمر خبر موتك على صفحات الجرائد التى ملأتهـا شعرا ردده العالم العربى لفترة تزيد على نصف قرن تطوى الخبر كأن لم يفقد العالم العربى واللسان العربى والشعر العربى واحـدا من أعظم الصادحين فيه فاذا كانت مصر أحزنتك يوم مات صديقك لأنها لا تعرف الفضـل لأصحابه الا بعد موتهم فليزدد اليـوم حزنك عليها فقد أصبحت اليوم وقد فقدت أيضا هذا القـدر الضئيل من الوفاء وحسبنا وحسبك الله ونعم الوكيل ٠

١٩٨٣/١٠/١ ٠٠

اسلام وشيوعية ٠٠ لا يلتقيان

أقرأ باعجاب الفصول التى ينشرها الكاتب الكبير الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى بجريدة الأهرام بعنوان « على امام المتقين » وقد ظللت على اعجابى بها حتى جاءنى هنا فى لوزان أهرام الأربعاء ٧ سبتمبر المنشور به الفصل الثامن من البحث ٠ وجدت المقال يتعارض بعض منه مع الجزء الأكبر من آخره ٠ وعبد الرحمن الشرقاوى من الكتاب الذين أكن لهم كل تقدير واكبار وتجمعنى واياه — والحمد لله — صلة من أقوى صلات الصداقة وأعمقها ٠٠ ومن حق هذه الصداقة على ان يكون الحق هو عمادها لا المجاملة فان الصداقة من مادة الصدق والذى لا يصدق صديقه عدو ٠ وحق الله أولى الحقوق بالرعاية لا يسبقه حق فى الوجود ٠

يقول الأستاذ عبد الرحمن فى منتصف المقال تقريبا « وقال على أنه لا بأس بالغنى والتمتع بزينة الحياة التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق التى أحلها الله لا بأس بهذا كله ٠٠ ومن حرم ما أحل الله فهو آثم كمن أحل ما حرمه الله ولكن هذا المال يجب لكى يكون حلالا : أن يتوافر له أول الأمر أن يكسبه صاحبه بعمله وبلائه وجهده ٠ الا أن يكون منحة من ولى الأمر لقرابة أو مودة أو نحو ذلك ٠ ان القرآن الكريم يفسر بعضه البعض وحين قال تعالى « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » قال فى الوقت نفسه « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة ٠ وقال « وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » ٠ واذن فحق الملك قائم فى أصله على العمل على ما يكسبه الانسان بعمله ومن هنا يحفظه الله تعالى فيحميه من السرقة ويكفل الميراث ٠

الى هنا ينتهى كلام الأستاذ الشرقاوى الذى لا أخالفه فى مضمونه وان كنت أتشكك فى تفسير الآية الكريمة « وفضل الله المجاهدين ٠٠ الى آخر الآية » فما أحسب أن التفاسير ذهبت الى أن هذا التفضيل يكون فى الرزق فى الحياة الدنيا وانما هى الدرجات التى أعدها سبحانه فى الباقية الخالدة وكذلك أخالفه فى تفسير الآية » أن ليس للانسان الا ما سعى ٠٠ الى آخر الآية » وأعتقد اعتقادا راسخا أن المقصود من الآية أن ليس للانسان الا ما سعى فلا ينال عند الله أجر فضل لم يقم به تمشيا مع قوله تعالى

« وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه » وقوله « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » ومع كثير جـــدا من الآيات التى تقرر أن الانسان مسئول عن عمله أيا ما كان الأمر فهذا هو الجزء الذى لايمكن أن يختلف فيه مسلم مع الأستاذ الشرقاوى • وهو بهذا الجزء يقرر أن التملك حلال مادام ليس منحة من ولى الأمر وان الله يحمى هذا التملك وينظم توريثه •

ولكن قليلا ما نمضى فى المقال فاذا نحن نجد المالكين جميعا مصيرهم جهنم والنار والكى بالذهب والفضة واليك ما يقول الأستاذ الشرقاوى •

« وان عليا ليذكر عثمان بأيام عمر وبما اتفقوا عليه جميعا بأن يعيد عمر توزيع الثروة حين راعهم انتشار الفقر على الرغـــم من تكدس ثروات الناس !! ما نسى أحد بعد من الصحابة واقتناع عمر وعثمان بقول على انه ما من أحد يخزن فوق حاجته الا حرم آخرين من ذوى الحاجة وان عليـــا ليذكر عثمان بعهـــد عمر والله لئن بقيت الى الحول لألحق أسفل الناس بأعلاهم • لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء » •

وانى أسأل الأستاذ عبد الرحمن أى المال هذا الذى يريد أن يتصرف به عمر هذا التصرف • ان كان مال الجماعة فهذا حقه اما ان كان مال الأفراد فهيهات ان يقول عمر هذا القول أو يقوله على والا لما احتاج ماركس ان ينشىء نظريته الشيوعية واكتفى برأى عمر هذا وعلى • وان كان هذا رأى عمر وقد صحب النبى عليه الصلاة والسلام قرابة عشرين عاما وكان مع أبى بكر فى عامى خلافته ثم كان هو أمير مؤمنين لمدة تسع سنوات فما له اذن لم يشر بهذا الرأى وهو يشـــير وما له لم ينفذه وهو أمير المؤمنين •

وكيف يقصد عمر مال الناس بهذا الرأى كمـا يوحى بذلك أخى الأستاذ الشرقاوى وهو من شهد خطبة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « ان دماءكم وأموالكم حرام بينكم » وكيف يلقى عمر ربه وما عرف التاريخ بعد النبى عليه الصلاة والسلام خائفا من ربه كما كان يخاف عمر والله سبحانه هو القائل « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » وماذا هو قائل فى الآيات تترى جميعا بمعنى •• « يبسط الله الرزق لمن يشاء ويقدر » أى يجعله مقدورا قليلا •

ويوغل الأستاذ عبد الرحمن حين يقترب من النهاية فى هذا الفصل فيذكر ما يلغى به كل ما جاء من قبل فى هذه الحلقة من شرعية التملك والميراث • يقول على لسان على فيما أظن « ثم ان الاقتناء مباح وهو غير

مذموم ان لم تكن هناك حاجات تسد أما ان كانت هنـــاك حاجة لأحـــد فما يحق لمسلم ان يقتني فوق حاجته ولو دينارا ·· ولقد مات رجل فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان فى الأمة كثيرون من أصحاب الحاجات والجياع فوجد فى منزل الرجل دينارا فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام عنه أنه كانز وسيكوى بهذا الدينار كية واحدة ·· ووجد فى منزل آخر دينارين فقال صلى الله عليه وسلم وهما كيتان ·

وذكر قبل ذلك حديثا للنبى عليه الصلاة والسلام على رواية على أيضا « من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها وكان يعنى من كنز وترك مالا وفى الأمة أصحاب حاجة مسلمين كانوا أم ذميين ·

ويذكر قبل ذلك ان النبى صلوات الله وسلامه عليه سئل « أى مال نتخذ يا رسول الله قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه » ·

الى هنا وأقف · ما هذا يا أخانا · هل ألغى النبى عليه الصلاة والسلام الميراث دون أن ندرى ودون أن يتنبــه الى ذلك كل المسلمين حتى الأئمة الذين ألفت عنهم كتابا من أحسن كتبك وفيم أتعب اذن ماركس نفسه ما كان عليه الا ان يعلن اسلامه ويرفع هذه الأحاديث شعارا دون ان يقتل ما قتل من مئات الملايين فى سبيل مذهبه ·

اذن يا أستاذ عبد الرحمن فآيات المواريث جميعهـا المقصود بها أن تقسم بين الورثة لسانا ذاكر وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدنا على دينه · وكيف يقسم هؤلاء ؟! وبعد هذا فمن ترك صفراء أو بيضاء كوى بها · فان كان فدانا قوم بمائة دينار ذهبا أيكوى به وكانز الدينار له كية وكانز الدينارين له كيتان · فما هو مصير عبد الرحمن بن عوف الذى ترك جبالا من الذهب قطعت بالفؤوس ووزعت على أبنائه وهم أحد عشر ابنا فأصبح كل منهم أغنى أغنياء العرب · وقد بشر النبى عليه الصلاة والســـلام عبد الرحمن بن عوف بالجنة والنبى صلى الله عليه وسلم كما جاء فى القرآن ليس الا بشرا رسولا فهو لم يبشر ابن عوف الا بما أوحى به الله والله كان يعلم اللحظة التى سيموت فيها عبد الرحمن ويعلم انه سيترك هذا الذهب وبشره بالجنة أفيكوى عبد الرحمن بن عوف بكل هذا ·· فما الجنة اذن ·· انه لن يراها ولن يعرفها ·

اذن فلا ميراث أو يكون المسلمون جميعا والذميون أيضا فى اكتفاء وفى غير حاجة اذن يعطى الانسان كل ماله للدولة ويترك أبنـــاءه جياعا يتكففون الناس وكان بيده ان يحمى ماء وجوههم فى أى شرع هذا وفى أى دين وفى أى ملة · ولماذا اذن رفض ماركس الأديان وسماها أفيون الشعوب وما أحسب انه فعل ذلك الا ناظرا أكبر النظر الى الدين الاسلامى فهو أعظم الأديان عناية بالميراث وبحق الانسان فى ماله ·

وفى أى عصر وفى أى زمن اكتفى النـــاس جميعا وفى أى دولة ما أحسب ان هذا حدث قط وما أحسب أنه سيحدث أبدا · اذن فلا ميراث الا أن يكون الميراث لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدنا على دينه ومع ذلك فأنت تعلم ان فاطمة البتول ابنة سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم طالبت أبا بكر بقطعة أرض كان النبى عليه الصلاة والسلام قد أمـر لها بريعها وهى زوجة على وبنت خير المرسلين ·

أكانت الأمة فى ذلك الحين جميعها مكتفية ولم يكن مسلم ولا ذمى فيها محتاجا ·

بعض هذا يا أخى ·· بعض هذا ·· فاننى والله أعرف عنك انك مسلم صادق الاسلام · وأنت تحاول باخلاص ان تقرب المذهب الشيوعى الى الاسلام ·· هيهات يا صاحبى · لا يلتقيان · وان امام المتقين لو شهد ما تقوله على لسانه اليوم لسألك فى بساطة ويسر ؟ ولماذا لم أصنع أنا هذا حين وليت الخلافة » اما كان أيسر عليـــه ان يلغى الميراث بموجب هذه الأحاديث النبوية · ولا يكلفك مشقة هذا الاجتهاد ·

وبعد فقد رجعت الى تفسير الكشاف للزمخشرى لاستبين الرأى فى الآية الكريمة « والذين يكنزون الذهب والفضـــة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم · يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ·

فوجدت الأستاذ عبد الرحمن نقل عن الزمخشرى ولكنه نقل ما يؤيد رأيه والغى تماما ما ينسف رأيه نسفا كاملا ، ولا اكتمك لقد عجبت ولهذا فاننى سأنقل اليك مادة الزمخشرى كاملة · وان فيها غناء كل الغناء عن أى رأى ، يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية الكريمة :

« قيل نسخت الزكاة أية الكنز وقيل هى ثابتـــة وانما عنى بترك الانفاق فى سبيل الله منع الزكاة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى ولم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن ابن عمر رضى الله عنه كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أراضين وما لم يؤد زكاته فهو الذى ذكر الله تعالى وان كان على ظهر الأرض فان قلت ما نصنع بما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله (صـــلى الله عليه وسلم) تبا للذهب تبـــا للفضة قالها ثلاثا فقالوا أى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها · وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال كيتان قلت

كان هذا قبل ان تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدى عليه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله (وكلاهما من المبشرين بالجنة) وعبيد الله رضى الله عنهم يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الأعراض اختيار للأفضل والا دخل فى الورع والزهد عن الدنيا · والاقتناء مباح موسع لايذم صاحبه ولكل حد وما روى عن على أربعة آلاف فما دونه نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الأفضل » ·

والى هنا ينتهى كلام الزمخشرى وبهذا يستقيم فى العقل كل الذى استشهد به الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ولو أنه نقل الرأى جميعا دون أن يحجب أهم ما فيه وهو ما يصل بين هذا الرأى وبين الدين جميعا لما استولت الدهشة على أذهان الناس · فان رأى الأستاذ الشرقاوى يجعل كل صاحب دينار كافرا ورأى الزمخشرى الذى نقل عنه الأستاذ الشرقاوى أن كل اكناز مهما بلغ حلال ما دامت الزكاة قد أديت عنه هو الفرق نفسه بين الاسلام والشيوعية · فالطريقان شتى متباعدان متنافران لا يلتقيان أبد الدهر ·

وبعد يا أخى الأعز فأنا أعرف قوة ايمانك وانك مستمسك بدينك فبربك يا أخى الأعز الا أعدت النظر فى رأيك الآخر فهيهات لرأيك هذا ان يستقر أمنا أو قلقا فى نفس مسلم أبدا · وفقك الله ·

الأهرام ٢/١٠/١٩٨٣ ·

على قلوب أقفالها

ان الذى يقرأ صحف المعارضة قاطبة يشعر أنها صحف تظهر فى أى بلد عدو لمصر ويقطع انها لا تصدر فى مصر على أى حال وربما كانت أقرب البلاد الى الذهن هى اسرائيل • فانها لو فكرت فى اصدار صحيفة عن مصر لن تكون السخيمة فيها والمخادعة عن الحق والبعد عن الصدق أبشع ولا أكثر هوانا مما تطالعنا به صحف المعارضة •

وأقل ما يقال بشأنها صحف تمتلىء بالغباء قدر ما يسودها الحقد • فان المعارض الذكى هو الذى يذكر الحسنات والسيئات فيجعل القارىء يصدقه فيما يتعرض له من نقد •

وقد تم فى الشهور الأخيرة انجازان مصريان كلاهما بعيد عن الحكومة كل البعد وكانت المعارضة تستطيع أن تعرض لهذين العملين الضخمين بالاكبار والاعجاب فتنفى عن نفسها تهمة الاسرائيلية وتلبس زى مصر حتى ولو كان هذا على سبيل ذر الرماد فى العيون •

فالعمل الذى قام به الشبيبة المصرية من تجديد قلعة صلاح الدين ومسجد محمد على بالقلعة عمل تحدث عنه العالم كله فى اجلال واعجاب •

وهؤلاء الشباب ينتمون الى مصر فقط وليسوا باليقين والقطع من شباب الحزب الوطنى ولو ان المعارضة أشادت بهم لأوهمت القارىء أنها معارضة مصرية تنتمى الى كتلة ليكود أو حزب العمل الاسرائيلى • وأنا لا أدرى أى ضمير كان يمكن أن يلم بالمعارضة لو أنها أشادت بما قام به هؤلاء الشباب أنهم مصر القادمة ، مصر التفاؤل الأمل الغد الشعاع فى الظلام والاشراق بعد الغروب والاصباحة بعد المساء •

ولكن المعارضة غبية كل الغباء وتصر ان تجعل القراء يرفضـــون كل ما تقول حتى وان تصادف يوما وقالت حقا ونادرا ما تقول • ولو كنا نهدف الى كشف المعارضـــة وتركها تتردى فى مهاوى الاحتقار لما أشرنا اليها بهذا الذى نشير • ولكننى أؤمن ايمانا راسخا أنه لا ديمقراطيـــة بلا معارضة وأتمنى التوفيق للمعارضـــة قدر ما أتمنى التوفيق للدولة فالمعارضة هى الديمقراطية ودولة لا معارضة بها دولة ديكتاتورية تنفرد

فيها الوزارة بالحكم ولا نفكر فى قرار لها ولا تحتسب الرأى الآخر ولكن لكى تنجح المعارضة لابد أن يشعر الجمهور أنها معارضة شريفة بعيدة عن الهوى • لا تتلقى أموالها وأوامرها من خارج مصر • ولا تكتب وعيون كتابها على أعداء مصر من الدول الديكتاتورية والدول الملحدة تترضـاها لتنال منها التأييد متمثلا فى المال وفى شراء نسخ الجريدة •

فاذا هى فعلت هذا وهذا ما تفعله سقط أثرها عند الشعب وأصبح شأنها هزيلا لا تجعل الحكومة تقيم لها وزنا لأنها تصبح ولا وزن لها عند الشعب الذى هو مصدر السلطات فى الدول الديموقراطية •

أما العمل الآخر الذى لم تحاول المعارضة أن تذكره فهو ذلك الانجاز الرائـع الذى قامت به شركة « المقاولون العـــرب » فى الكوبرى العلوى بالجيزة • والمهندسون الذين قاموا به كلهم مصريون وقد استطاعوا أن يخضعوا الزمن لارادتهم واستطاعوا أن يطـوعوا الحـديد لرغباتهم فعل العمالقة الأفذاذ من رجال الهندسة العالميين • وشركة « المقاولون العرب » ليست فى الحكومة ولا هى من الحزب الوطنى والمهندســون المصريون الذين قاموا بهذا العمل الرائع مصريون فقط •

ألم يكن من باب الذكاء وبعد النظر أن تشيد المعارضـة فى صحفها بهذا الذى قاموا به • أم ان المعارضة لا تذكر المقاولون العرب فى صحفها الا اذا كان ذلك عن طريق الاعلانات المدفوعة •

أليس هذا حقيرا • أيظنون ان الشعب لا يعى أنهم ينشرون الاعلانات المدفوعة ويمتنعون عن ذكر الحقائق ما دام ذكرها لن يعود عليهم بالعائد المالى ، أومثل هؤلاء يتصـــورون أن الشعب يستجيب لما ينشرون من سخائم وهجوم أبله واعتداء على حرمات الناس بالباطل • أو لايدركون أنهم بهذا الذى يصنعون يجعلون أنفسهم موضع اتهام حتى اذا تصادف يوما وذكروا حقا وهاجموا هجوما لا تزوير فيه ولا تدليس •

ان هذا الذى يرتكسون فيه هو الغباء بعينه • ولكن على قلوب أقفالها • وعلى عقول أستارها • وعلى أبصار غشاوتها •• وهيهات لمثل هؤلاء أن يعرفوا يوما الطريق الصحيح •

مايو ٣/١٠/١٩٨٣ ••

رد على الصديق ثروت أباظة
بل هو الاسلام

لعل الحياة فى مصر لم تعرف قط مثلى ومثلك صديقان يتحابان فى الله الى آخر ما يسع قلباهما الحب ، وهما على الرغم من ذلك يختلفان فى الرأى الى أبعد ما يكون الخلاف ·· !

أكان للناس عجبا أن هذا الخلاف لم يتحول الى خصومة أو شقاق!·· ربما ·· ولكن الله حفظ لنا الصداقة والقدرة على الصدق فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ·· فما اختلفنا الا على تقدير ما يراه كل واحد منا محققا لمصلحة الأمة ·· والخلاف حول الحقيقة مهما يستعر ، انما بتجرد عن الهوى والضغن ، فهو لابد أن يؤدى الى الالتقاء حولها ، والاهتداء اليها·· !

وخلافنا اليوم فى فهم موقف الاسـلام من المال ، خلاف سعى اليه السلف الصالح منذ مشرق الاسلام ، وما اتهم أحد منهم أخاه ولا سخر منـــه ·· !

وسيظل هذا الخلاف قائما ، حتى يتيح الله لهذه الأمة من يجمع كلمتها على الطريق ··

ولكنى أعتب عليك أنك تناولت الأمر فى غضب ·· وأنا أعرف ابنى أحمد وهو أحد الكتاب الشباب ، يقف معك ولكن بغير غضب ! وهو يعرف انى أملك ما أورثه اياه ·· وليته ينجو من ديونى فلا يرثها !!

أنا أعتب عليك أنك تصورت أمورا ماكنت أحسبك تقع فيها ·· ولكن عداءك المضطرم للشيوعية أخفى عنك كثيرا من الحقائق ، ودفعك الى فهم أشياء أنت أول من ينكرها ، وسلك بك سبيلا ما أظن أنك ترضاه لنفسك فى ساعات الهدوء ، حيث تسود الحكمة ، وتمسـك الحصـافة بأزمة الانفعال ! ولكن الغضب أعمى كما يقال ·· !

فكيف طاوعك قلمك فى تناول الأمر بما تناولته به من سخرية · ؟! لكنى لن أرد عليك بمثلها ·· !

كيف تخيلت أن فيما أفهمه عن موقف عدد من كبار الصحابة من أمر المال ، دعوة الى الغاء المواريث ··!!

وكيف فهمت أن كلامي عن العدل الاجتماعي في الاسلام دعوة الى الشيوعية ، أو مصالحة بين الاسلام والشيوعية ٠٠ ؟! ٠٠ عفا الله عنك يا صديقي عفا الله عنك لم أذنت لقلمك أن يتهمني بما تعلم أني أبعد الناس عنه ، وابرأ الخلق منه ؟ فقد كتبت عني اني نقلت من الزمخشري تفسيره لآية الكنز ، وزعمت أني أخذت من تفسيره ما يوافق رأيي والغيت ما ينسفه نسفا كاملا ، لأوفق كما زعمت بين الشيوعية والاسلام !!

فمن أين جاءك اني أريد أن أوفق بين الشيوعية والاسلام ٠ ! لكنك لترى في كل دعوة للعدل الاجتماعي وانصاف الفقراء ، دعوة للشيوعية ! وأنت بهذا تمجد الشيوعية من حيث تريد أن تحاربها ٠٠ ! ثم ما زعمك اني أخفي من تفسير الزمخشري ما ينسف رأيي ؟! فما ينشره الأهرام على صفحاته انما هو كتاب ، وما يخالف رأيي من تفسير الزمخشري نشرته في صفحة سابقة عند الحديث على الخلاف بين أبي ذر ومعاوية ، في صفحة قرأتها في القاهرة ومدحتها مشكورا ، أما ما قرأته في لوزان ، فقد كان هو الرأي الآخر ! ٠٠ وتفسير الزمخشري ليس سرا أفضى به الى أنا وحدي ! ٠٠ ، وليس مخطوطة استأثر أنا بامتلاكها ، ولكنه كتاب مطبوع متاح لكل القراء !! فكيف يجوز عندك أن أحدا يمكن أن يخفي منه شيئا عفا الله عنك !! أنت تعرفني ، وتعرف أني لا أصنع هذا ، فهذا ضد الأمانة العلمية ثم انك لتعرف انني لم أعتمد على الزمخشري وحده ، ولا اعتمد على مفسر واحد ، وانما أعمد الى استيعاب كل كتب السيرة والتفسير والحديث ، وكتابات الأئمة ، لأستخلص منها رأيا قبل أن أنسبه الى أحد الصحابة ، وبصفة خاصة الى صحابي كالامام علي أو أبي ذر الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أصدق الناس ولقد أذكر لك ان ما تنكره من أقوال بعض الصحابة في المال، ثابت محقق ٠

أنا لا أنكر ما تذهب أنت اليه بل أختلف معك حوله ٠٠ وهذا الخلاف الذي يؤيدك فيه أكبر أبنائي فالرأي الذي اخترتماه هو ان ما أدى عنه الزكاة ليس كنزا وهو رأي عثمان ومعاوية وكعب الاحبار وقد استندوا الى قول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنا فأعتنق الرأي الآخر الذي يرى أنه اذا كان في الأمة أصحاب حاجة ٠ فليس من حق أحد أن يقتني فوق ما يحتاج اليه ، وان على ولي الأمر ان يأخذ من الأغنياء ، لصلحة الأمة : وهذا هو نظام الضرائب التصاعدية ، سبق اليه الاسلام بقرون ، ليقيم المجتمع الفاضل ٠٠ والضرائب التصاعدية ليست نظاما شيوعيا ولكنها من خصائص النظام الرأسمالي كما تعلم ٠

ان النظام الذي تصوره الاسلام للمجتمع جاء من عند الله ، وما يجمل بنا أن نقارنه بغيره ٠

وهو نظام يقوم على احترام الملكية الفردية ، وعلى التكافل الاجتماعى، والتراحم بين الناس ، ولايمكن أن يتمخض الاسلام عن أمة يملك فيها عدد محدود من الناس البلايين من الأموال ، ولا يطالبون بشىء غير الزكاة ، وفى الأمة أصحاب حاجات بالملايين ، وفيها مصالح مهدرة ، ومرافق معطلة ، وثغور مهددة ، وفيها شعوب : يهددها الجوع !!

ان الرأى الذى نادى به أغلب الصحابة الكبار لا يحرم الانسان من الميراث ، والأحاديث التى وردت لم تلغ الميراث فى غفلة من الناس ومن أئمة الفقه كما تقول ساخرا ولكنها تحض الناس على التراحم ، وترفض ان ينعم أحد بما فوق الكفاية ، وفى الأمة من حظهم من الرزق دون الكفاف، وفيها مصالح تتطلب النفقات ·· والا فما معنى قوله تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » مع قوله حق معلوم ؟! فالحق المعلوم هو الزكاة فما الحق المطلق ؟!

وما معنى قوله تعـالى : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو الآية · وما معنى قوله تعالى ليس البر ·· الآية ·· وما معنى قوله تعالى عن المال « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ؟ وما معنى كل الآيـات التى تأمـر الناس بالبر ؟! ·· اننا لنختلف فى تفسير بعض الآيات ·· هذا حق ، فأنت تأخذ بقول أحد المفسرين وآخذ بقول غيره ·· ولكن هناك أصولا عامة لا يمكن الخلاف عليها ··

وما معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم أن من بات شبعان وجاره طاو ليس منا ·

وما معنى حديث الفضل وهو صحيح ·

« عن أبى سعيد الخدرى : بينما نحن فى سفر اذ جاء رجل على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا أى متعرضـا بشىء يدفـع حاجة والأقرب ان راحلته كان قد أعجزها السير فأراد مساعدة فى ظهر يحمله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضـل ظهر فيعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ·· فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد فى فضـل ؟ » ·

لقد كان عثمان يرى ان فى الزكاة ما يكفى ، وانه لا يستطيع أن يحمل الناس على الزهد ، ولا على ان يبذلوا أكثر من الزكاة ·

على أن بذل ما فـوق الحاجـة اذا ما اقتضـت المصـلحة لا شأن له بالميراث كما شئت أن تفهم ·· فالحاجة تقـدر بمكانها وزمانها ومقتضياتها ·· ويدخل فيها ما يكفى الأهل والأولاد فى حياة عائلهم وبعد موته ، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرد الى من تصدق بماله

كله بعض هذا المال ليكفى حاجات أولاده من بعده : ومع ذلك فقد تصدق أبو بكر بكل ماله ، ومات صفر اليدين بعد أن كان من أغنى تجار قريش أكان فى رأيك يهدر حق الميراث أو يلغيه ؟ وكذلك مات عمر وعلى ومن بعدهم عمر بن عبد العزيز ولم يتركوا ما يورثونه ! أكانوا يلغون المواريث؟ هذه مكارم لا ننتظرها من أهل زماننا ٠٠ ولكننا ننتظر منهم أن يكونوا كما كان عثمان وطلحة وابن عوف من أغنيـــاء المسلمين ٠ فقد كانوا يجودون بأضعاف أضعاف ما يؤدونه للزكاة ، ثم ماتوا وتركوا لورثتهم ثروات طائلة ٠٠ حتى لقد أنكر أبو ذر على عبد الرحمن بن عوف أن يترك كل تلك الثروة ، ولقـــد كان عبد الرحمن يبكى وهو على فراش الموت اشفاقا على نفسه من تلك الثروة كلهـــا ٠٠ على الرغـــم مما بذل مـــن صدقات ٠٠!٠ وقد بشر الرسول صـــلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بالجنة ، وقال عن أبى ذر أنه أصدق الناس ! وليس منع الناس من امتلاك ما فوق الحاجة أن اقتضت مصلحة الأمة ، أخذ بالأفضل ، بل هو واجب شرعى عند بعض الفقهاء وحسبك أن بعض الأئمة كانوا يحتمون على ولى الأمر أن يقهر من يملك مسكنا فوق حاجته على أن يأوى فيه من لامسكن له ، ومنهم من اعتبر ولى الأمر آثما ان لم يوفر حد الكفاية لكل فرد وان لم يأخذ من الأغنياء ما زاد عن حاجتهم ، ان اقتضت مصلحة الأمة ذلك فى حالات الحرب ، والسلم ، وهذا كلام مفصل فى كتابى الذى تفضلت مشكورا بمدحـــه ٠

وأحسبك توافقنى على أن هذا النظر الاسلامى الى المال ينشىء مجتمعا فاضلا يسوده التراحم والتكافل بدلا من المجتمعات التى يهددها الصراع الطبقى الدامى بالتمزق والفتنـــــة ! لا بأس بالغنى ان اكتفى الفقير ، ولا بأس بالغنى لمن اتقى كما قال الامام على وأنا أرجو أن تعيد قراءة رأى أبى بكر وعمر وعلى وأبى ذر فى المال ، وستعرف أن عمر كان حريا بأن يرد فضول الأغنياء على الفقراء لو أنه عاش ، وان عليا ما حورب الا لأنه سوى فى القسمة بين الناس ، وأقام سياسته فى المال على قوله : « ان الله فرض فى أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير الا لتخمة غنى » ٠٠ كما أرجو أن تتدبر حكمة عمر بن عبد العزيز ، حين صادر الفضل من أموال أقاربه من كبار الأثرياء ورده الى بيت المال ، فأثرت الأمة ٠

وبعد ٠٠ فانا على يقين من انك لو رجعت الى قراءة ما ســـبق لك قراءته من كتاباتى ، بلا خوف أن يكون فى الأمر توفيق بين الشيوعيـــة والاسلام ٠٠ أنا على يقين انك ان فعلت هذا وأن أعدت قراءة ما جاءت به الآثار عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكبار صحابته والتابعين ، فانه من العدل الاجتماعى ، لأيقنت أن فى الاسلام ما يغنى عن كل المذاهب الوضعية الأخرى ، وأنه مازال أكثر تقدما ، وأقدر على تحقيق المجتمع

الفاضل من كل النظريات فلا حاجة بنا الى التوفيق بينه وبين غيره ‥ ومع ذلك فقد علمنا الاسلام أن نأخذ من النظم الوضعية ما يحقق المصلحة، وحسبك أن الخلفاء الراشدين أخذوا نظم الادارة من حضارات أخرى غير اسلامية كالحضارة المصرية والرومانية والفارسية والهندية ‥ وفيهـا حضارات تؤمن بتعدد الآلهة ‥ !!

واني لعلى يقين من انك حين تعود الى نفسك لتفكر في هدوء ، ستجد أن الخلاف حول المال يجب أن ينتهي لنصوغ مجتمعا نحترم فيه الحق والحرية وكرامة الانسان ، ويحقق لكل أفراده الرقي والازدهار والأمن ‥ فينعم من يعمل بثمرات عمله ، وتصبح الملكية وظيفة اجتماعية لها احترامها وحمايتها مكفولة شرعا بل هي واجبة ، وعليها دورها في تحقيق المصلحة العامة ورفاهية المجتمع ٠ وأيسر حماية لحق الملكية هي حماية الميراث وأيسر واجب عليها هو أن تستخدم لاثراء الأمة ‥ وأن بذل الفضـل يصبح أحيانا ضرورة ٠

ان مقتك للشيوعية ـ ومن حقك أن تمقتها كما تشاء ـ يجب الا يثير حولك دخانا يحجب عنك أصالة دعوة العدالة الاجتماعية في الاسلام ، وهي احدى حقائق الدين الذي أعرف انك تؤمن به ايمانا عميقا ‥

أنا أعـرف هـذا عنك فما بالك تغضب اذا أردنا أن نحمل هؤلاء الأغنياء أن ينفقوا ما فوق الحاجة لاصـلاح أمور الأمة ؟! ليست هذه شيوعية انما هو الاسلام ٠

الأهـرام ٩/١٠/١٨٣ ‥

حضيض جـديد

قال الشاعر توفيق عوضى أباظة يصف شخصا على غير خلق ·

نشـأت فى أقذر البيئـات ديدنهـا

خلق المعاصى التى ليسـت بمعـروفه

والواقع أننى لم أجد هذا البيت ينطبق على انسان ما وحمـدت الله على ذلك ولكن يبدو أن المقادير كانت تجمع لى أمثال هذا المهجو لتضعهم جميعا فى تجمع واحد شاء حظه النكد أن يصدر جريدة كان لها الفضل أن تنشر على النـاس حقيقـة الانحطاط الذى هوت الى حضيضه نفوسهم فيصبح أمرهم شهيرا جهيرا بدلا من أن يظل خبيئا مسنورا وأذكر بيت زهير بن أبى سلمى ·

ومهما تكن عنـد امرىء مـن خليقه

وان خالهـا تخفى على الناس تعـلم

فلقد أتصور أن انسانا ما أو جماعة تقف موقفا عدائيا من سياسى وقد يكون من الطبيعى ان يتناول انسان ما هذا السياسى بالنقد الشديد بعد موته لأن حياة السياسى لا تنتهى بموته فكل سياسى يقوم بأعمال يمتد أثرها على المجموع ويرصدها له أو عليه التاريخ ، ولو امتنع الكتاب عن التعليق على أعمال الساسة اكراما لوفاتهم لما كان هناك تاريخ على الاطلاق· فالرأى القائل بعدم مناقشة أعمال الأموات لا ينسحب بحال من الأحوال على الساسة ولا ينسحب على أى انسان تصدى للحياة العامة تمثلت هذه الحياة فى السياسة أو الفن أو العلوم ·

والا بربك قل لى كيف كنا سنقدم شعراء الجاهلية وصدر الاسلام وما تلاه من عصور اذا اقتصر الأمر عند الرواة على الرواية دون التعليق · وماذا كان سيكتب تاريخ الفن فى شتى مناحيه اذا هو امتنع عن ذكر الموتى من الفنانين ·

لاخلاف هنا ولا يمكن أن يكون هناك خلاف ·

ولكن لاخلاف أيضـا ان للموت قدسيته · ولحياة الانسان مكانتها

عند بني الانسان · فانا لا أتصور ان يفرح انسان مهما يكن حقير النفس، ساقط الكرامة لموت أى انسان بالغة ما بلغت الاساءة التى وجهها اليه · فاذا بلغت السفالة بانسان دركها الأدنى وفرح لمقتل انسان ما أو لموته فانه لا يمكن ان يتصور أحد أن يعلن هذا الفرح على ملأ من الناس أما أن ينشر فرحه في جريدة تحمل اسم حزب وتحمل شعاراته وآراه وأفكاره فذلك هو ما ذكرنى ببيت الشاعر انهم خلقوا من السفلات ما لم تعرفه البشرية وما لم يمر على ذهن آدمى أن آدميا آخر سيهوى اليها ·

نعرف من هؤلاء الكتاب من كان يفخر فى كتاب له منشور بأنه عمل فى تجارة المتعة كما عمل باللصوصية ·· ونعرف منهم من ارتضى لنفسه مالا يرضاه الرجال · ونعرف منهم من باع قلمه وضميره وشرفه لأعداء وطنه ونعرف عنهم أنهم بلا دين وانهم يرفضون كل ما هو روحى نبيل فى حياة الانسان ·

ونعرف منهم من يرى الشرف في الخسة والكرامة فى الذلة ، والرفعة فى الهوان ، والأمانة فى الخيانة ، والنبل فى التردى الى قاع الحضيض ·

لهم فى ذلك فلسفتهم فهم بما ارتضوا لأنفسهم يمسون فى حصن منيع من الهجوم عليهم وماذا يأخذ الريح من البلاط فهم حين يعلنون الناس بأنهم يعرفون عن أنفسهم كل حقارة يقطعون الطريق على من يريد أن يرميهم بما فيهم من قذر · ماداموا هم أنفسهم قد اعترفوا به وأعلنوه · وقديما جرى حوار من اثنين من العرب قال أحدهم ·

ـ والله ما أبالى مدحنى الناس أم ذموا ·

فأجابه الآخر :

ـ استرحت من حيث تعب الكرام ·

كل هذا نعرفه فيهم ولكننا مع ذلك لم نتوقع أن يبدعوا فى السفالة دركا لم يسبقهم اليه سابق ويرسمون شخصا يرقص فرحا بذكرى مقتل السادات · فما سمعنا من قبل ان قتلة رقصوا حول قتيل · ولا عن أعداء مهما تكن خستهم أطلقوا الزغاريد مع رصاص القتلة ، الا أن يكون هذا التجمع جنسا آخر من غير البشر · وجبلة أخرى لا تنتسب الى الانسان · ونوعا جديدا من الحيوان لم تستطع أجيال الحيوان على مدى العصور أن تهوى الى مهواه أو تتردى الى مستواه ·

مايو ١٠/١٠/١٩٨٣ ··

تعقيب على رد

توقعت أن يرد الأستاذ الأخ عبد الرحمن الشرقاوى على المقال الذى نشرته الاسبوع الماضى معلقا على أحد فصوله « عن على امام المتقين » وتوقعت أيضا أن يكون رده بهذا الأدب الرفيع وهذا الخلق الأسمى الذى لا أعرف عنـــه غيره ٠

وبقى أن أعقب على رده وأبدأ بأنى ما الى السخرية قصدت وحاشاى أن أفعل وانما هدفت الى أن أبين انتفاء ما استشهد به مع ما أنزله الله على رسوله عليه الصلاة والسلام فيما يتصل بالمال بعد الأحاديث التى ساقها الأستاذ عبد الرحمن مؤيدا بها وجهة نظره وما أحسب الأستاذ الشرقاوى لا يعلم اننى حريص على العدل الاجتماعى حين يتمثل فى تضييق الفوارق بين الطبقات وفى أن يتصدق الغنى على الفقير بوازع من نفســه وأرفض فى الوقت ذاته أن تستولى الدولة على كل مال يغل ريعا للناس فيتأدى بنا الأمر الى ما تتأدى اليه فى البلاد الشيوعية وفارق كبير بين أن تندب الناس للصدقة وتحثهم عليها ليقدموها بمحض اختيارهم وبين أن نفرض عليهم الفقر فينكشف غبار المعركة عن مجتمع كله فقير معدم بدلا من مجتمع يسوده المرحمة والتواد والتعاطف والحب فأن الناس اذا أصبحوا جميعا فقراء سادت بينهم شريعة الغاب التى نراها ســـائدة فى البــلاد الشيوعية ٠

وأنا أيهـــا الصـــديق الأعز والذى سيظل دائما صـــديقى الأعز معجبا بنظام الضرائب التصـــاعدية وأحبذها وأراها من أصلح الأنظــمة الاقتصادية لمواجهة عصرنا هذا فلا خلاف بيننا فى هذا الشأن ٠

أما الآيات التى استشهدت بها فهى هى ما قصدت أنا اليه ولا أتصور الحياة بغيرها وهل يمكن أن يدعو الرحمن لغير هذا وكيف نتوهم أن يوصى الله عباده بوصاة خيرا من أن يكون فى أموال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم وهو الذى بسط الرزق لهم وقدره على غيرهم ٠

وما استشهدت به من أحاديث أيضا لا خلاف عليه وهل يمكن أن يكون هناك خلاف بينى ــ وأنا من تعرف من دخائله ما لعله يجهله عن نفسه ــ وبينك فى أنه لا يجوز أن يبيت انسان على شبع وهو يعلم أن

جاره جائع أما ما سقته عن رأى عثمان من أن الزكاة تكفى فاننى أرى انها من ناحية الوجوب كافية ولكنها من الناحية الانسانية أقل من الكفاية وما أحسب أن هناك خلافا على هذا ·

أما ان الحاجة فينبغى الا تزيد عما يكفى الأهل والأولاد فى حياة عائلهم فقط فهنا أختلف معك خلافا لا محيد عنه فانه اذا استقر الأمر على ذلك انتفى الميراث وعدنا الى التناقض مرة أخرى فانه اذا صح انه لا ينبغى للانسان أن يدخر لابنائه ما يقيهم شر الحاجة من بعده ويجعلهم فى غنى عن الاستجداء ينتفى الميراث انتفاء تاما وانت ياسيدى تقول فى صدر مقالك أنه لاخلاف حول الميراث فكيف يكون هذا اذا كنت لن أبقى لهم من باقية الا ما أنفقه عليهم فى حياتى وماذا سيرثون اذن ·

أما استشهادك بأبى بكر فاستشهاد بشخصية من قمم التاريخ والانسانية وما أظن أن مثله يمكن أن يكون كسائر البشر وان ما صنعه خاص به وحده وهو صديق النبى صلى الله عليه وسلم وصفيه وثانى اثنين اذ هما فى الغار · أما يا سيدى ما ذكرته عن بكاء عبد الرحمن بن عوف حين اقترب منه الموت فاسمح لى أن أعجب منه فقد كان يستطيع بكل بساطة أن يمنح ماله كله لبيت المال ويكف عن البكاء ويبقى على ماله لأبنائه فتصرف يدعو الى الدهشة !

أما ما ذكرته عن مجتمع التراحم فاننى واثق أنك لا يمكن أن تتصور ه بقهر الناس وارغامهم على مالم يشرعه الله وان كان هذا رأى بعض الفقهاء فلاشك أن هناك آراء أخرى أكثر قوة تجعل الصدقة بعد الزكاة متدوبة مستحبة وليست حتمية مفروضة كما تريد أن تؤكد وان ما سار عليه المسلمون لألف وأربعمائة عام لدليل على صدق ما ذهب اليه ·

أما ما تقوله عن الدول الغنية والدول الفقيرة فاننى لا أتصور الحياة حياة شريفة الا بما ترى أنت فى هذا المضمار ·

وأما ما ذكرته عن عمر بن عبد العزيز فهو دليل لى وليس على فقد أخذ عمر المال ممن كانوا ينتهبوه ولم يكن لهم بحق ورده الى أصحابه الشرعيين ورد الى بيت المال ما لم يجد له صاحبا على قيد الحياة وهذا أمر يتحتم على ولى الأمر وجوبا وليس مجرد حق له واذا هو لم يفعله ونكص عنه وقع عليه التقصير ·

وبعد يا أخى فان ماذكرته عن حسن ظنك بى هو وأكثر منه علمى بك ولولا خشيتى أن يقال اننا نهزنا الفرصة لنتقارض الثناء لذكرت كل ما أكنه لك من حب وتقدير واعجاب ·

على أن رأيك هذا اذا أخذت به دولة اســـلامية ما فانها لن تطبقه الا مرة واحدة فى عام واحد أما العام التالى فانها باذن واحد أحد لن تجد عند أى فرد من رعاياها ما يستحق أن يدفع عنه الزكاة ومادامت الزكاة قد سقطت فان الصدقة أيضا تسقط من باب أولى وانك يا أخى لو أعملت الرأى فيما تقول لوجدت انك به لا تلغى الميراث وحده وانما تلغى الزكاة أيضا ٠ والا فعلى أى مال سيزكى المواطن فى عامه التالى مادام قد دفع بماله الفائض جميعا الى الدولة فى عامه الفائت ٠ انه سيكون مستحقا لمال الزكاة ولن يجده أو لمن يتصدق عليه وهيهات ان يعثر على متصـــــدق أو صدقة ٠

الأهـــرام ١٥/١٠/١٩٨٣ ٠٠

أعلم ولكن ... !!

أى شيطان مريد خائن تلبس أقلام بعض الكتاب اليوم · لقد ركبتهم الأنانية حتى ما يكادون يبصرون الا أنفسهم · وياليتهم يبصرونها وفى عقولهم بقية من تفكير أو فى نفوسهم اثارة من بعد نظر · وانما هم يكتبون تسيطر عليهم هذه الأنا ثم لتذهب مصر وأبناؤها جميعا الى الجحيم ما البأس ما دمت أنا أكتب وما دمت أنا أهاجم وما دمت أنا أرسم نفسى أمام الجهلاء بطلا · وما دمت أنا أحصل على أموال أعداء مصر والمتآمرين عليها من شتى جوانب ومن مختلف نحل · انما المهم هو أنا ·

انما البطولة لا يعرفها عنى الجهلاء الا اذا أنا هاجمت وأوسعت النظام المصرى نقدا وتجريحا وتعنيفا واذا كان بين الناس من يدرك أنه لا بطولة اليوم فى النقد وانما البطولة فى الحق فان هؤلاء الذين يدركون هذه الحقيقة قلة لا يعتد بها ولا يؤبه لها · فقد تعود عامة الناس أن يعتبروا من يهاجم النظام بطلا حتى وان كان النظام لا ينتقم من مهاجميه نعم وان ، حتى و ن كان النظام لا يقتل ولا يعتقل ولا يعتدى على عرض أو مال أو كرامة نعم وان ، حتى ولو كانت هذه البطولة فى حقيقتها بطولة ورقية جوفاء سيحكم عليها التاريخ أنها خيانة لأمانة القلم واسقاط لثقة الناس فيك نعم وان ، فان التاريخ ليس يعنينى وانما المهم أن أبدو الآن أمام الناس بطلا ·

نعم أعلم أن هذا الذى انادى به اليوم دمار لمصر أى دمار واعتداء على أمنها وحاضرها ومستقبلها واتاحة للحرائق أن تشتعل فى جوانبها بسخائم الملحدين والمتطرفين وأعدائها فى الخارج والخونة من أبنائها فى الداخل · وأعلم أن الذى أنادى به اليوم يجعلنى أبدو أمام الناس مدافعا عن الديمقراطية والحرية وأعلم أنه لو أن القائمين بالأمر استجابوا لدعوتى لخربت مصر جميعا وأعلم أن الحرية المتاحة اليوم لم نكن نحلم منذ سنوات قليلة أن نصل الى نصيب منها أى نصيب وأعلم أن هذا القدر من الحرية جعل المتطرفين يقتلون رئيس الدولة فى يوم الاحتفال بالنصر الذى حققه مع جنود مصر · وجعل الملحدين يصبحون كالوباء المنتشر فى شتى مناحى الثقافة والاعلام فى مصر وأنهم يستجدون بهجومهم الأموال من أعداء مصر

عربا كانوا هؤلاء الأعداء أو كانوا ملحدين سفاكين يسفحون دماء الانسانية في الانسان •

وأعلم أن مصر اذا هي لم تحصن نفسها ضد هؤلاء الأعداء من خارج مصر ومن داخلها فستصبح بين عشية وضحاها نيرانا ودماء ورماد وأعلم ان اختلال الأمن سيفشى فى نواحيهـا ويظلم على جنباتها وأعلم أن أعظم دول العالم المتحضر قد تحسبت لحركات الارهاب فيها بحصون من القوانين • وأعلم ان هذه الدول لا تتعرض لأحقاد خارجية عليها مثل هذه التى تتعرض لها مصر وأعلم أن القوانين انما تشرع لتواجه ما تحتاجه الدولة وأن هذه القوانين تتشكل بالفترة التى تمر بها البـلاد أعلم أن كل المعتـدين على الحريات يرفعون من الحرية شعارا يجعلون منه ستارا ليقتلوا به الحرية نفسها ويجهزوا عليها • واعلم أن القائمين بالأمر فى مصر لم يستـغلوا يوما قانونا ليصادروا به رأيـا أو يعتدوا به على برىء مهما يكن الجانب الذى يقف فيه حتى وان كان هذا الجانب مناقضا لموقف السلطة ورأيها •

أعلم هذا جميعا ولكن ماذا يهم أن أعرفه أو لا أعرفه انما المهم أن أشتم أنا وأن أهاجم أنا وان أدافع عن الديمقراطية أنا وأن أدافع عن الحرية حتى وان كانت حرية موهومة أنا • وان أكون بطلا أنا حتى وان كنت بطـلا يشهر سيفا من ورق ويدافع عن باطل يعلم أنه باطل وان تلبس بالحق فى مظهره واعلم أيضا أنه كان الأجدر بى وقد حملت أمانة القلم أن أكون كفؤا لحمل هذه الأمانة واعلم أيضا أنه كان الأخلق بى وقد أولانى الناس ثقتهم أن أكون لسان الحق الى ضمائرهم حتى وان قلت مالا يجعلنى أمام الغوغاء منهم بطـلا • أعلم ذلك ولكننى ان فعلت انقطعت عنى شلالات المال التى تنهمر على حساباتى فى الخارج أنها الدنانير التى تتدفق على رغدا وهناء وبذخـا •

كل هذا يدور بنفسه • ولا يدور بنفسه قط انا حين نمثل أمام الديان سيكون لباسنا ثوبا من قماش لا جيوب له ويوم الحساب سيجد كل انسان كتابه منشورا ولن يكون فى هذا الكتاب حسابات البنوك •

١٩٨٣/١٠/١٧ ••

لغة العرب لغة الثراء

ان الانسان لا يستطيع أن يعيش متوائما مع نفسه الا اذا أحس أن له في مقومات كيـانه ما يعتز به ٠ وهو قادر على أن يختلق هـذا الاعتزاز ان لم يجده ٠ فاذا كان الأمر كذلك مع الفرد ٠٠ فهو مع الأمم أكثر وضوحا فكل أمة فى العالم تعتز بأمجادها وتتغنى بها ٠ واننى أعارض ما قرأته لأخى الأستاذ أنيس منصور فى أحد مواقفه من رفض لتغنى أبناء مصر بأمجاد مصر ٠ متصورا ان هذا التغنى يجعلهم فى غنـاء عن العمل وانهم يكتفون بالصوت عن العمل وهذا ليس صحيحا فى الشعب المصرى فنحن شعب يغنى وهو يعمل والغناء يحث العامل على النشاط وقديما كان حداء الابل فى الصحراء يخفف أعباء الطريق على المسافرين ويحث الجمال أن تحتمل المشقة ومن هذا الحداء نبت الشعر العربى كله وكل شعب له خصائصه التى لا يشاركه فيها أحد والأمر المؤكد أن كسل المصريين ليس راجعا الى أنهم يتغنون بأمجاد مصر وانما هم كسالى رغم أنهـم يتغنون بأمجاد مصر فقد كان هذا التغنى خليقا بأن يدفعهم الى العمل لا الى النكوص عنه فالشعب كسول رغم أنه يعرف أمجاده ويتغنى بها وليس لأنه يشيد بهذه الأمجاد ٠

واللغة من أهم المقومات التى تعتز بهـا الأمم العريقة فأنت تجد الفرنسى وهو ينطق لغته فخورا بهذه اللغة سعيدا أنه ينطقهـا النطق الصحيح ويكتب بها فى ألفة معها وفى حب لها يجدد فيها دون أن يعدو على موسيقاها أو على جرس الجملة ووقعها فى نفس المتلقى لها مستمعا كان هذا المتلقى أو قارئا ٠

وكذلك يفعل الانجليز الأصلاء فهم حريصون ان ينطقوا حـروف لغتهم النطق السليم القوى الواضح وتلمح فى وجوههم الاعتزاز بأنفسهم أنهم يحسنون نطق لغتهم وهم يجددون فى أساليبهم ولكنهم لا يعتدون عليها فعل الأب الثرى يقدم لابنه أحدث ما ابتكرته بيوت الأزيـاء ليراه دائما مشرقا متجددا أنيقا ولكنه لا يحاول بأية حال من الأحوال ان يغير من معالم ولده فهو دائما يراه أجمل مخلوق فى العالم ٠

ولقد قرأت منذ قريب كتابا عن بعض رواد مؤلفى الرواية الأمريكية بقلم نقاد مختلفين ويوشك النقاد أن يجمعوا أن الكاتب الذى اختـاروه

الأهرام ١٩ أكتوبر ١٩٨٣

لبحثهم كان يحاول أن يجد لغة أمريكية جديدة لأن الشعب الأمريكى حديث التكوين ولم تتأصل له لغة خاصة به أو هو على الأقل كان كذلك حين بدأ هؤلاء الرواد ممارسة أعمالهم الفنية ٠

واللغة العربية لغة أمة بأكملها وهى لغة فرضت نفسها على التاريخ لآلاف السنين والناطقون بهذه اللغة لهم ذوقهم الخاص وهو ذوق رفيع وليس فيه جمود فهو يحب التجديد فى اللغـــة ولكنــه لا يحب الاعتداء عليهـــا ٠

واللغة العربية لها خصائصها شأن كل اللغات وقد أحب أبناؤها هذه الخصائص حبا نابعا من المشاعر قبل ان ينبع من العقل ٠

فلغتنا ــ فيما أعتقد ــ أعظم اللغـــات ثراء وقد رأيت من الانجليز والفرنسيين من بهره هذا الثراء فاللغة الوحيدة فى العالم التى يستطيع الشاعر بها أن ينظم خمسمائة بيت على وزن واحد وقافية لا تتغير هى اللغة العربية ولو كانت اللغة الانجليزية أو اللغة الفرنسية بهذا الثراء ما لجأ الشعراء فيهما الى شعر المقاطع أو الشعر الحديث ٠

واذا تركنا الشعر وانتقلنا الى النثر نجد ان الاسلوب العربى يحب المترادفات فهى تؤكد المعنى وتكسب الأسلوب جمالا ورواء وتضفى على الأثر الأدبى أصالة ومكنة وأبعادا لا تطيق الكلمة الواحدة أن تحملها الى نفس القارىء ٠

واذا كانت اللغة العلمية لا تميل الى هذه المترادفات فانها حبيبة فى اللغة الأدبية ، وتلون الاسلوب بتلون الموضوع ثراء وقدرة من اللغة على مواجهة شتى مجالات ومختلف ميادين ٠

وأنا مع هذا لا أميل الى الرأى القائل بتعريب اللغة العلمية فان العلم عالمى بطبعه وينبغى على المشتغلين به عندنا أن يتقنوا اللغات الأجنبية غاية الاتقان حتى لا ينفصلوا عن العالم المتحضر فى أبحاثه التى تكلفهم من الأموال والآلات مالا طاقة لنا به والأمر الذى لا شك فيه ان العالم المتحضر ينتفع بجهود علمائنا بما يقدمون من بحوث فى ميادين العلم ٠ وما هذا الذى أقول من قبيل التفاخر وانما هو واقع تؤيده الحقائق التى لا سبيل الى نكرانها والعلم تبادل معرفة وان هذا الثراء الذى تتمتع به لغتنا يرسى فى نفوسنا ثقة مطمئنة بلغتنا فنحن لا نخشى ان تعدو عليها لغة فى العالم مهما يكن شأنها ٠ وقديما أخــذت العربية من الفارسية والتركية ومن الفرنسية والايطالية والانجليزية فازدادت ثراء كما أخذت كل هذه اللغات من اللغة العربية ولم تشعر بهوان فقر أو ذلة حاجة ٠

والأذن العربية مازالت على رغم تطاول السنين تحب اللغة الأصيلة

وتجس وقع الكلمة المختارة الجميلة · ولهذا لم ينجح فى أدبنا الاسلوب التلغرافى · فهو لا يصل الى نفس القارىء فى العمل الأدبى وانما يجعله يحس أنه يقرأ كشف حساب لا أدبا فنيا ولا أسلوبا عربيا ·

وقد حاول بعض النقاد ممن ذهبوا الى الغرب والتوى منهم اللسان وفقدوا هناك الذوق العربى أن يضعوا فى الأدب العربى قاعدة تقول ان جمال اللغة فى العمل الفنى يقف حائلا بين العمل وبين مستقبليه وخاصة اذا كان هذا العمل قصة أو رواية ·

والحقيقة التى لا شك فيها أنهم هم أنفسهم وجدوا أنهم عاجزون من كتابة اللغة الفنية الجميلة فانشأوا من القبح قاعدة ·

ولما كان الجمهور حين يقرأ يترك نفسه على سجيته ويضرب صفحا عن القواعد المفتعلة التى يريد أن يزيفها عليه النقاد فانه رفض هذه القاعدة وأصر أن يقرأ أسلوبا جميلا وأقبل على هذا الأسلوب ورفض غيره ولعل الرواية الشاهقة الباذخة التى كتبها أخيرا أستاذنا نجيب محفوظ فى الأهرام تؤكد هذا المعنى فان نجيب محفوظ من أكثـــر الناس احساسا بجمهور القراء وادراكا لذوقه وأنت ترى أنه بلغ فى هذه الرواية قمة فائقة من جمال الأسلوب ·

ولقد قرأت منذ قريب بحثا لغويا فى بعض التركيبات اللغوية فى القرآن الكريم وقد حاول العالم الجليل ان يبرر بعض أساليب القرآن ويتقصى الأسباب التى من أجلها أنزل سبحانه الآية فى نظامها هذا الذى نحفظه به وضرب مثلا بقوله سبحانه «فبما رحمة من الله لنت لهم» وبقوله «لا أقسم بهذا البلد» وبآيات أخرى كثيرة وراح يستعرض آراء النحاة فى هذا الشأن ثم يدلى برأيه وعنـــدى أنه لم يكن محتاجا الى كل هذا الجهد فان جمال هذه الآيات مستمدة من نظامها هذا والله سبحانه وتعالى الذى خلق النفوس هو الأعلم بما يصل الى بعيد أعماقها ويبلغ منها ما لا يبلغه بيان بشر ·

وليس أدل على أن الذوق العربى يحب لغته بكل ما فيها جمـــال أسلوبى ومترادفات وتقديم وتأخير من هذا الشعور بالسمو النورانى الذى نقرأ به القرآن الكريم أو نستمع اليه وهو شعور يفقد جماله اذا حاولنا ان نحلله أو نرجعه الى منطق انه الحب ولقاء النفس بما تهواه ·

ومهما يحاول أعداء اللغة والعاجزون أن يهونوا من شـــأن الجمال اللغوى ويدفعوا الناشئة الى لغة التقارير فان الأديب سيظل محبا للتعبير الموسيقى الثرى الرهيف · وسيظل القـــارىء حريصـــا أن يقرأ أدبا فنيا لا نشرة ارصاد جوية ·

الأهـــرام ١٩/١٠/١٩٨٣ ··

نيام على غير مضاجع

من الناس أقوام مارسوا الكتابة سنين عددا واتاحت لهم الظروف أن تظهر كتاباتهم وأغلب الأمر أنهم أرغموا الظروف أن تتيح لهم الطلوع على الناس بما يكتبون فطلعوا ومرت الأعوام فما أحس بهم أحد فلا النقاد اعترفوا بهم ولا القراء أحسوا بوجودهم فكان طبيعيا أن يقفوا خارج الحلبة ليسبوا كل من فيها ويهاجموه فى ضراوة لا بديل لها وبغير منطق وبغير ذوق فنى أو غير فنى وبغير ابداء أسباب فليس الى الحق يهدفون ولا هم ينشدون العدل فيما يعيبون انما بغيتهم الوحيدة هى أن يهاجموا آملين أن يحطموا المشاهير فى مظنة منهم كاذبة ان لو تحطم هؤلاء لن يبقى غيرهم فى الميدان ولو كانت بهم مسكة من عقل لأدركوا أن هؤلاء المشاهير غير قابلين للتحطيم لانهم لم ينالوا شهرتهم بالحظ أو البساطة وانما نالوها بموافقة الغالبية العظمى من قراء اللغة التى يكتبون فيها عربية كانت أو كانت غير عربية ولو كانت بهم بقية من ذكاء لأدركوا ان اختفاء هؤلاء المشاهير بالوفاة أو الصمت لن يتيح لهم أن يظهروا لأن الشعب حين قبل العمالقة قبلهم لأنهم عبروا عنه وحين رفضهم هم رفضهم لأنهم غير صالحين لمخاطبته ولم يرفضهم لأنه مكتف بكتابه فالشعوب دائما تحب أن يتعدد كتابها ومفكروها ٠

وهكذا لم يكن عجبا ان نجد هؤلاء الضائعين فى تيه الأدب يتخيرون القمم الصماء ليهاجموها محاولين أن يقضوا على ذؤابتها فاذا هم يتهاوون الى سفحها وقد تحطموا وتمزقوا خرقا ٠

وقد واجه طه حسين وشوقى والعقاد والمازنى وتوفيق الحكيم وعزيز أباظة ومحمود تيمور وغيرهم من العمالقة ألوانا من الهجوم شتى وأفانين من القذف بلغت فى بعض الأحيان مبالغ الوحشية الشرسة الطاحنة فما زادهم هذا الهجوم الا بريقا وتوهجا وما ازداد المهاجمون الا انطفاء وخفوت ذكر ٠

والرغبة فى الشهرة عند المهازيل تشكل نوعا من السعار المجنون الذى يجعلهم يستهينون بكل ما يتصل بشرف الآدمية فنجد منهم من

يحاول أن يحدث أى تفجر ليحدث به دويا وحتى ولو كان هذا التفجير سينسفه هو نسفا حتى لا يبقى منه على شيء ٠

وليس يعنيه أن يصدم شعور الناس ويعتدى على مقدساتهم ويدمغ الكرامة بالهوان والنبل بالخسة وما أصدق المتنبى حين قال :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجـــرح بميت ايلام

فنجد واحد منهم يكتب كتابا لا يستحى فيه أن يذكر أنه كان لصا وتاجر متعة وذلك منه وصول من الحضيض الى هاوية لم تعرفها البشرية فأصحاب هذه المهن فى مألوف أمرهم يسترونها على أنفسهم ولا يعالنون بها الا حين تقتضيهم المهنة أن يعلنوا فما رأينا لصا يباهى بأنه لص ولا تاجر أعراض يفاخر بأنه يمارس تلك الصنعة ٠ أما أن ينشر هذا فتلك جديدة فى السفالة والانحطاط والهوى الى غير قرار ومن عجب أنه بعد ذلك يظهر على الناس ويهاجم كل شريف فى الحيـاة حتى أصبح الشرفاء يعتبرون الهجوم منه وساما لا يدانيه وسام وشرفا يحزنهم أن يفوتهم ٠

ونجد آخر يهون كل جليـل فى حياتنا وكل سامق من تاريخنـا القديم والحديث على السواء وهو ـ للأسف الشديد ـ مدرك عواقب هذا الذى يفشيه من أثـار وبيلة تقـع عليه أولا ثم هى بعد ذلك تثير نفوس الأغلبية الكاثرة من الناس فى مصر وفى الشعوب العربية كافة ولكن ماذا يهمه مادام هو قد أحدث التفجير الذى ينشده وليكن هو أول الضحايا وليكن التاريخ من بعض ضحاياه ولتذهب مشاعر الناس الى الجحيم ٠

وانى أحس أنه بما يصنع يريد أن ينتقم من البشر أجمعين ما داموا هم لم يكسبوه الشهرة التى أرادها لنفسه ولم ينزلوه من نفوسهم المنزل الذى يتوهم انه حقيق به ٠

وآخرون كانت كتاباتهم هذاء لم يخطها الا مهلوس مجنون لا يعى ما يقول وكان من الطبيعى أن يعيا الناس عن فهمه ويعتبروا ما يكتبه لغة أخرى غير لغتهم وكان من الطبيعى أن ينصرفوا عنه كأنه لم يوجد ٠

وكان لابد لمثل هذا وللآخرين من أمثاله أن يناموا ولا سبيل الى نوم مع الشعور بالفشل والاحباط فهم اذن يحتـالون على أنفسهم ويخادعونها عن الحق وينسجون لها من الوهم ما يجعلهـا تطمئن صـاحبها أنه نابغة سبق زمانه وان الذين أصابتهم الشهرة انما اقتنصوها بماء وجوههم وبما انهم جهلاء يخاطبون جهلاء وبما أنهم تافهون لا يرتفعون الى السموات التى نحلق فيها نحن بأفكارنا ولو اننا نافقنا الناشرين وحاولنا ارضاء الناس بكتابة ما تستجيب لهم حواسهم الساذجة الفجة لأصبنا من الشهرة ما لم

يصبح أولئك المهازيل الذين يتصدرون الحياة الأدبية فى هذا الزمن النكد فكل زمان لا يشتهرون فيه زمن نكد وأن شهرتنا قادمة لا شك فى قدومها وينامون ٠

ولو انهم لم يناموا وحاسبوا وهمهم حساب عقلاء لاحساب مهلوسين لتبينوا ان الشعوب لا تبغض أحدا قدر بغضها للمنافقين ولها فى كشفهم عيـون راصدة لا تنام وليس يخفى عليها من أمرهم خافية وان للشعوب عقولا تسجل كما لا تسجل أحدث الآلات الالكترونية وقد تنسى الشعوب ولكن لانها تريد أن تنسى وهى حين تنسى يكون ذلك منها عن ادراك لا عن غيبة وعى أو غفلة ٠

وكم من نافق وهوى به نفاقه الى أسفل درك بالنفاق فشل به نفسه مئات من الناس والمنافق قصير مدى الخطى منكمشة حيـاته هزيل نجاحه ومهما يبلغ بنفاقه من سلطان فهو عند الناس محقور الشأن لا وزن له ولا قيمـــه ٠

وان كان النفاق سبيلا ممهدا فى عالم الوظيفة فهو طريق مغلق فى عالم الفكر والأدب والفن بعامة ٠

فقد يجد المنافق في عالم الوظيفة من يبصقه الى منصب ولكنه فى عالم الأدب و لفكر ليس له الا الناس ملاذا وهم وحدهم من يرفعون شأنه ليكون علما أو يخسفون به الأرض ليكون موطىء نعال ٠

أما وهمهم انهم سبقوا عصرهم فهو باطل بطلانا أصليا ليس له من زوال فأن الكاتب ابن عصره يستمد منه ويعطى له وبما هذا خلد الشعراء والكتاب على مدى الزمان فان الأجيال حين تتسلم المشاهير بعضها من بعضها تتسلمها بعصورها وبالأزمان التى عاشت فيها وعبرت عنها وما كتب لها الخلود الا لأنها كانت من مرايا عصرها ومن أضوائه ولو أنها حاولت أن تعبر عن غير عصرهـا او تكتب لغير زمانها لأصـابها الفشـل الذريع ولامتنعت الأجيال أن تتداولها الى الخلود ٠

وبعد افترائى قد اصبت بـالاحباط قوما اسـتكانوا الى أوهامهم واطمأنوا اليها وانقضت أنا على سكينتهم وأوهامهم فعصفت واذعرت طائرهم وأسلمتهم الى اليأس قد أكون ولكن البتر العضو الأشل أخلق وان عليهم أن يفيقوا الى حقيقتهـم ويبحثوا عن عمل يتقنونه بدلا من أن ينـاموا بغير مضـاجع على أرصفة طريق ليس طريقهم فهم فيه غرباء ولا أمل لهم أن يصبحوا من أهله اللهم قد بلغت اللهم فاشهد ٠

الأهـــرام ٢٣/١٠/١٩٨٣ ٠٠

نقد فى موضعه

الأستاذ حسين الرملى صديق قديم وهو صاحب تاريخ طويل فى الصحافة وقد عرفته منذ قرابة أربعين عاما حين كان يزور أبى فى بيتنا بالعباسية · وقد علق باحدى صحف المعارضة على مقال لى فى جريدة مايو تعليقا آراه محقا فى نصفه مجانبا للحق فى نصفه الآخر ·

ولكننى قبل أن أفصل هذا الاجمال أحب أن أهمس فى أذن الأستاذ حسين اننى كنت أرجو منه وهو الصديق القديم أن يصطنع فى الحديث عنى أو الى اسلوبا غير هذا الذى كتب به · فهذا ميدان لو تزاحمنا فيه لكن هو الخاسر لاجدال · وقد كان أولى به ثم أولى أن يرعى صداقة قديمة بيننا لم يشبها شائب · وودا رعيته له وما أزال أرعاه ولولا هذا الود ولولاه وحده لكان ردى عليه بأسلوب غير هذا الذى أكتب به الآن وهو يعلم اننى أعرف كيف أستطيع أن أعمل أساليب الهجوم بشتى ألوانه من سخرية الى اقذاع الى شعر اذا أراد · الى قصة الى صورة ، فتلك هى صناعتى وما هى بصناعته ، وبضاعتى وما هى ببضاعته ، ولكننى لآصرة الزمان الطويل الذى عرفته فيه وللحرمة صلته بأبى ودخوله الى بيتنا ، سأغضى عما اتخذه من اسلوب عينا له محبة وأروض نفسى أن تقبل منه ما لم تقبل قط من أحد قبل ·

وبعد فأنا لست بالمفتى ولست فى حاجة الى ألقاب · فالفارغون وحدهم هم من يحتاجون الى ألقاب انما أنا انسان أحاول أن أفكر بحرية وألتمس من الذى يقرأ لى أن يفكر هو أيضا متحررا من الدخن ومما يشوب النفس من ادراك المصالح الشخصية ·

فليس عجيبا اذن أن أناشد المعارضة أن تذكر ما تراه من أشياء لا يختلف حول التمدح بها اثنان الا أن يكون أحدهما مغرضا · وحين أقول العالم لم أقصد طبعا اننى طفت بآلاف الملايين فى بلاد المعمورة أستطلع رأيهم وانما أعنى الصحف الأجنبية التى تناولت الموضوع بالتعليق وأى انسان يعرف العربية وما يؤديه اللفظ يفهم عنى ما أقول ·

والاعتراف بهذا الفضل لا يمنع أى منصف أن يؤيدك فيما ذهبت أنت اليه من وجوب البحث فى أمر مجوهرات الأسرة المالكة ·

وأى شريف لا يمكن أن يعارضك فهذا أمر جدير بالبحث كل الجدارة فان هذه المجوهرات أموال دولة أو أموال غير ، وكل اعتداء عليها سرقة واختلاس وغصب ولا يرضى أى مصرى ، والسكوت عنها ٠٠ ينبغى تماما الا يكون ٠

والمجوهرات الباقية موجودة الآن بخزائن البنك الأهلى وقصر عائشة فهمى مخصص لعرض هذه المجوهرات ولا يحتاج الأمر الا أن تأمر الحكومة فتخرج المجوهرات من خزائن البنك وتأخذ طريقها الى قصر عائشة فهمى الذى استولت عليه الحكومة لهذا الغرض بالذات ٠ وقد أقام ورثة عائشة فهمى دعوى على الحكومة ببطلان الاستيلاء لأن القصر خصص لغير الغرض الذى صدر به أمر الاستيلاء ، لكن الحكومة كسبت الدعوى بحجة أن الغرض الذى استولت على القصر من أجله ما زال قائما الا أن اللجان المتخصصة لم تنته بعد من جرد المجوهرات ٠

وواضح ان الجرد استغرق من السنوات ما لا تستغرقه كنوز العالم أجمع ٠ وقد نتصور ان العهد السابق على ثورة مايو كان حريصا الا يذيع على الناس ما تداول هذه المجوهرات من تصرفات ٠٠ ولكننا اليوم فى عصر نرفع فيه الأمانة على رؤوس الأشهاد ونعلن فيه للعالمين ان أمر الدولة لا يستقيم اذا هى لم تنزل بالمسىء الجزاء ناظرين الى قوله سبحانه وتعالى « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » ٠

وليس القصاص مجرد عقوبة تنزل بمن ارتكب اثما وانما هى ردع لكل من يفكر أن يقدم على هذه الآثام ٠ ولهذا تؤكد القوانين جميعها ان العقوبة مانعة رادعة ٠

وليس من المعقول ان يخالفك فى هذا الأمر انسان يحترم شرف الانسانية ٠

ولكن ألا ترى معى ان هذا الحديث لا يمنعك ولا يمنع المعارضة أن تعترف بالحسنات حتى يتسنى لها أن يكون نقدها موضع احترام من الشعب ؟! فان الشعوب لا تصدق المادحين الذى لا ينطقون الا بالمديح كما لا تصدق المهاجمين الذين لا ينطقون الا ذما ٠

وأعيذك أنت بالذات أن تكون واحدا من الفئة الأولى أو واحدا من الفئة الثانية شعارها الكذب والاختلاق وكلا الوصفين شر من صاحبه ٠

مايو ٢٤/١٠/١٩٨٣ ٠٠

في ذكرى عميد الأدب العربي
حياة من السير

كانت أنواع القطن التى تزرع فى مصر فى ثلاثينات هذا القرن نوعين هما ــ فيما أذكر ــ المعرض والزجورا • وكان الزارعون يختارون النوع الذى يجود محصوله فى الأرض التى يقومون بزراعتها وحدث انه جمع أحد أعيان الريف الظرفاء قطنه وعرضه للبيع وجاء اليه التاجر يريد أن يشتريه • وسأل التاجر •

ــ ما نوع قطنك •

ــ أيهما الأغلى سعرا •

ــ المعرض •

ــ اذن فقطنى معرض •

ــ عظيم وأنا اشتريت •

ودفع التاجر العربون وفى اليوم التالى أتى بالاكياس لتعبأ ودخل يرى القطن ولكنه قبــل أن يمد اليه يده عرف القطن ونوعــه والتفت الى الظريف البائــع •

ــ ولكن يا بك هذا القطن زجورا وليس معرض •

ــ كيف •

ــ أنا لا احتاج للفحص •

ــ ولكن هذا الذى تقول غير صحيح •

ــ كيف ؟ هذا أمر لا يختلف فيه اثنان •

ــ قل لى أولا •• قطن من هذا •

ــ قطنك أنت •

ــ فأنا وحدى صاحب الحق فى تسميته وقد سميته معرض وأنا حــــر •

وأصبح هذا الحوار نادرة يتندر بها أبناء المنطقة جميعا على أنه نكتة يتناقلونها • أو على الأقل هذا ما كنت أظنه أنا • حتى جاد علينا الزمن الأخير بجماعة من النقاد يصنفون الكتاب حسب ما يشتهون يثبتون من يشاءون فى قائمة الأدب وينفون عنها من لا يرضون عنهم •وان كان الفلاح الظريف قد رأى ان محصول قطنه ملكه هو يسميه بالاسم الذى يختاره • فقد رأى النقاد الذين اشير اليهم ان الساحة الأدبية جميعها ملك لهم يدخلون فيها من يشاءون ويمنعون عنها من لا يتفق معهم فى المذهب ومن لا يبذل ماء وجهه عند أقدامهم لينال تذكرة الدخول الى الساحة الأدبية التى استقر فى أوهامهم انهم يملكونها •

والاذن منهم بالدخول أو المنع يقع باحكام نهائية لا حيثيات لها ومن ثم فهى أحكام غير قابلة للاستئناف أو لاعادة النظر •

فالحكم منهم يصدر بالصمت أحيانا •• أو يصدر فى أحيان أخرى بمرسوم أو فرمان خديوى يرسم الأسماء التى يرضون عنها أدباء ولا يذكر أسماء المغضوب عليهم •

واذا كان الله سبحانه وتعالى يدخل الى جنته من أحسن عملا والى جحيمه من أساء • واذا كان جل علاه يعرض الناس فى يوم الحشر ويحاكمهم مع انه يعرف ما يخفون وما يبدون واذا كان تقدس عدله يريد لعباده أن يكونوا على بينة من أسباب الحكم لهم بجنات النعيم أو الحكم عليهم بعذاب الجحيم • فان النقاد يستكثرون هذا على عبادهم من الكتاب فيقربون من يستلطفون ويتجاهلون من يستثقلون ولا يقبلون أن يسألهم أحد من الناس لماذا ؟ فهم يرون انهم فوق السؤال بله المساءلة •

ولهذا لم يكن عجيبا أنه يصبح الكتاب والقراء فى واد والنقاد فى واد آخر صنعه لهم كبرهم الكاذب وخداعهم لأنفسهم واعتقادهم الموهوم انهم من جنس غير جنس الناس • ومن طينة غير طينتهم •

ولما كان الناس الذين هم القراء لا يحبون أن يخاطبوا جنسا غير جنسهم فقد أصبحوا بعيدين كل البعد عن النقاد لا يشعرون بهم ولا ينتظرون رأيهم فيما يصدر من أعمال فنية وتصدى القراء أنفسهم للحكم على الأعمال الفنية يقبلون عليها بالقدر الذى يقدرونها به غير ملتفتين الى النقاد وآرائهم •

ولكن هذا الحديث عن بعض النقاد ليس يمنعنى أن أذكر أن هناك نقادا من الجيل الذى لا أستطيع أن أصفه بالشباب ولا أستطيع أن أتجاوز به الكهولة ولكنه جيل يمثل عندى لطف الله الذى يرسله سبحانه عند كل خطب ليزيح بالأمل فيه قتامة اليأس •

ولكن أفراد هذا الجيل قلة لا تستطيع أن تواكب الأعمال الفنية الكثيرة التى ينتجها الكتاب المنشئون ٠

أما النقاد الذين مارسوا النقد فى الخمسينات والذين تجاوزوا اليوم الكهولة ٠ والذين كنا نأمل عندهم أن يتصدروا حركة النقد الأدبى فى مصر والعالم العربى فقد انشغلوا بغير النقد ٠ وانصرفوا عن تقديم الأعمال الأدبية للناشئة وعن تعمق الأعمال الفنية لكبار الكتاب ٠

وانى أكتب هذه الكلمات فى ذكرى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين الذى ظل الى آخر يوم من أيام حياته يشجع ناشئة الأدب ويقدم أعمال الكبار من الكتاب ٠

والدكتور طه حسين زعيم جيل العمالقة ٠ وقد كان رحمه الله أديبا شاملا لانه أدرك ان الدور الذى ينبغى لجيله هو أن يفتح النوافذ جميعا بين الأدب العربى والآداب العالمية جميعا فقد كان أستاذا فى الجامعة وكل أجيال الأستاذ فى الأدب العربى اليوم هم تلامذة تلامذته ٠ وهو أول من وضع النقد العربى على الأسس العالمية ٠ بعد أن كان النقد فى كتب التراث لا يزيد عن أحكام جامعة أو استقصاء للألفاظ ٠ أو وضع قواعد نقدية للشعر وحده ٠ وما كان هذا قصورا عند هؤلاء النقاد القدامى فقد كان الشعر هو الأدب العربى كله أو يكاد ٠ولم تكن الألوان الجديدة من الأدب قد ظهرت بعد فى أدبنا ٠

فحين ظهر مسرح توفيق الحكيم بادر طه حسين يشيد بهذه الظاهرة الجديدة فى الأدب العربى ٠ وحين ظهرت زينب لأستاذنا العظيم الدكتور محمد حسين هيكل باشا لم يكتف الدكتور طه حسين بالنقد وانما كتب فى الرواية حتى لنكاد نقول انه لم يترك لونا من ألوان الرواية دون أن يكتب فيه ٠ فهو يكتب صراع الانسان مع عقبات الحياة فى الأيام التى لا أحب أن أعتبرها سيرة ذاتية وان كانت تروى تاريخ حياته الا اننى أعتقد أن السيرة الذاتية لا تتحقق الا اذا أسفر الكاتب سفورا تاما عن أسمه وعن شخصيته الحقيقية ٠ أما اذا روى عن شخص آخر حتى وان لم يتخذ له اسما قائلا عنه الفتى مثلما فعل الدكتور العميد ، وان هو اصطنع لأشخاص الرواية أسماء غير أسمائهم فان العمل حينئذ يصبح عملا روائيا لا يحاسب عليه الكاتب محاسبة تاريخية وانما ينظر اليه على أنه ابداع فنى ٠

وكتب طه حسين الرواية الرمزية فى شهرزاد ٠ وكتب رواية الأسرة فى شجرة البؤس ٠ وكتب رواية الصراع مع التقاليد فى دعاء الكروان ٠ وكتب صراع الانسان بين آماله وقدراته فى رواية أديب وأنشأ الأعمال

الفنية القصصية والروائية التاريخية فى على هامش السيرة • وفى المعذبون فى الأرض • ولا سبيل الى لاحصاء الكامل • ثم ننظر الى الدكتور العميد فنجده قد ألف فى التاريخ أعمالا أصبحت برائع أسلوبه • وبتدفقه كالنمير حينا وكالبحر أحيانـا أعمالا أدبية من سوامق الأدب العربى مثـل مرآة الاسلام والشيخان والفتنة الكبرى •

ولا يقف الرائد العميد عند هذا بل يقدم الأعمال الفنية الكبرى فى الأدب الفرنسى من مسرح وقصة •

فليس عجيبا اذن أن يعرف العالم العربى هذا الجيل على انه جيـل الأدب الشامل الذى يعمل قلمه فى شتى مناحى الأدب وفروعه وكان طبيعيا أن يكون الجيل التـالى له هو جيل التخصص • فيتخصص أدباء فى فن الرواية والقصة وآخرون فى فن المسرح وآخرون فى الأدب النقدى •

وقد ظهرت أجيال الروائيين تتابعت أعمالهم وملأت الساحة الأدبية فى العالم العربى أجمع •

وظهر جيـل المسرحيين وان كان مقصرا بعض الشىء وظهر النقـاد الا أنهم قليلا ما ثبتوا فى مواقعهم ثم مالوا الى الأدب الانشائى أو البحث عن المال أو الصمت الكامل فأصبحوا وهم لا ينتمون الى الأدباء المنشئين ولا هم الى النقاد ينتسبون • واكتفوا بأن يطلقوا حكما عاما طالما لا عدل فيه ولا حق • ان الحركة الأدبية قد خمدت ليرفعوا أنفسهم من تأثر الأعمال الأدبية والكتاب الجدد وتقديمها وتقديمهم بينما الحقيقـة التى شك فيها ان الحركة الأدبية ثرية غاية الثراء بما يكتب كبار الكتاب غنية كل الغناء بالأجيال الجديدة التى أصبحت اليوم مئـات من القصاصـين والروائيين والمسرحيين والشعراء •

وبعد فليس عجيبا أن تثير ذكرى الدكتور العميد كل هذه الخواطر فهو من يصدق عليه قول أمير الشعراء :

لـم يمت من لـه أثـر	وحيـاة من السـير
ادعـه غائبـا وان	بعـدت غايـة السـفر
أيب الفضـل كلمـا	أبت الشـمس والقمـر
انمـا الميـت من مشى	ميـت الخـير والخـير
من اذا عـاش لـم يفـد	واذا مـاته لـم يضر

رحم الله العميد والأمير جميعا •

الأهـرام ١٩٨٣/١٠/٣٠ ••

قوة الحاكم فى عدله

أشد الناس ضعفا هو الطاغية فهو كلما أعمل السيف والجبروت أسفر عن جبنه الراعد المذعور فهو يقتـل الأرواح ويعتدى على الكيـان البشرى وعلى جماعات الناس لأنه يخشاهم خشية أخذة تأخذ عليه تفكيره وتسد عليه منافذ الهواء الطلق ويتوهـم أنه اذا هو لم يقتل هؤلاء فهم قاتلوه · وكلما قتل ازداد تعطشا للدماء وعدوانـا على كرامة الانسـان وأفتئاتا على حق الحياة والكرامة · والانسانية والنبالة ·

والرئيس أقوى ما يكون الرئيس هو من يرفض أن يغضب وهو من يسمح لكل الناس أن تقول ما تشتهى فلا يمسها منه عدوان أو قمع أو منع أو مصادرة ·

ان الرئيس القوى هو الذى يستطيع أن يكون قويـا على مشـاعره فلا تتغلب عليه هذه المشاعر فهو انسان وهو لاشك يغضب حين تهاجمه الألسنة · ولكن قوته الحقيقية تتضـح فى أن يبقى غضـبه فى ضلوعه ولا يتمثل منه هذا الغضب فى اصـدار أوامر حـادة أو اتخاذ اجـراءات عنيـفة ·

وقد شهدنـا فترة تجرأ فيها صحفى فكتب نقدا لتسريـح مذيعة بالتليفزيون المصرى فاذا بالسلطان فى ذلك الحين يطيح بالصحفى ويكسر قلمه ويجعل منه أمثولة تتوعد كل من يحاول يوما أن ينقد أى شىء ·

واليوم نرى الأبطال الورقيين يهاجمون فى حدة وفى عنف وفى ظلم وفى طغيان كل شىء وكل انسان ويجرؤون مع هذا أن يصيحوا أين هى الحرية ولا يجدون من يقول لهـم الحرية هى هذا الذى تكتبون ولكنـكم تتاجرون بأوطانكم وتبيعون سمعتها الى الدول التى تدفع لكم وتقبضون الثمن أحيانا برسم أنفسكم أبطالا أمام مواطنيكم لأننا شعب تعود أن يعتبر المهاجم بطلا والمؤيد منافقا وكأن الشعب لم يدرك بعد أن الحال اليوم قد انقلب تماما فالمؤيدون اليوم هم المهددون بالقتل والمعارضون اليوم هم الناعمون بالأموال تنكب عليهم من دول وجماعات وصحف ومجلات ·

والهجوم يتمثل في ألفاظ وجمل ذات رنين وصراخ ولكنها لاتثبت لنقاش ولا تقف مع منطق • ولو أنهم كتبوا نقدهم بشيء ولو قليل من الرأى والفكر حتى يكون الأمر موضوع نقاش وجدل شأن المحترمين من البشر لكان هذا بهم أمثل وأخلق •

وكان في هذا لو يعقلون اكرام لأقلامهم وارتفاع بها عن رخص البضاعة وعن حقارة الظلم وعن اسفاف الطغاة •

وان أحدا لم يسلب الرئيس الحالى شيئا من المكنات التى كان يطغى بها الطاغية • ولكنه لأنه قوي ولأنه مطمئن الى صلته بالله سبحانه• ولأنه واثق أنه لم يظلم أحدا ولم يعتد على حق أو كرامة انسان ليس يعنيه أن يهاجم المهاجمون الذين يحاولون أن يتقافزوا على أكتافه فهى أكتاف صلبة لرجل قوى هيهات أن يضعف أمام هذا الهراء الذى عرف به تجار القلم أدعياء البطولة فانهم هم الضعاف لأنهم هم الذين لم يستطيعوا أن يثبتوا أمام اغراء المال • ولم يستطع بعض منهم آخرون أن يثبتوا أمام اغراء ادعاء البطولة الفارغة •

وكم هو ميسور سهل أن آتى بكتاباتهم وسيوف الطاغية مشهورة مرفوعة واقدمها للقراء ليروا أبطال اليوم وهو يعفرون حر رؤوسهم فى تراب الحاكم وعلى عتبات سجونه ولكنى أربأ بنفسى أن أصدم الشعب فيمن يعتبرهم كتابه • وكم أتمنى أن يعفوا هم وينزلوا أنفسهم فى المكان الذى أحال انزالهم فيه بمقولة أنهم كتاب الشعب بينما هم فى الواقع يتاجرون بثقة الشعب فيهم وقد فاتهم انهم بهذا الذى يصنعون يتاجرون بأمتهم جميعا ويبيعون سمعتها رخيصة كل الرخص مهما تكن المبالغ التى يحصلون عليها الى المتقولين عليها والى الحاسدين لها والى الحاقدين الذين يسعدهم أن يروا مصر وهى فقيرة • وهى تعانى أزماتها جميعا هى الزعيمة وهى الامام وهى مصدر الاشعاع الثقافى والعلمى والفكرى والأدبى والفنى لكل ناطق بالعربية فى جميع أنحاء العالم وستظل كذلك مهما يتاجرون فى سمعتها عباد المال من بعض أبنائها • ومهما ترغم من الأنوف أنوف •

مايو ١٩٨٣/١٠/٣١ ••

وان خالها تخفى ..

وقف القلم طويلا قبل أن أبدأ هذا المقال ، فأنا أبحث عن تعريف يحدد الزمان الذى أريد أن أروى منه هذه القصة اليك . فهو فى زمان كان فيه الآدميون سلعة تباع وتشترى . وكانت السلعة تسمى العبيد فماذا ترانى أقول : لأميز هذا الزمان عن غيره . هل يصلح لى أن أقول زمن العبيد والسادة هيهات فان هذا التعريف يجعل الزمان يختلط بكل الأزمنة ويقع القارىء فى متاهة من التاريخ ولا يستطيع أن يتعرف على الزمان الذى أقصد اليه .

فكل الأزمنة كان فيها عبيد أو كان فيها عبودية . وان كان العبيد فى الزمان الماضى يباعون ويشترون بالمال الصريح . فكم شهدنا من عهود كان الانسان فيها يباع بالوظيفة أو بالجنس أو بالمال وان كان الزمان الماضى يقر البيع بين المتعاقدين بايجاب من البائع وقبول من المشترى . فلكم شهدنا البائع هو البضاعة ذاتها فباع الناس أنفسهم للسلطان أو للشيطان أو للمرأة أو للرغبة أو لهوان نفس أو لضعة قصد أو لسقوط مروءة . وكان بائعو أنفسهم لا يزالون يجدون المشترى حاضرا من قريب .

وما أحسبك تلح على أن أقدم اليك الأمثلة فالأمثلة تطالعك كل يوم فى كتاب يبيعون أنفسهم وأوطانهم الى من يشترى فى سوق النخاسة الذى اتسع واستفحل أمره وأصبح المشترون فيها دولا يمثلها رؤساء مخاريق وجدوا من يقول لهم ان من يبيع نفسه يبيع وطنه فألقوا بأموال شعوبهم فى السوق واشتروا الأقلام . وأصبحت سوق العبيد حقيقة قائمة لا يحكمها قانون الا الخيانة ولا تضبطها قاعدة الا الوضاعة من بائع نفسه والمشترى جميعا .

وكان العبيد فى ظلمة الحياة يباعون ويشترون بقوانين معلنة وضوابط واضحة . فهل تحضر الزمان أم تأخر . وهل ارتفعت قيمة الانسان أم تدهورت .

وبعد فما زلت حائرا أبدأ رواية قصتى اليك . فلأقل اذن فى ذلك الزمان الذى كانت فيه تجارة العبيد معلنه غير مستترة مشهورة غير مخبوءة كان هناك عبد يتوق الى الحريه . وكان يعرف ان سيده رجل

صالح يقيم الصلاة ويأتى الزكاة • وكان هذا السيد معجبا بخطيب يخطب الجمعة فكان حريصا كل الحرص على أن يصلى كل أسبوع فى المسجد الذى يخطب فيه هذا الخطيب • فقصد العبد الى الخطيب يرجوه أن يجعل خطبة الجمعة عن وجوب اعتاق العبيد وأن يذكر الناس بقوله تعالى فى سورة البلد « فلا اقتحم العقبة • وما أدراك ما العقبة • فك رقبة » ووعد الخطيب أنه يستجيب لرجاء العبد المشوق الى الحرية •

وانتظر العبد ومرت الأسابيع والخطيب فى كل جمعة ولكنه لا يفى بوعده ويعجب العبد • فهو يعرف هذا الرجل • ويعلم عنه أنه لا يعد الا أنجز فما باله فى هذه المرة يخلف وعده وينكص عنه •

وفى احدى الجمع خطب الخطيب فاذا خطبته كلها عن كرامة الانسان وعن كراهية الله للاستعباد وراح يقرأ بين المصلين كل ما جاء فى القرآن الكريم من حث للمؤمنين أن يعتقوا عبيدهم وان يتقربوا الى الذات العلية بفك الرقاب •

وفى نفس اليوم أطلق السيد العبد وفك عنه أسر العبودية • وقصد العبد الى الشيخ •

— شكر الله لك أيها الرجل الصالح •

— انما أديت واجبى يا بنى •

— وأوفيت بعهدك أيضا •

— ان العهد كان مسئولا يا بنى •

— ولكنك يا مولاى تراخيت فى انجاز وعدك وما عهدتك كذلك••

— يعلم الله وحده سبب هذا التراخى •

— ألا يجوز أن أعلمه أنا أيضا ؟

— لا بأس يا بنى • انك حين طلبت الى ذلك لم أكن أملك شيئا من المال فانتظرت حتى جمعت من المال ما يكفى لشراء عبد فاشتريته ثم أطلقته وحين فعلت وجدت من حقى أن أعظ الناس بفك رقاب الناس • لأن الواعظ لا يسمع قوله اذا لم يعظ المثل من نفسه • ولو كنت قد ألقيت خطبتى هذه دون أن أصنع ما صنعت ما استجاب لى سيدك السابق ولا استجاب لى غيره • فالكلمة تحمل قيمتها اذا صدرت عن شخص يعمل بها قبل الآخرين • ويجعل من نفسه المثل الذى به يتأسى السامعون وحينئذ •• وحينئذ فقط تقع الكلمة فى موقعها • وتبلغ من السامع حيث يريد لها أن تبلغ •

وكانت الحجة قاطعة وكرر الحر الشكر وانصرف عن الخطيب هانئا سعيدا ٠

وأنا اليوم أذكر هذه القصة وقد طالعتها منذ قريب فى أحد الكتب لأنعم النظر فى مضطرب الحياة ٠ فأجد الداعين الى الشرف هم أكثر الناس فجورا ٠ والمتشدقين بالأمانة هم أعظم الناس خيانة ، والمتربعين على دست النصيحة هم أكثر الناس حاجة للنصيحة ٠ فلا عجب اذن أن يذهب كلامهم هباء من الهباء ٠ وكيف يسوغ عند الناس أنه يروا المتحدث عن التقشف هو أكثر الناس ثراء ٠٠ جمع أمواله من الدول التى استأجرته ليهاجم مصر وحكام مصر حتى اذا نال من المال ما يكفى أحفاد أحفاد أحفاده قدم الى مصر يصيح فى النـــاس ان اكتفوا بالقليـــل واقفلوا الانفتاح وعودوا الى الانغـــلاق ٠

وكيف يسوغ عند الناس أن يروا المسئول يخطب فى كل يوم عن الأمانة والشرف والاستقامة وهم يعلمون عنه أنه لص خائن للأمانة مضيع للشرف لا اســتقامة له الا اذا قصد الى السرقة والاغتصاب والنهب فانه حينئذ يعرف الطريق اليها حق المعرفة ٠

وكيف يسوغ عند الناس أن يتكلم قوم عن حق الله وهم ملحدون لا يعترفون بالله ولا بالأديان ولا بالروح فالعالم كله مادة والمادة هى أصل الكون ٠

وكيف يسوغ عند النـــاس أنه يرعى قوم الجرأة والبطولة اليوم والحرية متاحة والدار أمان والحكم شعاره القانون وقد رأيناهم يعفرون رؤوسهم على أعتاب الطغيان ويمتدحون بالظلم ويشيدون بالجبروت ثم هم اليوم يهاجمون الحرية وينتهزون منها فرصـــة ليظهروا أنفســهم فى صورة الأبطال ويبيعون هجومهم الى الجرائد التى تطبع خارج مصر والتى تريد أن يزداد توزيعها بالهجوم على كبرى الدول العربية وما زيادة التوزيع لشراء من الجمهور وانما لشراء من الدول ٠

ان جميع هؤلاء وأمثالهم يحسبون انهم قادرون أن يخفوا حقائقهم على الشعب وليس يعنيهم قول زهير بن أبى سلمى :

ومهما تــكن عنـــد امرئ من خليـــقة
وان خـــالها تخفى على النـــاس تعلم

الأهـــرام ٦/١١/١٩٨٣ ٠٠

الصدق احترام للشعب وللحكم

حين كانت تنتهى الانتخابات أو الاستفتاءات ويصدر بيان وزارة الداخلية أن الحضور كان بنسبة ٩٨٪ وأن عدد المؤيدين هو ٩ر٩٩٪ كان الشعب يتظاهر بأنه صدق النسبة ويسكت ولا يعلق أحد الا بالتهليل والتكبير والاعجاب والمظاهرات والحفلات · ويسمع العالم المتحضر هذه الارقام ويسخر ما شاءت السخرية ويهزأ ما حلا له الهزء ولكن لم تكن مصر فى عهد الطغيان تعنى بسخرية المتحضرين وما كانت تحفل بالهزء منهم ·

وفى انتخابات مجلس الشورى الأخيرة أعلنت وزارة الداخلية أن عدد الحضور كان ٥١٪ وكنت أنتظر أن تطلع علينا صحف المعارضة مباركة هذا الصدق من الدولة · ولكن يبدو أن المعارضة قد أدمنت الكذب حتى لم تعد تطيق أن ترى الصدق ·

ولو أننا استقرأنا نسبة الحضور فى الانتخابات العامة فى دول العالم المتحضر لوجدناها جميعا أقل من هذه النسبة التى طلعت بها بيانات وزارة الداخلية ·

وقد كان الأحرى بالكتاب أن يباركوا هذه النغمة الجديدة فى بيانات رجال الدولة بعد أن طال غيابها عن سمع مصر · ولكن على قلوب أقفالها · وقد غمر حب الكذب نفوس أبطال النفاق فأصبحوا لا يدرون كيف يعجبون بالصدق ·

وقد امتنعت الأحزاب المعارضة عن هذه الانتخابات وان هذه النسبة التى توجهت الى صناديق الانتخاب تعتبر نسبة كبيرة اذا نحن أخذنا فى الاعتبار أن الشعب أدرك أنه ليس هناك معركة ما ينبغى عليه أن يدلى فيها بصوته · وأن هؤلاء الذين أعطوا أصواتهم انما أرادوا فقط أن يعلنوا أنهم يؤيدون الحكم حتى وهو فى غير معركة مع معارضيه واذا كان رجال الفقه الدستورى يقولون ان عدم اعطاء الرأى هو فى ذاته رأى فان هذا لا ينطبق على ما وقع فى الانتخابات الأخيرة ·

فالامتناع هنا لم يكن رأيا ولا كان حجب ثقة انما كان عن شعور من أغلب الذين امتنعوا أن الحكم فى غير حاجة الى صوتهم ما دام المنافسون قد أضربوا عن دخول الانتخابات ٠

والشعب المصرى يعلم أن الأحزاب حين امتنعت عن دخول الانتخاب لم يكن ذلك منها احتجاجا على طريقة الانتخاب بقدر ما كان ثقة من هذه الأحزاب أنها بعون « واحد أحد » لن تحصل على شىء ٠

وأنا مع هذا لا أقبل فكرة الانتخاب بالأغلبية المطلقة فى نظام القائمة فهو ظاهرة غير مسبوقة ٠ ولكن الاختيار هنا لمجلس شورى لم يتمتع بعد بما تتمتع به المجالس التشريعية من حقوق تفرض بها رأيها على السلطة التنفيذية ٠ انما يريد أولو الشأن أن يختاروا قوما يستشيرونهم فى شئون الدولة دون أن تكون مشورتهم ملزمة فلا بأس على الرئيس اذن أن يختار مستشاريه واذا هو رأى أن يشترك الشعب فى اختيار هؤلاء المستشارين كان ذلك منه أحرى وأولى ٠

ولكننى أعتقد أنه حين تعطى الحقوق التشريعية كاملة لمجلس الشورى فانه لابد حينئذ أن تكون الانتخابات له بالقائمة النسبية شأنه فى ذلك شأن مجلس الشعب ٠

وانى واثق ان هذا الذى أطالب به لا يغيب عن ذهن المشرعين حين ينال مجلس الشورى حقوقه التشريعية كاملة ٠٠

وبعد فالديمقراطية بعد عشرات السنين من الديكتاتورية لابد لها أن تمشى فى خطى وئيدة وثابتة فى وقت معا ٠ والطفرة فيها تؤدى الى كوارث لا قبل لدولة بها ٠ فالارهابيون لا يجدون حصانا خيرا من الديمقراطية ليصل بهم الى هدم أنظمة الدولة جميعا ٠

وليس ذلك لأننا دولة جديدة فى الديمقراطية فقد عرفناها منذ سنوات طويلة ورأيناها وهى تزدهر وتضىء ورأيناها وهى تتعثر وتخبو وشهدنا رئيس الوزراء الذى سقط فى الانتخابات شهدنا أيضا أعضاء الشيوخ الذين يطردون بالجملة ٠ وشهدنا كذلك المحتل وهو يعبث بالديمقراطية بكل وسائل العبث ٠

ولكن الذى لاشك فيه أن الديمقراطية قد غابت عن مصر فترة بلغت ثمانية عشر عاما وما هذه الأعوام بالشىء القليل فحين تعود الديمقراطية فلا عجب أن تحس أنها غريبة بعض الشىء وأنها تحتاج لسنوات لتكتمل ملامحها وتقوى مؤسساتها ٠ أما التهريج بها والدجل باسمها والكسب المالى بشعاراتها فما هو من الوطنية فى شىء ولا من الأمانة ولا هو أيضا ديمقراطية ٠ وانما هو ديكتاتورية قلم واستغلال لثقة الشعب شر استغلال ٠

مايو ٧/١١/١٩٨٣ ٠٠

لو ٠٠ حرف امتناع الوجود

انتمى الى ثورة ١٩ بالمولد فأبى أحد رجالها وما أنا بحاجة الى ذكر دوره فيها ، فقد اغنانى عن ذلك كبير مؤرخى العصر عبد الرحمن الرافعى كما أغنانى الأستاذ عبد الحميد جودة السحار بما أورده فى مذكراته عن هذه الفترة وكذلك فعل كل من كتب عن هذه الثورة الخالدة فى تاريخ مصر ٠

وقد عرفت من أبى تاريخ هذه الثورة منذ بدأت حتى انتهت بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ذلك التصريح الخالد فى تاريخ مصر الذى قال عنه شوقى ٠

اذا التصريح كان براح كفر
فلم جن الرجال به غراما

وكيف يكون فى أيد حلالا
وفى أخرى من الأيدى حراما

وما أدرى غداة سقيتموه
اترياقا سقيتم أم سماما

وهذا الكلام كان موجها يومذاك الى حزب الوفد الذى رفض التصريح ثم انتفع بأثاره بصورة لم تتحقق للحزب الذى أتى بالتصريح والذى اشترك فى وضع الدستور ٠٠ واذا نحن مضينا فى هذا الحديث لما انتهينا وما الى هذه الأحداث نظرت وأنا أكتب مقالى هذا ٠٠ وانما هو استطراد أغرانى به الحديث عن الثورة الخالدة ٠

وكنت عرفت فيما عرفت من أبى أن ثورة سنة ١٩١٩ بدأت فى كلية الحقوق بعد أن كان الشعب المصرى كله متحفزا لها منتظرا لقيامها فى أية لحظة فكانت مصر يوم ذلك شعلة مغبأة تنتظر الشرارة وتتوقعها من أى مصدر حتى انقدحت الشرارة من كلية الحقوق ٠٠

وعرفت بعد ذلك الرئيس السابق المرحوم خالد الذكر ابراهيم عبد الهادى باشا وكنت دائم الزيارة له لفترة تقارب العشرين عاما ٠

وعرفت منه أن طلبة الحقوق نظموا مظاهرة تجمعت فى فناء الكلية تهتف هتافات معادية للاحتلال الذى نفى سعد زغلول ومحمد محمود واسماعيل صدقى وحمد الباسل ووقف ناظر الحقوق الانجليزى يخطب فى الطلبة ويأمرهم بأن يعودوا للدراسة التى جاءوا ليتلقوها رافضا منهم أن يعملوا بالسياسة ٠

وصعد ابراهيم عبد الهادى من بين الطلبة ووقف الى جانب الناظر وقال له : اننا جئنا هنا لنتعلم الحقوق ولا سبيل لنا أن نتعلم الحقوق من قوم نفوا آباءنا عن أرض الوطن ٠ وليس من المعقول أن نعرف الحقوق من قوم اغتصبوا حقوق بلادنا ثم هتف « تحيا الثورة » وبدأت ثورة ١٩١٩ ٠

وقرأت مثل هذا أيضا دون ذكر أسماء فى كتاب الرافعى وقرأته أيضا بلا أسماء فى الروايات التى أرخت للثورة مثل رواية أستاذنا نجيب محفوظ (بين القصرين) وكتبته أنا فى روايتى « الضباب » ثم كتبته بصورة أخرى فى روايتى طائر فى العنق وأيضا لم أذكر أسماء لأن الرواية تنقل آثار الأحداث وليس من شأنها أن تؤرخ للأحداث ٠٠ ولكنها مع ذلك اذا تعرضت للتاريخ تحتم عليها الا تشوه معالمه والا تطمس سماته الكبرى ٠٠

وكم أنا سعيد أن ينشر هذا الذى أكتبه فى نفس اليوم الذى اختاره الخالدون الثلاثة سعد — وعبد العزيز فهمى — وعلى شعراوى ليذهبوا الى المندوب البريطانى ويطالبوا بانهاء الاحتلال والجلاء عن بلادهم بادئين بذلك أعظم ثورة شعبية عرفها التاريخ الحديث ٠

وكم أنا آسف حزين أن أذكر السبب الذى جعلنى أكتب هذا الذى أكتب فقد شاء قدرى أن أشاهد فى التليفزيون المصرى رواية عن سلطانة الطرب (منيرة المهدية) فشهدت عجبا ٠٠٠ !!

رأيت تاريخ مصر تصنعه المغنيات والراقصات ٠٠ ورأيت السينما المصرية تسجل كفاح مصر بزعامة أولئك المغنيات والراقصات ٠٠ فقد شهدنا الملظ وكأنها مصطفى كامل وعبده الحامولى وكأنه محمد فريد ٠٠ وشفيقة القبطية وكأنها سينوت حنا وها نحن أولاء نشاهد منيرة المهدية وكأنها سعد زغلول وزوج ابنتها ابراهيم عبد العال وكأنه ابراهيم عبد الهادى ٠

وتلك كارثة ولكن انتظر فان الداهية الكبرى لم أذكرها بعد لقد فوجئت ان كل الذى عرفته من أبى ومن ابراهيم عبد الهادى ومن عبد الرحمن الرافعى ومن السحار ومن نجيب محفوظ ومن كل الذين كتبوا عن ثورة ١٩١٩ وكل الذين عرفتهم من رجالات هذه الثورة مثل النقراشى باشا وأحمد ماهر باشا لم يكن تاريخا وانما كان تأليفا ٠

فالثورة لم تنقدح شرارتها من كلية الحقوق كما روى أعلامها ، وكما ذكر التاريخ وكما قالت الحقب ٠٠

وانما الحقيقة كما جاءت فى الفيلم ان الثورة بدأت من كباريه منيرة المهدية بين كاسات الخمر وضرب الدفوف وعزف الأوتار ، وهز الوسط ودق الصاجات ٠٠

وحسب تاريخ مصر الله انه سبحانه وتعالى نعم الوكيل ٠٠

ولكن يبقى شىء فى هذا الفيلم التاريخى الجليل فهو مثل كل المصائب ليس يخلو من ظاهرة تستحق التسجيل ٠٠ فقد صور الفيلم عودة منيرة المهدية الى الغناء فى أخريات حياتها بعد أن يبس صوتها وجف ماؤها وتقلصت عن نغماتها الطلاوة وانحسر انطلاقها الى خفوت ووهن ٠٠

والجمهور وحش كاسر حين يتصدى للحكم على فن من الفنون فهو لا يذكر للفنان الذى يعرض عليه فنه ماضيه ولا سابقته فى الميدان وليس يرعى له تقدم سن وليس ينظر الى السنوات الثقال التى يحملها المشتغل فى الميدان العام مهما يكن نوع هذا الميدان فنا كان أو سياسة أو ثقافة ٠

وانما هو يعنى فقط بما يعرض عليه ٠٠

وقد وقعت منيرة المهدية فى خطأ فادح حين حاولت أن ترغم الأيام على الشباب فى حين الأيام عجوز مثقلة بالشيخوخة ٠

ولكن العجيب أن منيرة المهدية لم تكن أول من حاولت هذه المحاولة مع الأيام وهكذا لم يكن عجبا أن تكون الأخيرة فمازلنا نشهد من يحاول أن يضفى الشباب على الشيخوخة ٠

ويعيد التاريخ نفسه ٠٠ ويرغم الواقع الواهمين أن يفيقوا الى الحقيقة ويفيئوا الى الرشد ٠٠ ولكنهم مساكين فانهم لا يفيقون ولا يفيئون الا بعد أن يكونوا قد أهدروا كرامة الكبر فيهم وسحقوا جلال السنين ٠

وتلك سنة الحياة في أبنائها فكل انسان يظن أن ما يقع للآخرين لا يمكن أن يقع له ، وكل انسان يظن أنه استثناء من البشر لا يجرى عليه ما يجرى على سائر أبناء البشر .

ولو ان البشر اتخذ من تاريخ البشر عبرة لحفظ الكبير كرامته ولامتنع القاتل عن القتل وارتدع السارق عن السرقة ..

و (لو) حرف امتناع لوجود .. فكيف تكون دنيا اذن اذا هي لم تمتلىء بالمضيعين لكرامتهم الممتهنين لحياة الانســان المعتدين على حقوق الآخرين ؟!!

الأهــــرام ١٣/١١/١٩٨٣ ..

العرب والثقافة الشيوعيــة

من الطبيعى السائغ أن يصدر حزب شيوعى جريدة شيوعية فليس عليه فى ذلك حرج ولا مأخذ • انما المأخذ يكون فى اختلاق الأكاذيب وفى الاعتماد المالى على غير قرائه والدولة التى يصدر فيها • ويكون المأخذ حين يشجب عملا تقوم به دولة غير شيوعية ويبارك نفس العمل اذا قامت به روسيا • انما هذه مآخذ يعرفها أصحاب الضمير وهم – للأسف – بلا ضمير • ومن لا ضمير له لا تجوز معه محاسبة وان وجبت معه مقاطعة • لأن الكاتب ضمير • والشعب قادر دائما بقوة من روح الله أن يكشف من يختانون ثقته ويزيفون عليه الحقائق • وأخشى أن أمضى فى هذا المضمار الى غاية أخرى لست اتغياها من كلمتى هذه • وحديث الافاعى طويل المدى كما قال أمير الشعراء شوقى •

وانما العجب كل العجب أن تصدر عن حكومة مصر وهى الدولة الاسلامية مجلات شيوعية لحما ودما • ولست أقصد المجلات القومية ومنها الشيوعى أيضا وانما أقصد المجلات التى تصدر عن وزارة الثقافة المصرية •

كيف تكون هذه المجــلات شيوعية وهى واجهــة مصر الرسمية • هل أصبحت ثقافة مصر شيوعية دون أن يعرف مثقفو مصر •

تلك كارثة •

وأخــــرى •

أرى جرائد ومجلات عربية تصدر عن بلاد اسلامية ، الدين فيها هو الحياة جميعا ومع ذلك تتجه هذه المجلات والجرائد وجهة شيوعية عنيفة ولكن بطريقة مستترة مرن الشيوعيون على أخضاعها • فهم يشيدون بالكتاب الشيوعيين ويستكتبونهم • ولا يذكرون فى جرائدهم أو مجلاتهم جملة واحدة تدين الالحاد الشيوعى أو التصرفات الشيوعية غير الانسانية مع الدول أو الآدميين على السواء • ما هذا الذى يحدث فى الصحافة العربية الاسلامية • أيكون القائمون على أمرها ضمنوا أن يقرأ المسلمون والمؤمنون صحافتهم فهم يبحثون عن قراء آخرين من مذاهب الالحاد والكفر الشيوعى • وما حاجتهم الى هؤلاء القراء والمال عند هذه الصحافة موفور

بحمد الله • والقراء الملحدون قلة لا يقـــام لهم وزن ولا يحسب لهم حســـاب •

وأخـــرى •

شهدت فى بعض البلاد العربية الاسلامية التى زرتها مثقفين بالغى الثراء ومع ذلك رأيتهم يتبنون المذهب الالحادى • واحسب أنهم يقولون فى أنفسهم أنهم ماداموا قد ضمنوا الثراء والسعة والرفاهية فعليهم أن يبحثوا عن الشهرة • وأحسب أنهم ظنوا أن الشهرة تجىء من الشيوعيين لأنهم أصحاب طبل وزمر وأصوات مرتفعة وصخب وضجيج وصراخ •

وأحسب أيضا أنهم فكروا أن الشهرة تكون اذا وقع الفعل من شخص ليس من المتوقع أن يحدثه • فاذا شوهد صاحب دين فى مشرب خمر أصاب شهرة واذا شوهد صاحب فسق فى جامع أصاب شهرة • ومن المقطوع به أن الشيوعية غير متوقعة من مسلم أو مؤمن • وهى أيضا غير منتظرة من ثرى واسع الثراء •

لكن فاتهم أن شهرة هذا شأنها قصيرة الأمد سريعة الزوال ما تومض حتى تخبو ، ولا تبدو حتى تمحى • ويطويها الزمان فى أغلفة النسيان •

فالشهرة فى الفن والثقافة لا تكون الا بما ينتجه الفنان والمثقف • ولو أن روسيا وجيوشها وأقمارها الصناعية ودباباتها فى أفغانستان وفى غير أفغانستان وحول الكرملين حاولت أن تقيم كاتبا من جاهل أو مثقفا من غبى أو فنانا من غير موهبة لما استطاعت •

فقد تخضع الشعوب للقهر فى كل شىء الا فى أحكامها على أصحاب الأقلام أو أصحاب المواهب • فذلك حق خالص للشعوب لا يتنازعها فيه منازع ولا يرغمها عليها حاكم مهما تكن أسلحته وبالغا ما بلغ جبروته •

وكذلك لا تستطيع الأقمار والأساطيل والدبابات أن تحرم أديبا من اعجاب الشعوب • والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى • وبحسبنا نظرة واحدة الى الاتحاد السوفيتى وما حاوله مع كتابه وكيف باءت الدولة بالهزيمة والفشل وفاز الكتاب بالنصر والبقاء سنة الله فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ؟

مايو ١٩٨٣/١١/١٤ ••

لا يصلح العلم فوضى

قرأت فى مجلة أكتوبر مقالة لأخى الكاتب الكبير انيس منصور أجد من الأمانة أن أشيد بها وأن أضم صوتى الى صوته فيما ينادى به. وحسبنا نحن الكتاب ان نصرخ فما لنا فى الحياة الا هذا القلم نصرخ به ونستصرخ المسئولين الى ما نراه حقا . فقد تصدى انيس منصور الى مشكلة التعليم وما يواجهه أبناء مصر من كارثة بسببه .

فالدولة تقدم العلم مجانا لكل أبنائها . وهذا فى ذاته واجب عليها ينبغى ان تتصدى له . ولكننا ما عرفنا واجبا لا يلازمه حق الا فى مصر . وقديما قال علماء القانون والمجتمع ان الحق والواجب كوجهى العملة فاذا تصورنا انتزاع وجه من وجهى العملة أمكننا تصور وجود واجب لا يلازمه حق .

فالدولة حين تتيح للتلميذ ان يتعلم على نفقتها أصبح حتما على التلميذ ان ينجح لأنه حين يرسب انما ينتهب حق النجباء من التلاميذ الذين لا يرسبون ولهذا يتعين على الدولة ان يكون التعليم فى مدارسها مجانيا مادام التلميذ ينجح اما اذا رسب فعليه ان يدفع مصاريف تعليمه كاملة .

فاذا تكرر رسوبه تحتم ان تحوله الدولة من التعليم العام الى التعليم المهنى .

كذلك ينبغى ان تنظر الدولة فى شأن التلاميذ الضعاف فى الشهادات العامة وتحول الذين لا يحصلون على مجموع معين فى الشهادة الاعدادية الى التعليم المهنى . فقد أصبحنا فى حاجة شديدة الى متخرجين فى هذا النوع من التعليم . والدولة بهذا لا تصادر مستقبل التلاميذ وانما هى تجعل التلميذ يسير فى الطريق الأمثل له ونبعد به عن طريق أغلب الأمر انه يحقق فيه نجاحا . ومن العجب اننا نسمع بعض الناس يقولون ان التفوق فى التعليم لا يدل على النجابة . وقد يخذل المستقبل تلميذا كان فى طليعة اخوانه فى فصول الدراسة . وقد تنفتح الآفاق أمام تلاميذ لم يكونوا من المتقدمين فى دراستهم .

ويقول أمير الشعراء شوقى :

وكـــم منجب فى تلقى الـــدروس
تلـــقى الحيـــاة فـــلم ينجب

ويقول آخـرون ان العقـاد وهو العقـاد لم يحصـل الا على الشهادة الابتدائية وأن تشرشل لم يكن نابغا فى الدراسة وكذلك شأن كثيرين من العلماء وكبار الساسة ٠

ولكن هؤلاء جميعا استثناء من القاعدة العامة ٠ واذا كان غير الناجبين ذوى طموح فعليهم أن يدفعوا مصاريف دراستهم ٠ وعليهم أيضا أن يثقفوا أنفسهم كما ثقف العقاد وتشرشل جميع النابغين الذين لم يكونوا نجباء فى دراستهم أنفسهم ٠

ويقول انيس فى مقالته ان تعيين الدولة لجميع الخريجين يجعل الشاب لين العريكة خائرا فى مواجهة الحياة يرضى منها بالأدنى ولا يتطلع الى الأسمى ويكتفى بالبخيس من العيش ولا يتطلع الى الأرفع ٠

والحق ان تعيين جميع الخريجين أمر يرهق الدولة ارهاقا لا تطيقه أية دولة فى العالم ٠ وليس الارهاق متأتيا من مرتبات الخريجين وانما هو يتمثل أسوأ ما يتمثل فى تراكم الاعداد الضخمة على أعمال الدولة ٠ فالعمل الذى ينبغى ان يقوم به موظف واحد نجد الدولة ترصد له مائة موظف وتصبح المسئولية شائعة بينهم ٠ وحين تشيع المسئولية تضيع ولا تجد الدولة من تسائله عنها ٠

ولست أدرى أى بأس فى أن تقدم الدولة مرتبا لكل خريج ما دام بغير عمل حتى اذا وجد عملا فى أى مرفق انقطع عنه هذا المرتب ٠ ويكون بذلك شأننا شأن أعظم الدول الديموقراطية واغناها أيضا ٠ تلك التى تعطى مرتبات فى حالة البطالة ٠ ولكن أغنى الدول هذه لا تطيق مواردها تعيين كل المتخرجين فى مرافق الحكومة لأنها تعلم علم يقين انها اذا فعلت ستصاب الدولة بالشلل الكامل الذى نواجهه نحن ٠

واخرى ٠

لماذا لا يدفع القادرون مصاريف أولادهم ٠ وليكن ذلك باختيارهم فالله وحده هو المطلع على أحوال الناس المالية ٠ فقد يبدو المرء ثريا متعففا ورزقه مقدور عليه لا سعة فيه ٠ أو قد يبدو آخر فقيرا معدما وهو مكتنز يجمع المال بشر الوسائل ويحميه عن الانفاق ببذل ماء الوجه ، وسفح الكرامة ، واهدار الاحترام ٠ ولعل من أجمل الأبيات التى سمعتها فى هذا الشأن من الحياة قول شاعر قديم :

وقائلة ما بـال لـونك حائـلا
فقلت لهـا خل الأمور كمـا هيا

اذا قلت عن زهـد تمـدحت خلتى
وان قلت عن فقر شـكوت الهيا

فلا عجب اذن ان يكون الانسان ذا كرامة ويخفى فقرا ، أو ذا وقاحة ويخفى غنى • والله وحده العليم بدخائل الناس وحقائق يسرهم وعسرهم •

فليكن اذن التعليم المجانى اختياريا ولتقدر المدارس مصاريف يدفعها من يشاء ويعفى منها من يرغب فى ذلك •

والناس معادن • وليس كل الناس سفلة يضنون بالمال على دولتهم وينتهبون منها مصاريف تعليم أولادهم وهم عليها قادرون وكم رأينا اناسا يطحنهم الفقر ويؤدون الأمانات الى أهلها • وأعلم أيضا أن هناك أقواما يغصون بالغنى ويشرقون بالمال ويختلسون الأموال من كل مظنة لها •

فالغنى والفقر انما يتمثلان فى نفس الانسان وليس فى جيبه ولا فى حسابات البنوك •

الأهـرام ١٩٨٣/١١/٢٠ ••

ومن الصمت كلام

النص فى أى ناحية من نواحى الحياة هو مساجلة بين فكر وفكر وبين رأى ورأى ولابد أن تتوافر لهذا النقاش عوامل لا غنى عنها • أول هذه العوامل أن يكون كل صاحب رأى انما ينطلق فى رأيه عن باعث شريف وليس شخصيا • فاذا تدخل العامل الشخصى أصبحت الحجة واهنة متهافتة • فالنقاش هو صراع شريف بين رأى ورأى وبين فكر وفكر وبين علم وعلم • ولا يصلح أن يكون بين رأى يصدر عن العقل وبين رأى آخر يصدر عن الجيب أو حساب البنك • فالواديان مختلفان واللغتان متنافرتان ولن ينتج النقاش بينهما رأيا نيرا بأية حال •

فالنقاش الشريف لابد له أن يكون هادفا الى اقتناع أحد المتناقشين برأى الآخر • فاذا كان أحد المتناقشين مقيد الضمير بما يتلقاه من مال مقابل الدفاع عن رأيه • فهو بضميره المباع سيظل يدافع عن هذا الرأى حتى اذا اقتنع بالرأى الآخر • بل لعله مقتنع بالرأى الآخر قبل أن يبدأ النقاش ولكنه عازف عنه لأنه رأى لا يشترى ضمائر الناس •

فالنقاش اذن فى هذه الحالة لغو لا طائل تحته وثرثرة لا فائدة منها وشقشقة لا تؤدى الى مقصد أو هدف •

ومن الحتم أيضا أن يكون المتناقشان متحررين تماما من أية مؤثرات خارجية • فلا يكون لأحد الطرفين سيطرة من أى نوع على الطرف الآخر • ولعل هذا هو السبب الذى من أجله منعت دساتير العالم موظفى الحكومة أن يكونوا أعضاء فى المجالس التشريعية • فالمنطق ليس يقبل أن يناقش موظف باحدى الوزارات وزيره الذى يمسك بيده مقدراته ومستقبله الوظيفى • واذا لم يناقش موظف الوزارة شئون الوزارة التى يعمل بها والتى يعرف من خفاياها ما لا يعرفه أعضاء المجالس النيابية الآخرين فأى شأن يناقش اذن • ومادام لن يناقش فما بقاؤه فى كرسى النيابة وهو منتخب له لكى يناقش مشرعا كان فى مناقشته أمر مراقبا للسلطة التنفيذية •

ويدخل فى هذا الاطار أيضا • أن الموظف فى الأغلب الأعم يستحيل عليه أن يراقب وزيره وهو وزيره • فهو فى الأغلب الأعم أيضا لن يناقشه

الا حين يترك الوزارة ويكون السيف قد سبق العزل · ويومذاك لات حين نقــاش ·

وليس من الحتم أن يكون المتناقشان على مستوى واحد من الهيئـة الاجتماعية · فقد يكون شخص ما عالما وفى غير منصب وقد يكون آخر جاهلا وفى منصب · فالعلم لا يبحث عن المناصب وانما يبحث عن العقول · والمناصب كثيرا ما تخطىء طريقها الى العقول الراجحة أو العلم الوفير ·

انما من الحتم أن يكون المتناقشان على مســتوى واحد من الثقة بالنفس فلا يشعر أحدهما أنه أقل شأنا من الآخر · والثقة بالنفس مصدرها الشخصية المطمئنة الى ما تقدم من حجة · ومصدرها الجرأة التى يركبها الله سبحانه وتعالى فى بعض النفوس ويحرم منها نفوسا أخرى · فاذا تخاذل المتنافس عن جبن أصبح النقاش غير متكافىء · وحين ينعدم التكافؤ ينهار النقاش ويمسى غير ذى موضوع ·

واختلاق الأكاذيب وافتعال البطولات وامتشاق السيوف الورقية كل هذا وأمثاله يجعل من يستعمله ضعيفا هزيلا واضح الأنهيار فى حجته لأن صاحب الحجة القوية يتركها هى تفعل فعلها فى اقامة الدليل على ما يرى · ولا يلجأ لاجىء الى هذه الأفاعيل الا حين يرى نفسه جريحا فى الميدان فهو يفضل أن ينتحر بالكذب والادعاء ويلبس ما لا يناسبه من ثياب · وهكذا نجد أن كثيرا مما يقال يغضى عنه الكرام ويعفون أن يعلقوا عليه · لأنهم يرون أن الكلام غير جدير بالنقاش وأن قائله أهون من أن يكون طرفا فى منـــاظره ·

وفى كثير من الأحيان يكون الصمت أبلغ من الكلام · ومن درس المرافعات يعلم أن هناك نوعا من المرافعة اسمه المرافعة بالصمت · وكثيرا ما يلجأ اليهم الكرام فى مضطرب الحياة لأنها كثيرة ما تكون بالكرام أجدر وأحــرى ·

مايو ٢١/١١/١٩٨٣ ··

لا يغلب ظلم حقا

قال الشـــاعر :

تلو باطلا وجلوا صـــارما وقالوا صدقنا فقلنـــا نعم

وقد شاء الله لمصر ان تميع فيها الأمور ويجلس على عرشها ملك كان فى زمانه شر الملوك جميعا ، طيش احمق ، وخفة جاهل ، وغيبة ضمير ، وسوء مظهر ومخبر ٠

وكانت الثورة يومذاك املا ٠ وتحقق الأمل ٠ واشرقت نفـــوس الشعوب مرتقبة الفجر ، ولكن صدق على مصر بيت الشعر :

على الـــذم بتنـــا مجمعين وحالنـــا
من الرعب حال المجمعين على الحمد

ولم يكن الشعب يستطيع ان يصنع شيئا وسيف الظلم مشهر على الرؤوس فلم يكن للشعب بد من ان يقول نعم واللهو بحياة الشعوب لابد ان ينتهى بكارثة تحل على الجميع ٠ الباطشين ومن بطش بهم فى وقت معا ٠ وكانت كارثة ٦٧ فاذا هى تتسع ويتأجج سعيرها فيشمل العالم العربى اجمع ولا تكتفى بمصر وحدها وانما هى تمعن فى بلواها فتحطم مع كرامتنا تاريخنا وأمجادنا وآمالنا ٠

ولما كانت سنة الكون أن تتأدى كل موجة فيه الى انحسار ٠ فقد أذن الله لمصر ان يتولى أمورها رجل راشد صادق الوطنية عميق الشعور بمصريته ووقف ينظر الخراب وادرك انه بين اثنتين لا ثالث لهما ٠ أما أن تنتصر مصر فى حرب ترد اليها والى العرب الكرامة الضائعة والشرف المزال والمحطم من أمجادها ٠ وأما ان نموت جميعا فى ساحة القتال ٠ وكثيرا ما يكون الموت خيرا من الحياة ٠

وكانت حرب ٧٣ ٠ وما كانت حرب ٧٣ لتصل الى الانتصار الذى حققته اذا لم يكن السادات قد ادرك قبل ان يعد لها ان الشعب يحتاج أن يشعر بانتمائه الى مصر وانه لن يشعر بهذا الانتماء وهذه الطغمة من الذئاب الدموية تنتاش لحمه وكرامته وأمنه وحياته ٠ فكانت ثورة مايو هى التمهيد الطبيعى للحرب ٠

وبعد أن هزمت مصر فى ٦٧ وليس بيننا وبين العدو قناة السويس ولا خط برليف • انتصر الجيش المصرى نفسه وعبر بحور النــار وحطم اسطورة بارليف ورفع العلم المصرى على جبال كنا على يقين ان القدم المصرية لن تطأها •

وشفع السادات هذا الانتصار الحربى الذى أذهل العالم بانتصار سياسى لم يسبق له مثيل فى التاريخ وحقق لمصر السلام الذى لولاه لكان حالنا اليوم مثل الشعب اللبنانى الذى امست حياة أبنائه نهبا للصديق والعدو وللحليف والخصم حتى لا يدرى بين الذين يعيشون فى ساحته من محب ومن كاره • ومن يؤازر ومن يهاجم وحسبه الله ونعم الوكيل • ولما كان العظماء يقدمون دماءهم ثمنا لشجاعتهم فقد شاء الله سبحانه فى علياء سمائه ان تكون نهاية السادات فى يوم مجده وفخاره وان يراق دمه فداء لشجاعته •

وحكم مصر حسنى مبارك وقد ادرك أن الحكم اليوم للحرية الحقة الصادقة وليست الحرية المكذوبة المشوهة • فمصر اليوم عزيزة الجانب مطمئنة الى سلام موثق لا شك فيه • ومصر تحتاج ان تستعيد الثقة المالية التى محاها حكم الطغاه والثقة لا تعود الى دولة اذا لم تكن الحرية هى أساس الحكم فيها وقاعدة الحياة بين ربوعها •

وأتاح حسنى مبارك للحرية فى مصر ان تكون هى الحياة • فأصبح تجار الكلام ادعياء البطولة يستخدمون الحرية فى الاعتداء على أقدار الناس • ولكن تلك هى الحرية • ولم يكن حسنى مبارك يجهل ان الحرية تفتح ساحتها للشرفاء ولغير الشرفاء • وهكذا اتضح الرئيس حسنى مبارك عن زعيم يعتبر قمة فى القوة وشدة البأس •

وكانت قوته متمثلة فى قبوله لكل ما يقال لا يحاول ان يستعمل سلطانه فى قمع قائل أو فى اسكات مبطل كذوب • وانما جعل الأمر للرأى وحده ودون ان يتدخل السلطان فى هذا الرأى فالقوة الحقة انما هى أن يملك الحاكم نفسه لا يفلت من يده زمام الأمر فى غضبه أو سخطه فالحاكم أقوى ما يكون الحاكم هو الواثق بأن ما يفعله هو الحق وما يتغياه هو الخــير •

فاذا انتقد ناقد نظر فيما يقول فان كان حقا انتفع به وان كان باطلا اعرض عنه دون أن يمس المبطل بأذى وحسبه رأى الناس فيما يقول ولما كانت الحرية فى مصر اليوم كاشراق الصباح الذى لا خلاف عليه •

فقد ادرك أولئك الذين امتصوا دماء الشعب وأصبح ثراؤهم بها يطاول أشد عتاة الرأسمالية ان لا سبيل لهم أن يعودوا الى الحكم الا أن

يتنادوا ويصطرخوا ضاعت الحرية فادركها يا شعب مصر • وضاعت الثورة فهبوا يا أبناء مصر •

ولو أنهم ينشدون الحق وحده لكان تناديهم ضاعت حريتنا فى قتلك يا شعب مصر • فأعد رقابك الى أفواهنا •

وضاعت مصادر الثروة من أيدينا فلا نملك اليوم ان نزيدها فأعطنا ثروتك يا شعب مصر •

وهم يدركون ان الذى بقى من الثورة هو خير ما جاءت به من هدم للملكية واعلاء لقيم هم لم يحافظوا عليها وهم من حاولوا أن يطمسوها ولكنها بقيت لأنها أصيلة •

وهم يعلمون ان الحرية التى تعيشها مصر اليوم هى التى سمحت لهم ان يصدر أحدهم بحزب ملحد جريدة أسبوعية ليس فيها الا الهجوم السافر على رئيس الدولة وكل شريف فى مصر وهى التى سمحت لبعض منهم ان يذهب الى البلاد العربية يستجدى من حكامها المال والرضا منتهزا فرصة الخلاف الطارىء بين مصر وبين تلك الدول • وسمحت لبعض أخرين ان يتآمر علنا على الحكم فى مصر •

وهم يعلمون علم يقين أنهم حين كانوا فى طغوتهم وجبروتهم كانوا يقتلون من يضع يده لمجرد السلام فى يد واحد من أعدائهم • والأمثلة معروفة ولم يعد اليوم شيء خافيا • ولكن على قلوب منهم اقفالها وفى الوجوه منهم صفاقة لا تكون الا للطواغيت • وانهم لهم الطواغيت •

الأهـــرام ١٩٨٣/١١/٢٧ ••

السياسة والمجالس التشريعية

المجالس التشريعية هى الواجهة الكبرى للديمقراطية فى كل أنحاء العالم · وكان الأمر فى أيام الرومان يطرح على الشعب كافة ويروح كل فرد يستعرض نفسه أمام الجمهور وكانت المنافسات تطول دون جدوى · ثم انتهى الأمر الى اختيار نواب عن الشعب وعرفت منذ ذلك الحين البعيد فكرة التمثيل النيابى · ولكن الديمقراطية ليست عبثا ولا هى مجرد تمثيل شرفى وانما هى مسئولية ضخمة ثقيلة · ومن أعجب ما قرأت أن أحد أباطرة الرومان أراد أن يترك الأمر تماما لمجلس الشيوخ ويجعل رأيه ملزما لا استشاريا · ففى هذا الزمن السحيق كان رأى الشعب أو رأى ممثليه مجرد مشورة يأخذ بها الامبراطور أو لا يأخذ · ولكن هذا الامبراطور الذى أروى عنه أراد أن يتنازل عن حقه ويتركه كله لممثلى الشعب · فأصدر قراره بأن يكون رأى مجلس الشورى هو الرأى النهائى ولا معقب عليه · وحتى يؤكد هـذا المعنى ويشــفع القول بالعمل ســـافر الى أطـراف الامبراطورية ·

واجتمع مجلس الشيوخ وعرض للموضوعات التى تحتاج الى رأى فاذا المجلس وهو الجماعة التى اختارها الشعب من كبار خطبائه ومفكريه وأصحاب الرأى فيه اذا هؤلاء يجمعون أمرهم على انهم لا يستطيعون أن يتحملوا المسئولية وحدهم ولابد أن يحمل عنهم الامبراطور هـذا العبء وسافر الأعضاء جميعا الى الامبراطور وطالبوه أن يعود الى العاصمة ويصدر قراراته : أما هم فيكفيهم أن يكونوا مستشارين فحسب · وقد يقول قائل من أبناء هذا العصر الذى نعيش فيه اليوم أن هؤلاء عبيد تعودوا أن يستمعوا الى الأمر ويصدعوا به وأنهم عاجزون عن اصدار القرار ·

بينما أرى أنا فيهم أنهم كانوا شرفاء أمناء مع شعبهم ومع أنفسهم وانهم رفضوا أن يحملوا مسئولية جديدة عليهم حرصا منهم على مصالح شعبهم · ولو لم يكونوا أمناء شرفاء لأصدروا قراراتهم ولتذهب صوالح شعبهم الى الجحيم ·

فالديمقراطية تحتاج الى شعور عميق بالمسئولية وليس من السائغ أن يطلق فيها الرأى فجا ساذجا بلا دراســة وأعمال فكر والديمقراطيــة

ممارسة ومدارسة • فاذا انقطعت الديمقراطية فترة عن الممارسة كان لابد في العودة اليها أن تكون العودة واعية متفتحة نستعين فيها بالقمم العليا في جميع أنحاء الحياة ومختلف جنباتها •

فليس الصراع كافيا • وليست الشعارات الفارغة صالحة للممارسة الديمقراطية الفعالة • وانما لابد أن نقصد الى العلماء والفقهاء • نستعين بهم على فراغ الساحة من الساسة •

فالسياسي هو الذي يستعين بالعلماء في شتى الموضـــوعات التي يدرسها ثم يجمع آراءهم بنظرة السياسي والعالم بصوالح شعبه والخبير بالممارسة والمعايشة للحياة في كل متاهاتها ودروبها ومسالكها فيخرج رأيه أقرب ما يكون للصواب • لأن وظيفة السياسي أن ينظر الى المستقبل ويعد له وكأنه يراه رأى العين ويعرفه معرفة يقين •

وهذا لا يكون بضرب الرمل أو بالادعاء وانما يكون علما بالتاريخ وتعمقا بعيد الأغوار للنفس البشرية واستعانة بكل ذى علم فى علمه ويكون أيضا بموهبة فذة فالساسة يمسكون فى أيديهم أقدار البشرية جميعا • فاذا غابوا عن الميدان كان لابد أن تسعى الديمقراطية الى العلماء والخبراء بأمل أن يكون منهم مع الأيام ساسة •

والمجالس التشريعية هى ساحة الساسة • فيها يلتقى الرأى بالرأى ويصطرع الفكر بالفكر ومن رأى الأغلبية يكون القرار الذى يواجه اليوم ويتحسب الغد ، فالأغلبية وحدها لا تكفى وانما لابد لهذه الأغلبية من ساسة يبصرونها بخبرتهم الى شتى مناحى الفكرة وما لها وما عليها وما قد ينشأ عنها من خير أو شر •

فليست الديمقراطية مجرد شتيمة من المعارضة ورد من الحكومة •

وليست خطبا ولافتات • وليست صراخا وشق حناجر • وانما هى مستقبل شعب ومصير أمة وحياة أقوام أو موتهم • وكم من قرار صدر فأفنى أمما بأكملها لأنه صدر عن غير دراسة ولم يصدر عن باعث شريف وانما كان باعثه اعتساف ملابس بطولة زائفه • فاختيار نائب فى مجلس تشريعي أمر يعتبر فى حقيقته مصير أمة بأسرها ؟

مايو ١٩٨٣/١١/٢٨ ••

كان الله في عون التاريخ

شرفت بعضوية مجلس الشورى منذ أنشائه · ولا أذكر اننى كتبت شيئا أعلق به على موضوع تحدثت فيه داخل المجلس ولكننى فى هذه المرة مرغم أن أختط لنفسى خطة تخالف ما جريت عليه حتى اليوم · فقد بدأ النقاش بحديث من الزميل الكريم نظمى بطرس تناول فيه أحزاب ما قبل الثورة بهجوم قاس عنيف وكان هجومه جائحا لم يتحسب فيه استثناء ولم يفصل مفرقا بين عهد وعهد أو فترة وفترة · ورأيت فيما سمعت ظلما تأباه النفس وجورا لا يقبل الصمت فطلبت الكلمة للتعليق وقلت ما معناه ان تناول الأحزاب قبل الثورة لا يجوز أن يكون بهذه الصورة فى مجلس له احترامه وتوقيره عند الناس · وأن أحزاب ما قبل الثورة هى وليدة ثورة تعتبر من أكرم ثورات التاريخ · وأننا نكبر الحرية التى نعيش فيها اليوم لأننا عرفنا الحرية قبل الثورة ورجوت الزملاء الأعضاء أن يراعوا المسئولية التى نحملها على اكتافنا حين نتكلم فى المجلس الذى يحظى بين الناس بكل اجلال وتوقير ·

وحدث أن خرجت من الجلسة لبعض شأنى غير متوقع أن يكون هذا الذى قلت موضع نقاش أو تعليق من أحد · ولكننى فوجئت باسمى يتردد بين ردهات المجلس فى ناقل الصوت الذى يذيع الجلسة فى حجرات المجلس فأطفأت سيجارتى وسارعت الى القاعة لأجد الأستاذ موسى صبرى يكمل كلمته التى لم أسمع أولها وطلبت الكلمة لأرد على ما سمعت منها · ورددت ولا أحب أن أعيد ما قلت فمضبطه الجلسة كفيلة بذلك · ثم فوجئت يوم الخميس بخطاب من الأستاذ سعد فخرى عبد النور منشور بجريدة الأخبار وبتعليق مفصل من الأستاذ موسى صبرى · ووجدت أنه أصبح من الحتم على أن أفصل ما أجملت حتى أزيح عنه اللبس الذى عراه نتيجة الايجاز والاشارة دون الشرح والافاضة ·

فواقع الأمر أننى حين تحدثت عما قبل ثورة ٥٢ لم أقصد ما سبقها مباشرة وانما قصدت فترة من الزمن توغل فى أعماق التاريخ حتى تصل الى أحداث ثورة ١٩ الخالدة ·

فالذى لا شك فيه أن الديموقراطية فى هذه الفترة كانت موجودة وجودا فيه بعض النقص · وكيف لدولة يحتلها محتل بجيشه وسلطاته

وله فيها الناب والظفر والكلمة الأخيرة ان تتمتع بديموقراطية كاملة ·

وقد كان الشعب المصرى حين ثار ثورته فى سنة ١٩١٩ ويحاول أن يزيح المحتل كله ولكن المحتل كان يزحزح أقدامه فى تثاقل وفى بطء مقيت · وهو يملك القوة الغاشمة التى لا تقف أمامها قوة فلم يكن عجبا أن يقبل الشعب المصرى كل باب أو نافذة تصـــل بينه وبين الحرية الكاملة التى يقاتل من أجلها ويسعى لها سعيها وهو مؤمن بها كل الايمـــان ·

وحصلت مصر على تصريح ٢٨ فبراير ونتج عنه دستور ٢٣ وكان هذا أكبر خطوة نالتها مصر فى طريق الحرية · وقد وضع الدستور جماعة من أكبر فقهاء القانون واعتبر العالم الدستور المصرى من أعظم الدساتير العالمية ولكن لابد لنا أن نذكر أن هذا الدستور قد وضـــع فى ظل الاحتـــلال ·

ولذلك نجد فيه مادة لا يمكن أن يقبلها شعب حر على الاطلاق · وهى المادة التى تعطى الملك الحق فى اقالة الوزارة اذا وقع الخلاف بينهما · وهى مادة جعلت الدستور مناقضا مع نفسه كل التناقض فكيف ينص فى مادة منه على أن الملك يملك ولا يحكم ثم يعطيه فى نفس الدستور حق الاقالة الا أن يكون المحتل بجبروته قد فرض هذه المادة فرضا حتى يظل الأمر فى يده · فان حق الاقالة مادام فى يد الملك ومادام الملك يدين فى بقائه للمحتل وحده فالأمر اذن أولا وأخيرا فى يد الانجليز المحتلين · وما أحسب أن حزب الوفد انتفع بشىء فى حياته جميعا قدر النفع الذى أفاده من هذه المادة فان رئيس الوزراء الوفدى لم يقدم إستقالته الا مرة واحدة على طول الحياة النيابية فى مصر · أما فى المرات الأخرى فلم يكن يخرج من الوزارة الا وقد اقاله الملك · وكان الوفد يحكم ويرتكب ما يرتكب من أخطاء ويبدأ الشـــعب فى معرفته على حقيقته من تقريب للأصهار واستثناءات وتجاهل لمواد الدستور · ثم تأتى الاقالة من الملك فتغسل عن الوفد جميع أخطائه وتعيده الى شبابه الأول ويعود أغلب الشعب الى الالتفاف حوله ·

وهكذا أصبح الأمر كما قال الدكتور هيكل باشا « أن الديمقراطية هيهات لها أن تصبح كاملة فى مصر وفى مصر احتلال وملك يخضـــع للاحتـــلال » ··

وفى ظل الاحتلال كان الخلاف بين الأحزاب اختلافا حول تصرفات وأشخاص ولم يكن اختلافا حول مبادىء فمبادىء الأحزاب جميعا كانت توشك أن تكون متطابقة · وكانت المادة الأولى فيها جلاء الجـــيوش الانجليزية عن مصر ·

ولنعبر الآن من الحديث العام الى الحديث عن الوفد منذ جاء على أسنة الحراب في فبراير سنة ٤٢ الانجليزية الى أن أقيل في ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ثم حين عاد في سنة ١٩٥٠ ٠

ولست أفكر أن أتحدث عنه حديثا مفصلا فان المجال لا يحتمل هذا ولكنني اكتفي بأن أذكر الذين عاصروا هذه الفترة بالاعتقالات التي قام بها الوفد لعلى ماهر باشا وغيره وغيره لحساب الانجليز واسقاط عضوية مجلس النواب عن مكرم عبيد باشا واعتقاله لحساب حزب الوفد ٠ واختلطت مصالح الاحتلال بمصالح الوزارة الوفدية ولم تتعارض وكانت الحجة عند المحتل أنه مشتبك في حرب عالمية ولكن الوفد لم تكن له حجة ٠ واقيل الوفد في سنة ١٩٤٤ ثم عاد بأغلبية ساحقة في عام ٥٠ ٠

ألم أقل لك ان الاقالة كانت تطهره أمام الشعب تطهيرا ٠ وحين عاد حزم أمره أن يمالىء الملك بكل الوسائل وسمعنا عن النحاس باشا حين لم يكن له مطلب في الحياة الا أن يقبل يد الملك الطاهرة وقد كانت في ذلك الحين أشد ما تكون تلوثا ٠ وأن لم تكن هذه الواقعة صحيحة فقد سمعنا في أمرها تشكيكا فالذى لا شك فيه ذلك التصريح الذى أدلى به النحاس باشا حين سئل عن شأن من شئون الحكم وكان الملك في ذلك الحين في كابرى فقال « أن في كابرى قبلة يجب أن نتجه اليها جميعا » ٠ وهكذا جعل الملك قبلة وكعبة ٠

وصنع الوفد ما صنع بأعضاء مجلس الشيوخ من القمم الشامخة وطردهم ٠ وغير المضبطة ولو أنني لا ألومه كل اللوم على تغيير المضبطة هذا ٠ فمادام الانجليز هم الذين أمروا فانه لا يملك الا الخضوع ٠

ولكن مهما يكن الأمر ٠ فان الانسان لم يكن في هذا العهد بكل سوءاته هالعا على يومه وغده ٠ وكانت العقوبة القصوى هي الاعتقال ٠ وكان هذا جميعه في ظل ملك فاسد وجيش شرس أجنبي محتل ٠ ولهذا كان من الطبيعي أن يفرح الناس بقيام ثورة ٢٣ التي أعلنت أنها تقوم للمحافظة على الدستور ٠

ثم ٠٠٠ ويل لنا من ثم ٠٠ الغى الدستور جميعا ٠ فكان شأننا شأن من استعان بطبيب لينقذ مريضا ٠ فاذا الطبيب يطلق الرصاص على المريض ٠

وخرج الانجليز ٠ وكنا نظن أننا سنحتمى في ظل حكامنـــا وقد أصبحوا لأول مرة في تاريخنا من أبناء مصردماؤنا دماؤهم وعرضنا عرضهم فاذا مصر تصبح وهى حرة من المحتل, وعشة خوف ولوثه مذعور فالعرض

مباح والدم مهدر وكل قيمة فى الحياة محطمة محترقة فهى هشيم • وجف ماء الحياة وزاغت الأبصار وارتعدت الفرائص •• كل الفرائص • وحدث ما حدث ونزل بنا من الكوارث ما نزل حتى جاء المغفور له صاحب الأيادى الناصعة على تاريخ مصر أنور السادات فرد الى النفوس الطمأنينة والى الوطن والعرب الكرامة وتوج حياته بالسلام •

ونحن اليوم فى حكم حسنى مبارك نحقق من الآمال ما هفونا اليه حين تخلصنا من الملك الفاسد ومن المحتل الغاشم • وما صبونا اليه من حرية لا مثيل لها •

فالمقارنة التى عقدتها أذن فى مجلس الشورى كانت بين ما كان قبل ٥٢ وما بعدها من حكم الطغيان •

وقد عرفت أن الأستاذ موسى صبرى قال فيما قال أننى ارتجفت غاضبا علم الله يا أخى موسى أن رجفتى كانت لك لا عليك • ومالى لا ارتجف وقد كانت الجرائد حتى فى حكم الوفد الذى أدينه اليوم تطلع كل يوم مليئة بالهجوم الســافر على رئيس الوفد ووزارته وعلى الملك فى بعض الأحيان فى حين نفيت أنت من الصحافة جميعا لأنك تجرأت فكتبت نقدا لمذيعة فى التليفزيون • وهذا بعض ضئيل من كل فظيع مريع سفاح •

أن التاريخ الذى نذكره اليوم لم يصبح بعد تاريخا وانما هو واقع عشناه واصطلينا ناره ونعمنا بما فيه من حسنات • فاذا كنا نختلف فيه اليوم فالى أى مصير هو صائر حين يصبح سماعا لا عيانا ، وذكرى لا واقعا •• كان الله فى عون التاريخ •

«الأهــــرام ١٩٨٣/١٢/٤ ••

هل من الصدق اخفاء الحق

فى الصفحة الأولى من مجــلة الأهالى هذا الأســبوع جاء عنوان « القضاء : الأهالى صادقة » ونشرت المجلة بعد ذلك خبرين أما الأول فهو عن حكم صدر لصالح المجلة وقد نشرته المجلة بحيثياته أما الخبر الثانى فيتصل بى ونصه كما جاء فى المجلة .

كما أصــدرت محكمة قصر النيل حكمها برفض الدعوى المدنية والجنائية المرفوعة من ثروت أباظة ضد جريدة الأهالى والزامه بالمصروفات وخمسة جنيهات أتعابا للمحاماه .

وانتهى الخبر عند هذا وقد كنت ارجو ان تذكر المجلة الحيثيات كما صنعت فى الخبر الأول ولكنها رأت أن تخفى الحقيقة واخفاء جزء من الحقيقة نوع رخيص من الكذب وكان جديرا بالمجلة مادامت جعلت عنوان الخبرين « القضاء : الأهالى صادقة » أن تكون صادقة على الأقل فى هذه المرة ولكن أذكر البيت القديم :

ومكلف الأشــياء ضــد طباعها
متطلب فى المــاء جــذوة نــار

ودأب المجلة ألا تكون صــادقة قط حتى وان كان العنوان قوامه صــدقها .

ولما كنت متخرجا فى كلية الحقوق فقد أخذت نفسى الا اتناول قضية . ينظرها القضاء . والقضية الآن فى الاستئناف . كما أخذت نفسى الا أعلق على حكم للقضاء . وانا أشد حرصا على هذا الذى أخذت به نفسى اذا كنت أنا طرفا فى الدعوة . وهكذا لم أجد بدا من أن أطلب من المحامى الأديب الأستاذ صبرى العسكرى أن يكتب لى هو أسباب رفض الدعوى حتى لا أخرج عما أحب أن أظل عليه من منهج . وقد كتب الأستاذ صبرى العسكرى يقول :

الحكم قضى بعــدم قبول الدعويين المدنية والجنائية لأن صحيفة الدعوى موقعة من محام بتوكيل عام وترى المحكمة أنه يلزم توكيل خاص والا كانت الدعوى غير مقبولة دون النظر فى موضوعها . ولأن هذا الرأى

مختلف عليه لأن المحامى الموكل بالخصومة القضائية هو وكيل خاص فى كل الأحوال فقد استأنفنا الحكم ومحدد لنظر الاستئناف يوم ١١ يناير سنة ١٩٨٤ · ومع هذا فان هذا الحكم فى كل الأحوال لا يمنع من المطالبة بالتعويض أمام المحكمة المدنية لأنه حكم لم يحسم موضوع الخلاف ·

الى هنا وينتهى كلام الأستاذ صبرى العسكرى المحامى · وبقى أن أقول اننى طلبت الى الأستاذ صبرى العسكرى اقامة الدعوى المدنية ·

وربما كان جديرا بالذكر أيضا أننى طلبت اليه أن يعلن فى صحيفة الدعوى تنازلى عن التعويض لصالح اتحاد الكتاب فما كنت لأقبل لذمتى الخاصة ما أنا متشكك كل التشكك فى مصدره ولذا رصدته للنفع العام فى حساب اتحاد الكتاب · وقد تفضل الأستاذ صبرى العسكرى فذكر هذا التنازل فى صحيفة الدعوى التى رفضت لأسباب شكلية وانه لفاعل نفس الشيء فى الدعوى المدنية ان شاء الله ·

وبعد فأننى اقف عند هذا ولا أزيد حرفا · فمادام الأمر معروضا على القضاء يمتنع على أن أشفعه بأى تعليق · الا اننى احنى رأسى للحكم الذى صدر مادام هذا هو الرأى القانونى للسيد القاضى ·

وان كان هناك رأى آخر فالقضاء وحده صاحب الحق فى تأييد هذا الرأى · والأمر على كل الأحوال ليس مجالا للكتابة الصحفية ·

مايو ١٩٨٣/١٢/٥

وليبق وجه مصر مضيئا ..

قال سبحانه وتعالى فى محكم آياته « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه » سورة الاسراء الآية ١٣ . وهذه الحكومة وهذا العهد جميعه برىء كل البراءة من التبديد الذى يقال أنه وقع على جواهر الأسرة المالكة . ولا شك أيضا أن عهد الرئيس الراحل أنور السادات برىء هو أيضا كل البراءة مما يذاع ويشاع حول هذه المجوهرات ولذلك لم يكن عجيبا أن يخصص العهد قصرا باكمله لاستقبال هذه المجوهرات . وقد شاء لى الله أن أحضر نقاشا بين الوزراء المسئولين عن هذه الجواهر وقد عرفت من هذا النقاش أن البنـك الأهلى يحوى فى خزائنه مجوهرات تنتسب فى أصولها الى الأسرة المالكة .

وأغلب الأمر انها ليست كل المجوهرات التى خلفتها الأسرة . وقد وقع هذا فى مشاعرى من مجمل النقاش . وأحسب أن الوزراء المختصين يحجمون عن عرض هذه المجوهرات تحسبا مما قد يثار حولها من قيل وقال .

ولكن الأمر ينبغي أن يواجه بشجاعة وحسم .

وما لا يدرك كلمة لا يترك كله . وأنه ليجمل بالوزراء المختصين أن ينقذوا البقية من هذا المجوهرات وتعرض فى معرض وتبرأ من شأنها ذمة الحكومة جميعا .

فاذا كانت الحكومة تعرف أن بعضا من هذه الثروة قد تعرض لسرقة أو نهب فواجب الحكومة مجتمعة أن تعرض الأمر جميعه على القضاء .

وعند ساحة العدالة تتســـاوى الرؤوس ولا يكون ثمة فارق بين رئيس ومرؤوس أو بين وزير وخفير وعلى الجانى أن يتلقى جزاءه شأنه فى ذلك شأن أى فرد فى الدولة .

اذا كانت الأيام قد تراكمت على الجناة فأخفت معالمهم فعلى السلطة التنفيذية أن تزيح الشبهة عن نفسها وتنزلها عن كاهلها ليتحملها من تحوم حوله أو من تمسك بخناقه . وقد يكون حكم الجماهير والتاريخ أعظم هؤلاء من حكم القضاء .

واذا كان هناك من التهم ما يستقيم له أن يقدم الى القضاء فحتم على السلطة التنفيـذية أن تقدمه فالتستر على الجريمة جريمة • والجريمة مرفوضة من الفرد ويستحق من أجلها الجزاء أما الدولة فواجبها أن تحارب الجريمة وتمنعها وتقدم مرتكبها والعدالة معصوبة العينين لأنها لا تنظر الى المتغاضين وانها فقط تسمع حججهم وتصدر أحكامها والمعتدى على أموال الدولة معتد على أموال الشعب جميعه •

وقد سمعنا أن شخصا ما في عهد الطغيان وجهت اليه الدولة تهمة الرشـوة لأنه أعطى ساعيـا خمسين قرشا اكرامية ولكن الدولة كانت غاشمة وكانت تريد أن تحكم عليه وحكمت •

وهذه الدولة نفسها هى التى تحوم حول فترتها الشبهات فى شأن مجوهرات أسرة محمد على فكيف تسكت الدولة على أموال يقال أنها انتهبت ويقال انها سعت تنتشر في شتى أنحاء العالم تعلن أن مصر الدولة لم تستطع أن تحافظ على ثروتها وأموالها •

وهذه كارثة ولكنها وقعت فعلا ولا يزيح آثارها عن وجه مصر الا أن تعلن الدولة الشريفة العفيفة التى نعيش فى ظلها اليوم أنها براء من هذه التهمة وانها تعاقب المعتدى شأنها فى ذلك شأن الدولة التى تحترم سمعتها وتبقى على كرامتها وشرفها •

ومصر فى الخارج هى مصر • وأعيذ السلطة التنفيذية أن يسمع العالم أن أموال مصر قد سرقت ثم لا يسمع أن مصر أنزلت بالسـارق العقاب وليكن شكل هذا العقاب ما يكون وليتمثل فى أحكام يصدرهـا القضاء أو فليتمثل فى أحكام يصدرها الرأى العام الذى هو مصر جميعا •• بهذا وبهذا وحده نبقى على وجه مصر وضاءته واشراقه فى ظل حكم رئيس عفيف اليد شريف الضمير نقى المقصد والخطى •

مايو ١١/١٢/١٩٨٣

بين الخطيئة والغفران

مسكين ذلك الانسان · يبدأ حياته طفلا فالدنيا حوله نور وطهر ونقاء وتتزاحم عليه من الكبار دعاوى الشرف والزهد والعدالة · ويتعرف على دينه فيجده ضياء واشراقا وسموقا · ثم يدلف الى باب الحياة وويل له حين يدلف الى باب الحياة تحيط به مغريات الجسد وحاجات الانسان الى الغنى ويجد أن الانسان لا يصيب مالا وافرا الا اذا فقد طهرا أو كرامة أو نقاء · وتلح عليه الحياة بسعارها ويتمزق بين أضواء الطفولة وبراءتها وبين مغريات العصر وسفالاته · والاختيار له وحده · فالله سبحانه فى علياء سمائه هدى عباده النجدين وألهم النفوس فجورها وتقواها وجعل لكل انسان طائره فى عنقه وترك له حق الاختيار فهو اما جانح الى قويم من النجدين أو جامح الى معوج منهما ·

ويشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته جميعا · ويقول فى شموخ الانسان الصادق وعظمة الأنبياء « حفت الجنة بالمكاره » فالذى يختار الطريق الى الجنة يكره نفسه أن تختار غير ما تهوى ويلويها أن تميل الى ما تهفو اليه من متعة عاجلة محققة · وتتكالب المغريات على الانسان الضعيف فيزل ثم يثوب الى رشده فيطلب الغفران · ويقول الشاعر :

وانى لأرجـــو الله حتى كأننـــى   أرى بجميل الظن مـا الله فاعلـه

فهو واثق من الغفران ، لأن الله سبحانه شرع الغفران للخطائين · ولو لم توجد الخطيئة ما سمى الله نفسه بالغفور ويقول أبو نواس :

ان كان لا يرجـــوك الا محسـن   فبمن يلـــوذ ويســـتجير المذنب

ولكن الانسان لا يقمع نفسه عن الخطيئة بل يظل متعلقا بها تغريه متعتها ويطيبه اغراؤها وتجتذبه نشوتها · فاذا وزعه من الايمـان وازع رده بالأمل فى المغفرة · ويمضى الى خطيئته لا يلوى على شىء حتى اذا انحسر خمارها وثاب الى نفسه اللوامة تاب وآب وعاد يرجو الله سبحانه الغفران · وهل هناك أوسع من مغفرة الله · سبحانه هو بارىء النفوس وهو العليم الخبير بضعفها · وهو العليم بما يصنعه الشيطان من تجميل الشر ومن جعل الشين زينا والمقبوح من الفعل مكسوا بالرواء والبهاء والجاذبية ·

ويظل الانسان بين شد وجذب وبين اقبال على المحرمات وانصراف عنها • ويبلغ أحدهما الكبر وتحيط به الشيخوخة ويضطره العجز الى الاستقامة • ولكنها استقامة هو مرغم عليها ولم يقصد اليها عن اختيار • فهو تائب فى غير عفة ، ولا يقعد به الكبر أن يصرح بذلك فيقول ذلك البيت الشهير :

هل الله عاف عن ذنـــوب تسلفت　　　أم الله ان لم يعف عنها يعيدهـــا

وما رأيت بيتا يجمع التوبة والفجور فى شطريه كما يفعل ذلك البيت فهو يرجو الله أن يغفر الله وهو فى الوقت ذاته لا يخجل ان يقول للذات العلية اذا كان لابد من العقاب فلا بأس ولكن أرجو أن تتاح لى القدرة على اتيان ذنوبى مرة أخرى لتتوفر لى المتعة ما دامت المغفرة غير متاحة وهكذا نجد أن الفجور قديم قدم الصلاح • وان الفجور لا يقف به أمد ولا ينتهى عند حـد كما ان الصـلاح عميق الأغوار بعيد المدى • والانسانية تتأرجح بين الجانبين بغير حيرة وانما عن بصيرة ووعى وفى الوقت نفسه بين رغبة عاجلة فى متعة عابرة وبين ايمان عميق الجذور يرجو وجه غفور رحيم •

والانسان ظالم لنفسه فهو الذى اختار أن يحمل الأمانة التى أشفقت منها السماوات والأرض والجبال وأبين أن يحملنها • حتى اذا استجاب الله لسؤال الانسان وألقى على كتفيه أمانة الاختيار تخبط فى حياته هذا التخبط وراح يضرب فى الأرض ونظره الى السماء • فهو بين رغبات الأرض وبين ايمانه بالسماء فى شد وجذب واقبال وادبار •

ويضيق بعض الناس فيعلن الحاده وكفره مختارا اليأس مفضلا له عن رعب الانتظار موهما نفسه أن اليأس احدى الراحتين ولكن هيهات فالملحدون أشد الناس عذابا • لأنهم فى البعيد من نفوسهم يعلمون انهم على باطل • وهم فى أعماقهم يتمنون ان يحظوا بالجنة التى وعد الله بها المتقين من عباده • ولكنهم يدركون أيضا أنهم أبعد الناس عنها بما كفروا وألحـدوا ويظلون مع أنفسهم فى صراع مرير بين ما أعلنـوا من الحاد وما تشعر به قلوبهم من أن صاحب هذا القرآن لا يقول الا حقا • وما تزال أفئدتهم بين يأس وأمل وبين اقدام واحجام فعل اللص المبتدىء يمد يده للسرقة برغبة الغنى حتى وان كان عن طريق محرم ويكف يده بأمل التوبة والغفران من الرحمـن الرحيم الذى وسـع غفرانه ذنوب البشر وشملت رحمته المؤمن والعاصى والعابد والعربيد والقانت والزنديق ويقول شوقى الخالد فى رثاء اسماعيل أباظة باشا :

الى الله اســـماعيل وأنزل بساحة　　　أطل النـدى أقطارهـــا والنواحيا

ترى الرحمة الكبرى وراء سمائهـا تلـف التقى فى سيبهـا والمعاصيا
لدى ملك لا يمنع الظـل لائذا ولا الصفح توابا ولا العفو راجيـا

ويعربد أبو نواس ما شاءت له عربدته ويقول شعرا ملحدا يتناقله النـاس على مر العصور ويمعن فى الفسوق والمروق متخذا من التظرف ستارا يحتمى فيه • ثم تطالعه السن ويدرك انه أوشك على النهاية ويصيح صارخا بنفسه •

« يا كبير الذنب » •

وتمر أمام عينيه حياته جميعا فيرى نفسه محاطا بالنار لا يموت فيها ولا يحيا ويتبدل جلده كلما احترق له جلد ويأخذه الهول ويلتاع ويدرك أى عـذاب هو ملاقيه ولا يجد لنفسه الهالعة ملاذا الا عفو الله ويكمل البيت :

يا كبـير الذنـب عفـو الله مـن ذنبـك أكبـر
كـن مـع الله يكـن لـك واتـق الله لعلـك
لا تكـن الا معـدا للمنـايـا فكـأنك
ان للـه لسـهما واقعـا دونـك أو بـك

ويصيح الزمان فاذا الصوت الذى سمعه ملحدا كافرا زنديقا يعود فيملأ الدنيا ايمانا ومناشدة للمرحمة ودموعا تخضب الأرض فى طلب غفران السماء •

فالله غالب على أمره • والملحد من دنياه فى عذاب وبيل وهو فى الأخرى لدى عالم الغيب والشـهادة وهو سبحانه وحـده العالم بمصيره ومنقلبه •

الأهـرام ١٩٨٣/١٢/١١

لبيك رسول الله لبيك

تظهر هذه المقالة وأنا ضيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكل قاصد الى رحابه صلى الله عليه وسلم يحس انه مدعو . ففى رحاب أكرم المخلوقات لا تسمع الا مرحبا . وفى افناءحرمه القدسى تقيم مرحب لا تغيب عنه ولا تشيح عن قادم .

وأنا رجل كثير الأسفار فقد طويت من الأرض آفاقا وآفاقا . فزرت كثيرا من البلاد العربية ورأيت المدن الحديثة البناء . وبهرنى الشارع ليس فيه بيت قديم أو بناء عتيق . وزرت باريس ولندن وزرت مدنا كثيرة فى أمريكا ورأيت فى نيويورك الناطحات وهى تخمش بأظافرها السحاب وتجرى صعدا فى العلو فلا يمسك بها بصرى . وزرت بولندا وساحلت بحر ايجه فى تركيا . وشهدت فى استامبول متحف توب كابو حاشدا بلهو الأمبراطورية العثمانية الذى ابهظ الشعوب الاسلامية وقضى على دولة بنى عثمان وشهدت فى غرفات المتحف ذاته زهد النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته فرأيت فى حجرتين متلاصقتين كيف قامت دولة الاسلام على التقى والورع والزهد والتقشف وكيف غابت آخر امبراطورية اسلامية فى بحار من شهوة التملك وبريق الابهـار بالمال لا بالعلم وبالاسراف فى المظهر دون نظر الى الجوهر .

واعتليت الجبال فى سويسرا واشهد فى ربوعها كل عام عجبا من خلق الله سبحانه وتعالى الذى يصفه شوقى الخالد بقوله :

لف فى طيلسـانه طرد الأرض	فطـاب الأديم من طيلسـانه
سـاحر فتنة العيـون مبين	فصـل الماء فى الربى بجمـانه
عبقرى الخيـال زاد على	الطيف وأربى عليه فى ألوانـه
صبغة الله أين منهـا رفائيـل	ومنقاشـه وسـحر بنـانه

وكنت حاضر النفس والجسم فى كل ما زرت . وحين اندلع نظرى الى القمم من ناطحات السحاب لم أشعر هناك بهوان الانسان كما قال بعض الكتاب وانما شعرت اننى أنا الانسان أعلى من هذه القمم وأرفع ، فأنا الانسان بما أتاح الله لى من عقل بنيت هذه الناطحات وأنشأتها وأعليتها . وأنا الانسان بلغت القمر باذن الله الذى جعل البشر سيد المخلوقات . ولكن الشعور الذى أحس به وأنا فى جوار النبى عليه الصلاة والسلام لم يخالجنى فى أى مكان من هذه الأماكن التى زرتها .

ما هذا الذى يتلبسنى وأنا فى جنابه الطهر ·

أرى جسمى الضخم هذا يتصاغر ويتضاءل ويمحى فى اللا وجود فقله ذرة أو قله هباءة أو قله لا شيء أو قله كان شيئا ثم لم يكن ·

ولم يبق منه الا قلب يمور به الشوق والحنين وانا فى الرحاب ويفهق بالخشوع والهيبة والخضوع فانا أمام سيدى ومولاى ولا أعرف لى فى البشر سيدا ولا مولى سواه ·

ولم يبق منى الا دموع ساجيات هوامل لا ينقطع سيبها ولا يشح لها انهمار · وأنا رجل لست بخطاء وما أنا بكثير الذنوب طريقى طريق المعتدلين من البشر · لم أسرف على نفسى ولم أحملها ما لا تطيق · سبيلى فى الحياة قليل العوج ، هين الأمت ، يسير الالتواء · فما هذه الرعشة تمخضنى عند القبر السنى · وما هذه الرعدة الحبيبة عند مهبط الوحى والمكان القدسى الذى شهد آخر لقاء بين رسول السماء ورسول البشر ·

أهى ارتياعى من القرب لذات الرسول عليه الصلاة والسلام ·

أهى رهبتى وأنا مائل بدارة أكرم البشر اجمعين ·

أهى وقوفى فى ساحته وهو رسول ذى الجلال واصطفاؤه ليكون خاتم الأنبياء وليكون وحده من بين مخلوقاته بشيرا ونذيرا ولتكون معجزته الوحيدة بين معجزات الأنبياء التى خصها الله بالحفظ والخلود على الزمان فخلدت وتخلد الى الأبد الأبيد ·

أهى شيء من هذا · أم هى هذا جميعا · أم هى ما لا أدرى وما يخفى على بصر الانسان الكليل وبصيرته وقد أصبحت فى سياج بلورى من الجلال فى أوج أوجه وفى الذؤابة الشماء العليا من عظمة هذا الانسان النبى الذى لم يكن الا بشرا رسولا أدبه ربه فأحسن ، وأدب هو البشرية بنهجه وسنته وسننه فمنها من سار الطريق ومنها من تعثر راجيا عند الرحمن الرحيم العفو والغفران ·

أنا فى هذا الرحاب روح فكأنى خفقة جناحين لطائر من طيور الجنة · أو نبعة من نهر الكوثر · أو همسة تسبيح فى عليين ·

لبيك نبى الله لبيك ·· الى قدس رحابك أطير مع الطير أو مع الانسام الحنون أو مع شعاع من الشمس سنى غير قائظ ·

لبيك يا سيدى وسيد الخلق اجمعين وهل أملك لدعوتك الا لبيك ·

الأهرام ١٩٨٣/١٢/١٨

العثرة عند كثرة الكلام

ألاحظ أن بعضا من أعضاء مجلسى الشعب والشورى يتحدثون فى كل الموضوعات التى تعرض على المجلسين وأحسب ان فى هذا اضاعة لوقت المجلس فيما لا يفيد • فانه لا يعقل أن يكون انسان ما عالما بكل ما يعرض على المجلس • ومن أجل هذا نجد ان هؤلاء المتحدثين يقولون كلاما لا جديد فيه ولا يقدم للمجلس وجهة نظر غائبة عنه • بينما دور المتحدث فى هذه المجالس ينبغى دائما أن يضيف جديدا • ولذلك يكبر الأعضاء من يتنازل عن كلمته اذا سبقه أحد الأعضاء بقول المعنى الذى كان ينوى ان يقوله •

وانني أرجو أن يعرف هؤلاء الأعضاء المحبون للكلام ان الصمت كثيرا ما يكون أكثر بلاغة من الكلام اذا كان الكلام لا يضيف جديدا •

وليس من المقبول عقلا ولا منطقا ان يقف عضو ويطلب الكلمة ليقول انه يوافق على الموضوع المعروض أو يرفضه لأن اعطاء الرأى وحده لا يحتاج الى خطبة فالمؤكد ان العضو سينتهى به الأمر الى اعطاء الموافقة أو حجبها عندما يطرح الموضوع على المجلس لأخذ الرأى •

والعضو غير المتخصص فى الأمر المطروح للمناقشة ينبغى أن يستمع الى كل الآراء التى يدلى بها المتخصصون من أعضاء المجلس ليكون رأيه بعد ان ينجلى أمامه الموضوع تماما وتصبح جوانبه كلها بينة المعالم •

والحديث منه أثناء النقاش ظلم منه لنفسه وظلم منه لأعضاء المجلس أن يسمعوا شيئا لا يضيف جديدا الى ما يعرفه كل واحد منهم •

وقد أعلم أن هذا البعض من النواب يطلب الكلمة ويقول ما لايستحق القول ناظرا الى الناخبين فى دائرته غير مهتم بوقع كلامه على الأعضاء وعلى الجمهور العام الذى سيقرأ أو يسمع ما قال •

والرأى العام يكون رأيه عن الأشخاص الذين يمثلونه من مجموع كلماتهم وأعمالهم • والثقة تتكون من ممارسات طويلة ولكنها تفقد فى لحظة واحدة • أو فى كلمة واحدة • وكثرة الكلام مجلبة للعثار • والعثرة الواحدة تفقد الثقة لفترات طويلة • والذين فى مثل سنى يذكرون ما رواه

لهم آباؤهم عن عضو برلمان فى أول مجلس نواب انتخب بعد دستور ٢٣ وقف يخطب فقال • أنا مصمصم بدلا من أنا مصمم فظلت كلمة مصمصم لاصقة به ومأنذا ارويها بعد مرور قرابة خمسين عاما على قولها • ولم ينجح هذا العضو فى أية انتخابات بعد ذلك قط •

ويقول الانجليز الذى يمارس كل حرفة لا حرفة له • أو من يدعى المامه بحرف شتى لا يجيد شيئا •

ويقول الانجليز أيضا لست صغيرا لدرجة اننى أعرف كل شيء •

والمتمكن حين يتحدث يأمن الخطأ.ولا يتعرض له • ولكن الذى يظن نفسه متمكنا من كل شيء أو يخيل اليه انه يستطيع أن يموه على المستمعين فيجعلهم يظنون أنه متمكن بينما هو فارغ غير ملم بما يتحدث فيه سرعان ما ينكشف أمره • فان أحدا لا يستطيع أن يزيف حقيقة أمره على مجموع من الناس فما بالك اذا كان هذا المجموع أعضـــاء مجلس تشريعى • وما خطبك اذا كان كلامه سينشر على الناس أجمعين ويتبينون حقيقته انهم لا شك بالغون أعماقه مدركون أن حديثه لا يصدر الا عن شخص لم يتهيأ للحديث بالمدارسة والتفهم والاحاطة بكل جوانبه •

وان أول شروط الذكاء هو احترامك لذكاء الآخرين • والذى يلقى حديثه ويظن أنه بدهائه يستطيع أن يستغفل الناس سرعان ما يكشف الناس أمره • وان استطاع أن يبدو أمام من لا يعلمون أنه عالم سرعان ما يصبح غير العالم عالما حين يلتقى بالرأى الناضج فيما ينشره المختصون المتمكنون المتعمقون •

مايو ١٩٨٣/١٢/١٩

تدريس العربية بالعربية

قرأت منذ فترة مقالا بعنوان « يجب تدريس الطب بالعربية » بتوقيع سالم نجم أستاذ بكلية الطب ـ جامعة الأزهر ٠

وأشهد أننى أحسست عند قراءة العنوان بيد هاصرة شديدة العنف تعتصر قلبى ٠

أو فرغنا من تدريس العربية بالعربية أولا حتى ننصرف الى تدريس الطب بالعربية أم نريد أن نجعل الخريجين عندنا فى شتى المجالات طيورا عجماء لا تنطق بأى لغة من لغات الكون ٠

ان طلبة الطب الآن يتعلمون دروسهم باللغة الانجليزية وهذا يجعلهم على صلة يمكن أن تكون وثيقة بتخصصهم ٠ أنريدهم أن يدرسوا الطب بالعربية حتى تنقطع الصلة بينهم وبين هذه المصادر ويزدادوا جهلا ٠

وأين هى اللغة العربية التى نريدهم أن يدرسوا بها ٠٠ وهل الأستاذ أو الدكتور صاحب التوقيع يظن أن هناك لغة عربية تدرس فى أى مكان ٠٠ وكيف ٠٠ ومن أين ٠٠ ؟ ومن الذى يدرسها ٠٠ ؟ ما تعليمه ٠٠ ما المامه بها ٠ لقد انتهى تدريس العربية الأصيلة منذ سمحنا لكليات الأزهر المتخصصة فى اللغة وفى الشريعة أن تقبل تلامذتها من حملة الثانوية العامة دون شرط حفظ القرآن الكريم فقتلنا بذلك اللسان العربى ، ومنذ سمحنا لدار العلوم ان تقبل حملة الثانوية العامة دون شرط حفظ القرآن الكريم الذى كان أساسيا لقبول الطلبة فى هذا الحصن الحصين للغة القرآن والتراث ٠

وكان الطلبة فى كليات الأزهر وكلية دار العلوم يدرسون الشعر فى جميع عصوره ويحفظون الفية ابن مالك فيصبحون مرجعا فى النحو ويدرسون العروض وبحور الشعر وكل ما يدخل عليها وما يتصل بها فكان عندنا علماء فى علم اللغة ان فات بعضهم الذوق الأدبى الرقيع لم يفته العلم اللغوى الراسخ ٠

ولقد صرخت على صفحات الأهرام أعيدوا الأزهر الى الأزهر وتفضل الشيخ الأكبر الدكتور بيصار رحمه الله واتصل بى وأراد أن يزورنى فعزمت عليه أن أزوره أنا وفعلت ووعدنى بأن الذى أطالب به سيتحقق فى مدى عامين ومرت خمسة أعوام ولم يتحقق شىء وكنت قد كففت عن مواصلة المطالبة بعودة الأزهر الى الأزهر مكتفيا بهذا الوعد من أمامنا الأكبر . ولكن الأزهر أفلح فى اسكاتى فقط وهذا أمر هين لم يكن يحتاج الى كثير جهد ولم يفلح الأزهر أن يعود الى الأزهر حتى اليوم .

وما النتيجة ؟ النتيجة هذا الخطاب الذى قرأته فى بريد الأهرام فى يوم الخميس ٨ ديسمبر والذى كتبه طالب بالثانوية العامة عن جميع زملائه طلبة الصف الثالث علمى وأدبى بمدرسة لم تذكرها الأهرام ولست أدرى لماذا أو ربما كنت أدرى . وقد نشرت الأهرام الخطاب بعنوان رسالة بليغة وعلق عليه المحرر بصرخة ألم وذعر وقد هالته الأخطاء التى جاءت فى الخطاب . وقد فكرت أن أعيد نشر الخطاب ولكننى رددت نفسى أو ردها .

عن ذلك شعور بالغثاء والقرف وأنا أقرأ فكيف أتمالك أن أنقل وكيف يستطيع القلم أن يخط هذه الكارثة على ورق ، لا تخف ، لن أنقل الخطاب اليك فان كنت قرأته مرة فحسبك مرة ولن أزيدك ألما بأن أجعلك تقرؤه مرتين وان كنت لم تقرأه فقد أنجاك الله ولا داعى لأن أصرف اليك من البلاء ما صرفه الله عنك سبحانه وتعالى .

ولكن حسبك أن تعلم أن الخطاب يكاد يخلو تماما من كلمة صحيحة فى الاملاء ولا أقول النحو وحسبك وحسبنا الله .. انه نعم الوكيل والذى كتب الخطاب هو الفصيح بين اخوانه . واخوانه هم طلبة الثانوية العامة الذين يختمون اليوم دراساتهم العامة أى انهم انتهوا فعلا أو ينتهون هذا العام من دراسة اللغة العربية جميعا والذى لا شك فيه انهم أتموا دراسة الاملاء والنحو .

هؤلاء هم المدرسون فى غد والمحامون والأطباء والمهندسون ولسان مصر فى المجتمعات العربية والدولية . واذا كان هذا لساننا فنحن اذن بكم لا نبين ولا أمل لنا أن نقول . وويل لغدنا من غدنا وويل للغتنا من الناطقين بها .

فأى لغة عربية تلك التى نريد أن يدرس بها طلبة الطب ؟ .. وأين هى .. وعلى أى لسان تقال وبأى قلم تكتب ؟ .

كان الأزهر ودار العلوم هما حصن هذه اللغة ورئيس جامعة الأزهر شيخ جليل عالم باللغة علما أصيلا وعميد دار العلوم واحد من أدباء عصره شاعرا وأستاذا وعالما بأسرار اللغة وخوافيها ٠

ولكن ماذا يستطيع الرجلان أن يصنعا ؟

انى واثق ان الدكتور أحمد هيكل عميد دار العلوم يبذل من الجهد أقصاه ليقوم اللسان العربى على شفاه طلبته ، ولكن كلنا يعلم أن الاتصال باللغة يكون فى السنوات الخضر من حياتنا تلك السنوات التى تعلم فيها الدكتور هيكل القرآن الكريم فى الكتاب فاستقام لسانه واستقامت له اللغة وأحبها وأحبته فماذا هو صانع مع طلبة يلتحقون بكليته المسئولة عن تخريج أساتذة اللغة واللغة عليهم غريبة ولولا المجموع ــ لعن الله اليوم الذى عرفناه فيه ــ ما التحق هؤلاء بكلية دار العلوم ٠ فهم يدرسون اللغة العربية لأنهم لا يملكون أن يدرسوا شيئا آخر ٠

واللغة العربية ــ شأن كل لغة ــ كائن حى ذو مشاعر واحساس فهى لا تحب من لا يعشقها ولا تفتح نوافذها وتكشف أسرارها الا لمن تعلم انه سادن فى محرابها متعلق بأستارها واهب نفسه لها ولجمالها وابداعها وفنون سحرها ٠ أما الشيخ الدكتور فرهود فالأمر بالنسبة اليه أكثر صعوبة وكيف له أن يواجه هذه الكليات التى تدرس الشريعة واللغة ٠ والطلبة قادمون اليه لا يكادون يعرفون أن اللغة العربية اسمها العربية ٠ كان الله فى عونه وعون الأسـاتذة الذين يقومون بالتدريس فى هذه الكليات ٠

ولقد نسمع قائلا يقول ان الصحابة لم يكونوا كلهم حافظين للقرآن الكريم ٠

ولكن لغة الصحابة كانت هى العربية ولم تكن قد عدت عليها تلك العجمة التى تراكمت على اللسان العربى نتيجة اتصاله بالفرس والروم والترك ونتيجة مرور ألف وأربعمائة عام على نزول القرآن الكريم ٠

وحين نتادى اليوم بحفظ القرآن الكريم وعودة الأزهر الى الأزهر لا نطالب بذلك خوفا على القرآن الكريم ٠٠٠ جل ان يخاف عليه أحد ٠٠٠ وقد جاء فيه وعد قيوم السماوات والأرض « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد فعل ٠٠٠ والمطابع اليوم تطبع أعدادا من المصـاحف لا تطبعها من أى كتاب آخر لكننا نطالب بحفظ القرآن الكريم لنحافظ على لغته ولغتنا التى بغيرها لن يستطيع عربى أن يكلم عربيا ٠

ونطالب بحفظه لنجد فى غـد هداة ودعـاة يعرفون كيف يعلمون الأجيال دينهم ولغتهم ٠

وما أجهل أجيال اليوم بدينهم ! ٠٠٠ هذا الجهل الذى نشهده من المتطرفين وهم يعرضون على الرأى العام فى شاشات التليفزيون ٠

وما أجهل أجيال اليوم بلغتهم هذا الجهل الذى لا يحتاج الى دليل أقوى من ذلك الخطـاب الذى نشرته الأهرام يوم الخميس ٨ ديسـمبر فملأت به نفوسنا حسرة وألما ٠٠٠ ومرة ثانية وثالثة وألفا ٠٠٠ حسبنا الله ونعم الوكيل ٠

الأهـــرام ١٩٨٣/١٢/٢٥ ٠٠

انتخابات القائمة والعلماء

تواجه مصر لأول مرة فى حياتها النيابية الانتخابات بالقائمة النسبية ولا شك أن كل حزب سيعمل جهده أن يحصل على أكثر الأصوات للقائمة التى سيتقدم بها الى الناخبين ٠

وأحسب أن الأحزاب ستجرى فى اختيار ممثليها على ما جرى عليه فى الماضى من اختيار أعضاء تعرفهم الدوائر الانتخابية ويعرفون هم أهلها وأصحاب العزوة فيها ٠

وهذا أمر طبيعى ولكن القوائم اذا اقتصر الأمر فيها على هؤلاء فان الأحزاب تكون قد جانبت الطريق الأمثل وتنكبت الفرصة العظيمة التى تتيحها لها انتخابات القوائم ٠

ففى هذه الصورة من الانتخابات يتاح للأحزاب ما لا يتاح لها فى الانتخابات الفردية ٠

فالناخب فى هذه الانتخابات ينتخب المبدأ أولا والشخص ثانيا ، وطبيعى أن الأشخاص فى القائمة يمثلون مبدأ قبل أن يمثلوا أنفسهم ٠

وهكذا يقع على ضـــمير الأحزاب أن تبحث عن العلمـاء والخبراء وترشحهم وهذه فرصة لا يمكن أن تتاح فى الانتخابات الفردية لأن هؤلاء العلماء يشغلهم علمهم عن الاتصال بالناس والتعرف عليهم فاذا فكر واحد منهم أن يرشح نفسه فى أية دائرة فمصيره السقوط المؤكد باذن الله ٠ فان أحدا لا يعرفه وأغلب العلوم غير متصلة بالاعـلام ووسائل الدعاية وهكذا يصبح العلماء والخبراء منقطعين تماما عن جماهيرهم ولا يعرف قيمتهم الا أمثالهم من العاماء والخاصة من الناس ٠

المفروض ان الذين يرشحون للأحزاب هم هؤلاء الخاصة والمؤكد أن الذين يقومون بهذا الترشـيح يعرفون أقدار الناس وينزلونهم منازلهم الصحيحة ، فأول شروط السياسى أن يعرف علماء وطنه وخبراءه والمتمكنين فى كل فرع من فروع المعرفة والذى لا شك فيه ان الانتخاب الفردى كان يغلق المنافذ أمام هؤلاء الأفراد الذين يشاركون فى مجالس بلادهم

التشريعية وتستفيد هذه المجالس من علمهم ومن خبرتهم فالاشتغال منهم بالعلم والمعرفة جعلهم بمعزل عن الجماهير الناخبة ٠

ولكن الفرصة تتاح أمامهم مفتوحة الأبواب على مصاريعها فى انتخابات القائمة ، وما أحوج مصر فى الأزمات التى تتعرض لهـا أن تعمل عقول علمائنا جميعها من أجل مواجهة هذه الأزمات والتغلب عليها وبدلا من أن يكون جهد هذه العقول مقصورا على الجامعة وقاعات الدرس وغرفات المعامل يصبح جهدهم جهيرا عالى الصوت فى قاعات المجالس التشريعية ويشارك فى الحياة السياسية ويدلى برأيه ولن تجده يدلى برأيه الا فيما يعرفه تمام المعرفة ثم هو عند أخذ الأصوات سيكون لا شك أكثر استيعابا لما يعرض من أمور وسيكون صوته على الأرجح فى الجانب الأمثل لمصلحة البـــلاد ٠

وقد روى عن هتلر الديكتاتورى الطاغية انه كان اذا عرض له أمر يحتاج الى خبراء يمتنع عن ابداء الرأى فيه ويدعو الى ذلك أصحاب العلم المشاهير فى هذا الميدان ويطلب اليهم أن يجتمعوا دون أن يحضر اجتماعهم ويخرجوا عليه بالرأى الأمثل ٠

ويروى انه كان يقول لمن يعارض سياسته منهم يا سيدى أنا لا أحترم رأيك فى السياسة ولكننى فى علمك أكن لك كل الاحترام وهو بهذه التفرقة كان يطمئن نفسه أنه يتفرده بالحكم على صواب وللطغاة فى كل عصر فلسفتهم الخاصة التى يحاولون بها أن يريحوا ضمائرهم ولو أن هتلر صنع هذا الصنيع فى الحرب ما وصل بوطنه الى الكارثة التى حاقت به ولكنه الفرد وطغيانه وكبره وهيهات مع الفردية من صلاح ٠

الأهـــرام ٢٦/١٢/١٩٨٣ ٠٠

حين يلتوى الزمان

ليس المثل الأعلى أمرا هين المنال • فقد يكون الانسان شريفا أمينا • وقد يكون صادقا يحترم كلمته • وقد يكون لطيف المعشر قريب المأخذ شفاف النفس • وقد يكون سمحا طيب الخلق • وقد يكون بعيدا عن كل ما يشين الانسان أو ينتقص من كرامته • وقد يكون مؤمنا يؤدى لربه فروض دينه لا يخلف منها فرضا • وقد يكون زوجا رؤوفا وأبا حانيا أو ابنا مطيعا لايسمع منه أبواه الا ما يرضيان عنه • وقد يكون صديقا وفيا لايذكر صديقه فى غيبته الا بخير ويصدقه الرأى عند المشورة ويرعى شئونه كما يرعى شئون نفسه •

قد يكون الانسان هذا جميعا ولكنه مع هذا لايكون مثلا أعلى وانما يكون انسانا سويا وليس سافلا ولا وضيعا ولا منحطا ولا خائنا ولكن لايكفى الا يكون واحد من هؤلاء ليصبح مثلا أعلى •

ان المثل الأعلى فيما أتصور هو احتمال ما لايحتمله البشر فى سبيل مبدأ أو رأى أو شخص ، المثل الأعلى هو ذلك الانسان الذى يصنع ما لا تطيق الطبيعة البشرية أن تحتمله ، وهؤلاء يذكرهم التاريخ لأنهم تفوقوا على الانسان فيما يفعلون وفى رأيى أنهم أيضا يتفوقون على الملائكة لأن الملائكة لا فضل لها فى ملائكيتها فقد خلقها الله بطبيعة جعلتها روحا بلا مادة وشفافية مطلقة لا ضبابية فيها ولا اعتام •

والمثل العليا فى التاريخ تملأ التاريخ والتاريخ لايسجل اسم الأسوياء ولكنه يذكر فقط من خرق نواميس الطبيعة وارتفع عما تعارف الناس عليه •

يذكر مثلا الخنساء تلك الشاعرة العظيمة التى بكت أخاها صخرا فى الجاهلية وظلت ترثيه عمرها كله فحين دخلت الاسلام وسألوها أتبكين كافرا فقالت •

ـ وهذا مايزيد حزنى عليه

فهى اذن تعرف اللوعة أشد ما تكون اللوعة • ولكنها أصبحت مثلا أعلى فى الصبر والايمان والرضى والسكينة حين مات أبناؤها الأربعة فى موقعة القادسية ونعاهم اليها الناعى فاذا هى سعيدة بموتهم تتمنى لو كانوا عشرة وماتوا فى سبيل الله •

هنا تصبح الخنساء مثلا أعلى · لأنهـا استطاعت بايمانهـا ان تسمو على الأمهات جميعا واثقة انها ستلقى أبناءها فى خير مكان تتمناه أم لأبنائها وهذه الثقة فى ذاتها هي المثل الأعلى فهي تؤمن بقلبها بالله وبالجنة التى وعد بها الشهداء والصديقين وكأنها رأتها رأى عين فاذا هى هانئة الخاطر راضية النفس قريرة العين لموت أبنائها فى ميـدان القتال لا يعنيهـا أن تسـأل عن شيء الا أن تطمئن ان كانوا أدوا واجبهم جرأة وشجاعة فى المعركة أم كانوا من الناكصين الجبناء حتى اذا عرفت أنهم كانوا فرسانا صدقا عند اللقاء يتسابقون الى الموت عازفين عن الحيـاة طابت نفسها وسعدت وأصبحت على الأزمان مثلا أعلى·

واذكر قصة عن الحجاج حين قد ضل على فئة كانت تحاربه وأراد محاكمتها ووضع لمحاكمتها قانونا لايستنه الا الطغاة قال انه سيسأل هؤلاء الثوار قبل أن يحكم عليهـم « على أى دين أنت » فمن قال انه على دين الاسلام قتله لأن فى اجابته اصرار على الثورة ومن قال انه لم يكن على دين الاسلام عفا عنه مرتئيا أنه باعترافه هذا كفر عن ذنبه وانه لن يعود بعدها الى مناجزته وبدأت المحاكمة وتقدم اليه شاب فى ريعان الشباب وفتوته وسأله الحجاج ·

ـ على أى دين أنت

فقـال الفتى

ـ على دين محمد عليه الصلاة والسلام ·

فقال الحجاج

ـ اقتـلوه

فقتلوه · وتقدم بعده شيخ عجوز فسأله الحجاج

ـ على أى دين أنت

فقال الشيخ

ـ على دين أبيك الشيخ يوسف

فقال الحجـاج

ـ لقد كان والله قواما صواما

أطلقوا الرجـل

ويطلقونه ولكن الرجل لم ينطلق ولو كان انطلق ما أصبح علامة من

علامات المثل العليا وما ذكره التاريخ • ظل الرجل واقفا وصاح بالحجاج :

ــ يا كافر أيقول لك الفتى أنه على دين محمد صلى الله عليه وسلم فتقتله وأقول انني على دين أبيك فتطلقني ولو لم يكن لأبيك مساءة الا انه أبوك لكفاه خزيا •

ويصيح الحجاج

ــ اقتلوا الرجل

فيقتلونه ويصبح تاريخا ومثلا أعلى في مواجهة الظالم والاقبال على الموت في سبيل كلمة الحق • بينما أصبح الشاب مثلا أعلى في التضحية بالنفس في المبدأ •

أمثال الخنساء وهذا الرجل وهذا الشاب كثير في التاريخ وهم في الوقت نفسه قلة نادرة في البشرية وأمثالهم هم المثل العليا •

ولكن اذا التوى الزمان وعاج معتدله وانحسرت القيم وهان الشرف ومات الحياء ، وأصبحت المعاني السامية في الحياة تنخفي في خشية حتى لايحاربها السفلة • وحين يضطر الخلق السوى أن يتوارى في خجل حذر التهجم من الكفرة والمجحفين وآكلي لحوم اخوانهم أمواتا وأحياء • وحين تصبح الكلمة العليا لكل من تسلق على سلم الهوان والنفاق والمتاجرة بكل ما هو حضيض في الهوة السفلى من الحياة • وحين يخجـــل النبل وتتبجح الخسة ، وحين تنزوى الأمانة وتستشرى الخيانة •

حينئذ وحينئذ فقط يصبح الأسوياء مثلا عليا في العالم ولتمدح الأمانة والصدق • ولطف المعشر ، وشفافية النفس والسماحة ، والطيبة والمحافظة على الكرامة ، والايمان ، ورأفة الزوج بزوجه وحنوه على أبنائه وطاعة الابن لأبويه وبره بهما ، وحفظ غيبة الصديق وصدق المشورة • ويصبح الذين يتخلقون بالخلق السوى مثلا عليا لأن الحياة فرضت علينا مثلا سفلى • ولكن لابد لنا أن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل •

فلا دنيا ولا آخـرة

أليست الخيانة والطغيان والمجازر والحروب والاعتداء على الحياة وتمزيق البشرية كلها كانت وليدة الطمع والجشع ورغبة الانسان اللاهبة المحرقة أن يحصل على المال والسلطان وكلما بلغ منهما الى مكان تطلع الى المكان الذى يعلوه فالانسان جشع بطبعه وقل منهم القنوع ومن أدرى بالانسان من بارئه وهو سبحانه يقول « قتل الانسان ما أكفره » • وليس هناك حد لجشع المال فالأرقام لا تنتهى ومادام المال قد أصبح غاية لا وسيلة عند مخلوق ما فويل لهذا المخلوق من نفسه • فهو لا يبحث عن المال ليرد عن نفسه وبنيه غائلة الحاجة وانما هو يستزيد من المال لذات المال وحينئذ لن يقف به اللهج والجهد عند أمد ينتهى اليه •

وليس هناك حد لجشع السلطة فكلما بلغ الانسان الكنود منها قدرا راح يبحث عن سلطة جديدة وهو لا يريدها لاصلاح شأن من تسلطن عليهم وانما يبحث عنها لتحقيق ذاته فان لم يصل بالطريق المشروع ــ وهو لن يصل به فالطريق المشروع لا يعطى السلطة المطلقة لأحد أبدا ــ خان وان خان الأقربين وقتل وان قتل الشعوب وطغى وتجبر وألغى الضمير من حياته فأصبح شرا من الحيوان •

فالحيوان لا يقتل الا حين يجوع يريد أن يسد جوعه • أو حين يخاف يريد أن يأمن • أما السلطان الطاغية فهو يقطع الرؤوس ليجعل منها سلما الى سلطانه أو يقطعها اذا كانت تفكر وهو لا يسمح لأحد غيره أن يفكر ، أو هو يقطعها لأنه يخشاها حتى وان كانت خشيته مجرد وهم لا يؤيده برهان ولا يقوم عليه دليل • فالخوف فى أغلب أمره لا منطق له ، والسلطان الخائف ذئب مسعور •

والعجيب العجيب أن الانسان يصنع هذا جميعه وهو على ثقة لا مجال فيها لشك انه ميت لا محالة • وهو على ثقة أيضا أنه عندما يموت لن يصحب معه مالا ولا سلطانا • بل هو سيصحب معه ــ لا شك ــ ما ارتكب من آثام وجرائم فى سبيل هذا المال وذلك السلطان • وكلما ازداد ماله زادت آثامه وكلما طغى سلطانه تزاحمت جرائمه •

وفى الناحية الأخرى من الحياة لن يكون فى حاجة الى المال بل ان ماله سيكون وبالا عليه فتكوى به جباههم وجنوبهم ويشقون به شقاء جسيما ، فلا هو استمتع بالمال فى الدنيا واعتصر منه ما يعتصره منه أولئك الذين يرون فى المال وسيلة لا غاية طريقا لا هدفا ولا هو جعل منه مفازة الى آخرة كريمة فتصدق به وأحس بتلك المتعة الفريدة التى يحسها المحسن حتى لأحسب أن الله بهذا الاحساس قد وهب له كل المكافأة التى وعده بها ولا هو ظفر بالآخرة بل انه واجد هناك ماله ينتظره ليكون عليه نارا لاهبة يكتوى بها ...

أما صاحب السلطان فهو ملاق وبالا أشد وعذابا أنكى فقد خاض بسلطانه وفى سبيل سلطان جديد بحورا من دماء . وأهوالا من أرواح وداس بقدميه كرامات ناس وأمنهم وطمأنينتهم واعتدى على معنى كلمة الانسان الذى كرمه الله وفضله على العالمين .

وقد يقول قائل : ويحك قد ابتعدت عن المنطق وافترضت أن جامع المال الملهوج أو صاحب السلطان المسعور يؤمن بجنة أو نار . أو يفكر فى الله الواحد القهار الذى لا يدوم الا وجهه .

وانى واثق أن مثل هؤلاء لا يفكرون فى الله فان فكروا فبكفر والحاد وانكار وهكذا يكون من الطبيعى أن يكون رأيهم أنه لا آخرة هناك وانه لا بعث ولا نشور وانه لا يخلقنا الا الطبيعة ولا يبلينا الا الزمن ولا يميتنا الا الدهر وان الانسان ما هو الا عدم والى عدم .

وحينئذ يصبح أمرهم أكثر اثارة للدهشة والعجب . اذا كان الأمر كذلك ـ وما هو بذلك ـ ففيم حرصه على جمع المال وفيم سعاره فى ارتقاء السـلطان .

الحقيقة أنه لا منطق مع هؤلاء وانما هو جنون يتسلط عليهم فيختلط الأمر عليهم لاختلاط العقل فيهم . ولكن لله فى خلقه شئون فبقدر هذا الجنون الذى يتسلط عليهم ويغشى أبصارهم عن نهاية الانسان نجد عقولهم غاية فى الذكاء والنشاط عند جمع المال أو السعى الى السلطان . فانهم حينئذ يتكشفون عن ذكاء نادر وحده بادرة وتوقد ذهن يجعل كثيرا من الناس يعجب بهم . ولو كان هؤلاء المعجبون على ذرة ضئيلة من نفاذ الى الأغوار وعدم انخداع بالمظاهر لأشفقوا عليهم كل الاشفاق ولرثوا لحالهم غاية الرثاء فان الفرد منهم السان فى شكله بعيد كل البعد عن الانسانية فى مخبره وفى داخله وفى تصرفه وفى مشاعره . فهو بلا عاطفة على الاطلاق لا يعرف الحب لأحد حتى ولا لبنيه ، وقد تسال كيف وحب البنين غريزة أودعها الله فى الآباء ولكن بربك لا تعجل فى الحكم فمن قال لك أن

الله سوى هؤلاء الجشعين للمال والســـلطان على ما سوى عليهم سائر الناس · انهم سرطانات بشرية خلقها الله سبحانه ليعرف النـــاس أنه سبحانه قادر على أن يشكل الناس ألوانا شتى وأصنافا متفاوتة وانه قادر أن يرتفع ببعض منهم الى مرتبة هى خير من الملائكية وينزل بقوم آخرين الى منزلة هى أسفل من الحشرية بله الحيوانية ·

انهم مخلوقات شاذة نفوسهم مسلطة على نفوسهم · والويل كل الويل لهم من ذواتهم · والويل كل الويل لهم من ذوى قرباهم ومن كان بهم على معرفة ولا أقول صداقة لأنهم لا يعرفون الصـــداقة الا لمنفعة وما هكذا تكون ·

انهم لا يعرفون نبض القلب بالشفقة أو بالعاطفة · ومن لا يعرف الحب لن يجد أحدا يحبه ومن لا يعرف الشفقة يصبح عند الناس كتلة صماء من صخر مشوه لا معنى له ولا فائدة من وجوده ، ومن لا عاطفة له ذميم عند الناس مقبوح الاسم والسمعة مرفوض من الناس لأن الناس لا يستطيعون أن يعيشوا بغير حب وجمال ونبض عواطف ورقة مشاعر ·

هؤلاء الجامعون للمال أو للســـلطان هم أكثر الناس بغضا عند أقربائهم وكلما توثقت وشائج القربى ازدادت دوافع الكراهية · وهكذا فأبناؤهم هم أشد الناس كرها لهم · أتراك الآن رثيت لهم كما أرثى ·

لا الدنيا أصابوا ولا الآخرة · ولا هم استمتعوا بمالهم فقد أذهلهم جمعه عن المتعة به · ولا بسلطانهم فقد أرعبهم زوال الســلطان وسعار البحث عن الجديد منه أن ينعموا بأبهة السلطان ومباهجه · وهم فى الآخرة شرابهم الغسلين ومهادهم النار وبئس المهاد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ·

مقـــالات

١٩٨٤

رأى لا سلاح

أخى العزيز الأستاذ الكبير عبد الرحمن الشرقاوى ٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانى قد اطلعت على ما أورده بعضهم على لسانى محاولا أن يتخذ من خلاف الرأى بيننا سلاحا يشهره عليك ٠ وعلم الله كم كرهت هذا ٠ فقد شهروا هذا السلاح عليكم فى موطن لا أشك انك بعيد عنه كل البعد ٠ وقد تآخينا أنت وأنا فى الله وفى ظلال كريمة من حب الصالحين الأتقياء وأنا أعلم من اسلامك العميق وايمانك ما لا يجرؤ شك أن يتسلل اليه ٠ وأنا أعلم انك تؤدى الفرائض جميعا أصدق ما يكون الأداء ٠ وأنا أعلم أن أحب الألقـاب اليـك هى ما اكتسبته بحجك الى بيت الله الحرام انت وأهل بيتك ٠ فاذا شهدت عليك بغير هذا أكون خائنا للحق مستحقا لغضب الله ورسوله ٠ أما ما بيننا من خلاف فمرده انك تريد أن تطبق على المجتمع فكرا اقتصاديا ترى أن بعض الصحابة استنبطه من الاسلام وتسوق فى سبيل ذلك من الحجة ما يمدك به بعض الفقهاء ٠

وأرى أنا غير هذا الرأى ٠ ولعل أهم نقطة خلاف بيننا هى ما ذكرته من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال حين وجد فى جيب رجل توفاه الله دينارا : « هى كية » وعندما وجد دينارين فى جيب آخر قال « هما كيتان » وجدت الزمخشرى يقول ان هذا كان قبل نزول الآيات الخاصـة بالمواريث فى سورة النساء وقد تصورت انك اعتمدت على الزمخشرى وحجبت هذا الجزء من رأيه ولكنك قلت ان اعتمادك فيما رويت كان على غير الزمخشرى ٠ وبهذا ينحسم الأمر ٠

وربما طاب لى اليوم ان أضيف على هذه القصة ما عرفته بعد ذلك من عالم متمكن ان هذه الدنانير الثلاثة وجـدها النبى صلوات الله عليه وسلامه عند رجلين من أهل الصفة ٠ وكان طبيعيا أن يقول النبى صلى الله عليه وسلم ما قال ما دام الرجلان من قوم زهدوا فى الدنيا زهدا كاملا ووهبوا أنفسهم لله ومن يفعل ذلك حرم عليه أن يحمل مالا لأن المفروض عليه أنه لا يبتغى من هـذه الدنيـا شيئا يشتريه بمال والمفروض فيه

الا يترك شيئا لأنه اختار الآخرة لنفسه وعلى هذا الأساس كان سائر المسلمين من مال المسلمين ما ليس له بحق وهكذا تصبح هذه الواقعة مؤيدة لما أذهب اليه أنا ٠

وبعد فما توهمت يوما ان أحدا يمسك بسطور أكتبها عنك ليجعل منها حربا على شخصك أو على ايمانك ٠

وانك لا شك واثق كما انى واثق ان أحدا لن يستطيع أن يشوب ما عطرته السنون من صلة بيننا كان الايمان بالله أوثق أواصرها وانما أحببت أن أكتب هذا اليك لتجهز على هذه المحاولة عند من قرأ هذا الذى قرأت ودخل الكلام الى ضميره من مدخل لست أرضاه ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

الأهـــرام ٤ ينـــاير ١٩٨٤ ٠٠

هو وحده الأكبر

ذهب الرجل العجوز الى الطبيب وشكا اليه ·

ـ يا دكتور أنا اذا سرت أكثر من ساعة ألهث ولا أستطيع اكمال المسيرة ويسأله الطبيب ·

ـ كم عمرك ·

ـ ثمانون عاما ·

ـ اذن فيكفيك جدا أن تسير ساعة ··· هذا شيء عظيم ·

ـ نعم ولكن صديقى وهو فى الخامسة والثمانين يمشى ساعتين ·

ـ أرأيته ·

ـ هو يقول ·

ـ عظيم ··· وانت أيضـــا تستطيع أن تقول انك تمشى ساعتين وهكذا حل الطبيب مشكلة ·· العجوز فى لحظة ·

وأحسب ان شأن الكتاب اليوم عند بعض المسئولين أصبح مثل شأن هذا العجوز · فنحن نكتب ونعتصر دمائنا ليكون مدادا والمسئولون عنا فى شغل فاكهون · وأحسب أنهم يقولون فى سريرة أنفسهم ليقل الكتاب ما يشاءون فما هى الا كلمة تكتب يقرأها القارىء ثم يلقى بها دبر فكره ويا دار ما دخلك شر ·

وأحسب أنهم يظنون أن الكتاب وحملة الأقلام ما هم الا مصفقين على أرصفة الشارع السياسى · أو هتافين فى حجرات خالية ·· لصوت هتافهم فيها صدى ولكن ليس له من سميع فلا داعى اذن أن يكون له مجيب ·

وهموا اذن · انما الكتاب هم أنوار الشارع السياسى الكاشفة تحمل اليهم هموم الشعب وتقود من الجماهير آراءها وأفكارها ومذاهبها · وهذه الجماهير هى التى انتخبت هذا البعض من المسئولين وجعلت منهم أغلبية يجوز لها أن تعين الوزراء وتجلسهم على كراسيهم ·

وقد أرى الكتاب يكتبون في كل واد ومتجه وقليل ما أرى استجابة أو أرى على الأقل اجابة وانما اشاحة عما يكتبه الكتاب وكأنهم ما كتبوا أو كأنهم يكتبون في بلد ودار غير الدار وقديما قال الشاعر الجاهلي :

الا ان لم تكن ابل فمعزى

ونحن نقول لهذا البعض من المسئولين فان لم تكن استجابة بالعمل فاجابة بالقول تجعل الكتاب يشعرون انهم أسمعوا أحياء ولم يصرخوا في تيه من الوادى ٠

أيكون المسئولون لم يقرأوا الصحف ٠ فذلك عجب اذن ٠

فقد عاصرنا الوزراء منذ نعومة أظفارنا وكنا نرى مكاتبهم لا يزيد عدد العاملين فيها عن ثلاثة نفر أو أربعة وكان هناك واحد منهم مسئولا أن يقتطع من كل الجرائد ما جاء فيها متصلا بالوزارة التي يعمل فيها الوزير ٠

أيكون هذا التقليد قد ألغى وقد أصبح اليوم مدير مكتب الوزير بدرجة وكيل وزارة وأصبح العاملون بمكتب الوزير يتجاوزون المئة عددا ٠

واذا لم يعرف ما يكتب عن وزارته في الصحافة ٠ وفي صحيفة حزبه بالذات فما هي القنوات التي تصل بينه وبين جماهير الشعب التي ارتضته وزيرا والوزير في اللغة حامل الأعباء ٠ فأى أعباء سيحمل اذا كان لا يدرى من أم الجماهير صاحبة هذه الأعباء شيئا ٠ أنا أكتب هذا في صحيفة الحزب أمر الذى لا يجاهر كتابه بالحق ـ مهما يكن مريرا حزب ضعيف ويكون كتابه غير جديرين بحمل القلم ٠ ذلك الشيء الضئيل الحجم والذي بلغ من سمو شأنه أن أقسم به صاحب الكبرياء الواحد الأحد سبحانه عز وجل من قائل ٠

(ن ٠ والقلم وما يسطرون) والسورة كلها تحمل اسمه فهي القلم ٠

فنحن من نحمل هذا القلم ونحن من نسطر ما يسطرون ٠ فرفقا أيها الوزراء ٠ وان لم تجيبوا حديثا يعمل فلا أقل من بيان والله وحده هو الأكبر ٠

مايو ١٣ فبراير ١٩٨٤ ٠٠

ماذا فعلتم بأمكم ..؟!

ان كان العصر قد أصبح شأنها مقيتا قدر ما شاهت السينما المصرية فوارحمتا على العالمين وعلينا ان نعلن منذ اليوم ان الحياة قد سقطت الى حضيض لا اقالة لها منه .

لا ليس يفيد ايقاف فيلمين أو عشرة أو عشرين . انما ينبغى أن نعيد النظر فى السينما المصرية جميعا . ان كان هناك نظر يستطيع أن يرى هذه الدهياء النكباء التى أصابت الفن السينمائى فى مصر . والسينما اذا انهار بناؤها فى مصر فقد انهد بناؤها فى العالم العربى أجمع فياغوثاه يا غوثاه يا غوثاه .

ولقد كنا عرفنا ان الأفلام هابطة وعزلنا أنفسنا عن دور السينما لا نغشاها ولا نقترب منها وقلنا لعل هناك بعض أفلام قليلة هابطة بعض الهبوط ولعل هناك ما هو أقل منها هبوطا .

واذا السينما تغزو بيوتنا عن طريق هذا الجهاز اللعين المسمى فيديو وتوالت الأفلام إن كلمة الهبوط كلمة فيها كثير من المجاملة وكلمة السقوط لا تكفى والمؤكد أن اللغة العربية لم تصطنع بعد لفظة تواجه الحالة التى تردى اليها الفيلم المصرى ذلك ان اللغة لا تستطيع أن تخلق لفظة لحالة لم تشهدها وظاهرة الفيلم المصرى اليوم تتضاءل أمامها كل ألفاظ السقوط والتردى والفشل والقبح وما شئت من ألفاظ اللغة العربية أو أى لغة فى العالم .

ولعلنا لو تركنا مادة السقوط الى غيرها من مواد الألفاظ العربية تكون أقرب فى مواجهة الفيلم المصرى ربما نستطيع أن ننظر الى الخزى والمهانة واذلال الفن .. وماذا .. لا .. ما زلنا بعيدين كل البعد عن وصف الفيلم المصرى .

أيها المنتجون أيها المخرجون أيها المؤلفون للسينما أيها الممثلون وأنتم يا من يطلقون على أنفسهم لقب الفنيين ماذا فعلتم بأمكم السينما المصرية التى سكبت عليكم المال الغامر والشهرة العريضة فى مصر وفى العالم العربى كيف سولت لكم أنفسكم ان تسوموها هذا الهوان وان تلبسوها هذا العار الذى تكسونها به فى أفلامكم .

المنتجون يريدون أن يثروا ... ألا سبيل الى الثراء الا بيع هذه المادة التى تعتبر المخدرات بالنسبة اليها شرفا .

والمخرجون توقفوا - لا شك - عن ابداء رأيهم فى الموضوعات التى يطلبهم المنتجون لاخراجها فهذا الذى بليت به السينما المصرية من المستحيل أن يكون قد مر على رأى فنى أو أنعم فيه النظر انسان على جانب مهما يكن هزيلا من الفن أو الخبرة .

وكتاب السيناريو مصيبتهم أعظم وأشد هولا ، فقد رأيت فى مقدمة هذه الأفلام أسماء أعرفها تمام المعرفة وبعضها أعد لى أعمالا فى السينما أو فى التليفزيون وأنا أعرف قدراتهم بل اننى واثق أن أذواقهم الفنية ومواهبهم تستطيع أن تقدم أعمالا مشرفة والبعض منهم كتاب قصة وموهبتهم القصصية لامعة فكيف ارتضوا لأنفسهم ولمواهبهم ان تمتهن على هذه الصورة الشائهة الفادحة الاذلال .

أنا لن أقبل قالة منهم أنهم يحتاجون للمال فالفن للفنان عرض وليس يرضى أحد أن يبيح اسمه للمهانة فى سبيل أى شىء وأنا لا أنسى الحديث « طالب القوت ما تعدى » ولكننى أعرف من خاصة أمرهم ما يجعلني واثقا انهم ليسوا طلاب قوت فالقوت موفور لديهم بمرتباتهم الثابتة على الأقل وبأعمال أخرى شريفة يقومون بما فهم اذن طلاب رفاهية وسيارة فارهة بدلا من سيارة رخيصة وعيش بالغ الرفاهية بدلا من عيش عادى ولا بأس بهم أن يسعوا الى هذا النوع من السيارات والى هذه البلهنية من العيش ولكن حتم عليهم أن يسعوا سعيهم هـذا بشرفهم وبالمحافظة على كرامة أقلامهم وأسمائهم فلئن يكونوا شرفاء ويأكلوا الطعام الشعبى الذى يعرفه الشرفاء خيرا من أن يركبوا أفخم مركب ويطعموا أدسم طعام ويدفعوا شرفهم ثمنا لهذا المركب وذلك الطعام .

واننى أبشرهم منذ اليوم أن دولة الحضيض التى اختاروها مسبحا لأقلامهم ما تلبث ان تزول ويومئذ سينظر اليهم الناس نظرتهم الى كل الذين واللواتى باعوا الشرف وتاجروا بالأعراض وقد يتخفى تاجر العرض عن الأعين ويمارس عمله فى ستار من الجدران أما هم فهم يتاجرون بأقلامهم وبشرفهم على ملأ الناس علانية بلا أى ستار ·

وقد يظن القارىء اننى قسوت على كتاب السيناريو والحوار أكثر من قسوتى على غيرهم ونعم قد فعلت فانى الى هذه الفئة أنتسب ولست أرضى لنفسى أن أنتسب الى قوم فيهم مثل هؤلاء ·

ان الأفلام التى أشاهدها ليس فيها سيناريو ولا حوار انما بها هرج وتهريج وحروف لا تكمل لفظا والفـاظ لا تؤدى معنى وجمل تتنـافر ولا تتصل يشرف منها بعض ويغرب منها بعض آخر فى محاولة سمجة للاضحاك ولا تنال الا القرف والسخط والحسرة على ما تأدت اليه سينما الدولة العربية الأم مصر ومرة أخرى يا غوثاه يا غوثاه يا غوثاه !

الأهـــرام ١٩ فبراير ١٩٨٤

لو اتحد المسلمون

ما جرأت روسيا الملحـــدة على غزو افغانستان

ان القرار الذى أصدره المؤتمر الاســلامى بدعوة مصر لحضــور الاجتماعات قرار سياسى رائع أعاد الأمور الى نصابها ٠٠ الا اننى أعتقد والشعب المصرى جميعه معى اننا كنا دائما نحضر اجتماعات المؤتمر ٠٠ وكان يمثلنا فيها كل ملك أو حاكم أو رئيس من ملوك وحكام ورؤساء الدول الاسلامية عربية كانت أو كانت آسيوية أو أفريقية ٠٠

وقد كانت مصر بكل مشاعرها مع أحداث العالم الاسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها لم تغب لحظة عن هذه الأحداث ولم تنكص يوما عن ابداء رأيها فيها ٠٠ فان أى أمر يشغل العالم الاسلامى من شأنه أن يشغل أكبر دولة اسلامية ٠٠ فهى الأخت الكبرى فى الدول الاسلامية وصلة الدين صلة رحم ٠٠ وهيهــات لصلة الرحم أن تعرف القطيعة أبدا أو تعترف بها ٠٠

ولعل أبيات البحترى التى قالها حين رأى قبيلة يقتتل بنوها هى أجمل ما فى الشعر العربى فى هذا المضمار يقول البحترى :

شواجر أرماح تقطــع دونهـــا   شواجر أرحام ملــوم قطوعهـا
اذا اشتجرت يوما فقاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

وها نحن المسلمين نرى الدول الاســلامية تشتجر أرماحهـا ٠٠ أما الأولى بنا أن نقول تشتجر مدافعها وصواريخها وطائراتها وقنابلهـا وتفيض الدماء وتفيض الدموع فان كل دم يسيل لابد أن تسيل معه دموع من أب أو أم أو زوجة أو ابن أو أخ أو أخت أو منهم جميعا ٠٠ ولا يتذكر المحتربون آصرة الاســلام فيكفون أسـلحتهم عن الانطلاق ودماؤهم عن الانهمار ويكفكفون الدموع التى أصبحت أنهارا أو بحارا ٠

وتأبى ايران الصلح وترفع علم الاسلام على جبروتها وتقطع صلات الرحم والاسلام متناسية قوله تعالى «لهم دار السلام عند ربهم» الأنعام ١٢٧ وقوله تعالى « يوم الخلود » ق ٣٤ ٠

« دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » يونس ١٠ وقوله تعالى « والله يدعـو الى دار السـلام » يونس ٢٥ وقوله تعالى « والله يدعو الى دار السلام » يونس ٢٥ وقوله تعالى « ادخلوها بسلام » .

بل نسوا قوله تعالى « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام » الحشر ٢٣ واذا كانت هذه أوامر الله للمسلمين مع أعداء الاسلام فما ظنك ان كان العدو دولة مسلمة ..

ولو أن المسلمين اتحدت كلمتهم وتوحدت صفوفهم ارتاب صدعهم وتجمع شتاتهم لارهبوا عدو الله وعدوهم مسلما كان هذا العدو أو كان كافرا ملحدا على غير ولا ملة ، ولو كانوا كذلك ما اجترأت روسيا الملحدة أن تغزو أفغانستان المسلمة المؤمنة الشامخة الأبية ولكن وويل لها ..

الأفغانى الذى لم يمد اليها يدا بعدوان وانما هو الجشع وما يظنون أنفسهم عليه من قوة ويقف الشعب الأفغانى قليل العدد والعدة فى وجه العملاق الكثيب صاحب القنبلة الذرية وعدو الله فيقهر كيد ويرد مكره ..

ولو أن الدول الاسلامية تكاتفت مع أفغانستان لازدادت قوة بالسلاح مع قوة الروح السامقة التى تحارب بها المعتدين ..

وأعجب وما أظنك الا عاجبـا معى من دول تدعى الاسـلام توثق أواصرها بالدولة الباغية وتستمدها السلاح لا لشىء الا لتتشدق انها تملك السلاح أو لتعتدى بها على دول ضعيفة بغير حق .

وان الخطوة التى خطاها المؤتمر الاسلامى نحو عودة مصر الى مقعدها هى البشير لنا ان الدول الاسلامية عرفت اليوم أن عزتها فى وحدتها وان منعتها فى تجمعها وان شموخها فى ائتلافها وانها منذ تفرقت بددا هانت وضعفت ودب الخلاف بين ربوعها فى زمان تستطيع فيه أن تفرض ارادتها بما حباها الله به من موارد طبيعية وباتجاه العالم اليها كدول صاحبة نفوذ مؤثر فى العالم أجمع .

وقد فرض الله الحج الى الكعبة المشرفة ليعرف المسلمون على اختلاف أقطارهم انهم أمة واحدة يجمعهم أول بيت وضع للناس بيت الله بمكة المقدسة فليس الحج مجرد شعيرة من شعائر الاسلام وانما تجمع من فرقة ووحدة من شتات ولقاء من تباعد وانهم حين يطوفون ليسوا أفرادا ولا هم أمما وانما هم فرد واحد وأمة واحدة اسمها الاسـلام وكيانها الاسـلام وشعارها لا اله الا الله محمد رسول الله وأكرم به من شعار .

المسـاء ١٩٨٤/٢/٢٠

الثوب المرقع

أرى الوفد الجديد يقبل فى ثوبه الجديد كل لون وكل نحلة وكل رأى ٠ والذى نعرفه عن الديمقراطية ان كل حزب فيها يمثل رأيا معينا واضح المعالم بين السمات لا تخطئه عين ولا يختلط الأمر فيه مع الأحزاب الأخرى ٠

واذا كان الوفد جديدا حقا لرأينا الجدة على ثيابه ٠ ولكننا نرى فيه ثوبا قديما يحاول ادعاء التجديد برقع شتى ٠ كل رقعة لها نسيج خاص بها ولون يختلف كل الاختلاف عن الرقع الأخرى ٠ والبناء الأساسى للوفد الجديد ليس جديدا ٠ فمعالى رئيسه هو هو سكرتير عام الوفد القديم ٠ والنجوم الساطعة التى تحيط بها هى ما تبقى من الوفد القديم ٠ ففيم اذن يختار حزب الوفد لفظ الجديد ليعبر به عن الاسم الذى يحمله شعارا له ٠ اللهم الا ان يكون هذا تهربا من الحظر الذى يمنع الأحزاب القديمة أن تعود الى نشاطها ٠ فالوفد اذن ليس جديدا وانما هو قديم ٠٠ قديم لا شك فى قدمه ٠ وما دام الأمر كذلك فاننا نسأله بكل اخلاص أن يكون جديدا فى تصرفه وفى ممارسته للحياة الديمقراطية اذا كان قد عجز ان يجد اسما جديدا له ٠

نسأله ألا يفكر فى ممارسة الحياة الحزبية الجديدة بالروح التى كان يمارس بها نشاطه فى الحياة الحزبية القديمة ٠٠ تلك الروح التى كانت من أقوى الأسباب التى أدت الى الكوارث التى تلاحقت على مصر وجعلتها اليوم تنوء بالحمل الملقى على كواهل القائمين بأمرها ٠

فلينسى الوفد الجديد الوفد القديم ٠ وليطالعنا منه شرف القصد وشرف الخصومة ٠ ونزاهة اليد وطهارة الذمة ٠

ولا بد أن تبدو علامات تبشرنا بهذا الروح الجديدة ٠ ولكن العلامات ــ للأسف الشديد ــ لا تنبىء عن هذا ٠٠

فاننا حين نرى الوفد يقبل بين طياته أقصى اليسار وأقصى اليمين ندرك انه يبحث عن الأغلبية من أى سبيل فعل المرابى يبحث عن المال ولا يسأل عن مصادره ٠

ولا يستطيع أحد أن يتصور كيف يندرج فى أسماء الحزب من يمثلون الشيوعية والتطرف الدينى فى وقت معا ٠

ولا يستطيع أحد أن يتصور أن يقبل الوفد بين طياته الذى يحس انه طريد عدالة أو محاطا بسمعة غير طيبة ٠ فهو يسارع بترك الحزب الحاكم ويلجأ الى حزب معارض ليستطيع بعد ذلك أن يدعى انه لم يقدم الى المحاكمة الا أنه ترك حزب الأغلبية الى حزب المعارضة ٠

فالمفروض انه لا حماية لأحد فى مواجهة القانون ويد القانون حرة كل الحرية لا يقيدها الا الحق ومواد القانون ذاته وليس يعنى القانون أن يكون المخطىء فى حزب الحكومة أو فى حزب المعارضة ٠ ولهذا رسموا العدالة معصـــوبة العينين لأنهـــا لا ترى المتقاضين ولا تريد أن تعرف أشخاصهم وانما يهمها فقط أفعالهم ثم تحكم بعد ذلك بالبراءة أو بالادانة ٠

وبعد فاننا نناشد الوفد قديما كان أو كان جديدا ان يرتفع بمستوى المعارضة ٠ فالأمل معقود عليه فى هذا المضمار ٠ وبالمعارضـــة تكتمل الديمقراطية ولا ديمقراطية بلا معارضـــة ٠ ولكم أخشى أن يدخل الوفد الجديد أو القديم الى مجلس الشعب بتكوينه هذا ثم تتفجر من داخله حقائق هؤلاء الذين تأكدوا أنهم لا سبيل لهم الى مجلس الشعب الا من باب حزب الوفد ٠ فهو الحزب الوحيد اليوم الذى يمثل أملا فى المعارضة ولا أحسب ان الأحزاب الأخرى سيكون لها شأن بجانبه ٠

وانى لأرجو أن يقدر حزب الوفد هذه المسئولية ويقوم بعبئها ناظرا الى مصلحة الوطن وليس الى مصلحة الحزب وانى واثق انهم يعلمون انه على المدى الطويل تتوافق مصالح الوطن مع مصالح الحزب أما اذا مال الحزب عنى هذه الغـــاية فما يلبث مريدوه أن يشيحوا عنه وينصرفوا أسفين ٠

مايو ٢٠ فبراير ١٩٨٤

الغاب أكثر رحمة

ويقولون امنعوا فيلم السادات وقاطعوا الشركة التى أنتجته · أى فرية هذه التى يفترون · وهل أساء فيلم السادات الى مشاعر المصريين جزءا على مليون مما يسىء أى فيلم مصرى من انتاج السنوات الأخيرة الى مشاعر المصريين والى قيمهم والى أبنـاء مصر من مختلف نحلهم ومهنهم وأعمالهم.

هل استطاع أى انتاج خارجى وان كان صادرا عن أشد البلاد عداء لمصر أن يجعل المصريين جميعا بلا خلق ولا قيم ولا شرف ولا أى شعور بالمسئولية أو بالأمانة هيهات ··

انك ان رأيت – لا قدر الله لك ترى – فيلما من هذه الأفلام لوجدت رجال مصر جميعا فى حضيض من السفالة ماله من قرار ·

هل اجترأ أى عـدو لمصر أن يرسم قضاة مصر جميعا من الفجرة المراهقين التافهين · يساومون المحامين ويسجنونهم ويميلون مع الفتـاة الجميلة ويسكتون غيرها هل استطاع أى عدو لمصر أن يسخر من منصة القضاء مثلما سخر الفيلم المصرى ·· هيهات ·

هل استطاع أى عدو فاجر زنديق من أعداء مصر أن يجعل المحامين فى مصر نصابين لصوصا محتالين يتاجرون فى المخدرات والعملات المزيفة هل تجرأ عدو لمصر أن يجعل المحامين مراهقين حقراء لا تفكير لهم الا فى الجنس يمارســـونه ويشجعون عليـه أخواتهم البنات ويبيعون أولئك الأخوات بيع سماح من أجل احتيال فى قضية · هل تجرأ عـدو سافر العداء أو دفينه أن يصنع هذا بقضاء مصر الواقف ·· هيهات ·

ان القضاء الذى جلس على كرسيه عبد العزيز فهمى وسعد زغلول ومن تبعهما بعدل واحسان الى يومنا هذا كان دائما لا يحظى عند أعداء مصر الا بكل اجلال أو تقديس ·

وان المحاماة التى مارسها عبد العزيز فهمى وسعد زغلول ووهيب دوس وتوفيق دوس ومرقص فهمى والهلباوى وأحمد رشدى ومحمد على علوبة وأحمد على علوبة ومصطفى مرعى ومكرم عبيد وغيرهم وغيرهم كثيرين

لا يحصيهم العد ومن تبعهم بشرف وأمانة الى يومنا هذا كان دائما ولا يزال موضع كل اجلال وتقدير عند أعداء مصر بله أصدقائها .

ولكن تعالوا فانظروا ماذا صنعت به السينما المصرية اليوم هل استطاع أي عدو لمصر أن يجعل فن مصر الأسمى فى الموسيقى طبالا وراقصة فليس بمصر اذن محمد عبد الوهاب ولا من قبله سيد درويش ولا الاعلام الكبار فى فن الموسيقى التى يرددها العالم العربى وغير العربى. انما الفن الموسيقى فى مصر ليس الا الراقصة والطبال .

هل استطاع أى عدو لمصر أن يجعل جميع الأغنياء فى مصر لصوصا سفاكين للدماء أكالين للسحت . يمتصون أموالهم من دماء البشر وينفقونها ان انفقوها على الجرائم وهتك الأعراض والملذات الحقيرة واللهو الفارغ ولعمرى كيف يتاح لهم الوقت ان يحافظوا على ثرواتهم التى هى ثروة مصر اذا كان وقتهم جميعه مستنزفا فى هذه المباءات الحقيرة التى يصورها الفيلم المصرى فى أيامنا هذه المقفرة من كل حياء ولا أقول ــ لا قدر الله ــ ثقافة .

هل استطاع أى عدو لمصر أن يجعل فقراء مصر جميعا قتلة لصوصا مخدورين لا حياة لهم الا بالحشيش أو بالمورفين أو بغيره مما لم أكن أعلم من أسمائه شيئا الا ما ثقفنى به الفيلم المصرى وما نسيته والحمد لله .

هل استطاع أى عدو لمصر أن يجعل المعامل الدوائية عندنا أوكار جريمة يضيع فيها الشريف ويثرى فيها كل حقير يعتدى على جميع الحرمة ويقتل النفس البشرية وكأنه يريق كوب ماء على رمال .

هل هناك عدو لمصر مهما تكن عداوته تجاسر يوما وجعل كل صلات الأخوة والبنوة والأمومة والأبوة والعمومة والخؤولة مهتكة لا قيمة لها ولا معنى وانما جميع الانسان فى مصر وحوش ضارية لا تكرم صلة رحم ولا مودة قربى ولا ايناس بينها ولا طمأنينة .

الغاب بأشجاره القائمة وطرائقه المغلقة ووحوشه الضارية وزواحفه السامة اذا قارناه بسينما مصر الحالية أمان وسكينة ومرحمة وهدوء نفس وراحة بال .

لا خوف على مصر من أعدائها .. ما كان أهونهم .. وما أهونهم اليوم .. انما الخوف عليها ممن يدعون انهم أصدقاؤها المدافعون عن حرماتها فى هذه الأفلام الكوارث التى يذبحون بها كل كريم نبيل فى حياتنا .

لقد تطاولت الألسنة فى أزمنة كثيرة من تاريخنا ولكن ما أكـرم ما قاله الأعداء اذا نحن قارناه بما يقوله عنا هؤلاء الذين يدعون أنهم من أبناء مصر كذبوا فما هى بأمهم ولن تكون ٠

ليست مصر أما لمن يبيع كرامتها بيع السماح ليثرى بمال أبنائها ٠ وليست مصر أما لمن يذبح قيمها وتاريخها ليبيع الدماء فى سوق الغوغائية والجهل فى غيبة من الثقافة والعلم ٠

ليست مصر أما لمن يقول عنها ان كل الموظفين فيها مرتشون ٠ وان المحامين لصوص وان القضاة فجرة وان الأطباء محتالون وان العلماء تجار موت ومخدرات لا ، ولا مصر أم هؤلاء الذين يمنحونهم الجوائز ويصفقون لهم ويطبلون فى غيبة عقولهم عنهم ٠

ان الذين يمنحون الجوائز لهؤلاء يقيمون الأفراح حول العجل الذبيح ولو أنعموا النظر لتبينوا انهم هم هم أنفسهم العجل والذبيحة ولكنهم فى جهلهم يعمهون « زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » ٠٠ صدق الله العظيم ٠٠

الأهـــرام ١٩٨٤/٢/٢٦

الحزبية والمبدأ

لابد لكل حزب من برنامج . وقد كانت لأحزاب ما قبل الثورة جميعها مبادىء . وقد قدر لى أن أقرأها جميعا . وكانت كلها برامج رائعة تقوم على أسس عظيمة رائعة . وقد كان أهم شىء فيها هو التخلص من الاحتلال الأجنبى . وكما كانت الأحزاب متفقة على هذا المبدأ كانت أيضا توشك أن تكون متفقة على أغلب المبادىء الأخرى . وكانت الأحزاب تهدف الى الارتفاع بمستوى الفلاح والعامل وتدعو الى التقدم الحضارى فى جميع مرافق الدولة . ولم يكن هناك خلاف جوهرى بين الأحزاب بعضها وبعض .

ولكن الخلاف بين هذه الأحزاب لم يكن فى المبادىء وانما كان فى الأشخاص . وكان لكل حزب رجاله المتحمسون له . وكانت بعض الأحزاب ترعى الله وهى تكافىء أنصارها وكانت أحزاب أخرى تعطى بغير حساب .

ولكن اليوم الأمر مختلف كل الاختلاف . فقد تم الجلاء ولم يعد المبدأ الأساسى الذى كان أهم ما تسعى اليه الأحزاب قائما .

وأحسب أن أحزاب ما قبل الثورة لو بقيت الى يومنا هذا لغيرت برامجها جميعا ولأصبح لكل حزب لون خاص به يتسم بصفات مميزة . وليس من الحكمة أن يكون الفارق بين الأحزاب بعضها وبعض كبيرا وانما لابد على أية حال أن يكون لكل حزب مبدأ وبرنامج واضح .

فالحزب الديموقراطى والحزب الجمهورى فى الولايات المتحدة الأمريكية كلاهما قريب من الآخر ولكن يظل هناك بينهما اختلاف ليجعل لتكلتهم الحزبى معنى .

وحزب العمال وحزب المحافظين فى انجلترا يبدوان لأول وهلة وكان الخلاف بينهما كبير واسع لا حدود له بينما الحقيقة أن العمال ينالون فى حكم المحافظين من الميزات ما لا ينالون مثله فى ظل حزب العمال .

واليوم وقد اخترنا القائمة نظاما لانتخاباتنا لابد أن يكون لكل حزب سيتقدم الى جمهور الناخبين برنامج واضح المعالم بين السمات .

وليس من الحكمة أن يكون برنامجا مفصلا طويلا بل تكفى القواعد الأساسية التى يدين لها الحزب حتى يعرف الناخب لماذا ينتخب هذه القائمة ويترك تلك ·

وأعتقد انه كلمـــا كان البرنامج قليل الكلمـــات كان أقرب الى الجمهور ·

ان كل فرد من أفراد الشعب سيجد نفسه فى الخطوط العريضة التى اختارها الحزب بنفسه فان رضى الناخب عن المكان الذى وضعه فيه برنامج الحزب اختار قائمته فى غير تردد ·

ولكن ينبغى بعد هذا أن يكون هذا البرنامج دستورا للحزب لا يميل عنه ولا يحيد قيد أنمله · فاذا أراد أن يغير فيه فلابد له أن يرجع الى نوابه الذين يمثلون الناخبين الذين انتخبوه من أجل هذه المبادىء ·

ولهذا كان انتخاب القائمة رائعا · فالناخب للقائمة يختار المبدأ لا الشخص · فالشخص زائل والمبدأ يبقى ·

وحينئذ يتم ما تقول به الديموقراطية أن وظيفة الناخب تنتهى عند صـــندوق الانتخاب · ووظيفـــة النائب لا تكون الا بين جدران المجلس التشريعى · فاذا عاون عضو المجلس التشريعى أبناء دائرته فى أمر من أمورهم فان هذا سيكون من مدخل الصلات الاقليمية وليس من مدخل النظر الى الانتخاب ·

وهكذا يصبح الناخب نائبا عن مصر جميعا وليس عن دائرة بذاتها ويشعر الناخب أن نائبه يصدر فى رأيه عن المصلحة العليا للبلاد فترتفع مكانته عنده وهكذا يطمئن الناخب أنه اختار القائمة التى تعود على الوطن جميعا بالخير والنفع والرفاهية ·

مايو ٢٧/٢/١٩٨٤

حديث الصباح

من أجمل الحوارات التى قرأتها ذلك الحوار القصير غاية القصر البليغ كل البلاغة بين اثنين من العرب ٠

قال أحدهم ٠ والله ما أبالى مدحنى الناس أم ذموا

فاجابه الآخر ٠ استرحت من حيث تعب الكرام

والى هنا وينتهى الحوار ٠

والكرام هنا ليسوا أولئك الذين يجودون بالمال فحسب انما هم أولئك الذين يكرمون أنفسهم عن المذلة والهوان والذين يجعلون الحياة حولهم جديرة أن تعاش ٠ والذين اذا عاهدوا أوفوا بالعهود ٠ والذين يقصدهم القاصدون فيجدون سهلا ومرحبا فى اللقاء ٠ واستجابة عند الرجاء ٠ فهم الموطأون أكنافا ٠ الباذلون لقصادهم ابتسامة يتعلق بها أمل الآملين ٠ والذين يسارعون الى الخير لأن الخير يسرى فى دمائهم فهم يصنعونه عن طبيعة مواتية ٠ وعن سجية مطبوعة ٠ حتى لا يستطيعون أن يقدموا الا الخير والمعروف ٠ والذين هم سلام حيث حلوا والذين هم الملهمون للمديح العربى جميعه ٠ والذين هم العلامات الوضاحة المضيئة فى تاريخ الخلق العربى الأصيل ٠ والذين أرسوا النبالة العربية التى أصبحت مثلا عاليا فهى فى الحياة جمالها وبهاؤها ٠

والرجل الذى قال انه لا يهمه مدحه الناس أم ذموا رجل عزل نفسه عن الحياة وأراد أن يعيشها لمتعته الخاصة ولا شأن له بناسها ٠ فالحياة عنده متعة وبعد عن كل ما هو كريم سامق ٠ ولهذا لخص الآخر الذى أجابه موقفه بقوله استرحت من حيث تعب الكرام ٠ لأن الكرام يكابدون من الحياة غاية المكابدة ٠ فهم يحرمون أنفسهم ليعطوا غيرهم ٠ وهم يختارون السبيل الأقوم وهو أكثر السبل وعورة وعنفا ٠ والحديث النبوى الشريف هو أصدق ما قيل فى هذا المضمار ٠ فحين قال عليه الصلاة والسلام « الجنة حفت بالمكاره » وصل الى أعماق النفس البشرية ٠ فهو عليه الصلاة والسلام يدرك أن الخلق الأسمى يكلف صاحبه الكثير من الجهد ٠

وليس النظر الى مدح الناس هو الذى يجعل الانسان يختار أن يكون كريما • هيهات لأحد أن يرضى الناس أجمعين فهو أن أرضى فئة مهما تكن خيرة سيغضب فئة أخرى قد تكون شريرة ولكنها فئة تتكون من مجموعة من الناس •

والأشرار أصحاب أصوات عالية ولهم قدرة فائقة أن يلبسوا الباطل ثوب الحق • ولهم قدرة أن يجعلوا الخير شرا والايمان كفرا • والشرف هوانا • والكرامة مذلة •

وهم قادرون بما لهم من أعـوان ومريدون أن يجعلوا لنباحهم لحنا ولنعيقهم نغمة • ويستطيعون أن يدعوا أنهم يمثلون أبناء الشعب الكادح والسواد الأعظم من المخلوقات • ومن هذا الذى سيحصى ويفند ما يدعون •

مايو ٢ مارس ١٩٨٤

الأدب والتليفزيون

ما رأيت قوما يعرفون الصواب فهو منهم أقرب من حبل الوريد ثم يعرضون عنه نافرين فى غباء أصيل مثل هؤلاء الذين ينتجون المسلسلات التليفزيونية فهم يتركون الروايات العربية الضخمة الرائعة لكبار كتاب الروايات العربية ويختارون لانتاجهم أبخس الأعمال وأكثرها ضمورا وأقلها شأنا وأهونها فكرا • ولهم فى ذلك حجة مرفوضة هى انهم يحاولون ارضاء الجماهير • والحجة مرفوضـــة لأن المشترين للمسلسلات التليفزيونية انما هى الدول وليس الأفراد والدول ــ لا شك ــ تبحث عن الأعمـــال السامقة لتعرضها على جماهيرها •

والحجة مرفوضة أيضا لأن التليفزيون يستطيع أن يرتفع بذوق الجماهير ، لأنه جهاز فى كل بيت والمشاهدون له يقبلون ما فيه • فان كانت الأعمال الرفيعة هى المعروضة عليهم فانهم سيقبلون عليها ربما بشيء من التحفظ أول الأمر ثم ما يلبث ذوقهم ان يرتفع فلا يقبلون الا الأعمال الفنية السامقة •

وأنا لا أدرى وما أحسب أحدا يدرى من الذى سمح لهؤلاء المنتجين أن يرموا الشعوب العربية بالسخافة والجهل وفساد الذوق •

قد يكون مقبولا من منتجى السينما أن ينافقوا المشاعر الوضيعة فى الشـــباب ليستجدوا منهم ثمن التذكرة • ولكن هذا غـير مقبـول فى التليفزيون فان شاشة التليفزيون هي جزء من الأسرة وثيق الصلة بكل أفرادها ثم هى ليست وسيلة للتجارة مع أفراد وانما المشترون دائما دول عربية أو اسلامية لها من أصالة دينها ومن تقاليدها ومن خلقها حدود وعصمة •

فالمنتج التليفزيونى مرتبط بهذه الأصول ولا يجوز له ما تفلت به المنتجون للسينما من مجون واعتداء على كل ما هو شريف ونبيل فى مقومات حياتنا •

وليس يجوز فى العقول أيضا أن يقبل هؤلاء المنتجون دولا كانوا أم أفرادا أو شركات على الأعمال التى لا تفكر الا فى التسلية وقتل الوقت قتلا ساذجا أهبل دون أدنى محاولة لازجاء فكرة رفيعة أو خلق نبيل أو

معنى شريف · لا شيء الا أن يجلس المتفرجون أمام الشاشة فاغرة أفواههم بلهاء نظرتهم جاحظة عيونهم · تخفق منهم القلوب وتجرى الدماء وتعمل كل أعضاء جسومهم الا العقول التى تجد نفسها فى غير حاجة الى العمل ·

وفيم تعمل والذى يعرض عليها لا يخاطب العقول وانما يخاطب فضول الانسان وتشوقه ان يصل الى آخر القصة ·

وفيم تعمل العقول وهى واثقة أن الذى يعرض عليها حين تكتمل أحداثه لن يكون له معنى يحتاج الى أعمال عقل أو فكر ·

كنت أحسب أن التليفزيون سينتهز هذه الفرصة التى أتاحها له تعلق الانسان بالمسلسلات ليقدم لهم روايات كل كتاب العربية الجادين لا الهازلين · القائلين قولا رفيعا ولا الذين يداهنون غرائز الحيوان فى الانسان ولا الذين يخاطبون سذاجة الطفولة فى الكبار ·

والروايات العظيمة وحدها تتجاوز المئة عددا اذا نحن أحصيناها منذ ظهرت زينب لأبى القصة العربية الدكتور محمد حسين هيكل حتى اليوم ·

وحين تفرغ هذه الروايات ما البأس بنا ان نميل الى الأدب العالمى فنختار منه ما شاء لنا الاختيار · نعرب ما يجمل به التعريب ونترجم الجدير بالترجمة ·

واذا انتهت كل هذه الأعمال سيكون الذوق الفنى قد ارتفع وسيكون الأدباء الشباب قد بدأوا يقدمون الروائع · ويصبح المنتجون فى كل ما يقدمون أدوات بناء ورفع للأذواق واعلاء للفن السامى ولا يمسون أدوات هدم وافساد للأذواق واعتداء على كل ما هو نبيل فى حياتنا ·

وحين يجىء هذا اليوم سيجد المنتجون للسينما أنفسهم مضطرين الا يقدموا هذا الغثاء الرخيص الذى قضوا به على صناعة السينما فى البلاد العربية لأن الجماهير التى يحتجون بها اليوم ستكون قد عرفت السمو كيف يكون والفن كيف يتألق والمعانى الرفيعة فى الحيـاة التى لا يصبح فنا الا بها ·

وان تكريم الأجيال للأدباء لم يأت عفو خاطر من الأزمان وانما هو وليد شعور عميق ان هؤلاء الأدباء والكتاب انما هم مشاعل النور فى جنبات التاريخ والبلاد ·

وحين قال تشرشل يوما ان الامبراطورية البريطانية لا تفخر بشىء قدر فخرها بأنها أخـرجت شـكسبير لم يكن أحمق أو مأفونا وانما كان سياسيا خبر الدنيا وخبرته وعرف أين يكمن سر العظمة فى الأمم · انه لا يتمثل فيما أصابت الدولة من انتصارات حربية وانما هو فيما انتجت

الدولة من فن وعلم . وما لبثت الأيام ان أثبتت ان تشرشل قد أصاب بقوله مفصل الحق . فقد زالت الامبراطورية البريطانية . ولم يبق منها الا دولة من الدرجة الثانية وظل شكسبير هو شكسبير يزداد فى كل يوم تألقا وعلو قدر .

ترى أيفهم القائمون على شئون التليفزيون فى الدول أو شركات الانتاج السبب الذى جعلنى أسوق هذا الحديث عن الأدباء والفنانين .. أرجو ذلك .

الأهـــرام ١٩٨٤/٣/٤

الحــرية والفــوضى

تعودت الأحزاب الشيوعية فى كل بقاع الأرض التى تدنسها أن تدعو الى الحرية وترفع عقيدتها بتمجيدها حتى اذا أتيحت لها قتلتها شر قتلة وقضت عليها القضاء المبرم ٠

ويوم يتمكن الشيوعيون من الحكم تكون الحرية هى القتيل الأول فى قائمة قتلاها تلك القائمة التى لا تقف بها نهاية الا أن يزول الحكم الشيوعى نفسه ٠

ونحن لا ننسى يوم ثارت المجر فاذا الدبابات تسحق الأجساد البشرية من كل المجريين لا تعفى العجائز من النساء اللواتى لا شأن لهن بالسياسة ولا بما يطالب به الأحرار من أبناء البلاد ولا تعفى الدبابات الأطفال على أكتاف أمهاتهم أو أولئك الذين ما زالت خطواتهم تتعثر بهم فى المسير وتسفر المعركة بين السلاح الروسى الفتاك وبين الشعب الأعزل الذى هب يطالب بالحرية وليس له من سلاح الا ايمانه بما يطالب عن قتل مئات الألوف من المجريين ويضطر الثائرون أن يكتموا أصواتهم ، سلاحهم الوحيد ولا تخجل المعلقة الاذاعية السوفيتية أن تقول لملأ العالم ٠ نعم ان القتلى كانوا كثيرين ولكنهم الفئة الفاسدة التى لابد لها أن تقتل حتى ينعم الشعب المجرى بجنة الشيوعية الغناء ٠

فالأطفال الرضع والعجائز من النساء كانوا اذن فئة مفسدة ولكن من يستطيع أن يناقش ٠

وحين حاولت تشيكوسلوفاكيا أن تطالب بالحرية سـارعت اليهـا الأسلحة الثقيلة من خمس دول شيوعية وحاصرت أبنية الحكومة وفرض الحكم الشيوعى نفسه ٠

ومع ذلك نجد الشيوعيين فى كل الدول التى يسمح لهم فيها بتكوين أحزاب يغدقون الأموال على الشباب ويكفلونهم ويضـعون على ألسنتهم مطالب هم يعلمون كل العلم أن الاستجابة لها انتقال من الحرية الى الفوضى التى لا يكون معها ألا الخراب المحقق والانهيار التام لنظام الحكم القائم الذى يمارس الحرية أعظم ما تكون الحرية ٠

حتى اذا أبت الحكومات أن تستجيب لهذه المطالب المستحيلة الرعناء التى لا تدل الا على السفه والخرق والسخف أصبحت الحكومة على ألسنة الشيوعية والشيوعيين حربا على الحرية وأصبحت مستبدة ظالمة ٠

فالظلم عند الشيوعيين يتمثل فى شىء واحد هو منع الفوضى لأن الفوضى هى الطريق الوحيد لهم أن يستولوا هم على الحكم ليطبقوا هم عدالتهم التى تتمثل فى الاعتداء على حياة الناس أجمعين وعلى كرامتهم وعلى أعراضهم وعلى أموالهم وتلك الأخيرة هى أهون ما يفقده الناس فى حكم السفاحين من الشيوعيين ٠

والشيوعية فى سبيل نشر الفوضى فى البلاد الحرة تتحالف مع كل الأحزاب المعارضة حتى ولو كانت هذه الأحزاب تمثل القمة العليا من الرأسالية وتمثل التعصب الدينى العنيف فكل شىء مباح عند الشيوعيين فهم ــ والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ــ لا خلق لهم ولا شرف ٠

وكيف ننتظر ممن ينكر وجود الله وهو الله أن يكون صاحب عهد أو ميثاق ، أو كيف تأمل أن تجد عند قوم لا انتماء لهم لأوطانهم وهى اوطانهم شيئا من خلق أو بقية مهما تكن هينة من شرف ٠

ولكن الشيوعيين يخادعون الله ويجهلون انه خادعهم ويجهلون أنهم مهما يرفعوا من شعارات لن يصلوا الى مآربهم الوبيل ٠ فالناس يعرفون ما يبيتون لأوطانهم من شر ٠ وما يحاولون أن يمكروا به لشعوبهم ٠ وهم لم يقرأوا القرآن والا لعلموا أن الله سبحانه هو خير الماكرين ٠

مايو ١٩٨٤/٣/٥ ٠٠

أدركي مصر يا مصر

حين تواجهنا الأفلام المصرية بهذا الهول الآخذ في السقوط . نصيح بأعلى صوتنا ادركوا مصر . الى أي قوم نتجه بصيحتنا تلك . انما نصيح بمصر ان تدرك ما يصنعه بعض أبنائها بثقافتها وبواجهتها فمصر الشعب ومصر الجمهور غير هؤلاء الذين يتصدرون الميادين الثقافية في أرض مصر .

فمصر الشعب . مصر الغالبية العظمى هي الركن الركين للاسلام . الدين راسخ في العميق البعيد من نفوسها . ان من يمر في شوارع القاهرة ذات الألف مئذنة ونيف يرى الشعب في يوم الجمعة وقد ضاقت به هذه المساجد التي زادت على الألف وافترش الناس الطريق العام .

ناس مؤمنون بالله والخلق وبالنبل لأنهم يؤمنون بأنه لا إله الا الله وبأن محمدا رسول الله . ودين التوحيد هذا هو مصدر هذا الخلق .

وما ببعيد عن هذا الشأن المسيحيون من أقباط مصر . فهم بخلق كتابهم السماوي يتخلقون وهم على هديه سائرون وان هدى السماء عندهم هو سبيلهم وهو تقاهم « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

ومصر الاسلام هي صاحبة أكبر أفواج الحجاج الى البيت الحرام وليست مصر هي أكبر الدول الاسلامية عددا .

هذه هي مصر وهذا هو شعبها . ولكن ما هكذا الحال مع الذين يعبرون عن كثير من وجوه الثقافة في مصر .

ليست مصر هي هذه الأفلام الساقطة التي تعرضها شاشات السينما . ولا مصر هي هذه اللافتات المرفوعة على فراغ والتي تحاول أن تجعل الرقص والغناء الغبي سمات مصر الفنية وليست مصر هي هذه الكتب المتهافتة التي تصدر من جهات رسمية عن مصر ولا هي المجلات الشيوعية التي تظهر مدعية أنها تمثل أدب مصر والتي تتولى شأنها البيوت الحكومية في مصر .

وليست مصر هي الغوغائية الثقافية وليست مصر في فنها راقصة وطبالا .

ليست مصر بهذا ولهذا فاننا نصيح أول ما نصيح بشعب مصر ان أرفض هذا الفن الذى يزيفونه باسمك وأحارب هذا الهوان الذى يدلسونه عليك ولا تقبل أنت أيها الشعب هذه الثقافة التى ليست من الثقافة فى شىء والتى يزورونها على العالم بما لك من مكان رفيع فى هذا العالم .

ونصيح بالشرفاء من المنتجين السينمائيين والمخرجين وكتاب السيناريو ان ادركوا فنكم الذى امتهنته فئة منكم ينتسبون اليكم وتنتسبون اليهم . ونحن فى صياحنا نهيب بمن لم يسقط بعد أن أحذر أن يغريك بريق المال باصالة الخلق ويلهيك تجار الرذيلة عن سموق الفن وابائه ويخدعك أعداء وطنك عن حق مصر عليك . فان هذا الهجوم العشوائى على كل كريم أشم فى حياتنا لا يكون الا من أعداء مصر . بل ان أعداء مصر أقل ضراوة من هؤلاء الذين يرفعون علمها ويطعنون عزتها ويعتدون على المشرق الوضاء من وجهها الثقافى .

ونصيح بالقائمين على شئون الثقافة فى مصر فى عجب ودهش وحزن وأسى . أمثل هذه الأفلام تنال الجوائز ويكرم العاملون فيها ونصيح يا دولة احجبى جوائزك عن كل من شارك فى هذه الأفلام التى تعتبر جرائم مستمرة . وامنعى دور العرض ان تعرض هذه الأفلام . فدور العرض التى تملكينها وتحمل أسمك لا يجوز أن تدنسها هذه الأفلام . وأنت يا دولة . دولة ولست تاجرة . ولا يجوز أن يزحزحك المال عن المحافظة على كرامة مصر . فأنت تمثلين مصر جميعا وتتصرفين حين تتصرفين باسم مصر جميعا واذا كانت الرقابة عندك عاجزة أن تعرف الخبيث من الطيب واذا كانت تخشى أن تتهم بالجمود وضيق الأفق . فأنت يا من تشرفين على ثقافة مصر مسئولة ألا يصدر عنك الا كل ما هو سامق شريف . ولقد سمعنا عن الرقابة ورأينا منها عجبا سواء كان ذلك فى السينما أم فى التليفزيون .

أما فى السينما ففى الوقت الذى نرى فيه الرقابة تجيز هذه الأفلام الداعرة المسفة نجدها تتشدد غاية التشدد فى أفلام أخرى تحاول أن تقول شيئا ذا قيمة . وأحسب ان الرقباء يقولون فى أنفسهم الدعارة أهون من الثقافة . والهذر والاسفاف أسلم من الجد الذى فيه شك واما فى التليفزيون فقد رأيت رأى العين كيف تسفح الرقابة كل عمل رفيع ويتجزأ الرقباء والرقيبات من الجهلاء والجاهلات الذين باعدوا بين أنفسهم

وبين الثقافة والفن بكل جهدهم يتصدون للأعمال الكبرى بالمنع فى ادعاء ان هذه الأعمال انما تخفى من وراء نصوصها معانى أخرى غير الظاهر منهـا • بل ويتجرأون وهم الذين لا يعرفون عن الفن الأدبى شيئا على الاطلاق ان يحكموا أحكاما نهائية على ما يتعرضـــون له من أعمال وقد يختلف الرأى حول أى عمل فنى وليس على الرافض بأس أن يرفض دون أن يبدى لرفضه سببا الا أن يكون هذا الرافض مسئولا فانه يتحتم عليه أن يبدى أســبابه ويناقش هذه الأسباب مع الذى قدم العمل الأدبى للاعداد • وتكون النتيجة هذه الأعمال الهابطة من الناحية الفنية غاية الهبوط وان كانت ـ والحق يقال ـ بعيدة كل البعد عما تردت فيه السينما المصرية من دنس وضيع فأفـلام التليفزيون وتمثيلياته أغلبها أقل من المستوى الفنى الحقيقى لمصر • ولكن الأفلام والتمثيليات مع ذلك لا تخدش الحياء قط • ومن حق التليفزيون علينا أن نشيد فعلا بمسلسل الجزار الشاعر • وبفيلم الرجل لذى قال لا • فالأمر فى التليفزيون يمكن اصلاحه ويمكن تدارك الهبوط فيه • انما الفاجعة المتمثلة فى السينما فلابد أن يتصدى لها الشعب والفنانون والدولة جميعا فى وقت معا •

الكاتب ثقة

الكاتب لا يصبح كاتبا الا اذا شعر القارىء له أنه صادق مع نفسه. فالقارىء يعلم أن الكاتب اذا صدق مع نفسه صدق مع قارئه حتى وان كان رأيه مخالفا له ·

والكاتب لا يستطيع أن يكون صادقا مع نفسه الا اذا ألم فى القضية التى يتصدى لها بجميع جوانبها · فلا يسمع من طرف دون طرف · ولا يميل بالهوى مع جانب دون جانب ·

فهناك فارق كبير بين أنواع الكتابة بعضها وبعض · فالكاتب الروائى مثلا يخلق الحدث وأشخاص الرواية ويشكل الأحداث والأشخاص بما يتسق وما يذهب اليه مذهبه فى الرواية ·

والكاتب الروائى يتناول كليات تتسع فتشمل الانسانية كافة · مثل حرية الرأى · وكرامة الانسان · ورفض الحيوانية فى خلق البشر · وغير هذا من الأفكار الكبرى التى لا تختلف من مكان الى مكان ·

وقد يكون مكان الرواية وأشخاصها يحملون جنسية معينة وهكذا تنتسب الرواية فى جنسيتها الى هذا المكان ولكنها فى أغلب الأمر تنتسب فيما تعالجه الى الجنس البشرى أجمع ·

ولكن كاتب المقال السياسى فى الجريدة أو المجلة يتناول مشكلة معينة بذاتها يعرفها قراء وطنه ويريدون أن يعرفوا رأى الكاتب فيها · وهكذا يتحتم على الكاتب الشريف اذا تصدى لمشكلة فى الوطن أن يكون على علم واف بجميع حقائق هذه المشكلة · وليس يجوز له أن يستجيب للدعاية التى تروج حول قضية بذاتها وليس يجوز بالتالى أن يكتب رأيه منافقا الدعاية التى انطلقت فى هذه القضية ·

فليس أعلى الأصوات هو أصدقها · وقد ينشأ خلاف بين أغلبية وأقلية ويكون موقف الأقلية هو الأقرب للعدالة · فكثيرا ما تسيطر المنفعة الشخصية على العدالة والتعقل · ولهذا تمنع التشريعات جميعا أن يحكم القاضى بعلمه · فاذا كان القاضى على علم بالقضية المعروضة عليه ويكون ما علمه قد بلغه بصفته الشخصية وليس بصفته القضائية

امتنع عليه أن ينظر القضية المطروحة على منصة القضاء التى يجلس اليها.
وهكذا يتحتم على الكاتب ومنصبه أخطر من منصب القاضى • لأن القاضى فى أغلب القضايا يحكم فى قضية ينصرف أثرها الى أفراد قليلين. أما الكاتب فانه يخاطب الرأى العام جميعه •

فليس يسوغ أن ينحاز الكاتب فى كل قضية الى الجماعة الأكثر عددا من الجانبين المتنازعين •

وليس من الحتم أن يكون العمال دائما على حق لمجرد أنهم قاموا بمظاهرات وهم الأكثر عددا • وان ما حدث فى لندن فى الانتخابات الأخيرة يدل على أن غالبية الشعب قد ضاقت باضرابات العمال وبكثرة المطالب التى ينهالون بها على الحكومات • وكان هذا الضيق هو السبب الأساسى لنجاح مسز تاتشر فى الانتخابات •

وليس من الحتم كذلك أن يكون التلاميذ والطلبة اذا قاموا بمظاهرات ضد أساتذتهم على حق فان كان الأساتذة أقل عددا فالذى لاشك فيه انهم أكثر ثقافة وعلما •

وانى أكتب هذا وقلبى يفيض مرارة لما قرأته لصحفى كبير أقدره وأحترمه فى قضية تشغل الرأى العام فاذا ما قرأته يميل عن الحق الى محاولة ارضاء الأغلبية • فما هكذا يكون ابداء الرأى لصحفى له ماضيه وله أسمه • فاننى أخشى أن يفقد هذا الكاتب ثقة قرائه وانه اذا فقد هذه الثقة سيفقدها أيضا عند الذين يحاول ارضاءهم • فان الهوى والرغبات الطارئة قليلا ما تبقى ويعود الحق الى النفس ويرتد المنطق الى العقول ويعرف الانسان السوى أنه جانب الحق • وحين يعود هذا الحق الى النفوس ويرقد المنطق الى العقول سيدرك ذو الهوى اليوم أن كاتبه لم يكن يصدقه •

والثقة تتكون فى السنوات الطوال • وتضيع فى لحظة من زمن أو فى كلمة من قلم • والثقة اذا ضاعت أصبحت عودتها ضربا من المستحيل •

فليتق الكتاب الله فى أنفسهم • فاننى أخشى أن يفقدوا فى قفزة رعناء من القلم ما أرسوه فى طريق طويل من ثقة القارىء بهم • فانهم حينئذ سيكونون هم أول الخاسرين وما لخسارتهم يومئذ من علاج •

مايو ١١ مارس ١٩٨٤ ..

قلوب وأقفال

كرم الله الانسان بالعقل وهداه النجدين · ولكن قوما من الناس اختاروا الضلالة ورفضوا الهدى وأقبلوا على الالحاد وانصرفت قلوبهم عن الايمان · ومع الضلالة والالحاد تزوغ الأبصار وتعمى عن كل حق · ويصبح التفكير أحول مضحكا يدعو الى السخرية والرثاء لما صنع هؤلاء البشر بعقولهم وبتفكيرهم · وقاتل الله الغرض فانه يجعل الناس من هؤلاء الناس يقولون فلا يقولون الا لغوا وينطقون فاذا نطقهم هذاء غير مفهوم خير منه الخرس والصمت والبكم ·

هذا ما ثار بنفسى وأنا أقرأ أراء الشيوعيين فى حديث بمجلة الأهالى الشيوعية ·

وانى عارض لبعض أقوالهم ولن أذكر أسماءهم اكراما لهم فهم من قبل وبعد أعضاء فى اتحاد أنا عضو فيه·أو يمكن أن يكونوا أعضاء فى هذا الاتحاد على الأقل قال قائل منهم ان الاتحاد لم يسع حتى الآن الى ضمان أبسط حقوق الكتاب وهو حرية التعبير · هذا قوله · أما حقيقة ما يريد قوله أن الاتحاد لم يسع الى ضمان ما يرونه حقوق الكتاب الشيوعيين فى حرية التخريب وقلب نظام الحكم · أما حرية التعبير فلست أدرى على وجه التحقيق أى حرية يريدونها أكثر من هذه التى يمارسونها · ألا يصدرون مجلة أسبوعية ولو شاءوا لجعلوها يومية أليسوا يطلعون على الناس كل أسبوع بهجوم على كل المسئولين فى مصر أقذع وأفظع ما يكون الهجوم ·

ولكنهم يريدون من الاتحاد أن يصبح أعضاؤه مع الصائحين ويرفعون العقائر بالهول والثبور وعظائم الأمور كلما قبضت سلطات الأمن على مؤامرة تخريبية أو أخرى لقلب نظام الحكم ولو ان المسئولين لم يقدموا المتهمين الى المحاكمة لجاز للاتحاد أن يحتج أما أن تكون هناك جريمة معروضة أمام القضاء فماذا يستطيع الاتحاد أن يفعل واحترام القضاء مبدأ حضارى ان أنكره الشيوعيون تحتم على المتحضرين أن يتمسكوا به فالقضاء هو الأساس الأول فى استقرار الدول ولكن كيف تأتى الشيوعية اذن اذا كانت الدولة مستقرة · ولكن الاتحاد يعرف واجبه وبهذه المعرفة يرعى الناحية لانسانية ويقف الى جانب المتهمين ويقدم لهم

أو لأسراتهم مرتبات شهرية طوال الفترة التى يقضونها فى السجون ينتظرون الحكم أو البراءة ٠

ويقول قائلهم نفسه ان الاتحاد لم يحافظ على حقوقهم الأدبية المضيعة ولو كان هذا القائل على جانب مهما يكن ضئيلا من العدل لذكر ما يعلمه ان الاتحاد استطاع أن يجعل الدولة تعفى الكتاب تماما من الضرائب على كل ما يكتبونه سواء كان المكتوب كتابا أو مقالة أو رواية أو قصة أو مسرحية منشورة ٠

ولو كان القائل على نصيب ولو ضئيل من الحق لذكر أن الاتحاد تمكن من تغيير عقود الاذاعة والتليفزيون من عقود اذعانية الى عقود تضمن حقوق المؤلف ضمانا كاملا لم يكن أحد من الكتاب يتصور أن يصل اليه ٠

ويعمل الاتحاد الآن باشتراك مع المجلس الأعلى لتنفيذ قانون الحصول على حق الآداء العلنى للكتاب ٠

والقائل الذى قال ما قال يعلم هذا كل هذا العلم ولكن على قلوب أقفالها ٠

ويقول القائل تعليقا على أن الاتحاد يسارع الى تقديم المساعدات المالية للأعضاء ويوفر لهم السيارات وخلافه وخلافه هذا بيوت بأكملها يستطيع العضو أن يشتريها بأثمان خيالية ٠

يقول الاتحاد ليس جمعية خيرية ٠ نعم أيها القارىء ان هذه الجملة التى قرأتها حقيقية وأنا لم أخترعها عليه ٠ قال هذا اذن فهو يريد الاتحاد الا العون ولمن ينشد عونه والا يقدم له التيسيرات فى السيارة والبيت وطبعا هو يرفض ما يقدمه الاتحاد من اتاحة فرصة العمرة لأعضائه كل عام ٠ وهو يرفض كل الرفض ما سيقوم به هذا العام من اعداد رحلة حج لمن شاء من أعضائه ٠ والذى يقول هذا انسان بشر يدعى ان المبدأ الذى ينادى به يريد الخير والرفاهية للجميع ٠

ولو أنه قرأ القرآن لوجد فيه تلك الكلمات الخالدة « مناع للخير معتد أثيم » ٠ واذا قرأها فاننى أترك له أن يعرف على من تنطبق هذه الكلمات الخالدة وللآخرين عنده ان شاء الله

مايو ١٩ مارس ١٩٨٤ ٠٠

أمنيات فى شأن الكتاب

نحمد الله سبحانه أن التفت رئيس جمهوريتنا الى مشكلة الكتاب وجعلها الموضوع الأساسى لكلمته التى تفضــل بالقائها فى حفل توزيع جوائز الدولة ٠ ونحمد الله أيضا ان استجابت لذلك مختلف الجهات ٠ وقد كان لى شرف الاشتراك فى مناقشة مشاكل الكتاب فى لجنة الخدمات بمجلس الشــورى وقد دعت اللجنة جماعة كريمة من الناشرين لتعرف منهم ما يلاقونه من صعوبات فى نشر الكتاب المصرى ٠ وشرفت أيضــا بالاشتراك فى الاجتماع الذى عقده اتحاد الكتاب للنظر فى مشكلة الكتاب استجابة لدعوة كريمة من السيد وزير الثقافة وجهها الى اتحاد الكتاب ٠

وأعتقد أن أهم ما ثار فى اللجنة هو القيود الروتينية والرقابيــة والمالية التى تعترض رواج الكتاب ٠

فالناشر حتى يرسل كتابا الى خارج مصر لا بد له أن يمر بالرقابة التى الغيت تماما بالنسبة للكتاب فى مصر والتى ما زالت جاثمة بعنفوان وجبروت على الكتاب اذا حاول أن يخرج من مصر ٠

وتلك عجيبة ٠

كيف يسوغ فى العقول أن يصبح الكتاب بلا رقابة فى مصر ونراقبه أشد مراقبة وهو ذاهب الى بلاد أخرى لها هى رقابتها على الكتب الداخلة اليها ٠ وتقبل هى الكتاب ويظل الكتاب يتخبط بين ثلاثة ألوان من الرقابة فى مصر ٠ رقابة البريد ورقابة النشر ورقابة الأزهر اذا كان الكتاب على أى صلة بالدين ٠

والأعجب من ذلك :

ان الكتاب اذا أجيز وخرجت منه نســخة أو نســختان ثم طلب المستورد الأجنبى الى الناشر أن يرسل كمية أخرى من نفس الكتاب ومن نفس الطبعة الى نفس البلد فلابد أن يعود الناشر الى الجهات التى سبق لها أن أجازت الكتاب لترى فيه رأيها مرة أخرى ٠

وعجيبة أخرى تتصل بالناحية المالية ٠

أن الناشر اذا أرسل الكتاب ولم يصله ثمنه بالعملة الصعبة فى مدى ستة أشهر يصبح مجرما توقع عليه عقوبة جنائية ٠

كيف يقبل المنطق القانونى أن نوقع عقوبة جنائية على فعل لم يرتكبه متحمل العقوبة وانما فعله الذى لم يرسل له الثمن ٠ وواضح أن الناشر هو الذى أضير فعلا نتيجة عدم تسلمه لثمن ما باع ٠ ولا يكتفى القانون بالخراب الذى حل به وقد باع ولم يتلق ثمن ما باع وانما يوقع عليه عقوبة التهريب فهو اذن فى موت وخرا ديار فى آن معا ٠

وقد ناقشت اللجان أيضا فكرة اعفاء أدوات الطباعة والورق من الضرائب الجمركية لجعل أثمان الكتاب قريبة من المعقول ، وكان أهم ما طالبت به جميع المتناقشين انشاء مكتبات عامة فى كافة ٠

أنحاء الجمهورية وفى النوادى الرياضية فى القرى وفى المدن وفى المصانع وفى كل التجمعات الشعبية ٠

وبعد فهل لنا أن ننشد البيت العربى القديم :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

الأهـــرام ٢٢ مارس ١٩٨٤ ٠٠

مصر .. ليست هكذا !

قدر لى ـ لاقدر الله لك ـ أن أرى فى الفيـديو فيـلما لن أذكر من أسماء أبطاله شيئا فاننى أخشى اذا فعلت أن أقيم له دعاية واذا فعلت أكون قد مارست وظيفة لم أمارسها فى حياتى قط ولن أمارسها فى حياتى أبـدا .

ولكنى مع ذلك أجد نفسى مسوقا الى الكتابة عنه لأن كمية التقزز التى واجهتها من هذا الفيلم لا أذكر أننى واجهتها قط فى لحظة من حياتى .

للفيلم مؤلف ولن أذكر حجمه حتى لايصل الحدس الى اسم الفيلم وله مخرج وله أعمال رائعة ولم أكن أتصور أن ينحدر الى هذا الحضيض القذر وللفيلم طبعـا ممثلون ومادمت لم أذكر اسم الفيلم فمن حقى أن أقول أن المؤلف والمخرج والممثلين لم يكونوا فى فعلهم هذا فنانين ولم تكن الممثلات بما صنعن فى هذا الفيلم فنانات وكان كلا الجانبين يمارس صناعة وضيعة علنا يشاهده فى أثناء آداء حرفته سائر النـاس بينما أمثالهم من المحترفين الأصليين يمارسون حرفتهم فى خفية عن الناس .

فالمؤلف اذن والمخرج والممثلون أشد وبـالا على المجتمع من أهـل الحرفة وأدنأ وضاعة وهوانا على أنفسهم وعلى الناس من أبناء المهنة .

وأنا رجل من مصر . عايشت فيها طبقاتها . على مدى خمسين عاما. عايشت الطبقات الفقيرة فى المدينة والقرية . وعايشت الطبقات الموسرة وعايشت الطبقات المتوسطة وعرفت أقواما من شتى المهن ومن مختلف النحـل .

أنا مصرى بكل ذرة من ذرات جسمى وبكل نقطة مهما تكن ضئيلة من دمائى . مصرى بكل شعرة من كيانى . بكل خلجة من خلجات عروقى. وبكل نبضة من نبضات قلبى .

مصرى بالحب وبالحياة فأنا لم أبعد عن مصر فى عمرى كله الا أياما لا تكاد تذكر فى زحام السنين الطويلة . أنا لم أغب عن مصر فى أى مرة سافرت فيها أكثر من أيام لم تكتمل شهرا قط .

لا ليس هذا الفيلم مصر ولا ليس هذا الكاتب مصر ولا هو يمكن أن يكون الا بلا وطن .. ولا ليس هذا المخرج من مصر ولا من بنى الانسان.

كلهم حيوانات تصادف أن تكون فى رؤوسها عقول وأكثرهم فجورا منتج الفيلم الذى أغرى المؤلف بماله ونصب فخاخه للمشاهدين ٠

لهفى عليك يا مصر ٠ ماذا يصنع بك كتابك والذين يدعون فيك أنهم منك وأنهم الى الفن ينتسبون ٠

لهفى عليك يا مصر كيف صوروا المواطنين فيك جراثيم تسبح فى حمأة ملعونة من ابتكار المعاصى ومن سقوط الذات ومن تتويج اللذة الدنسة ملكة على الحياة كل الحياة ٠

لهفى عليك يامصر أهكذا يعرضك أبناؤك على العالم بلا ضمير يردهم أو بقية من كرامة تدفع اعتداءهم على وطنهم ٠ أهانت مصر على أبنائها كل هذا الهوان ٠

والكارثة التى لا مثيل لها أن للفيلم مؤلفا ويعتبره الناس من الكتاب وأن له مخرجا كرمته مصر فى يوم من الأيام ٠

لهفى على مصر وعلى السينما فى مصر وعلى كتاب مصر الذين هم مرغمون أن يكونوا زملاء لهذا الكاتب بحكم المهنة التى يعلنها عن نفسه وتعلنها عنه الجرائد ووسائل الاعلام فى مصر ٠ وأن له قراء وان له ناشرين وانه لزميل للكتاب وان رغمت منهم الأنوف ٠ وانها لراغمة ٠

رب ان كانت هذه السينما التى استقر عليها حالنا فامحقها محقا فلأن تكون بلا فن على الاطلاق خير لنا كل الخير من أن نمارس هذا الطعن القاتل لمصر وللمجتمع المصرى ٠

اللهم ان كانت هذه هى بداية الفن الحر الجديد فاجعلها اللهم النهاية لفن السينما جميعا ٠

وكنت أحسب أن الفن السينمائى اذا تداوله مؤلفون حقيقيون ومخرجون متقنون فانهم بحكم الألقاب التى يحملونها لقب كاتب ومخرج سيرتفعون بمستوى الفن السينمائى ٠

وكذب ما رأيت ما كنت أحسبه حقا

وكذب ما رأيت ما كنت أحسبه حقا وبئس ما رأيت انه فيلم مؤلفه كان مؤلفا الى أن رأيت له هذا الفيلم ٠ ومخرجه كان مخرجا الى أن أخرج هذا الفيلم ٠

ترى هل آن لى أن أفقد الأمل ؟

مجرم وضيع كل من اشترك فى هذا الفيلم ٠ ومجرم أيضا من تستدرجه الدعاية اليه ولا ينصح كل من يعرفه الا يراه ٠

قد رأينا من قبل روايات جنسية .. لا لم تبلغ هذا الفجور .

لقد رأينا عدوانا على مصر بالسلاح واللسان وأقسم أن كل ما شهدت مصر من عدوان أقل شأنا مما يصنعه بها أبناؤها ممن يدعون أنهم كتابها وفنانوها الذين كانوا ينبغى أن يكونوا الأنوار فيها والمصابيح .

ولولا أنهم والحمد لله قلة لكانت مصر اليوم من كتابها وفنانيها فى ظلام .

أى ظلام . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

يا لها من مسئولية

كنت قد كتبت مقالا أقتضى سياق الحديث فيه أن أقول اننى أطفأت سيجارتى ودخلت الى قاعة مجلس الشورى والكلمة عابرة لا شأن لها بموضوع المقال وربما أردت بها أن أشير الى السبب الذى دفانى الى ترك القاعة فى أثناء الاجتماع ٠

وتوقعت أى شيء الا أن يعلق أحد على هذه الواقعة الهينة الشأن ولكننى شهدت عجبا ٠

لقينى كثير من الأصدقاء ولم يعلقوا على شيء من المقال الا على هذه الكلمة بآراء كلها فيها من الرضا ما دهشت له ٠

ثم حمل الى البريد خطابا من قارىء شاب حديث التخرج يقول لى فيه أنه يقرأ كل ما أكتب وأنه يكن لى كذا وكذا مما يمنعنى الحياء أن اذكره ٠

ثم يقول انه غضب على أشد الغضب لقولى اننى أطفأت سيجارتى معلنا بذلك على الملأ اننى مدخن غير متحسب اننى أكتب لجماهير عريضة فيها الشاب والفتى والصبى ٠ وأن هؤلاء يتخذون من أمثالى قدوة ونبراسا وكأننى بذلك أحثهم على أن يدخنوا ٠ والقارىء المعجب الغاضب ساخط على هذا الذى كتبت لدرجة أنه هددنى بأنه يفكر ألا يقرأ لى بعد اليوم شيئا ٠

ولا يحسبن أحد أننى أذكر هذا التهديد مستخفا به ٠ فانه تهديد عنيف من قارىء الى كاتب ٠ فالكاتب يكسب القارىء من العمل المتواصل وبالعديد من الكتابات ٠ ويشقيه كل الشقاء أن يفقد واحدا من قرائه الذين قد ينصرف عنه أحدهم لكلمة عابرة لم يحسن الكاتب وزن أثرها قبل أن يخطها قلمه فالثقة يكتسبها الانسان فى سنوات وقد يفقدها فى لحظة ٠

وأكون مجافيا للحق اذا ادعيت أن خطاب هذا القارىء لم يهزنى هزا عنيفا فانا من هؤلاء الكتاب الذين يظنون أنهم يدركون الأمانة الثقيلة التى اختاروا أن يحملوها يوم اختاروا أن يحملوا القلم ٠ أو يوم تبينوا أن الله اختارهم ليكونوا حملة أقلام ٠

وأنا من هؤلاء الكتاب الذين يظنون أنهم يرعون هذه الأمانة فى كل حرف خطه قلمهم وفى كل عمل فى حياتهم خاصة كانت هذه الحياة أو كانت عامة ٠

فليس الكاتب ـ عندى ـ مجرد قلم وانما هو انسان وراء هذا القلم ولن يقبل القارىء منه ولن يقبل الناس أن يدعوهم الى القيم العليا للانسانية ثم يتردى هو فى مهاوى الفجور والفسق الخلقى والدناءة وبيع الضمير والتلون بكل لـون فى مهانة الأذلاء الصـاغرين المنافقين الذين يؤثرون السلامة على الكرامة والمال على العزة ٠

فان كان هذا ظنى وما أحاول أن أقيد به نفسى وما أجعله ديدنى وسمتى فما الشأن اذن مع كتاب آخرين حملوا القلم ولم يحملوا الأمانة وخطوا الحروف والكلمات على الورق ومشوا فى طريق آخر غـير الذى يدعون اليه أو ينادون به ٠

واذا كنت مع ما حملت عليه نفسى لأربعين عاما حملت فيها القلم لم أسلم من هذا الخطاب الساخط الذى حمله الى البريد من انسان واضح من حديثه انه صادق مع نفسه وانه مثقف قارىء مستقيم العقل واللسان والقلم ٠

فما مصير كتاب آخرين اتخذوا القلم تجارة لا منارة٠ ومورد كسب لا مصدر اشعاع ومجلبة للشهرة من أى سبيل وان كان ثمنها الضمير والشرف والنبالة ٠

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة » ٠ صدق الله العظيم ٠ « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » صـدق الله العظيم ٠

أما الآية الأولى فمن سورة آل عمران وأما الآية الثانية فهى خاتمة سورة البقرة ٠

وأحسب ان انسانا فى العالمين لا يحتاج الى هذا الدعاء قدر ما يحتاج اليه من حمل أمانة القلم ٠

فلا والله ما قصدت أن أدعو الى التدخين ولا والله ما أحسب أن أحدا من الشباب سيتخذ منى نبراسا فان فعل فدعائى الى الله وله أن يختار ما أحسن الله به الى ولا يختار ما غضب به الله على ٠

وأنا رجل لا أذوق الخمر ولا أعتقد أنني أرتكب معصية بل انى واثق انني لا أرتكب عن عمد معصية ما ولكنني بشر أخطىء وأصيب والسجائر واحدة من أخطائي يشركني فيها كثير من الأئمة الهداة الذين نعاصرهم أو الذين سبقونا ولا أقول انها واحدة من خطاياى فأنا أقدر أنها خطأ لا خطيئة . وأنها مكروه وليست معصية . وما يبرأ انسان من خطأ فهكذا البشر .

ولكن الخطيئة التى وقعت فيها والتى أدعو الله أن يغفرها لى اننى أعلنت هذا على الملأ ولولا أننى كاتب قصة وأحب للسرد عندى أن يكون منطقيا واضح المعالم ما أنزلق القلم الى ما أنزلق اليه . وربما يغفر لى القارىء اذا علم أننى مقل فى التدخين الى حد بعيد حتى أن الأطباء لا يرفضون لى أن أدخن فما أمرنى واحد منهم أن أمتنع لأن الكمية التى أدخنها من السجائر قليلة الى حد بعيد . ترى أيصلح هذا اعتذار ؟ .. ما أظن .

اذن فلألتمس العذر عند العفو فهو ميدان قد يتسع للخطايا وما أحسبه يضيق بالأخطاء والله من فوق البشر هو الغفور الرحمن الرحيم.

الأهرام ٢٥ مارس ١٩٨٤ ..

تكملة لحديث

وآخرون قالوا قولا آخر وكل قولهم هذاء وخرافة وسخف • وقد كان جديرا بنا ان نعف بأقلامنا أن تتداول شنأنهم وأن نرقى بعقولنا أن تناقش حديثهم • ولكن لهم جريدة وينشرون بها وأخشى أو يحسبوا هم ـ ولن يحسب غيرهم ـ اننا سكتنا لأن حجتهم ـ لا قدر الله ـ دامغة أو أن رأيهم ـ شاه رأيهم ـ على شيء من صواب •

وانني أدرى كل الدراية أنهم يحترقون أنفسا وقلوبا لأنهم لم يتمكنوا أن يغرسوا أظافرهم المخضبة بدماء الحرية في عنق اتحاد الكتاب •

وان مسعاهم خاب كل الخيبة أن يجعلوا واجهة مصر الأدبية شيوعية حمراء بلون الدماء التي تسفحها الشيوعية في كل دولة أنشبت فيها أسلحتها • فكان آخر ما يسلبون من دماء أختنا المسلمة العربية أفغانستان التي تقف لهم وقفة أسود ضارية ترد عن أرضها الطاهرة دنس الالحاد •

واني أعلم ان اتحاد الكتاب المصري المؤمن بمصريته وطنا وبعروبته قومية وبالله وبالسماء دينا ومعتقدا قد حطم الوعود التي تعهدوا بها للشيوعية العالمية أن يقدموا لها كتاب مصر مكبلين بكبول المادية والالحاد مبتعدين كل البعد عن شرف الدين وعن حب الأوطان • ولكن كتاب مصر لم يمكنوهم أن يحققوا هذه الأحلام الخائنة واستعصوا عليهم في اباء الأحرار وفي عزة من يعرف قيمة الأمانة التي يحملها حين حمل القلم وعرف حقه وربما ـ بل لا شك ـ انقطعت عنهم الأموال التي كانت تنسكب عليهم لهذا الغرض •

فليس عجيبا اذن أن يثور ثائرهم ويعلو خوارهم ويتناثر الزبد من أفواههم غثاء وتفاهة وسخفا •

وتأتي عناوين النشرة الاسبوعية التي يصدرونها باسم الأهالي ـ والأهالي براء ـ اتحاد الكتاب أم جمعية خيرية ـ الاتحاد لا يمثل كل كتاب مصر •

وقد أجبت على السخف الأول • وبقي ان أجيب على السخف الثاني الذي لا يتصور ان يكون هناك اتحاد وكتاب ولا يضم فلانا وفلانا من الأسماء التي ذكرها وهي أسماء أعرف بعضها وهو جدير بأن يكون عضوا

فى الاتحاد ولا أعرف بعضا منها آخرين ولكن معرفتى أو عدم معرفتى لا شان لها بالموضوع • وربما تكون جديرة بالعضوية •

والشيوعى المتحدث يعلم ان هذه الأسماء لم تتقدم لعضوية الاتحاد ويعلم أيضا أن أى عضو يستوفى شروط العضوية لم يقفل الاتحاد دونه الباب قط ولأنه يعرف هذه الحقيقة فهو يقول ان الاتحاد رفض عضوية بعض هؤلاء الكتاب وهذا كذب وأتحداه أن يذكر اسما واحدا من هؤلاء الذين ذكرهم من أصحاب الأعمال الأدبية تقدم الى الاتحاد ورفض ، ويكمل قائلا أن بعض منهم امتنعوا عن التقدم الى الاتحاد ولما كان يعرف انه كاذب فهو يقول ان الاتحاد كان عليه أن يسعى الى هؤلاء ويرجوهم ويحلق فى الرجاء ان يتنازلوا ويتفضلوا ويقبلوا الانضمام الى الاتحاد •

أهناك سخف مثل هذا السخف أيعقل أن تمرغ كرامة كتاب مصر فى الوحل ونجعل اتحادهم يتوجه بالرجاء الى أى مخلوق مهما يكن شأنه بالتقدم لعضوية الاتحاد •

ولما كان هذا السخف لا يكفيه فهو يحض الاتحاد أن يقبل الكتاب الذين نشروا كتبهم على طريقة الماستر • وطريقة الماستر هذه وسـيلة منزلية للنشر • وطبعا هى وسيلة ينعدم معها تماما وجود الكتاب فكل كتاب لم يدخل الى المطبعة لم ينشر وشرط القبول فى الاتحاد أن يكون للعضو عمل ملحوظ • فاذا كان العمل الأدبى معدوما أصلا • غير موجود فكيف بربك يمكن أن يكون ملحوظا ان الاتحاد مرتبط بقانون لا يستطيع تغييره ، واذا قبل الاتحاد عضوية أصحاب الكتب الماسترية لحطم قانونه ولجعل أعضاءه يشعرون ان اتحادهم ليس جادا وانما هو هازل لا قيمة له • وأحسب ان الاتحاد اذا قبل مؤلفى الماستر سيجعل الغالبية العظمى من أصحاب الكتب الحقيقية ينفضون عنه ويقدمون استقالاتهم منه •

وعلى كل حال فصاحب كتاب الماستر اليوم يلبث ـ اذا كان أديبا حقا ـ ان يصبح صاحب كتاب حقيقى غدا وما يلبث أيضا أن يصبح كاتبا مرموقا يتخطف الناشرون كتبه فلينتظروا الغد • وليس الغد بعيد •

مايو ٢٦ مارس ١٩٨٤

حـديث الصـباح

ان الأحزاب منذ نشأت تأتلف حول أفكار متحدة · فليس يسوغ في الأذهان أن يتكون حزب ما والأفكار بين أعضائه مختلفة كل الاختلاف متباينة غاية التباين ·

قد يكون بين أعضاء الحزب المتطرف غاية التطرف في التمسك بآراء الحزب لا يقبل في أي تفصيل من تفاصيلها نقاشا ويكون هناك من هؤلاء الأعضاء من يترك التفاصـيل الى الأمهات ويقضي عن الفروع ويتمسك بالأساسيات · ويظل الفريقان ينتميان الى فكر واحد ومبدأ واحد ، هو مبدأ الحزب الذي يلتفون حوله ·

والحريصون على الديمقراطية في مصر هم أشد الناس حرصا على تكوين حزب الوفد الجديد سليما صحيحا حتى يصبح معارضة لها قيمتها فانه لا ديموقراطية بلا معارضة ·

وأنا من الذين يؤمنون أن حزب الوفد هو الحزب الوحيد الذي يمكن أن يكون معارضة طبيعية تثبت قواعد الديموقراطية وتؤصلها · ولكن حزب الوفد يطلـع علينـا كل يوم بجديدة تجعل تفاؤلي به أقرب الى التشـاؤم · وتؤكد عندي أن الوفد الجديد لا يستطيع أن يتخلص من غوغائية الوفد القديم · وأن هذا الحزب الذي كنت أتمنى أن يكون وليدا في أجواء جديدة يأبى ألا أن يضرب بجذوره الى الحزب القديم الذي كان يعبد الأشخاص لا المبادىء · والذي يبحث عن المنفعة الذاتية لا المنفعة العامة والذي يجهد كل الجهد أن يظفر بمقعد في سلطة تنفيذية أو تشريعية وان كان هذا المقعد على اشلاء الخلق والرأي والشرف والنزاهة ·

وآخر ما طالعنا به حزب الوفد في العدد الأول من جريدته ذلك الذي نشر في الصفحة الأولى منها من أسماء الشخصيات الهامة التي انضمت الى الحزب الجديد ووجدت بين هذه الأسماء اسمين عجبت كل العجب أن يرحب بهما حزب الوفد هذا الترحيب العريض ·

أما الاسم الأول فهو الأستاذ أحمد الخواجة · وأمر الأستاذ أحمد الخواجة شهير جهير لا يخفى منه شيء فالذي لا شك فيه أنه كان وفديا

قبل الثورة • وكان وهو طالب مرتفع الصوت بالوفدية وبالنحاس ومن اتصل بأى سبب بالنحاس •

ثم جاءت الثورة فاذا الأستاذ أحمد الخواجة واحد من أهم العناصر التى رحبت بالقضاء على الديموقراطية والاجراءات التى اتخذتها الثورة ضد الرئيس الحالى للوفد الجديد من سجن ومصادرة أموال بل ومعاملة غير انسانية له فى السجن •

أيكون السيد فؤاد سراج الدين موافقــا على ما اتخذته الثورة من اجراءات ضده • والا فما قبوله وترحيبه بالأستاذ أحمد خواجة • واذا لم يكن موافقا على ما عومل به ــ وهذا هو الأرجح ــ فمرة أخرى ، ما ترحيبه بمن أيد هذه المعاملة قولا وفعلا ومؤازرة فى نقابة المحامين وفى كل مجال من مجالات الحياة العامة ••

عجيبة •• أليس كذلك ؟!

أما الشخص الثــانى الذى أثار دهشتى انضمامه الى الوفد وأثار تشاؤمى ترحيب الوفد به فهو الأستاذ اسماعيل فهمى وزير الخارجيــة الأســبق ••

فالأستاذ اسماعيل فهمى لم يظهر على سطح الحياة السياسية الا فى عهد أنور السادات ، وهو الآن لا يدين الا بمبدأ واحد لا غيره هو رفض معاهدة كامب ديفيد ، ورفض السلام • وقد استقال من الوزارة احتجاجا على الأمرين معا •

والوفد قد أعلن أنه موافق على معاهدة كامب دافيد وعلى السلام • فرأى الأستاذ اسماعيل فهمى يقف على النقيض تماما من رأى الحزب المعلن • ولا يمكن ــ بأى صورة من الصور أن يلتقى المتنافران وأن يتوافق الضــــدان •

عجيبــــة أخـــرى !!

وبعد ، فهذه بعض الأمور التى تثير الدهشة فى تكوين حزب الوفد الجديد وهى قليل من كثير فاننى كلما نظرت الى تكوين هذ الحزب أجد قماشه مرقعا بشتى ألوان تتنافر ولا تتسق وتتباعد ولا تتفق • فهو يمثل ، أقصى أقصى اليمين وأقصى أقصى اليسار • وكم أخشى اذا دخل ممثلوه الى قاعة البرلمان أن يتمزق القماش وترجع كل رقعة الى المكان الذى تنتمى اليه ولا يبقى من حزب الوفد الا كهنة لا تصلح أن تكون حزبا •

مايو ١٩٨٤/٣/٢٩ ••

الحنين الى الماضى

لا يذكر التاريخ عصرا رضى فيه أصحابه عنه · فانك اذا طالعت الشعر العربى وجدت أغلبه يذم العصر الذى يعيش فيه حتى اذا عرف الناس الطباعة وجدت أغلب كتاب العصور تحن نفوسهم الى العصور السابقة عليهم واحسب ان هذا ليس مقصورا على العرب وحدهم بل ان الشعوب الأخرى التى نقرأ لغاتها أو التى تترجم أعمالها الى العربية لها لماضى عصورها حنين يوشيه الوعى ، والحب ولا تشذ عن هذه القاعدة الا روسيا الشيوعية لأن الكتاب فيها ليسوا أحرارا فيما يكتبون وانما يأمرهم الحزب الشيوعى ان يتمدحوا بحاضرهم ويسخطوا على ماضيهم وآبائهم فلا خيار لهم أمام أوامر الحزب ولا حيلة فانه اذا حاول منهم أحد ان يتفلت من أوامر الحزب حاصرته أيد فراسة بالتعذيب والنفى والسجن والقتل أيضا اذا هو امعن فى ممارسة حرية الانسان ·

أما الشعوب الأخرى فتحن الى الماضى وربما كان الحنين الى الماضى القريب أو كان الحنين الى عصور خلت وتراكمت عليها السنون ·

ومن أعجب العجب ان عصر ظهور الاسلام لم يخل من هذا الحنان وذلك التشويق حتى لنجد الروايات التى تروى عن هذه الفترة تتهم ناسها بأنهم نسوا الخلق النبيل والمثل العليا التى كان عليها أجدادهم ·

ولم يدرك ناس هذه الفترة انهم كانوا يعيشون أمجد فترات التاريخ الانسانى على الاطلاق ·

وكم تملكنى العجب ان أقرأ هذين البيتين :

وما بقيت من اللـــذات الا مخاطبة الرجال ذوى العقول
وقد كنـــا نعدهم قليـــلا فقد صاروا أقل من القليل

ثم أجد الراوى يقول ان عمر بن الخطاب كان يروى هذين البيتين ويتمثل بهما وعمر بن الخطاب هو ميزان التاريخ الذى يشبهه ميزان فى الأرض وهو العدالة الكبرى الذى لم يعرف العالم مثيلا لها فى حكام العالم على اختلاف الأزمنة والعصور ·

العجيب انه لم يكن راضيا عن أبناء عصره الذين صنعوا للبشرية تاريخا لم تصنعه جماعة من الناس على امتداد التاريخ .

أيكون هذا الحنين تشوقا من النفس الى الحياة الباقية وتطلعا من الأحياء الى اليوم الذى يلاقون فيه رفيع الدرجات ذا العرش والأحبة الذين رحلو من عالم الفناء الى عالم الخلود .

ام يكون الشعراء قد ضاقوا ببعض أفراد من أبناء عصرهم فاطلقوا أحكامهم على العصر جميعا . فانت تجد ان المديح كان لأفراد بذواتهم فى حين تجد الهجاء يتخطى المهجو الى العصر جميعا . ولكنك مع ذلك تجد فى الشعر العربى كثيرا من الأبيات لا تكتفى بمديح الفرد وحده وانما تجمع اليه قبيلته جميعا . واقرأ معى :

مصابيح فى الهيجا مكاشيف للدجى
بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

وتعذلنى افناء سعد عليهم
وما قلت الا بالذى علمت سعد

واقرأ معى أيضا :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

محسدون على ما كان من نعم
لازايل الله عنهم ماله حسدوا

وقد كان عمر بن الخطاب يروى هذه الأبيات أيضا فيما يروى من شعر فقد كان رضى الله عنه من الذين يحبون الشعر ويلذ لهم روايته .

واقرأ معى أيضا :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه
وتزرع الا فى منابتها النخل

وانت تجد فى كل هذه الأبيات التى ارويها من الذاكرة نظرة قوية الى أثر الآباء والأجداد على خلق البنين . وهذه النظرة قول دون وعى على الحنين الى الماضى والتشبث به والاصرار على الانتساب اليه .

وربما كان من الطريف ان اروى ذلك البيت البالغ الذكاء الذى أراد به الشاعر أن يمدح كريما ويذم أخاه فى نفس الوقت فاذا المعنى ينقاد له

على صعوبة الطريق ووعورته وتسعفه الصياغة الرائعة فاذا البيت يعدل عشرات القصائد • يقول البيت :

فـــان يك بحر الحنظليين واحـــدا
فما تســـتوى حيتانه والضـــفادع

وقد وضع هذا البيت الحنظليين فى حيرة بالغة فما يدرون أيفرحون ان فى بحارهم هذه الحيتان أم يحزنون ان بحارهم لا تخلو من الضفادع أيضـــا •

ولكن الواقع الذى لاشك فيه أننا كلما مرت بنا الأيام بقسوتها وأحاطت بنا أحقاد المعاصرين وافتراسهم للفرص وان ساروا اليها فى بحـار من دماء الكرامة والشرف وعلى رءوس اخوانهم وأصدقائهم هاج بنا الحنين الى رحاب الأبوين نتنسم من ذكريات حنانهم وحديهم وحبهم الصافى الرقراق انساما تعيننا على تقبل الحياة وتزيد شوقنا ان نمثل بين أيديهم نستروح فى ظلهم من عنت الحياة وارهاق البشرية •

وبعد فالانسان هو الحيوان الوحيد الذى يدرك كل الادراك انه غير مخلد وانه لا يبدله ان ينتقل الى حياة أخرى يجد فيها الخلود فيكون هذا الحنين الى الماضى تشوقا الى هذا الخلود • من يستطيع ان يحكم فى صحة هذه المظنة الا بارىء النفوس وعالم خوالجها والذى يدرك خائنة الاعين وما تخفى الصدور • جل علاه • أنه وحده العالم بالنفوس التى ســواها والتى ألهمها فجورها وتقواها •

الأهـــرام ١٩٨٤/٤/١

المعارضة شرف أولا

ليس يعيب انسانا ان يغير رأيه اذا تبين له الحق من الباطل • فان الحق قديم والرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل • هكذا قال عمر رضى الله عنه •

ولكن ان يكون الحق هو استباق المنفعة والبحث عن منصب أو كرسى نيابى فذاك هو النفاق بعينه لا يتردى فيه الا ساقط الكرامة فاقد للشرف خائن للضمير بائع للضلالة حائد عن الهدى •

ولا شك أن الله وحده هو المطلع على الضمائر • وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور • ولكنه سبحانه بفضل منه ألهم الناس الوصول الى حقائق الناس.فهو سبحانه يصف نفسه بأنه خير الماكرين • فهو بهذه الصفة يكشف عن الناس غطاءهم فاذا بصرهم حديد واذا هم يصلون الى ما يضمره المنافقون • وليس غريبا اذن ان يبور مكر المنافقين • مهما حاولوا شق الحناجر منهم بشعارات الخلق والأمانة والشرف والوطنية • ورحم الله عزيز أباظة حين يقول فى مسرحية العباسة على لسان هارون الرشيد :

شعور الشعب يا جعفر حق لا هوى فيه
يميز بوحى فطرته عداه من محبيه
له من وعيه الساذج مصباح فيهديه

وانى ألقى نظرى الى الأحزاب المعارضة • فأجد حزب التجمع يرتكس فى الالحاد ويعادى الوطن المصرى من أجل وطنه السوفيتى ويتمرغ أعضاؤه فى مهاوى الالحاد والخيانة • ولكن أصواتهم ترتفع أعلى ما يكون الصوت وتنبض حناجرهم أرفع ما يكون النبض بادعاء التدين وحب الوطن • ولكن مكر هؤلاء هو يبور وهيهات لهم أن يصلوا من الشعب الى القلوب لأن الأصوات منهم لا تنطلق من القلوب وما لا يصدر عن القلب لا يصل الى القلب أبدا •

وأنظر الى حزب الوفد الجديد فأجده حزب الوفد القديم • فهم يصدرون جريدة خلفية العنوان فيها خضراء ناظرين الى العلم الأخضر ـ

وليس على العلم الأخضر بأس ولكن البأس كل البأس أن ننسى أن تطورات كثيرة حدثت وان الذى كنا نقبله فى المجتمع القديم لا يمكن أن يكون الأساس فى المجتمع الجديد · وانه اذا كانت القيم الخلقية الرفيعة ثابتة لا تتغير الا أن المفاهيم السياسية لابد لها أن تتغير ·

وأنظر فى كتاب الجريدة فأجدهم جميعا ماعدا الأستاذ أحمد أبو الفتح من أعداء الوفد الذى بلغوا فى عدائه أقصى مدى وأجد واحدا من هؤلاء قريبا لى مع الأسف أسماه عمى أبوه رحمه الله باسم أبى كاملا حبا فى أبى والذى كان من أشــد أعــداء الوفد ومن مؤسسى حزب الأحرار الدستوريين · أحقا أذن يا أخى دسوقى أصبحت تحب الوفد ·· أرجو أن يكون ذلك حقا فلأن تكون مخطئا خير ألف مرة من أن تكون شيئا آخر لا أحب أبدا أن تكونه ·

ليست المعارضة هدفا لذاتها ولا هى وسيلة لاظهار النفس واستعراض القدرات وانما هى ركن أساسى من أركان الديمقراطية وهى مثل جانب من جوانب الحياة ان لم تتسم بالشرف تصبح كارثة على أصحابها والعياذ بالله ·

مايو ١٩٨٤/٤/٢

حديث الصباح

من قال ان الشيوعيين مصريون انهم مصريون فقط حين تصبح مصر دولة من البستالايت التابعة لروسيا · أم أن تكون دولة حرة مستقلة ذات سيادة .وليس فيها أثنا عشر ألف جندى روسى فهى اذن ليست بلدهم ولا هى وطنهم ولا هى منبت غذائهم ولا هى مهد طفولتهم ولا هى الدولة التى تلقوا فيها تعليمهم ويعيشون فى ربوعها ويفرحون بأفراح شعبها ويحزنون لأحزانه :. لا ليست مصر بلادهم انما هى الضحية التى يريدون أن يفترسوها ويقتلوا أبناءها ويرووا بدمائهم الحقد والكراهية ليغرسوا فى هذه الأرض شجرة شيوعيتهم وحين تتخلص مصر من العار وتسترد الأرض التى فقدتها فى حرب ٦٧ بحرب لم يعرف تاريخ الحروب الحديث لها مثيلا · وحين يذهب جيش مصرى كل جنوده مصريون ودماؤهم كلها مصرية وتراق دماؤهم هناك لتلتقى بدماء شهداء ٦٧ لتسترد مصر أرضها وتسترد بذلك دماء شهدائها التى أريقت فى هذه الأرض ·· لا يكون هذا نصرا · ولا يكون لمصر الحق أن تشملها السعادة فان النصر قد تم بقيادة أنور السادات ومادام ليس روسيا فهو ليس جديرا بان يذكر أسمه · وان النصر قد تم وكان قائد الطيران محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر اليوم · ومادام هذا الرجل يأبى لمصر أن ترتمى فى أحضان روسيا ومادام يرفض أن تصبح مصر دولة ملحدة بغير دين ، شيوعية بغير قيم ، فوضوية بغير قانون فمصر اذن لا تستحق التهنئة ورئيسها الذى كان قائد طيرانها فى النصر لا يستحق الذكر ·

هم ليسوا مصريين فأفراح مصر اذن ليست أفراحهم · انهم شيوعيون والشيوعية ترفض أن يكون للانسان وطن · وهم مع ذلك وفى وقاحة لا مثيل لها يتقدمون لشعب مصر وللفلاحين فى مصر ولعمال مصر ويطلبون منهم أن ينتخبوهم أعضاء فى مجلس الشعب الذى يمثل مصر ·

والاخوان المسلمون والجمعيات الارهابية وأصحاب المساحات الواسعة فى جريدة الوفد وفى غيرها من الجرائد لا يعنيهم فى شىء أرض الأديان التى كلم فيها موسى ربه ومشى عليها عيسى عليه السلام وسرى فوقها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام · وليس يعنيهم فى شىء أن تسترد مصر المسلمة أرضها بعد حرب مقدسة خاضها أبناء مصر مؤمنين

بالله وبرسله فانتصروا بايمانهم لا يغنيهم مادامت عودة الأرض ستجعل مصر عزيزة ومادامت هذه الحرب تظهر ان الايمان بالله عميق كل العمق فى نفوس المصريين ـ بريئا كل البراءة من ارهابهم وقتلهم الناس بغير حق وحرقهم بيوتا يذكر فيها اسم الله اثما وعدوانا واشاعة التفرقة والتنازع بين أبناء الشعب الواحد · انهم يريدون مصر أن تصبح مثل لبنان فهم لا يشعرون أنهم سعداء الا اذا رأوا الدماء تهرق والأرواح تزهق وهم دائما لا يريدون أن يذكروا الآية الكريمة من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ··· وكيف لهم أن يذكروها ثم يجرءوا على فعل ما يفعلون ·

أما الوفد فمصر لم تعد مصرهم ومادام تحرير الأرض لم يأت عن طريق النحاس باشا فهو لا يمثل الشعب · وما دام المحاربون ليسوا وفديين فما هم بمصريين وأما الدماء التى سالت فى سبيل مصر فهى دماء خائنة انتهازية بذلت نفسها للحكام نفاقا منها وتزلفا لأنور ·

مايو ٣ ابريل ١٩٨٤

دفاع فى غير جريمة

أعجب كل العجب من دفاع الأستاذ أحمد بهاء الدين الدائم عن قيام الثورة وكأن هناك خلافا حول هذا الأمر يستحق الدفاع . فأنا أعتقد أنه ليس فى مصر شريف يشك لحظة فى أن قيام الثورة كان ضرورة سياسية واجتماعية بل ودينية . بل ان قيام الثورة كان خير وقاية لمصر من قيام ثورة أخرى أطلت بوادرها فى حريق يناير عام ١٩٥٢ . ولو قامت هذه الثورة من غير الجيش فهى الدمار المحقق الذى نشهده اليوم فى ايران .

كان الملك قد استشرى وكان الذين حوله يسـفكون دماء الحياء ويرتكبون باسمه جرائم السرقة والرشوة والفساد . وكان هو فى اختياره لحاشيته بارعا كل البراعة فى انتقاء أسوأ العناصر وأكثرها انحطاطا . وكان فجوره يبيح له أن يبعد عن دائرة صداقته كل شريف أو نبيل من رجالات مصر .

وكان حزب الوفد الذى كان يتمتع بشعبية لا تتمتع بها الأحزاب الأخرى لأسباب لا أحب أن أذكرها الآن هو الموئل الذى يعلق عليه الشعب الآمال فى مجابهة الملك والتخفيف من شروره وفساده .

فاذا حزب الوفد فى وزارته الأخيرة يصبح أكثر خضوعا للملك من حاشيته العطنة . وأسرع تلبية لنزوات الملك من الذين يهيئون له ليالى مجونة وسهراته المخجلة .

ويحس الوفد انه فقد الشعب ويحاول ان يسترده بالغاء المعاهدة فاذا به يفقد أيضا أنصاره الانجليز الذين اجلسوه على دست الوزارة فى ٤ فبراير ، ولا يسترد الشعب ، فاذا الحزب يفقد جناحيه اللذين كان يطير بهما : الشعب من ناحية والانجليز من ناحية أخرى . وقد كان وجود هذين الجناحين فى جسم الوفد ظاهرة شاذة فى ذاتها . فما اجتمع رأى الشعب والانجليز فى اناء واحد قط . وكان طبيعيا ان تتحلل هذه الظاهرة الشاذة وتتفسخ وتحل عراها . فقد ادرك الشعب ان الوفد أصبح يبحث عن الحكم لا الوطنية وانه يسعى لهدفه هذا من أى طريق حتى وان كان الطريق هو الانجليز أو كان الملك الفاسد . وما لبث الانجليز ان ادركوا ان الوفد لا آمان له وانه على استعداد ان ينقص ولاءه لهم فى لحظة معتمة

على أنه سيدور من الباب الخلفى ويحاول ان يسترضيهم فى الخفاء بعد ان ألغى المعاهدة معهم فى العلن •

وكان رجال الأحزاب الأخرى قد كتبوا عريضتهم الشهيرة المسماة بعريضة الثلاثين نسبة لعدد الموقعين عليها • وقد طالبوا فيها الملك بأن يستقيم وان يبعد عن حاشيته المهازيل الحقراء الذين يصطنعهم وبهذه العريضة أعلنت الأحزاب الثلاثة الأحرار الدستوريون والسعديون والكتلة ومعهم بعض المستقلين الشرفاء رأيها الصريح فى الملك •

وحين شب حريق ينـــاير طلب الملك الى الأحزاب تأليف الوزارة فاشترطوا جميعا أن ينفذ ما جاء فى العريضة وكانوا يعلمون أن مطلبهم هذا مستحيل التنفيذ •

وهكذا اتجه الملك الى المستقلين فى تأليف الوزارات التى خلفت الوزارة الوفدية وتلاحق الانهيار وقامت الثورة •

وقد كان قيام الثورة هو النتيجة الطبيعية لهذه الهوة التى تردى فيها الملك والتى أعلنت عن نفسها فى الحريق •

كان لا محيص اذن عن قيام الثورة وان كل الذى نسمعه أو أغلبه كان حقا فما قيل عن رشوة عبود للملك أمر لا تستطيع الاشاعة ان تخلقه• فهو الحقيقة التى لا يستطيع الخيال أن يصنعها • وبيع رتب الباشوية والبكوية كان حقيقة معلنة وكان جزيا كبيرا وغير ذلك مما لا يتسع له مقال أو كتاب أو كتب •

وكان التلاعب بالدستور أبشـــع ما فى هـــذه الأمور • فالأحداث الشخصية التى يشارك فيها الملك أعمال فردية تشوه فى مجموعها سمعة ملك مصر الذى كان يعتبر رمز مصر •

أما الاعتداء على دستور مصر فهو اعتداء مباشر على مصر كلها • ويكفى ما صنعه الوفد بتسعة عشر عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ بقانون يدعو الى السخرية والهزء لنعرف مدى جرأة الوفد على دستور البلاد • وحسبنا ان يكون رئيس مجلس الشيوخ من بين هؤلاء المخرجين • وجاءت الثورة وأعلنت فى بيانها الأول انها جاءت لتحمى الدستور وانتعشت آمال الشعب جميعا لا أستثنى من ذلك أحدا الا قلة نادرة غلبت عليـــها العواطف التى لا فـــكر لها • وكان الوزراء الســـابقون من بين هؤلاء المستبشرين • وألغيت الألقـــاب • وكان العظمـــاء من حملة الألقـــاب لا يعتبرونها شيئا ذا بال • وأذكر ان أبى صبحنى فى ذلك اليوم ممازحا فى التليفون :

ـ صباح الخير يا أفندى •

فقلت له فى ضحك وأنا أحس فى صوته الفرحة بعهد جديد أنا طول عمرى أفندى انما المشكلة ماذا سنقول لسعادتك •

وضحك أبى رحمه الله • وقد يحسب الناس ان هذه الألقاب كانت تمثل شيئا عند حامليها ولو عرفوا العظماء منهم حق المعرفة لعرفوا انها كانت أهون شىء عندهم •

ويقول العقاد فى تهنئة الدكتور هيكل بالباشوية :

أغنى البريـــــة عن حـــــلى لقب
من كـــــان يتشرف باســـمه فردا

وقد كان أغلبهم ذا تاريخ يغنيه عن الباشوية كل الغناء • وأذكر أن باشا سخيفا أرسل الى أصدقائه يقول لهم أرجو ان تنادونى بالأخ فلان • وكأن أصدقاءه كانوا سيحتارون كيف ينادونه فكان ها الذى فعله مثـار تندر وسخرية من كل الذين أرسل لهم بطاقته الغبية من الباشاوات وغير الباشــــاوات •

وأصدرت الثورة قانون الاصـــلاح الزراعى وقد استقبله الناس بالبشر • فمهما يكن الرأى الاقتصـــادى فى شأنه الا انه كان لابد منه ليعرف الجميع أن الثورة جاءت لتغير وجه الحياة فى مصر •

وتزايد التأييد للثورة التى جاءت تحافظ على الدستور وتنفيذه • ولم تكن الثورة فى حاجة الى أى اجراءات استثنائية فقد كانت تملك السلاح ولم يكن أعداؤها يملكون السلاح فهى اذن لم تكن محتاجة الى العنف قط • وحين ثار العمال الذين قالت الثورة انها قامت من أجلهم أعدمت الثورة اثنين من زعماء الثائرين فاستتب الأمر لها تماما •

وحين شرع واحد من الاخوان المسلمين فى القتل قتلت الثورة بعد محاكمة تعتبر فريدة فى هزالها وهزلها سبعة من اقطاب الاخوان ولم تتحسب انها جعلت منهم شهداء •

وألغت الثورة الدستور فكان ذلك بين الناس عجبا • لقد جاءت الثورة لتحمى هذا الدستور فكيف يسوغ فى الضمائر ان تلغيه • واذا كانت الثورة قد قامت لتنقذ الدستور فكيف تبرر هى أن تقتله • ونذكر بيت شوقى :

فكيف يكـــــون فى أيد حـــــلالا
وفى أخرى من الأيـــدى حرامـــــا

ثم تفجرت مراكز القوة طغيانا بعد انفصال سوريا . وكان هذا الذى حدث قمة العجب . ان الشعب المصرى كان مظلوما بالوحدة فقد انتزع منه اسم بلده مصر . والغى علمه .. وأصبحت مصر أم الحضارات اقليما لا دولـــة .

وكان الظلم على الشعب المصرى افدح يوم حدث الانفصال .

فلماذا ينتقم الحكام من المظلوم لمجرد انهم عاجزون عن الانتقام من الظـــالم .

وتوالت الاعتقالات والحراسات وانتهاك الحرمات .

حتى اذا حدثت نكبة ٦٧ راح الحكام ينكلون بالشعب أسوأ ما يكون التنكيل . ورأينا الاعتداء على الأعراض علانية وفى الخفاء تتسرب أخباره الى الناس ذعرا وهلعا .

ورأينا كيف سام العهد الناس هوانا ومذلة لانسانيتهم .

ويقول المدافعون انها تجاوزات .

هل السرقة قبل الثورة جريمة .

والقتل والاعتداء على الأعراض من مراكز القوة تجاوزات .

فيا أخى الأستاذ بهاء لا عليك من الدفاع عن قيام الثورة . ودافع اذا شئت عن هذا الذى ارتكبته فئة باغية باسم الثورة ان كان الى دفاع من ســبيل .

والله الذى لا اله الا هو انا لا ندرى الى أى مصــير كانت ستقذف مصر لو لم يتداركها الله جل علاه بأنور السادات يرفع الرعب والهلع عن أبنائها ولو لم يفعل الا ذلك لكفاه ولكنه يزيد فيحقق أول انتصار عربى فى العصر الحديث ثم يزيد فيشق الخطوب والأهوال الى السلام الذى لولاه لكانت مصر اليوم دمارا وحريقا وخرابا كهذا الذى نشهده فى لبنان .

ويزيد الله مصر لطفا وينعم علينا برئيسنا هذا الحالى محمد حسنى مبارك فاذا مصر تشهد حرية لم تشهدها فى أى يوم من أيام تاريخها فاذا الانسان كيان مقدس لا يمسه الا القانون الذى يسيطر على الحكام قبل المحكومين واذا الكلمة حرة طليقة من غير قيد حتى الكاذب منها والماجن لا يرد الكذب فيها أو المجون الا القانون .

فيا أخى بهاء أطو الصفحة السوداء وانشر الصفحة البيضاء وأنت تعلم بما تثقفت وقرأت ان الدفاع مهما يكن حارا لن يرد الباطل حقا ، ولن يجعل الشين زينا ، ولن يقلب الظلم عدلا ، ولن يقيم من الهوان عزة ، ولا من الهزيمة نصرا .

كم ان المزورين من المعارضين لن يستطيعوا أن يزيفوا الحق على الناس ولا على التاريخ ولن يستطيعوا مهما علا صراخهم أن يجعلوا أمن السادات خوفا · ولا نصر السادات هزيمة ، ولا سلام السادات حربا ·

وانهم لأشد عجزا أن يجعلوا حرية مبارك قهرا وسماحته ظلما وإنتصاراته الدولية هزائم وانهم لن يستطيعوا أن يزيفوا الحق على الناس ولا على التاريخ ولن يستطيعوا أن يحجبوا عن الناس انه كان قائد الطيران فى أكتوبر العظيم · وانه اليوم هو الزعيم المصرى الذى يحظى بالاجلال والاكبار والتبجيل فى جميع أنحاء العالم ، عربيا كان هذا العالم أو أفريقيا أو غربيا أو شرقيا · وان رغمت من الأنوف أنوف ·

الأهـــرام ٨ أبريل ١٩٨٤

ما أشبه الليلة بالبارحة

قد يقول قائل ان الوفد كان مضطرا قبل الثورة أن يهادن الانجليز تارة أو يرضخ للملك تارة أخرى متوسلا بذلك أن يصل الى الحكم ٠ ولا ضير على أى حزب أن يحاول الوصول الى الحكم مادام يعتقد أنه بوصوله الى مقاعد الوزاة سيحقق للوطن الآمال وسيكف عن أمواله أيد عابثة تنتهب الأموال العامة وكأنها أموال خاصة ولكن الوفد للأسف الشديد كان يسعى لدى الانجليز والسراى لا ليكون أمينا على صوالح الدولة وانما ليجعل الدولة مالا مباحا للأقارب والأصهار وليوزع الغنائم والأرباح على كل منافق يقبل يد الزعيم وأنصاره ومعاونيه وكم كنت أتمنى حين ظهر الوفد الجديد أن يكون قد أخذ من الأيام عبرة وأنه يكون قد أقام المنهار من خلقه وتصرفاته ولكن الوفد الجديد خذل الأمل فيه كما خذل الوفد القديم الشرف فى التصرف والعفة فى التعبير ٠ وكان الوفد القديم لا يبالى فى سبيل أن يصل الى مغانم الحكم أن يدوس كل المعانى النبيلة فى الحياة ولهذا لم يكن عجبا أن الوفد الذى بدأ ورجال الدولة العظام كلهم يقفون معه وقفة رجل واحد وفيهم الساسة الدهاة والعلماء الأئمة والمشرعون الفقهاء ينتهى بما انتهى اليه من المهازيل قد هان أمرهم واضمحل شأنهم وذبل وريقهم وأصبحت أشجارهم حشائش وصروحهم أكواخا وأبراجهم كهوفا ٠ فقد أبى الاعلام الشامخون أن ينقلبوا الى طبول تنقر عليها عصى الغوغاء ومزامير تنفخ فيها أفواه الجهلاء وقد دأب الوفد فى القديم أنه يرد بالشتيمة على الرأى ٠ وأن يواجه الحجة بالسباب ٠فاذا ضاقت عليه المسالك أرسل المأجورين من دهمائه ليضربوا ويحطموا فقد كان الرأى عندهم هو الطوب ٠ والحجة عندهم هى العصى ٠ والبرهان كان عندهم أيضا الرصاص اذا لزم الأمر ٠

وأحسب الناس اليوم لا يذكرون كيف قتل الوفد اسماعيل زهدى وحسن عبد الرازق لأنهما كانا على خلاف معهما فى الرأى ٠ وقد كنت أرجو كما قدمت أن تكون الأيام قد هذبت ما فيهم من غوغائية فاذا هى لم تزدهم الا سعارا ٠ وها هم أولاء يتحالفون مع الاخوان المسلمين فاذا كان الوفد فى قديم يخفى أظافره الشرسة فى بطانة من الديمقراطية فها هو

ذا اليوم يظهر بتحالفه مع الاخوان كل أظافره ويشهر معها أيضا أظافر الاخوان ٠

واذا كان الوفد القديم يطلق كلابه المسعورة بالعصى والحجارة والرصاص ٠ فان الوفد الجديد قد بدأ يقوم بنفس الدور والنعيق ينبىء عن الكارثة ٠ فالخطابات تصل الى بالسباب وبغير حجة ٠ قليلة هى الخطابات لا تتجاوز عدد أصابع القدم الواحدة ولكنها تكشف فى وضوح أن الوفد الجديد ليس جديدا ٠

الوفد القديم كان أسفل ما يكون فى تحطيم الصلات الأسرية وصلات الرحم التى أمر الله بها أن توصل والوفد الجديد أكثر ضراوة فى هذا المضمار ويزداد الوفد لجديد سعارا فى تمزيق العلاقات فيشق الأخ عن أخيه فى غير مراعاة لما يقتضيه الخلق الأمثل والشرف عند الخصومة والترفع عند اختلاف الرأى وان الخلق الرفيع لا يظهر الا عند الخصومة كما أن هذه الخصومة هى خير ميدان ليظهر المعدن الخسيس على حقيقته ٠

وبعد فقد ظهرت قوائم الوفد وجاءت كما توقعنا ٠ فما كان أحد يتصور أن تكون خيرا من هذا ٠ فبرنامج حزب الوفد الذى أعلن عنه ليس له سمات مميزة الا محاولة ارضاء الشيوعيين بالتخلى عن كامب دافيد والسلام ثم هو فى غير هذا كلام ملأ أنهار الصحف على اختلاف آرائها ٠

ومادام هذا هو جهد الوفد الجديد وما دامت هذه هى أقماره ونجومه فالأمر اذن قد وضح لقد انفض الشعب عن الغوغائية وعن المتاجرين بالأمة وآماله والرافعين الشعارات على الهواء وأدرك أن الوفد الجديد شر من الوفد القديم على سوئه ٠ فالقديم على الأقل لم يتحالف مع الاخوان المسلمين ولا هادن الشيوعيين ولا نافق من يختلف معه فى الرأى عداءهم ٠

وانه لولا أسماء ثلاثة أو أربعة فى قوائم الوفد جميعا لكانت كل أقماره فى محاق المحاق ٠ وكل نجومه فى أفول الأفول ٠

وان الصور التى نشرتها جريدة الوفد شخصان أو ثلاثة جديرون بالاحترام ٠ ولكن للأسف الشديد فيها صور يندى جبين الخلق من تصدرها قائمة الوفد ٠ فهى دليل على أن الوفد مازال كعهده يدعو الى استغلال نفوذ الحاكمين فاذا هم أبوا ورفضوا أن تكون أموال الدولة نهبا لاخوتهم وذويهم ٠ نفر منهم هؤلاء الاخوة وأعلنوا على الملأ عداءهم للحكام الذين يريدون أن يصونوا ذمتهم وأن يرعوا الله فى أموال مصر وأن يتقوا الشرف فى تصرفاتهم كرجال فرض الله عليهم المسئولية ٠ وان الأقارب الذين يريدون أن يستغلوا مناصب أقاربهم جديرون أن ينظر اليهم الناس

فى استنكار وقد كان الوفد — لو كان يرعى للشرف حرمة ـ خليقا أن يرفض انضمامهم لصفوفه لأنه حين يقبل وجودهم معه فهو يعلن على الناس اجمعين أنه يؤيد استغلال النفوذ والاستيلاء على حقوق الناس بكل الوسائل غير الشريفة ويعلن أيضا أنه يرحب بالذين يريدون أن يسيروا على رقاب العباد لا لشيء الا لأنهم بصدفة الولادة أصبحوا أقارب من يحملون مسئولية الحكم فى البلاد ٠

وبقدر ما يصبح انضمام هؤلاء الأقارب وصمة مهينة فى جبين الوفد وزعمائه ٠

بقدر ما هو شرف ورفعة وسمو وعفة ونور فى جبين الحاكمين الذين خرج عليهم أقاربهم ٠

فما كان خروجهم من أجل مبدأ ٠ فلا مبدأ هناك حيث ذهبوا انما كان خروجهم لأنهم أرادوا أن يمتصوا دماء الشعب بصلات قرباهم ٠ ولكن أقرباءهم أنقذوا الشعب منهم وأبعدوا أسنانهم أن تنهش جسم الوطن وأيديهم أن تنهب المميزات التى لا حق لهم فيها ٠

وخليق بنا اليوم أن نهنىء الحاكمين بخروج من خرج عليهم من ذوى قرباهم ٠

وخليق بنا أيضا أن نصيح بالوفد الجديد ٠ انك كدأبك الذى عهدناه فيك ٠

وحسبنا الله فيك فانه سبحانه القادر على أن يمكر بالماكرين فيبطل ما يدبرون وهو وحده سبحانه القادر أن يحفظ على مصر كرامتها ويزيدها على الأيام عزة وسموقا ٠

الأهـــرام ١٥ أبريل ١٩٨٤ ٠٠

خطابات خمسة

لم يكن عجيبا وقد كشفت عن أوكار الأفاعى الأحجار التى تتخفى وراءها أن يحمل الى البريد عددا أجده أنا قليلا كل القلة فهو خمسة خطابات تمور فيها السخائم وتغتلى فيها مراجل الغيظ مما كتبت ·

ولم يكن عجيبا أيضا أن أجد فيها المنطق المنحط البعيد كل البعد عن أى عقل ·

ولم يكن عجيبا واحدا القوى من الخطابات الخمسة لم يحاول أن يناقش ما أقول حجة بحجة أو رأيا برأى ·

وانا قضى ربك على أن أقول ما بنفسى · مع أننى أعرف جيدا كيف أنافق الرأى العام · وكيف القوى بالحديث · وكيف اتجنب الصراحة · وكيف أباعد بينى وبين الحق · وكيف أهرب من الرأى الفصل الذى اعتقده الى الرأى المائع الذى ينافق ولا يصارح ويداهن ولا يجبه ·

ولكننى ابيت أن أكون كذلك فأنا انظر فيما أكتب الى الساحة القدسية التى يكدح الانسان كدحا ليلقاها هناك حيث العدل المطلق وحيث أرجو أن أمسك فيها كتابى بيمينى هاكم أقرأوا كتابيه فاننى أعلم كل العلم منذ وعيت ومنذ كتبت انى ملاق حسابيه عند من لا يضيع عنده حق ولا يصلح عنده باطل ·

وقضى ربك أن يكون رأيى مخالفا لجبهات فيها الملحد وفيها السفاك وفيها آكل السحت المرتشى المتاجر بمقدرات مصر وأموالها وكرامتها ·

وهذا لم يكن عجيبا أن يكون من بين الخطابات من يهدد ويتوعد ومن بينها من يسب ويختار من الالفاظ أشدها هجرا دون أن يحاول خطاب واحد أن يناقش ما أقول وكيف لهم أن يناقشوا وهم يعلمون أنه الحق فالذى أذكره تاريخا وأحداثا وليس مع التاريخ والأحداث نقاش فى حدوث التاريخ والحدث · وانما لو أن لأصحاب هذه الخطابات عقلا لحاولوا أن يفسروا هذه الأحداث بغير ما فسرتها ·

وأنا أهاجم الشيوعيين لأنهم ملحدون لا يؤمنون بالله ولأنهم سفاكون للانسان فهم قتلة مئات الملايين من الأنفس · ولانهم يخنقون الحرية

ويتشدون أناشيدها ويدعون الى قيامها ليتمكنوا من قتلها · ولأنهم منافقون يبدون للناس حسنى ويضمرون لهم غدرا ، ويدعون أنهم يرجون للناس سعادة وجنة وهناء حتى اذا أنشبوا فيهم الأظافر اذاقوهم الهوان والذلة والشقاء وقتلوا كلمتهم فاذا طفرت على الشفاه قتلوا صاحبها ·

وأنا أهاجم الجماعات الدينية المتطرفة جميعا لأنهم يركبون الدين الى الدنيا ولأنهم يستحلون أرواح الانسان التى قدسها الله فأمر سبحانه أن من يقتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ولأنهم يشيعون فى المجتمع ذعرا والله يدعو الى الأمن · ويشعلون بين الناس حروبا والله سلام والاسلام سلام والأنبياء والرسل سلام · فاذا كان الله يقول لرسوله لست عليهم بمسيطر فانهم هم يدعون لأنفسهم ما حرمه الله سبحانه على الرسول وهو الرسول ·

وأنا أهاجم الوفد الجديد لأنه هو الوفد القديم فى شر صوره وأبشع مراتبه فهو فى الماضى هو الحزب الذى أشاع الفساد والافساد فى مناحى مصر وهو هو الذى تاجر بثقة الناس فيه وفى زعاماته فباعها للمحتل وباعها للملك الفاسد وكان السبب الرئيسى فى حريق القاهرة الذى كان أول معالم الثورة ·

ثم هو هو اليوم الذى يتحالف مع الاخوان المسلمين ويعلن ذلك ويتحالف مع الشيوعيين ويضمر ذلك · ويبدى غير ما يخفى ويعلن غير ما ينطوى عليه · ثم يعود فيعلن غير الذى صرح به من قبل سياسته كذب ونفاق وأخلاق عبيد لا ساسة وفعل تاجر بلا ضمير وأفاق بلا قيم ·

وتأتى الخطابات فلا أعجب لما فيها فقد توقعته وانما عجبى كله أنها خمسة خطابات فقط اذن فأمر هؤلاء هين لا قيمة له ·

وأجد فيها من يقول أننى أنافق السادات ولعمرى كيف ينافق الحى رجلا ضمه الله اليه وأصبح لا يستطيع ضرا ولا نفعا ·

وأجد فيها من يقول أننى لا أجرؤ أن أتكلم عن عهد الطغيان فى مصر بعد الثورة · وانى أترك هذا القائل لأى انسان فى مصر أو فى غير مصر يقرأ ويشاهد السينما اذا لم يكن يقرأ أو يشاهد التلفزيون اذا كان لا يقرأ ولا يشاهد السينما أو يسمع الاذاعة اذا كان البصر منه كليلا فهو لا يقرأ ولا يشاهد السينما ولا التلفزيون أو هو من أبناء مصر يسمع ما يتناقلونه عن الكتاب ومذاهبهم اذا كان لا يقرأ ولا يشاهد ولا يسمع

ولكن كيف لى أن أسمع الصم أو أجعل العمى يبصرون ما دامت على القلوب أقفالها .

وبعد . فلا وربك ما غضبوا لرأى ولا انتفضوا من أجل مصر وانما هم فى جهلهم مرتكسون . وليس على الجاهل حرج . وان ربك لهم بكل مرصـــد .

مايو أبريل ١٩٨٤ ..

حــديث الصــباح

أما الذين علت بهم السن من حزب الوفد والذين كانوا مرتبطين به قبل أن يحل والذين عادوا اليه بعودته فلا أمل فى شأنهم فما الى تغييرهم من سبيل • فقد أصبحت الوفدية بالنسبة اليهم علامة من علامات الوجه وسمة من السمات الخلقية وسكن اللام أو حركها فليس هناك فارق كبير •

ولكن أسفى كل الأسف على الشباب الجديد الذى انضم الى الوفد وهؤلاء الشباب الذين أقصــــدهم أولئك الذين تصل بهم سنهم الى الأربعين •

كيف يبدأون حياتهم مخـــادعين لأنفســـهم • ما هو المذهب الذى اجتــذبهم لحزب الوفد • ما هو المبدأ الذى ينفرد به حـزب الوفد عن الأحزاب الأخرى حتى ينضموا اليه • ما هى السمات المميزة التى اكتشفوها بعلمهم وثقافتهم فى حزب الوفد حتى ينضموا اليه •

انني أتحداهم •• اذن فهى المنفعة • اذن فهو البحث عن مكان شاغر فى مجلس الشعب أو كرسى خال فيما قد يتصدى له حزب الوفد من مجالس •

أو هكذا يكون الشرف ؟!

ان هؤلاء الشباب أعواد خضر ناضرة نظيفة • لم يلوثها ما لوث حزب الوفد • ولم تقع عليها الأوضار والمثالب التى ازاحت الوفد عن شعبيته •

فأسفى عليهم شديد ؟! لماذا يجعلون من خضرتهم سوادا ومن نضرتهم يبسا • ولماذا يلوثهم حاضرهم ومستقبلهم وهم النظفاء فى ماضيهم الاطهار فى حياتهم السياسية •

فاذا كان هذا بدءهم فماذا يكون شأنهم حين تسير بهم السياسة فى طريقها الطويل • واذا قدر لهم أن يقتعدوا كرسيا فماذا هم فاعلون به وبأى ضمير سيقومون بأعباء كراسيهم •

اتراهم يريدون أن يعارضوا ·

هل المعارضة غاية أم وسيلة ؟

الذى لا شك فيه أن المعارضة ضرورة لا تستقيم الحياة الديمقراطية الا بها ·

ولكن هل تراهم يعرفون ماذا هم معارضوه أم هى المعارضة لوجه المعارضـــــة ؟!

وان كان الأمر كذلك · افتراهم بما لهم من علم وثقافة يعرفون لكل مشكلة من مشاكل مصر حلا ·

وان كانوا يعرفون فما لهم يعلنون حلولهم هذه ؟؟ أليسوا مصريين قبل أى اعتبار آخر · أم ان مصر أصبحت اليوم وبعد السنوات العجاف هى آخر شىء إعتبارا · وأصبح النيل منها هو أيسر الأمور منالا كم أنا حزين على مصرى الحبيبة وأنا أرى بعضاً من مثقفيها الذين كانوا جديرين أن تتعلق بهم الآمال يميلون عن الحق الى الباطل جريا وراء النفع والمصلحة الخاصة والشهرة الفارغة والطبول الجوفاء والشعارات المرفوعة على فراغ ·

أما الشيوخ فلا أمل ·

فقد كانوا فى الحزب الذى قام على الغوغائية ، من التهريج ، وانتهاز الفرص ، وممالأة الانجليز ، وتملق السخافات ، وانتهى به الأمر بالخضوع المطلق للملك حين كان الملك متمرغا فى حماة الرذيلة ، وحين كان رفاق صباحه النشفلة من اللصوص ، وحين كان أصحاب سمره سماسرة الأعراض وبنات الهوى من أرخص نوع البنات الهوى ·

وكانوا فى الحزب الذى قامت دعائمه على المحسوبية والاستثناءات وأبعاد أصحاب الحق وتقريب أصحاب النفاق · كانوا فى الحزب الذى احترقت فيه القاهرة والذى أشعل الحريق فى أخلاق المصريين جميعا · والذى زرع الديكتاتورية فى ميدان السياسة المصرية ·

أما هؤلاء يا شباب الوفد الجديد فلا أمل منهم أما أنتم فانى أصيح بكم من مكان الاخوة فى الله وفى حب مصر ·· أفيقوا وانظروا فى أى طريق أنتم سائرون والى أية هوة أنتم صائرون ؟

مايو / ابريل ١٩٨٤ ··

أجاهلية يريدون ؟!

حين نعمت بالحرية من بعد كبت كان طبيعيا أن يتواثب على منابر الشجاعة كل دعى متظاهر . وكل جبان متشاجع . وكل من كان يحس فى صدره أشياء يمنعها الجبروت أن تقال وتردها القيود أن تنطلق .. ولكن هذه الأشياء لم يوجهها أصحابها الى الذين فرضوا عليهم الكبت والعنف والجبروت .

وانما وجهوها فى قوة فائقة الى الذين أطلقوا لهم الحرية ورفعوا عنهم القهر وحطموا عن أصواتهم القيود . أتراها عجيبة من عجائب الزمن أن يصبح أنصار الحرية هم هدف السهام من الحرية وأن يمسى أعداء الحرية هم أناشيد الولاء من الذين تحرروا .

ان هذه المعارضة بطبولها ورنينها الأجوف تهاجم فى ضراوة شرسة وفى غير خلق كل الذين وقفوا الى جانب الحرية وأتاحوا لأصوات هذه المعارضة أن تقول ما تشاء .

وهو سبحانه جل علاه أعلم بعباده وهو سبحانه الذى قال عز من قائل قتل الانسان ما أكفره » .

خلقـــه الله سبحانه ثم كفر به . وأنعم عليه ثم ألحـد عن دينه ووهب له المال فتنكر له ، ورزقه البنين والبنات فصد عن سبيل الله .

فاذا كان هذا شأنه مع من خلقه فسواه ومن ألهمه كل الحرية فى فجوره وتقواه وبسط له الرزق ووهب له زينة الحياة فى البنين والبنات أفنعجب اذن من هذا الانسان اذا جحد فضل من فك قيوده ورد له حريته السـلـبية .

اذن أفنعجب من ذلك الانسان حين يمتدح الهزيمة ويهاجم النصر . ويجعل الذين حققوا له الأمل فى أن يرفع عن نفسه مرارة الذلة بعزة الانتصار وفجيعة الهوان بكبرياء الكرام وأى عجيبة فى ذلك .

لقد كان الانسان قبل أن يرسل الله أنبياء ، يعفر رأسه فى تراب الأصنام ويستجير بالحجارة على الحياة وحين توالت آيات السماء أعرض عنها فى كبر ورفضها فى غلظة . والآيات من السماء ما هى الا الاكرام

فالانســــان الذى خلقه الله فى أحسن صورة وجعل منه سيد مخلوقاته ووهب له العقل وحق الاختيار .

الانســــان لكنود

ويبدو أن الانسان هو الانسان وان تحضر وركب الهواء بعد أن كان يركب الناقة ، وسمع الراديو والتليفزيون بعد أن كانت مسلاته وملهاته نقر الطبول وهز الأوساط .

يبدو أن الانســان جاهل بالسليقة فما زال العالم المتحضر يعجب بالقــوة ويستعملها فى فض نزاعاته . وما زالت الدول الكبرى تنشــب أظافرها فى الدول الصغرى . وما زال بعض الناس يرون الفن كل الفن فى نقر الطبول وهز الأوساط .

فما بعجيب من المعارضين أن يرفضــوا النصر ويحاولوا تحطيمه ويتغنوا بالهزيمة ويرفعون راياتها ان كان للهزيمة رايات .

ونرى حزبا يســمى نفسه بالوفد منتسبا الى حزب قام ليحارب المستعمر يصر على أن يحتفظ بالاسم وقد زال الاستعمار . ويرفع شعارات زمان رفضه الشعب . بل ان رفض الشعب لفترة الطغيان كان لأنه وجد الجبروت ممن انتظر عندهم الرحمة . ولقيه الظلم حيث كان يلتمس العدل حتى اذا جاء العدل . والنصر والسلام على يد السادات وحسنى مبارك . رفض حزب الوفد العدل والنصر والسلام . ورفض أيضا الحرية التى اتاحها مبارك أو أوسع ما تكون الحرية ويصرون أن يجعلوها جاهلية الى ما قبل الزمان الحر النزيه .

مايو/ أبريل ١٩٨٤ م .

حـديث الصـباح

قد يرى قليل من الأصدقاء أن أرد على قوم يحلو لهم أن يوجهوا لى السب ولا أقول النقد • فالسب هو الشتيمة التى لا رأى فيها ولا منطق • وأما النقد فهو وجهة النظر الأخرى يسوقها من كان صاحب رأى •

والواقع أن السب والشتيمة لا يرد عليهما الا من هم أمثال السبابين الشتامين ولست بذلك • فهم يحتمون منى باخلاقى وبصغارهم وأذكر الأبيات القديمة •

أما الهجـــاء فدق عرضـــك دونه ... والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فانت طليق عرضـك انه ... عرض عززت به وانت ذليل

وهؤلاء الشتامون أعرفهم كل المعرفة وأعرف من دخائل كل فرد فيهم ما يندى له الجبين فقد عايشت الحياة الأدبية قرابة نصف قرن ولى فيها أصدقاء بعضهم فى عدد النجوم وبعضهم فى عدد ذرات الغبار •

ومن الطبيعى أن تكون عندى أخبار كل المهازيل التائهين فى سراديب الصحافة وفى متاهك الأدب • ولكن يأبى على خلقى ان أذكر من أمرهم شيئا وأعرف أولئك الذين دخلوا الصحافة من باب بيع العرض والآخرين الذين تنكروا لكل ما هو كريم فى الحياة وأعرف بعضا آخرين غاصوا فى الحضيض حتى أصبحوا أسفل من أى سب وأدنأ من كل شتيمة • فهم باخلاقهم قد خلقوا من السفالات مالا يستطيع السباب أن يصفه مهما يكن هذا السباب قاسيا • بل أن أى سباب بالغا ما بلغ أمره يضفى عليهم شرفا لا يستحقونه •

ومن هؤلاء من يهاجمنى فى علانية بأمل يداعبه ان ادنس قلمى وأشرفه بذكر اسمه • ولكن هيهات ومنهم من يلجأ الى الرمز ويجنح الى التمويه فيصبح شانه كما يقول المثل العربى — كبائع التمر فى هجر أو كما يقول المثل المصرى يبيع الميه فى حارة السقايين •

فقد مارسنا الرمز فى كل صور الفن الأدبى وهم يعلمون ذلك • الا أننا حين مارسناه قال عنه العالم العربى أنه نوع من الأدب وحين مارسوه جعلوه نوعا حقيرا من انعدام الأدب •

وأنا أكتب هذا الذى أكتبه اليوم لا ردا عليهم .. فهيهات لهم أن يظفروا برد منى عليهم .

وانما أكتب هذا لأجيب على هذا الرجاء الذى يتوجه به الى قلة من أصدقائى فلا لست أنا بالذي يعنى بهؤلاء الشتامين . وما هم بأهل لعناية أحد بهم .

وماداموا يشتمون فهم ينتظرون منى أن أصنع صنيعهم واشتم وبهذا يكونون قد إنتصروا أن يجذبونى الى الهوة السحيقة التى يرتمون فيها مثل الجيف العفنة .. ولن ينجحوا فى هذا أبدا . حتى ولو كنت أعلم أنهم حين يشتمون يمارسون ما تعودوه من باطل وهيافه . وانى حين اشتمهم لن أصل الى مدى سفالتهم ومهما كانت شتيمتى قاسية وموجعة فانها ستظل أقل من حقيقتهم .

شىء واحد منهم يلقاه عندى ابلغ رد . وهو أن يتطاولوا باختلاق الاكاذيب على ضميرى الأدبى أو ذمتى . والرد منى حينئذ يكون فى ساحة المحكمة . ويكون القضاء هو الرادع لهم . وانى بحكم القضاء راض غاية الرضى وانا من قبل ومن بعد مؤمن بالله وأعلم أنهم به لا يؤمنون وان لى فى كتاب الله الكريم خير على أفكهم . واقرأ معى قوله سبحانه فى الآية ٧٥ من سورة مريم .

« قل من كان فى الضـــلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب وأما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا »

صدق الله العظيم ولن يصدق الكافرون أبدا

مايو/ أبريل ١٩٨٤ ..

مفاخر .. أم ساخر

قرأت فى الأيام الماضية كتاب الاقتصادى الجليل محمد أحمد فرغلى « باشا » والكتاب فى حقيقته عرض لتاريخ مصر وللرجال الذين اشتهروا فى فترة ممتدة من تاريخ مصر .

والاقتصادى الكبير لم يحاول أن يقوم هؤلاء الأشخاص أو ينزلهم منازلهم السياسية وانما كان الكاتب صريحا فى تناوله غاية الصراحة وقدم رأيه فى هؤلاء الأشخاص من وجهة نظره الشخصية وبناء على معاملتهم له وأشهد أنه من هذه الناحية كان صادقا كل الصدق . وأشهد أيضا أن غضبه من بعض الشخصيات لم يجعله يحرم هؤلاء الأشخاص من ذكر ميزاتهم ونقاء سمعتهم وشرف ضمائرهم . ومن ذلك ما حدث بينه وبين النقراشى باشا من مغاضبة ذكر مناسبتها ثم أفاض على الرجل المديح الذى يرى أنه يستحقه .

وقد كان فرغلى باشا عفيفا فى كتابه غاية العفة فهو يعرض لشخصيات أساءت الى مصر غاية الاساءة ولكنه فى أدب جم يذكر صلتهم به ويغضى عن صلتهم بمصر .

ولا يخفى الكاتب صاحب الذكريات ولا أقول المذكرات صلته الوثيقة بأمين عثمان صاحب الدور الأول فى حادثة ٤ فبراير الشهيرة .

ولا يخفى أيضا الدور الضخم الذى صنعته ٤ فبراير فى الروح المصرية .

وقد أحاطت بهذا الحدث الجلل الكثير من الأقاويل حتى لقد ذهب بعضهم ان النحاس بقبوله الوزارة فى هذا اليوم المشئوم قد أنقذ العرش من الأنهيار .

ولكن الكتاب الذى بين يدى يكشف فى وضوح عن أن النحاس باشا كان شريكا فى المؤامرة قبل أن تقع .. وانه لولا هذا الاشتراك منه ولولا وثوق الانجليز من أنه سيقبل الحكم من أيديهم وعلى أسنة حرابهم لما جرأ الانجليز أن يحطموا أبواب عابدين ويحطموا فى الوقت نفسه كرامة الشعب المصرى جميعا .

يقول فرغلى باشا أنه كان زميلا لأمين عثمــــان فى كلية فيكتوريا بالاسكندرية ولهذا فهو ينقل عنه ما كان يقول لأن أمين عثمان كان يفضى له بأسرار حادث ٤ فبراير افضاء صديق الى صديق لا سياسى لسياسى •
وهو يذكر له أن الانجليز أرسلوه الى النحاس باشا ليقبل الحكم اذا جاء عرضه عليه منهم هم وليس من الملك الشرعى للبلاد ويذكر أمين عثمان أن النحاس باشا قبل هذا الوضع •

ويكفينى هذا لأتساءل • ماذا كان يستطيع الانجليز أن يفعلوا لو أن النحاس باشا رفض الوزارة من أيدى المحتلين •

وهكذا وضح لنا ما حدث بد أن تولى النحاس باشا الوزارة وتجمع الوفديون حول مقر رئاسة الوزارة يهتفون باسم الزعيم الجليل وبينما هم كذلك يأتى السـفير البريطانى مايلز لمبسون الذى أجلس النحاس على كرسى الوزارة ولم يكن مجيئه صدفة • فالصدفة لا تجد لنفسها دورا كبيرا من لعبة السياسة • ويتعالى هتاف الوفديين بحياة مايلز لمبسون زعيم الاحتلال البريطانى لمصر ثم يأخذهم الحماس ويحملون مايلز لمبسون على أكتافهم المصرية وعجب الناس يومذاك وهم يرون القائد الأعلى للجيوش المحتلة لمصر على أكتاف الحزب الذى يزعم أنه الحزب الشعبى الأول فى مصر •

لمن أسوق هذا الحديث ؟!

أما الذين عاصروا أحداثه • فهم يعرفونها ولكن أولئك الذين ينضمون الى الوفد اليـــوم من المثقفين فانى اعجب •• أيعرفون هذا التاريخ أم يجهلونه ؟ فان كانوا يعرفونه فكيف سولت لهم نفوسهم أن ينضموا الى حزب هذا بعض تاريخه •

وان كانوا يجهلونه • أفما كان الأولى بهم وهم أصحاب العقول العلمية المثقفة أن يبحثوا عن الحقائق لا عن الزيف وأن يكرموا عقولهم وثقافتهم وأن يبدأوا حياتهم السياسية فى ركاب حزب تملأ الخيانة ماضــيه • ويتشبث فى نفس الوقت بهذا الماضى ويرغمهم وهم الانقياء صفحة الأذكياء عقولا المثقفون علما أن يتشبثوا هم أيضا بالخيانة والغوغائية •

ان الحزب الذى ينضمون اليه هو الحزب الذى جعل الرشوة والسرقة ـ هذا استثناء وأنا لا إستثنى الا لابنى ولأقاربى ولانصارى فى حزب الوفد ولم يكن الموظف من هؤلاء •

ولو اننا تتبعنا لأكدى بنا السعى • وحسبنا الكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبيد باشا بمعاونة الأستاذ الكبير جلال الحمامصى •

ولكن الذى يعنينا هنا ما أجاب الزعماء الوفديون أمين عثمان حين سألهم عن هذه المساخر لقد قال له الزعيم :

— ان حزبنا وأقاربنا وأصهارنا وأنسابنا قد عانوا الكثير من غياب الوفد عن الحكم فمن حقهم أن يتمتعوا بهذه الميزات .

وفات الزعيم أنه يتحدث عن دولة وليس عن عزبة خاصة أيعرف أعضاء الوفد الجدد هذا التاريخ .. أخشى ما أخشاه أن يكونوا به عارفين ولكنهم يخادعون ضمائرهم التى مازالت نقية ويظلون متتسبين الى حزب هذه مبادئه وهذه زعاماته .

أتراهم يعرفون تاريخ القمصان الزرقاء التى انتشرت فى حكمهم كالطاعون تضرب زعماء الأحزاب الأخرى وتعتدى على بيوتهم ثم فشا وباؤهم فأصبحوا يعتدون على كل المصريين غير مفرقين بين أعداء وأصدقاء .

من أين لأصحاب القمصان الزرقاء قمصانهم وأسلحتهم ان لم تكن أموال الوفد التى هى أموال الشعب الذى خدعه حزب الوفد .

ان الوفد هو أول من زرع بذرة الفاشية والديكتاتورية فى حياة مصر أيرضى المثقفون عن هذا . أفاشية يريدونها .

أيريدون لمصر حكم موسيلينى أو حكم هتلر ان كان هذا ما يريدون أن يعرفون من ثقافتهم ما حل بايطاليا من حكم موسيلينى وما حل بالمانيا ومازالت تعانيه حتى اليوم من حكم هتلر . أم يريدون لمصر حكم القهر والاعتداء على الأعراض والحياة والكرامات .

ربما لم يكن زعماء الوفد اليوم يفكرون فى قمصان زرقاء أو صفراء ولكن من المؤكد أنهم أبنـاء هذا الفكر وأنصـاره ومؤيدوه والذين كانوا يصفقون له ويشيدون به .

أهؤلاء من يرتضيهم المثقفون اليوم زعماء لهم وأئمة ..

فوا حسرتاه اذن على العلم والثقافة والنقاء والشرف .

أيعرف المثقفون من أنصار الوفد اليوم الذين يحملون شعاره ويهتفون باسمه ماذا صنع النحاس باشا حين كان النقراشى باشا فى مجلس الأمن يصيح فى وجه الانجليز لأول مرة فى تاريخهم وفى تاريخ مصر « أخرجوا من بلادنا أيها القراصنة » .

أيعرفون ماذا صنع الزعيم النحاس .

أرسل برقية الى مجلس الأمن أن النقراشى لا يمثل مصر وأن كان هو رئيس مجلس الوزراء الا أنه ليس زعيم حزب الأغلبية .

أهذه هى الوطنية التى تلتفون اليوم حول رايتها أيها المثقفون من الوفديين وبعد ....

فعلى أى مبدأ انتم .

انكم متحالفون مع الاخوان المسلمين الذين ساموا مصر وقضاء مصر وشعبها الذعر والهلع حتى لقد كنا فى أربعينات هـذا القرن مهددين أن تنفجر القنابل فينا اذا نحن ذهبنا الى سينما أو ذهبنا الى دار حكومية أو الى محكمة .

أهؤلاء هم أنصاركم .. أبهذا الفزع تريدون أن تحكموا مصر فعلى أى مبدأ انتم اذن ؟ ولماذا اذن غضبتم على حكم الارهاب .

الأهـــرام أبريل ١٩٨٤ ..

فى أى بلد يقوم الحزب

واضح من برنامج حزب الوفد الذى أصدره أنه يحاول بكل جهده أن يرضى كل المعارضين مهما تباينت مذاهبهم ومهما اختلفت مناحى تفكيرهم . وهذا مطاب مستحيل . ومن هذه الاستحالة خرج البرنامج فرقا من الآراء مرقعا بغير وحدة فكر أو وحدة غاية .

وليس من سبيل فى هذه العجالة أن أتتبع مدى التناقض فى هذا البرنامج . وانما بحسبى أن أذكر أننى كنت أشعر فى بعض فقراته أننى أقرأ برنامجا لحزب شيوعى ثم أشعر فى فقرات أخرى أنه برنامج رأسمالى مغرق فى الرأسمالية . ثم هو برنامج اخوانى . ثم هو برنامج غوغائى يقيم الشعارات على الهواء .

فهو حين يتحدث عن القطاع العام شيوعى . وهو حين يتكلم عن علاقة المالك بالمستأجر رأسمالى وهو حين يتكلم عن الدين اخوانى مارق وهو حين يتكلم عما يعانيه الشعب غوغائى يستغل آلام الشعب التى رزحت على كواهله نتيجة حكم استمر ما يزيد عن عشرين عاما لم يكن ينظر الى مصر بقدر ما كان ينظر الى هذه الغوغائية التى يمارسها الوفد اليوم وان اختلف النوعان فى لون كل منهما الا أنهما كلاهما ينتسبان الى الغوغائية والبعد عن المنطق . والوفد يدرك ولكنه يخفى ادراكه أن الهدم يمكن أن يكون فى لحظة وأن البناء لا يمكن أن يكون الا فى سنوات طوال .

وأولئك الذين يستغلون ما يعانيه الشعب اليوم يريدون ان ينسوا ما كنا فيه من قهر ومن اعتداء على أعراض الانسان وانسانيته . ويريدون أن ينسوا كيف كانت حال مصر . لقد ظللنا سنوات لا نتكلم فى التليفونات وأصبحنا نتكلم . أو كنا لا نتكلم على الاطلاق والآن أصبحت الجرائد المعارضة تجول وتصول بالحق فى أقل أمرها وبالباطل فى أغلب أمرها . كنا عبيدا فى ديارنا وأصبحنا سادة أنفسنا أحرارا نشعر بعزة الانسان وبما كرمه الله به على سائر مخلوقاته . كنا نخشى أن يعلم أحد أن فى جيبنا جنيها واحدا . واليوم تتدفق الملايين من كل حدب وصوب على حزب الوفد . ولا أحب أذكر أسماء هذا الحدب أو ذلك الصوب . فأخشى أن أقول القول الذى أعرفه معرفة اليقين ولكننى لا أملك عليه دليلا .

ولا علينا من هذا جميعه فان كل ما ارجوه فى كلمتى هذه أن أستبين بوضوح موقف الوفد من معاهدة كامب ديفيد ·· ومن السلام · ان البرنامج يرى أن معاهدة كامب ديفيد لم تعد ذات موضوع ·· أيرى الحزب اذن أن تلغى المعارضة ؟ ··

أو هكذا كان رأيهم · ألم يعلنوا أكثر من مرة على لسان زعيمهم ومعاونيه أنهم يوافقون على معاهدة كامب ديفيد · وكان اعلانهم هذا بعد كل ما صنعته اسرائيل بلبنان ·

فمالهم اليوم يعدلون عن هذا الرأى واسرائيل تفكر فى الانسحاب من لبنان أو هكذا تقول على الأقل ·

أينافقون بهذا الشيوعيون ·· ؟ فالشيوعيون وهم المنتمون الى روسيا يعلمون أن روسيا من أشـــد الدول تأييدا لاسرائيـــل ولكنهـــا تتخـذ موقفها اليوم من كامب ديفيد لأنها لم تكن شريكة فيها وهو موقف مرحلى كما يحلو لهم دائما أن يقولوا كلما أغلقت عليهم المسالك وعجزوا عن ايجاد رد لحجة تساق اليهم ·

أينافقون بهذا البلاد العربية المتعصبة ففى أى بلد يقوم حزبهم ·· أهو يقوم فى مصر أم فى ليبيا ·· ؟

أما السلام ·· فعجيب ما يرون بشأنه كأنى أراهم يحاولون أن يرفضوا السلام · هل أصبحوا مثل الشيوعيين يريدون الوصول الى الحكم حتى ولو كان هذا فى زورق يسير فى دماء مصر وعلى أنقاض حياة مصر جميعـــا ·

أنحتمل اليوم حربا ·· ؟

ولكن ماذا نقول وهم الى غير مصر ينظرون وانمـــا ثبتت أنظارهم كشأنهم دائما على الهتافات الخائنة مادامت هذه الهتافات تستطيع أن تصل بهم الى مزيد من الممثلين فى مجلس الشعب ·

وان كان هذا رأى الشيوخ · أفتراه أيضا رأى الشبيبة والمثقفين الذين مازالوا فى طهارة من ثوبهم ونضارة من شـــبابهم · ونقاء من ضمائرهم بلا أوضار فى ماضيهم وبلا شوائب فيما فات من أعمارهم ·· وقاهم الله السوء انه سبحانه على كل شىء قدير ··

مايو/ أبريل ١٩٨٤ ··

حـديث الصـباح

وماذا علينا أن نقص عليكم اليوم قصة · وأنا لا أرجع فيها الى نفسى كقصاص يختلف الأحداث ويؤلف بين أحداثها · وانما أروى من الذاكرة ومما شاهدت منطقتنا رأى عين ومما دونه أعضاء النيابة فى ذلك الحين ·

كان فى منطقتنا مجرم سفاح لا يستطيع أن يعيش بغير الأجرام وكان من كبار جهلاء المنطقة أيضا فكان لا يكاد يقرأ أو يكتب على الاطلاق ·

وفجأة انتسب هذا المجرم الى حزب الوفد فى ذلك الحين · فعجبنا فقد كان بعيدا عن السياسة كل البعد وقبله الوفد بين صفوفه ورشحه أيضا فى الانتخابات · ولم يحاول الرجل أن يتودد الى الناس أو يخطب محبتهم لينتخبوه بل لجأ الى وسيلة ميسورة كل اليسر بالنسبة له شهر السلاح وسلط عصاباته على الناخبين فنجح ·

وكنت أظن أن الوزير المسئول عن الأمن فى ذلك الحين سيرفض أن ينضم هذا المجرم القاتل السفاك الى أعضاء الوفد ·

ولكننى رأيت عجبا وجدت الزينات تقام والأعلام ترفع ·· والطبل يدق والمزامير تنفخ ماذا يا اخواننا أى فرح يقام عند رئيس العصابة ·

وكان الجواب حاضرا من قريب · وان كان العقل يســتبعده كل الاستبعاد · ويرفضه كل الرفض ·

ان الوزير المسئول عن الأمن سيزور فى يومه هذا رئيس العصابة عضو مجلس النواب وسيتناول عنده طعام الغداء ·

من ؟! ماذا تقولون ؟!

واذا بالذين أسألهم يعجبون من عجبى ويدهشـون من دهشـتى ؟ وحاولت أن أبرر لهم حيرتى ·

وزير الأمن والمحافظة على الأرواح والأموال فى القطر المصرى يزور كبير المجرمين فى المديرية كلها !

وجاء جوابهم بنبرة الذى يشعر بسذاجة محدثه ·

وأى عجيبة فى هذا • انه صديقه المقرب وهو كل يوم يستقبله •

وتولانى هم ثقيل •

فالوفد ووزير الأمن فى الوفد وزعماء الوفد لم يقبلوا المجرم على الرغم من اجرامه وانما قبلوه من أجل اجرامه وبفضل الأرواح التى أزهقها والأموال التى استلبها •

ومما يذكر فى هذا الشأن أنه سرق فى يوم من الأيام قطنا لثرى واسع الثراء فى المنطقة وراح ينقل أكياس القطن فى الصباح المنير • وسارع صاحب القطن يطلب الشرطة والنيابة •

ووصلت الشرطة ووصلت النيابة وبدأ التحقيق واذا بوكيل النيابة وهو زميل لى من دفعتى يفاجأ بما لا ينتظره وكيل نيابة مطلقا

سأل المجرم :

ـ ماذا تفعل ؟

ـ اتسلم القطن الذى اشتريته ؟

وكان البيع والشراء فى ذلك الحين يتم بغير ورق •• وانما يتسلم البائع الثمن ويتسلم المشترى القطن وينتهى الأمر عند ذلك •

ويقسم الثرى صاحب القطن أنه لم يبع قطنه لأحد وأنه مازال ينتظر المشترى ولكن رئيس العصابة الفاجر يقول لرئيس النيابة :

ـ اسأل الشـــهود •

ويأتى الشهود من موظفى الثرى ويشهدون أن المجرم اشترى قطن الثرى ودفع له الثمن •• ووكيل النيابة يعلم كل العلم أن هؤلاء الشهود واقعون تحت تهديد المجرم وأعوانه ولكنه لا يملك على علمه دليلا •• فلا يملك حتى يفرج عن غيظه المكبوت الا أن يثبت فى محضر النيابة •

« وبسؤال كبير مجرمى المديرية أجاب بكذا وكيت •• » •

ويحفظ التحقيق وتتم سرقة القطن بمباركة وزير الأمن وبرغم أنف العـــدالة •

وأسمع بعد ذلك أن الوزير والنائب السفاح كانا يتذاكران هذه الواقعة ويغرق كل منهما فى الضحك والقهقهة •

مايو/ أبريل ١٩٨٤ ••

أذل الحرص أعناق الرجال

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » صدق الله العظيم ٠

وليس احوج من الكاتب ان يلجأ الى الحق سبحانه وتعالى ليهديه الى الحق فيما يقول ٠

ووجهات النظر تختلف ولكن الحق فى نفس الانسان الفرد واحد لا يختلف ولا يتغير ولا يمكن ان يزدوج ٠ فهيهات للانســان ان يكون شيوعيا وديموقراطيا ٠ مؤمنا بالله وبرسله وملحدا بالســماء محترما للانسان محطما للانسانية ٠ كل هذا فى آن واحد ٠٠ هيهات ٠

كما لا يمكن للانسان ان يكون بعثيا ٠ وخومينيا وانسانا وشيعيا وسنيا فى وقت معا واذا كان هذا مســتحيلا لســائر الناس فهو أكثر استحالة للكاتب ٠

لأن الكاتب رأى معلن ، وان اختل منه القلم وتخلجت كتابته بين شتى آراء وقرعت يده أبواب كل المعتقدات فقد الكاتب احترامه بين الناس ولا يحسبن الكاتب ان القارىء ينسى فالقارىء ذو ذاكرة واعيــة وحافظة مخيفــة ٠

توجهت لى آنسة فى يوم من الأيام بخطاب تطلب رأيى فى أن تقبل شابا فقد ســـاقه زوجا لها فنصحت لها الا تفعل وسقت ما أراه من الحجج ٠

ومرت عدة سنوات وظهرت فى الأهرام روايتى « أحلام فى الظهيرة » وفى الرواية جعلت فتاة تتزوج من شاب فقد ذراعه ٠

فاذا بقارىء من الصعيد يرسل لى كيف غيرت رأيك ٠ ولو كان قد كتب لى عنوانه لقلت له اننى فى الرواية اضمن للفتاة التى تزوجت صاحب الذراع المبتورة مستقبلها ومستقبل زوجها ٠ لأننى أنا الذى اصنع الرواية جميعا وانا أعرف مستقبل كل شخص فيها ٠

أما فى الحياة فأنا أخشى على من تسألنى مستقبلا لا أدريه لأننى لا أصنعه فأنا أحاول ما وسعنى الجهد أن أجنبها حياة شقية مع أشخاص لا يعرف مستقبلهم الا الله ٠

وهكذا نجد الحساب عسيرا للكاتب عسرا لا يطيقه أى انسان آخر ، لأن الآخرين رأيهم مقصـــور عليهم وعلى من يعاشرونهم وليس معلنا للناس كافة ٠

وحين يقول كاتب ما ان حكما ما صنع المعجزات وليس عليه بأس فى سبيل ذلك أن يقتل الأرواح ويعتدى على الأعراض ويدرب الكلاب أن تنهش أجســاد البشر ٠ أصيح به ليس شىء فى العــالم يساوى تعذيب انسان واحد٠ وحين يقول ان هذا الحكم أنجز الكثير فى فترة وجيزة أقول له ان الحكم الشمولى بطبيعته يملك حرية التحرك ٠ لأن أحدا لا يعترض فيه على الحاكم والحكم الديمقراطى بطبيعته بطىء لأن كل قرار لابد ان يناقش من المعارضين والمؤيدين ٠ ويطول النقاش ٠ ثم يؤخذ الرأى ثم قد تسقط الوزارة فيعود النقاش ٠

وتلك هى طبيعة الديمقراطية وهى بذلك تضمن الى حد كبير ان يصدر القانون أو القرار بعد أن تحيط به كل وسائل التأكيد من سلامته ٠ أقول هذا جميعا اذا سلمنا جـــدلا أن الحكم الشـــمولى أنجز الكثير أو القليل ٠

وبسبب الديمقراطية طال الحوار مع الانجليز المحتلين واننا نذكر تماما معاهدة صدقى ــ بيفين وما دار حولها من نقاش انتهى الى رفضها ، ولو كان الحاكم يومذاك فردا لقبلت المعاهدة فى لحظة والفوارق بين حكم الفرد والحكم الديمقراطى معروفة فاذا جاء كاتب وراح يمدح حكم الفرد ثم راح يمتدح الديمقراطية فان القارىء سيصيح به : مكانك ٠ فان لك أن تكون صاحب رأى ٠ ولكن لا يجوز لك ان تكون صـــاحب رأيين متعارضين فى وقت واحد ٠ والا فأنت تحاول ان تخدعنا ونحن لا نسمح ان تخدعنا ٠ اخدع نفسك اذا شئت ولكن حذار ان تحاول خداعنا نحن ٠

وحذار ان تحاول ارضاء كل الجماعات والتجمعات لأنك مهما تكن بارعا فى الخداع فلن تصل الى ارضاء الجميع بل ان المؤكد انك ستصل الى اغضاب الجميع ٠ فالصديق الذى لا يثق فى صديقه يعتبره عدوا له بل ان العدو خير منه فالعدو سافر المشاعر وصديق الجميع ليس أهلا أن يطمئن الى جانبه أحد ٠ واذا كان كذلك أمر الانسان والكاتب ــ وهو كذلك فعلا ــ فأمر الأحزاب فى الأمانة أدهى وأمر ٠ فالحزب الذى يحاول ارضاء الاخوان ٠ والديمقراطية ٠ والشيوعية ٠ والديكتاتورية ٠ كل هؤلاء فى وقت واحد يصبح وهو ليس حزبا ٠

وحزب الوفد يعلن فى غير خفاء انه متضامن مع الاخوان وهذا فى ذاته يسقط عنه الشرعية فالقانون صريح فى منع تكوين أحزاب دينية وذلك حتى لا يحاول أقوام ركوب خيــول الدين للوصـــول بهـــا الى أغراض دنيوية أغلب الأمــر انها ســـتكون أغراضا تذل كرامة الناس وتقضى على حريتهم وتنتهب أرواحهم · وقد رأينا كيف صنع بنا الأخوان فى الأربعينيات وماذا صنعت بنا الجماعات الدينية المتطرفة فى أيامنا هذه الأخيرة · ثم ماذا يصنع الخومينى بالاسلام جميعا فى العالم ·

فحين يعلن الوفد انه تضامن مع الاخوان فان القانون الذى يمنع تكوين الأحزاب الدينية ينطبق عليه لا شك فى ذلك لأنه بذلك قد أعطى اسمه لجماعة دينية متطرفة · فهى جماعة سياسية يمنعها قانون الدولة ان تتخذ من الدين وسيلة لها الى ركوب الحـــكم وارتكاب المعاصى التى يرفضها الدين وتحاول فى نفس الوقت ان ترفع الدين شعارا وحزب الوفد يقبل معاهدة كامب ديفيد ولكنه فى برنامجه يرفضها وحزب الوفد يؤيد السلام ولكنه فى برنامجه يستغنى عنه ·

وحـــزب الوفد يرفض الشـــيوعية ولكنه لا يمـــانع أن ينضـــم اليه الشـــــيوعيون ·

وحزب الوفد يرفض الثورة التى حلته وأنزلت بزعمائه شر أنواع المهانة وحزب الوفد يؤيد الثورة فى برنامجه ·
أى حزب هذا اذن ·

حذار أن يظن أحد أننى أعارض قيام حزب الوفد · فانه لا أمل لنا فى الديمقراطية الا اذا قام حزب قوى بالمعارضة حتى يكون حصننا لمصر أن يستغلها حزب واحد وحتى لا يفكر صاحب منصب ان المال العام سائبة يتصرف فيه كيف شاء ·

ولكن هذه المعارضة ان لم تكن شريفة الوجه والوسيلة والهدف فانها ستكون أشد وبالا من حكم الحزب الواحد والذى لا شك فيه ان الأساتذة الكبار من علماء القانون فى حزب الوفد يعرفون القانون ١٥٦ لسنة ١٩٨١ الخاص بتعديل بعض أحكام القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ · وحتى أذكرهم به فاليهم نصه ·

« يعاقب بالسجن كل من أنشأ أو أسس أو أدار أو مول على أية صورة خلاف أحكام هذا القانون تنظيما حزبيا غير مشروع ولو كان مستترا تحت أى ستار دينى أو فى وصف جمعية أو هيئة أو منظمة أو جماعة أيا كانت التسمية أو الوصف الذى يطلق عليه ·

وتكون العقوبة الأشغال الشقة المؤبدة أو المؤقته اذا كان التنظيم الحزبى غير المشروع معاديا لنظام المجتمع أو اذا كان ذا طابع عسكرى أو شبه عسكرى أو أخذ طابع الترتيبات العنيفة التى تهدف الى الاعداد القتالى ، أو اذا ارتكبت الجريمة بناء على تخابر مع دولة أجنبية » ٠

ولننظر الآن الى كلمة « أيا كانت التسمية أو الوصف الذى يطلق عليه » ٠

أليس من حقنا اليوم أن نقول ان حزب الاخوان المسلمين اتخذ تسمية أخرى هى حزب الوفد ٠٠ أولا ينطبق اذن القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٨١ على هذه المحاولة التى يحاول حزب الاخوان بها التخفى وراء اسم حزب الوفد ٠

وقد صرح زعماء حزب الوفد فعلا بأنهم متعاونون مع الاخوان واستقال بعض أعضاء من الوفد فعلا رافضين هذا التضامن ٠

وبعد فهل يجدى « المانيا الشيوعية » أن تسمى نفسهـا المانيـا الديمقراطية وهل يغير هذا من الحقيقة فى شىء ٠

وبعد فان لى اقتراحا لحزب الوفد وهو ان يسمى نفسه :

« حزب الوفد الجديد القديم الديمقراطى الشيوعى الاخوانى الثورى البعثى الخومينى » ٠

فان هذه الأسماء تستطيع أن تعطيه حرية الحركة حتى لا يسأله أحد عن مبادئه أو وسائله أو أهدافه ٠

الأهـرام ٢٢ أبريل ١٩٨٤ ٠٠

حـديث الصـباح

الدكتور وحيد رأفت علامة مشرقة فى تاريخ القانون وفى تاريخ مصر جميعا لم يجرؤ انسان ما مهما يكن مكابرا أن يذكره الا بكل اجلال واكبار . فهو رجل علم الأجيال العديدة وكل تلاميذه يقدرون فضله وعلمه . ثم هو عاصر الحياة المصرية منذ فجر شبابه ولم يكتب يوما حرفا نابعا من غير ضميره وان كان فيم يقوله خطر على مصالحه الشخصية . وهو رجل ذو اباء وكرامة وشرف فى كل تصرفاته وأحاديثه .

واننى أكاد أكون واثقا انه انضم الى حزب الوفد الجديد راجيا أن يكون لانضمامه أثر على الحزب فيبتعد به عن الغوغائية الى الجدية وعن الهتافات الفارغة الى تفكير العلماء الذين ينبغى أن تستنير الشعوب بآرائهم وبعلمهم وبفكرهم . والذى أظنه أيضا انه تصور أن يجد عند زعامات حزب الوفد رجالا يقدرون العلم ويجلونه ويدركون مدى خطره وأهميته .

والرجل لم يكن وفديا قديما . والذى احسبه انه لم يكن على علم بما كان يدور فى اروقه الحزب القديم ودهاليزه .

فالدكتور وحيد رأفت بعيد كل البعد عن المناورات السياسية . وألاعيب الألفاظ التى مرن عليها الوفديون واتقنوها . فهو رجل قانون . والحياة عنده أما أن تكون شرفا خالصا أولا تكون . وهو من هؤلاء القله الذين لا يتصورون أن الشرف يتجزأ وأن الأمانة أصناف وألوان . فأما أن يكون الانسان عنده شريفا أو هو خائن وأما ان يكون الأمين أمينا أو هو لص . وليس من الحتم ان يكون اللص سارقا للمال . فالمال عند السرقة هين وانما سرقة الثقة التى أودعها الناس فيك شر وبلا من سرقة المال .

وان صلتى بالدكتور وحيد رأفت ليست وثيقة . وانما انا أعرفه من الحياة العامة وأعجب به طول حياتى وأشهد أن الرجل لم يخذل أعجابى به فى يوم من الأيام .

بل آنه حتى حين انضم الى الوفد لم تهتز ثقتى فيه لأننى كنت أعلم أن الرجل انما انضـم لتقوم فى مصر معارضـة شريفة لا تسـتقيم الديموقراطية الا بها . وهو خير من يعرف الديموقراطية وما ينبغى أن تقوم عليه من أسس .

وبغير الحزب الآخر لا ديموقراطية • وحزب الوفد هو الحزب الباقى من الفترة التى مارست الديموقراطية فيها عملها قبل أن يلغى الدستور فكان طبيعيا مادام الدكتور وحيد يريد أن يقوم حزب معارض ان يترك الحزب الحاكم وينضم الى الحزب الذى يأمل ان يجد فى صفوفه المعارضة الشريفة النزيهة التى ترضيه •

ولا شك أنه تصور انه بما له من مكانة علمية وبما له من تقدير عند الناس سيكون مسموع الكلمة عند الحزب خاصة وهو يعلم كما يعلم الناس جميعا ان كلمته لن تكون الا للمصلحة العامة بعيدة كل البعد عن المصلحة الشخصية • فالرجل لم ينظر الى مصلحة فالرجل لم ينظر الى مصلحته الشخصية وهو شاب فى مقتبل العمر ولا يتصور أحد أن يفكر رجل فى مثل ذكائه أن يعتدى على السمعة الكريمة النظيفة التى بناها لنفسه بأن يفكر اليوم فى أية مصلحة شخصية • وماذا يمكن أن تكون مصلحته انه عالم يملأ اسمه ارجاء الدنيا • وهو والحمد لله ـ ميسور • وكل منصب مهما كبر صغير بالنسبة الى قدر الرجل •

فالذى لا شك فيه اذن أنه يقوم بدوره اليوم ليس يرجو الا وجه الله والوطن • رعاك الله أيها الرجل العظيم وايدك بروح من عنده •

فاننا منذ فترة لم نقرأ لك حديثا ولم نسمع لك رأيا • اننى لا أملك أن أقول ما لا دليل له عندى • ولكننى أملك أن أسألك بما لى من حق التلميذ على أستاذه وأن كنت لم اتشرف بالجلوس الى محاضراتك •

أيرضيك ان يتحالف الوفد مع الاخوان المسلمين أيرضيك أن يتنكر الوفد فى برنامجه لمعاهدة كامب ديفيد •

أيرضيك أن يتنكر الوفد للسلام الذى لولاه لكان حالنا اليوم حالا أنت أعرف الناس به •

أيرضيك أن تخرج صحيفة بعنوان رئيسى تقرأ ما تحته فنجده كله أكاذيب وخرافات وتصبح جريدة الوفد الجديد مثل جرائد القديمة الصفراء باستثناء جريدة المصرى •

أيرضيك أن يقبل الوفد بين صفوفه الذين يريدون أن يعيشوا على المحسوبيات والاستثناءات •

أيرضيك ••• أيرضيك ••• أيرضيك •

أستاذنا الكبير أنا لا أنتظر منك اجابة وانما أردت فقط أن أقول لك ان هناك كثيرين يقدرون موقفك ويدعون لك بالتوفيق ؟

مايو ٢٨ ابريل ١٩٨٤ ••

قولوا رأيا أو فاصمتوا

أرأيت الطفل الصغير يعدو غـاية العدوان • وينتهب ما ليس له فاذا حاولت أن تناقشه أو ترده الى شيء من العقل أو العدل راح يضرب الأرض بقدميه ويقذف الذى يؤدبه بما يعرف من ألفاظ السباب وقد تكون حصيلته فى السباب وافرة والطفل أيضا قد يغتلى به الغيظ فيضرب وقد يفعل أى شيء الا شيئا واحدا هو أن ينـاقش المنطق • أو يقابل الحجة بالحجة والرأى بالرأى •

وهذه الحال من الطفل تدعو فى أغلب الأمر الى الضحك والتسلية ويقبلها الناس — أغلب الناس — من الأطفال على انها ظرف يتفق مع سن الطفولة •

أما أن تصيب الكبار فتلك كارثة • فاذا كان هؤلاء الكبار يكتبون فى صحف مهما تكن حقيرة هينة الشأن فالكارثة لا شك أعظم والمصيبة أدهى وأمر •

فالذى يعرفه الكتاب والساسة أن يقابل الرأى رأى والحجة حجة • وأن ينبرى صوت انسان ليجيب على رأى انسان أما أن ينـاقش الرأى نباح • ويفند الحجة نقيق ويواجه المنطق عواء • فهذا أمر يدل على أن الرأى لا رد عليه • وعلى أن الحجة أقوى من المناقشة • وعلى أن المنطق لا سبيل له مع هؤلاء الذين يدعون انهم كتاب •

ويقول قائلهم اننى أتزلف للحكم وانى اناشدهم الله والحق • أين كانوا يـوم كانت الرؤوس تفصـل عن الأجسام • والأموال تصادر بغير حساب ولا تفكير • ويوم كانت اللحظة دهر من العذاب والرعب والخوف والجبروت والطغيان • ولم تكتف يومذاك بالصمت وانما ملأت كتاباتنا العالم العربى جميعا تتخفى عن الرقيب بالرمز فيفهمها العامة والخاصة وترددها الجماهير بالهمس حينا وبالهتاف أحيانا •

أنحارب الجبروت وننافق العدل • أنضع رؤسنا على أكفنا ونقدمها فى سبيل الوطن والحق والسجون فاغرة الأفواه ، وأدوات التعذيب والقهر لا تكف عن العمـل ، والكلاب المـدربة على نهش الجسوم لا تتوقف عن التمزيق • وأعراض الناس منتهبة أو مهددة •

أيكون ذلك منا والكلمة مصادرة فنخفيها بالرواية والقصة ٠

ثم تنقلب فجأة وقد علت بنا السن منافقين ٠ وفيم نفاقنا ومن أجل ماذا ٠ ان الكاتب لا يجد لقبا أسمى من هذا اللقب حتى ينافق ٠ وكل الألقاب الى زوال الا لقب الكاتب فأنه مع الأزمان يزداد رسوخا فى قلب الزمان لا يتخلى عن صاحبه أبد الآبدين ٠ ويموت الكاتب بجسمه ويظل أدبه ولقبه وفكره أحياء حتى تقوم الساعة ٠

ففيم ننافق ٠ ان النفاق انما يكون لطمع أو لخوف ٠ أما الطمع ٠٠ ففيم نطمع ونحن كتاب ٠ أما الخوف ٠ فماذا نخاف ٠ والدار أمان والحاكم يترك الكلمة حرة حرية لم نشهد لها مثيلا وها هى ذى المعارضة تقول ما تقول وترمى بالبساطل أقدار النــاس فلا تجد عند الحاكم الا صدرا رحيبــا ٠

أليس من الممكن أن يكون هذا الذى أكتبه هو رأيى أو لا يقدر هؤلاء الشتامون اننى أتوقع قالة السوء منهم اننى أنافق ٠٠٠ يقولونها بالباطل ولكن متى عفوا هم عن الباطل٠ألا يرون ان تمسكى بما أرى على الرغم من توقعى لما يقولون ــ وقد قالوه فعلا ــ يدل على اننى أقول الحق الذى آراه وأترك حسابى عند الذى يعرف خائنه الاعين وما تخفى الصدور ٠

أولا يقــدرون اننى رجــل صناعتى الأصــيلة هى الأدب والرواية والقصة ٠ اننى أســتطيع أن أهرب من ميدان الرأى السياسى متسترا بالأعمال الأدبية واثقا اننى لن أجد عند ميدان الأدب الا المديح أو أجد على الأكثر بعض النقد الموضوعى ٠

ولكن مصر عندى هى حياتى ٠ وقول الحق عندى هو واجب الكاتب الذى يشرفه أن يموت فى سبيله ٠

فبربكم ألا فكرتم قليلا قبل أن يخط قلمكم ما يخط به من تجريح وسباب ٠ ولست أرجــوكم هذا الرجاء محاولة منى أن أ أحمى نفسى من أقلامكم فما لكم أقلام تخيف ولا أنا متوقع أن أهاجم أقواما ولا يقابلنى منهم هجوم وانما أنــا واثق أن كل من يتصدى للرأى السياسى لابد أن ينتظر التهجم عليه ٠

ولكننى أرجوكم هذا الرجاء لأنفسكم أنتم ٠ حتى يقع كلامكم موقعا محترما عند الناس ٠ وأرجو هذا الرجاء يعرف العالم ان المعارضة فى مصر معارضة رأى وليست مجرد سباب واعتداء على كرامات الناس فى سخف لا يماثله سخف وفى صغار لا يشبهه صغار ٠

ثوبوا الى الرشد ٠٠ أو التمسوا الرشد عند العقلاء ٠

وقولوا رأيا أو اقيموا حجة أو قدموا منطقيا أو فاصمتوا ٠

مايو ٣٠ أبريل ١٩٨٤ ٠٠

بعض هذا يا باشا

تفضل السيد الأستاذ فؤاد سراج الدين فعرض بى فى خطاب انتخابى له وذكر واقعة ملخصها أننى طلبت منه الكتاب الأسود لأنشره على نفقتى الخاصة لأظهر كيف أن المخالفات التى ارتكبت فيه « هايفة » بجانب ما يحدث الآن وكان ذلك فى دعوة عشاء عند الأستاذ الجليل حسين أبو الفتح والواقعة صحيحة فى جوهرها · وكم كنت أتمنى أن تظل صادقة حتى نستطيع أن نقول ولو مرة واحدة أن الوفديين قد يصدقون أحيانا · فأنا طلبت أن أنشر الكتاب الأسود هذا حق · أما على نفقتى فهذا ما لم أقله فأنا ـ والحمد لله ـ لست من الثراء الذى يسمح لى أن أطبع كتبا على نفقتى والا لكنت طبعت كتبى أنا · وهذا تفريع لا يقدم ولا يؤخر وليس على الباشا حرج أن يخطىء فيه فلعله تصور أننى قلت هذا ولم يختلق ·

أما الذى اختلقه الباشا تماما فهو العهد الذى اردت أن اقارن بينه وبين الكتاب الأسود ·

فهو لم يكن عهد السادات بيقين ·

وهو بالطبع ليس عهد حسنى مبارك ·

وانما أردت أن أقارن بين الاستثناءات والمحسوبيات فى عهد الوفد والاعتداء على أعراض الرجال والنساء وعلى كرامة الانسان وعلى رفع التافهين الى أعلى المناصب فى عهد الطغيان تحت شعار الثقة قبل الكفاءة · والذى لا شك فيه ان كل ما وقع فى الكتاب الأسود من أوله الى آخره أهون شأنا من الاعتداء على عرض انسان واحد أو حياته أو حريته · وهكذا تكون رغبتى فى المقارنة منسجمة تماما مع الآراء التى لم اغيرها والتى ما زلت أؤمن بها · وأحسب اننى كتبت فى الأهرام أنه مهما تكن من جرائم الوفد فالذى لا شك فيه اننا لم نكن فى عهدهم مصابين بالفزع والهلع والرعب الذى فرضه علينا الطغيان أما حين جاء السادات وأطلق الحريات وسمح لحسين أبو الفتح أن يعود الى القاهرة بعد أن كان منفيا وسمح لفؤاد سراج الدين أن يدعى عنده على العشاء بعد أن كان مسجونا

أو مهددا بالسجن فى كل لحظة من لحظات حياته فقد أصبح من حقنا أن نطالب بنظافة الحكم ٠

وحين جاء حسنى مبارك يدعو الى الطهارة والنقاء ويترك القانون يقيم الحق بغير قيد ولا سلطان فليس يجوز لنا أذن أن نقول ان الكتاب الأسود ليس أسود ٠ فاننا ندعو الى الشرف والأمانة ٠ وليس يعقل أحد أن الشرف يتجزأ أو أن الأمانة تتنوع فالشرف هو الشرف والأمانة هى الأمانة ٠ والطريق اليهما واضح كل الوضوح لا لبس فيه ولا ابهام ٠ ولاشك ان الذى وقع فى الكتاب الأسود ينبغى حتما ألا يحدث مرة أخرى٠

واذا حدث فاننا نهاجمه لأننا الآن نقارن بين العدل والمحسوبية وبين المساواة والاستثناءات ٠ ولا نقارن بين القتل والمحسوبية ولا بين الاعتداء على الأعراض والاستثناءات ٠

فاذا كان هذا واضحا ـ واحسب أنه واضح ـ فعلى الأستاذ فؤاد سراج الدين أن يعترف أن الكتاب الأسود كان جرائم بالنسبة للعهد الذى كتب فيه ولكنها جرائم هينة بالنسبة للطغيان والبطش والجبروت ٠ فاذا زال الطغيان والبطش والجبروت ٠ عاد الكتاب الأسود ليكون جرائم لا تتفق مع المثل الأعلى الذى ننشده والذى نسعى أن يكون سمة الحكم اليوم ٠

يصنعه من حزب حزبا كانت له جماهير فحطم ثقتها وأضاع الأمل الذى كانت تعلقه بهذا الحزب ٠

لست أنا يا باشا اذن الذى يعرف تقبيل الأيادى فان من كانت غايته الكلمة الشريفة لا الوظيفة لا تلمس جبهته الأرض الا مصليا للواحد القهار جل جلاله ٠

الأهرام ١٩٨٤/٥/٣ ٠٠

الحــرية أمانة

حين يطلق الحاكم الحريات تصبح الحرية أمانة فى يد الشــــعب جميعا لا فارق هناك بين حزب مؤيد وحزب معارض · بل ان أمانتها تقع أيضا على أكتاف الذين لا ينتمون الى أحزاب ·

فالحزب المؤيد اذا راح يؤيد بصورة عشوائية دون تفكير أو تدبر فيما يعرض عليه فانه يخون الحرية شر خيانة · فليس معنى التأييد أن تظل الأيدى تصفق بشكل تلقائى دون أن يكون تصفيقها مستمدا من عقلها وتفكيرها ونظرها الى المصلحة العامة ·

وانما التأييد كل التأييد أن تعرف أين المصلحة العامة وتطالب بها حتى ولو كان فيها عدوان على مصلحتك الشخصية · وانت اذا لم تفعل ذلك تكون مخادعا للحزب الذى يتولى المسئولية والذى تريده أن يكون قويا قادرا على القيام بهذه المسئولية · فليس الحكم سيارة فاخرة ولا هو كرسيا فى الوزارة ولا هو مجرد وجاهة ومنظر · وانما عبء فادح يحتاج الى الاخلاص غاية الاخلاص كما يحتاج الى كل رأى معه حتى يصدر القرار بعد تمحيص وتفكير وتدبر ليكون قرارا محققا لمصلحة الأغلبية العظمى من الشــــعب ·

وقرار الحكومة حين يصدر يمثل كل الذين يؤيدون الحكومة فى كل السلطات وهم جميعا مسئولون عنه مسئولية من أصدره سواء بسواء · وهم أيضا يواجهون الشعب فرادى وجماعات · والشعب يحاسب فى ذكاء ووعى ودقة · وسيحاسبهم · فاذا خادعوا أنفسهم داخل القاعات المغلقة فانهم لن يستطيعوا ان يخادعوا شعبا بأسره فى الهواء الطلق وتلك هى الحرية · وفى هذا الهواء الطلق يكمن سرها العظيم الذى استطاعت به الدول الحرة ان تحقق أكثر قدر من الرخاء والطمأنينة لشعوبها ·

فى هذا الهواء الطلق يناقش الشعب الذين اختارهم ليمثلوه · وليكونوا كلمته التى تجهد كل الجهد لتحقق له هو أكبر قدر من القوة على مواجهة الحياة · والمرشحون الذين يجوبون آفاق البلاد من أقصاها الى أقصاها يقعون فى خطأ قاتل اذا تصوروا ان حصولهم على مقعد فى المجلس النيابى هو غاية المراد من رب العباد · وهو نهاية الطريق · وانما ينبغى

ان يعلموا ان المقعد النيابى بداية لطريق عسير صعب لا يستطيع السير فيه الا من أخلص ضميره لله والوطن ومن سعى غاية السعى لدراسة مشاكل الوطن جميعا لا الدائرة التى يمثلها ولا الاقليم ٠

أما المعارضة فان دورها فى المعارضة ضخم ٠ فان بيدها ان تبقى على الحرية وبيدها أيضا ان تقضى عليها ٠ ومنذ عادت الحريات الى مصر ونحن نرى المعارضة تسلك طريقا يدعو الى الرثاء وان كان لا يدعو الى العجب ٠

فما ان نادى المنادى بعودة الحرية وما ان صدرت الجرائد المعارضة حتى راح العاملون فيها يصرخون بالهجوم على الحكم الذى اعاد الحرية ٠ ولم يقف الأمر عند الجرائد المعارضة بل تخطاه فى قوة الى الجرائد الأصيلة ورأينا البطولات متناثرة فى شتى الصفحات سواء فى الجرائد المؤيدة أو فى المجلات المعارضة على السواء ٠

وانا نحن الذين عاصرنا القهر وعانيناه نعرف هؤلاء الأبطال كل المعرفة ٠ ولقد رأيناهم رأى العين فئرانا مذعورة ٠ ورأينا الهمسة تجول فى صـــدورهم مدوية تبحث عن قلم أو حتى شفتين لتنطلق الى الناس فيصيبها الخذلان وتقفل أمامها كل المنافذ فاذا هى فى داخل النفس بكاء ونشيج وألم ممزق ٠ واذا هى قتيل مذبوحة ٠ واذا هى فى آخر الأمر هتافات متشنجة عالية الصوت جريئة تهتف لمن قتل الحرية وذبح الهمسة فى نفوسهم ٠

وكنا نقرأ المقال يبدأ بجملة رائعة « أقولها فى صراحة وفى جرأة ولا أخشى أحدا » ثم تقرأ الصراحة والجرأة والبعد عن الخشية فاذا هو سيل جارف من المديح والثناء على الذين قضوا على حرية مصر وكرامة البشر ومزقوا الأعراض فى الجسوم جمعا لا من أبناء يهود وانما من أبناء مصر ٠

فحين جاءت الحرية أرادت تلك الفئران أن تطلق الصرخـات التى كتمتها فى صدرها السنوات الطوال ٠ وأرادت أن تجرب الهجوم حتى وان كان الهجوم على ما يستحق الثناء فتعالت الأصوات وتكاثر الأبطال والشجعان يحطمون فى جرأة منقطعة النظير كل شىء ولم يحاول أحد منذ أن يسأل نفسه : أين الجرأة وفيم أقول ما دام الحاكم لا يعاقب قائلا على قول له وفيم يسألون أنفسهم وهم يريدون أن يستمتعوا بجو الشتيمة وزفير السباب وليكن بعد ذلك ما يكون ٠

فليس فى مصر شىء حسن ٠ ولم يحدث فى مصر أى تقـدم منذ تسلمتها الحرية حطاما فى كل النواحى ٠ حطاما فى الروح والكرامة بهزيمة ٦٧ وبما صنع الطغاة ٠ وحطاما فى مرافق الحياة المادية بما انفقت مصر على كل البلاد ما عدا مصر ٠

فالمعارضة اذن تريد أن تصرخ فقط وتريد أن تهاجم .فحسب وليكن بعد ذلك ما يكون ٠٠ أليست هذه هى الحرية ٠

ولكن المعارضة نسيت أمورا غاية فى الخطورة فان الحرية كيان حى له عقل وله ذاكرة وله مشاعر ٠ وحين أحست الحرية انها أصبحت العوبة فى يد قوم يريدون أن يقتلوها به عرفت كيف تترك هؤلاء القوم غير أسفة عليهم ٠ فالحرية لا تحب أن تعيش فى بلد لا تطمئن على مصيرها فيه ٠

واذا كان الحكم يدخل الحرية الى البلد الذى يحكمه ٠ فان للحرية ألف باب تخرج منها ٠

وقد شهدناها وهى تخرج من كل الدول الشيوعية بلا استثناء ٠ ورأيناها تخرج أيضا من ايران ولبنان وحين تخرج الحرية فانها لا تخرج فى هدوء وصـــمت وانما تخرج فى ضجيج ٠ ليحل مكانهـــا التقتيل والتخريب ٠ والدمار الشامل الآخذ ليس يبقى على ظهر الأرض شيئا من انسان أو حيوان أو نبات ٠

وطبيعى أن يكون الشيوعيون على علم غاية العلم بهذا الذى أقول وطبيعى أيضـــا أن يصرفوا جهدهم كله للوصـــول الى هذه الغاية ٠ فان فرصتهم فى الحكم لا تتاح الا حين يعم الخراب وتسيل الدماء وتنحطم كل القيم ٠

وانهم ــ والحق يقال ــ لا يخفون فى تعاليمهم أن الأخلاق البرجوازية كلها مرفوضة وبهذا لم يكن عجيبا ان تكون شتيمتهم لأعدائهم أيها الفاضل أيها المؤمن ٠ فليس عندهم اشنع من أن يكون الانسان فاضلا الا أن يكون هذا الانسان مؤمنا أيضا ٠

ولهذا فليس غريبا أن تحاول الشيوعية تحطيم الحرية لأنها لاتستطيع الحياة فى ظل الحرية ٠ ان اجواء الحرية اجواء سامة بالنسبة للشيوعية ٠ وهم يريدون أن يقتلوا الأديان لأنهـــا تدعو الى احترام الانســـان وصـــون حريته وكرامته ٠

أما الاخوان المسلمون والجمعيات الاسلامية الارهابية فهى تتفق مع الشيوعيين فى الوسيلة والغاية وتختلف معهم فى شىء واحد فحين نجد الشيوعية تسعى سعيها التخريبى رافعة شعارا ماركسيا نجد الجمعيات الاسلامية الارهابية ترفع شعار الاسلام بعد أن تحرف آيات القرآن عن معانيها الأصيلة وتفسرها تفسيرا يبيح لها قتل الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين على السواء واشاعة الفتنة والفوضى فى البلاد حتى يتمكنوا من الحكم صائحين أنه لا يصلح له فى ظل الفتنة الا هم بوسائلهم الارهابية وبأسلحتهم الفتاكة ٠

أما أمر الوفد الجديد فهو أعجب الأمور • انهم يعلمون كل العلم أنهم سيكونون أول حطب يلقى به الشيوعيون أو الجماعات الارهابية التى تدعى الاسلام الى النار • ولكنهم مع ذلك يحالفون هؤلاء واؤلئك على السـواء •

اتكون الرغبة فى الحكم عارمة الى هذا الحد الذى يجعلهم يعمون تماما عن حقيقة واضحة لا تحتاج الى اى ذكاء •

انهم لا يخدعون الا أنفسهم وان انسانا فى العالم لا يتصور أن يدير حزب المكائد ويتحالف مع أعدائه ليكون هو أولى الضحايا • ولن تكون التضحية بهم مجرد حل الحزب وانما هم يعلمون كل العلم أن الذبح المادى لا الأدبى هو أول شىء يواجههم من حلفائهم هؤلاء ومع ذلك هم يمضون فى طريقهم لا يردهم شىء •

أيكون ما يقومون به انتحارا جماعيا •• ولكن الأمر ليس مجرد أرواح وانما هو مستقبل وطن بأكمله بل هو مسـتقبل الأمة العربية جميعـا •

ولكن ماذا يعنيهم هذا ماداموا قد عادوا الى الحياة السياسية وماداموا قد عادوا يسمعون الهتافات والتصفيق ومادامت قد أصبحت لها جريدة تدق لهم الطبول وتهاجم كل شىء فى غير حق أو ضمير •

ولكن الشعب المصرى العظيم الذى عرك الحياة والذى أنشأ حضارات العالم والذى استطاع دائما ان يدك الطغاة لن يمكن لأى فئة من هذه الفئات الباغية أن تحقق شيئا مما تهدف اليه • وانه عاد سحقها لقادر لأنه يلوذ من روح الله بأعظـم ركن • ولأنه يحب يحب الله ولأن الله يحبـه وهو سبحانه جل وعلا وتقدست أياديه محيط بالظالمين وماكـر بهـا وهو خير الماكرين •

الأهرام ٣ مايو سنة ١٩٨٤ :

خطاب الى أستاذنا الحكيم

استاذنا وأستاذ الأجيال توفيق بك ٠

أحببت ان أكتب اليك هذا في جريدتك الأهرام لأجعل الناس شهودا على ما تفعله بهم ٠

فانت يا أستاذنا لست ملكا لنفسك وانما أنت ملك لنا جميعا نحن تلاميذك وملك لمصر التى أثرت جنباتها بروائع فنك وأنت ملك للعروبة من أقصاها الى أقصاها بما أدخلت الى لغتها من فن المسرح الأدبى وبما ثبت للقصة والرواية من دعائم وبما قدمت للفكر العربى من آراء ومبادىء ستظل الى الأبد من تراث الأدب العربى والفكر العالمى ٠

فانت يا أستاذنا تخطىء كل الخطأ اذا كنت تظن أنك تملك نفسك واذا كانت الحرية متاحة لسائر الناس فهى ليست كذلك بالنسبة لك ٠ انما أراد الله لك أن تكون أمينا على كنز بشرى اسمه توفيق الحكيم والآمن على الكنز لا يجوز له ان يبدد منه شيئا ٠ فانت لا تملك اذن من جسمك شيئا ٠ وانما انت مطالب برعاية هذا الجسم كما يرعى الأمين مالا هو وديعة عنده ٠

فبأى حق اذن تمتنع عن الطعام وتجعل محبيك وأولهم ابنتك السيدة العظيمة زينب فى خوف عليك دائم وتجعل مصر والعالم العربى أجمع قلقا على كنزه الذى هو أنت وعلى وديعته التى أنت مجرد أمين عليها ٠

أنت لم تكن فى يوم من الأيام أكولا ٠ وانما نصيبك من الطعام دائما أقل نصيب ولكنك كنت دائما ذواقة تحب الطعام الجيد وتحسن الاستمتاع بـه ٠

وأنت طبعا تذكر الاسوبوكو الطعام الايطالى الذى دائما كنت تطلبه كلما خرجنا فى الاسكندرية للغداء والذهاب الى السينما ٠

وتحب ورق العنب بالكوارع وتطلبها كلما وجدتها ٠

وتحب العدس الاباظى وهو حاضر من قريب ينتظر منك اشـارة ولست أنسى يوم كنت أتناول غدائى معك حتى اذا انتهينا منه جاء النادل

يسألنا عما نريد ليكون حلوا . وكنت أنت تتحدث ولم أرد أن أنشغل عن حديثك العذب بأى شيء . وطلبت أنت فى سرعة طبقا من العنب وفعلت مثلك حتى أفرغ لحديثك واذا أنت تجزع جزعا شديدا وتوقف الحديث وتقول لى .

ـ أنت عايز عنب .

فقلت .

ـ لا بأس .

فالتفت الى النادل وقلت له .

ـ طيب هات لى أنا بطيخ بقى

وتضايقت أنا لأننى كنت السبب فى حرمانك مما اشتهته نفسك ولم أملك الا أن أسألك .

ـ ليه كده يا توفيق بك .

واذا أنت تقول فى جدية وتحذير :

ـ اياك ان تطلب طلبين من نوع واحد أبدا .. سيحضرون لك طبق عنب واحدا ويحسبونه عليك طلبين .

وضحكت ملء نفسى وتنازلت لك عن العنب وما زلت أنفذ نصيحتك حتى اليوم .

فمالك اذن اليوم لا تقبل على شيء من الطعام قط . فمن اذن يستطيع أن يقدر الأطعمة ومذاقها اذا لم تكن أنت ومن يستطيع أن يضع الدساتير لما يطلب فى المطاعم وما لا يطلب ان لم تكن أنت .. كل يا توفيق بك .. كل وتذكر يوم أمر رفيق صحبتنا الثالث ان يكون غداؤنا من الفول والطعمية كلما خرجنا حتى يكون الانفاق ضئيلا ما أمكن ذلك . وسمعنا كلامه ورحنا ننفذه اسبوعا وثانيا . ثم انتهزت فرصة انفردت فيها بى وقلت لى .

ـ ما رأيك .

ـ فيم .

ـ فى مسألة الفول .

ـ قلت هو عظيم مرة أو مرتين فى الشهر اما أن يكون طعاما دائما .. فأكملت أنت .

ـ مصيبة ... وماذا نفعل وصاحبنا يريد أن يوفر .

وقلت :

ـ وأنت أيضا .

وقلت فى ابتسامتك الحبيبة .

ـ الحقيقة ... نعم ...

قلت :

ـ ما رأيك ... اعمل لكم وزير مالية .

ـ كيف

ـ كم تريد أن تدفع فى الغداء والسينما والشاى فى نادى السيارات .

قلت :

ـ أريد أن أدفع جنيها .

وتم الاتفاق وكنت وصديقك تطلبان أفخر الأطعمة . واذا أردت أن احسابكما تضحك .

ـ خليها بالبركة .

وأخليها بالبركة .. واليوم الطعام يقدم اليك شهيا حلوا ودون أن تدفع الجنيه .. فماذا يمنعك من الأكل يا توفيق بك ... يا توفيق كل .. من أجلنا جميعا كل .

الأهرام ٤ مايو ١٩٨٤

أضـاليل الوفد

الجريدة التى تصدر عن حزب الوفد والتى يرأس مجلس ادارتها وحزبها السيد الأستاذ فؤاد سراج الدين باشا ترمى الآخرين بالهم عجول اشارة الى ضخامة أجسامهم والى جانب الدهشة التى تولتنى من هذه المفارقة رحت اتســاءل متى كان للضخامة والضآلة فى الجســم صلة بالفكر والسياسة الا أن يكون هذا تشريعا جديدا للمعارضة لا يعلم عنه أحد شيئا ولكن احسب ان هذا التشريع يمكن ان يصدر عن أى حزب الا حزب الوفد ٠

ومهما يكن الأمر فاننى عن هذا أغض الطرف فقبيح بنا أن نتنابذ فانه بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ٠ والفسوق بعد الايمان هو الانفصال عن الايمان فان يكن هذا مناسبا لحزب تحالف مع الشيوعيين فما هو بخليق بنا واننا لنعف ان نغمس القلم فى مستنقع الخنازير الذى يصدرون عنه ٠

ولنجعل كلامنا مقصورا على ما جاء فى الصفحة الأولى من جريدة الوفد فقد أوردوا جانبا من مقال لى أقول فيه فشق الأخ عن أخيه فى غير مراعاة لما يقتضيه الخلق الأمثل والشرف عند الخصومة التى هى خير ميدان ليظهر المعدن الخسيس على حقيقته ٠

وعلقوا على هذا تعليقا طويلا أنا عارض له بعد سطور وانما يهمنى ان الحق بما نقلوه عنى تعليقا لى ٠

جاء فى الجزء الأخير من مقالهم وهو قولهم والكلام بلا توقيع وهذا معناه فى لغة الصحافة انه كلام الجريدة كلها ٠

وهل من شرف الخصومة ان تقذف خصما سياسيا بهذه الأوصاف لأنه رفض الانضمام الى حزب الحكومة فاذا انضم شقيق الحاكم الى حزب معارض يكون خسيسا أما اذا انضم الى آخر الحديث ٠

وقد حسبت ان العبارة التى جاءت فى مقالتى غير واضحة مما أوقع جريدة الوفد فى هذا الخلط فاذا أنا أجد أن جميع من قرأوا مقالة الوفد يدركون ان الأمر التبس عليهم ٠

ان المعدن الخسيس والمعدن النفيس يعرفان عند الخصومة وهذه قاعدة عامة رأيت انا الوفد جانب فيه الخلق الرفيع عند قبوله لأخى رئيس

الجمهورية ذلك باننى اعتقد اعتقادا جازما ان الوفد يعرف حق المعرفة ان الأخ الذى انضم اليه لم يفعل ذلك الا لانه حاول ان ينتفع بمنصب أخيه ولكن أخاه رئيس الجمهورية أبى عليه ذلك فالبرنامج الذى أعلنه الوفد ليس بعيدا عن برنامج حزب رئيس الجمهورية ذلك البعد الذى يمكن معه الادعاء ان الاخ ترك أخاه فى سبيل المبدأ فالوفد واثق اذن انه حين قبل هذا الأخ بين صفوفه · انما أراد فقط ان يعلن على الملأ انه حتى اخو الرئيس لا يتفق معه فى مبادئه ولا فى آرائه وهو عمل دعائى بعيد كل البعد عن شرف الخصومة لأن المبادىء السياسية والأخلاقية جميعا براء من هذا العمل جملته وتفصيله ·

أما الاشارة الخبيثة التى ارادوا أن يفخروا بها ذكرى الرئيس الراحل آنور السادات فهى تدل على الحقد والسخيمة ولا شىء آخر وأذكر البيت القديم :

فان يك الفعل الذى ساء واحد
فافعاله اللائى سررن ألوف

وعلى كل حال فالله سبحانه يقول وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه والحقيقة بعد ومن قبل حائرة معكم اذا أراد أخ أن ينتفع بسلطة أخيه ومنعه أخوه الحاكم قبلتم أنتم ذلك الأخ ورحبتم به وان أساء أخوه الى أخيهم الرئيس السابق رحتم تكبون الدم والهجوم على الأخوة المسيئين وعلى أخيهم جميعا فماذا انتم تريدون ·

أما ما ذكر تم من مثال عمى أحمد أباظة عميد عائلتنا وعن أخيه الوزير ماهر فأمر لا نناقشه نحن أبناء العائلة على صفحات الجرائد وانما مكان نقاشه الغرف المغلقة وعلى كل حال فعمنا أحمد وفدى منذ أربعين عاما وليس غريبا ان يظل وفديا وماهر أباظة وزير عن الحزب الوطنى وليس غريبا كذلك ان يظل على مبدئه ·

أما المثال الآخر عن نفسى وعن شامل اخى فنحن وستوريا بالمولد وأنا لم أعلم أن شامل أخى انضم الى الحزب السعدى الا أن تكونوا قد تصورتم انه بزواجه من كريمة المرحوم النقراشى باشا أصبح عضوا فى الهيئة السعدية وتلك أيضا جديدة فى المبادىء السياسية لم أكن أعرفها خاصة ان هذا الزواج قد تم فى عام ١٩٥٦ وكان المغفور له النقراشى باشا قد انتقل الى رحمة الله منذ عام ١٩٤٨ وكان الحزب السعدى قد حل فى يناير عام ١٩٥٣ ·

وبعد فان الذين عاصروا الوفد القديم وعرفوا لغته وانحرافه بالحقائق الى التضليل لم يدهشوا كما لم ادهش أنا وان كنت قد ازددت ثقة ان

الوفد القديم هو الذى عاد وان كلمة الجديد هذه تضليل من أضاليل القديم وان كان فى الأمر جديد فهو تحالفه مع الاخوان والشيوعيين فى وقت معا والله سبحانه وتعالى لابد محيط بكل المضللين وهو سبحانه وحده يعرف خائنه الأعين وما تخفى الصدور ٠

مايو ٧ مايو سنة ١٩٨٤ م .

بيان من اتحاد الكتاب حول مسئولية الكاتب

استجابة لنداء من الأستاذ نجيب محفوظ عقد مجلس اتحاد الكتاب اجتماعا خاصا ليقدم للجهات المعنية تصورا عن مسئولية الكاتب فى شتى نواحى الحياة ٠

أولا : لا شك أن الكاتب مسئول مسئولية أدبية عن كل ما يكتبه ولكن ربما كانت المسئولية الجنائية تحتاج الى شيء من التوضيح ويرى الاتحاد أن من واجبه أن يتصدى لهذا الايضاح ٠

ثانيا : الكاتب مسئول مسئوليه تامة عن الكتاب الذى ينشره ذلك بأن الكتاب لا يتعرض لأية رقابة سواء كانت الرقابة من جهة ما أو من منصب بذاته ٠ فمسئولية الكاتب عن كتابه أدبية وجنائية فى وقت معا ٠ فاذا مس الكتاب شخصية معنوية أو شخصا بذاته جاز لأى منهما أن يتقدم للمحكمة المختصة مطالبا بما يتيح له القانون أن يطالب به ٠

ثالثا : اذا نشر الكاتب مقالة أو حديثا فى صحيفة يومية كانت أو اسبوعية أو غير ذلك فمسئوليته الأدبية كاملة ولكن المسئولية الجنائية تقع على رئيس التحرير المسئول وعلى الكاتب معا ٠

رابعا : كل ما يظهر للكاتب فى المسرح أو الاذاعة أو التليفزيون أن السينما لا يكون الكاتب مسئولا عنه مسئولية جنائية على أية صورة من الصــــور ٠

فالرقابة على المصنفات الفنية هى وحدها التى تجيز الأعمال للمسرح أو السينما ومادام الرقيب قد تحمل هذه المسئولية فقد أصبح وحده والجهة التى يمثلها اللذين يتحملان عبء المخاصمة فى المحاكم من أية جهة أصابها الضرر من العمل المسرحى أو السينمائى ٠

لأن الكاتب حين يكتب للمسرح أو السينما يقع فى ضميره أن الرقيب هو الذى سيجيز عرض العمل أو يحجبه ٠

أما فى الاذاعة والتليفزيون فان المشرفين على هذين الجهازين هم المسئولون مسئولية قضائية لأن الأعمال التى تظهر فى هذين الجهازين تتعرض لأكثر من رقيب • وهؤلاء الرقباء هم فى الواقع وكلاء عن المشرفين على هذين الجهازين وبهذا يكون الكاتب مسئولا أمام القضاء من الكتاب الذى يصدره فقط أما الميادين الأخرى التي تخاطب الجماهير فان الكاتب يكون مسئولا مع رؤساء التحرير عما ينشره فى الصحف والمجلات أما فى السينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون فليس على الكاتب أية مسئولية جنائية وان ظل بطبيعة الحال مسئولا مسئولية أدبية بقدر ما اتصل العمل الاذاعى والتليفزيونى بالعمل الأصلى الذى أعدت عنه •

الأهرام ٦ مايو سنة ١٩٨٤

حديث الصباح

كان الدكتور وحيد رأفت صادقا مع نفسه ـ كشأنه ـ حين أعطى حديثه للجريدة العربية • والواقع أن الأستاذ العظيم وضع فى كلمات البرنامج الذى كان ينبغى أن يخرج به الوفد على الناس •

ولو كانوا قد فعلوا لقدموا برنامجا متميزا له معالمه الواضحة التى تنسجم مع حزب يريد أن يكون ذا مبدأ يستطيع به الناخبون أن يتعرفوا فيه على الفوارق التى لا تجعله يتمتع مع الأحزاب الأخرى •

وهكذا أظهر الدكتور العظيم أنه هو هو صاحب الرأى وصاحب العقل الفقهى المتعمق الذى يعرف كيف تكون مبادىء الأحزاب •

وان الدكتور وحيد رأفت بحديثه هذا قد أثبت بما لا يدع أى مجال لشك أنه وضع برنامج حزب الوفد ثم تداولته بعد ذلك الأيدى الجاهلة والأفكار الغوغائية والرغبات القاتلة فى الحصول على الأصوات حتى وان كان ثمن الأصوات هو المبدأ والعقيدة •

والذى تعرفه ان السياسة الشريفة هى مبدأ قبل أى شىء آخر • وأن الحزب الذى يريد أن يحظى بالاحترام يقدم عقيدته للناس ويدافع عنها بالرأى والحجة ويترك أقبال الناس عليهم لضمائرهم •

واذا رفض الناس مرة فربما عادوا اليها فى مرة أخرى • وربما استبانوا مع الأيام أن الرأى الذى رفضوا يحمل من السلامة ما يستحق مع التأييد •

وكل حزب لا يقوم على مبدأ ليس جديرا بأن يكون حزبا ولولا حرصى على أن اتجنب اللفظ الحقيقى لوصفه لذكرت اللفظ فهو يفرض نفسه على سن القلم وانى لارده عن أن يرتسم حروفا بكثير من الجهد •

ليس الحزب على أية صورة من الصور مجرد صلات شخصية واتفاق مصالح بين الأفراد أو جماعات • وانما هو رأى وعقيدة تقف صلبة صامدة وراء برنامج واضح السمات متميز المعالم •

وهذا الرأى وهذه العقيدة هما النهج الذى تقوم عليه جميع البنود فى برنامج الحزب . وبما يقومان عليه من أسس يكون موقف الحزب فى الاقتصاد وفيما يتبع الاقتصاد من زراعة وصناعة وقطاع عام وقطاع خاص وحرية راس المال وقيوده ومدى هذه الحرية وأحجام هذه القيود .

وبناء على هذا الرأى وتلك العقيدة يكون موقف الحزب من القوانين والتشريعات والأسس التى تستلهمها وتمضى على نهجها .

ونتعرف على موقف الحزب من الشريعة الاسلامية والى أى مدى يرى الحزب تطبيقها .. اتطبق كامله أم تكون مصدرا للتشريع كما هى الآن . وكيف يكون تطبيقها كاملا ومن الذى سيقوم بعبء التطبيق أهم رجال الأزهر أم رجال القانون .

ولو كان للحزب مبدأ واضح لعرفنا رأيه فى الملكية أهى مطلقة أم مقيدة أم ملغاة وليس لها مكان فى المجتمع كما يقول الشيوعيون .

والقيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية أهى عند الحزب مصرية عربية أم هى روسية شيوعية .

فى اشارات قليلة حاسمة وضح فكر الدكتور وحيد رافت تماما . وسواء عليك عارضته أم أيدته فانك لا تملك الا أن تحترمه ولك بعد ذلك أن تناقشه حجة بحجة ورأيا برأى .

أما البرنامج الذى خرج به علينا حزب الوفد الجديد فهو برنامج مجاملة واسترضاء لكل الأطراف المتباعدة والمتنافرة . هو يستطيع أن يكون برنامج الاخوان المسلمين والشيوعيين والوفديين فى وقت معا .

لكم أشفق على الناخبين بماذا يبررون لأنفسهم أنهم انتخبوا حزب الوفد الا اذا كان هذا منهم لمجرد القاء أصواتهم فى تيه لا معالم له . وبالطبع أنا لا أتكلم عن البقايا الدارسة من الحزب القديم فانهم من قلة العدد بحيث يكون الحديث عنهم عبثا . وأحسب أنهم لا يزيدون فى عددهم عن عدد الخطابات التى وصلت الى تطفح بما عرفناه للوفد القديم من الفاظ ابتكرت فى عالم الدنس والوسخ والحقارة ابتكارات تخلد لهم على الزمان . كما يخلد لهم ما أبدعوه من تجنب الحق والاعتداء على كل القيم الرفيعة فى حياة البشر حتى لقد أوشكوا أن يقتربوا الى الشيوعيين فى هذا الميدان .

وبعد الا يرى حزب الوفد الجديد أن يسمى نفسه كما اقترحت عليه يوما حزب الوفد الجديد القديم الاخوانى الشيوعى .. انه لو فعل يكون أقرب الى الحقيقة من الاسم الذى ظهر به مرة أخرى الى الوجود .

مايو ٩/٥/١٩٨٤م

حـديث الصباح
ربمـــا ... ؟ !

قال تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » الآية ٢ سورة الحجر من الكلام ما يناقش حتى لو كان الظلم فيه فادحا . والحق فيه مضاعا . ولكنه مادام يشكل رأيا لا مجرد تهجم فهو جدير بالمناقشة .

قرأت فى مجلة الأهالى مقالة يقول صاحبها الشيوعى المتطرف ان ســـينا لم تعد لنا . وأنه مادام يقيم على ترابها قوات أمن فهى ليست حرة ..

وكاتب هذا المقال ـ للأسف الشديد ـ أستاذ المفروض فيه أن نكون الحقائق العلمية هى الأساس الذى يقيم عليه حجته .

والأستاذ يعلم . لا شك ـ أن القوات الدولية هى قوات تفصل بين دولتين العلاقات بينهما متوترة قد تتدهور الى حرب نتيجة تصرف فردى أهوج يؤدى الى عواقب وخيمة . فالقوات الدولية اذن ليست احتلالا بأية صورة من صور الاحتلال . ولو ان دولة ما طلبت من القوات الدولية أن ترحل لنفذت هذا الطلب فورا . ومن أجل ذلك فهى تســـاهم فى نفقاتهـــا .

وما هكذا الاحتلال . وأنت تعرفه . عرفناه فى مصر سبعين عاما ونيفا وازهقنا من أرواحنا ما أزهقنا وابى الاحتلال ان يترك مصر .

ونشهده اليوم فى احتلال اسرائيل للجولان . وقد بح صوت الأمم المتحدة بالقرارات المتلاحقة أن تجلو اسرائيل عن لبنان كما بح صوت سوريا وكانت النتيجة أن ضمت اسرائيل الجولان الى أراضيها واعتبرتها جزءا منها لا مجرد منطقة محتلة من دولة أخرى ونشهد الاحتلال أيضا من القوات الاسرائيلية المقيمة فى اصرار على أرض لبنان ضاربة عرض الأفق بقرارات الأمم المتحدة والمبادرات الأمريكية الأم الرءوم لاسرائيل . ونشهد الاحتلال فى أبشع صورة وأشدها مقتا من الروس فى افغانستان ونشهد الاحتلال أيضا فى بقاء القوات السورية على أرض البقاع فى لبنان تظللها وتباركها

روسيا السوفيتية فالاحتلال أذن أمر مختلف كل الاختلاف عن وجود قوات دولية فى منظمة ما لحفظ السلام فى هذه المنطقة ·

سينا أذن عادت كاملة الى مصر شاء الشيوعيون ذلك أم أبوا وها نحن أولاء نعمرها بكل الجهد · وها هى ذى الرحلات السياحية ذاهبة اليها فى كل يوم وعائدة · وها هو نفق أحمد حمدى يربط بينها وبين مصر وقبل هذا جميعا يعلم الأستاذ أن حصيلة البترول ومناجم سينا جميعا تدخل الى ميزانية مصر بعد أن كانت جميعها تذهب الى اسرائيل بفضل حرب ٦٧ التى ترون أنتم فيها المجد والفخار ·

وما سمعنا عن محتل لأراض يعطى لأصحاب الأراضى المحتلة ناتجا ما فى هذه الأرض من معدن وبترول ·

وأخرى ·

يرى الأستاذ صاحب المقال ان مصر اليوم محتلة بالأمريكيين بعد أن كانت قبل ١٩٧٠ تدرج فى الحرية الكاملة ·

وتلك فى الحقيقة جديدة ما سمعنا بها فى الحياة السياسية منذ عرف العالم السياسة حتى اليوم ·

اتكون الدولة حرة كاملة الحرية وعلى أرضها قرابة سبعة عشر ألف سوفيتى يحتلون كل مطاراتها الحربية ولا يسمحون للمصريين أصحاب الأرض بالدخول فيها أو الاقتراب منها حتى وان كان من القوات المسلحة أو فلنقل خاصة وان كانوا من القوات المسلحة المصرية ·

وتكون الدولة محتلة وليس على أرضها جندى واحد من أية دولة أجنبية أمريكية كانت أو غير أمريكية ·

كيف يستقيم هذا فى الأذهان ·

وتكون الدولة حرة بعد هزيمة ماحقة واسرائيل تحتل سينا وتنتهب كل ثرواتها وبينها وبين مصر كلها خطوة ان شاءوا خطوها ·

ولا تكون الدولة حرة بعد حرب انتصرت فيها انتصارا معجزا تحدث عنه العالم أجمع وكان من نتائجه ان خرج المحتل من سينا ·

وتكون الدولة حرة والجرائد فيها مكممة لا تفرق فيها بين جريدة وأخرى ولا يجوز كاتب ان ينتقد تسريحة شعر لمذيعة فى التليفزيون ·

ثم تصبح الدولة غير حرة والجرائد فيها حرة حرية كاملة يقول فيها المعارضون ما شاءوا أن يقولوا حتى وان جانبوا الحقائق واعتدوا على كل ما هو نبيل فى اللفظ أو القيم أو الأخلاق ·

مايو ١٩٨٤/٥/١١ م :

انى عائد وما هاجرت

جاءنى هذا الأسبوع خطاب رقيق لغاية الرقة سعدت به سعادة يندر أن أشعر بها وانى ناقل اليك الخطاب بنصه ـ تقريبا ـ لأن الموضوع الذى أثاره جدير بالمناقشة • وقد كنت أبحث عن فرصة لأكتب فيه حتى هيأها لى هذا الشاب الفاضل الكريم هو ومن أنابوه عنهم ••

يقول الخطاب :

•••• ثروت أباظة •

تحية طيبة وبعد فنحن طلبة فى كلية الآداب جامعة عين شمس نقرأ بنهم صفحتكم الأدبية فى جريدة الأهرام الغراء • لكننا لاحظنا فى الآونة الأخيرة أنكم هجرتم الأدب الى السياسة النزالية • فهل لنا أن نطلب اليكم أن تعودوا الينا بأدبكم الذى افتقدناه • وان تتركوا السياسة لأهل السياسة ؟

شكرا جزيلا • ومعذرة لتطفلنا عليكم • والى لقاء قريب على صفحتكم الأدبية ••

عنهم

عبد القوى محمد صيام

هذا هو نص الخطاب • وبواعث السعادة فيه كثيرة ربما عجزت عن الالمام بها جميعا •

فاللغة العربية سليمة مستقيمة والألفاظ كريمة ومنتقاة فى أناقة شديدة وفى تعرف كامل لوظيفة كل لفظة وموقعها •

وأنا يا بنى الذى أفخر أن أكون أبا له تصل الى كثير من الخطابات ويندر أن أهم الى الاجابة على خطاب منها • ولكننى ما وجدت نفسى متحمسا للكتابة قدر تحمسى حين قرأت خطابك هذا الذى قلت ألفاظه وعظمت معانيه وانى لسعيد أن تكون نائبا عن نخبة اختارتك لتبدى رأيها • فالذى لا شك فيه أن هؤلاء الذين كتبت عنهم يتمتعون مثلك بالنفس الشفيفة

وبالتقاء الطهور وانهم لم يندبوك لكتابة خطابك هذا الا صادرين عن أشرف المقاصد وأكثرها نبلا ٠

والآن أريد أن أسألك يا بنى أو أسألكم يا أبنائى ما هى وظيفة الأدب فى الحياة ان لم يكن نورا كاشفا فى الظلمة وحقا ماحقا للباطل ٠

وماذا يكون الأدب اذا لم يكن تجميلا للحياة ورفعا لاعلام الحب والأخوة والانسانية بين البشر ٠

وماذا يكون الأدب اذا لم يكن محاربة لكل الغرائز التى تقرب الانسان من الحيوان وتجعل ساحة الحياة مسبعة ذئاب ومسرحا حقيرا الغالب فيه هم الثعالب التى تمكر بالشرف وبالفضيلة ٠ والتى تحتال على المعانى السامية فى الحياة والتى تختان كل ما يرتفع بالانسانية ويعليها الى مشارف الملائـــكة ٠

وماذا يكون الأديب اذا لم يحمل القلم فى الميدان أمينا يعمل على مصالح الوطن لأن الوطن هو مجموعة الناس الذى ينتسب الأديب اليهم وهم الذين جعلوا منه صاحب قلم وهم الذين قرأوا له فحملوه مسئولية الصدق مع النفس ومعهم ٠

فاذا كان الأدب والأديب كذلك ــ وهما كذلك ــ فماذا يكون ظنك بى اذا عرفت عنى أننى أرى الحق ولا أقوله وأعرف الباطل ولا أحاربه ٠

وانني يا بنى لأعرف أن كثيرين سيقولون عنى أننى أتملق السلطان وأتقرب منه ٠

وأنها لكبيرة فادحة ٠

ولكننى تحملتها حتى أقول الحق الذى أراه ٠٠ والله على ما أقول شهيد والدليل على كذب هذا الادعاء قريب فى يد من يعرف أمرى اذا لم يكن متحيزا ضدى ٠

فأنت يا بنى لا شك تعرف أننى حاربت السلطان فى أشد أوقات جبروته وطغيانه ٠ ويوم كانت الرؤوس تطيح والأعراض تنتهك والأموال تستلب ولكننى قلت ما أريد أن أقول ٠ ولك يا بنى أن تتحرى من شئت أن يجد لى كلمة مديح واحدة فى عهد الطغيان واليوم يريد الكثيرون أن يدعوا البطولة والشجاعة فى عهد لا شجاعة فيه للمعارض ولا بطولة له ٠ فالعهد لا يمنع أحد أن يقول ما يقول ولا يعتقل انسانا مهما تكن معارضته ضارية ومهما تجاوز حدود الحق أو يباعد بينه وبين عفة اللسان ٠

وقد كنت أســتطيع أن ألبس ملابس المعارضين وأتزيا بأزيائهم المسرحية وأدعى البطولة التى يدعون فى عهدنا العادل هذا ولكننى أبيت هذا على نفسى وخضت الميدان لا أقول الا ما أراه حقا ٠

أليس واجب الأديب يا بنى أن يقول الحق ٠

أو تراني اذن حين أقول الحق أباعد بيني وبين مهمتي الأدبية ٠

أيرضيك أن أرى مصر تموج بالخيانة والعمالة وتحالف أقوام مع آخرين يقفون من آرائهم على أقصى بعد من الطرف الآخر ليحطموا مصر ٠

أيرضيك أن أرى هذا جميعا وأصمت عنه وأحدثك عن أثر الرواية في الأدب الحديث والفرق بين الشعر الموزون المقفى وشعر التفعيلة الواحدة ٠

أكنت وأبنائي الذين أنا أبوك ترضون عني أن أرى مستقبلكم مهددا بالأفاقين والانتهازيين والباحثين عن منافعهم الشخصية وان جعلوا من مصر أنقاضا٠وأسكت أنا عنهم وأتكلم عن نشأة القصة والرواية والمسرح في مصر ٠

واني أعلم يابني أنهم يقولون أنني أبحث عن منصب ٠

ولو كانوا على صلة مهما تكن ضئيلة بالثقافة لعرفوا أن الكاتب أكبر من أي منصب في الوجود ٠ ان الكاتب أصبح كاتبا بمرسوم صادر من رب العرش الرازق الوهاب بما أتاح للكاتب من موهبة ومن تفرد في أدبه ٠ فان الكاتب اذا لم يكن متفردا بأسلوبه وبفكره لا يكون كاتبا وما دام قد أصبح كاتبا فليس في العالم منصب يزهيه أو يفكر فيه بل يسعى اليه ٠ فاذا تولى الكاتب منصبا فهو انما يصاب به على رغم أنفه ٠ وحين يقبله فهو انما يقبله ليؤدي واجبه نحو مجتمعه ٠

وقد أصبح الدكتور محمد حسين هيكل وزيرا ثم رئيسا لمجلس الشيوخ وقد كان هذا المنصب هو المنصب التالي لمنصب رئيس الوزراء في ترتيب المناصب في ذلك العهد ٠

ولكن لم يبق من الدكتور هيكل الا كتبه الخوالد في التاريخ مثل : حياة محمد والصديق أبو بكر والفاروق عمر وفي الرواية مثل زينب التي بدأ بها الرواية العربية في الأدب العربي هكذا خلقت التي كانت آخر ما كتب ٠ وغير هذا من مؤلفاته الرائعة ٠

ويبلغ عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين منصب الوزير ولكن الناس نسوا هذا لطه حسين ويبقى طه حسين جميعا عميد الأدب العربي وعملاقة واحدى العلامات التاريخية في الأدب العالمي ٠

ولكن ألم يكن الدكتور هيكل يكتب في السياسة كما كان رئيسا لتحرير السياسة في أزهى فتراتها ٠

أو لم يكن الدكتور طه أيضا يكتب فى السياسة وكان يهاجم سعد زغلول أقسى هجوم وأعنفه ٠

أو لم يكن العقاد يكتب فى السياسة وهاجم النحاس وأيد سعد زغلول وهاجم محمد محمود ٠

ان هؤلاء الكتاب العمالقة وغيرهم كثير كتبوا جميعا فى السياسة بل ان الأدب السياسى أو السياسة الأدبية قامت على أكتافهم ٠

وهم كتبوا فى السياسة لأنهم كانوا يرون فسادا يريدون أن يمحقوه أو رأوا صلاحا يريدون أن يؤيدوه ٠

ومن يكتب فى السياسة يا بنى يعلم أنه سيتعرض لأشرس هجوم ويعلم أن مهاجميه لن يراعوا الحق فى هجومهم ٠ وانهم سيلحقون به من الصفات ما يعلم هؤلاء الخصوم أنه منها براء ٠

ولكنه يضحى بكل هذا لأن عنده كلمة حق يرى فى كتمانها جريمة لا تغتفر ٠

واذا لم يحاسبه على كتمانها وطنه وشعبه الذى جعل منه كاتبا ٠ حاسبه هو نفسه ٠ وحساب النفس يابنى صعب عسير وأنا لا أحب يابنى أن أحاسب نفسى فأجدنى جبنت عن كلمة حق مهما أكن عالما بعواقب قولها ٠

وانى لأرجو الله يابنى ألا تتعرض فى يوم ما أنت أو صحبك الكرام لحساب من نفوسكم حسابا لا ترضون فى نهايته عن الحكم الصادر بشأنه ٠ والآن يابنى ٠٠ والآن يا أبنائى ٠

أكنتم تريدون منى والانتخابات تجرى فى مصر بين عدة أحزاب الا أبين لكم ما وراء كل حزب من هذه الأحزاب ٠ أما أهل السياسة الذين تقول عنهم ٠٠٠ فمن هم اذا لم يكونوا أصحاب الأقلام ٠ أكنتم تريدون أن أبارك بالصمت ائتلاف الوفد وهو أقصى اليمين الرأسمالى مع الشيوعية وهى أقصى اليسار مع الاخوان المسلمين وهم أقصى غلاة التطرف الدينى ٠

ألم يكن يعنيكم أن تعرفوا الوفد وماضيه وكيف خان ثقة الشعب فيه وقدمها هدية أو رشوة للانجليز فى ٤ فبراير حتى يصل الى الحكم ثم قدمها هدية أو رشوة الى الملك حتى يبقى فى الحكم ٠

ألم يكن يعنيكم أن تعرفوا أن الوفد كان يعتمد على القمصان الزرقاء فى ضرب خصومه فى الرأى بالعصى والطوب لا بالرأى والحجة ٠

وانه من قبل قتل زهدى وعبد الرازق وكان القتلة من حزب الوفد. يومذاك يظنون أنهم يقتلون عبد الخالق ثروت وعدلى يكن · ومن أين لكم أن تعرفوا هذا اذا لم أقله أنا أو أى كاتب آخر على علم بهذا التاريخ ·

وكيف اذن ستختارون بين قوائم الأحزاب اذا لم تعرفوا تاريخ كل حزب يقدم نفسه اليكم ·

ألم يكن يعنيكم مثلا أن تعرفوا الارهاب الذى عشنا فيه بفضل الاخوان المسلمين فى أربعينات هذا القرن ·

أو لم يكن يعنيكم أن تعرفوا الحاد المذهب الشيوعى وقتله لمئات الملايين من البشر ·

ان الكاتب الأديب شاهد على العصر · وكل كاتب ينكص عن الشهادة شيطان أخرس · أو ترضون لى أن أكون ذلك الشيطان الأخرس ·

وبعد يابنى وأبنائى فاننى أرجو أن أكون قد أجبت على خطابكم الحبيب هذا · ولا والله ما تركت الأدب وأنما كان هو الأدب السياسى ما أكتبه فى الأسابيع الماضية · حتى اذا انتهت الغمرة واستقر البناء عدت اليكم بما تعودتم أن تقرأوا لى ··

فان كنتم راضين عما أقدمه اليكم اليوم فبها ونعمت وان كنتم مصريين ألا تقرأوا الا فى الأدب الخالص · فانى عائد يا أبنائى ··

انى عائد وان كنت ما هجرت حتى أعود ··· انى هنا معكم وسأظل دائما هنا معكم ·

الأهرام ١٣/٥/١٩٨٤ م :

عجـــائب ولا عجب

أما الحجة والرأى فنناقشه وأما سقط الحديث والنباح فنعف عنه واذا كان الخدم البكم من عبيد الوفد أو الكلاب المسعورة من الوالغين فى دماء الشعب فى زمن الطغيان لا يجدون حجة يسوقونها الا السـباب الأجوف وشتيمة كشتيمة النساء من فارشات الملاءات • فان عندنا فى ميدان الحقائق الكثير الذى يصم اسيادهم وطغاتهم وصمات تشمئز منها البشرية • ولكننا نحرص على كرامة قرائنا كما نحرص على كرامة اقلامنا • وان الطوب الذى يرمون به مرتد اليهم من قرائهم • لأن القارىء يدرك الحجة اذا واجهت الحجة • ويدرك العجز حين يصيب هؤلاء المفلسين من المنطق وحين تنغلق دونهم المســالك وتقفل فى وجـوههم طرائق الرأى والحجـة •

وأنا لنعلم أنهم وجدوا أنفسهم فى حيرة قاتلة كنتيجة طبيعية للطريق الذى اختاروه لأنفسهم بادئين • فهم لم يقولوا آراءهم دفاعا عن حق يرونه أو مبدأ يعتنقونه • وانما قالوها جريا وراء منافع شخصية فقدوها حين فقدوا الدماء التى كانوا يمتصونها من عروق المصريين • أو قالوها اطاعة لأوامر اسيادهم الذين يجرون عليهم الرزق •

ولما كنا ندرك حق الادراك ما هم فيه من حرج قاتل ولما كنا بدافع من الانسانية نرفض أن نزيد حرجهم فاننا نعف عن الاجابة عليهم لهذا • ولأننا مهما يفعلوا لن ينجحوا أن يجعلونا نسبح معهم فى مستنقع الخنازير الذى يسبحون فيه •

ولنخط الآن الى الآراء التى جاءت بجريدة الوفد الجديد • أو المطالبة العجيبة التى زحمت صفحاتها بأن يوقف رئيس الجمهورية زياراته الميدانية للمصانع والمنشآت الجديدة حتى تنتهى فترة الانتخابات • وتلك عجيبة وان كانت العجائب من الوفد ليست عجائب ترى هل يريدون أن يتوقف افتتاح المصانع التى تحاول التخفيف من معاناة الشعب التى ينتفعون بها هم والشيوعيون وسائر الأحزاب الأخرى مهما يكن فى ذلك التوقف من مزيد للمعاناة •

ربما كان هذا مطلبهم • فان معاناة الشعب اذا انتهت لن يجدوا بضاعة يتاجرون بها •

وهل هناك أكثر صفاقة من الشيوعيين الذى دمروا مصر كلها . وكانوا السبب الرئيسى فيما تعانيه مصر اليوم ومع ذلك نجدهم أعلى الأصوات متاجرة بهذا الخراب الذى صنعوه بفلسفتهم وتصرفاتهم . ثم هم يضعون برنامجا شيوعيا لرفع المعاناة عن الشعب وفى نفسى سؤال يلح عليها الحاحا لا قبل لى به . فى أى بلد من البلاد الشيوعية طبق هذا البرنامج وكان ناجحا . ترى هل نجح فى روسيا الدولة الشيوعية . اذن فلماذا تتسول القمح من أمريكا .

وعلى كل حال فلنترك الشيوعيين ولنعد للوفد الذى يريد للرئيس ان يوقف جولاته . وأذكرهم أننا لسنا فى عهد ملكى الملك فيه فوق الأحزاب . ليس الأمر كذلك لا من الناحية النظرية كما كان ولا من الناحية العملية .

ربما لم يدرك الوفد أن الملكية الغيت فى مصر منذ عام ١٩٥٢ وأن النظام الحالى نظام ديمقراطى جمهورى رئيس الجمهورية فيه رئيس للحزب الحاكم رئاسة معلنة لا خفاء فيها وانما هى معلنة اعلانا رسميا لا شك فيه .

وانى لأعجب لماذا يريدون من رئيس الحزب ان يخفى تأييده لحزب يرأسه . ان كانت هناك آمال تداعبهم فى عودة الملكية فهى على كل حال آمال لم تصل الى التحقيق بعد . وهى أيضا آمال تجول تائهة فى نفوسهم لا تجد فى نفسها القوة على المعالنة أو الوضوح . وعليهم أن يعرفوا أن رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك هو هو نفسه رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى شأنه فى تأييد حزبه شأن كل رؤساء الجمهوريات الديمقراطية التى يعتمد فيها الحكم على حزب صاحب أغلبية ... أم تراهم سمعوا عن رئيس جمهورية ديمقراطية يتولى سلطاته الرئاسية من فراغ وبغير تأييد من حزب ...

لا أستطيع أن اجادل أى مواطن مصرى ، فى أن يعبر عن رأيه ، ان كان هذا الرأى وأنطلق فى ذلك لا من ايمانى بحقوق الانسان فحسب . بل لايمانى بقانون الانتخاب الطبيعى ، وهو ان البقاء للأصلح . ولا يمكن لنا ان نكتشف « الأصلح » الا من خلال معرفتنا بـ « الاردأ » !!

ان قانون الانتخاب الطبيعى ، هو قانون الصراع بين الاضداد وحينما تتصارع القيم ، والمثل ، الهابط فيها والصاعد ، فان البقاء يكون للأصلح دائما . ولا يستطيع « الاقتصادى » ان ينشر بساط قولته المأثورة « العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق » على كل أرض المجتمع الانسانى .. لأن لكل شىء قانونه الحاكم فيه .

ولن يفلح اجراء قهرى أو تعسفى انسانى من الحلول محل الانتخاب الطبيعى بين الاضداد لأن اعتساف الانتخاب هنا ، يرتدى مسوح الشخصيات فينعكس شخص التدخل على ما يريد انتخابه من قيم • ان الصراع الذاتى هو محور الانتخاب الطبيعى ، وهو جوهر الحقيقة فى قاعدة « البقاء للأصلح » • وليس معنى هذا ان يترك الانسان قيم الشر وقيم الخير للصراع الذاتى ويقف منها موقف المتفرج • ذلك ان هذه القيم ، لا تتصارع بمعزل عن الانسان ، بسبب بسيط ، هو انها لم تكتسب صفاتها الا من خلال انطباعات الانسان عنها • وهى هنا تلبس الانسان دون ان يلبسها هو ، لأن له وظيفة محددة ودقيقة ، هى ادارة الصراع ، لصالح قانون الانتخاب الطبيعى •• البقاء للأصلح •

ان ادارة الصراع بين هذه القيم ، يجب أن تكون بين يدى أشخاص يفهمون هذا القانون ، ويدركون عمق نفعه للمجتمع • واذا ما وقع فى يدى أشخاص لا يفهمون هذا القانون ، ولا يدركون عمق نفعه للمجتمع فهم سيحسمون الصراع لصالحهم لا محالة •

أريد أن أقول ، أن بين الديمقراطية والديكتاتورية صراع بين قيم سياسية واجتماعية • وان ادارة الصراع بينها لابد أن تنطلق من مفهوم واضح وحاسم ، هو انه صراع بين خير وشر • وان الديمقراطية قد اكتسبت صفة الخير ، من انعكاساتها على الناس ، كما ان الديكتاتورية قد اكتسبت كذلك صفة الشر من انعكاساتها على الناس •

والصراع بين الديمقراطية والديكتاتورية ، هو صراع بين خير وشر وادارة هذا الصراع ، ينبغى ان تنطلق من مفهوم واضح ، هو الارتكاز على قانون الانتخاب الطبيعى ، البقاء للأصلح • والأصلح هنا هو القيمة النافعة للمجتمع ، بحسب ما انعكس على الناس طوال احقاب التاريخ • والقيمة النافعة هى الديمقراطية •

لكن الديمقراطية سوف تفقد المدرك الطبيعى لها ، اذا ما تعرض الصراع لادارة سيئة النية • وسوف يحل محل المدرك الطبيعى ، مدرك مصطنع يلبس نفس الثياب ويحمل نفس الاسم • وتاريخ الشعوب يؤكد لنا عمق الهوة بين مفاهيم الديمقراطية من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان !!

ان السبب فى ذلك واضح ، انه التفاوت الساحق فى مصداقية ادارة الصراع • فعلى حين يدار الصراع فى زمان ومكان ما • لصالح الحاكم ، فانه يدار فى مكان آخر وزمان آخر ، لصالح الشعب • وبين درجتى الجموح المصلحى هذه ، تقع العشرات من درجات الانحراف عن القانون الطبيعى للانتخاب •

ان ادارة الصراع عندما تنطلق من مفاهيم صحيحة ، فانها تنتهى بالضرورة ، الى نتائج صحيحة !! والذين يطبقون هذا المنهج الفلسفى النظرى، على ادارة الصراع بين قيم الخير والشر فى مصر منذ نالت استقلالها ، يرون تطبيقات فعلية لهذا المنهج الفلسفى ٠

فحين كانت ادارة الصراع قبل الثورة ، تدار بمعرفة الوفد والسراى، من مفاهيم خاطئة ، تخلط بين الخير والشر ، كانت النتائج متوقعة وواضحة ٠٠ وهى انهيار البنيان الاجتماعى كله عند أول ضربة من ضربات الثورة فى ٢٣ يوليو ٠ فقد سقط النظام الملكى ٠٠ وسقطت رموزه وعلاماته ، لأن ادارة الصراع بين الوفد والملك ، كانت ترتكز على مفاهيم شخصانية ٠

أريد أن أقول ، ان ادارة الصراع فى ذهن الملك ، كانت تستهدف حسمه لصالح السراى ، بينما كانت ادارة الصراع فى ذهن الوفد ، تتغيا ، حسمه لصالح حزب الوفد ٠ وكان انتصار أى منهما ، يعنى انتصار الديكتاتورية فى جانب ، أو انتصار الاقطاع فى جانب آخر !! أما الشعب نفسه ، فلم تكن تدار لمصلحته ، اية معركة ٠ ولقد انتصر الملك فى الجولة الأولى لصراعه ، يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ عندما احترقت القاهرة وأعلنت الأحكام العرفية وأقيل الوفد ٠٠ !! وفى قول آخر فقد انتصرت الديكتاتورية ، وبسطت يدها على الشعب المصرى ، فانتهى صراع الجولة الأولى ٠ ولأن قانون الانتخاب الطبيعى لابد أن يفرض نفسه فقد كان لانفراد الملك بالسلطة ، دوى هائل !! فحين يخلو ميدان الصراع الاجتماعى من أحد أطرافه ، فان البنيان ينهار ٠٠ ذلك انه لابد من استمرار الصراع وتجدده يوما بعد آخر ، كوقود للتحرك الاجتماعى ٠

ان سقوط الوفد واستسلامه لم يبدأ بعد معركة ٠٠ وانما بدأ عندما كان الطرف الآخر يستعد لاستقبال الهزيمة أو الفرار من الميدان !!

لقد دخل زعيم الأمة مصطفى النحاس ، وكيلا عن الشعب المصرى ، ليدير معه صراعا على الخير والشر لصالح الشعب ٠٠ صاحب الأرض !!

وعندما وقف الشعب صاحب القضية ، ينتظر بدء الصراع لصالحه ، فوجىء بوكيله وقد رفع راية الاستسلام !! وعندما استعد الملك طرفا للصراع مع النحاس لمصلحة الشعب ، فوجىء بخصمه وقد انحنى على يده يقبلها !! ولقد كانت مأساة مروعة ٠٠ ان ينهزم الوفد دون معركة ٠٠ وان يفر من الميدان قبل اللقاء ٠٠ وان يلقى السلاح قبل ان يرفع الملك راية الاستسلام !! وكانت نتيجة انهزام الخير (النحاس) فى مواجهة الشر (الملك) أن تعرض قانون الانتخاب الطبيعى لشروخ عميقة ٠ فلم يعد هناك بقاء للأصلح ، لأنه قد استسلم للاردأ ٠٠ ولم يعد هناك صراع بين

الخير والشر فقد انتصر الشر بعد ان هرب الخير وهو يلثم اليد !! وكان لابد من انتظار النتيجة الحتمية وهى اسقاط شرعية التوكيل الشعبى للوفد وتمثل ذلك كله فى موجة من المظاهرات بدأت تتصاعد فى شكل مظاهرات تعم أرجاء مصر ، حتى انتهت الى اعصار عاصف يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ بحرق القاهرة !! عندئذ سقط التوكيل الشعبى للوفد فتقدم الملك ليجهز عليه !!

ونفس النتيجة ، حدثت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، حينما تصاعد الانهيار التدريجى للنظام كله ، فلم يجد ثوار يوليو عناء كبيرا فى الاجهاز على سلطة الحكم · والامساك بزمام الادارة للصراع بين القمم لصالح الشعب !! ويكاد ما يجرى على الساحة الحزبية الآن ، يمثل صورة صادقة لادارة الصراع على نهج مدرك لحقيقة قانون الانتخاب الطبيعى !! فالرئيس حسنى مبارك يمسك بيديه ادارة الصراع بين الخير والشر ·· ولا يتدخل بشخصه فى هذا الصراع بين القيم ·· ومن أجل ذلك فان قانون الانتخاب الطبيعى ، البقاء للأصلح ، سوف ينتهى الى نتيجة طبيعية ، هى انتصار ارادة الشعب ·

والذين يلاحظون ادارة الصراع القيمى الآن ، يدركون ان ادارته لم تشأ ان تنحاز لطرف دون آخر · فعلى الرغم من أن محمد حسنى مبارك هو رئيس للحزب الوطنى ، وكان فى مقدوره ان يسخر كل امكانيات الدولة ، لحسم الصراع لصالحه ، فانه آثر أن يدير الصراع من وعى كامل لمفهوم قانون الانتخاب الطبيعى ·

والذين يديرون مثل هذا الصراع ، معركة قد تختلط فيها المصالح الشخصية بمصلحة الشعب نفسه ، دون ان يخطئوا الطريق الى الشعب ، انما يمثلون افرازا حقيقيا لارادة الشعب ، وهنا فان محمد حسنى مبارك لا ينسى انه مصرى وانه يعمل من أجل الشعب المصرى ·· بل انه يتجاهل تماما انه رئيس للحزب الوطنى كطرف فى الصراع على قيم الخير والشر ، ويتعامل مع أطراف الصراع جميعا على قدم المساواة · ومثل هذا النموذج الفريد فى ادارة الصراع السياسى ، لم يتواجد فى مصر من قبل !! فلم يسبق لمصر ان وجد بها مدير للصراع ، يدرأ الحدود بالشبهات !! ان هذا وحده كفيل بأن يطمئن المصريين على نتيجة هذا الصراع ، وهى أعمال قانون الانتخاب الطبيعى « البقاء للأصلح » !!

ومن الغريب ان بعض الصحف الحزبية ، والأحزاب الصحفية ، تحاول ان تستدرج ادارة الصراع الى مزالق الشخصانية !! فصحيفة الأهالى تصدر صفحتها الأولى بصيحة مضرية ، هى الرد على « رئيس الحزب الوطنى » !! أى أن الصحيفة ، تريد أن تذكر رئيس الجمهورية ، المحايد ،

بصفته الحزبية التى لا يستخدمها اطلاقا ، مستهدفة ، جر الصراع الى ميدان آخر تماما !! ومع ذلك فانه لابد من الاعتراف ، بان هذه المحاولات ، طبيعية جدا ، ولا ينبغى ان تثير الانزعاج ، لأن حق كل مصرى فى المنافسة ، مكفول ، لا بالقانون فحسب ، ولكن بمؤسسات وادارة واعية لدورهـــا تمـــاما ٠

وهنا ، فان نتيجة الانتخابات القادمة ، سوف تكون تطبيقا حرفيا لقانون الانتخاب الطبيعى فى مصر لأول مرة فى تاريخها ٠٠ وايا كانت النتائج ٠٠ فلن تسلم من طعن المجروحين ٠٠ ولا من شماتة المنتصرين ٠٠ لأن طبيعة الصراع ٠٠ تنتهى الى انتصار هنا ٠٠ ثم فرح ٠٠ وهزيمة هناك ثم حزن ٠٠

وكل ذلك ليس مهما ٠٠ انما المهم كله ٠٠ اننا أمام ادارة جديدة للصراع بين قيم الخير والشر ٠٠ وهى ادارة لم تصل من قبل ٠٠ الى كراسى الحكم ٠٠ ولا منصة القضاء ٠٠ !!

١٤ مايو سنة ١٩٨٤ :

الله فى عونهم

النظام الملكى يقوم على أن يملك ولا يحكم • وقد كان لهذا الشعار أثر خطير فى حياة الملكية وخاصة فى انجلترا • ومما يروى فى هذا الباب أن رئيس الوزراء دزرائيلى عرف أن وصيفة الملكة فيكتوريا ترسل بطاقات توصية للوزراء بشأن أقاربها وأصدقائها • وكانت هذه الوصيفة اثيرة عند الملكة فيكتوريا مقربة اليها • ولعلها اعتمدت على هذه الصلة حين تجرأت على هذه التوصيات وقصد دزرائيلى من فوره الى القصر الملكى وطلب مقابلة عاجلة مع جلالة الملكة وحين لقيها طلب اليها أن تغير الوصيفة فورا لما أرسلت من توصيات للوزراء واعتبر هذا تدخلا من القصر الملكى فى شئون الحكم لابد أن حسم بشكل حازم • وغضبت الملكة أشد الغضب وصاحت به •

ـ لقد اصبحتم تتدخلون فى حجرة نومى •

وقال دزرائيلى :

اذا تدخلت حجرة نومك فى شئون الحكم أصبح حتما علينا أن نتدخل •

وقالت الملكة غاضبة :

وانا لن أقل هذا •

وقال دزرائيلى وكانت الصلة بينه وبين الملكة تقوم على الحب والاحترام المتبادل •

اذن أنا مضطر أن أقدم استقالتى •

وقالت الملكة :

لا • أنا التى سأقدم التنازل عن العرش •

هذا هو النظام الملكى • وقد كان دستور ٢٣ فى مصر ينص هو أيضا على أن الملك يملك ولا يحكم • ولكنه عاد فأعطى الملك حق اقالة الوزارة فالغى بذلك تماما مبدأ عدم تدخل الملك فى الحكم • وعلم الله أن هذا التدخل من الملك هو الذى جعل الدستور العوبة يلهو بها من يريد اللهو •

وعلم الله أن هذا هو الذى جعله يلغى تماما بعد أن قال بيان الثورة ان الثورة قامت لحمايته • وربما كان هذا التدخل من الملك هو الذى أدى الى عزله وهو أيضا الذى جعل الناس تفرح بهذا العزل •

وعبرت مصر طريقها الوعر مرة أخرى الى الدستور • وأصبح النظام عندنا جمهوريا ولكنه كان نظاما ديكتاتوريا صارخا • حتى أصبح فى مصر أحزاب وعادت الديموقراطية الى مصر ولكنها عادت ديموقراطية جمهورية وليست ديموقراطية ملكية • والفارق شاسع بعيد •

فحين ملك الملك ولا يحكم فى النظام الملكى نجد رئيس الجمهورية يشارك فى الحكم مشاركة فعالة حين تكون الجمهورية رئاسية مثلما هو الحال فى مصر • اما اذا كانت برلمانية كما هو الحال فى اسرائيل فان رئيس الجمهورية يصبح رمزا لا أكثر يوقع ما يطلب منه رئيس الوزراء أن يوقعه دون مناقشة أو يستقيل •

وقد فشل هذا النظام فى فرنسا فشلا ذريعا أدى الى تغيير الوزارات بسرعة متلاحقة وافقد الحكم استقراره مما أضطر الشعب الفرنسى الى أن يأخذ بنظام الجمهورية الرئاسية •

أما النظام الملكى فهو يمنع الملك أن يحكم لأنه تولى العرش مفروضا عليه بصدفة الولادة وقد يكون طاغية باطشا أو أحمق مافونا أو قد يصلح لأى شىء الا أن يحكم •

أما رئيس الجمهورية فالشعب يختاره فطبيعى اذن أن يكون صاحب رأى فعال فى الحكم • فقد اختاره الشعب وهو على وعى كامل بكل السلطات التى يخولها له الدستور وان السلطات التى يتمتع بها رئيس الجمهورية الرئاسية فى أمريكا مثلا واسعة الى حد بعيد •

ولكن كيف يكون رئيسا للجمهورية دون أن يكون له تأييد شعبى • وكيف يكون له تأييد شعبى وليس له حزب ذو صلة وثيقة بالشعب •

فرئيس الجمهورية اذن لابد أنه يعتمد على حزب قوى •

ورئيس الجمهورية فى مصر • هو فى نفس الوقت رئيس الحزب صاحب الأغلبية الساحقة فى مجلسى الشعب والشورى على السواء •

فاى عجيبة اذن أن ينزل رئيس الحزب ليجتمع بالناخبين فى فترة الانتخابات وقد شاء رئيس الجمهورية فى أيامنا هذه الا يكون لقاؤه بالشعب مجرد لقاء انتخابى وانما أصر على أن يكون ذهابه الى المحافظات من أجل افتتاحه للمشروعات الجديدة التى يحاول بها أن يخفف الأعباء عن الشعب والتى يحاول بها أيضا أن يزيح عن كاهله وكاهل مصر العبء

الفادح الذى ورثه نتيجة السنوات العجاف دون أن يكون له يد فيه وأحسب أن لسان حاله يقول مع الشاعر القديم :

لم أكن من جناتهــا ـ علــم اللـــه ـ
وانى بحرهـــا اليـــوم صـــالى

فما لاقوام اذن يطالبون الرئيس بألا ينزل الى الجماهير فى هذه الأيام ٠ اتراهم يريدون المشروعات أن يتوقف افتتاحها ٠ فاذا توقف راحوا يضربون الدفوف بمعاناة الشعب وازماتها ٠

ام تراهم يريدون أن يتوقف رئيس الجمهـــورية عن العمل فترة الانتخابات ٠٠٠ ربما كان هذا أملهم ٠ وماله لا يكون ٠ وهم يعلمون كل العلم ماللرئيس مبارك من مكانة عند الجماهير ٠ هذه المكانة التى نراها حين نشهد زيارات الرئيس فى التليفزيون والتى تجعل الأحزاب المعارضة تزداد ثقة بأن الأرض تميد من تحت أقدامهم حتى لقد أصبحت أخشى عليهم خشية حقيقية الا ينال حزب منهم النسبة التى تمكنه من التمثيل فى مجلس الشعب ٠ كان الله فى عونهم اذا كانوا فى مصلحة مصر يعمـــلون ؟

الأهرام ١٧ مايو سنة ١٩٨٤ :

ان أجراها عمر

كان الشعر العربى هو وسيلة الاعلام عند العرب ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحتفى بالشعر والشعراء غاية الاحتفاء وكان عليه الصلاة والسلام يطرب للشعر شأن كل عربى أصيل حتى ان فارعة بنت أبى الصلت أخت الشاعر الشهير أمية بن أبى الصلت وكانت سيدة فاضلة تحفظ الكثير من الشعر كانت تقصد الى النبى بدعوة منه ويستنشدها الشعر ويمتدح ذكاءها وحسن اختيارها لما تحفظ ٠

وكان عليه الصلاة والسلام يحيى الخنساء وهى تنشد الشعر فى ساحته « هيه يا خناس » ٠

وكان صلوات الله عليه يغضب للشعر الذى يتطاول به الكفار على مقامه الأسنى وقصة كعب بن زهير معه معروفة حين هجا الرسول وامعن فى الهجاء فأباح النبى دمه ٠ وكان أخو كعب مسلما حسن الاسلام فراح يشرح الاسلام لكعب حتى انشرح صدره للايمان واسلم ثم قال لأخيه :

ــ والآن ماذا أفعل فى دمى المباح ٠

وقال اخــــوه :

ــ ان الذى أباحه سيد البشر اجمعين فان تبت بين يديه عفا ٠

ــ اوتظنه يفعل ٠

ــ انه لا شك فاعل ٠

ــ فكيف وصولى اليه ولو رآنى أحد من اتباعه لقتلنى قبل ان أبلغ مكانه ٠

ــ لا عليك سأصحبك ولكن اخف وجهك ٠

ــ ما أرى صحبتك ستنجينى من القتل وما أرى اخفــاء وجهى نافعــا ٠

ــ اننا سنذهب الى النبى فى موعد الصلاة وهو (صلى الله عليه وسلم) سيكون فى مكان الامامة حتى اذا انتهت الصلاة اطلب العفو ٠

— وانى لناظم قصيدة فى مديحه يظل رنينها فى سمع الزمان الى آخر الزمان .

وذهب الاخوان والنبى يصلى بالناس ووقفا مع المصلين حتى اذا ما انتهت الصلاة كشف كعب عن وجهه وبدأ يلقى قصيدته الخالدة :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم أثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين اذ رحلت
الا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

ثم يقول :

ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فى فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا
نبئت ان رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول

فاذا بالرسول الكريم يقوم من مجلسه ويصيح :

— ولقد عفوت يا كعب .

ويحتضن الشاعر ويخلع عليه بردة جديدة كانت مهداة حديثا الى رسول الله ، ومن أجل هذا نجد من يقول ان هذه القصيدة هى التى تسمى بالبردة نسبة الى هدية النبى عليه الصلاة والسلام . أما بردة البوصيرى فيقال ان اسمها البرأة لأن البوصيرى كان ينظمها وهو مصاب بالشلل وحين اتمها برأ .

وأيا كان الأمر فان هذه القصيدة تدل على قيمة الشعر فى زمن الرسول وهى أيضا ذات دلالة عريضة تدحض ما يذهب اليه المتطرفون من تحميل الاسلام غير مذاهبه . وها هو ذو هادى البشرية وحامل رسالتها يستمع الى الغزل الرقيق البديع من كعب فلا يضيق به ولا يرفضه بل يخلع على الشاعر بردته .

ومكانة حسان بن ثابت من النبى ومن الاعلام الاسلامى معروفة شهيرة . وقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يقربه ويدنيه اليه ويمتدح شعره ويستعيده . اقرأ معى قوله :

ان الذوائب من فهد واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ان كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم لا يطبعـون ولا يرديهـم طمـع

ولا يكتفى حسان بمديح الرسول وانما هو يهجو فى عنف واقذاع أعداء الاسلام وخصوم رسول الله والنبى الكريم يبارك منه المديح والهجاء معا ٠٠ أسمعه يقول فى هجاء الوليد بن المغيرة :

ان التى ألقتك من تحت رجلها وليـدا لمجهال العشى خبـوب
فما لك من كعب حصاة تعدها وان قلت من شجو فانت كذوب

ويقول فى مخرمة بن المطلب وأبى صيفى بن هاشم بن عبد مناف هاجيا لهما بأمهما :

اذا ذكرت عقيـلة بالمخـــازى تقنـع من مخـازيها اللئـام
أبو صيفى الذى قد كان منها ومخــرمة الدعى المســتهام
اذا شـتموا بأمهـم تولــوا سراعـا ما يبـين لهـم كلام

وقد تطور الاعلام اليوم فأصبحت الاذاعة وأصبح التليفزيون وانما لنشهد انها المرة الأولى فى تاريخ مصر وأكاد أقول فى تاريخ الشرق العربى كله يسمح للأحزاب المعـارضة أن تعرض برامجها فى الانتخابـات فى الاذاعة وعلى شـاشة التليفزيون الذى تشرف عليه الدولة التى تتكون الحكومة فيها من حزب يشـارك فى المعركة الانتخابية ٠ وقد شـهدنا الحكومة الوفدية حـين كانت تنفرد بالاذاعة ويظل الزعـيم يخطب فيها الساعات الطوال ووراءه الأتباع وأتباع الأتباع ٠ وأذكر فى هذا المضمار قصة لا تخلو من طرافة فقد اقترح أحد أعضاء الوفد اقامة حفل تكريم للرئيس بمناسبة سخيفة من المناسبات السخيفة الكثيرة التى كان يحفل بها حكم الوفد ٠

وأقيمت حفلة التكريم ٠ واذا بعض آخر يطلب اقامة حفلة تكريم لهذا الذى اقترح اقامة حفلة تكريم للرئيس ٠٠ والعجيب ان الحفلة أقيمت فعلا وتساءلنا نحن الشعب المصرى الى أى مصير سينتهى الأمر اذا اقترح أحدهم اقامة حفلة تكريم لمن اقترح اقامة حفلة تكريم لمن اقترح حفلة التـــكريم ٠٠

.. لنا الله فكم رأينا من سخافات وتفاهات .. ولكم نخشى أن تعـــود .

وشهدنا فى التليفزيون زعيم الحزب الشيوعى وهو يقدم برنامجه وآنا لنسأله سؤالا عاما بغير تفاصيل . فى أى بلد شيوعى جربتم هذا البرنامج ونجح . ان النظرية الشيوعية لم تعد اليوم نظرية وانما هى تطبيق ونحن اليوم ينبغى لنـا أن نناقش التطبيق لا النظرية . لأن النظريات بغير تطبيق لا تعنى شيئا .

أما وقد طبقت النظرية فعلا سبعين عاما فى روسيا السوفيتية فقد آن لنا أن نسأل الشيوعيين .. هل نجح التطبيق .

اذن فما لروسيا السوفيتية تتسول القمح من أمريكا . وما لروسيا السوفيتية تتحدث عن الحوافز وما لها تميل فى كل يوم عن النظـرية الشيوعية كلها تحاول جاهدة الخروج من جنة الماركسية .

وبعد فاننى أحسب أن الحزب الوطنى قد أغلق المنافذ على أحزاب المعارضة . فما من مطلب طلبوه الا أجابته لهم حكومة الحزب الوطنى من حرية الاجتماعات الى الصحافة الحرة حتى وان كانت تميل عن الحق وتقيم الباطل الى شرح البرنامج فى التليفزيون والاذاعة .

فبأى حجة اذن سيحتجون يوم تقول صناديق الانتخابات ان الشعب لا يثق فيهم .

رفقا أيها الحزب الوطنى فما كان ينبغى أن تغلق عليهم مســالك التحجج الى هذا الحد .

وعلى أى حال ليعلم الجميع ان الأحزاب المعارضة جميعا سترمى الانتخابات بأنها مزورة والقائمين عليها بأنهم ظلمة غير محايدين. ولا علاج لهذا .. لا علاج وان قام الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه من مرقده وأجرى الانتخابات برجال من صحابة الرسول . فان المعـارضة أيضـا ستقول : ان الانتخابات لم تكن حرة . ولله فى خلقه شئون .

الأهرام ١٩٨٤/٥/٢٠ م ..

الستراولى بنـا

القانون رقم ١٢٠ لسنة ١٩٥٠ صدر باضافة مادة جديدة الى قانون العقوبات وكانت الوزارة الوفدية فى ذلك الحين هى الوزارة الوفدية واحب أن أنقل هنا نص المادة كما جاء فى الوقائع المصرية بتاريخ ٢٦ شـوال ١٣٦٩ ـ ١٠ أغسطس عام ١٩٥٠ ٠

« نحن فاروق الأول ملك مصر » ٠

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتى نصه وقد صدقنا عليه وأصدرناه ٠

المادة ١ ـ يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة شهور وبغرامة لا تجاوز مائة جنيه أو باحدى هاتين العقوبتين كل من ينشر فى الصحف أو فى غيرها من المطبوعات دون اذن مكتوب من وزير الداخلية أخبارا أو رسوما أو صورا أو رموزا عن الشئون الخاصة للأسرة المالكة أو لأحد أعضائها ٠

المادة ٢ ـ على وزيرى العدل والداخلية تنفيذ هذا القانون ويعمل به من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية ٠

صدر بقصر رأس التين فى ٢٦ شوال سنة ١٢٦٩ ـ ١٠ أغسطس ١٩٥٠ ٠ ثم بعد ذلك توقيعات وزير الداخلية فؤاد سراج الدين ووزير العدل عبد الفتاح الطويل وفاروق بأمر حضرة صاحب الجلالة رئيس مجلس الوزراء بالنيابة عثمان محرم ٠

هذا هو النص قصدت عامدا أن انشره كما هو لأن من المؤكد أن كثيرين من الشباب لم يشهدوا مثل هذه الصياغة ولولا هذا لكنت اكتفيت بنشر مضمونه ٠

وربما يعجب بعض الذين لم يتعودو قراءة مثل هذه المراسيم أن يجدوا فى صدره أن مجلسى الشيوخ والنواب قررا هذا القانون ٠

ولا عجب فى ذلك فالأصل أن الملك لم يكن يملك اصدار مراسيم بما لم تعرض عليه من المجلسين أو من مجلس الوزراء ٠

ولكن هذه القاعدة كانت فى حكومة الوفد الأخيرة حبرا على الورق

فقد كان الملك يملكهم ويحكم مصر جميعا وما كانوا هم الا موقعين على أوامره ٠

ومعنى صدور القانون من المجلسين أن الوزارة تقدمت بمشروع القانون هذا أو أن أحد الشيوخ أو أحد النواب تقدم به ولا فارق هناك بين أى حالة من هذه الحالات والأخرى فالذى لا شك فيه أن الملك أصدر أمره وراحت الوزارة تضع الأمر فى صيغته الشرعية ٠ فالأغلبية الوفدية فى الشيوخ والنواب كانت تضمن لهم اصدار أى قانون يشاءون حتى ولو كان مخجلا الى هذا الحد الذى بلغه هذا القانون ٠ فان الدستور حين نص على أن الملك يملك ولا يحكم ضمن له كذلك الا يكون عرضة للنقد أو الهجوم ولذلك قبل ان الملك ذاته مصونه لا تمس ٠ وهذا نص معقول تماما اذا كان الملك حقا لا يحكم فمادام لا يحكم ففيم يوجه اليه النقد اذن ٠

ولم يكن واضعو الدستور يتصورون أن ملكا ما سيتردى فيما تردى فيه فاروق من أعمال شائنة جرت عليه وعلى مصر الوبال ٠ كما أن واضعى الدستور لم يكونوا يتصورون أن حكومة ما ستترك ملكا يطلق يده فى الحكم اطلاقا كاملا دون أن يرده أحد أو يراجعه رئيس وزراء أو وزير ٠

وعلى كل حال فصون الذات الملكية من المساس نص استثنائى ضيق كل الضيق لا يسمح لأحد مهما يكن أمره أن يتمتع به مع الملك ٠ والتوسع فى هذا النص اهدار للدستور لا شك فيه لكن حكومة الوفد وهى تضع رأسها تحت قدمى الملك حتى تبقى فى الحكم استصدرت هذا القانون ليشمل أفراد الأسرة المالكة جميعا ٠ وليذهب الدستور الى أى حجم يشـــاء ٠

ونسيت موقف سعد حين أبى أن يعين الملك فؤاد الشيوخ الا اذا كانت اسماؤهم بترشيح من رئيس الوزراء ونسيت موقف محمد محمود وهو يكسر أبواب نادى محمد على حين أراد ولى العهد محمد على توفيق أن يجعله مقصورا على أبناء الأسرة المالكة فصاح به محمد محمود نحن أبناء الفلاحين ونحن أصحاب هذا البلد وليس فى البلد مكان يمتنع علينا وانما أنتم ضيوف علينا ومن لا يقبل هذه الصفة منكم فعليه أن يرحل من بـــلادنا ٠

نسى الوفد هذا جميعه وترك الملك يعيث فسادا بالحكم وبالأخلاق وبالقيم وبكل معنى كريم من حياتنا وحين وقف رجال مصر يصيحون بالملك أن يعود الى عقله اعتبرهم الوفديون مجرمين ٠

وحين وقف محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة يطلب الأسباب التى جعلت كريم ثابت يستولى على خمسة آلاف جنيه دون وجه حق ذهب

اليه فؤاد سراج الدين يغريه برتبة الباشاوية ان يسحب اعتراضه فيأبى الرجل فى نبالة وأمانة وحين تقدم مصطفى مرعى بالاستجواب أخرج فؤاد سراج الدين القمم الشامخة من شيوخ مصر وصاح فى المجلس بالدكتور هيكل رئيس المجلس محطمـــا كل أسس الديمقراطية انى أرى كرسى الرئاسة يهتز تحت رئيس مجلس الشيوخ ويقول الدكتور هيكل ان هذا الكرسى ثابت كالطود ولا يهتز أبدا ولم يكن الرجل يعلم انهم دبروا مؤامرة لقتل الدستور والديمقراطية معا ·

ويقول قائل ان التاريخ لا يرويه الا مؤرخون وهذا حق ولكن ايمتنع علينا نحن الذين شهدنا أن نقدم شهادتنا للتاريخ · اننا لا نؤرخ انما نحن شهود عيان · وما نقوله لا يقبل المناقشة لأنه واقع حدث فعلا وليس رأيا نراه وقد يرى الآخرون غيره

أن هذا الذى نقول مكتوب فى الصحف ومسجل فى كل سجلات هذه الفترة من الزمان فلا مناقشة فى صحته أو عدم صحته انما تكون المناقشة فى وجهة النظر حوله وفى تبريره لمن شاء تبريره ولادانه مرتكبيه لمن شاء أدانه ·

انما هو الحق · وهذا هو الحزب الذى يعود اليوم بكل ما يحمله من تاريخ عفن لم يحاول أن يعتذر عنه وانما هو يزيده سواء بما يفعله فى حياتنـــا اليوم من استقطاب المتطرفين من اليمين واليســـار من ضـــم ورثة القمصان الزرقاء ومن محاولة احراج رئيس الجمهورية بأن يضموا اليهم اخاه لا لشىء الا ليشفوا الشقيق عن شقيقه وعجيب أن يستصدر فؤاد سراج الدين فى سنة ١٩٥٠ قانونا بأن من ينشر خبرا أو صورة أو رسما عن أى فرد من أفراد الأسرة المالكة يعتبر مجرما يعاقب بالحبس أو بالغرامة ثم يقبل هو نفسه فى حزب الوفد شقيق رئيس الجمهورية ليكون فى حزب معارض لرئيس الجمهورية · وياليته كان معارضا لمبدأ وانما هو معارض لأسباب تزيد رئيس الجمهورية فخرا وشرفا ··· عجيب فعل سراج الدين حقا ولـــكن العجائب منه ليست عجائب وما خفى من أمره وما خطى من أمره أعظم ولكن الستر أولى بنا ·

الأهرام ١٩٨٤/٥/٢٢ م :

اقرأ هــذا مبــكرا

لست أدرى أين ستقرأ هذه الكلمات ولا أنا أدرى متى ·· ربما قرأتها فى باكر الصباح قبل أن تغادر بيتك · وربما قرأتها فى طريقك الى صندوق الانتخاب وربما قرأتها وأنت تنتظر دورك للادلاء بصوتك · وكل أملى أن تقرأها قبل أن تقف أمام ضميرك والصندوق ·

الأحزاب المعروضــة عليك اليوم · هى : الحزب الوطنى وحزب العمل · وحزب الأحرار · وحزب لوفد · وحزب التجمع ·

وأنا لن أتكلم عن الحزب الوطنى فغاية القول فيه أنه الحزب الذى يرأسه محمد حسنى مبارك وهو رجل استطاع فى براعة وفى صدق وفى غير افتعال أن يجعل الأحزاب المعارضة تشيد به وبنزاهته ونقائه السياسى ومواقفه التى لا يصدر فيها الا عن حب مصر ·· ومصر فقط ·

وأنا لن أتكلم عن حزب العمل فقد كان له ممثلون فى مجلس الشعب ومجلس الشورى والشــعب قــادر على أن يتعرف على ملامح الحزب من ممثليه فى المجلسين ونفس هذا الرأى ينصرف الى حزب الأحرار وان كان لابد من تفرقة فهى اعتقادى ان قياداته ستتعرض بعد الانتخابات لأسئلة بذاتها عن بعض تصرفات فى الشركات التى يقومون على أمرها · وأحسب ان القضاء سيكون صاحب الولاية فى هذه الأمور ومن ثم فليس لنا أن نخوض فيها أو نذكر عنها شيئا أما الحزبان اللذان أجد نفسى مضطرا للحديث عنهما فهما حزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوى ·

أما حزب الوفد الجديد فلأن الكثيرين من الناخبين لا يعرفون شيئا عن ماضيه وكثيرين أخرين يجدون فيه أملا فى التغيير ·

وحب التغيير يكون فى بعض الأحيان غاية فى ذاته عند النــاس وخاصة أولئك الذين يضخمون ما تعانيه مصر الآن والذين يرفضون أن يبحثوا عن الأسباب الحقيقية التى أوجدت مظاهر النقص هذه التى تحمل مصر اليوم عبئها · بل ان بعض الناس يريدون التغيير لمجرد التغيير ·

ولو ان هؤلاء وأولئك أنعموا النظر فى القوائم التى رشحها الحزب الوطنى لوجدوا الحزب غير نفسه فعلا فى غير ضجيج ولا صراخ ولا هتاف·

وهل هناك تغيير أوضح من استبعاد نصف أعضاء الحزب فى مجلس الشعب تقريبا • وهذا فى ذاته يشير الى ما سيتلو هذا • وان كان هذا التصرف لا يحمل الدلالة الكافية فان خطاب الرئيس مبارك فى أول مايو يقطع بهذا بصورة لا تحتمل الشك ، فالدماء – كما قال – لا بد أن تتجدد ولابد أن يكون لكل فترة رجالها •

فالتغيير اذ واقع من الحزب الوطنى نفسه •

فهل ترانا نجد التغيير عند حزب الوفد •

أما زعيمه فهو نفسه سكرتير عام حزب الوفد القديم الذى باع كرامة مصر الى الانجليز فى ٤ فبراير والذى باع كرامة الحكم الى الملك فى وزارته الأخيرة بأمل البقاء فى الحكم • وهو هو نفسه الحزب الذى أخرج الشيوخ من مجلس الشيوخ لأنهم طالبوا بنزاهة الحكم • وهو هو نفسه الحزب الذى أشاع الفساد والرشوة والمحسوبية فى أرجاء مصر • وهو هو نفسه الذى ابتدع القمصان الزرق ليحاربوا الرأى بالعصى ويردوا الحجة بالحجارة •

وقد كنا جديرين أن نقول عفا الله عما سلف • لولا اننا نرى الوفد الجديد شرا من الوفد القديم •

فالقمصان الزرق عادت وان لم تلبس القمصان الزرقاء وانما أنت تراها حول رئيس الحزب حيثما حل • وحسبك ما حدث فى الاسكندرية لتعرف ان القمصان الزرق تمارس عملها فعلا • وأنت اذا شهدت موكب رئيس الحزب فسترى حوله هؤلاء الفتوات يحيطون به احاطة السوار القبيح بالمعصم ولنترك هذا لنخوض فى غيره •

ما هو البرنامج الذى نختاره عند حزب الوفد الجديد !؟

أهو برنامجه ؟

أم هو برنامج الاخوان المسلمين ؟

فان كان برنامجه فكيف يمثله الاخوان المسلمون ؟!

وان كان برنامج الاخوان ألا يكون الحزب بذلك قد تلاعب بالقانون وسمح للجماعات الدينية أن تتخذ أسمه ستارا تقيم فى غطاء منه حزبا يمنعه القانون أن يتكون •

والاخوان المسلمون فى ذاتهم حزب مفتعل • فاذا كانوا هم اخوانا مسلمين • فماذا نحن اذن ان لم نكن اخوانا ونكون مسلمين • علم الله أننا مسلمون بكل قطرة دم من دمائنا • الا أننا نرى الاسلام رسالة روحية

سامقة . ويرونه هو وسيلة للوصول الى الحكم ونرى نحن الاسلام مرحمة وحبا وتوادا فى الله . ويرونه هـم قتلا فرديا وجماعيا لأعدائهم ولغير أعدائهم على السواء . ومن شجرتهم التى رواها الدم خرجت الجماعات الأخرى التى لا تزال حتى يومنا هذا تثير الفرقة بين أبناء الوطن وتشعل الحقد فى نفوس الشباب وتفشى الذعر والهلع فى أفئدة المصريين المسلمين وغير المسلمين على السواء . وقد رأيناهم منذ الأربعينات حتى الثمانينات فى مصر . وها نحن أولاء نرى نموذجا بشعا لحكمهم فى ايران . وهو يخرب الدين أول ما يخرب ويقدم منه صورة دموية مفجعة للعالم المتحضر الذى كان الكثيرون فيه يفكرون فى الدخول الى الاسلام والوقوف تحت رايته حتى خرج عليهم حكم الخومينى بما خرج .

واذا كان الوفد يعلن انضمام الاخوان له فان فى خفايا كيانه كثيرا من الشيوعيين الملحدين الكافرين بالله وبكل رسله وبالروح وبالسماء جميعا .

فأى جانب فى الوفد ننتخب .

أننتخب الوفد الذى حطم الديمقراطية قبل ٥٢ ويريد أن يحطمها وهى وليد جديد وعيون العالم أجمع تنظر الينا فنحن دولة لا مثيل للحرية فيها بين دول المنطقة جميعا أم الاخوان فيه أم الشيوعيين .

والعيون فى الداخل رواصد واذا أصبحت الديمقراطية ستارا للخرق والفوضى والاضطراب فالله وحده يعلم الى أى مصير نحن صائرون .

ولنترك الوفد الجديد القديم الاخوانى الشيوعى لنلقى اطلالة على حزب الكفر والالحاد .

ونبدأ بتحليل اسمه .

فهو يسمى نفسه حزب التجمع الوحدوى . أما التجمع فهو من أسماء الأضداد فأنصار الله هم أبناء مصر جميعا وأنصار الالحاد أفراد قلة لا يستحقون الحصر . ولننظر فى كلمة الوحدوى .

أتراهم يقصدون بها الوحدة بين مصر وبين العرب . اذن فهى القومية العربية التى قال عنها خروشوف هنا فى مصر يوم جاء للسد العالى . انهم أى السوفيت لا يعرفون هذه القومية ولو كانت القومية من الأسس التى تريد مصر أن تكون بين عناصر شعارتها فانه سيجمع كل الروس الذين جاءوا للسد العالى ويعودون جميعا الى روسيا .

ولكن الوحدة أصبحت شعارا للحزب الشيوعى يوم خاصم العرب مصر بعد انتصار مصر وحصولها على سيناء وعلى السلام .

وقد كانوا فيما سموا أنفسهم قصار النظر فقد كانوا يريدون توسيع الهوة بين مصر والعرب ولكن خاب فالهم وها هم أولاء العرب يعودون الى مصر وها ذى العلاقات بيننا وبينهم تزداد فى كل يوم توثقا ٠

وبعد الاسم نبحث عن أهداف هذا الحزب وهذا أمر يحتاج الى كثير من الحديث اذا نحن ناقشنا النظرية ولا يحتاج الى أكثر من بعض جمل اذا نحن ناقشنا التطبيق ٠

الحزب الشيوعى لا يعترف بالله ولا يعترف بالروابط الشرعية ولا يعترف بالقيم الأخلاقية ولا يعترف بالصلات الاجتماعية ٠ ولا يعترف بأى معنى كريم أو نبيل فى حياة الانسان ٠

فالانسان عنده أقل من حيوان أعجمى فهو لا يزيد على مسمار فى آلة تعمل لتوفر الخبز والغذاء لكل على قدر حاجته ٠

ولما كان الالغاء سهلا فقد ألغوا من نظامهم الدين والشرائع والقيم والأخلاق وأسس المجتمع ٠

ولكن هل حصلوا على حاجة الانسان ٠

اذن فلماذا تتسول روسيا القمح وهو أبسط حاجات الانسان من أمريكا الرأسمالية ؟!

ولماذا قضى النظام الشيوعى على الاقتصاد الصناعى المزدهر فى ألمانيا الشرقية والتى يسميها الاتحاد السوفيتى المانيا ألديمقراطية زورا وافكا وبهتانا وتمسحا فى الديمقراطية ؟! ولماذا حاولت المجر أن تخرج من جنة الشيوعية فسحقت فيها الدبابات الروسية مئات الألوف من العجائز والأطفال اختلطت جثثهم بدمائهم وعجنت أجسادهم بالدبابات ؟!

ولماذا حاولت تشيكوسلوفاكيا الخروج من جنة الشيوعية فاحتلتها فى لحظة واحدة خمس دول شيوعية ٠

ولماذا تحاربهم أفغانستان المسلمة العظيمة منذ خمس سنوات وهى دولة فقيرة كانت جديرة بأن تقبل مذهبهم لو أنه فعلا يعينهم على فقرهم ٠

ترى أين تقرأ هذا الحديث ٠٠ ان كل ما أرجوه أن تقرأه فى الموعد المناسب فاننى أحاول أن أفكر معك راجيا أن تفكر أنت أيضا معى ٠ فان كلمة ياليت كلمة لا تعيد من الزمن ما فات ٠

الأهرام ٢٧/٥/١٩٨٤ م :

اللهم فاشــهد

خرجت علينا جريدة الوفد أمس وعلى رأسها صور ثلاث لسعد زغلول ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين وكتبت بجوار صورة سراج الدين أنه عذب ثلاثين عاما ثم اعاده القضاء العادل الى زعامة الوفد • وقد تساءلت وأغلب الأمر أن كثيرين تساءلوا معى ألم يكن الأكرم والأجدر بالجريدة أن تقول ان فؤاد سراج الدين قد عــاد الى زعــامة الحزب حين ســمحت الديمقراطية التى ننعم بها اليوم أن يمارس القضاء حقه فالقضاء لا يقول كلمته الا اذا كانت الدولة حرة الأمر فيها للقانون وليس للطغيان وتلك حقيقة لو ذكرهــا الوفد لوجدت عند الناس شعورا بأن الوفد يمكن أن يقول الحق ولو مرة واحدة فى حياته ولو كان الوفد قد اعترف أننا نحيا فى ظل القانون الذى لا يعيش الا فى حماية من الديمقراطية لاطمأنت منه القلوب أنه لو قدر له أن يكون الحزب المعارض تحت قبة البرلمان فانه سيكون حزبا شريف المعارضة يقف مع الحق حيثما يكون الحق وليس مع المعارضة حيثما كانت المعارضة •

وفى نفس الجريدة كلمة رائعة للأستاذ الجليــل الدكتور وحيد رأفت استطاعت على قصرها أن تعطى كل ذى حق حقه فى التاريخ كمــا استطاعت على قصرها أيضا ـ أن تضع الدستور الأمثل للمعارضة الشريفة كما أتمنى أن يتخذ الوفد من هذا الرجل العالم الأمين فيلسوفا له يضع له منهج عمله السياسى ، اذن لنجا الحزب الجديد من أوضار الحزب القديم ولابتعد عن الغوغائية الى المعارضة المثقفة الرفيعة وحينئذ نستطيع أن نفخر بالديمقراطية التى نعيش فى ظلالها •

واننى سأكون أشقى الناس لو أسفرت هذه الانتخابات على أغلبية حزب واحد فأبغض شىء الى الأحرار أن يتولى الهيئة التشريعية فى بلادهم حزب واحد فالحزب الواحد هو الديكتاتورية المقنعة أو هو الديكتاتورية السافرة ان شئت الحق •

فما أحب الينا نحن الأحرار أن تكون هناك أحزاب معارضة أو حزب معارض على الأقل • ففى وجوده عصام الأمور وأمن الشعب ورقابة السلطة التشريعية على السلطة التنفيذية ووجوده يجعل القائمين على الأمور يفكرون ويمعنون فى التفكير قبل أن يتقدموا بمشروع قانون الى السلطة التشريعية

ولا يجعل القوانين تتراكم حتى تصل الى أربعة عشر ألف قانون • المعارضه هى الديمقراطية • لا اختلاف فى ذلك ولا جدل ولكن اذا كانت سببا واشعال حرائق بلا وعى • واذا كانت تمثيلا مسرحيا لا تمثيلا نيابيا وامتشاقا لأسياف من خشب واتخاذا لملابس المهرجين •

فهى اذن الفوضى • وهى اذن الكارثة • وهى انحطاط بالديمقراطية الى درك أسفل من الفوضى •

المعارضة هى الديمقراطية وبغيرها لا ديمقراطية على أن تكون معارضة واعية يمثلها أو يقود زمامها أعلام فكر وقانون مثل الدكتور وحيد رأفت •

والمعارضة هى الفوضى والغوغائية اذا اختلقت الأكاذيب ورفضت مصلحة البلاد فى سبيل الأغراض الشخصية والبطولات الوهمية • ووضع اللافتات على الفراغ ورفع الصوت بما لايفيد شأن الذين تخلوا عن عقولهم • فانهم هم وحدهم الذين تنطلق أصواتهم من حناجرهم وليس من ضمائرهم أو عقولهم •

ان أصبحت المعارضة شريفة تنظر الى مصلحة الوطن ارتفع شأن الوطن الى أعلى الدرجات •

وان أصبحت المعارضة رفضا لمجرد الرفض وبحثا عن المنفعة الشخصية فالذى لا شك فيه أن ستقتل الديمقراطية واذا قتلت الديمقراطية — لا قدر الله — فان المعارضة ستكون أول حطب يلقى الى الحريق •

فيا أحزاب اليوم ويا معارضة الغد — اذا قدر لك أن تجلسى تحت القبة — اعلمى علم اليقين أن الديمقراطية أمانة فى يدك أنت قبل أن تكون أمانة فى يد الحاكم فاتقوا الله فى أوطانكم فان هانت عليكم فاتقوا الله فى أنفسكم •

واللهم قد بلغت ••• اللهم فاشهد ؟

مايو ١٩٨٤/٥/٢٨ :

ظلـم فادح

ما أرى الا أن الحكومة تكلف المعارضة من أمرها عنتا بصورة بعيدة عن العدل • فهى تسمح لها أن تعرض برامجها فى التليفزيون والاذاعة • وتسمح لها أن تصدر الصحف مليئة بالقذف والسباب والاعتداء على كل الكرامات • ولكنها فى ظلم فادح لا تترك لها مجالا لهجوم منطقى معقول يجعل كلامها يقع من نفوس الناخبين موقعا يجعلهم يسخطون على الحكومة وعلى حزبها سخطا ينصرفون معه عنها وعن انتخاب قوائمها •

ومما طالعت من الصحف تبين لى أن مطالب المعارضة يمكن تلخيصها فى أمور بسـيطة ميسورة لا تكلف وزراء الدولة الا بعض جهود سهلة تمكن المعارضة من أن تقول شيئا محددا واضحا ولا يصبح كلامها مجرد متاجرة بما فرضوه وزعماؤهم على مصر من الآلام وأنى سأسوق بعض أمثلة فان الاحصاء عسير •

● مطلوب من رئيس مجلس الوزراء أن يمتنع نهائيا عن الكلام عما أنجزته الحكومة لتخفيف متاعب الشعب ويحسن أيضا لو يهاجم ما قامت به الحكومة ويصفه بالانهيار وبأنه يقوم على غير أسس علمية •

● ومطلوب من وزير الزراعة أن يتوقف تماما عن الميكنة الزراعية حتى لا تجد الأرض من يزرعها • كما يجب عليه أن يكف عن البحث عن التقاوى والبذور المحسنة خشية أن تزداد المحاصيل وتتوافر فان هذا يعرقل المعارضة عن مهاجمة الحكومة وفى هذا استغلال وحشى للسلطة •

● ومطلوب من وزير المواصلات ألا يفتتح منذ اليوم أى مشروع جديد من مشروعات الخدمة التليفونية • كمـا ينبغى على المهندس وجدى عبد الحميد ألا يبـذل أية محاولة لتحسـين التليفونـات خاصـة هذه السنترالات الجديدة التى تجعل مصر تلحق بركب الحضارة فان مصر لو لحقت بركب الحضارة سينغلق بـاب ضخم على المعارضة للمتاجرة بسـوء حالة التليفونات فى مصر • وغنى عن القـول ان محـاولة اصلاح قطارات السكك الحديدية يعتبر من الحكومة استغلالا مشينا لنفوذها •

● ومطلوب من وزير البترول أن يكف تماما عن الكشف عن أية آبار جديدة للبترول فاذا هذا سيعود على مصر بالمال الوفير والمال اذا كثر

فى يد الدولة فانها ستتوسع على أفراد الشعب وهذه التوسعة تعتبر رشوة وتجعل الانتخابات غير حرة • ثم أن مصر اذ أصابها الغنى والرخاء فان هذا يعتبر هدما كاملا لأهداف حزب التجمع التى تقوم على خراب مصر • كما أن الكشف عن هذه الآبار يدل على أن الله يرعى مصر وحزب التجمع يرفض فكرة الايمان من أساسها ويقوم أساسه على الكفر والالحاد ورفض الأديان أما حزب الوفد فيرى أن الكشف عن هذه الآبار فى وقت الانتخابات اعتداء على الديمقراطية وقتلا لها وحزب الوفد يرفض تماما أن يعتدى أحد غيره على الديمقراطية كما يرفض أن يقتل حزب آخر هذه الديمقراطية فهو وحده صاحب الحق فى الاعتداء عليها وتعذيبها وقتلها كما فعل حين أخرج أعضاء مجلس الشيوخ وحين أنشأ القمصان الزرقاء • ويعلن حزب الوفد منذ اليوم أن فرق القمصان الزرقاء قد بدأت فعلا فى التكوين •• وبدأت قواتها فعلا فى مصاحبة معالى رئيسه فى غدواته وروحاته حتى وان ذهب للعزاء فى مأتم أو فى زيارة لأحد المحاسيب •

● ومطلوب من وزير الاسكان أن يتوقف تماما عن البناء أو انشاء المصانع لأدوات البناء • ويحسن به أن يطالب الناس بأن يناموا فى الطرقات العامة لينتفعوا بالهواء العليل •

● ومطلوب من وزير الكهرباء أن يطفىء مصر جميعا ولا يحاول بأية صورة من الصور أن يطلق التيار الكهربائى فى العزب لأن هذا يجعل الناس يرون الحقيقة والمعارضة ترى أن الناس اذا رأت الحقيقة فانها ستمتنع عن اعطاء أصواتهم للمعارضة •

● ومطلوب من وزير الصحة أن يعلن أن الأوبئة جميعها منتشرة فى مصر جميعا مهما يكن هذا الزعم بعيدا عن الحقيقة • وعليه أيضا ألا يحاول الاعلان أن الوفد الجديد الذى يحاول قتل الحياة فى مصر بتحالفاته وأن حزب التجمع الذى يحاول خراب مصر وقتل الدين والاسلام والايمان فيها ليساهما الوباء الموجود حاليا وأخيرا •

مطلوب من وزير الداخلية أن يمنع أى ناخب يحاول أن يعطى صوته لقائمة الحزب الوطنى وألا يسمح للجان الانتخابات بأن تستقبل الا الذين سيعطون أصواتهم للأحزاب المعارضة •

فاذا فعل الوزراء هذا ونجحت المعارضة فانها ستعلن على الملأ أنها نالت ثقة الشعب رغم الجهود العنيفة التى حاولتها الحكومة لتزييف الانتخابات ؟

مايو ١٩٨٤/٥/٢١ :

غبـــاء سياسى

كم كنت أرجو أن أجد المعارضة التى أفرزتها الانتخابات أبعد نظرا مما رأيتها عليه ٠٠ فالسياسة مهنة قديمة لها أصـول وقواعد أصبحت ثابتة يكاد لا يخطئها المبتدئون ٠٠ ومن أول هذه القواعد ان الصادق فى السياسة خبير ـ لأنه بصـدقه يكسب من الجماهير أضـعاف أضـعاف ما يكسبه صاحب الطبول الزائفة والأبواق المداجية والحناجر المشروخة ٠

وانى أريد أن أتصور ـ لمجرد التصور ـ الى أى مدى كان سيرتفع شأن المعارض عند الجماهير اذا اعترفت بنزاهة الانتخابات ٠

ألم يكن هذا بها أولى ٠ فانها لو كانت فعلت لأحست الجماهير أن هذه المعارضة يمكن أن تكون محل ثقة٠وأنها حين تعترض سيقع اعتراضها من الجماهير موقع المصدق فيصبح لاعتراضها مكان عند الناس له خطره ٠

أما اليوم وهى تصيح صيحات الأطفـال وتفعل فعل لاعبى الكرة المتخلفين الذين يعتدون على الحكم ولا يتقنون اللعب فلا هم أصابوا الهدف ولا هم نالوا احترام الناس ٠

لو كانت المعارضة تتمتع بأى حس سياسى لأدركت أن صراخهـا المجنون الأحمق اليوم بأن الانتخابات مزورة لن يفيدهم بشىء ٠ فالنتيجة قد ظهرت والجمهور قال كلمته والعملية الانتخابية معلنة النـاس هى التى تصنعها وهؤلاء الناس أنفسهم يدرون كل الدراية أن الانتخابات لم تكن مزورة كمـا يعلون أن الأحداث الفردية القليلة تحـدث فى جميع انتخابات العالم المتحضر الذى تحترم فيه المعارضة رأى الناخبين ٠ ففيم اذن هذا التهليل المتهافت وهذه المتاجرة البائرة وهذا الزيف الذى تحاول المعارضة أن تلبسه على الناس ٠

وهل كان الوفديون يطمعون حقا أن ينـالوا من الأصـوات أكثر مما نالوا ٠٠ ولماذا ؟ أنهم لو أمعنوا النظر فى هذا العدد الذى ناله حزبهم لأدركوا أن الأكثرية الكاثرة من هذه الأصوات ليست وفدية وانما هى أصوات أغلبها يريد أن يعلن احتجاجه على المعاناة وأن عددا ضخما من الأصوات التى نالوها أعطت أصواتها للأشخاص الذين يعرفونهم من بين

المرشحين ولو أنهم أمعنوا الرأى لعلموا أن المعارضين بطبيعتهم أكثر تصميما من المؤيدين ·· فالذى لا شك فيه أن الأصوات التى نالوها انما حصلوا عليها لأن أصحابها تشبثوا أن يثبتوا رأيهم فى صناديق الانتخاب الأمر الذى لا يتسم به المؤيدون الذين يعتقدون أنه مادامت الأغلبية العظمى ستؤيد فهذه الأغلبية فى غير حاجة الى صوت الفرد ·· والفرد المؤيد ينسى دائما أن الأغلبية تتكون من أفراد ·

والذى لاشك فيه أيضا أن هذه الانتخابات أعطت الوفد حجما أكبر من حقيقته ـ على ضآلة الحجم الذى أسفر عنه الانتخابات ـ ولو أن الانتخابات كانت قد جرت على الحزب كحزب دون أشخاص لما حصل الوفد على النسبة التى تمكنه من الجلوس تحت قبة البرلمان ·

· أما حزب الأربعة فى المائة فعليه أن يدرك كل الادراك أن ثلاثة فى المائة قد انتخبت أعضاء الحزب الشيوعى برغم أنهم شيوعيون لا لأنهم شيوعيون وأوضح مثل على ذلك دائرة زعيم الشيوعية المصرية فهو ابن عائلة كبيرة فى منطقتها أيد الناخبون فيه العائلة وبالقطع لم تؤيد فيه الشيوعية · ومن المؤكد انها صدقت لقب الحاج الذى يحمله وتغاضت عما يخفيه هذا اللقب فى ظاهره عن رأى الشيوعية فى الأديان جميعا ·

وأغلب الظن أن هؤلاء الناخبين لا يريدون أن يعرفوا أن الشيوعية تحاول أن تمكر بالاسلام أسوأ المكر · والمؤكد أن هؤلاء الناخبين يعلمون أن المكر السىء لا يحيق الا بأهله كما يعلمون علم اليقين ان الله خير الماكرين ·

مايو ٤/٦/١٩٨٤ :

الصدق أجدى

فى الصفحة الأولى من جريدة الوفد خبر مكتوب بعنوان كبير وبصورة واضحة جعلتنى استبشر خيرا وأشعر بالسعادة الغامرة أن الجريدة قد تنمو فى معارضتها الى مصلحة مصر والى الابقاء على واجهة مصر نقية من الشوائب أما الخبر فيتعلق بالانفجار الذى وقع فى مصنع ٢٧ الحربى ومفاد الخبر الصحيح الذى أوردته الجريدة أن النيابة استبعدت كما أكد المستشار ماهر الجندى المحامى العام أن التحقيقات التى أجرتها النيابة لم تثبت وجود دوافع أو أسباب معينة ترجع وقوع الحادث بقصد التخريب •

وكم كنت أتمنى أن يخلو الخبر من غمز واضح فيه الافتعال وسوء القصد حين عمد محرر الخبر فى صدره الى قوله ان الخبراء لم يستبعدوا وقوع الحادث عمدا بفعل فاعل أو نتيجة الاهمال الشديد من جانب المسئولين عن الأمن فى المصنع وهذا القول يدل على السذاجة الصحفية • فهو أولا يتعارض مع العنوان الذى اختارته الصحيفة للخبر • وهو ثانيا يتنافى مع ما صرح به المستشار ماهر الجندى المحامى العام والمشرف على التحقيق والذى لا يتصور أحد أن يصدر هذا التصريح الا بعد أن يكون واثقا مما يقول • فهو واحد من كبار رجال النيابة العامة ويقدر لكل كلمة يقولها موقعها ولا يتصور أحد أن يدلى بهذا الذى أدلى به الا بعد أن يكون واثقا تمام الثقة انه لن يعدل عن هذا القول •

وكم كنت أتمنى أن تدرك جريدة الوفد مدى التقدير الذى كانت ستحظى به لو انها أوردت الخبر بصورة شريفة كاملة الشرف غير مشوبة بكلام واضح الهزال يجعل القارىء يزداد فقدانا للثقة بالجريدة والقائمين عليها •

وعلى كل حال فاننى أحمد للجريدة أن جعلت عنوان الخبر صادقا وأعذرها فيما وقعت فيه من تشكيك فليس من السهل على قوم أن يتركوا ما تعودوا عليه من خلق يقوم على الاختلاق الى خلق جديد يقوم على الحق • وفى نفس الصفحة عنوان آخر أكثر وضوحا يدل على أن الجريدة لا تستطيع أن تتخلى عن الاتهامات الباطلة دفعة واحدة وان كان خبر المصنع ٢٧ قد

أوحى لنا ببعض الأمل فان العنوان الذى صدرت به الجريدة الخبر الآخر عن منظمة العفو الدولية كفيل أن يزعزع هذا الأمل وان كان لا يمحوه ٠ أما العنوان فيقول « منظمة العفو الدولية تطالب بالتحقيق فى سوء المعاملة داخل السجون المصرية » ثم يقول الخبر ان المنظمة فى تقريرها عن حقوق الانسان فى مصر طالبت باجراء تحقيق شامل حول جميع الادعاءات المتعلقة بأمور التعذيب وسوء المعاملة داخل السجون المصرية ٠

اذن فهى ادعاءات ولكن العنوان الذى اختارته الجريدة يشعر كأن الأمر وقع فعلا لا مجرد أنباء تنتظر التحقيق بل هم يذكرون كأنها أمور للمناقشـــة ٠

أهذا هو الوجه الذى يريد الوفد أن يراه العـالم لمصر ٠ ولو كان صحيحا لوقفنا جميعا الى جانب الجريدة رافضين منكرين محتجين ٠

ولكننا ما ان نمضى فى قراءة الخبر كما جاء فى جريدة الوفد حتى نجد النص التالى منقولا عن تقرير منظمة العفو الدولية « أكدت المنظمة فى تقريرها ان تطورات حقوق الانسان فى مصر شهدت تقدما خلال عام ٨٣ » ٠

الم يكن هذا التأكيد أجدر بأن يكون عنوان الخبر بدلا من العنوان المضلل الذى اختارته الجريدة ٠

يا جريدة الوفد أقل لك ان المحررين العاملين فى رحابك يستطيعون أن يجدوا الكثير لينتقدوه ٠ وسيكون نقدا صادقا يعود على الجريدة بالثقة والاحترام ويمكن القائمين بالأمر من معرفة نواحي النقص ليسارعوا اليها بالعـلاج ٠

يا جريدة الوفد انك تصدرين فى مصر ولن يكون لك وجود الا اذا اكتسبت احترام قرائك وثقتهم ٠ ولن يكون هذا الا بالصدق ولا يمكن أن يكون الصدق متمثلا فى النقص وحده بل لابد مع النقص من الفضل ٠

فان ذكرت الفضـل كان مكانك عند النـاس أثبت وكانت مادة صحائفك لمصر أنفع وأجدى ٠

يا جريدة الوفد اننى اربأ بك وأنت تحملين اسم حزب يعتبر أبا للأحزاب التى نشأت فى ثورة ١٩ ان تكون جريدة صادرة من دولة أخرى من الدول التى تحقد على مصر وتريد أن تبعدها عن الزعامة التى لا ينازعها فيها الا كل كذاب مخادع ٠

ومهما يكن الوفد قد ارتكب فى سنوات ما قبل ثورة يولية من آثام فانه قد حان له اليوم أن يكفر عما ارتكب بالعودة الى مصر فهى هى البداية وهى هى الأمل وهى هى مصدر كل عمل وطنى وهى هى غايته ووجهته ومقصده ٠

مايو ١٩٨٤/٦/٩ :

أمستشار وجريمة ؟

كنت واثقا حين هاجمت الوفد والاخوان المسلمين والشيوعيين انني سأتعرض لحملة مسعورة بعيدة كل البعد عن المنطق أو المعقول • وكنت واثقا انني سأتلقى مئات الخطابات تنضح بما يعف أي انسان شريف أن يهبط اليه •

ولذلك عجبت حين وجدت ان جميع الخطابات لا تزيد على العشرين الا بقليل وأن عشرة منها على الأقل من شخص واحد أو من مستنقع واحد •

ولم أعن بهذه الخطابات في شيء فمادامت لا تحمل حجة أو منطقا فان الاجابة عليها أو مناقشتها تعتبر سفولا لا يجوز لنا • وانحدارا لا يليق بصاحب رأى •

خطاب واحد احتفظت به حتى تنجلى المعركة وأناقشه •

اما الخطاب فبتوقيع المستشار يحيى البهنساوى • ومجرد صدوره من مستشار جعلنى أخف الى كتابة هذا المقال • فصاحب الخطاب يقول انه كان زميلا لى فى كلية الحقوق ومعنى ذلك انه مستشار يجلس مجلس القضاء وليس مستشارا في طابونة ولا هو مستشار للأصدقاء فى المقهى مثل هذه الشخصية الهزلية التى مثلها نجيب الريحانى •

فهو اذن مستشار قانونى • وهو اذن ينتسب الى فئة يعتبرها العالم المتحضر ظل الله فى الأرض • وهو من الذين قال الله لهم « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » •

وهو اذن من فئة ان غلب الهوى عليها هوت الى حضيض أبشع من أصحاب الهوى •

وهو اذن من فئة لا يجوز لها أن ترتكب جريمة من أى نوع واذا فعلت فان المجتمع لا يغفر لها ما يغفره للآخرين • فان كان وصف الجريمة بالنسبة للآخرين مخالفة فهو بالنسبة للقضاء جناية • لأن هؤلاء القضاة هم الذين أناط بهم المجتمع أن يعاقبوا الجانى ويردعوا المجرم • فان وقع الجرم منهم فهو مضاعف أضعافا •

وليس من سبيل ان أنشر نص خطاب المستشار يحيى البهنساوى وانما أنا سأقدمه الى القضاء ليرى رأيه فيه ٠

وسأكتفى بنشر فحواه فهو يقول كيف يجوز لى وأنا من كتبت قصة شيء من الخوف فى أوج عهــود البطش والطغيان أن أصير الى ما صرت اليه من مجرد بوق من أبواق السلطة اللامتناهية ٠

ويتساءل لماذا ؟

« هل من أجل عرض دنيوى كعضـوية مجلس شورى لا يستشار وانما أنشيء لشراء ذمم وضـمائر أعضـائه مقابل ثمن بخس يتمثل فى مكافات ورحلات خارجية ! » ٠

وهذا نص ما جـاء فى خطابه ٠ وانى أسأله لماذا يكون تعيينى فى مجلس شورى لا يستشار رشوة لى ما دمت أنت وأنت تدعى أنك زميلى تشغل منصب مستشار يحكم فعلا ٠

وهل من شأن القاضى أن يطلق حكما جامعا مانعا على مجلس تشريعى لم تقرأ مناقشـاته ولم تحـاول حتى أن تعرف مقدار أثره على الحيـاة التشريعية فى بلدك ٠ وأخيرا هل ترى ان مثـلى يقبل وظيفة ما لتكون رشوة ٠ لو كنت مستشارا حقا ــ وهذا ما أشك فيه ــ لعرفت ان وظيفة كاتب تصغر أمامها كل وظائف العالم فكيف اذن قبلت لنفسك أن تصدر الحكم وأنت تجهل الوقائع ٠٠ لا ما أظنك مستشارا ولا حتى فى مقهى ٠

وأعود الى الخطاب فهو يقول بالنص ٠

أم من أجـل وظيفة أميرية فى احدى النشرات الحـكومية المسماة بالصحف ٠

وتلك من المستشار عجيبة أخرى فهو يعترف فى صدر الخطاب اننى كاتب بما ألفت « شيء من الخوف » ثم يستنكر على أن أعين كاتبا فى أكبر جريدة فى الشرق الأوسط ثم هو يسمح لنفسه أن يعتبر الأهرام وهى الأهرام نشرة حكومية تسمى صحيفة ٠

لا ٠٠ لست مستشارا ولا فى طابونة ٠

والخطاب بعد ذلك يتكلم عن حرية الكلمة وعن جهلى بها ولست أدرى يا أستاذ يحيى ــ ان كنت أستاذا حقا ــ لماذا تكون الحرية حقـا للهجوم والسباب ولا تكون حقا للتأييد أو القبول ٠

وما دمت تعرف اننى رفضت الطغيان فى شيء من الخـوف وربما لا تعلم اننى رفضته أيضا فى رواياتى جميعا مثل « هارب من الأيام » ٠

وقصر على النيل · وأمواج بلا شاطىء · وجذور فى الهواء · وطائر فى العنق · وخيوط السماء · وأحلام فى الظهيرة ·

فأى عجيبة اذن أن أؤيد هذا القدر الكبير من الحرية الذى نعيش فيه اليوم والذى سمح لك أن توقع باسمك خطابا صريحا وان يكن ظالما وسخيفا وترسله الى كاتب فى جريدة وأنت تعلم ان معنى ارسالك الخطاب لكاتب انك تسمح له بنشره · أكنت تستطيع ان تفكر فى أن تفكر فى أن تفكر فى مثل هذا فى الأيام التى تصورتها أنا فى كل رواياتى والتى أعجبك منها شىء من الخوف ·

ان كنت تتصور ان للمستشار ان يكون ظالما فى الحكم جائرا فى الرأى فاننى أنا لا أتصور ان يكون الكاتب هتافا للغوغاء بغير الحق ·

ولماذا تصورت يا من تقول انك مستشار ان ما أقوله نفاق وليس رأيا · وكيف قبلت لنفسك أن تتسلل الى مصادر الرأى فى نفسى دون أن تناقشنى هذا الرأى ·

أكنت تظن اننى حين كتبت ما كتبت غاب عنى اننى سأجد من يقول عنى انى أنافق السلطة · بل كنت واثقا ان هذا سيحدث وان قائله سينسى كل ما كان من أمرى فى الماضى والمقاصل معلقة على رؤوس الناس والطغيان قد ركب فى نفس كل مصرى ·

شرطى مخابرات وآلة تسجيل من نفسه على نفسه · والرعب هو الهواء والذعر يسد آفاق الحياة · وسينسى هؤلاء الظالمون اننى لم أكتب كلمة مديح واحدة للطاغية أو لزبانيته ·

كنت أعلم ان كثيرين من الجهلاء سينسبون هذا لى · ولكننى لم أكن أتصور ان مستشارا أو من يدعى انه مستشار يظن بى هذا الظن ·

ولهذا فقد أرسلت الخطاب الموقع باسم المستشار يحيى البهنساوى الى الأستاذ صبرى العسكرى المحامى ليتخذ الاجراءات القانونية ·

وكم أرجو أن يكون هذا الخطاب مزورا وان يكون مرسله قد استعمل اسم المستشار الموقع عليه وحينئذ يقع عبء اثبات التزوير على صاحب الاسم ·

أو أرجو أن يكون هذا الاسم لا وجود له وحينئذ فاننى أعتبر الأمر منتهيا فان الجريمة من غير موجود جريمة لم تتم ؟ ·

الأهرام ١٩٨٤/٦/١٠ :

كلب الباشـــا

في عدد الوفد الأخير سلط الباشا كلبا له يسميه خربوش ليرد على مقال لى وجهته الى الباشا بعنوان « بعض هذا يا باشا » وواضح أن مقالى لم يكن مفهوما فى النسخة الوفدية وما هذا بغريب فقديما قال الشاعر :

لم تبـــلغ بى الخطوب مبـــلغ من
تفهم عنـــه الكـــلاب والقـــردة

ولن أحاول أن أعيد ما كتبته فاننى واثق انهم لن يختلفوا عن واحد من اثنين احدهما لا يفهم والآخر لا يريد أن يفهم وليس لى مع هذا ولا ذاك حيلة ٠

أما الخربوش فقد ذكر أننى نافقت عندما اعتذرت عن مقالى الذى نشرته بعنوان « وفى أى شىء صدق » فى مجلة الاذاعة حين كنت أتولى امرها ثم لم ينشر الخربوش المقال مدعيا أن الصحيفة لا تتسع للمقال مع أننى أرى الصحيفة لا تحمل شيئا الا البذاءة والسفول والمخادع والكذب كما دأب الوفد أن يكون ٠ وقد شفع خربوش حديثه عنى بكثير من كنوز الانحطاط التى تمتلىء بها خزائن حزبهم وتفيض ٠٠ وجف القلم اذا حاول أن يتدلى الى حضيضهم ولكننى أكتفى بنشر المقال الذى ذكره وكنت قد نشرته ردا على بيان من اتحاد الاذاعة والتليفزيون يعترض فيه على مقالتى وبعلق أن الاتحاد براء منها فكان جوابى هو هذا المقال وأنا قبل أن أنشره أؤكد أننى أكن للمرحوم أنور السادات كل اكبار واجلال وتقدير واننى مازلت حتى اليوم أمتدحه عن حر رأى وصدق ضمير ٠ وقد انتقل الى رحمة الله وما أظن أنه يمكن ينفعنى اليوم أو يضرنى ٠ وللقراء أقدم نص مقالى وعليهم أن يحكموا ان كان من كل حدب وصوب ومن شيوعيين أو غيرهم أن يذكروا لى مقالا واحدا هذا المقال تزلفا أو نفاقا ٠ وأتحدى صحيفة الوفد ومن يمدها بالمال والخبر من كل حدب وصوب ومن شيوعيين أو غيرهم أن يذكروا لى مقالا واحدا فيه مديح أو شبهة مديح فى العهد الذى سبق أنور السادات أو قبل حرب أكتوبر بالذات فان وجدوا فعهد على أن أعترف أنهم صادقون فى كل التطاول الذى حاولوا به أن ينالوا منى ٠٠٠ وهيهات ٠٠٠ هاكم المقال ٠٠

« هذا القلم الذى أضم أصابعى عليه تعود أن تنضم عليه أصابعى وحدها دون أن تتخللها أصـــابع أخرى · لا أستنبع الا ضـــميرى · ولا أستصفى الا مشاعرى ·

حر هذا القلم ولذلك يعيش فى عهد الحرية صريحا لا يرمز واضحا يطلق الكلمة الواضـحة بلا خبىء لها يتخفى وراء الحدث ·· أو وراء الأشخاص ·

عاش القلم الذى أضم عليه أناملى فترة طويلة يرمز لا يبين ، يومىء لا يعلن ، حتى اذا جاء هذا العهد الذى نعيش فيه استبان لفظه وأعلن كلمته ·

وها هو ذا الاتحاد الذى تنضوى المجلة التى أشرف عليها تحت رئاسته يعارضنى ولكنه يطلق لى الحرية ويعلن رأيه واضح المخالفة لما أرى ·

ولكننى مع ذلك لم أنقل ولم أرفت ، ولم أصادر ·

ذلك لأن اتحاد الاذاعـة والتليفزيون جهاز حر ، يعمل فى ظـل حكم حر ·

ورئيس حر · يريد الحرية لمصر ، ولأبناء مصر ·

لأنه يريد المجد لمصر » ·

وبعد فاننى أقدم هذه الكلمة الى الوفد جميعا بقضه وقضيضه · ولا أجد شيئا أضيفه دائما أترك الحكم لصاحب الحكم الذى يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور ومن بعده للقارىء لعله يقتنع ·· اذا لم يكن قد اقتنع بعد ــ الى أى مدى يبلغ تزوير الوفديين وتحريفهم للحق والاعتداء على الحرمات شاه ما يفعلون ·

مايو ١١/٦/١٩٨٤ :

المعارضة التى نرجوها

والمعارضة هى الديموقراطية وقد أراد الله بمصر الخير كل الخير ان تجح من المعارضين هذا العدد • فقرابة ستين عضوا ليسوا بالعدد القليل بل ان خمسة معارضين يستطيعون أن يحققوا الأمل فيهم وان يثبتوا قواعد الديموقراطية ويرسوا فكرة الرأى والرأى الآخر ان كانوا أمناء فى آرائهم •

ومهما يكن رأينا فى الوفد والوفديين الا أن الذى لا شك فيه انه حزب قديم وان بعضا من أعضائه مارسوا الحياة النيابة وعرفوا الخبيث فيها والطيب وحرصوا على أن يجعلوا معارضتهم تبنى ولا تهدم •

ورئيس الوفد الحالى من الذين شهدت لهم الحياة النيابية مواقف فى المعارضة تدل على الخبرة والمقدرة • وقد شهد له بذلك خصمه السياسى الدكتور محمد حسين هيكل الذى كان زعيما لحزب الأحرار الدستوريين ورئيسا لمجلس الشيوخ فى نفس الوقت • وقد كنت أرجو أن يدخل رئيس الوفد الى البرلمان ولكنه شاء — ولا أدرى لماذا — ان يحرك المعارضة الوفدية من خارج البرلمان • وأرجو الا تكون السنون قد أنسته خبرته فى المعارضة • فنحن الشعب يتعلق أملنا بالمعارضة كما يتعلق أملنا بالحزب الحاكم •

فالسلطة التنفيذية • اذا أحست أن المعارضة جادة تتعرض لكبار الأمور وليس للتافه منها • وتدلى برأيها للبناء وليس للهدم فانها لن تقدم على تقديم مشروع بقانون الا بعد أن توفيه حقه من المدارسة وتقليب الرأى • بل ان السلطة التنفيذية اذا أقنعتها المعارضة بجديتها ستأخذ برأيها •

لا شك — اذا كان هذا الرأى يؤدى الى مزيد من الخير للشعب المصرى •

والتجربة التى نمر بها اليوم خطيرة غاية فى الخطورة • فهى ممارسة للديموقراطية فى ظل نظام مختلف كل الاختلاف عما كان عليه الأمر قبل ثورة ٢٣ يوليو فقد كان الاحتلال يومذاك يجثم على البلاد ويفرض عليها ما يؤدى الى خيره هو وليس الى خير مصر • وكانت الملكية أيضا قيدا آخر

على الديموقراطية الحرة • وكل الأحزاب كانت تتحسب فى تصرفاتهـا الاحتلال والقصر فى آن معـا • ولا نستطيع أن نلومها على التحسب فى ذاته وانما كنا نلومها ولا نزال نلومها المبالغة فى ارضاء المحتل والرأى • فقد كان المحتل يفرض سلطانه بقوة السلاح • وبقوة هذا السلاح نفسه كان يؤيد الملك • وأمام السلاح ينعدم المنطق ورحم الله الشاعر القديم حين قال :

جلـوا صـــــارما وتلـوا باطـــلا   وقالـوا صدقنـــــا فقلنـــا نعم

أما اليوم فالحكومة حرة كل الحرية لا قيود عليها الا السعى لمصلحة الوطن • والمعارضة حرة كل الحرية لا نرجو منها الا النزاهة وسـلامة القصد •

واذا كان العبء الواقـع على أكتـاف الحكومة فادحا فى مواجهـة المشكلات التى تراكمت عبر السنين •

فان العبء الواقع على أكتاف المعارضة أشد فداحة وأعظم خطرا فان المخلصين من المصريين يطالبون المعارضة ان تتجنب الغوغائية وان تنأى بنفسها عن ركوب الخيول الورقية وامتشاق السيوف الخشبية • فاليوم لا بطولة فى مهاجمة الحكومة لأن الحاكم اليوم لا يعتقل أحدا ولا يعتدى على كرامة مواطن ولا يمنع كلمة ان تقال مهما تكن بعيدة عن الحق أو حتى بعيدة عن الأدب •

فمحاولة البطولة اذن ان مارستها المعارضة فانها ستخيب أمل الناس فيها وهم الذين يرجون منها أن تتصدى لمشاكل مصر ولكبريات المسائل وأن تكون صادقة كل الصدق حين تعارض ولا بأس عليها بل ينبغى عليها أن تكون أمينة مع نفسها ومع الذين أجلسوها فى مقاعد البرلمان فتؤيد الحكومة اذا هى رأت أن هذا التأييد فيه مصلحة الوطن •

ونذكرها ببيت المتنبى الخالد :

وتصـغر فى عين الكبير كبارهـــا   تكبر فى عين الصغير الصـــغائر

فاذا هى كانت كذلك أصبحت لها تلك القيمة التى يتمنى المصريون المخلصون ان تكون لها •

أما اذا هى اختلفت قبل أن تدخل الى المجلس وقبل حلف اليمين على من يكون زعيم المعارضة ومن سيكون مع الوفد ومن سيكون مع الاخوان فاننا حينئذ من حقنا أن نتوجس الشر ونخشى أن تخيب فى المعارضـــة آمال مصر جميعا بلا استثناء •

مايو ١٩٨٤/٦/١٨ :

الرسـول والشعراء

كنت قد كتبت مقالا بعنوان « وان أجراها عمر » وذكرت فيه أن النبى عليه الصلاة والسلام قد أهدر دم كعب بن زهير لأنه هجا الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد جاءنى خطاب طيب رقيق من شاب يبدو انه ما زال فى بواكير حياته اسمه عاصم فريد البرقوقى . وقد هزنى فى الخطاب غيرة الشاب على تاريخنا الاسلامى وحرصه أن يكون نقيا من أى شائبة .

وانى أشكر لابننا عاصم جميل ظنه بى وأنا أكثر شكرا على حرصه أن يكون النبى صلوات الله عليه أرفق بالناس من أن يهدر دمهم لمجرد أنهم نظموا فيه هجاء .

ويقول عاصم « ... هل من العدل أن يقتل انسان من أجل الهجاء الذى يعتبر الآن جريمة سب . لقد جاء القرآن رحمة للناس وكرم الأم كم أننى قرأت ان ابنة النبى صلى الله عليه وسلم بكت عندما رأت الكفار يمعنون فى تعذيب والدها أثناء الصلاة ولكن النبى الكريم ربت ابنته قائلا وهل تستطيع حفنة من التراب أن تطفىء نور الاسلام . ثم هل هذه أخلاق النبى عليه الصلاة والسلام الذى وصفه الله « انك لعلى خلق عظيم » أعتقد أن هذا الكلام دخيل أرجو لو سمحتم وتكرمتم رأى سيادتكم ... » .

والى هنا ينتهى كلام ابننا المسلم النقى المسالم .

وانك يا بنى محق فى تفكيرك هذا ولكنك أيضا لو أمعنت الفكر لأدركت أن الأمر لم يكن مجرد هجاء لشخص محمد عليه الصلاة والسلام . وانما كان هجوما شاملا على الاسلام كله فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم .

فحين أهدر النبى صلى الله عليه وسلم دم هذا الشاعر كما أهدر دم شعراء آخرون ممن هاجموا الاسلام فى شخصه انما كان يحارب من أجل دين للبشرية جميعا ولم يكن يدافع عن شخصه هو . فالنبى صلوات الله عليه وسلامه حليم غاية الحلم حين يلقى الكفار التراب على كتفيه وهو يصلى لأن هذا عدوان واقع عليه هو . فهو عليه الصلاة والسلام بشر رسول كما جاء بنص القرآن وهو الذى أدبه ربه فأحسن تاديبه وهو على خلق عظيم فهو يعفو على من يعتدى على البشر فيه .

ولكن نبى الله وحامل رسالته فليس من المعقول أن يعفو على من يعتدى على الرسول فيه • والذين هجوه هجوا فيه الرسول لا البشر والرسول هنا حامل رسالة الله ذو القوة المتين • وهى رسالة موجهة الى البشر أجمعين وليس من الحزم أن يقبل النبى عليه الصلاة والسلام أن يترك الذين يحاربونها دون عقاب • ولابد أن يكون العقاب مانعا للجريمة أن تستمر ورادعا للآخرين أن يرتكبوا نفس الجريمة • فليس عجيبا اذن يا أخانا عاصم أن يأمر النبى عليه الصلاة والسلام باهدار دم الشعراء الذين يحاربون الاسلام بأشعارهم •

وانت يا بنى لابد تدرك قيمة الشعر فى هذه الأيام التى يتحدث عنها التاريخ الاسلامى • فقد كان الشعر هو وسائل الاعلام جميعا كان الصحيفة والمجلة والاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح أيضا • وكانت القصيدة تقال اليوم فلا يكتمل الشهر حتى تكون على أفواه العرب جميعا • ولم يكن هناك ورق وانما كان الناس يحفظونها ويلقيها بعضهم الى بعض فى مجالس الندوة ومجالس السمر حول النار فى الليل • وكانوا ينشدونها فى الأسواق وفى المجتمعات وهكذا يتبين لك ان الشعر كان أشد عنفا فى الصراع من السيف نفسه • فالسيف يقتل فردا ولكن الشعر كان يقتل قبيلة بأسرها واذا كان الفرد يقتل من أجل فرد واحد فماذا أنت قائل فيمن يقتل قبيلة • وربما تظن اننى أغالى اذا أنا سويت بين القتل واهدار الدم وبين الهجاء الذى لا يعدو بضعة ألفاظ ولكن هذه الألفاظ كانت تهدر أعراضا لقبيلة وتقضى على شرفها وكرامتها •

وأحسب انك تعرف ما معنى العرض والشرف والكرامة عند العرب • فهم يأبون كل الاباء أن يمس انسان ما كائنا من كان ما يعتزون به من مفاخر وأصــول • وهذه يا بنى تقاليد ترى اليوم بعض آثار منها فى حياتنا • ولكنها فى هذه الفترة من تاريخ العرب كانت تتمثل لهم أكثر أهمية من الحياة وهى الحياة ومن الروح وهى الروح •

فاذا كان الأمر كذلك بالنسبة لشرف القبيلة وأمجادها فما ظنك بدين هو أول دين يأتى للناس كافة •

قد نقول ان هذا الدين قد جاء ليقضى على هذه الأخلاق الجاهلية وهذا خطأ شائع • فان الدين الاسلامى جاء ليقضى على مفاسد الجاهلية وليس ليقضى على مفاخرها وأمجادها • ولكل مجتمع شره وخيره وفساده ومجده • وقد كان الاسلام رائعا حين أبقى على الحمية العربية وعلى حرص العربى على عرضه وكرامته وانه بالايمان العميق وبالحفاظ على هذه الحمية العربية الشريفة انتصر هؤلاء العرب الحفاة الفقراء على كسرى وهو كسرى وحطموا عرش الروم وانتشر الدين الاسلامى حتى دق أبواب فرنسا •

وعلينا يا بنى اذا أردنا أن نحكم على حادثة تاريخية أن ننظر فى الفترة التى وقع فيها هذا الحدث وأنت لا تستطيع أن تحكم على تصرف النبى عليه الصلاة والسلام فى الأعوام الأولى للاسلام بعقلية التليفزيون والاذاعة بعد ألف وأربعمائة عام من وقوع هذا التصرف ٠

وبعد يا أخانا عاصم ٠ فقد أردت أن أكتب لك هذا جميعا لأظهر لك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على خلق عظيم حين أهدر دم هؤلاء الشعراء وكان بهذا يدافع عن دين الله ٠

ولكننى أحب أن أطمئنك بالواقع بعد أن حاولت أن أطمئنك بالرأى ٠ فمع أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أهدر دم هؤلاء الشعراء الا ان هذا الاهدار لم يؤد الى قتل أى شاعر منهم فقد سعوا جميعا الى النبى صلوات الله وسلامه عليه واعتذروا عما ارتكبوه وعفا عنهم النبى عليه الصلاة والسلام ٠ وهكذا نرى يا بنى أن النبى صلوات الله عليه تصرف منذ ألف وأربعمائه عام نفس التصرف الذى يمكن أن يصنعه اليوم بعد كل هذه السنوات فهو صلوات الله عليه كن يريد باهدار الدم أن يظهر غضبه على الشعراء الذين يهاجمون الاسلام عالما أن أحدا منهم لن يقتل وانهم سيسعون اليه يقدمون اعتذارهم ويلتمسون رضـــاءه وربما يعلن بعضهم اسلامه أيضا ٠

فاهدار الدم اذن لم يكن عقوبة يوقعها النبى عليه صلاة الله وانما كان احكام سياسة وبعد نظر من حامل الرسالة البشير النذير ٠

وقد استطاع عليه الصلاة والسلام بهذه السياسة أن يأمن جانب الشعراء وقد كانوا يمثلون الاعلام كله فى هذه الفترة ليفرغ هو الى المهام العظمى الأخرى فى نشر الرسالة ٠ وأنت لا شك تعرف كيف كان النبى عليه الصلاة والسلام يقرب حسان بن ثابت والخنساء والشعراء الآخرين ليجعل منهم هم الاعلام الاسلامى ٠

وأحسب انك الآن تستطيع أن تطمئن أن نبينا عليه أحسن الصلاة والسلام كان سياسيا من الطبقة الأولى من السياسيين ٠ وكيف لا يكون وهو الملهم ٠ واذا استقر هذا الاطمئنان فى ضميرك تحتم عليك أن تعرف أن السياسة لا تستطيع أن تكون مسالمة فقط ٠

وانما هى حرب فى موطن الحرب وسلام فى موطن السلام وادراك دقيق للموقف الذى لا يصلح فيه الا الحرب وللحظة التى يتحتم فيهـا السلام ٠ ولو انك طالعت تاريخ النبى عليه الصلاة والسلام لأدركت انه كان أعلم الناس جميعا باللحظة التى لا محيد فيها عن الحرب وبالأخرى التى لا تصلح الا بالاســـلام ٠ ولولا هذه النظرة الملهمة اللماحة الذكية

ما انتشر الدين الاسلامى هذا الانتشار فى فترة قصيرة غاية فى القصر . وبعد يا بنى فقد اجتهدت فان أكن قد أصبت منك مقنعا فاننى أحمد الله اليه وان تردد فى نفسك بعد ذلك شك فاننى منتظر منك خلجات نفسك تناقشها معا وما على المجتهد ان أخطأ من سبيل . وفقك الله وأصلح لك أيامك قدر ما أصلح نفسك للايمان .

الأهرام ١٩٨٤/٦/٢٤ :

حتى تزدهر الديمقراطية

لا تستطيع المعارضة أن تبلغ ما نرجوه لها نحن المصريين من الثقة الا اذا قامت على أسس من شرف القصد وسلامة الخطى . وانى واثق أن المعارضة تعلم كل العلم ان كل مساءلة تتقدم بها الى الهيئة التنفيذية دون أن تكون وطيدة الأركان ثابتة الأساس فانها ستجعل الجماهير المصرية تفقد ثقتها بالمعارضة . وفقدان الثقة بالمعارضة ضياع للديمقراطية .

وأطفال هؤلاء الذين يظنون أن المعارضة تجريح وسب ورفع صوت وتشنج . فمثل هذا يصلح فى ملاعب الصغار ولكنه لا يليق بمحافل الرأى ومجالس التشريع .

واذا حاول المعارضون أن ينقلوا الى ساحة المجالس التشريعية همس الندوات وتعليقات حلقـــات السمر فانهم سيجعلون من أنفسهم مسوخا لا جدية فيما يقولون ولا ثقة فيما يوجهون من استجوابات وهكذا يتحتم عليهم أن يتعمقوا كل التعمق فيما يصل اليهم من أنباء ويتقصوا هذه الأنباء حتى يصلوا فى أمرها الى الصدق غاية الصدق حتى اذا واجهوا السلطة التنفيذية استطاعوا أن يقدموا اليهـــا ما يكون فى مقدورهـــا أن تضع يدها عليه .

أما اذا كانت المعلومات التى تعتمد عليها المعارضة مجرد شائعات وأقاويل كاذبة وأضاليل فان الحق ما يلبث ان يبين ولا تكسب المعارضة شيئا الا تلويث الشرفاء . وتلويث الشرفاء جريمة لا تغتفر لا فى حق من تلوثهم فحسب وانما فى حـق الوطن جميعه . فالشرف عملة نادرة والدولة التى تستهين برجالها الذين يتحلون بهذا الشرف لا يرجى لها أى فلاح .

والمعارضة تعلم ما يعلمه الجميع أن محاولة النيل من أصحاب الخلق النبيل تصيب هؤلاء النبلاء بجروح لا تندمل لأنها تصيب ما يعتزون به من نبالة وعفة وتجعل سمعتهم مضغة فى الأفواه فترة تطول حتى اذا استبان الحق تكون سمعتهم قد تهرأت وان كانوا شرفاء أنقياء .

وهؤلاء الشرفاء يصونون أنفسهم عن اغراء المادة وقد يكونون فقراء يعانون شظف العيش ولكنهم يفضلون الطهارة على المال الحرام ويعفون

بأيديهم أن تمتد الى ما ليس لهم بحق وان كانوا هم وعيالهم فى حاجة أشد الحاجة الى هذا المال • وكم هو مؤلم للنفس أن يجاهد الانسان الشيطان ويصرعه فى نفسه وفيمن يعرض عليه الطريق الأعوج والسبيل المنحرف ثم هو بعد هذا الجهاد يطالعه بشياطين آخرين من الذين يحترفون المعارضة من أجل المعارضة فيلوثون الشريف من سمعتهم والنقى من ضمائرهم والطاهر من ايمانهم •

فاذا كان واجب المعارضة اذن ان تتقى الله فى شرف الناس وسمعة العاملين بتقوى الله والضمير فان واجب السلطة التنفيذية أن تتيح لأعضاء مجلس الشعب من المعارضة كل الوسائل ان يتعرفوا على الحقيقة • فلا يجوز أن يخفى الوزراء أو الذين يعاونونهم أى معلومات يريد أى عضو فى المعارضة أن يحصل عليها • بل ان عضو المجلس من حقه أن يتقدم للمجلس معلنا فيه انه طلب معلومات وانها حجبت عنه وللمجلس فى هذه الحالة سواء كان من حزب الأغلبية أو من المعارضة أن يؤيد العضو ليحصل على ما يريد من معلومات •

وبهذا التعاون من السلطة التشريعية وبين السلطة التنفيذية يمكن أن يتاح للديمقراطية الجو الذى تستطيع فيه أن تزدهر وأن تبلغ أوجها •

مايو ١٩٨٤/٦/٢٥ :

كلانا لم يخطيء

أمارس مهنة الكتابة منذ أربعين عاما ونيف ولا أتذكر انني نقلت نص خطاب كامل فى مقال لى ولكنني اليوم أجد نفسى مصرا على نقل خطاب جاءنى معتذرا للقراء عما جاء به من مديح لشخصى فسياق الحديث لا يتسق الا بذكره ، وانى أحتفظ بتعليقى على الخطاب بعد ان أورد نصه كاملا واسم الشاب الذى أرسل الخطاب هو كمال رياض الحصرى ... كتب يقول :

الأستاذ ... ثروت أباظة

أنا طالب بالصف الأول الثانوى أفقدنى الله ساقى اليمنى نتيجة شلل أصابنى وأنا طفل لكنى استطعت أن أتغلب على هذه المشكلة لأن الله قد أمدنى بالعقل الذى استطعت به أن أتغلب على هذه الاعاقة . أهوى القراءة وأحبها حبا شديدا وأتابع بصفة مستمرة مقالات حضرتكم فى جريدة الأهرام كل يوم أحد وأنا أعلم انك أستاذ جليل وأديب متمكن وفى أثناء مطالعتى لجريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ٢٢/٤ جاء فى مقالك الذى يحمل عنوان « أذل الحرص أعناق الرجال » قولك : توجهت لى أنسة فى يوم من الأيام بخطاب تطلب رأيى فى أن تقبل شابا فقد ساقه زوجا لها فنصحت لها ألا تقبل وسقت ما أراه من الحجج ومرت عدة سنوات وظهرت فى الأهرام روايتى « أحلام فى الظهيرة » وفى الرواية جعلت فتاة تتزوج من شاب فقد زراعه فاذا بقارىء من الصعيد يرسل لى كيف غيرت رأيك . وقلت اننى فى الرواية أضمن للفتاة التى تزوجت صاحب الذراع المفقودة مستقبلها ومستقبل زوجها لأننى أنا الذى أصنع الرواية وأنا أعرف الشاب المعوق فى الحياة .

شيء غريب سيدى الأستاذ أأنت تضمن مستقبل بطل الرواية الذى صنعته من نسيج خيالك والله لا يضمن مستقبل الشاب المعوق الذى أفقده ذراعه واخرجه ليكون عبرة لك ولغيرك من الناس ؟ ، ومع ذلك فمستقبل هذا الشاب غير مضمون ما ذنبه اذن فى أن يكون معوقا ولا يكون مثل سائر البشر يا سيدى ان الله هو الذى خلقه وهو يضمن له مستقبله فكيف

فاتت عليك هذه النقطة سيدى ؟ وهل رأيت معوقا فى الحياة لم ينبت وجوده فيها ٠

أنا لم أر سوى أنهم أناس قد حققوا ما لم يحققه الأصحاء ولم أر معوقا يعيش عالة على غيره باستثناء الذين نراهم يتسولون فى الشوارع وهؤلاء لم يريدوا صعود الجبال بل اكتفوا بالذل والمهانة سبيلا لهم وانظر حولك سوف ترى معوقين قد وصلوا لأعلى المراكز أمثال طه حسين وروزفلت وهيلين كيلر لا يا سيدى لقد أخطأت عندما قلت انك لا تضمن مستقبل المعوقين ولم تنصف هؤلاء بل لقد أضفت الى همومهم هما جديدا ٠ فعد أستاذى الجليل وشجع هؤلاء فى مقال آخر واعتذر لهم لأنهم فى حاجة الى من يشجعهم لكى يواصلوا السير فى الطريق وهم ليسوا بحاجة الى كاتب يكسر عزيمتهم عد سيدى وقل لهم انهم ليسوا أقل من الأصحاء وسامحنى ان قلت لك مخطىء وربما أكون أنا المخطىء فأنت استاذ عظيم تعرف أضعاف ما أعرفه أنا الشاب الذى لم يتجاوز السادسة عشر ولكن أحب منك أن تفسح لى صدرك وتزيدنى معرفة فى هذا الشأن وقل لى هل قولى أنا الخطأ أم قولك انت ؟ فان كان قولك فما ذنب هؤلاء أن يعيشوا بين الناس وهم عجزة أليسوا مثلهم ، ولماذا خلقهم الله كذلك ٠ سيدى سامحنى على هذا الخطاب فأنا أعرف فيك سعة الصدر وأعرف انك تقدر قرائك » ٠

وبعد فهذا هو الخطاب وانى يا بنى أشكرك غاية الشكر انك استطعت ان تكتب هذه اللغة السليمة الرقيقة الشفيفة المعبرة وأبدأ يا بنى فاطمئنك انك لم تخطىء ولا أخطأت أنا ٠

بل اننى يا بنى أعتقد أن المعوق الذى يستطيع ان يحقق ما حققت أنت هو أعظم شأنا مع كل صحيح مهما يكن شأن هذا الصحيح ٠

ولكننى يا بنى حين تسألنى فتاة عما تتردد فى شأنه من الزواج بمعوق مضطر ان انصح لها الا تفعل فهى بلا شك لا تحب هذا المعوق وان كانت تحبه ما سألت ولتزوجت منه دون أن تطلب المشورة ثم هى لم تذكر لى أن كان هذا المعوق مؤمنا بالله مثلما انت مؤمن به أم هو مجرد معوق فان كان له ايمان كايمانك لكان بزواجها أجدر من الأصحاء ٠ ولكن هذا أمر لابد أن تظهر بوادره حتى أتعرف أنا العبد عليه والله وحده هو الذى يعلم ما ينطوى عليه كيان الانسان ٠

وأنت يا بنى قلت أن من بين المعوقين متسولين فكيف أعرف أنا العبد ان كان خاطبها سيصبح متسولا ضعيف النفس أم سيكون مؤمنا

يصارع عاهته ويصرعها ويصبح شخصا فذا أعظم من كثيرين ممن لا تقف دونهم اعاقة ٠

ولقد تساءلت انت يا بنى لماذا خلقهم الله اذن ؟ فهو وحده اذن الذى يعرف السر فى أن يصابوا بما يعيقهم وهو وحده مقسم الطاقات ومن الناس القوى الذى هو مثلك والذى يجعل من اعاقته حافزا له ان يكون عظيما أو الذى يضعف أمامها ويجعل منها عذرا يبرر به تخلفه فى الحياة واننى يا بنى استحلفك أيهما أكثر عددا ؟ الذين يصرعون عاهتهم ويصبحون مثلا عليا للأصحاء والمعوقين عن ضعفهم فى مواجهة الحياة أو ترضى لى يا بنى ان أنصح فتاة مترددة فهى غير متحمسة ان تختار شخصا لا أدرى هل هو من الأغلبية أم هو من الأقلية ان تقبله زوجا لها ٠

وتقول يا بنى كيف أضمن أنا المخلوق والضعيف مصير شخص فى روايتى ولا أضمن رحمة الله ومعاذ الله أن أكون كما ذكرت انما أنا المخلوق الضعيف أعرف أن خيالى هذا سيسير فى طريق أنا أرسمه منذ البداية الى النهاية أما رحمة الله سبحانه فان لها ألوانا وأشكالا أنا لا أعرفها ولا يعرفها الا هو سبحانه فى علياء سمائه وقد تتمثل رحمته فى أن يرضى المعوق بما قدر له أو قد تتمثل فى أن يكون العائق حافزا له على الجهاد كما فعلت أنت وكما فعل هؤلاء القلة الأفذاذ الذين ذكرتهم أو القلة الآخرون الذين لم تعرفهم ولم تذكرهم وهم كثيرون عددا ولكنهم لا شك لا يقارنون فى عددهم بأولئك الذين يتخذون من الاعاقة وسيلة ليبرروا بها لأنفسهم قعودهم عن مجاهدة الحياة واستنامتهم خاضعين ٠

وبعد يا بنى فانت عندى خير من الوف السالمين من كل عائق وكل من كان مثلك جديرا بكل اكبار واجلال وتعظيم ولو انك يا بنى تضمن لخاطب الفتاة أن يكون مثلك فاننى أنصح لها أن تتزوجه بل أحثها على ذلك وأوشك أن أثق أن زواجها منه سيكون أكثر أمانا لها من زواجها بسليم سلمت بنيته وتهشمت نفسه التى لا يعرف أحد شيئا عن المعوقات التى بها والتى قد تكون أكثر خطرا ألف مرة من ساق عاجزة أو ذراع مبتورة ٠

فاضمن لى سلامة النفس ضد المعوق ٠٠ أطمئن أنا الى مستقبل زواجه لأن من سلمت نفسه يستطيع أن يجمل الحياة ويزينها ويزيدها رونقا وبهاء ٠

ولكننى يا بنى بشر أخاف كما يخاف البشر ولا أرى من المستقبل الا ما ينبىء به الحاضر ، ولا والله ما قصدت أن أزيد هموم المعوق هما وربما أردت أن أحفز المعوقين أن يكونوا مثلك ولكن هو بعيد ذلك الفارق بين الأمل والحقيقة ٠

وانت يا بنى قد أكرمك الله بما لم يكرم به الكثرة الكاثرة من الذين سلمت أعضاؤهم جميعا فانت مؤمن بالله وهذا وحده أعظم ما يكرم به انسان وأنت تواجه حياتك فى نفس سليمة غاية السلامة وتلك نعمة يحسدك عليها الغالبية الكاثرة من الناس ودعائي الى الله ان يكون كل المعوقين مثلك .. وحينئذ فهم ليسوا معوقين .

بل اننى أدعو الله ان يكون السالمون على شىء ولو يسير من ايمانك وسلامة نفسك ؟

أصلح الله لك يا بنى حياتك كما أصلح ايمانك وكن على ثقة انك واجد ان شاء الله من تحبك وستكون سعيدة الحظ يوم تتزوج منك . وانها باليقين لن تطلب المشورة من أحد لأنها حين تعرفك أو تعرف أمثالك لن تكون فى حاجة الى مشورة أحد .. أصلح الله لك الحياة صلاحا اتوقعه لك ان شاء الله ، وجعل أوقاتك كلها مشرقة مثل اشراقك فى نفسك والسلام عليك ورحمة الله .

الأهرام ١٩٨٤/٧/١ :

كونوا مصريين أو لا تكونوا

اذا حرصت المعارضة على صغائر الأمور هان شأنها واستخف بها الشعب وأصبحت عند السلطة التنفيذية موضع سخرية بدلا من أن تكون موضع اجلال واكبار كما ينبغي لها ان تكون ·

واذا استمرت المعارضة على دأبها هذا من السب والشتائم فان الناس سيملون وينصرفون عنها ·

فان السباب اليوم لا يخلق لصاحبه أية بطولة للناعق به · فليس هناك معتقلات وقد كانت في يوم من الأيام أهون الشرور ناهيك بالاعتداء على الأعراض والكرامات وأرواح الناس وحياتهم ·

اليوم لاوزر · فجرائد المعارضة قد بح صوتها من الشتائم فلا هي استطاعت أن تهز مقعدا من مقـاعد الوزارة ولا هي نالت من الجماهير اعجابا أو حتى رضى ·

فالجماهير تعلم كل العلم أن العهد عهد حرية مطلقة وان السباب لا يدل على شيء الا أن المعارضة خبيرة كل الخبرة بوسائل الاسفاف وتلويث السمعة وجعل الأبيض أسود والمشرق ظلاما والعدل ظلما ·

وانه لأمر عجيب · فليس من المعقول أن تكون الموضوعات التى ينبغي أن تتكلم فيها المعارضة غائبة عنها ففى كل عهد عيوبه ومحاسنه · وما كان أحرى بالمعارضة أن تتعرض لهذه العيوب وتشرح نواحي النقص فيهـا والأسباب التى أدت الى وجودها · وهنا تكون الشجاعة الحقة لأنها حين تفعل قد تتعرض لسخط بعض الفئات ولكنها لا شك ستحصل على اعجاب الأغلبية العظمى من الجمهور وستحظى بما هو أهم من ذلك وأبقى الا وهو ارضاء الضمير واننا ــ لا شك ــ نتمنى من أعماق الأعماق أن تكون المعارضة عندنا ذات ضمير فانها اذا كانت ذات ضمير ستعتبر أن مصر مسئولة منها مسئولية كاملة شأن كل مصرى شريف ، وحينئذ ينبغي لها أن تكون داخل الأحزاب لجانا تواجه كل مشكلة من المشاكل التى تعانيها مصر نتيجة سنوات الخراب · فلو أن أحزاب المعارضة اتجهت الى الاصلاح بدلا من أن تتجه الى الهجاء والسباب والاسفاف والحرص على تهوين شأنها عند

الله الوطن والناس لكان من حقها علينا أن نقدم لها الاجلال غاية الاجلال والاكبار أقصى الاكبار •

لو أن المعارضة واجهت بعلمائها وخبرائها مشكلة الاسكان وقالت للسلطة التنفيذية أراءها فى هذا الشأن وتناقشوا مع خبراء الحكومة وتناقشوا رأيا برأى بلا تهجم ولا اصرار على الخطأ وانما يحرص من الجانبين أن يبتغيا كل منهما مصلحة مصر وينقب عن الوسيلة المثلى التى تجعل مصر تتغلب على هذه المعاناة •• لو أن المعارضة فعلت ذلك لنالت عند الناس أضعاف أضعاف ما تناله بالهجوم الفارغ الذى لا يؤدى الى شيء ولو أنشأت المعارضة مثل هذه اللجنة• لشتى النواحى الأخرى من مواصلات وتليفونات وأزمة مرور وغلاء أسعار وغير ذلك • ولو أن هذه اللجان لم تجعل كل هدفها اثارة الشعب على الحكومة لمجرد الاثارة ولم تتخذ المعاناة وسيلة للبكاء المصطنع ولو أن هذه اللجان اتجهت الى اقتراح الطرق المثلى للتغلب على هذه المعاناة بدلا من التغنى بها لأدركت الجماهير أن هذه المعارضة مصرية وطنية وليست منتسبة لشتى جهات أخرى منها الغربى ومنها البترولى ومنها الشيوعى •

وليس عيبا أن تسعى المعارضة الى الحكم فكل حزب من حقه أن يسعى الى الحكم ليحقق مبادئه ، ولكن الوسيلة الذى يتخذها الحزب فى سعيه هذا هى التى تحدد ان كان وطنيا نابعا من أعماق الوطن أم هو بضاعة تباع وتشترى فى أسواق الدول • وانى أضمن للمعارضة أنها لو أصبحت مصرية ولو عملت لخير الشعب لكانت الى الحكم أقرب والله على أقول شـــهيد •

مايو ١٩٨٤/٧/٢

اللهم نصرا على أنفسنا

لم يأت على الناس حين من الدهر كان الجميع فيه راضين عن زمانهم أو عن حكامهم فكل جيل من أجيال البشر له صبوة الى الماضى ، وحنين الى الغابر يواكبه سخط على الحاضر ورفض لما يحيط به من واقع ٠

وأحسب أن جيل النبى عليه الصلاة والسلام كان أعظم الأجيال التى شهدتها البشرية فقد كان مليئا بالمصابيح الهداة آمنوا بالرسالة يجابهون بها غلظة الجاهلية وحرص الكافرين على أمجادهم القبلية ، وعلى أموالهم التى كانوا يقترفونها من كل ما هو دنىء حقير لا يعفون حتى عن الاتجار بالمتعة تحت ظلال ألويتهم الحمراء ٠ ووقف النبى عليه الصلاة والسلام يصيح فيهم لا اله الا الله ومحمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ٠ ولا فضل لسيد على عبد فى البشرية فالكل أمام الله والناس ســـواء ٠ للمحسن فيهم الحسنى وزيادة وللمسىء منهم العقـاب والنكال واحتقار الناس فى الدنيا ونار جهنم فى الآخرة ٠

ويصبح للدعوة الاسلامية الكريمة فرسانها فى كل ميدان من ميادين الفروسية ٠ فنجد الكرام الذين ينفقون مالهم كله فى سبيل الله ٠

ونجد أصحاب الضمير المرهف يخشون الله فى أطواء نفوسهم قدر ما يخشونه فى علانية أعمالهم ٠ ونجد السيوف المشهرة تسابق الحياة الى الشهادة فى ايمان الواثق بهوان الدنيا وما وعد الله الشهداء فى الباقية الخالدة ٠ وتفيق البشرية على فترة من الزمان لم يعرفها الأحياء ولا تسامعوا فيما حمله اليهم التاريخ ٠

ولكن أكان أهل هذه الحقبة من الزمان راضين عنها ٠٠ ان من يقرأ فى أدب العرب يجد أصحاب هذه الأشراقة العظمى كان هم أيضا يتملك نفوسهم حنين الى المـاضي وتعلق به ٠ وما كان حنينهم الى الكفر فيـه ــ لا قدر الله ــ أو كان الحادا منهم الى غطرسة الجاهلية وما فيها من غلظة ٠ وانما كانوا ينظرون الى ما كان من خير قليل فى أخلاق الجاهلية ٠ من حفاظ على العهد ، ومن حكمة فى التصرف ، ومن تعفف عما يشين أخلاق الرجال ٠ ومن حرص الكرام على اكرام الضيف ، واغاثة الملهوف وحماية من لا ملجأ له ٠

ونجد عمر بن الخطاب الذى صنعه الله سبحانه وتعالى المثل الأعلى للعدل على مدى الأزمان يحن الى الماضى هو أيضا ويتمثل ببيتين فيهما ترحم على ما كان وسخط على ما هو كائن فيروى :

ومـــا بقيـــت مـــن اللـــذات الا
مخاطبة الرجـــال ذو العقـول

وقد كنـــا نعـــدهم قليـــلا
فقد صـــاروا أقل من القليل

وبعد عمر بأجيال يحكم حفيده عمر بن عبد العزيز ويأخذ نفسه وزوجه وأولاده ثم يأخذ الناس بالعدل أصـــدق العدل ويقيم الميزان بالقسط ولا يخسره ويرسل اليه أستاذه من مكة خطابا يســأله « ماذا تريد أن تفعل » ٠

ويصدق ما توقعه أستاذ عمر بن عبد العزيز ولا يـــكمل عمر سنين عمر بن الخطاب » ويرد عليه أستاذه قائلا « لن تستطيع واذا استطعت فانك تكون خيرا من جدك ابن الخطاب نفسه لأن الذين كانوا حول عمر ابن الخطاب كانوا يعاونونه على عدله ٠ أما الذين حولك فسوف يحاربون عدلك ولن يمكنوك منه » ٠

ويصدق ما توقعه أستاذ عمر عمر بن عبد العزيز ولا يكمل عمر سنين فى خلافته وتردد البشرية بعد ذلك البيت الشهير :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفـــة فلعـلة لا يظلـــم

كل هذا عرفته البشرية وعرفت ما هو شر منه ولكن أى هاتف ألح على أن أمضى فى هذا الحديث اليوم ٠ ان هذا التساؤل منى ليس حيرة أو جهلا بما يثور فى نفسى ٠ وانما لوعة وحريق يوشك أن يسد فى عينى أقطار الأرض جميعا ٠

فمع أن الناس كانوا على مر العصور غير راضين عن عصورهم ولا على حكامهم ٠ الا أن طبيعة الحياة كانت غير هذه التى صرنا اليها اليوم ٠

واذا نحن تركنا ذلك الزمن الماضى الذى وصلت أنباؤه الينا على صفحات الكتب ٠ وتذكرنا الزمن الذى رأينا أحداثه على صفحات الأيام وعقدنا مقارنة بين ما كنا نرى وبين ما نحن فيه لعجبنا من أنفسنا لماذا نظل نلقى بأنفسنا فى مضطرب الحياة ٠ ولماذا لا يبحث أمثالنا عن مخبأ لا يرى الى الناس ولا يجعلهم يرون اليه ٠ ولكن أين المفر وقد أصبح البعد عن الحياة مستحيلا الا بالموت ٠ فان أغلقنا على أنفسنا أبوابنـــا لاحقتنا الاذاعة وهاجمنا التليفزيون وغزت وحدتنا ارسال الزوار مشفقين أو عاجبين أو ساخرين ٠

لا مهرب اذن الا أن نواجه الحياة ونفرض على أنفسنا ما لم نكن نتصور انا ملاقوه في يوم من الأيام ٠

اننا منذ نشأنا كانت الحياة حولنا تموج بالخير والشر ولم يخل زمان ـ أي زمان ـ من هشيما لا قيمة له فقد كان الشر موجودا في كل العصور ـ هذا لا شك فيه ـ ولكنه لم يكن رافع الرأس متبجحا مدعيا أنه هو قمة الحياة وسيدها كما هو اليوم كان الشر يخجل من الخير ٠ فأصبح اليوم والخير يخجل من الشر ٠ كان اللص يتخفى عن العيون فأصبح اليوم الشريف هو الذى يبحث عن ستار يخفى شرفه ٠

كان اللص يدعى أنه شريف ٠ ولكن اللص اليوم لم يصبح في حاجة أن يدعى الشرف بل ان الشريف اليوم هو الذى يغلب عليه الحياء لأنه شريف ٠

كان الفجور يتستر ويتخفى ٠ وأصبح اليوم الفجور يصدر الاعلانات عن نفسه ٠ وكلما ازداد تحطيما للقيم علا ضجيجه وارتفع صوته وتباهى وتملكته العظمة وركبه الغرور وشعر بالزهو والكبرياء وازداد يقينا انه ذو كرامة ٠

وفى ثلاثينات هذا القرن شاع عن امرأة من جميلات هذا العصر ومن أسرة عريقة فضيحة انتشر أمرها ٠ وحدث ان كان المرحوم محمد محمود باشا جالسا فى فندق شبرد وتقدم اليه أحد أصدقائه ومعه سيدة لا يعرفها محمد باشا ٠ ووقف الباشا خريج أكسفورد يستقبل القادمين وقبل أن يصافح ممحمد باشا صديقه بادرة الصديق مقدما اليه السيدة وعرف محمد باشا أنها السيدة صاحبة الفضيحة فاذا هو يأبى أن يمد يده اليها وانما يضع يمينه خلف ظهره ويشير لها بيسراد ملوحا بسبابته وذات اليمين وذات اليسار بما يجعلها توقن انه يرفض ان يصافحها ثم يجلس ويشيخ بوجهه عن صديقه وعن السيدة جميعا ٠

كانت الفضيحة فى ذلك الحين فضيحة ٠ وكانت الفضائح ألوانا وأشكالا منها فضيحة كهذه التى ذكرت ومنها فضيحة المرتشى ومنها فضيحة السارق وكانت تشيع وكان المجتمع ينزل بها العقاب رفضا أو مقاطعة أو مهاجمة ٠

أما اليوم فالفضيحة شهرة وعظمة ٠

نرى تجار المخدرات يتصـــــدرون المجتمع ٠ ونرى تجار الأعراض يتصدرون المتحدثين عن الشرف ٠ أن الشرف أصبح نوعا جديدا من الشرف لم يعرفه العالم قبل اليوم ٠ ونرى سارقى البنوك يستغلون سرقاتهم فى سرقات أخرى ٠

جماعات من جنود ابليس أصبحت تسود الحياة • وان كنا نحن ومن في جيلنا عرفنا للكلمات معانيها الحقيقية • فكيف سيعرف الجيل الجديد هذه المعـــانى ، كيف يجد من يؤكد له أن الشرف ليس هو مجـــرد المال فهما يكون مصدره وانما الشرف خلق وقيمه وترفع عن كل الدنايا كان الله فى عون أجيالنا الجديدة •

الأهرام ١٩٨٤/٧/٨ ••

وكان بشرا رسولا ..

المعجزة التى اختارها الله للخلود هى القرآن الكريم ومعجزات القرآن أعظم من أن تحصى . وقد نزل القرآن منذ ألف وأربعمائة عام ونيف . وفى هذه القرون المتطاولة ظهر أعلام الشعراء وعظماء البلغاء ولكن هيهات وألف هيهات أن نقارن كل ما نظموه من الشعر وما دبجوه من النثر الرفيع مع آية من آيات القرآن كقوله جل وعلا « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

وكان الله سبحانه وتعالى يرسل أنبياء قبل النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام بمعجزات حسية يراها البشر رأى العين . فهم رأوا ابراهيم يلقى فى النار ، ورأوا النار وهى برد وسلام على ابراهيم ، انها معجزة حسية شهدها أبناء عصره . وآمن بابراهيم من آمن وكفر به من كفر مرتئيا فى معجزته مع النار نوعا من السحر . فالايمان فى أغلب الأمر نور فى القلب يؤيده العقل ويؤكده أما اذا جمد القلب وتحجر فهناك لا حيلة للعقل مع القلب ولا سبيل للكافر أن يؤمن .

وشهد عصر موسى العديد من معجزات السماء . رأوا عصاه وهى تلقف ما يأفكون ورأوا الله سبحانه وتعالى يشق له البحر العباب يسير بين أمواجه المتجمدة المؤمنون حتى اذا أمنوا الى الشاطىء وعبروه انطبقت أمواج البحر على الكافرين من أتباع فرعون فأغرقوا أجمعين . ثم آمن من قومه من آمن وكفر منهم من كفر .

أما عيسى عليه السلام فقد كان معجزة منذ اللحظة التى حملته فيها البتول العذراء وصار معجزة لم تتكرر وهو يولد ثم هو معجزة وهو يكلم قومه وهو فى المهد صبى وتتابعت المعجزات على يديه فأحيا الميت وشفى الأبرص ونفخ فى الطير فوهب لها الروح باذن الله .

ومع كل ذلك لم يؤمن به قومه أجمعون . وكما أنشأ بعض أنصار موسى عجلا من ذهب وعبدوه حرف بعض أنصار المسيح تعاليمه وبالغوا فيها ويشاء الله فى علياء سمائه أن يكون موت عيسى معجزة كمولده فيرفعه الى السماء وينقذه من كيد الكائدين له أولئك الذين انقلبت معجزاته عندهم نقمة عليه وانتقاما منه .

وتنقضى الأيام وتزول آثار هذه المعجزات الا أحاديث على أفواه الناس يصدقها من يصدقها وينكرها من ينكرها .

وأغلب الأمر أننا نحن المسلمين ما كنا لنصدق شيئا من هذه المعجزات لولا انها جاءت فى القرآن الكريم فأصبحت عندنا حقائق لا تقبل الشك ٠

وقد اختار الله سبحانه وتعالى أن يكون حامل رسالته بشرا من البشر ليس له أى معجزة الا معجزة القرآن التى ذكرها سبحانه بقوله « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد فعل وصدق وعده جل وعلا وانتقل القرآن بنصه وحرفه من القلوب الى الألسنة الى الجلود والعظام الى المطبعة فتم له الحفظ ٠

والنبى الكريم الذى حمل الينا الرسالة بشر رسول ٠ يقول تعالى في سورة الاسراء فى الآيات ٩٠ وما بعدها « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار من خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » صدق الله العظيم ٠

فمعجزة النبى صلى الله عليه وسلم اذن أنه بشر رسول وأن الله لم ينزل ملكا رسولا لأن الأرض ليس بها ملائكة يمشون مطمئنين ٠

وقد جاءنى خطاب من رجل مؤمن يحس فى نفسه غصة أن النبى عليه الصلاة والسلام يتصرف تصرف البشر وليس تصرف الأنبياء وهذا ما دعانى أن أسوق اليه والى من شاء هذا الحديث ٠ ان معجزة النبى صلوات الله عليه وسلامه يا أخى أنه بشر وأنه رسول ٠

فهو بشر حين يقول حبب الى الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة وهو رسول لأنه لم يعتد على حرمة ولم يرتكب حراما ولا اثما ٠

وهو بشر حين يأمر بالحرب ليرد بها الأعداء عن دينه وهو رسول حين لم يثخن فى الأرض ولم يعذب الأسرى وحين راح يتلمس الأسباب للعفو عنهم ٠

وهو بشر انسان أب حين سمع أن على بن أبى طالب يريد أن يتزوج على ابنته فاطمة فيصيح اللهم انى غاضب ، اللهم انى غاضب ، اللهم انى غاضب ٠ هو غاضب لأنه بشر ولأنه يحب ابنته كما يحب البشر بنيهم وبناتهم ولكنه نبى ورسول وأمين وشريف لأنه لم يقل ان زواج على بأخرى على فاطمة يغضب الله أو انه يخالف الدين أو أنه يقع زواجا باطلا ٠

وهو بشر حين تدمع عينه لموت أبنه · ولا يستطيع أن يخفى ألمه العميق للكارثة · وأى كارثة أفدح من فقدان ابنه وهو قطعة منه · فهو يبكى على رغم علمه أن ابنه رفع الى الجنة التى يعد بها الله على لسانه المتقين من عباده وأى عباده أعظم تقوى من طفل مازالت الأكتاف تحمله · هو يبكى لأنه بشر · ولكنه رسول فى القمة العليا من الايمان ومن الثقة بربه وبدينه وبما أنزل اليه حين يحاولون تعزيته بقولهم ان الشمس خسفت لموت ابراهيم فاذا الرســـول يقول فيه الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسف أحدهما ولا يظهر آخر لموت أحد ولا لحياته ·

وهو بشر حين يتطيب حتى لا يشم الناس منه الا أجمل رائحة · وهو رسول حين يأبى أن يترك لبنيه أى مال يعينهم على الحياة ·

وهو بشر حين يزور فاطمة ويجدها نائمة وبجانبها زوجها على ان غطى الرداء الذى يتدثران به الأقدام منهما كشف عن صدريهما وأن غطى صدريهما كشف عن أقدامهما وتأخذه الشفقة على ابنته وزوجها لأنه بشر ولكن لأنه رســـول لا يبحث لهما عن مال لو طلبه لانهال عليه من المؤمنين وانمـــا يقـــول لهما أدلـــكما على خير من هذا قولا ســـبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة والحمد لله ثلاثا وثلاثين مرة والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة · فلأنه رسول حمل كلمة الله « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » دثر ابنته وزوجها بكلمات الله وطمأنينة القلب ·

ولأنه بشر أحل دم الشعراء الذين هاجموا الاسلام وكأنما القى اليه أن يفعل وهو مطمئن لأن أحدا منهم لم يقتل قط · ولأنه رسول قبل توبتهم أجمعين ورضى اسلامهم ·

ولأنه بشر كانت الشفقة تأخـذه على ابنته فاطمـة وأعمال البيت والأبناء ترهقها أشد الارهاق ولكن لأنه رسول يرفض رجاء فاطمة اليه أن يخصص لها واحدة ممن سباهم المسلمون فى غزواتهم ·

فالنبى محمد يا أخى المؤمن نبى لم يسبق له مثيل فى دنيا الأنبياء · فقد كان لكل منهم معجزة زالت مع الأيام لأن كلا منهم جاء لقوم بذاتهم وكانت معجزته موجهة لهؤلاء القوم وحدهم · ولكن النبى البشر جاء للناس كافة وللعالم أجمع ولكل الأزمان حتى يرث الله الأرض وما عليها ومن عليها · فلم يكن عجيبا يا أخى أنه لم يكن له صرح سليمان ذو القوارير ولا عرف لسان الطير ولا سخرت له الجن ولا كان عجيبا الا تأكل عصاه ما يأفك الساحرون ولم يكن عجيبا الا يشق له البحر ·

انه نبى فريد فى نوعه · نبى ارتضى له الله أن ينهزم جنده فى موقعة أحد حتى يثقوا أن نبيهم بشر من البشر وانهم ان لم يبذلوا جهدهم لنصرة دينهم فانهم منخذلون ·

انه نبى ولد من أب وأم وقال له الله « انك ميت وانهم ميتون » انه لم يخصه الله أن يحيى الميت أو يشفى الأبرص ٠

انما خصه بمعجزة واحدة ٠٠ هى القرآن الكريم ٠٠ وخصه أيضا بكل ما فى البشر من طبـاع ٠ الا أنه على خلق عظيم أدبه ربه فأحسن تأديبه ٠ وقد أرسل فى عصر الجهالة والتكبر الفارغ فحطم الجهل وأذل التكبر وجعل بكلام الله الناس سواء وبدأ بنفسه ٠ واذا لم يكن النبى بشرا مثله مثل سائر الناس ما بلغ من نفوس أنصاره هذا الايمان المذهل الذى جعلهم يفدونه ويفدون دينه بأرواحهم ٠

لقد رأوا فيه انســانا مثل كل انســان فى مشاعره ونبيا شامخا مباركا ٠

بشر هو يحب النساء مثل البشر ولكنه فى الحلال كالأنبياء ويحب الشعر كالعرب ولكن فى الكريم من المعانى والرفيع من الخصــال مثل الأنبياء ٠ ويحب بنيه أشد ما يكون الحب شأن الكرام من البشر ولكنه يأبى أن يجعل أحدا منهم يتميز عن الآخرين بأقل ميزة فالناس سواء ولو كان أبوهم النبى نفسه سيد البشر صلى الله عليه وسلم ٠

وبعد يا أخى فاننى أرجو أن أكون قد بلغت من نفسك ما أتمنى لنفسى أن أبلغ ٠ وأرجو اذا قرأت هذا أن تقر حيرتك الى الايمان الخالص الذى ألمح أضواءه فى أطواء كتابك والسلام عليكم ورحمة الله ٠

الأهرام ١٩٨٤/٧/١٥ :

الأزهر عز العرب

يستطيع الذين يذكرون ما كتبته عن الأزهر الشريف أن يقدروا مدى السعادة التى نعمت بها وأنا أشاهد حلقات الأزهر الشريف التى كتبت حلقاتها الكاتبة الاسلامية الكبيرة أمينة الصاوى ٠ وربما نسى بعض الناس أن الأستاذة أمينة هى أول من أدخـل فن تحويل الروايات الى مسرحيات وكان لها فضل السبق بأعمال لاقت نجاحا باهرا فى عرضها ٠ فليس غريبا عليها وبعد هذه السنوات الطوال من الممارسة والمدارسة ومن تدريس الدراما أن تتفوق هذا التفوق الذى بلغته فى حلقات الأزهر الشريف ٠

وقد استطاعت فى ذكاء رائع أن تجمع الحاضر الى الماضى واستطاعت فى ذكاء أشد أن تجعل للمرواية رواة ٠ وأن تجعل لهؤلاء الرواة أنفسهم قصة تكاد تكون مستقلة تمام الاستقلال عن تاريخ الأزهر نفسه ٠ وأذكر اننى ترجمت مع الأستاذ عبد الله البشير مسرحية للكاتب الكبير ماكسويل أندرسون والمسرحية بعنوان « عذراء اللورين » وهى بطبيعة الحال عن جان دارك ٠ وقد استطاع المؤلف أن يدير المسرحيات فى شكل تجارب مسرحية ٠ واستطاع فى مهارة فائقة أن يجعل للممثلين أنفسهم كآدميين مشكلة خاصة بهم نتابع أحداثهـا فى الفقرات التى تفصل بين تجارب الفصول ٠ حتى اذا بدأت التجارب وجدنا الملابس غير مكتملة تماما مع أن المفروض أنه يعرض علينا التجربة الأخيرة التى تسبق العرض الأول ولم يكن عجيبا من المسرحى العبقرى أن يجعل مسرحية الممثلين تسير جنبا الى جنب مع مسرحية جان دارك كما لم يكن عجيبا أن تنتهى المسرحيتان كلتاهما نهاية رائعة ٠

وأشك كثيرا أن تكون الأستاذة أمينة الصاوى قد اطلعت على هذه المسرحية وأرجح انها الهمت الى طريقة العرض التى اختارتها عن حس مرهف وعن عمق تجربة ٠ وأنا لا أدافع عنها فنقل الشكل مباح وجميع كتاب المسرح والرواية التمثيلية العربية نقلوا الأشكال عن الغرب ثم طوروا فيها التطور الذى يتفق مع عروبتهم والمستقبلين لأدبهم ٠

وأنا فى هذه الكلمة لن أحاول أن أتناول التاريخ الذى دار حول

دور الأزهر الشريف فى الحياة المصرية فلست مؤرخا وما ارتضى لنفسى أن ألج ميدانا أنا غير متمكن فيه ·

وانما ألح على أن أوفى السيدة الأستاذة المؤلفة حقها من التكريم التى هى أهل له ثم أصرخ وبأعلى صوت أصرخ : أعيدوا هذا الأزهر الى مصر بعد أن فقدته مصر ·

ان الأزهر كما نعلم وكما علم الذى لم يكن يعلم من الحلقات هو الحصن الأول للعربية وللاسلام ولمصر وللهداة النيرات من رحلات تاريخ مصر ·

فيا أبناء مصر ويا أبناء المصريين ويا أبناء بناة الحضارة الاسلامية فى العالم كيف ساغ لكم أن تضيعوا الأزهر الذى سلمه اليكم أبناء الأتراك وأتباع الدولة العثمانية والنطاقين باللغة الأعجمية ·

أيحافظ على الأزهر التركى الأجنبى الألكن الذى لا يقيم من العربية حرفا · ويضيعه المصرى العربى الفصيح الفكر واليد واللسان ·

وانى لأكاد أقسم قسما أنا واثق اننى فيه غير حانث انه اذا لم تعد اللغة العربية الى الأزهر فلا أمل لأبنائنا أن ينطقوا هذه العربية ، ولن تعود العربية الى الأزهر الا اذا اشترط الأزهر على الذين يدرسون العلوم الفقهية والعربية ألا يدخلوا الأزهر الا بعد أن يحفظوا القرآن الكريم وينطقوه ويعرفوا سر الحرف فيه وكيف يخرج من اللسان والشفتين ·

العالم ملء بالجامعات · آلاف هى مؤلفة ولكن العالم ليس فيه الا أزهر واحد لا غير كان منذ ألف عام هو حصن العربية الحصين · وما انهار حصنها وكاد يندك ركنها الا منذ جعلنا من الأزهر كليات شأنها شأن مثيلاتها من الكليات التى تملأ أرجاء العالم ·

أستحلفكم بالله وأناشدكم الحق · ألم تشعروا بالعزة والفخر والكبرياء بدينكم ولغتكم وأنتم تشاهدون حلقات الأزهر هذه التى عرضها علينا التليفزيون · وأى شىء يبقى للانسان ان فقد اعتزازه بدينه ولغته ووطنه ·

الذين ذهبوا الى البلاد الغربية رأوا كيف يعتز الانجليزى وهو ينطق لغته نطقا حاسما رائعا وكيف يتغنى الفرنسى بلغته وكأنه يلحن أنشودة ذات أنغام تشبه ألحان الجداول الرقراقة تجرى بين الماس والمرجان والزمرد والياقوت والزبرجد وكيف ينطق الألمانى حروفه وكأنه يضع فى ثناياها أمجاد أزمانه القديمة كلها وعزة الأجداد أجمعين ·

فلماذا كتب علينا نحن أن نجعل لغتنا وهى اللغة الوحيدة التى

نزل بها الكتاب الوحيد الذى أنزله الله وأصدر أمره الى الزمان أن يحفظه فحفظه بكل حرف فيه • لماذا كتب علينا أن نجعل لغتنا هذه مائعة هائمة فى دنيا التشرذم لغربة تميل بها الفتيات الجاهلات الى الفرنسية حينا أو الانجليزية حينا آخر وكأنما يغض من شأنها أن تقولها عربية أصيلة كريمة تنتسب فى أصولها الى العرب أجدادها وفى أمجادها الى القرآن الكريم أعظم كتاب عرفته البشرية •

ولماذا نسمع الشباب يتكلم العربية وكأنه يمضغ قطعة من لادن فاذا هو أعوج اللسان مائل الحروف كسير اللفظ تكاد لغته أن تكون لغة أعجمية فى نسبها غريبة فى صوتها فما تدرى أعن رجل تصــدر ألفاظه أم عن امرأة •

أكتب هذا الكلام فى نفس اليوم الذى تولى فيه وزارة شئون الأزهر الأستاذ العالم الاسلامى الشاهق الدكتور الأحمدى أبو النور • وانى لأعرفه وأعرف الى أى مدى هو فى الاسلام حجة والى أى قدر هو فى اللغة العربية مرجع كما أعلم حسن ظنه بى الأمر الذى يجعلنى أخجل دائما من فيض اكرامه • ولن يكرمنى مولانا الأستاذ الكبير فى خير من هذا الذى أرجــوه منه وله • وهو رجاء ان يقتصر على تعليم القرآن الكريم وحفظه فى الأزهر فى كليات الفقه واللغة وانى لن أمنع نفسى أن أنتهز هذه الفرصة لأرجو الوزارة جميعا ان تقدم للشعب ما ينفع الشعب لا ما يرضى بعض فئات من الشعب • فان الدواء قد يكون فى بعض الأحيان مرا ولكنه فى أغلب الأحيان ناجع • واذا كانت الديمقراطية أن يكون حكم الشعب للشعب فان بقية التعريف الذى لا غناء عنه هو أن يكون حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب فلنجرع دواءنا مهما يكن مرا • ولتعمل الوزارة الجديدة على مصلحة الشعب لا على تملق فئات الشعب فالشعب ليس خبيرا فى الاقتصاد • والشعب ليس خبيرا فى التليفونات ولا هو خبيرا فى الكهرباء فعلى الخبراء أن يقولوا كلمتهم التى ترضى ضمائرهم وترضى الله فى علياء سمائه واذا ضاق الشعب حينا بتجرع الدواء فانه حين يشفى سيحمد للخبراء ما قدموه له وليس الشعب هو أبناء مصر اليــوم فقط وانما الشعب هو الزمن الحاضر والمستقبل وهو نحن وأبناؤنا وليس أبا من لا يتحمل بعض الجهد كل الجهد ليكون ابنه مع الأيام سعيدا هانئا كل السعادة وغاية الهناء •

الأهرام ١٩٨٤/٧/٢٢

الألغـــوزة

● حاول الكثيرون من الناس أن يرضوا كل الناس فكان نصيبهم الفشل الذريع • كان بعض أولئك المحاولين من أصحاب المناصب وكان بعض منهم آخر من أصحاب الأقلام وكان بعض آخرون لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ولكن الأمر الغريب أن جميعهم على اختلاف أماكنهم أصابهم الخذلان كل الخذلان والفشل غاية الفشل •

فانه لم يحدث فى تاريخ أمة ولا فى تاريخ العالم أن أجمع الناس على رأى واحد ولذلك لم يكن عجبا ان يسخر الساخرون من التسـعات المتلاحقة التى كانت تظهر فى نتائج الاستفتاءات التى كانت تجرى فى مصر •

فانه لابد أن يكون كل انسان صاحب رأى فان حاول أن يموه فى هذا الرأى ويخادع الناس عنه أدرك الناس بحسهم الملهم الموهوب أن المتحدث اليهم لا يحادثهم من قلبه وانما يحاورهم بمنفعته ولسانه فى وهم منه ساذج انه قادر على ان يدخل فى روع الناس انه صادق ولكن هيهات •

الرحاب الوحيد الذى يستطيع الانسان أن يرضيه هو رحاب الله وفى هذه الساحة القدسية لا يستطيع انسان ما مهما يكن يظن نفسه عبقريا أن يميل عن الحق قيد شعرة فهناك الذى يعرف خائنـة الأعين وما تخفى الصدور وكلما كان الانسان غبيا ظن انه يستطيع أن يماكر الناس ويزداد غباؤه أضعافا لا نهاية لها اذا ظن انه يستطيع أن يماكر رب الناس ملك الناس اله الناس الذى خلقهم وملكهم بكل خلجة من خلجاتهم وكان معبودهم الذى لا معبود لهم غيره •

وهكذا اذا كان الانسان جديرا بأن يكون انسانا تحتم عليه أن يصدق الله فيما يقول أو يفعل وهو لن يكون صادقا مع ربه الا اذا كان صادقا مع نفسه • يقول رأيه الذى يعتقد ثم يتوكل بعد ذلك على الله • وليكن على ثقة ان رأيه هذا سيغضب قوما ويرضى قوما آخرين • ومن لا رأى له لا قيمة له • وما دام صاحب رأي فلابد أن يكون هناك رأي آخر يعارضه •

لعلك سائل نفسك فيم هذه المقدمة الطويلة • ولعلك أدركت فيم أســـوقها •

لقد تم تعديل فى الوزارة وهى الهيئة التنفيذية للدولة فاذا حاول الوزراء الكثيرون الذين بقوا أو الوزراء القليلون الذين وفدوا على المنصب أن يرضوا الشعب جميعه على حساب الشعب فانهم بهذا يكونون أشد خصومة لأنفسهم من المعارضين انما ينبغى أن يرعوا الله فى كل ما يصدرون عنه وان تكون أعينهم مثبتة على المصلحة العليا للبلاد • وقد يؤدى هذا بهم الى اغضاب بعض فئات • ولكنهم اذا توخوا الرأى السديد واستشاروا أصحاب الضمائر النقية والعلم الثابت والرأى النزيه فانهم لا شك ــ سيرضون الأغلبية والأغلبية هى مصر ولن تكون الأغلبية فى يوم من الأيام قلة هنا أو جماعة ضئيلة هناك •

فكم يحز فى نفوسنا نحن المصريين ان نجد الحمير تسير وهى تحمل أبشع ما تراه العين ونسأل واذا الجواب ان أصحاب الحمير سيغضبون وكم يحز فى النفس ان نسمع ان العامل المصرى لا يعمل أكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات • وعمال العالم الغنى يعملون ثمانى ساعات • وكم يحز فى نفوسنا ان نرضى القلة على حساب الكثرة لا لشىء الا لأن أصحاب السلطة التنفيذية ينظرون الى الأفراد ولا ينظرون الى المجموع وهيهات لمن كان هذا شأنه ان يصل الى ما ينشده من نجح أو فلاح •

وانه ليملأ النفس حسرة مريرة قاتلة أن نجد الحكومة تدعم السجائر وتيسر للناس أن يشربوا السجائر بمعونة من الشعب الذى يشرب وتكون النتيجــة العجيبة المحزنة المخزية أن يقــدم العــاقل الذى لا يدخن عونا للمستهتر الذى يدخن ــ وعلى فــكرة أنا للأسف أدخن وان كنت قليل التدخين ــ ولكن لا أستطيع على أى عرف وتحت أى مذهب ولا بأى منطق مهما يكن معوجا أن أتصور أن يشرب الانسان سما تعينه الدولة على شربه وتكون الحجة ان فى هذا تخفيفا عن الناس ••• على أى ناس يقع هذا التخفيف على قوم يقتطعون من أقوات عيالهم ليحرقوا صدورهم ويا ليتهم يفعلون ذلك من حر مالهم أو من مال الوزير وانما هو من مال الشعب الكادح الذى يتعب ليأكل أطفاله واذا الأمر يتضح انه يتعب لكى يدخن الآخرون كدحه وكده وشقاءه وتعبه •

ولما كانت بعض المصائب تدعو للضحك بل يقولون انها شر المصائب هى تلك التى تضحك فاننا نجد السجائر مكتوبا عليها ان ضررها وبيل وخطير •

ومضحكة أخرى انهم منعوا الاعلان عن السجائر فى التليفزيون وهكذا أصبح الأمر مجموعة من المتناقضات كلها يضحك وكلها يبكى فى وقت معــا •

فبدلا من أن أتقاضى من الشركات الأجنبية أموالا تنتفع بها الدولة لأعلن عن سجائرهم أمتنع عن ذلك محافظة على صحة الشعب ٠

فأنا اذن رفضت المـال فى سبيل صـحة الشعب وهذا شىء رائع وعظيم ٠

ولكن الدولة نفسهـا التى صـنعت هذا والتى تعففت فى اعتزاز الحريصين على مصالح شعبهم تبيع للشعب نفســه وليس لشعب عدو ولا لشعب آخر سجائرهم مدعومة بأموال الشعب ٠

اننى أتحدى أى اقتصادى أو عالم اجتماعى أو طبيب أو انسـان يستقيم فكره بعض الاستقامة ان يشرح لى هذه الألغوزة التى تتشابك سوانحها وموانعها وبلواؤها وأضاحيكها بهذه الصورة التى لا صلة لها بعقل آدمى ٠

ونسمع عن شركات أجنبية عرضت أن تقوم بأعمال النظافة فى مصر فاذا بمن يقول ان هـذا تدخل أجنبى وتلك عجيبة من عجائب الزمن يزيدها سخرية ان نجد المطار قد عهد فى نظافته الى شركات أجنبية ٠

أيكون المطار ليس مصريا أم هو ذلك الرعب من أصحاب الحمير حاملى القمامة ٠

ان الشعب اذا لم يشعر ان حكومته رشيدة وانها تصدر فى كل ما تفعله عن الرأى السديد الذى يؤدى الى المصلحة العليا استهان بها وويل لحكومة يستهين شعبها بها ٠

ولقد رأيت السعودية وهى تعهد بشركات أجنبية لتتولى النظافة فيها وشهدت النجاح الباهر الذى حققته تلك الشركات وما سمعنا أن هناك غزوا حدث من هذه الدول للسعودية ٠ وبعد فكل هذا الذى نقول قديم والذى لم نقله أكثر مئات المرات ٠ ولكن ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل ٠ وقد تعدلت الحكومة فمن حقها علينا أن نذكرها ببعض ما نفكر فيه ومن حقنا عليها أن تكون صادقة مع ربها ونفسها لتكون صادقة مع شعبها وأذكر قول الشاعر :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى   والا فقد عشـنا بها زمنـا رغـدا

الأهرام ١٩٨٤/٧/٢٩

ان للصمت حدا

منذ أسابيع قليلة ظهرت مجموعة جديدة لعميد الرواية والقصة العربية نجيب محفوظ ومع الجهل الذى تفشى فى حياتنا الادبية ومستوى الثقافة الذى تدهور الى حضيض لم تعهده مصر كان من الطبيعى الا يكتب أحد عن مجموعة شيخنا وامام الرواية والقصة العربية شيئا وأجمعت عزيمتى أن أكتب أنا مكررا تلك العجيبة التى لم تصبح عجيبة بتواتر حدوثها ٠ فأنا كاتب من سدنة الرواية والقصة القصيرة فى وطننا العربى ٠ ومن الطبيعى أن يكون انتاجى أنا موضوع الكتابة ولا يكون عملى أنا الكتابة عن انتاج الآخرين ٠ وأنا ـ والحمد لله ـ لا أشكو قلة الكتابة عنى فهى موفورة كثيرة فى مصر وفى العالم العربى على السواء ٠ ولكن كل ما يكتب عن امامنا نجيب وعنى يفتقد التعمق والوصول الى الجذور ويفقدهما وانما هو فى أغلب الأمر تحية يشكر عليها كاتبها أو مقارنة بين بعض أعمالنا وبعضها الآخر ٠ أما النقد الجاد الذى يفسر العمل ويتقصى أبعاده ويذهب الى العميق من أغواره فلم يعد يطالعنا به أحد والحمد لله ٠

وأنا حين أهم بالكتابة عن أستاذنا نجيب محفوظ لا أبلغ ما أتمنى أن يبلغه النقاد الجامعيون والمتخصصون ٠ فغاية الأمر فيما أكتب أن أنقل الحديث بينى وبين القارىء عن عمل من الأعمال الكبرى التى ظهرت لشيخ الرواية والقصة العربية ٠

وأنا على عزيمتى هذه لا أزال وانما تخلجت نفسى فى تردد بين اقبال واحجام وفكرت أن أؤجل الكتابة عن المجموعة الجديدة للعملاق العربى وأفرغ الى هؤلاء الذين راحوا يهاجمون فى شخصى اتحاد الكتاب ٠ وبعضهم من كان محترما فى يوم من الأيام ثم ظل يصارع ويبذل أقصى الجهد حتى فقد احترام الناس له وأصبح تمثالا مؤسفا للسخيمة أو صورة ممسوخة لدون كيشوت ان كان يمكن أن يمسخ دون كيشوت أكثر مما هزأت به أعماله نفسها ٠ وبعض آخرون تاه ذكرهم وانماعت شخوصهم بين أعمدة

الأدب والصحافة فهالهم من ذكر بذكر أو اســـم يسمع عنه أحـــد فهم يحاولون أن يختلسوا الشهرة من أسنة أقلامنا ٠

وهؤلاء جميعا يأخذون على اتحاد الكتاب انه لم يأخذ موقفا فى قضية نقاش بين وزير وكاتب ٠ ولو كان الوزير خصما فى القضية بوصفه وزيرا لأصبح من الجائز أن نلتمس لهم بعض العذر ٠ ولكن الوزير انسان قبل أن يكون وزيرا وقد وصف الكاتب بصـفة ما دون أن يستغل منصب الوزارة فى اطلاق هذه الصفة وتقدم الكاتب الى ساحة القضاء فما شأن اتحاد الكتاب اذن بخلاف بين اثنين كليهما انسان تصادف ان كان أحدهما وزيرا وكان الآخر كاتبا ٠

وهؤلاء المهاجمون يرسمون أنفسهم وكانهم مواليد الأمس ٠ فهم لم يشهدوا ما كتبه العقاد وشكرى عن شوقى ولم يشهدوا الخلاف بين الحكيم وطه حسين ٠ ولم يشهدوا الصراع المرير بين استاذنا أحمد حسن الزيات واستاذتنا الدكتورة عائشة عبد الرحمن ٠ ولم يسمعوا عن أكثر من هذا فى جيلنا القريب الماضى ٠ واذا كانوا يجهلون هذا جميعا ٠

اتراهم كانوا أطفالا فى العام الماضى يوم تعرض استاذ الأجيال توفيق الحكيم وهو رئيس اتحاد الكتاب لحملة ضارية شملت العالم العربى جميعه أيده فيها من أيده وعارضه من عارضه ولكن الاتحاد لم يتدخل فى الأمر بجملة واحدة مع ان الصراع مع رئيسه شخصيا ٠ لأن الاتحاد شخصية اعتبارية وكل عضـــو فيه له رأيه الخاص وعليه وحده أن يتحمـــل مســئولية هذا الرأى وعليه وحـده أن يجيب على معارضـيه ٠ وليس من حق الاتحاد وهو جماعة الكتاب أن يأخذ جانبـا من الجانبين فالذى لا شك فيه أن بين هؤلاء الأعضاء من يرى رأيا معارضـا للعضـو الذى يزامله ٠

انما يتدخل الاتحاد اذا حاولت سلطة ما بقوة سلطانها أن تقهر رأيا لكاتب أو تحول دون كاتب ودون حرية قلمه ٠ واذا منع الاتحاد الآخرين أن يقولوا رأيهم لأصبح هو نفسه قوة باغية قاهرة تحاول أن تغتصب السلطان وتمنع الآخرين أن يقولوا رأيهم ٠

وحين كنت نائبا لرئيس الاتحاد هاجمتنى جريدة الأهالى عاما كاملا يكاد لا يخلو عدد فيها من هجوم عاصف على ٠ ومزقت كل ما هو شريف فى الحياة وما ظنك بقوم كفروا بالله وهو الله أيرعى مثل هؤلاء حرمة الانسان ٠ وهاجمتهم وحدى فى نطاقهم كله حتى تجرأوا وتطاولوا على نزاهة قلمى فرفعت الأمر للقضاء وتنازلت عن الحصيلة المالية للدعوى وهى عشرة آلاف جنيه للاتحاد تعففا منى أن يدخل فى ذمتى المالية ماله

أنا واثق أنه غير شريف وقلت الاتحاد سيوجه هذا المال فى أوجه الخير وهو به أولى ·

ومع ذلك لم يتدخل الاتحاد فيما بينى وبين جريدة الأهالى بجملة واحدة · ولا هو تدخل فى القضية مع أن حصيلتها ستدخل الى ميزانيته · وفى هذا العام دخلت فى صراع مع أحزاب وأشخاص · وأنا رئيس للاتحاد وظل الاتحاد بعيدا كل البعد عن هذا الصراع ·

وفى هذا الصراع تفضـل المهاجمون على بشتائم وليست أوصـافا وقالوا ما سمح لهم أدبهم وخلقهم أن يقولوه ومع ذلك لم يتقدم واحد من هؤلاء الذين يقيمون الدنيا الآن ويقعدونها بكلمة لوم على ألفاظ تفوه بها أدباء مشهورون وأدباء معدومون يردونهم الى شىء من الحياء أو بقية من احترام الذات ·

شغلنى هذا جميعا أن أكتب عن أستاذ أجيالنا والأجيال اللاحقة لنا نجيب محفوظ ومجموعته الجديدة « التنظيم السرى » ·

والآن وبعد أن كتبت ما كتبت أجد نفسى قد تركت قمة الفن الروائى والقصصى الى حضيض من بعض الصحافة والصحفيين ·

وهيهات أن يجتمع النقيضان ولست أرضى من بعد أن يصاحب هذا الكلام حديث عن نجيب محفوظ الذى اعتبره قمة فى كل ناحية من نواحى الحياة فهو شخص غريب عن زمنه صاحب المثل العليا يعتنقها وينفذها وهو صاحب القلم العف واللسان النقى والضمير الشريف وان يجتمع كل هذا جميعا مع نجيب محفوظ عميد الرواية والقصة الحديثة أمر يجعلنى ظالما غاية الظلم لو أننى حاولت بعد ذلك أن أكتب عن مجموعته ·

فليس غريبا أن أترك القمة التى كنت أنوى أن أكتب عنها لأواجه هذا السيل من السخف مرتئيا أن الفترة لا تسمح لى بتأجيل ما كتبت أما الكتابة عن نجيب محفوظ فستظل فى موقتها الى ما بعد الزمان والى أن تتخطى الخـلود ·

الأهرام ١٩٨٤/٨/٥ :

بين عضوى الحزب والدولة

يبدو لى أن أعضاء الأحزاب جميعا يبذلون جهدا يستنفد تفكيرهم ووقتهم فى الحصول على مناصب بذاتها فى الحزب وهذا أمر يسرى مسرى الأمراض من نظام الحزب الواحد · ويبدو أننا – بعد – لم نتعود نظام تعدد الأحزاب الذى هو الديموقراطية · فقد غابت عنا الديموقراطية فترة بعيدة وأوشكت صلتنا بها أن تصبح معدومة ··

فليست الأحزاب مناصب ولا هى أن يمر أعضاء الحزب بأصحاب النفوذ ليتمكنوا من ادخال طالب الى مدرسة أو مريض الى مستشفى · انما هذه أعمال جانبية هينة لا تمثل وظيفة المنتمى الى الحزب ·

انمـا الحزب هو مسـتقبل وطن بأكمله وجهد شاق للتعرف على ما يحتاجه أعضاء الأحزاب فى مناطقهم من انشاء مدارس أو مستشفيات أو مقاومة الآفات الزراعية أو مواجهة ضعف المحصول · ثم هو جهد أكثر مشقة فى البحث عن حلول لكل ما تعانيه مناطقهم من سلبيات · ويتقدم الأعضاء بعد ذلك الى اجتماعات حزبهم ببرامج مدروسه دراسة عملية وافية يستطيع بها أعضاء الحزب أن يجدوا أساسا لدراسة أكثر شمولا وعمقا حتى اذا تقدموا الى المجالس التشريعية تقدموا بخطط لا بخطب وبآراء لا بشقشقة لا تعنى شيئا ·

فالمنتمى الى الحزب نائبا كان أو كان غير نائب ينبغى أن يكون همه الوطن جميعه وينبغى مع ذلك ألا يتدخل فى شئون السلطة التنفيذية الا بالمشورة والرجاء · فان كثيرا من أعضاء الحزب يظنون أنهم ما داموا قد نالوا منصبا فى حزب أصبح لهم حق اصدار القرار ·· وتلك كارثة عظمى فان اصدار القرارات لا يكون الا من السلطة التنفيذية واذا اختلط عمل السلطة التنفيذية بالسلطة التشريعية بالهيئة الحزبية أصبح الأمر فوضى لا قوام له وأصبح الموظفون فى الدولة حيارى تائهين لا يدرون الى أى جهة ينتمون ··

ولذلك فالقاعدة الدسـتورية الثابتة أن عمل الناخب ينتهى عند صـندوق الانتخاب ، ومعنى هذه القاعدة أن عمله الايجابى ينتهى عند صندوق الانتخاب ويبدأ بعد ذلك عمله الاستشارى فيكون هو الصـلة

الأمينة الشريفة بين جماهير الشعب وبين ممثلي السلطة التشريعية والتنفيذية ٠ ولابد أن يكون فى عمله هذا نزيها غاية النزاهة فلا يتأثر بخصومة شخصية أو رغبات خاصة وانما ينظر دائما الى المصلحة العليا للمنطقة التى يعيش فيها ٠٠ واذا فعل الجميع هذا نعمت مصر كلها بالرفاهية واستطاع أعضاء السلطتين التشريعية والتنفيذية أن يكونوا على علم بما يجرى فى أقاصى البلاد ٠٠

وليس يعنى هذا أن يحاول أعضاء الحزب الانتقام من الموظفين اذا هم لم يطيعوا أوامرهم أو اذا هم حاولوا أن يطبقوا القانون ٠ فرجال الحزب وخاصة حزب الأغلبية لابد أن يكونوا هم أول من يطبق القانون ٠ ولابد أن يكونوا هم أول الغاضبين اذا أفلت من تطبيق القانون أي فرد مهما يكن شأنه ٠٠ وكلما ارتفع منصب الفرد أصبح خضوعه للقانون أكثر وجوبا ٠٠ فقد عرفنا وزراء ذهبوا ليمثلوا مصر فى خارج البلاد ٠٠ ورفضوا أن يكلفوا خزينة الدولة مليما واحدا بل سافروا وأقاموا وعادوا على نفقتهم الخاصة ٠ وأنا لا أطالب بهذا وانما أذكره ليعرف العاملون فى السياسة أنه كان من بين الوزراء ورؤساء الوزراء من يضرب المثل بنفسه حتى يحاول أن يقتدى به كل العاملين معه من موظفين ومن أعضاء فى البرلمان أو أعضاء فى الحزب ٠ وأعرف وزير خارجية رفض أن يتقاضى التمثيل السياسى الشهرى الذى يتقاضاه وزير الخارجية ليواجه ما تحتمه عليه الوظيفة من أعباء الدعوات والولايم ٠٠٠ وأنا أيضا لا أطالب بهذا وانما أذكره فان الذكرى دائما تنفع المؤمنين ٠٠

مايو ١٩٨٤/٨/٦ :

قمة جديدة عند نجيب محفوظ

أستاذنا نجيب محفوظ من أعظم من عرفت الماما بالثقافات المختلفة فهو قد تخرج في قسم الفلسفة من كلية الآداب وكان وهو طالب شغوفا كل الشغف بالأدب فأجاد القراءة بالانجليزية وأجاد القراءة بالفرنسية وقد استطاع أن يقرأ الأدب العالمى بهاتين اللغتين فقد ترجم اليهما كل الأدب العالمى الذى لم يترجم الى العربية وقد نشأ أستاذنا نجيب فى فترة كانت حركة الترجمة الى العربية مزدهرة فيها غاية الازدهار الأمر الذى جعلنا نحن الجيل التالى له نقرأ الأدب العالمى كله باللغة العربية وما تخلفت عنه اللغة العربية ادركتنا فيه اللغة الانجليزية التى استطاع أغلب جيلنا أن يجيدها ٠

واستطاع نجيب محفوظ أن يقسو على نفسه فيقرأ من الروايات والأعمال العالمية ما يتنافر مع ذوقه ولو ترك نفسه على سجيتها لعزف عن هذه القراءة لتلك الكتب العسيرة البعيدة عن الجاذبية ولكن الأمر عنده كان جدا لا هزل فيه ولم تكن القراءة عنده مجرد متعة وانما اعتبرها ضرورة لا غنى عنها للروائى القصاص ٠

وبما اكتسب من الفلسفة درس النظريات الفلسفية جميعها وتتبعها حتى آخر ما وصلت اليه الفلسفة ٠

وبهذه العقلية نفسها قرأ فى الصوفية قراءة متمعنة دارسة لا تكتفى بمجرد الالمام وانما تعمق الصوفية الى جذورها وترى آثارها واضحة كل الوضوح فى اللص والكلاب والشحاذ وأولاد حارتنا والحرافيش بل لا تكاد تخطئها فى أغلب قصصه القصيرة ورواياته على السواء ٠

ونجيب محفوظ سياسى بكل نقطة دم تجرى فى عروقه وهو سياسى مصرى بكل خلجة قلب له ولهذا لم يكن عجيبا أن يكون من أعظم من عرفت دراسة للتاريخ المصرى وللتاريخ العالمى لأن مصر كانت دائمـا على صلة وثيقة بسياسة العالم ٠ ولهذا لم يكن عجيبا كذلك أن يفكر نجيب فى بداية حياته الفنية أن يتناول تاريخ مصر من أوائل التاريخ الفرعونى الى العصر الذى كتب فيه القاهرة الجديدة ولم يقف به الأمر عند التفكير بل انه كتب رواياته الفرعونية الثلاث الأولى ثم حين ألقى نظرة الى ما بعد

ذلك وجد أنه لو أصر على ما يخطط له فانه لن يصل الى ثورة عرابى الا بعد أن يتخطى مائة عام أو أكثر من عمره المديد ان شاء الله فقفز قفزته التاريخية من كفاح طيبة الى كفاح القاهرة وكتب القاهرة الجديدة وخان الخليلي وسار طريقه الذى نعرفه جميعا اظفاره ناشبة فى قلب الظالمين لمصر وسيفه مشهر عليهم وقلبه ينبض بحب مصر نبضا عالى الرنين أحيانا أو نبضا رامزا أعظم قوى وأعلى صوتا من الأدب الصريح ٠

وربما لا يعرف الكثير أن نجيب محفوظ من أعظم الناس تعمقا فى العلوم وفى تتبع الفكر العالمى الانسانى على مدى التاريخ لا يكتفى بأشخاص العلماء وانما يتعرف فى تفهم أصيل على ما اكتشفوه وما قدموه للانسانية ٠

نجيب محفوظ هو هذا جميعه أو هذا جميعه هو بعض من نجيب محفوظ وقد يكون بين المثقفين من هو مثله ولو اننى أشك فى ذلك كثيرا ٠

ولكن الأمر المذهل أن تجتمع كل هذه الثقافات عند فنان ثم تقرأ له فتجد هذه الجبال الشماء من شتى مناحى المعرفة تختفى تماما عند الفنان لا تظهر فى واجهة أدبه وانما هى تقف وراء فنه مثل موسيقى السماء تدركها ولا تسمعها ويتنابض بها قلبك ولا تصك أذنك أو تصدم عينيك ٠

فهو روائيا وقصاصا فنان فقط يعرف قلمه الروائى القصصى طريقه فى شموخ مرتفع شاهق وفى غير ترفع أو تكبر أو تعال على القراء ٠

ونجيب محفوظ هو أعظم معالم تاريخ الرواية والقصة العربية على الاطلاق وقد ألفت عنه الكتب الوفيرة ولست من السذاجة الى درجة أن أحاول ارسال الأدلة على هذا الذى أقول وانما أسوق هذا الحديث الاجمالى المتعجل الذى ينبىء ولا يشرح ويشير ولا يدلل ويجمل ولا يفصل لأتحدث عن مجموعته الأخيرة التنظيم السرى التى ظهرت فى أيامنا القريبة الماضية ٠

ومرة أخرى لن أحاول أن أرمى بنفسى الى العشار فأتتبع قصص المجموعة واحدة بعد الأخرى وأكتب ما خالجنى وأنا أقرأ كل قصة فيها وانما قصارى الأمر معى أن أشير الى بعض الشوامخ التى تزخر بها القصة ٠

فالقصة الأولى قصة صوفية وأنا لم أقرأ فى الصوفية ما يجعلنى أدرك كل الادراك ما قصد اليه نجيب محفوظ وانما قرأت فى الصوفية ما يجعلنى أدرك الهمس الذى يشدو به فى أذن القارىء ٠ وقرأت فى الصوفية ما جعلنى أدرك كل قارىء لهذه القصة سيخرج منها بنغمة خاصة به وحده وهذه جرأة من نجيب محفوظ يندر بين الكتاب من يقدم عليها ٠ فهو يحادث نفسه وهو يعلم علم اليقين أن نفسه لها الى نفوس القراء

مسارب ودروب ومسالك وهو يترك كل قارىء يحسب أن نجيب كتب هذه القصة له وحده .

وأحسب أن قصته ممر البستان تسير مع التنظيم السرى فى نفس الطريقة واذا جاز لى أن أستعمل تعبيرا موسيقيا فاننى أستطيع أن أقول أن اللازمة فى القصتين واحدة وان كان اللحن مختلفا كل الاختلاف .

وبعد فأنا لن أتابع القصص فهى جميعا من أدب نجيب مفظوظ وأنا أمام نجيب لا أملك الا الاعجاب وعلى أساتذة الجامعة والنقاد المتخصصين أن يجعلوا كل قصة فى المجموعة على حدة وأنا أيضا لست فى حاجة الى أن أقول من هو نجيب محفوظ وهو أيضا أصبح فى غير حاجة الى أن يسمعها من أحد .

فكما يقول قائل ان القاهرة هى عاصمة مصر نستطيع أن نقول أن نجيب محفوظ هو عاصمة القصة العربية .

ولكن هناك قصة بالذات وقفت عندها مذهولا من هذا الرجل كيف لا يقف به الارتفاع عند حد كيف يتفوق دائما على نفسه ويبلغ كل هذا السموق .

هذه القصة اسمها فى أثر السيدة الجميلة وتقع القصة فى سبع صفحات من القطع المتوسط القصة هى قصة الانسان على مر العصور كتبها همنجواى فى كتاب ونال عليها جائزة نوبل وكتبها نجيب محفوظ فى سبع صفحات .

أنشأ لها همنجواى محيطا وبحارا ومركبا وحوتا وأقام الدنيا وأقعدها وحظيت باعجاب العالم بحق ثم نالت جائزة نوبل وأصبح العالم كله يعرف العجوز والبحر وبعد سنوات وفى نفس الجيل يأتى نجيب محفوظ ويلقى بعلامة تعجب ضخمة لهمنجواى .

فيم أتعبت نفسك كل هذا التعب كنت تستطيع أن تقول ما قلت وأكثر فى سبع صفحات من القطع المتوسط وان كنت أنت قد وقفت بالانسان عند شاطىء الحياة الآخر فأنا خضت به هذا الشاطىء والقيته اليـه .

ومع ذلك لم ينل نجيب محفوظ جائزة نوبل ومع ذلك أيضا هو فى غير حاجة لها فان كان لم ينلها من لجنة الجائزة فالذى لا شك فيه أن أجيال الأدب قد أعطتها له فعلا وستظل تعطيها له الى أبد الآبدين .

يا حزب الأغلبية أدرك

الذى أتصوره وأعتقد انه لا خلاف عليه ان القطاع العام وسيلة من أهم الوسائل التى تعود على الدولة بالربح . وقد أصبح القطاع العام فى مصر حقيقة لا معنى لمناقشتها فالذى لا شك فيه أن الاقتصاد المصرى يعتمد اعتمادا ضخما على القطاع العام . وكل محاولة للتشكيك فى بقائه مقضى عليها بالفشل وهو لغو لا يستحق الرد عليه بله المناقشة .

ولكننى قرأت اليوم مقالا للأستاذ الكبير مصطفى أمين يضرب مثلا بالشركة الأهلية للغزل والنسيج ويذكر فيها أرقاما ذعرت لها . ولولا أن الكاتب مصطفى أمين الذى يقدر لا شك مسئولية الكاتب لأخذنى كثير من الشك .

ولن أعرض لصياغة المقالة ولا للتعليق الذى الحق به الأستاذ مصطفى أمين الأرقام التى أوردها .

يقول ان الشركة كسبت فى سنة ١٩٧٥ مبلغ ٤٣١ ألف جنيه وهبطت الأرباح فى سنة ١٩٧٦ أى بعد سنة واحدة الى ثمانية آلاف جنيه ثم فجأة وبعد سنة واحدة تخسر الشركة مائة وعشرة آلاف جنيه وبعد سنة أخرى فى ١٩٧٨ وصلت الخسارة الى ٥٧٩ ألف جنيه ثم ارتفعت الخسارة سنة ١٩٧٩ الى خمسة ملايين من الجنيهات وفى سنة ٨٠ بلغت الخسارة سبعة ملايين وأربعمائة ألف جنيه ثم وصلت فى سنة ١٩٨٣ خسارة الشركة الى ١٦ مليون وتسعمائة ألف جنيه وهكذا بلغت خسائر الشركة فى تسعة أعوام واحدا وأربعين مليونا وثمانمائة ألف جنيه .

ويعلق الأستاذ مصطفى أمين بأسباب سياسية لتحقيق هذه الخسارة الا اننى أنا كمصرى أقف مذهولا ولا أعرف سببا فى العالم سياسيا كان هذا السبب أو اقتصاديا يسيغ لدولة أن ترى هذه الخسائر المتلاحقة ولا تدرك الأمر بالتحقيق . والعلاج الحاسم . فان هذه الأموال ليست أموال أشخاص وانما هى أموال دولة أى أموال شعب بأكمله وللشعب ممثلون فى الهيئات التشريعية وللدولة سلطة تنفيذية ولها سلطة قضائية ولها أيضا ديوان للمحاسبات وفيها أساتذة الاقتصاد وأساتذة الاجتماع وأساتذة القانون .

وللدولة سلطة تنفيذية والسلطة التنفيذية ازاء خسائر مثل هذه وحدة كاملة كلها مسئولة وليست وزارة الاقتصـــاد وحدها ولا وزارة الصناعة ولا أى وزارة أخرى يتصل لها سبب بهذه الشركة ٠

واني أسأل كل فرد فى هذه السلطات وأسأل كل فرد فى الشعب المصرى وأسأل كل فرد فى شعوب العــالم الأول أو الثانى أو الثالث ولا أستثنى نفسى هل كان من الممكن أن يسكت أى شخص منهم لو أن واحدا على مائة أو على مليون من هذه الخسائر كانت من ماله الخاص ٠

ان مصر هذه ، مصر الجميع واذا لم يقف الجميع بجانبها فالخســارة تحل على أبنائها كلهم لا تستثنى منهم أحدا وفى هذه الكارثة التى تطل علينا تمحى الفوارق بين الأحزاب وننسى جميعا الحزب الوطنى وحزب الوفد وحزب العمل وحزب الأحرار وحزب الشيوعية ونذكر مصر وحدها فالمفروض أن الأحزاب جميعا تسعى الى غاية واحدة هى الخير كل الخير لمصر وان اختلفت بينها الوسائل والطرق والمسالك ٠

ولهذا أصر أن أصيح من هنا ٠٠ انها مصر وان حزب الأغلبية أى أن الكثرة الكاثرة من الشعب وضعت فى أعضائه ثقتها فيا حزب الأغلبية أدرك ويا كل الأحزاب أعينى ولا تشمتى فقد يشمت الانسان فى أى انسان آخر ولكنه لا يشمت فى نفسه ٠

مايو ١٩٨٤/٨/١٢ :

الـريح والبـلاط

كانت حقيبته خاوية أو تكاد وهو قادم الى القاهرة ولكن وعاء تاريخه كان حافلا بكل الهوان • فقد كان أبوه الوحيد فى القرية الذى لا يستطيع أن يقول انه فلاح • ثم هو لا يستطيع أيضـــا أن يفصـــح عن وظيفته الحقيقية • والقلم أيضا لا يستطيع أن يكتب هذه المهنة فان سنه لم يتعود أن يخط حروف هذه الصنعة متلاصقة • وللقلم مثل الانسان حد يقف عنده لا يعدوه وهو قادر أن يقف بصاحبه حيث يشاء • فان للقلم جفوة لا يملك الممسك به الا ان يخشاها فان العلاقة بين القلم وصاحبه لابد أن يسودها الوئام والتوافق والا فويل لكل منهما من صاحبه • فحياة كل منهما تعتمد على الآخر كل الاعتماد • فلا حياة لممسك القلم بغير القلم • ولا حياة للقلم بغير صاحبه •

ولهذا أرانى مضطرا أن أصف لك موقف القرية من العزونى دون أن أذكر المهنة التى يمتهنها •

فكل رجل فى القرية يحرص أن يكون حديثه الى العزونى فى خفية عن الأعين وويل للرجل من زوجته كل الويل اذا هى سمعت ان جملتين من حوار اكتملتا حديثا بين زوجها وبين العزونى •

وقد نشأ حنفى بن العزونى وهو يرى أباه منبوذا من القرية جميعا • قصيا عن أهلها • لا يحادثه أحد منها الا همسا • وفى غيبة كل العيون • وحين كان حنفى طفلا لم يكن يدرك سر أبيه • وحين ذهب الى المدرسة وجد نفسه منبوذا من أطفالها • يعرضون جميعا عنه ويرفضون حديثه اذا توجه به اليهم فرادى أو جماعات • وكان المدرسون أشد قسوة من التلاميذ فى معاملاتهم له • وتعلم القراءة والكتابة وسر أبيه ما زال مجهولا بالنسبة اليه وأصبح الطفل صبيا يملؤه نشاط الصبا ولا مكان لمنشـطه ولا ملعب له مع الأطفال فيجرى فى الحقول لغير غاية ويقف لا يدرى لماذا وقف ويجلس ولا يدرى لماذا جلس • ويقصد الى ملاعب الأطفال فى الأجران فيقف منهم بمرقب لا يجرؤ أن يعرض عليهم المشاركة فى اللعب فقد طالما حاول ذلك فواجهه الصدود والرفض •

واخيرا اطلع الفتى على سر أبيه · ثم ما لبث ان أصبح أبوه يجعله يقوم بالعمل عنه · وأتقن الصنعة بكل ما يحيط بها من احتقار ومذلة · وخلا بنفسه يوما · كم هو غبى أبو العزونى هذا · ان الصنعة التى يمارسها لا تصلح فى قرية · فالقرية مجتمع مقفل كل شخص فيهـا مكشوف الجوانب للجميع · وعائد هذه الصنعة فى القرية ضئيل الشأن · فأى معنى اذن لبقاء أبيه فى هذه القرية · ربما قال أبوه لنفسه انه فى القرية محقور الشأن ولكنه أيضا يعرف زبائنه وسيصبح من العسير عليه أن يتعرف على زبائن فى المدينة والمهنة تقوم على معرفة رغبة عند قوم تجد قبـولا عن قوم آخرين · فمعرفة أصحاب الرغبة وأصحاب القبـول هى أساس المهنـة · وهذا يصحب رأس ماله الضخم هذا الى المدينة · فهناك ينماع احتقاره فى تيارها وأمواجها الصاخبة وهناك كل انسان له شأن يغنيه · وهناك لا يسعى كل انسان الى معرفة أسرار الآخرين · وان حاول فنصيب محاولته ــ أغلب الأمر ــ الفشل والاخفاق ·

لقد ذهب حنفى مرات الى القاهرة · وأقام فيها عند خالته فوجدها لا تدرى عن مهنة أبيه فى القرية شيئا · وجد زوج خالته يجهل شأن أبيه كل الجهل · وقد انساب حنفى فى الجموع وعرض صداقاته على الجلسـاء فى المقـاهى فما وجد اعراضـا وما صـده رفض وما سأله احد ما صناعتك أو صناعة أبيك · وعرف حنفى فى القاهرة مكتبات سور الأزبكية واشترى ألف ليلة وليلة وقصص عنترة وأبو زيد الهلالى سلامة والأميرة ذات الهمة ولم يرتفع مستواه الى أعلى من ذلك ·

وصحب هذه الكتب الى القرية وانغمس فيها يكب عليها فى الأوقات التى لا يقوم فيهـا بعمل أبيـه · ومن الطبيعى أن تكون أوقات القراءة متطاولة متسعة لأن أوقات العمل بطبيعتها ضئيلة منكمشة ·

وهكذا لم يكن غريبا أن ينكر على أبيه بقاءه فى القرية · ولم يكن عجيبا أن يصحب حقيبته وليس بها الا شبه ملابس ويتجه الى القاهرة ·

ذهب الى خالته · وأدركت أنه ينوى الاقامة · وفدحها الأمر · وأدرك انه غير مقبول · وان الترحيب الذى كان يجده فى زيارة يومين أو ثلاثة أو أسبوعا لن يجده فى اقامة غير نازح ·

ونزل الى الطريق يحس انه بالصنعة التى أتقنها وتلقاها عن أبيه أقوى الناس جميعا · ومن يستطيع أن يبارى منعدم الكرامة فى القوة والمنعة ·· ان الناس ــ سائر الناس ــ لديها بقية من حياء أو اثارة من خشية ان تذل لهم كرامة أو يوجه اليهم سباب · ولكنه هو بما وهبته صنعته وصنعة أبيـه وبما احتقره الناس جميعا فى مأمن كل مأمن أن

يستطيع أحد النيل من كرامته فلا كرامة له حتى تنال • أو الغض من شأنه فلا شأن له حتى يغض منه انسان •

ذهب الى مقهى وجلس اليها ولاحظ ان الباب المجاور للمقهى مفتوح على مصراعيه يلفظ الناس ويبتلعهم لا يمل فهو فى حركة دائبة وفى شغل شاغل ، ترك كرسيه ونظر الى اللافتة المعلقة بجانب الباب « مجلة الفنون والسياسة » تقدم الى رجل جالس على دكة بجانب الباب :

ـ الا تحتاجون لعمال ؟

ـ أى نوع من العمال ؟

ـ أى نوع تريد ؟

ـ هل تجمع الحروف ؟

ـ أتعلم ••

ـ ومن سينتظرك حتى تتعلم •

ـ أنا خدام نعليك ، أى شغلة وأجرك عند الله •

ـ تسمع الكلام •

ـ قبل ان تقوله •

ـ تعمل قاهيا ؟

ـ وأقل من ذلك نعمة •

ـ تعرف كيف تعمل القهوة ؟

ـ والشاى •

ـ ادخـــل ••

وعمل قاهيا بالجريدة • وما هى الا أيام حتى أتاحت له مهارته أن يمارس صنعته وصنعة أبيه ، وما هى الا شهور حتى فرض نفسه كاتبا بعد ان أصبح يملك فى يديه أسرار كثير من المحررين والمحررات أيضا وما هى الا شهور أخرى حتى أصبح على صلة بسلاطين العصر ومارس معهم الصنعة التى يجيدها • وكبر شأنه وطغى وتجبر وأصبح هو وحده من يتحكم فى الجريدة وكان أول شىء صنعه أن طرد البواب الذى مكنه من الدخول الى الجريدة •

وتغير العهد ووجد حكام العهد الجديد مخزيات تدور حوله تتصل بالأمانة أول ما تتصل ووجدوه أيضا قد تآمر على سلامة الدولة وقبضوا عليه ومثل أمام المحققين فكان أول شيء قاله :

ـ ماذا يأخذ الريح من البلاط ؟

ـ انت أمام النيابة ولست فى كباريه ٠

ـ أنا لم أقل شيئا ٠

ـ فما هذا الريح والبلاط ؟

ـ يا بك أنا أسفل انسان فى الدنيا وليس يهمنى أى شيء ممكن أن تحكموا به ٠ المؤكد اننى لن أشنق لأننى لم أقتل أحدا ٠

ـ بل قتلت ٠

ـ أنــا ؟!

ـ قتلت كرامة مهنة المفروض أن تكون أشرف مهنة ٠

ـ هذا الكلام لو كان عندى شرف ٠ ومن أين ٠ أنا يا بك مهنتى هى قتل الشرف ٠ ولما كان الشرف معنى وليس شخصا فلا يمكن أن تكون العقوبة هى الاعــدام ٠ وما دمتم لن تطالبوا باعدامى فافعلوا بى ما شئتم ليس شيء فى الوجود يستطيع ان ينال منى ٠

لم تجد النيابة شيئا تستطيع أن تفعله ٠ فوكيل النيابة الذى كان يحقق معه قديم ٠ ومر به من المتهمين أنواع وأنواع ولكنه لم ير فى حياته مثل هذا الشيء الذى يقف أمامه ٠

فى قرف شديد وجه التهمة ٠ وصدر الحكم ٠ وسجن حنفى العزونى وخرج من السجن كأنه لم يدخله ٠ فان يكن السجن تأديبــا وتهذيبــا واصلاحا ٠ فهو كذلك لبنى آدم الذين مر الشرف ببيوتهم أو عرفوا الكرامة فى يوم من الأيام أما حنفى العزونى فبلاط وهيهات لرياح العالم جميعا ان تنال من البلاط شيئا ملحوظا ٠ ولكن فى يوم من الأيام ومع كثرة مرور الرياح لابد أن يصبح البلاط رمادا هشا عدما من العدم فمهما يكن البلاط قويا بحقارته فان الحياة أقوى بسموقها ٠

الأهرام ١٩ اغسطس سنة ١٩٨٤ م :

الخداع الحبيب

شاهدت فى لندن مسرحية تدور أحداثها حول زوجة تحب صديق زوجها الذى يعمل كاتبا للمسرح والتليفزيون · ولا يجد الزوج مفرا من ترك زوجته ويتزوجها الصديق الكاتب · والزوجة نفسها تعمل ممثلة · وموضوع المسرحية يتناول هذه العلاقة مع علاقات آخرى جانبية وان كانت مؤثرة فى أحداث الرواية ·

والموضوع فى ذاته ليس جديدا كما ترى · ولكنك تعلم - لا شك - أن الفن توقف عن اعطاء الموضوعات الجديدة منذ قرون وانما الجديد فيه هو التناول وقديما قال عنترة العبسى فى الجاهلية « هل غادر الشعراء من متردم » فاذا كان الشاعر قد يئس منذ خمسة عشر قرنا من الزمان أن يجد معنى جديدا فكيف يمكن أن نتصور وجود موضوع جديد فى أى عمل أدبى بعد مرور كل هذه القرون وبعد أن وجدت أيضا الميادين الجديدة من مسرحية الى رواية الى قصة قصيرة لم يكن الأدب العربى يعرفها ·

فليس عجيبا اذن أن يكون موضوع المسرحية التى أروى لك عنها قديما وانما أردت أن أكتب لك عن طريقة التناول فقد يخيل اليك اذا شاهدت المسرحية أنك تشاهد حياة حقيقية تجرى فى مألوف أيامنا ·

والممثلون يقومون بأدوارهم وكأنهم يتكلمون فى حجرات بيوتهم · هذا أيضا ليس جديدا · ربما كان الجديد بالنسبة لى هو الطريقة التى يغيرون بها المناظر ففى لحظات أو أقل تكون المناظر قد تغيرت فى سهولة ويسر معتمدة اعتمادا كليا على الكهرباء ·

وما كان هذا جميعا يدعونى أن أجشم نفسى عناء الكتابة وأجشمك عناء القراءة ·

وانما أعجبنى حوار فى المسرحية بين الممثلة الزوجة وبين المؤلف بعد أن أصبحت زوجته ·

ويدور هذا الحوار حول موقف الكاتب من كتاب عصره الذين يكتبون فى نفس الميدان الذى يكتب فيه · ويتصاعد هذا الحوار بين الاثنين بصورة

طبيعية ولكنها تتسم بالعمق والصدق الى حد بعيد وكم كنت أتمنى أن يكون النص بين يدى لأنقله اليك ولكن ربما كان أجدر بى وبك أن نلقى نظرة الى المعنى العام الذى يتطور اليه فمؤداه أن كل كاتب يعتقد أن أسلوبه هو الأسلوب الأعظم ولكن الأدهى من ذلك والأسوأ أنه يعتقد أن كل الأساليب الأخرى التى يكتب بها زملاؤه لا تصلح للتعبير عما يريدون قوله للقراء ٠

ويقول الكاتب لزوجته ان الكتابة أشبه شىء باصابة هدف كرة بمضرب مصنوع خصيصا من الخشب ٠ والكاتب هو الذى يصنع هذا المضرب ويصنع أجزاءه الواحد بجانب الآخرفى مهارة فائقة وفى صبر وفى عناية بكل قطعة صغيرة من هذا المضرب حتى يكون واثقا أنه حين يضرب به الكرة ستصيب المكان الذى أراده لها ٠ وتقول له زوجته وكيف عرفت أن الكتاب الآخرين لا يقومون بهذا الجهد من وجهة نظرهم هم فكما أن كل لاعب له طريقة فى ضرب الكرة فكذلك كل كاتب له طريقته فى كتابة مسرحيته وليس من المعقول أن تظن أن المسرحية أن لم يكتبها كاتبها بالطريقة التى تكتب بها أنت فهى لا تستحق أن تخرج الى الناس ٠ وقد بدأ هذا الحديث بينهما بمناسبة تعليقه على مسرحية لزميل له تقوم هى بتمثيلها ولهذا تجده يصف كاتب هذه المسرحية بأنه لا يعرف أصول اللعبة وأنه لم ينضج ولا ينتظر أن ينضج لأنه لا يقوم بالجهد الذى ينبغى عليه أن يقوم به وتقول له زوجته من أين عرفت الجهد الذى بذله حتى تحكم عليه ٠ انما أنت كاتب يخيل اليك أن الكتاب الآخرين ان لم يجعلوا منك مثلهم الأعلى فهم ليسوا كتابا واذا جعلوا منك مثلهم الأعلى وهذا مستحيل طبعا ستصفهم بأنهم يقلدونك ويسألها الكاتب أليس طبيعيا أن يكون كل كاتب راضيا عن الاسلوب الذى يكتب به فتقول بل لابد أن يكون راضيا بشرط الا يرفض الكتاب الآخرين ٠

وأخرج من هذا الحوار وأنا معجب لهذه الدقة التى تحراها المؤلف فى وضع الكلمات على شفاه شخوصه ٠ وانتبه الى أن القراء أعظم خبرة فى القراءة من كثير من الكتاب ولا أقول من كل الكتاب ٠ فالقراء بنظرتهم يدركون المزايا والعيوب التى يتسم بها كل كاتب ويحبون كتابهم بمزاياهم وعيوبهم على السواء أو يرفضونهم اذا لم تلتق أذواقهم بالأسلوب الذى يكتب به بعض الكتاب ٠

وهذا التنوع فى المذاق هو الثراء الحقيقى للأدب ٠ فلو ان القراء جميعا كانوا بذوق واحد لما وجد فى أدبهم الا أديب واحد فى كل فن من الفنون فلن يوجد الا شاعر واحد ومسرحى واحد وروائى واحد وقصاص واحد ، ولن يبلى أدب بأسوأ من هذا أبدا ٠ انما جمال الأدب أن يكون

كل أديب فيه بمذاق خاص · واحسب انني نفسي من هؤلاء الكتاب الذين يعجبون بأدب غيرهم مع أنني أعرف انني صاحب أسـلوب خـاص بي لا يشاركني فيه أحد · وليس هذا فضلا ولا هو عجيبة فكل كاتب كان قارئا قبل أن يكون كاتبا · وقد تكونت عندنا حاسة القراءة قبل أن نتجرأ على الكتابة · ولست وحدي بين الكتاب الذي يتمتع بقراءة الآخرين من زملاء فنه · بل ان كل أديب كاتب استطاع أن ينجو من الغرور والشعور بالتفرد بالقمة يستطيع أن يجد المتعة التي نجدها عندما نقرأ للآخرين · وانني أعتقد أن خبرة الكاتب تمكنه أن يضاعف متعته اذا وجد فيما يقرأ ما يعجب به · وهي أيضا وفي نفس الوقت تجعل غضبه أكثر حدة وعنفا اذا وجد مالا يرضى عنه ·

والكاتب · حين يقرأ يعمـل · والقـارىء حين يقرأ يتمتع وهذه ضريبة فرضها علينا عملنا في ميدان هذا الفن الذي يغدق علينا ألوانا من المتعة الروحية والذي يقسو علينا في كثير من الأحيان بألوان من العذاب لا يعرفها غيرنا · وقد يقول قائل ان لكل عمل في العالم متعته وعذابه · وهذا حق · ولكن هذا القارىء لو عرف الجهد الذي نبذله والشقاء الذي نلاقيه في معالجة الفكرة وملاحقتها والاحاطة بها والتعمق فيها ثم في محاولة تقديمها فنا خالصا للقارىء يستقبلها في استمتاع أحيانا أو في سخط أحيانا أخرى · لو عرف القارىء هذا الجهد لعلم أن شعورنا الذي نحس به أننا قلنا شيئا يستحق ان يقرأ شعور نعتبره نحن كل جزائنا ونسعد به غاية السعادة · لعلم أن هذه المهنة التي اختارها لنا المولى جل وعلا فيها من البذل أكثر بكثير مما ينال منها صاحبها لو كانت المقاييس في الحياة قوامها المادة وحدها ·· أما نحن فنحمد الله أن الموازين عندنا في نفوسنا أبعد ما تكون عن الحياة المادية · ونحن أعلم الناس أننا في هذا نخادع نفوسنا ولكن من رحمة الله بنا أننا أسعد الناس بهذا الخداع ·

الأهرام ٢٦ أغسطس سنة ١٩٨٤ :

طلب عاجـل

رأيت فى لندن مسرحيتين كنت أحب أن أكتب لك عنهما فقد أثارتا فى النفس كثيرا من المشاعر هى خليط من الاعجاب والأسى ومن السعادة والحزن وحين تهيأت للكتابة جاءنى فى الفندق الذى أقيم به صديق يعمل بالفندقة فتركت الكتابة وراح الحديث يجرى بينى وبين الصديق القديم.

وكان طبيعيا أن يسوق الحديث نفسه الى كثرة أخواننا العرب فى لندن فهى كثرة فادحة كنت قد سمعت عنها ولكن ليس من رأى كمن سمع فالذى شهدته أكثر بكثير مما سمعت به وأكثر بكثير مما تصورته .

أنهم فى كل مكان .. حيثما تقصد ستجد منهم جموعا حاشـــدة تعرفهم بسماهم اذا لم يتحدثوا وتعرفهم بملابس الســـيدات اذا كانت السيدات بصحبتهم . هناك ثلاثة أمكنة لم التق فيها بعربى واحد .

أولا : المسرح .. وقد ذهبت الى مسارح عديدة فى لندن وانى لعلى يقين كامل أننى فى كل المسارح التى قصدت اليها لم أر عربيا واحدا ولا سمعت كلمة عربية واحدة .

وأما المكان الآخر فهو المتاحف فهى أيضا خالية من اخواننا العرب تمـــاما .

وأما المكان الثالث فهو المكتبات فهى أيضا خالية تماما من زوار لندن العرب . حتى مكتبة الأخ الصديق الأستاذ محمد المعلم الحافلة بالانتـــاج العربى والاسلامى لم أصادف فيها أحدا من العرب . ولقد مكثت بها قرابة الساعة . ولكن ربما كان هذا من قبيل الصدفة فالأستاذ المعلم عالم فى فن النشر والمكتبات ولو لم يكن له زبائن ما فتح هذه المكتبة العظيمة فى قلب لندن وليس فى هذا الذى أرويه لك مأخذ على أخواننا العرب . فهم فى لندن فى أجازة ومن حقهم على أنفسهم أن يمارسوا أجازاتهم بلا محاولة للاطلاع على المسرح أو المتاحف والمكتبات .

وان بعضا منهم أيضا جاء للاستشفاء . وان من حقهم على أن أذكر اننى رأيت مع الشباب كثيرا من الأمهات اللاتى يرتدين الملابس العربية التقليدية . وهذا الوفاء للامومة هو فى ذاته أمر جدير بكل اكبار وتعظيم .

وان كان الجيل الماضى فى دول البترول قد فاته أن يتعلم اللغات الا أن : ذواقة للشعر من الطبقة الأولى ٠

عسير على أن أذكر الأمثلة ٠ ولعلك فى دهشة من أمرى اليوم ما الذى يدعونى الى هذا الحديث ولو صبرت نفسك بضعة أسطر أخرى لعلمت أننى قلت ما قلت لك اعتذارا عما رواه لى الصديق الذى يعمل بالفندقة والذى شرفنى بالصحبة وأنا أتهيأ لكتابة هذا المقال ٠

لقد روى عجبا ٠ قال ٠ دق جرس التليفون بمكتبى بالفندق الذى أعمل به واذا المتحدث نزيل عربى من أصحاب الثراء الواسع وقال :

ـ أريد عشرة آلاف جنيه استرلينى جميعها من ذات الجنيه الواحد٠

وذهلت للطلب وقلت له ٠

ـ ولكن هذا أمر غير ميسور التحقيق فور طلبه ٠

ـ ولهذا كلمتك فأنت تذلل جميع الصعاب ٠

وصمت لحظات وقلت فى نفسى ربما أراد الثرى العربى أن يوزع على العاملين بالفندق جميعا هبات من ذات الجنيه الواحد وان من واجبى أن أسارع بتلبية طلبه حتى لا أمنع خيرا سيعم على العاملين جميعا ٠ وقلت له ٠

ـ أعطنى نصف ساعة ٠

ـ لك هذا ٠ ولكن أسرع بربك ٠

وتعجبت من العجلة وساورنى فى موضوع الهبات بعض الشك فالهبة تستطيع أن تنتظر أكثر من نصف ساعة لا شك وهى حبيبة الى من ينالها فى أى وقت ينالها ٠ ولكننى راجعت نفسى وقلت لعله نذر يحب أن يوفيه فى موقته ٠

أرسلت سيارة الفندق الى البنك الذى نتعامل معه وكلمت صديقا لى فى البنك أن يعد المبلغ وأرسلت مع السيارة صندوقا يستطيع أن يتسع لهذا المبلغ الضخم ٠

وجاء المبلغ فى موقته وكلمت الثرى العربى وبشرته بتحقيق رغبته ٠ فقال ٠

ـ اصعد مع الصندوق فانك سترى ما لم تر فى حياتك وما أعتقد أنك لن تراه أبدا ٠

ـ أنا آت مع الصندوق ·

ودخلنا الغرفة ووضع الحمال الذى معى الصندوق الى جانب الثرى وانصرف · وقال الثرى ·

ـ أقعـــد ·

فقعدت ووجدت معه صديقا عربيا ثريا آخر · ووجدت بجانبـــه صندوقا آخر وبالصندوق أوراق من ذات الجنيه الاسترلينى قريبة العدد مما أحضرته من البنك فى نصف الساعة وحين استقر بى المجلس قال الثرى العربى ·

ـ سترى عجبـــا

قلـــت

ـ خيرا

ـ ان بهذا الصندوق الذى بجوار صديقى عشرة آلاف جنيه مثل التى تفضلت باحضارها ·

ـ عظيـم

ـ فكرت أنا وصديقى أن نشرب أنا وهو وأنت أغلى فنجان قهوة فى التاريـــخ ·

فكدت أفهم ولكن عقلى أبى أن يصدق · وأكمل الثرى العربى ·

ـ سنحرق هذه الآلاف العشرين من الجنيهات الاسترالينيـــة تحت كنكة قهوة بها ثلاثة فناجين واحد له والثانى لى والثالث لك فتكون قد شربت أغلى فنجان قهوة فى التاريخ ·

قاطعت صديقى قبل أن يكمل وصرخت صرخة روعت الجالسين فى القاعة وأنا لم أصب فى حياتى حتى الآن برصاصة فى جسمى ولكننى أشعر اننى لو أصبت بها ما صنعت بى هذا الذى صنعته رواية صديقى · وحين امتلكت أمر نفسى أكمل صاحبى قصته وان كانت قد انتهت لم يبق منها الا أن صاحبى قال لهذا المخترع العظيم الذى أستحدث بعبقريته أغلى فنجان قهوة فى التاريخ ·

ـ أسمح لى يا سـيدى · هذه قهوة لا تسـمح لى انسانيتى أن أشربهـا ·

وانصرف صديقى · ولهذا اكتملت قصته جميعا ·

وبعد فأنا رجل صناعتى أن أعلق على الحياة ولكن ما أحسب أن أحدا من صناعتى مهما يكن مالكا لقوة التعبير وثراء الكلمة يستطيع أن يعلق على هذا الذى رواه لى صديقى ورويته لكم الا أن نسأل الله لقومنا الهداية فهو سبحانه وحده على ذلك القادر جل شأنه ·

الأهرام ٩/٥ سبتمبر سنة ١٩٨٤ :

بل يرحمك أنت

عائد الى القــاهرة وفى جعبتى أحاديث عن مشاهداتى خارج مصر فاذا بى أجد جريدة الأخبار تطالعنى بمقالين جعلانى أتـرك ما فى الجعبة لشأنه وأنظر شأن هذين المقالين ٠

أما المقال الأول الذى حتم على أن أكتب فيما لا أحب ان أكتب فيه فهو مقال الشتام المحترف ، الكاتب الكبير سابقا جلال الحمامصى ٠

وقد أردت أن أقدم الحديث عنه على رغم انه متأخر فى النشر عن المقال الآخر ٠ وذلك لأن الشتام المحترف تطاول على اتحاد الكتاب ذاته ولست أدرى كيف سولت له نفسه أن يهاجم اتحادا يضـم جميع كتاب مصر ويبلغ عدد أعضائه السبعمائة ٠ لكن يبدو أن الشيخ خرج عن وقاره وفقد الحس الصحفى لما وجد نفسه يشتم الناس كل يوم ولا يعيره أحـد التفاتا ولا يحفل انســان بشـأنه وقد كنت خليقا أن أصنع صنيع الناس وأسقط أمره مع ما نسقط من تافه الأمور وهين الكلام لو أنه تطـاول على وحدى ٠ فأنا كشخص أستطيع أن أقبل هذا لأننى أعمل بالحياة العامة ومن شاء له الله أن تكون هذه صناعته فعليه أن يتحمل السخيف من الحديث والتافه من القول ٠

أما ان يزين له اهتزاز الفكر ان يتناول اتحاد الكتاب جميعا فأمر أنا لا أملك السكوت عليه ٠ حتى وان كان الصحفى أصبح شتاما محترفا يشتم ذات اليمين وذات اليسار وذات المغرب وذات المشرق وهل أدل على ذلك من أنه أقام من نفسه شيخ طريقة فى زفة الكاتب الشيوعى يوسف ادريس الذى وصف حرب ٧٣ بشهدائها ودماء مصر التى أريقت فيهــا وبما حققته من نصر هو المعجزة بأنها تمثيلية ٠ منذ متى أصبح الحمامصى شيوعيا ونحن نعرف سيرته جميعا وشهدناه فى أغلب مراحل حياته يمينيا متطرفا ٠ حتى حين فشا طاغوت الشيوعية رأيناه مختبئا فى جحر مذعورا هالعا فى سراديب الأهرام لا يجرؤ أن يصدر عنه حرف من كلمة حتى وان كان همسا بينه وبين نفسه حين كنا نحن نضع رؤوسنا على أكفنا ونكتب ما كتبنا ٠ ثم هو يتجرأ اليوم فيرمينى أنا اننى أتقرب لوزير ٠

أيها الشيخ • اذا كنا لم نتقرب للطغيان بذهبه وجبروته والعهد قتل واعتداء على الأعراض والأنفس والكرامات أنتقرب اليوم لأحد والعهد سلام وأمن وطمأنينة انك أنت الذى تريد أن تقيم من نفسك بطلا • ولكنك تعلم انه الزيف بذاته ما تصنع • فلن يمسك اليوم مكروه فانت اليوم من حضن القانون فى سلام أمين •

فما هذا المولد الذى تقيمه ليوسف ادريس • ولقد شهدنا الموالد لأولياء الله الصالحين وللعارفين بالله تقام لأسبوع أو عشرة أيام فما لمولد الشيوعيين لاينفض ومالك يا أستاذ جلال قد اخترت لنفسك أن تصبح شيخ المولد وزماره ورواده والمحتفلون به وخليفة المولد كلهم ملحدون • وشيوعيون •

مالك تفعل ذلك الا أن تكون أصبحت شتاما محترفا تحارب لحرب الحرب بأمل سخيف ان تجعل من نفسك بطـلا فى غير مكان أو زمـان لبطـولة •

ولقد كتبت لك قبل اليوم ان اتحاد الكتاب لم يتحرك حين قامت الأعاصير على أعظم كاتب فى العربية اليوم وكان حينئذ رئيس اتحاد الكتاب أستاذنا وأستاذ الأجيال توفيق الحكيم •

الاعتداء على حق أدبى له • ولغير ذلك لا يتحرك العملاق الذى يضم أكبر كتاب الجيل مع شباب الأدباء وأساتذة الجامعات وعلماء الأدب • ان هذا البناء الضخم الذى قلت عنه يرحمه الله لا يهتز الا لما يتفق وجلاله وضـــخامته •

بل حتى لا يهتز لهجومك عليه ولا حتى لكلمتك التى ختمت بهـــا مقالك بما تحمل من اشارات غاية فى الحقارة وسوء القصد •

أطلب من الله ان يرحمك أنت فأنت فى حالك التى صرت اليهـــا أحوج للرحمة من اتحاد الكتاب الذى يستظل بروح الله سبحانه وتعالى والذى يواجه القادم اليه مسجد يذكر فيه اسم الله وتقام فيه الفروض •

فالاتحاد فى غير حاجة لدعائك • وأنت فى أشد الحاجة لدعاء قرائك الأقدمين والمحدثين جميعا • أجل يرحمك الله •

أما المقال الثانى فهو لصاحب المولد • أو الزفة •

فقد تفضل الدكتور يوســـف ادريس فشتمنى وأنا أعتبر المذمة الآتية من الدكتور يوسف ادريس شرفا لا أستحقه ناظرا الى بيت المتنبى الذى قال منذ ألف عام شارحا فيه هذه القضية • وأنا أحفظ البيت كما يحفظه من يعرف العربية ويستطيع الدكتور يوسف ادريس أن يسـأل

عنه أى صديق له يتكلم العربية وسيروى له البيت أما أنا فلن أروى البيت لأن مدح النفس مستحب من الشعراء بغيض الى الناس اذا جاء من غيرهم ٠

وهكذا كنت خليقا ان أغضى عينا عن مذمة الدكتور يوسف مطمئنا انها منه هو مديح ٠

ولكننى عجبت لكلمة جاءت فى مقاله والعجب من الدكتور يوسف أمر أصبح غير جائز فكل شىء منه طبيعى متسق مع ما يعرفه عنه الجميع فالأمر الذى يدعو الى العجب منه لابد ان يتفوق فيه على نفســـه فى غير المعقول ٠

قال الأستاذ الدكتور يوسف ادريس اننى أحقد عليـــه وتلك هى الجديدة التى طالعنا بها الأستاذ الدكتور يوسف أدريس ٠

فأى شىء وأى خصيصة من خصائصه تدعو أى انسان مهما يكن صغير الشأن هين النفس أن يحقد عليه ٠ أنا لا أتصور ان الدكتور يوسف ادريس يمكن أن يثير حقدا فى نفس أى انسان فى العالم ٠

وأنا أعلم ان الدكتور يوسف ادريس مغرور الى درجة يعتبر معها انه فريد فى غروره وحيد فى هذا الباب لا يقاربه فى ذلك أحد ٠ وأنا أعرف انه منذ بدأ حياته يجهد نفسه غاية الجهد ويحرج أصدقاءه الصحفيين كل الحرج لتنشر أخبار عنه دون ان يسمح حتى لهؤلاء الأصدقاء من الصحفيين ان يتحققوا مما يرغمهم على نشره ٠

واعلم انه أحرص ما يكون الانسان الجرىء ان يكون القمر فى كل جريدة والنجم فى كل حفل والبؤرة فى كل عين ٠

واعلم أنه أحرص ما يكون الانسان أن يكون عريس كل زفة حتى ولم تكن فى يمينه عروس من عمل أدبى أو فكرى ٠٠

أعلم هذا جميعا ومع ذلك عجبت كل العجب أن يتصور انه يثير حقدا فى نفس أى انسان ٠ وحين قرأت هذا قلت أبحث فى نفسى لعل حقدا داخلها فأنا أعرف اننى لم أحقد قط على انسان مهما تكن شهرته أو جاهه أو ثروته أو نجاحه وأحسب اننى وقد بلغت ما بلغت من السن أصبحت ناجيا من هذا الداء ٠

الأهرام ١٩٨٤/٩/٣٠ م :

المسرح عندنا وهناك

ذهبت الى مسرحية فى لندن ما كدت أمضى فى مشاهدتها بعض الوقت حتى خطر لى خاطر يدعو الى الدهشة والعجب • أما ان هؤلاء الانجليز متأخرون فى فن المسرح الى درجة تدعو الى السخرية والاستهانة • واما ان العمالقة القائمين على المسرح عندنا يعيشون فى عالم مسرحى آخر غير الذى يعيش فيه أئمة المسرح العالمى • والحقيقة اننى حرت أى الفرضين أولى بالثقـــة •

أما ان الانجليز فى عالم المسرح متأخـــرون ويدعون الى السخرية والاستهانة فالأمر يحتاج الى تفكير كثير • بل ان مجرد الحديث عن هذا الأمر يعتبر جرأة لا تجوز • فهؤلاء القوم منهم شكسبير أعظـم الشعراء المسرحيين وهؤلاء القوم نشأ المسرح على أرضهم منذ قرون وقرون • وهؤلاء القوم لا يمر عليهم يوم دون ان تكون فى بلادهم عشرات المســارح تقدم مختلف المسرحيات من شـــتى مذاهب وشتى الأفكار •• وهؤلاء القوم يعتبرون الثقافة • والثقافة المسرحية والروائية بالذات هى فخرهم الأصيل الذى يعتزون به ويتفاخرون أكثر من تفاخرهم بأنهم كانوا الى ما قبل الحرب العالمية الثانية الامبراطورية الأولى فى العالم التى لا تغيب الشمس عن الدول التى تحتلها •

فالفرض بأنهم متأخرون يحتاج منا الى وقاحة نعيذ أنفسنا ان نقع فيهـــا •

ولابد أن الفرض الثانى هو الأقرب الى المعقول بدليل أقفار الحياة المسرحية عندنا • لا نشاهد من المسرح الرفيع الا التصريحات والمهرجانات والندوات واللافتات المقامة على الفراغ • ويطمئن بنا الحال الى هذا فمادام المسئولون يصرحون وما دامت الجرائد تنشر المسرح قادم لا شك فى قدومه وكأنه جودو الوهمى — ما دام الأمر كذلك فالمسرح اذن قد قام والنصوص اذن أخرجت والممثلون قد مثلوا والمشاهدون قد شاهدوا •

والغريب يا أخى الغريب • ان عشرات المســارح تعمل فى لندن وحدها غير المسارح المنتشرة فى طول البـــلاد الضخمة وعرضها دون أى تصريحات حكومية عن هذه المسارح •

والأغرب يا أخى ان انجلترا ليست بها وزارة مسئولة عن الثقافة المسرح هو بعض اختصاصها ·

أما المسرحية التي شاهدتها والتي حدت بي الى هذه المرارة التي لا شك أحسستها فى سطورى هذه تجرى أحداثها منذ قرابة مائتى سنة وليس فى هذا شيء يدعو الى الدهشة فقد أكتب موضوعا حديثا غاية الحداثة واختار له زمنا موغلا فى القدم كل الايغال ·

ولكن الذى حرت فيه ان المسرحية نفسها ألفت ومثلت على مسارح لندن منذ قرابة قرن من الزمان · وهى مع ذلك لا تزال تعاد على مسارح لندن ويقوم الممثل المسرحى العالمى انتونى كويل ببطولتها ·

وموضوع الرواية من الموضوعات التى عرفها المسرح عندنا قبل الريحانى بأزمان ·· فتاة أحبت سكرتير أبيها وتزوجت منه وحملت ولكن الأب يريد أن يزوجها غنيا مثله وتدور أحداث المسرحية وينتصر الحب ·

والمسرحية بالغة الوضوح الى حد الطيبة ولا أحب أن أقول السذاجة فاسم الأب المحب للمال سترلنج وكان المؤلف لم يكتف بأقوال أشخاص المسرحية وبحديثه هو عن المال وانما أراد أن يؤكد للمشاهد أنه فى حبه للمال قد وصل حتى ان أباه أسماه استرليني · والسكرتير اسمه لف ول والاسم ، يوحى بالحبيب المحبوب · فالمؤلف لم يكتف بأن تقع ابنة السيد فى هواه الى درجة الزواج منه وانما يؤكد ذلك أيضا باسمه الذى يلصقه به ·

وقد كنت جديرا بأن تقول لى ومالهم لا يمثلون ما يشاءون ومالهم لا يقدمون ما يحلو لهم من السذاجة فان أحدا لا يشاهدهم ·

وأنا معاجلك فمخبرك اننى لم أجد كرسيا خاليا فى المسرح · كما ان اشتراك انتونى كويل فيها وهو من أعظم ممثلى المسرح واشترك فى كثير من الأفلام التى شاهدناها دليل على أنه راض عن النص ·

وقد تسأل وفيم رضاؤه ؟ ان رضاءه كامن فى هذه المسرحية والمسرحيات التى ألفت معها وعرضت متزامنة لها تمثل فترة من فترات المسرح الانجليزى ·

والأهم من ذلك انك تجد نفسك سعيدا وأنت تشاهد المسرحية وهكذا يجد المشاهدون الكثيرن أنفسهم سعداء أيضا والا لما أقبلوا هذا الاقبال على المسرح الذى يعرضها · هم سعداء رغم كل التغيرات التى حدثت فى الأشكال المسرحية وفى المذاهب الفنية والذى لا شك فيه ان الفن اسعاد على أى لون له · هو اسعاد حتى وان كان غاضبا متشائما ·

لأنك ستسعد حينذاك بالفن وببراعة العرض الفنى سواء كان ذلك فى المسرحية أو القصة أو الرواية ·

أما فى مسرحيات هذه الفترة فانك ستسعد بطيبة النص وبساطته وكأن النص تلقيه جدة الى حفيدها قبل النوم فاذا اقترنت حكايتها بالاخراج العميق البسيط والتمثيل الرفيع فان المسرحية حينئذ تقفز من مجرد حدوته جدة الى فن سامق يستحق هذا الاعجاب وتسألنى وما شأن هذا بالمسرح المصرى لتعقد هذه المقارنة التى عقدتها فى صدر هذا المقال ·

الشأن كبير : ان المسرحيين عندنا يقولون اننا نفتقر الى النصوص· وأنا أعلم ان هذه دعوى باطلة فقد عملت فترة مستشارا بلجنة النصوص وقرأت أعمالا غاية فى الروعة وكلما ذكرتهـا ذكرت الآية الكريمة « واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » أين ذهبت هذه المسرحيات التى أقرتها اللجنة التى كنت أتشرف بعضويتها ، علم ذلك عند علام الغيوب ·

وأعود الى هذه المقارنة التى عقدتهـــا · وأقول للمسرحيين هاكم فانظروا · أليس فى كل ما قدمه المسرح المصرى من بداية الثلاثينات الى أوائل السبعينات ما يكفيكم من نصوص · أم تراهم سيقولون ان بعض هذه الأعمال نقلت الى التليفزيون ولن يقبـــل عليهـا الجمهور وحينئذ أستأذنهم فى أن أخبرهم ان التليفزيون بدأ فى انجلترا لا فى أمريكا وقد تم اختراعه فيها قبل الحرب العالمية الثانية وعطلت الحرب انتشاره ·

ويقولون ليس عندنا ممثلون يقبلون ان يعملوا فى المسرح لأن التليفزيون والسينما يقدمان من الاغراء المادى ما يجعـــل قبـول الممثل الظهور على المسرح أمرا بعيد الاحتمال ·

وانى أعجب هل هؤلاء الممثلون الكبار خلقوا كبـارا أم هم مثلهـم مثل خلق الله أجمعين كانوا أطفالا فصبيانا فشبابا فممثلين كبارا وان كان الأمر كذلك وما أحسبه الا كذلك فلماذا لا يفتح المسرح ذراعيـــه للخريجين الجدد من معاهد التمثيل ويتيح لهم الفرصـــة حتى اذا صاروا نجوما واستعصموا بالتليفزيون والسينما ونأوا بجانبهم عن المسرح كان هناك من بعدهم من يقف على المسرح · وسبحان علام الغيوب · قد نجد بين هؤلاء من يعتبر المسرح مكانه الأول ويقدمه عند المفاضلة على المال ولو ان هذا أمر بعيد المنال · ولكننى أحسب ان الممثلين فى لندن وباريس وفى جميع البـــلاد التى تقـــدم مسرحا رفيعا يعملون أيضـــا فى السينما والتليفزيون ·

وبعد فأنا لست حائرا ·· انجلترا دولة من أعظم الدول تقدما فى الثقافة أما نحن فالافتراض الثانى الذى بدأت به تفكيرى فى هذا المقــال هو الأخلق بنا ؟

الأهرام ١٩٨٤/١٠/٧ :

تحديد النسل والأمية

لم أر فى حياتى شيئا أكثر مضيعة للمال والجهد من هذه الحملة الدعائية لتحديد النسل • ولقد أعلم أن هناك هيئة خاصة تشرف على هذه الدعاية وتروجها • ولقد مرت أعوام عدة والدعاية قائمة على قدم وساق ولكن أثرها لايكاد يذكر • فقد عرفت أن هذه الدعاية أنتجت نقصـــا فى النسل بنسبة تدعو الى الرثاء ولا أكاد أذكرها من فرط تفاهتها وهى على كل حال قريبة من اثنين فى الألف من عدد المواليد لا أدرى فى اليوم أو الساعة • أمر لا يستطيع مثلى أن يفهمه أو يقومه وانما يستطيع أن يدرك بما لا يحتمل المناقشة أن هذه النســـبة تعلن أن الدعاية لا أثر لها على الاطـــلاق •

وأغلب الأمر أن الدعاية التى تهدف الى الاصلاح المالى أو الاجتماعى على المدى البعيد لاتنتج الأثر الذى تنتجه الدعاية التى تبشر بكسب عاجـل فنجد الناس يغضبون اذا خصم رئيسهم لهم مبلغا صغيرا من المال ويفرحون اذا جاءهم المولود السابع الذى سيكلفهم قدر ما خصم منهم آلاف المرات • وليس غضبهم عند الخصم غضبا أدبيا انما هو فى أغلب الأحيان غضب مادى ونجدهم يشغلون أنفسهم أياما كيف سيعوضـــون ما خسروه فى شهرهم هذا ولا يفكرون لحظة من أين سيرعون طفلهم السابع الذى أهل عليهم • ولهم فلسفتهم المتمثلة فى أمثال شعبية كثيرة هم مؤمنون بهـا دون تفكير منهم فيها أو تعمق لأبعادها :

واعتقادى الراسخ ان الدعاية التى تقوم اليوم لتحديد النسل لو أنها اتجهت الى التثقيف لكانت على المدى البعيد أجدى وأنفع ترى أن الأسرة المثقفة قليلة الانجاب بصورة قريبة من الاجماع وكذلك نجد الدول المتحضرة قليلة الانجاب لدرجة أصبحت معها قلة الانجـــاب عندهم هى المشكلة لا كثرته كما هو الحال فى الدول التى تفتقر الى الثقافة •

أما العلاج الحاسم الذى أتصوره لمواجهة زيادة النســـل فى مصر فيتمثل عندى فى القانون وليس فى الدعاية بأية حال من الأحوال •

أتصور أن يكون التعليم مجانيـا للطلفين الأول والثـانى ثم يصبح بمصاريف كاملة بعد ذلك •

وأتصور أن تنكمش التيسيرات التى تمنحها الدولة لمحدودى الدخل اذا كثر الأطفال بصورة تدريجية حتى يفكروا بعض الشيء على الأقل قبل أن يكثروا من الانجاب ٠

وقديما كان الفلاحون يرون أن كثرة الانجاب كسب لهم لأن الأبناء كانوا يعاونون آباءهم فى الحقل أما اليوم فالأمر مختلف كل الاختلاف والأبناء أصبحوا قنوات انفاق لا مثيل لها فى كل فنوات الانفاق ومع ذلك فان الكثيرين من الفلاحين لايزالون يرون أن كثرة الأولاد « عزوة » لأنهم نشأوا على هذه المقولة وعسير على الزمن أن يغير مانشأ عليه الانسان ٠

وأتصور ان يمنع التعامل بعد سنتين من صدور القانون مع الفلاح الذى لا يوقع اسمه ويعرف القراءة ٠ وان هذا القانون لو صدر سيجعل اخواننا الزراع يضطرون الى تعلم القراءة والكتابة ٠

وأنا لا أعتقد أن وسائل التعليم عســيرة أن العســير هو الرغبة والارادة فليس فى مصر أمى لا يعرف شخصا يجيد القراءة والكتـــابة ولو شاء أن يتعلم منه بارادة صادقة لبلغ ما يريد من أقرب طريق ٠ ولكن أذكر ان عاملا عين فى وظيفة غفير وقال له رئيسه وهو يسلمه العمـــل لو تعلمت القراءة والكتابة به فستنال خمسة جنيهات علاوة فاذا العامل يقول « أنا كويس كده » وكويس كده هذه هى العقبة الحقيقية التى تقف حائلا بين الأمى وبين التعليم ٠

مايو ١٩٨٤/١٠/٨ م :

القانون هو الأمل

قرأت وأنا في لوزان بيان السيد رئيس الوزراء وأشـــهد الله أننى سعدت بالجرأة التى اتسم بها البيان فى مواجهة ما تعانيه مصر • فمصر اليوم ومنذ سنوات تحتاج الى ان تواجه الحقيقة التى يعانيها اقتصادها • ومصر هى هذا الشعب وليست الشعارات المرفوعة على فراغ • فالأصوات العالية لا تعنى الحق • ولاتعنى العلاج للأزمة الاقتصادية الطاحنة التى نعانيها • وليس هناك دولة فى العالم تواجه أزماتها بالهتافات • وقد رأينا كيف سارت بنا هذه الهتافات الى طريق مظلم لابد فيه من نور الحقيقة •

فلن تحل الأزمة اذا لم يعرف كل فرد فى الشعب المصرى أننا فى أزمة وليس يجدى فى شىء أن نناشد الناس أن يراعـــوا هذه الأزمة • انما من المحتم أن تكون مواجهة الأزمات الاقتصـــادية بقوانين اقتصـــادية يسنها العلماء الكبار فى الاقتصاد ثم تطبق هذه القوانين فى دقة شديدة وهيهات أن يصدر قانون يرضى كل الناس • ولكن ما أيسر أن يصـــدر قانون يكون حاسما لنفع المجموع العام الذى هو الشعب المصرى •

وكم أضحك كثيرا حين أجد هذا الحديث الذى لا ينتهى عن الدعم• وكل الذين يحاولون أن يتملقوا الجماهير يصيحون أنه لابد للدعم أن يبقى وليس غريبا أن يجدوا عند الناس أو بعض الناس تجاوبا ، لصياحهم هذا!•

وأنا أضحك لأن هؤلاء الذين يكتبون وأولئك الذين يميلون ميلهم ويصيحون خلفهم جميعهم ينسون أن هذا الدعم من أموال الشعب وليس من أموال رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء •

أن الدعم معناه أن الشعب يدفع للشعب • وحين تطـــرح قضية الدعم فانما يقصد بهذا أن يكون الانتفاع بما يدفعه الشعب من دعم أكثر شمولا وأعم خيرا • فكيف يقوم فى الأذهان أن ينتفع بدماء الشعب العامل الذى يجهد أغلبه ليجد قوت يومه قوم لديهم سيارة أو سيارات وتليفزيون أو عدد منها وفيديو أو أكثر • ويصطافون فى أغلى أماكن العالم ويعرفون الأســعار العالميـــة والى أى مرتفع بلغت ثم هم فى مصر يأكلون العيش مدعوما والسكر مدعوما والزيت مدعوما والسجائر مدعومة •

الا فليعلم كل هؤلاء القادرين أن الذى ينتفعون به من الدعم انما هو دماء أخوانهم من أبناء الشعب المصرى •

وأنه لعجيب غاية العجب أن يقبلوا هذا على أنفسهم ، الا أننا لا نستطيع أن نوجه اليهم اللوم حيث أتيح لهم أن يمتصوا من دماء الشعب أموال الدعم هذه •

وكذلك الأمر بالنسبة للعمال الذين لايعملون لن تجدى معهم الخطب ولا الشعارات ولا الدعاية • وانما يجدى شيء واحد فقط وليس غيره • هو الثواب والعقاب • فينال المحسن مقابل احسانه ويلقى المسيء جزاء اهماله قد أجمع علماء الاحصاء والاقتصاد فى العالم على أن العامل المصرى أقل العمال انتاجا فى العالم تقريبا • وأقر فى نفس الوقت أنه من أمهر عمال العالم • فهو اذن يعرف كيف يتقن عمله ولكنه يكسل أن يقدم اتقانه لنفسه ولبلده مكتفيا بما ينال مستغلا كل الثغرات فى قوانين صدرت كيفما اتفق حاصلا على كل الاجازات التى يسمح بها القانون والتى لا يسمح بها وهى تتجاوز ثلث العام •

ولن ينجح الاقتصاد المصرى الا بقوانين تجعل الانتاج المصرى فى المستوى الذى تستطيعه مصر ولا نطالب بأكثر من ذلك وما ذلك بقليل •

وبعد فقد أحزننى فى بيان رئيس الحكومة شحوب البرنامج الثقافى فى البيان ومشكلات الثقافة لا حصر لها منها مشكلات الكتاب والمكتبات ومشكلات المسرح والرقابة على الأفلام والرقابة على الفيديو وغير ذلك مما لا يحصيه عدد وأننى لأرجو أن يعوضها وزير الثقافة فى بيانه مما هو متصل بوزارته كتب الله له التوفيق وأعانه على أداء واجبه •

مايو ١١/١٠/١٩٨٤ م :

الولاء والكفاءة

حين وصلت الى لندن تفضل الأخ الصديق الأديب الدكتور على شلش بزيارتي في الفندق • وأنبأني في استحياء انه لم يتنف خبر زيارتي عن الاذاعة البريطانية وان رئيس القسم العربي بها قد حدد لي يوم كذا لتجرى معي الاذاعة حوارا فاستسلمت لرغبته وذهبت في الموعد المحدد الى الاذاعة البريطانية ولم تكن مفاجأة لي ان يقفز الحديث الواحد الى أكثر من ستة أحاديث • واحتسبت الله في ان تكون أيامي في لندن أجازة أو قريبة من الاجازة • ولكن الله سبحانه وتعالى ما لبث ان شملني بلطفه وجعلني أحب ان أذهب الى مقر الاذاعة البريطانية بعد ان تعرفت بالدكتور صلاح نيازى المشرف على القسم الأدبي وهو عراقي الأصل لندني الاقامة الا انني اكتشفت ان بيننا أصرة قربى قوية الأسباب • فكلانا من الذين يعتقدون ان شوقي هو أعظم شعراء العربية في قديم الشعر وحديثه • وكلانا يحفظ الكثير من قصائد شوقي وتناشدنا وأحسب ان كلا منا جال في نفسه البيت المعروف :

أن يختلف نسب ، يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

وعلمت من الدكتور صلاح انه بسبيله الى اعتزال العمل المنتظم في الاذاعة ليتفرغ للتأليف • وربما ضقت بهذا النبأ فقد كنت أتمنى ان تظل هذه الشخصية الرائعة في هذا المكان الذي اعتبره غاية في الأهمية بالنسبة للأدب العربي • فان الاذاعة البريطانية استطاعت بقوة المواد الأدبية في القسم العربي ان تجمع حولها مستمعين في جميع أنحاء العالم العربي يحرصون على متابعة برامجها • ولكن من يدرى ربما يعوضنا الدكتور صلاح بمؤلفاته عما فوته علينا بتركه العمل في هذا المكان الأدبي الهام •

وكنا ونحن نناشد أبيات شوقي نقطع حديثنا بدخول سكرتيرته الشابة فتاة في عشرينات عمرها جميلة المحيا جادة في عملها دقيقة كل الدقة في المعلومات التي تنقلها لرئيسها • وربما رأى الدكتور صلاح على وجهي علامة اعجاب بدقة الفتاة وحديثها • فراح يروى لي عنها ما أذهلني •

انها ابنة لورد • وهى ابنته الوحيدة • ويملك هذا اللورد مصنعا ضخما ضمن مقومات ثروته •

حصلت الفتاة على الشهادة العالية فى العلوم التجارية • وأراد أبوها ان يعينها فى مصنعه • ولا يعرف البشر ولاء يشابه ولاء الابنة أو الابن لأب محب فالطبيعى اذن الذى نعرفه ولا نعرف غيره ان يرفع اللورد سماعة التليفون فى شئون العاملين بالمصنع ويقول ارسلوا لى أمرا بتعيين ابنتى نائبة للمدير لأوقعه •

ولكن هذا لم يحدث • وانما الذى حدث ان تقدمت ابنة اللورد صاحب المصنع لتؤدى امتحانا أمام لجنة تجتمع كل عدد من الأشهر لتنظر فى التعيينات الجديدة • وحين تقدمت ابنة صاحب المصنع الى الامتحان كان أملها ان تحظى بوظيفة تتساوى فيها مع أى شخص آخر يبدأ التوظف فى المصنع • وحين تقدمت ابنة صاحب المصنع لم تتقدم الى لجنة خاصة تعقد من أجلها • وانما هى اللجنة التى تجتمع فى مواعيد محددة لم تغير موعدها • وحين تقدمت ابنة صاحب المصنع لم تتقدم الى لجنة خاصة تعقد من أجلها ، وانما هى اللجنة التى تجتمع فى مواعيد محددة لم تغير موعدها • وحين تقدمت مع الكثيرين غيرها ممن يأملون الحصول على وظيفة فى أول السلم • وسقطت ابنة صاحب المصنع فى الامتحان •

ولم تعين ابنة صاحب المصنع •

وأرسل بها أبوها الى أمريكا لتدرس المواد التى رسبت فيها فى امتحان المصنع الذى يملكه والذى ستئول ملكيته اليها حين يقضى الأب نحبه ويترك الدنيا فليس له فى الدنيا من وارث ولا وارثة الا هذه الابنة التى رفض المصنع أن يعنيها فى وظيفة صغرى به وذهبت ابنة اللورد الى أمريكا ودرست وعادت وتقدمت للامتحان •

وسقطت •• فانتظرت تدرس حتى اجتمعت اللجنة وتقدمت مرة أخرى وسقطت ثانية ••

يقول الدكتور صلاح نيازى الذى يروى لى هذه الواقعة انها تستعد الآن للامتحان الثالث وتذهب فى المساء الى مدرسة ليلية لتدرس مواد الامتحان وهى تعمل سكرتيرة لى فى الصباح ولهذا فهى حزينة لأنها لم تستطع النجاح فى الامتحان •

هى اذن ليست حزينة لأن أباها يعاملها هذه المعاملة •

مطلقا • فالذى يصنعه الأب هو الشىء الطبيعى الذى لا يجوز ان يصنع غيره فى هذه البلاد التى تقف مع أكبر الدول الصناعية فى العالم وتعمل مع ذلك فى الصباح • ولا تتفرغ للمذاكرة •

ويقول الدكتور صلاح ان هذا هو الطبيعى فليس من المقبول ان تكون حاصلة على شهادة ولا تعمل • ويضيف الدكتور انه زارهم فى قصرهم وفى مزرعتهم ورآها وهى تركب خيول أبيها ورأى كل ما تحلم به فتاة محققا لها فى معيشتها ولكن هذا أمر آخر لا يسمح لها ان تكون عاطلة بلا عمل كما لا يسمح لها ان تنجح الا بالحق فى امتحان التوظيف بمصنع أبيهـا الذى سيصبح بعد حين طويل أو قصير مصنعها هى •

وأعود الى القـاهرة فأجد الذين رفعوا فى يوم من الأيام شـعار الولاء قبل الكفاءة لا يكفون عن الكتابة مدافعين عن ذلك العهد الذى لانزال نعانى أهواله حتى اليوم •

ونعقد المقارنة فتحيط بالنفس حسرة ولوعة وألم •

ان هؤلاء الكتاب كانوا فى زمن الرعب خائفين • ولا لوم عليهم ان خافوا • ومن هذا الذى لايخاف من الاعتداء على العرض والنفس والمال •

وهؤلاء الكتاب كانوا يتصدرون الصحف وكانوا لا يكتبون الا فى السياسة ولم يكن متاحا لهم ان يكتبوا فى مواضيع أخرى غير السياسة لأنهم لو تركوها الى غيرها لكان هذا فى ذاته رأيا لهم يستحق من حكام ذلك الزمان التشريد والتعذيب •

وهم اليوم يريدون ان يقولوا انهم كانوا مقتنعين بما يكتبون وهم بهذا يكشفون عن غباء شديد •

أيريدون منا ان نصدق انهم كانوا مؤمنين بالمديح الذى أسبغوه على ذلك العهد •

ان كانوا بالطغيان يؤمنون فهم أشد اجراما من مرتكبى هذه الجرائم • لأن الذين ارتكبوا هـذه الجرائم ارتكبوها لأنهم توهموا انهم بهذا الذى يصنعونه يحمون عروشهم التى تربعوا عليها وأموالهم التى اغتصبوها من دماء الشعب متمثلا فى الدولة أو متمثلا فى الأفراد •

أما الكتاب الذين يدافعون اليوم عن هؤلاء فيفعلون ذلك والحرية مكفولة ولا خوف عليهم ولا على أموالهم التى كنزوها •

فهم اذن يدافعون عن الباطل دون دافع جاد يستحق منهم كل هذا الكذب وهذا البهتان • الا انهم يريدون ان يدفعوا عن أنفسهم تهمة الجبن • والذى لا شك فيه ان صفة الجبن أهون بكثير من صفة الاجرام • وقد نلتمس لهم العذر على جبنهم ولكننـا لا نجد لهم عذرا مطلقـا لاجرامهم • فالمدافع عن الاجرام فى عهد الحرية أشد اجراما من المجرم نفسه •

ومن عجب ان أقرأ لهم مقالات يمنون بها على مصر ان الكهرباء قد سرت فى قراها • ويتخذون من هذا دليلا على أن العهد الذى يدافعون عنه تقدم بمصر •

ويلكم الا تستحون ••

ان مصر كانت ثانى دولة فى العالم تسير فيها القطارات • وكانت تواكب التقدم العالمى عاما بعد عام ويوما بعد يوم • وقد استطعتم ان تقفوا بها عن أى تقدم مدة عشرين عاما كان العالم فى أثنائها يقفز بالعلم الى القمر وكانت الدول فى أثنائها تأخذ من التقدم بما لا تتصور البشرية انها تبلغه •

وانى أستحلفكم بأى شىء تقدسونه ان تكفوا عن تعذيب مصر • فانتم لا تتصـورون كم يجلب دفاعكم هذا من الأهوال لشعب مصر • ان دفاعكم يجعل المصريين يرتعدون خشية ان يكون فيما تقولون ارهاصا بعودة الطغيان • وان كان أبناء شعبكم قد رخصوا عليكم ولم يعد أمرهم يهمكم فرحمة بمصر فان دفاعكم هذا يجعل الثقة الاقتصادية بمصر تتزعزع بل يصيبها بزلزال رهيب •

أهذا ما تريدون • ما أظن فانى مازلت أعتقد ان فى نفوسكم بقية ولتكن ضئيلة من حب مصر •• فهى على كل الأحوال ورغم كل شىء مصر •• امنا جميعا ولا حياة لنا ولا لأولادنا الا بين ذراعيها • فنشدتكم الله ان تبقوا على ذراعيها •• أتراكم بالله تؤمنون •• أرجو ••

الأهرام ١٤/١٠/١٩٨٤ م

ســاء ما يلحدون

يحاول بعض الملحدين ان ينفذوا الى الصلة بين الدين والدولة عن طريق كلمة العلمانية وهم حين يفعلون ذلك يوهمون قراءهم ان الدين يتعارض مع العلم · وتلك ذاتها كبيرة واجتراء على الدين لا مثيل له · فهم يقيمون حججهم دائما بما كان عليه الحال فى أوروبا حين كانت الكنيسة مسيطرة على الحكم ·

والمقارنة غير واردة ولا مجال لها على الاطلاق ·

والكنيسة حين حكمت كان رجال الدين أنفسهم هم الحكام · اليهم ترجع أمور الدولة جميعا وفى ظل حكمهم وقعت الأهوال التى يريد بها الملحدون أن يضربوا الأمثال على الحكم الدينى ·

وفى أوروبا كانت الملوك أحيانا تحكم بوصفها ظل الله فى الأرض كما كان الأمر مع لويس الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر · وحين نشبت الثورة الفرنسية ادعى الثوار أنهم يحكمون بوحى من السماء· وبلغ بهم الأمر أنهم كانوا فى محاكماتهم الصورية يمتنعون عن محاكمة المتهمين أو توجيه أى سؤال لهم فقد أفتى لهم بعض المتطرفين انهم بما وهبت لهم السماء من فيضها يستطيعون أن يتعرفوا على المجرم بمجرد أن تقع عليه أنظارهم دون حاجة الى سؤاله أو محاكمته فكان قضاة الثورة يكتفون بأن يلقوا نظراتهم التى قرروا أنها مقدسة الى المتهمين وهم يمرون أمامهم فيحكمون بالاعدام على من يشاءون ويطلقون من يشاءون · وما لهم لا يفعلون وهم يظنون أنهم صوت الله وبصره · واستغفر الله العظيم · وقع هذا فى فرنسا ووقع مثله فى أسبانيا وفى انجلترا وفى دول أوروبية أخرى لأن الذين كانوا يحكمون هم رجال الكنيسة أنفسهم ·

ولكن الاسلام لم يكن كذلك فى يوم من الأيام · والبلاد التى تطبق الشريعة الاسلامية حتى اليوم نجد الحكام فيها من المدنيين ورجال الدين فيها يفسرون آيات القرآن الكريم أو الأحاديث ثم يطبق الحكام ما ينتهى اليه الرأى · فالحكم الاسلامى بعيد كل البعد عن الحكم الكنسى والمقارنة بينهما غير جائزة ·

فحين يحاول الملحدون عندنا أن يحاربوا الاسلام بالأمثلة التى يضربونها فى الغرب حتى اليوم يقعون فى جهل شديد بروح الاسلام أو هم يعلمون ويتجاهلون ·

وان نظرة واحدة الى الطريقة التى تمت بها مبايعة الخلفاء الراشدين تقطع بأن الأمر كان اجتهادديا فقد تمت المبايعة لسيدنا أبى بكر فى الثقيفة بالاتفاق واختار أبو بكر سيدنا عمر وتمت مبايعته بعد ذلك · ووضع عمر قاعدة لم يعرفها العرب محاولا أن يتحرى العدل أقصى العدل شأنه · دائما وبناء على هذه القاعدة تمت مبايعة سيدنا عثمان · وربما كان اختلاف الطريقة فى اختيار كل خليفة هو الذى أدى الى الاضطراب الذى لم تستقر معه خلافة سيدنا على ·

واذا نظرنا الى التاريخ الاسلامى نجد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يعين اماما للصلاة غير أمير الجماعة حين يرسل بعثة فى شأن من شئون الدعوة سواء كانت البعثة فى حرب أو فى سلام ·

واذا كان الأمر كذلك ـ وهو كذلك ـ فى الدين الاسلامى فاننا نجد ان القرآن الكريم يدعو الى العلم دعوة صريحة لا شك فيها ولا ابهام فالعلم اذن لا يتنافر مع الدين بل ان الدين يأمر بالتعلم ·

ولو ان المسلمين الأوائل عاشوا حتى اليوم لنهلوا من العلم كل منهل · وقد كان علماء الاسلام على مدى العصور يحاولون الالمام بشتى المعارف حتى يكونوا على بصيرة فى فتياهم ·

فحين يحاول الملحدون أن ينفذوا الى الاسلام بكلمة العلمانية فان الاسلام يقف لهم بكل مرصد ويصدهم ان ينفذوا ويردهم خائبين ·

وقد حاول بعضهم أن يتخذ من الاختلاف حول تفسير كلمة العلمانية سبيلا الى ما يريد ولكن هذه الحيلة ساقطة هى الأخرى ولن تفيد فالكلمة مهما يكن الاختلاف فى أمرها قد اتخذت فى أذهان الناس معنى البعد عن الدين والاعتماد على العلم وحده · والخطأ الذى تقعون فيه أو الذى تريدون ان تقعوا فيه هو أن العلم عندنا لا ينفصل عن الدين وان الاسلام عندنا يحض على العلم ·

واقرأ قول الله تعالى :

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » الآية ١٢٢ سورة التوبة وفى ذكاء ووعى بسر الكلمة ينبه الدكتور عبد المنعم النمر الى كلمة نفر وكيف أن الله سبحانه وتعالى ينزلها فى الآيات التى تحض على الجهاد وكقوله

سبحانه « انفروا خفافا وثقالا » فكان الله سبحانه يساوى بين الجهاد فى سبيل الله وبين الجهاد فى طلب العلم .

واقرأ قول الله تعالى :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

سورة المجادلة الآية ١١

وهذه الكلمات واضحة الدلالة بصورة لاتحتمـــل المكابرة . فانك واجد ان الله جلا جلاله نص على الذين أوتوا العلم بعد أن ذكر المؤمنين فالايمان له ثوابه والعلماء لهم درجاتهم التى يرفعهم اليها الله والله ليس بظلام للعبيد فلن يرفع سبحانه الا من يستحق الارتفاع بعمله وجهده . فالعدل المطلق سبحانه يجزى كل نفس بما عملت .

ثم اقرأ معى قوله سبحانه :

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » سورة الزمر الآية ٩

والعلم هنامطلق واضح الدلالة فهو سبحانه فى عليين كان يعلم ان الملحدين سيطلعون علينا فى الزمن الأخير بهذا الهراء الذى يزيفون عن العلمانية يحاولون بها ان يفتنوا قوما مؤمنين وهيهات لهم ان يصيبوا من ذلك الذى يبغون أثرا من فلاح . ومن الأحاديث نجد قوله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو فى الصين » ويقول « اطلبوا العلم من المهد الى اللحـــد » .

وقد كان النبى عيه الصلاة والسلام متحضر الذهن بصورة رائعـة فنجده يستمع لمن يشير عليه بالخطة الحربية فى بدر . ونجده حين سمع عن المنجنيق يستعملها فى حروبه .

ولو كانت الكشوف الحديثة قد لحقت بعهد النبى لاستعملها جميعا . وما الذى كان سيمنعه صلى الله عليه وسلم ان يستعمل الراديو والتليفزيون فى الدعوة الى الدين والسيارة والطائرة فى التنقل بين شتى البلاد . فانه الدين الذى يدعو الى قمة التحضر ويحث عليه . وهكذا فانى أنصح لهؤلاء العلمانيين ان يرحلوا عن بلاد الاسلام ويحاولوا ان يروجوا لبضاعتهم فى بلاد أخرى غير البلاد التى تدين بأعظم ما بلغته البشرية من حضارة عقلية وروحية فى وقت معا . ألا وهو القرآن الكريم والدين الاسلامى . فاذا حاولوا ان ينفذوا الينا بما وراء الطبيعة نجد انهم يضربون فى ظلام دامس بينما نحن المؤمنين بما استقر فى نفوسنا من ايمان نعيش فى الضـــياء والنور والمعرفة وهم يحاولون أن يلبسوا جهلهم بالعلم والعلم منهم براء .

يقول بعضهم ان أصل العالم مادة • ونسألهم ان يأتوا على ذلك بدليل فلا يجدون وقد شهدت الكاتب الفرنسى العالمى جـــورج ســيمنون فى تليفزيون فرنسا يقول للملحد يناقشه يا صاحبى ان كان أصل الخلق هو المادة فمن أين جاءت الروح • ويسكت مناقشه لاينبس بكلمة ومن أين له ان ينبس فهم اذن يبنون نظريتهم على التخمين والتخمين ايمان بالغيب وهم فى نفس الوقت يأخذون علينا نحن المؤمنين اننا نؤمن بالغيب حين تؤمن بالله • وتلك عجيبة هم يؤمنون بغيب لا دليل عليــه ونحن نؤمن بغيب تجمع الأدلة على وجوده وأقربها القرآن الكريم الذى مرت عليه أربعة عشر قرنا ولم يستطع أحد أن يكون جملة واحدة قريبة فى روعتها وعظمتها الى آية من آياته تقدست كلماته وقرآننا يقول ان الروح من عند ربى فنحن فى النور وهم فى الظلام تائهون فى علمهم الذى يدعون أو الذى يختلقون• ويقول بعضهم ان الطبيعة هى أصل الكون وان العالم بدأ ببعض أبخرة ومواد نسألهم دليلا على ما يقولون فيخرسون أما نحن المؤمنين فقد آمنا بما قاله سبحانه وتعالى عن بداية الخلق واطمأنت نفوسنا الى ما قال فنحن فى نور من قوله ويقين يقول سبحانه وتعالى :

« قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين • وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيهــا وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » • سورة فصلت•

وانا نحن المؤمنين نعى بصيرة من أمرنا وفى طمأنينة من نفوسنا لا حيرة عندنا ولا شك لأننا صدقنا كتاب رب العالمين أيها الملحدون اننى أقترح عليكم اقتراحا فيه خير لكم لو تعلمون كثيرا ماذا عليكم لو قرأتم القرآن قراءة درس وامعان حتى اذا حاولتم بعد ذلك ان تناقشوا كان نقاشكم على علم لا على جهل • ولكن كيف لكم أن تسمعوا هذا النصح •

الأهرام ٢١/١٠/١٩٨٤ م

الأمية أولا ..

لا أحسب أن أى حديث عن الانسان المصرى يأتى بثمرة ذات قيمة اذا نحن لم نجند كل جهدنا ونجيش كل طاقاتنا لنقضى على آفة الانسان المصرى الكبرى وهى الأمية .

ان الأمية رفض من الانسان أن يستعمل عقله الذى أكرم الله به الانسان وفضله به على سائر المخلوقات .

والأمية غلاف من فولاذ يغلف الأميين ويرد عنهم أى مخاطبة من العقلاء وهو نوع عجيب من الأغلفة لأنه يسمح للتهريج والأراجيف والأكاذيب أن تنفذ الى الجاهل فتفعل به الأفاعيل .

وأعداء الانسان وأعداء مصر يستغلون ذلك الغلاف أسوأ استغلال ويثيرون الجهلاء بألفاظ محمومة وبخداع عن الحق وبوعود براقة لو كان المستمع اليها على شىء مهما يكن قليلا من العلم لتبين الزيف فيها ولكنه مسكين فهو بما يرتع فيه من جهل يصبح سهل القياد يعمل أذنيه ولا يجد شيئا فى عقله حتى يعمله ـ فكل ثقافته سماعية يختلط فيها الفساد بالصلاح . والفساد فى أغلب الأمر أيسر تناولا من الصلاح . ينجذب اليه الجهلاء فى سهولة يعجبهم بريقه الظاهر ولا يملكون من العلم ما يسمح لهم أن يتعمقوا الكلام ويصلوا فيه الى الرأى الفصل .

وأعجب ما أعجب له أن نجد من يقارن بيننا وبين اليابان مثلا ثم لا يحاول . من يقيم هذه المقارنة أن يبحث عن سبب تفوق اليابان الصناعى أن يكتفى بأن يقول ان اليابان التى سحقتها الحرب العالمية استطاعت فى سنوات قلائل أن تقف مع الدول العظمى فى الميادين الصناعية والاقتصادية . ولم يفكر ان اليابان احتفلت بوفاة آخر أمى فيها منذ مائة عام . فليس عجيبا أن يصل شعبها الى هذا المستوى الرفيع من الحرص على العمل والدقة فيه والاخلاص كل الاخلاص ونعرف من الدكتور عبد القادر حاتم وقد كان يزور اليابان منذ قريب أنه رأى مظاهرة فى اليابان ترفع لافتات وسأل مرافقه عما تقول هذه اللافتات .

فاذا هى تقول ان عمال مصنع كذا يضربون عن العمل لأن الادارة قررت أن تكون الأجازة يومين فى الأسبوع بدلا من يوم واحد والعمال

يرفضون هذا على الرغم من أن يوم الأجازة سيدفع أجره للعمال ولكن هذا يتنافى مع الصالح العام ٠

وتقول اللافتات ان هذا الاضراب يستمر لمدة ساعتين فقط ٠

ثم تقول اللافتات أن العمال المضربين قرروا أن يعملوا اليوم لمدة ساعتين تعويضا عن الفترة التى استغرقها الاضراب ٠

وهكذا تعرف فى بساطة لماذا تقدمت اليابان هذا التقدم ولماذا لا يجوز لنا أن نعقد مقارنة بينها وبين مصر أو بينها وبين أى شعب آخر ٠

فاذا نظرت الى الاضرابات فى انجلترا التى احتفلت بوفاة أمى فيها منذ بضع سنوات ٠ ربما قلت : فلماذا هذا الاضراب اذن وهم متعلمون والجواب حاضر من قريب ٠ هم يضربون ما شاء لهم الاضراب ولكن لا يمدون يدا بعدوان الى أى مرفق من مرافق الدولة فان حاولوا فالعقاب صـــارم وشديد وحاسم ـ وربما يختلط الأمر على بعض الناس فيظن أن التفجير الذى وقع الأسبوع الماضى داخل فى نطاق هذه الاضرابات ولكن الأمــر مختلف كل الاختلاف فهؤلاء المفجرون يريدون أن يقيموا من دولتهم التى هى جزء من انجلترا دولة مستقلة والمجرمون جماعة متطرفة تظن أنها بهذا الذى تصنع ستبلغ الذى يطمح اليه ولكن ما لنا وهذا ، فهم ليسوا عمالا وانما هم يظنون أنها حرب تحرير ٠ وبعد فان لم نعمل على محو الأميـــة فلا أمل لنا فى أى تقدم انسانى على الاطلاق ٠

مايو ١٩٨٤/١٠/٢٢ م

أصرخوا أيهـا الشباب

حين شرفت بحضور حفل تسليم الجوائز على الفائزين بجوائز الدولة ألقيت كلمتهم بحكم القاعدة التي جرى عليها العرف ان يكون الحاصل على جائزة الآداب هو المتحدث عن الفائزين ٠٠ وألقيت الكلمة متوجها فيها الى رئيس الجمهورية أن ينقـذ الكتـاب والمكتبـات من براثن التشريد والضياع ٠ ولم أكن أتصور ان السيد الرئيس سـيتناول فى كلمتـه الموضوع نفسه ولذلك لم يكن غريبا ان يلتفت الى الرئيس من منصـة الخطابة قائلا انه لم يكن يعرف انني سأتناول هذه الكارثة التي يعيشها أو يموتها الكتاب المصرى ٠

وأمر الرئيس أن يكون أمامه فى مدى ثلاثة أشـهر تقرير واف عما يجب أن تتخذه الدولة من قرارات لانقاذ الكتـاب وقراء الكتاب من النكبة التي تحل بهم جميعا ٠

والكلام من مثلى رجاء ٠٠

والكلام من رئيس الجمهورية قرار ٠٠

والحمد لله ٠٠ فما دام القرار لم ينفذ فمن الطبيعى أن يذهب الرجاء صرخة فى الهواء لا أثر لها ولاحول ولا قوة ٠

أذكر انني خرجت من هذا الحفل وأنا واثق ان مشكلة الكتـاب والمكتبات قد حلت نهائيا ٠٠ وكم كنت ساذجا فى وثوقى هذا ٠ وما أسرع ما تبينت سذاجتى ٠ فقد قامت القيامة بعد قرار الرئيس وتصـابح المسئولون وصدرت التصريحات وكتبت الجرائد والمجلات وجيشت الاذاعة جيوشها وكتب التليفزيون كتائبه وأصبحت لاتسمع فى أجـواء مصر الا الكتاب ومشكلة الكتاب وانقاذ الكتاب ٠

منذ هذه اللحظة أدركت فى وثوق ليس ساذجا فى هذه المرة ان مشكلة الكتاب ستبقى على ما هى عليه ٠٠ فمادام المسئولون قد أفرغوا طاقاتهم فى الكلام فالذى لاشك فيه أن عملا لن يتم ٠

فالقاعدة التي لم تنقض حتى اليـوم ان الذين يكثرون من الكلام لايصنعون شيئا ٠

اجتمعت اللجان فى مجلس الشورى وانضم اليهم نخبة رائعة واعية من الناشرين كانوا جميعا وبغير استثناء غاية فى الرصانة وقوة المنطق ، وأصدرت هذه اللجان تقريرا رائعا عما يجب ان تتخذه الحكومة من خطوات لانقاذ الكتاب ٠

واجتمعت اللجان فى المجالس القومية المتخصصة ونظرت الأمر فى جدية العلماء ووقارهم وأصدرت التقرير عما يجب ان تتخذه الحكومة من خطوات لانقاذ الكتاب ٠

وتفضل السيد وزير الثقافة فأرسل بخطاب الى اتحاد الكتاب يطلب اليه رأيه فى مشكلة الكتاب والمكتبات تمهيدا لاختيار ممثلين عن الاتحاد فى اللجنة التى ستشكلها الوزارة للنظر فى التقارير الواردة اليها والخروج منها بالحل الأمثل ٠٠ واجتمع اتحاد الكتاب خصيصا ولم يكن فى جدول أعماله شىء آخر غير الكتاب والمكتبات وأصدر الاتحاد التقرير عما يجب أن تتخذه الحكومة من خطوات لانقـــاذ الكتـــاب وأرسل التقرير الى السيد الوزير ٠

وقد كان لى شرف الحضور فى هذه اللجان جميعا وغيرها مما لاتعيه الذاكرة ٠ وأذكر ان كل التقارير التى صدرت مجمعة على الخطوات التى يجب ان تتخذها الحكومة لانقاذ الكتاب ٠

تم هذا جميعه وحملة الدعاية المكثفة مستمرة والتصريحات مستمرة واضحك ضحكا باكيا حزينا يسحق النفس ويملأها بالمضاضة والأسى حين تنتج كل هذه الضجة عربة تمر ببعض أحياء أو شـــوارع القاهرة وفيها بعض كتب وكأنما أصبحت الكتب آخر الأمر قراطيس لب أو فول سودانى ٠ ثم تختفى العربة وتمحى من الوجود ٠

كأن لم يكن بين الحجون الى الصـــفا
أنيس ولم يسمر بمكة ســـامر

واعلم أنهم سيقولون ان مثل هذه العربات موجودة فى لندن وأبتى وأين نحن من لندن ٠ ان هذه العربات هناك مساعدة للمكتبات الموجودة فى جميع أحياء لندن ولا يكتفى القائمون على الثقافة هناك بذلك وانما يقربون هذه المكتبات الى الشوارع والبيوت وكأنهم يقولون للشباب لا عليك ان تنتقل الى المكتبة فى حيك اننا نحن الذين سنأتى اليك بالكتاب الى باب بيتك ٠٠ وهذه العربات فى لندن لها مواعيد ثابتة يعرفها كل شخص فى كل منطقة وهم يعيرون الكتاب ويعـــلم مستعيره متى يجب ان يرده ليحصل على كتاب آخر ٠٠ المقارنة بعيدة والقياس لا ينطبق على حالتنـــا

المؤلم المضحك ٠٠ فما أرسلنا هذه العربات الا لننشر عنها اعلانا أو اعلانين ثم هى الى اختفاء ٠

ويرى أبناء الشارع الذين تصادف وجودهم هذه العربة ثم لا يجدون لها أثرا وكأنها لمحة من خاطر ما جاء حتى ذهب أو لمحة من حلم تبدد مع اليقظة أو سراب يحسبه الظمأن ماء فان قصد اليه وجده هباء من الهباء أو هراء من الهراء ٠

ان الأمر جد لا هزل فيه ٠٠ وليس يصلح معه عربة الأحلام ولا يجدى معه التصريحات التى تعد ولا تنفذ والتى تستعمل فعل المستقبل دائما ولا تستعمل الفعل الماضى مطلقا ٠

والكارثة فظيعة فى جميع جوانبها ٠٠

كارثة أن يصدر رئيس الجمهورية قرارا علنيا على ملأ من العالم ولا تنفذه الجهات المختصة ٠

وكارثة أن تكون مصر مصدر الاشعاع الثقافى للعالم العربى بلا مكتبات عامة على الاطلاق نعم على الاطلاق وليس يجدينى فى شىء القول بأن هناك مكتبات عامة قليلة فهى فى قلتها تتساوى مع العدم تماما ٠

وكارثة أن يكون الكتاب حرا كل الحرية فى مصر حتى اذا حاول أن يخرج من مصر تكالبت على حريته أيد شرسة طاغية من شتى رقابات ومختلف جهات ٠

وكارثة أن تكون أدوات الطباعة جميعا بهذا الغلاء الفاحش فالورق مرتفع السعر بصورة مريعة وكذلك الاحبار وغيرها مما يحتاج اليه الكتاب ٠

وكارثة أن نجهل أن الثقافة هى الكتاب فليس هناك ثقافة بغير كتاب ٠

حتى الآثار فانها لا قيمة لها على الاطلاق اذا لم تكن هناك كتب نعرف بها ما تعنيه هذه الآثار ٠

حتى الحرف لا أمل لها فى التقدم والازدهار اذا لم تنشر الكتب التى تجعل الحرفيين يتقنون صنعتهم ويبلغون فيها الى الكمال أو قريبا من الكمال ٠

كل مناحى الحياة يتناولها الكتاب ٠٠ اينما تقلب وجهك تجد لا أمل لنا فى أى رقى بغير الكتاب ٠

وجميع الدول المتحضرة لا تكلف بنيها أى عنت فى الحصول على الكتاب ولهذا أصبحت متحضرة · ولو كان الكتاب فيها متخلفا عن طالبيه لتخلفت هذه الدول ولعاشت الجهالة المظلمة الداكنة السواد ·

ناشدتكم الله أيها المسئولون الا تصدروا التصريحات ولكن أصدروا القرارات ·

لقد مر على الاحتفال الذى ذكرته فى صدر هذا المقال قرابة عام فاذا لم أبك اليوم فمتى يكون البكاء ·· أيها الكتاب أيها الناشرون أيها المثقفون أيها الشباب ·· ابكوا معى واصرخوا فربما استطاع صراخنا أن يصل الى أسماع المسئولين وحسبنا وحسب مصر الله أنه نعم الوكيل ·

الأهرام ٢٨/١٠/١٩٨٤ م

لا عروش مع الديمقراطية

يكتب الكثيرون فى الواجبات الملقاة على شباب الاحزاب . وقد قرأت منذ قريب بعض مقالات تدعو الشباب الى تكوين منظمات سياسية من داخل الحزب . وأحسب أن المقصود بذلك أن يشارك الشباب فى أمور الدولة . وتلك كارثة ما بعدها كارثة .

فلو ان الأمر أصبح فى يد الشباب وأصبح له عمل ايجابى فى الحياة الاجتماعية فان الأمر سيصبح هو والفوضى سواء .

لابد أن يعرف كل انسان فى أى دولة الى أى مدى تمتد سلطاته وأين تقف فليس لأى تنظيم ولا حتى للتنظيم الحزبى أى سلطة شرعية فى ممارسة الحكم . انها قصارى ما يملكه أن يتداول الرأى ويصدر القرار ويقدمه اما الى مجلس الشعب ان كان الأمر يحتاج الى استصدار قانون أو الى الوزير المختص اذا كان الأمر لا يحتاج الا لقرار من الوزير . ومن حق الوزير بل من واجبه أن يناقش هذا الرأى المقدم اليه فان اقتنع برأى الحزب أصبح تنفيذه جائزا واذا لم يقتنع فهو أمام واحدة من اثنتين أما أن يكون القرار حيويا من المسائل الأم التى لايجوز الخلاف حولها وحينئذ على الوزير أن يستقيل حتى لايتحمل مسئولية عمل هو غير مقتنع به واما أن يبقى وينفذ قرار الحزب اذا الأمر ليس من الضخامة التى تستحق استقاله وزير وسعه تجمع الحزب ووحدته .

أما الشباب فليس له فى الناحية الحزبية الا أن يلاحظ ما يجرى فى محيطة ويبلغ بما يرى أصحاب المسئولية من المجالس التشريعية أو من السلطة التنفيذية . وليس للشاب الحزبى مهما يكن شأنه أن يتدخل تدخلا مباشرا مع الجماهير والا أصبحنا جماهيرية ليبية والعياذ بالله رب العالمين .

وكذلك تكون اهتماماته التجمعات الشبابية سياسية فى سبب تجمعها ولكن لا يجوز لها مطلقا أن تبيح لنفسها أى سلطة تنفيذية انما من حقها أن تراقب وان تبلغ المسئولين فى مذكرات عامة وفى غير خفاء فهم انما يعملون فى وضح النهار .

وربما يتبادر سؤال : ففيم اذن تجمعهم • انما يكون تجمعهم لتدارس الحيـــاة العـــامة وتبادل الثقافة وتنظيم الرحـــلات التى تجمع بين الثقافة والرياضة ويقوم الشباب بزيارة آثار مصر وكتابة الدراســـات عنها • والتجمع حول أعمال أدبية وفنية ومدارستها • فان شباب الأحزاب اليوم هم نوابه فى المجالس التشريعية غدا وهم وزراؤه وهم وجه الدولة جميعا انما هذا فى الغد وليس اليـــوم أما اليوم فعليهم أن يعدوا أنفسهم للعبء الذى سيقومون به والاعداد أمر مختلف كل الاختـــلاف عن المشاركة ان الشـــباب اذا شارك فستكون مشاركة جاهلة كل الجهل بالحدود التى تقف عندها وأغلب الأمر أنهم سيتجاوزون هذه الحدود • ونصـــبح فى ذعر يعرفه كل المعرفة الذين عاشوا الطغيان والذين يعيشـــونه اليوم فى ليبيا الجماهيرية وفى الدولة الشيوعية التى تطلق شباب أحزابها ذئابـــا مسعورة تدمر ولا تبنى وتحطم ولا تصلح •

أن الشباب هو الغد ومن أخطر الأمور أن يكون أمل الغد حاكم اليوم وانها لتصبح كارثة لا يماثلها كارثة اذا حسب شـــــباب حزب الأغلبية أو شباب أى حزب أنه مسئول مسئولية مباشرة عن أى جانب من سلطات الهيئة التنفيذية أو الهيئة التشريعية •

فقد رأينا الشباب فى بعض الفترات يقيمون لأنفسهم العروض فى قراهم واحيائهم ورأينا ظهور الشعب المحنية هى التى تحمل هذه العروش وهذا أمر لن يعود بأى حال من الأحوال • ففى ظل الديموقراطية والحكم الجمهورى تتحطم كل العروش ولا يبقى الا عروش الدولة وحدها ؟

مايو ٢٩/١٠/١٩٨٤ م

زعيم من الوهم

وهل حياة الانسان الا ذكريات تنداح فى خفـــايا النفس متحفزة متوفزة تترقب من الحياة منفذا تثب منه الى الوجود فاذا هى تنقلب فجأة من مجرد ذكرى الى واقع يحياه الانسان وكأنه ما بارحه فى أمس البعيد ٠

وهذه الصورة قفزت الى واقعى بعـــد أن استخفت فى أطواء نفسى قرابة أربعين عاما وكنا تلاميذ فى المدارس الثانوية وفوجئنا بزميل لا يمشى كما نمشى ولا يتكلم كما نتكلم ففى مشيته بطء وخيلاء ، فاشـــل واضح التصنع وفى صوته رنين يريد أن يكون رنين التعالى فلا يتم له ما يريد وتحلقنا حوله ــ ماذا بك يا أخى ٠ كنا عرفنا اسمه كما عــــرف كل منا اســـــم الآخر ٠

فقد كان أول أستاذ فى العام الدراسى الجديد يدخل الى الفصـــل وينادى الأسماء اسما اسما ويطلب من التلاميذ ان يقف كل منهم حين يسمع اسمه ٠ فما هى الا دقائق حتى عرفنا من لم نكن نعرف من الأسماء ممن لم تجمعنا واياهم سنوات سابقـــة ٠ وكان اسم هذا الزميـــل هو عبد الشكور عبد النبى وقد وقف حين وقف فى عظمة ولكنها مفتعلة وجلس حين جلس فى نفس العظمة المفتعلة وأدركنا نحن من هيئته اننا وقعنا فى عامنا هذا على مادة للسخرية لا مثيل لها فى حياتنا جميعا ٠

كان عبد الشكور يرتدى من الملابس ما يدل على أنه ليس ذا ثراء وكان قصير القامة فتراه يشب على أطراف أصابعه ليبدو أطول من حقيقته وكان يلبس الحلة ذات صفين من الأزرار ويميل الطربوش امالة واضحة الى اليسار مثل محمد محمود باشا ويضع يده اليسرى فى جيب الجاكتة مثل صدقى باشا الذى كان يفعل هذا ليخفى الشلل الذى أصاب يده ولكن عبد الشكور ظن أن صدقى باشا يفعل ذلك على سبيل العظمة وكان يضع وردة حمراء فى صدره مثل النحاس باشا وهكذا أصبح اخلاطا من الزعماء كلهم عدو للآخر جمعهم هو فى ملبسه ومظهره وحركته ومشيته ٠ بدأنا نناوشه :

ــ ماذا تريد أن تكون ٠

ــ أنا زعيم عصركم ٠

ـ ماذا قلت ؟!

ـ لابد لكل عصر من زعيم ، وقد هيأت نفسى ان أكون زعيم عصركم لأخرج الانجليز من مصر ، وقع المسكين فى شر أعماله ولم يجد من يسمى عليه أصبح مسختنا وسخريتنا وملهـاة المدرسـة وتسلية التلاميذ ولكن العجيب أنه كان لا يتحرج ولا يهتم فاذا اجتمع الطلبة وهتفوا ساخرين بحياة الزعيم العظيم حياهم بيده فى عظمة يقصر عنها الزعمـاء شـهرة وزعامة .

وكان أستاذ التاريخ فى فصلنا من أعظم المدرسين الذين عرفناهم فى سنوات حياتنا جميعا ولولا خشيتى ان أكشف بذكر اسمه شخصية بطل هذه الصورة لذكرته أطال الله حياته ومتعه بالصحة والعافية .

وقد رأى أستاذ التاريخ أن يعد كل تلميذ درسا من دروس المنهج ويلقيه على اخوانه ويناقشه الاخوان فى الدرس وهكذا تثبت المعلومات فى أذهاننا نابضة بالحياة ويكتب لها البقاء الى الأبد .

وحدث ان اختار الأستاذ لدرس من دروس المنهج أخانا عبد الشكور عبد النبى ووقف بيننا عبد الشـكور عبد النبى وانفجـر يخطب وكأنه مصطفى كامل باشا فى عنفوان أيامه وأعلننا أنه منذ اليوم سيتولى زعامتنا لنخرج الانجليز من مصر . وانه هو وحده القـادر على ان يخرجهـم . وانفجرنا فى ضحك ساخر مجلجل صاخب لم يستطع على رغـم اندفاعه ان يصيب منه أى وتر من خجل . ولكن الذى خجـل من أجله أستاذ التاريخ الذى لم يجد بدا من أن يقول له فى أدب جم :

ـ طيب ادخل انت الى درجك دلوقت يا عبد الشكور .

ودخل عبد الشكور مرتفع الهامة ثابت الخطوة متعاظم المشية يشب على أطراف أصابعه ليبدو أطول من حقيقته وراح الأستاذ يكمل الدرس .

ولكن أستاذنا كان شاعرا رقيق الحس مرهف المشاعر وخيـل اليه أن عبد الشـكور قد أصيب فى كرامته فأراد أن يرد اليه ما تصـور انه سلب من كرامة . فاستدعاه .

وجاء عبد الشكور الى مكان الأسـتاذ واذا به يواصل خطابه الذى أوقفه عنه الأستاذ ويعلن زعامته مرة أخـرى فى صـفاقة أشد من المرة السابقة . وفى هذه المرة لم ينفجر الفصل وحده وانما انفجر معه الأستاذ الحليم الذى لم نره ثائرا فى حياتنا الا فى ذلك اليوم وصاح به :

ـ لا يا عبد الشكور أنت غير معقول .. امش أدخـل مكانك .. امش .

وأصبح ما حدث فى الفصل حديث المدرسة كلها ووجدنا أنفسنا نحن تلاميذ الفصل موضع الأسئلة المتزاحمة علينا من زملائنا فى الفصول الأخرى ·

وفى اليوم التالى فوجئنا بعبد الشكور يوجه دعوة الى الشاى فى منزله لبعض تلاميذ الفصل · وعجبنا لأمره · ولكننا قبلنا الدعوة لنصل الى كل ما نستطيع أن نبلغه من حقيقة الزعيم ·

البيت لموظف رقيق الحال فى أربعينات القرن ، واضح ان اعتماده الوحيد على مرتبه دون أى عون آخر · فالبيت نظيف والمواد المقدمة فى الشاى هزيلة ولكن الجهد الذى وراءها واضح المعالم وبدأ أبو الزعيم الحديث فعرفنا عجبا ·

لقد كان عبد الشكور من الوقاحة وكان أبوه من السذاجة بحيث استطاع عبد الشكور أن يقنع أباه أنه زعيم المستقبل واننا نحن أعوانه ورجال حزبه وعناصر التأييد لزعامته ولهذا لم يكن عجيبا أن نجد الأب سعيدا بأبنه سعادة غامرة لا عقل فيها ولا تفكير ولا تدبر ·

ومع أننا كنا فى تلك السن القاسية التى لا تعبأ كثيرا بشعور الآخرين الا أننا وكنا ستة طلاب أجمعنا دون اتفاق على ألا نجرح مشاعر الأب الساذج فى أبنه الذى يثق وثوقا كاملا أنه زعيم فترته ·

وانصرفنا ·

وفى اليوم التالى كنت قد نظمت أبياتا فى عبد الشكور تفرج عن غيظى الذى كتمته فى مجلس أبيه والعجيب اننى أذكر هذه الأبيات وهى أول ما نظمت فى حياتى ·

على زغم المظاهر والغرور
صغير أنت يا عبد الشكور
أترجو أن تكون زعيم قوم
لتنظر فى الصغير وفى الكبير
فدع عنك الزعامة واجتنبها
فلا فى العير وأنت ولا النفير

والأبيات كما هو واضح بالغة الضعف ولكن التلاميذ تنقموها وراحوا يتغنون بها كلما مر بهم عبد الشكور ·

وأراد أن يدبر لى بذكائه السياسى مصيبة فجاء الى الدرج الذى أجلس فيه وأخذ مكانه بجانبى وقال :

ـــ أنا أريد أن أقابل والدك ٠

قلت :

ـــ وماله تحت أمرك فهو أيضا ممن يعملون فى السياسة وقد ينضم الى حزبك ٠

قال :

ـــ لا أنا جاد فيما أقول ٠

قلت :

ـــ ومن قال لك اننى تحت أمرك ـ ولكن فيم تريد أن تقابله ٠

قال فى جدية شديدة :

ـــ ان صلتك بالفتاة حسنية أصبحت على كل لسان وأحب أن أخبر الوالد لأخلص ذمتى أمام الله ٠

أدركت ما يقصد اليه فأنا لم أعرف فى حياتى فتاة بهذا الاسم وقد كانت حياتى جميعا بعيدة كل البعد عن المغامرات النسائية وكان أبى أعلم الناس بذلك قلت لعبد الشكور :

ـــ والله تشكر يا عبد الشكور أنت فعلا أخ ٠ فان حب هذه الفتاة يسد على أقطار الحياة وأنا أخشى أن أخيب بسبب حبها وربما لو أخبرت أنت أبى الذى لا أجرؤ أنا على اخباره يزوجنى من الفتاة أو يردعنى بسلطان الأبوة وتكون قدمت لى خدمة العمر ٠

فاذا عبد الشكور ينتفض غاضبا باكيا لأول مرة فى حياته صائحا :

ـــ أنت مش معقول ٠٠٠ أنت مش معقول ٠

وانصرف عنى وهو يرقأ مدامعه بمنديله ٠

ومضت الأيام وغاب عبد الشكور عن الذاكرة · وذكرته هذه الأيام·

لم يصبح عبد الشكور زعيما ولكنه أيضا يأبى انه يتخلى عن فكرة الزعامة فاذا هو يصطنعها فى مكان لا يصلح مطلقا للزعامة ومن يحاول الزعامة فيه يصبح انسانا أخرق الرأى ضائع التفكير سقيما غاية السقم فى حكمه على الأمور ·

صورة من الماضى أبى الحاضر الا أن يردها الى الحياة ويا ليتها ظلت حيث كانت فى طوايا الذكريات الخفية ··· ولكن متى كانت « ليت » ذات نفع ··· انها كلمة الحسرة حين لا تنفع الحسرة والأمر لله من قبل ومن بعد ·

الأهرام ١٩٨٤/١١/٤

الشباب والسياسة والثقافة

حين ظهرت مقالتى فى الأسبوع الماضى بجريدة مايو عقب عليها أستاذ كبير عالم من أعظم علماء العصر فى الأدب بما يعنى انه فهم من المقال ألا أريد للشباب أن يعمل بالسياسة وفى الحال أدركت اننى لم أحسن توضيح فكرتى كما ينبغى أن تتضح فمادام هذا العالم قد فهم عنها هذا المعنى فالمخطىء لاشك أنا وليس هو ·

فأنا لا أتصور أن يكون الشاب انسانا يستحق الانتماء الى وطنه اذا لم يكن هذا الشباب مهتما كل الاهتمام بالسياسة ولا أتصور انه يستحق أى احترام اذا لم يكن صاحب رأى فى سياسة بلده بل اننى أناشد الشباب أن يقولوا رأيهم هذا بكل الطرق المشروعة فمن كان صاحب قلم فعليه أن يكتب رأيه لوسائل الاعلام المختلفة ومن لم يكن صاحب قلم فعليه أن يكتب أفكاره وآراءه ويقدمها الى رجال الحزب الذى ينتمى اليه وبغير هذا يكون الشباب بعيدا عن الانتماء الى وطنه والشباب اذا فقد الانتماء فقد وجوده وكيانه ومعنى حياته ·

ولكننا بلينا فترة بشباب يتجمع فى القرى والأحياء ويقيم من نفسه طاغوتا جبارا يأمر وينهى ويلقى الرعب فى نفوس الموظفين الرسميين فى القرى والأحياء وكان هؤلاء الشباب يدعون انهم ممثلوا الحزب الحاكم ولم يكن هناك الا حزب حاكم واحد بلغ من الطغيان ما جعل فرائص العمد والموظفين ترتعد فرقا وذعرا ·

هذا التجمع الشبابى الذى يريد أن يقبض بيديه الصغيرة على أقدار المنطقة التى يعيش فيها هو الذى يتنافى وجوده تنافيا تاما مع الديمقراطية فالشباب يستطيع أن يتجمع ليتدارس وليس ليحكم وله أن ينظر فى الشئون السياسية ويبدى رأيه فيها على أن يكون رأيه مجرد رأى لا يلحق به التنفيذ الا بعض التمحيص والتدبر واستعراض الآراء الأخرى وهكذا يصبح الشباب فى تجمعاتهم السياسية صالحين لسماع الرأى الآخر فان الانسان الذى لا يعرف كيف يسمع الرأى الآخر لن يكون انسانا صالحا لشىء على الاطلاق ·

والرأى لا يكون سديدا أو قريبا من السداد اذا كان صادرا على الفطرة دون ثقافة وعلم وسعة اطلاع ولهذا اقترحت ولا أزال أقترح ان يتعرف الشباب المصرى على وطنه فيحسن التعرف على الشباب أن يدرس تاريخ الوطن بكل تفاصيله فمن ثنايا هذا التاريخ يستطيع الشباب أن يستبين طريقه الى المستقبل فان المستقبل ظلام دامس لا يهدى خطانا فيه بعض الهدايا الا ما ثبت فى وعينا من دروس الماضى أنا لا أستطيع أن أحترم رأى شاب فى السياسة اذا أنا لم أحترم علم هذا الشباب بتاريخ وطنه ولهذا أهيب بالأحزاب أن تعمل بكل جهدها أن تتيح التاريخ الصادق الأمين لشبابها يتعلمه من أساتذة محترفين فى التاريخ ولا يكون التاريخ تهبيشا من مغرضين ومشعوذين وأصحاب ضمائر مريضة على الأحزاب أن تقدم التاريخ الحقيقى المحايد الى شبابها فأمل الغد كله معقود على هذا الشباب فان أطعمته اليوم زيفا كان حكمه فى غد جورا وظلما .

وعلى الأحزاب أن تعمل أن يكون شبابها على وعى غاية الوعى بالجغرافية العامة لبلادنا الجغرافية المكانيه والاجتماعية والاقتصادية .

فهيهات أن يكون الشباب رأيا حصيفا وهو يجهل حقائق بلده وعلى الأحزاب أن تثقف شبابها ثقافة عامة فبعض الشباب وأقول بعض على سبيل التفاؤل لا صلة له بالثقافة على الاطلاق ولن نصل الى هذه الثقافة اذ نحن لم نتح لشبابنا مكتبات عامة واسعة الثراء بشتى الفنون والمعارف ومادامت الدولة تصر على الانصراف عن المكتبات العامة فلتقم الأحزاب بانشاء هذه المكتبات وفى هذه الحالة أرجو الحزب الشيوعى أن يضع الى جانب كتب ماركس ولينين وانجلز القرآن الكريم والانجيل والتوراة أترى يفعل الحزب الشيوعى هذا ما أظن .

مايو ١٩٨٤/١١/٥ م

كارثة الكتـاب

أخشى ما أخشناه أن يتسرب الى بعض العقول أن ما كتبته عن كارثة الكتاب التى تحدثت عنها فى هذا المكان كان أطروفة أحاول بها أن أسلى القراء وأرد عن أوقاتهم الملالة وأدفع عن أمزجة المسئولين الرتابة وتشابه اللحظات · وقد داخلتنى هذه الخشية من الصمت القاتل الذى أعقب المقال · وكأننا أصبحنا نحن الكتاب نصيح فى وطن غير مصر ونبحث عن مشاكل غير مشاكلنا · فنحن فى دنيا والمسئولون فى أخرى · وأحسب أن القائمين على الأمور سيقولون كلمة تمر وينساها الناس فيما ينسون وينشغلون بأحداث أيامهم الصغيرة وربما قال هؤلاء المسئولون أن مشكلة الكتاب ان كانت · تهم قلة يطلقون على أنفسهم المثقفين فما هى مما يعنى به عامة الناس فى شىء · وفيما يعنيهم الكتاب وهم يريدون أن يواجهوا مشاكل يومهم وما أكثرها أو لم يبق غير الكتاب هو الآخر حتى يشغلوا أنفسهم به · ولكننى فى الحقيقة اعتبر أن الأمر أخطر من هذا اللغو بكثير · وأحب أن أعلن على الملأ أن صلتى بالسيد الأستاذ محمد عبد الحميد رضوان من أوثق الصلات مودة · ولم يلقنى الرجل ولا تحدث عنى فى غيبتى الا بما يملأنى شعورا له بالعرفان والشكر ·

ولكن الكتاب وكارثته أمر بعيد كل البعد عن الصلات الشخصية وانما هو مصير أمة بأكملها · وحين أقول أمة فانا أقصد ما أقول · فالذين يكتبون فى مصر انما يكتبون للأمة العربية جميعا ·

وأستطيع أن أعلن فى طمأنينة أن مشايخ الأزهر حين يكتبون فى مصر كتبهم انما يكتبونها للعالم الاسلامى أجمع فى كل أقطار الأرض ·

وليس مشايخ الأزهر وحدهم انما كل من يكتب فى الاسلام أزهريا كان أو غير أزهرى انما يكتب للعالم الاسلامى فى القارات الخمس ·

واذا ظلت هذه القيـــود على الكتب فكأننا نحبس الشمس عن الناظرين · ونفصل مصر عن طالبى الثقافة العربية والأدب العربى والفن العربى وما الثقافة المصرية وما الأدب المصرى وما الفن المصرى الا ثقافة وأدب وفن العالم العربى كافة ·

أما أنا فلن أسكت مهما يكن فيما أكتب الحاحا وتكرارا ولن أمل فصاحب الكلمة الصادرة من القلب · اذا أصابه الملل خان قضيته وأرجو الله ان يثبتنى فلا أخون قضية ·

وليس لى مصلحة شخصية فيما أكتب ولا اتغيا الا وجه الله ومصر والثقافة العربية فى كل مكان ·

ليس لوزارة الثقافة أية حجة في صمتها هذا ولا عذر لها مطلقا فى اهمالها لكارثة الكتاب · فالتقارير التى لديها واضحة المعالم بينة السمات · وأنا أعلم بما شاركت من لجان أن التقارير كلها مجمعة على وسائل العلاج · وليس فى هذه الوسائل واحدة عسيرة المنال أو صعبة البلوغ ·

فكل العقبات التى تقف دون انتشار الكتاب يمكن تذليلها فى أسبوع واحد بل وفى أقل من أسبوع ·

وان أمرا صدر من رئيس الجمهورية واجب النفاذ خاصة انه فى شأن لا يختلف فيه اثنان · ورئيس الجمهورية المصرية حين يطلب أن يكون أمامه تقرير عن الكتاب فى مدى شهور ثلاثة يتسامع العالم العربى كله بهذا المطلب الذى هو قرار من رئيس جمهورية مصر · وليس الناس فى أقطار العالم العربى بغافلين ولا هم نساءون فكلهم يعجب اليوم مثلما نعجب كيف يأمر رئيس الجمهورية وهو رئيس الجمهورية ثم لا يكون أمره موضع التنفيذ ·

وقد كان واجب الوزارة أن تبادر الى مواجهة كارثة الكتاب دون أن يشير أحد عليها بذلك فكيف اذن والذى نبهها هو المسئول الأول عن السياسة المصرية ·

وقد كتبت منذ أسبوعين أذكر ناسيا فما تذكر الناسى وانبه ساهيا فما تنبه الساهى · أيكون الأهرام غير كاف · أيكون الأهرام جريدة لا تصدر فى مصر وانما تصدر في العالم فقط دون مصر · أتكون كتابتى غير واضحة · أليس فى دهاليز وزارة الثقافة وربوعها ومراتعها واحد قرأ الأهرام ولو صدفة · وان كان لم يقرأ فى مصر أحد أليس فى لندن أو فى دولة أوربية واحد من موظفى وزارة الثقافة يكون في رحلة عمل ويكون قرأ الأهرام فى أوروبا فيرسل الى من فى القاهرة أن شخصا ما كتب شيئا ما عن شىء ما أسمه الكتاب ومشاكل الكتاب فى مصر ·

ألم تحدث هذه الصدفة ·· فتلك أذن عجيبة لا يماثلها فى العجب الا انصراف وزارة الثقافة عن الثقافة · فليس شىء يسمى الثقافة ولا يكون الكتاب هو مصدره الأول وأساسه ·

الكتاب يواجه من العقابات العالمية ما ينوء به فأسعار الورق باهظة وأسعار الأخبار قاصمة للظهور والمكتبات فى مصر قليلة نادرة حتى أن الكتاب الثقافى يختفى تماما من المطابع مع بداية كل عام دراسى لمدة ثلاثة أشهر أو أربعة حتى تواجه الآلات طباعة الكتب المدرسية والجامعية ٠

وطبيعى أن يخاف الناس أن يدخلوا ميدان الطباعة مع هذا النقص الشديد فى المطابع فاذا زادت الوزارة الطين بلة وصادرت الكتاب عن الخروج الى العالم فقل على مستقبل الكتاب وحاضره السلام وله الله وحده يقيل عثرته ويحيى مواته ٠

والكتاب مرتفع الثمن والذين يريدون أن يقرأوا لا يملكون ثمن الكتاب والذين يملكون ثمن الكتاب والفيديو لا يريدون أن يقرأوا ٠

وهيهات أن ينتشر فى مصر علم أو ثقافة اذا لم تنتشر المكتبات العامة فى كل ناحية من نواحى مصر ٠ وليس الأمر هزلا ٠ ولن تنتشر هذه المكتبات فى يوم وليلة وانما الأمر يحتاج الى شهور ربما تصل الى عام حتى تتوفر هذه المكتبات فى نوادى القرى والمدن وفى المساجد والكنائس وفى المصانع والتجمعات السكانية ٠

واذا انتشرت المكتبات استطاع الناشرون أن يواجهوا بعض الأعباء التى تقع على كاهلهم لأن هذه المكتبات سترد عليهم بما تشتريه من نسخ ما أنفقوه فى الطباعة على الأقل هذا من ناحية الناشرين مادام نشر الثقافة فى ذاته لم يصبح وحده غاية وهدفا ونشيدة وأملا لابد أن تسعى اليه وزراة الاسم الأساسى لها هو الثقافة ٠

واذا كانت الوزارة حتى اليوم لم تفكر فى أن تبدأ بالقاء نظرة على ما تجمع لها من تقارير فياترى متى يتاح للكتاب أن يجد مكتبة عامة يستطيع طلاب الثقافة أن يستعيروا منها كتابا ٠

لأحسب أن أحفاد أحفادنا هم الذين سينعمون بذلك ٠ هذا اذا فكرت الوزارة فى يوم من الأيام ٠٠ أى يوم من الأيام أن تلقى نظرة ولو عابرة على كارثة الكتاب التى حلت به فخسفته الى أسفل سافلين ولله الأمر من قبل ومن بعد فانه حسبنا وانه نعم الحسب ونعم الوكيل ٠

١١ نوفمبر ١٩٨٤

صديقك من صدقك

لا يكون التأييد بالموافقة دون تفكير أو تدبر انما التأييد يكون بابداء الرأى الخالص لوجه الله والوطن • فأنت اذا كنت منتميا لحزب فلاشك أنك تريد لهذا الحزب أن تكون خطاه سدادا وعمله رشادا وسعيه كرامة وطريقه طهارة ونقاء •

وأنت تخون حزبك اذا أيدته وأنت تراه يميل عن السداد ويميد عن الرشد وينكص عن الكرامة ويبتعد عن الطهارة والنقاء •

ولو كان الحزب يسعى الى ضم الأعضاء لمجرد التأييد والتصفيق والموافقة لكان خيرا للحزب أن يكون من فرد واحد لا من جماعة من الناس• فالفرد الواحد من يعارض نفسه وهو أيضا لن يطلب المشورة • ان معنى وجود حزب مكون من جماعة أن تكون الشورى ديدنهم ومداولة الرأى رائدهم حتى اذا اتفقوا فيما بينهم على رأى أيدته الأغلبية نظر المعارض فى الأمر • فان كان الخلاف حول أمر يحتمل الرأيين وليس جوهريا أساسيا فان له أن يبقى فى الحزب ولا يخرج عنه فليس من الطبيعى أن يستقيل العضو كلما أختلف رأيه عن زملائه • والا أصبح هذا العضو فى ذاته مستبدا لا يقبل الرأى الآخر ويرفض رأى الأغلبية وليس هذا من الديمقراطية ولا من الشورى فى شىء •

أما اذا كان الخلاف حول أمر جوهرى أساسى تنبنى عليه آثار ضخام تحتم على العضو أن يستقيل من الحزب احتراما لرأى أساسى يدين به فاذا رأى حزب ما مثلا رأيا ينافى أساسا من أسس الديموقراطية وكان بين أعضائه من يرفضون هذا الرأى فانه يتحتم على هؤلاء المعارضين أن يعلنوا استقالتهم من الحزب لأنه لا حزبية بلا ديموقراطية كما أنه لا ديموقراطية بلا أحزاب •

وان رأى حزب ما أن ينضم الى حزب آخر ورأى بعض الأعضاء أن هذا يهدم المبادىء التى قام عليها الحزب فان هؤلاء الأعضاء يتحتم عليهم أن يستقيلوا من الحزب كما فعل المرحوم عبد العزيز باشا فهمى حين رأى حزب الأحرار الدستوريين أن يأتلف مع الحزب الوفدى •

وكما أن الأمر كذلك في التأييد فهو كذلك أيضا في المعارضة ٠ فان المعارضة اذا ظل يعارض كل شيء دل بذلك على أمرين ٠ الأمر الأول هو أنه لا يصدر في رأيه عن خالص ضميره وأن يصدر فيه عن فكرة المعارضة وحدها وفي هذا خيانة لنفسه وخيانة النفس شر أنواع الحياة ٠

أما الأمر الثاني فهو يدل على عدم جدارته بثقة الناس فيها ٠ وويل للمشتغل بالحياة العامة اذا فقد ثقة الناس فيه ٠ وحين أقول الناس انما أقصد منهم الصادق الأمين الحر في تفكيره الذي لا تكبل رأيه قيود من تحزب أو كبول من مذهبية ٠ فهؤلاء أعداء لمن لا يرى رأيهم وقد يبلغ عداؤهم الهوس والخروج عن كل ما هو شريف في حياة الانسان ٠

أن يفقد المشتغل بالحياة ثقة الشرفاء اذا هو لم يكن صادقا مع نفسه وللشرفاء من الناس حاسة لا تخطيء في معرفة هؤلاء الذين لا يتخذون الصدق مع النفس دينا في الحياة ٠

وقد يؤدي هذا الصدق مع النفس الى وجود أعداء وخصوم فكأنه عدم غير موجود ٠ أو هو موجود بلا وجود ٠ كائن بلا كينونة ٠ ومن لا يخاف الله ويخاف الناس سيصل حتما الى نتيجة مؤكدة هي أنه سيغضب كل الناس ويحظى مع غضبهم باحتقارهم أيضا وقاك الله ووقانا شر الجبن والنكوص عن الرأي فانه ساء مقصدا ومالا ٠

مايو ١٢/١١/١٩٨٤ م

مصر احتفلت بعيد الحرية

فى يوم واحد كتب الأستاذ مصطفى أمين فى الأخبار والأستاذ نجيب محفوظ فى الأهرام عن يوم ١٣ نوفمبر ٠ وهو اليوم الذى اختاره الله سبحانه من فوق سماوات السبع ليكون بداية الصيحة لشعب مصر فى سبيل الحرية ٠ ومن مشارق هذا اليوم تجمع الشعب كله فى كلمة واحدة هى الحرية ٠٠ وزلزل عرش الامبراطورية التى لم تكن الشمس تغيب عما تحتله بالجبروت من بلاد خلق الله وكانت ثورة ١٩ هى ثمرة ذلك اليوم المشهود ثم كانت الحياة النيابية وتمثيل مصر فى الخارج واعتبارها دولة حرة مستقلة الأمر الذى مهد للحرية الكاملة الى سنة ١٩٥٤ حين كانت الامبراطورية البريطانية تلملم ثياب الامبراطورية لتصبح دولة عادية بلا دولة تحتلها وتضعها تحت الحماية ٠

وقد أحسست فيما كتبه الأستاذان الكبيران مصطفى أمين ونجيب محفوظ أنهما يريدان أن يذكرا الشعب بأمجاده وان يحتفلان بذكرى هذا اليوم الخالد من تاريخ مصر فى خشية منهما ألا يذكره أحد ويصدق عليه قول شوقى الخالد :

نسيت روعته فى بلد   كل شىء فيه ينسى بعد حين

ولكن يشاء الله فى عليين أن يكرم يوم ١٣ نوفمبر أعظم اكرام على يد رئيس الجمهورية وربما من غير قصد منه الى ذلك ٠

ففى نفس اليوم الذى نشر فيه الصحفى الكبير كلمته فى الأخبار وعميد الرواية المصرية كلمته فى الأهرام تصدر الجريدتين خبر يحمل أمر الرئيس بازالة السجن الحربى ليصبح مراحا وساحة رياضية للشباب ٠

وماذا يريد يوم ١٣ نوفمبر وهو يوم الحرية الخالدة أعظم من هذا ليكون تكريما له وتذكرة عند الناس ٠

لقد أمر رئيس الجمهورية أن تزال حوائط السجون التى احتوت الظلم بين جنباتها وتسترت على الطغيان والجبروت وراء جدرانها وشهدت الانسانية فى الساحة التى بداخلها ما لم تشهده الانسانية فى أى يوم من الأيام اعتداء على الأعراض والكرامات والأنفس والأبدان ٠ شهدت

الاعتداء على من جعله الله سيد مخلوقاته بما وهب له من نعمة بشرية فاذا هو في أطواء هذا السجن وديـاجيرة يصبح أحقـر من حشرة وأهون من هبـاءة ·

أصدر الرئيس أوامره بهدم السجن الحربى فى يوم الاحتفال بعيد الحرية وأغلب الأمر أن الله سبحانه وتعالى أراد لهذا الأمر أن يصدر فى هذا اليوم ليعلن أمانـا يا مصر لا اعتقال منذ اليوم ، ولا اعتداء عليك ، ولا تمزيق لأعضائك ، ولا سحق لأعراضك ، ولا امتهان لكرامتك ·

وليعلن الى شعب مصر أن قل ما تريد فكلمتك أمنة ورأيك بالغ الى اذن أمينة وعقلك بكل ما يفكر فيه حر يستقبل المسئولون والقائمون على مصر نتاجه في احترام وإجلال وتوقير ·

ولا أحسب أن هناك احتفالا باليوم الحر أعظم من هدم الظلم فى ذكراه · فليهدأ الأســتاذ مصطفى أمين خاطرا وليطمئن الأستاذ نجيب محفوظ فؤادا فمصر بأمر العلى القدير رافع السموات لم تنس يومها ولعلها يهنا الاحتفال تنسى ما حل بها من يد أجنبية ومن أيد مصرية على السواء · ولعلها لا تذكر أن مرارتها من ظلم المصريين لها كأعظم بلاء من ظلم العدو المحتل · فاننا لا نتوقع من المحتل الا الوبال فى حين لا ننتظر من أبنـاء وطننا الا الخير والطمأنينة ، ولكن لعل مصر تنسى · وقد آن لها أن تنسى ولاتذكر البيت العربى القديم :

وظلم ذوى القربى أشد مرارة

على النفس من وقع الحسام المهند

مايو ١٩/١١/١٩٨٤ م

الكتــاب هــو البشرية

أخشى أن يظن أحد أن الكتاب مجرد مظهر ثقـافى وهكذا يصـبح الاستغناء عنه أمرا غير ذى شأن • وأخشى أن يظن هذا البعض أنه مادام الذين يعملون فى ميدان الكتاب هم الذين ينادون باحيائه فالأمر لا يعدو أن يكون تعصب قوم للمهمة التى يسرهم الله لها ومحاولة منهم أن يجعلوا أداة مهمتهم شيئا خطيرا لا غناء عنه •

انما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا •

إن الكتاب هو كل مرافق الحياة لا أستثنى منها مرفقا • وانى مقدم بضعة أمثلة هيهات لها أن تحيط بالموضوع كله فى خطورته وجلاله وانما هى اشارة وليس غير •

أقرب شيء الى ذهنى وهو أمر قد يبـدو أبعد ما يكون من أهميـة الكتاب •

ذلك الفوز الساحق الذى حققه الأمن المصرى أخيرا واستطاع به أن يجعل مصر مثـلا أعلى فى الذكاء والحرص على سلامة أرضها وعلى الذين اتخذوا منها حصنا يحتمون به من الطغيان والخرق والجنون •

هذا النصر كيف تم أليست الوسائل الحديثة فى الرقابة هى التى مهدت له أن يتـم • أليست هذه النظريات الحديثة فى رصد المجرمين والضرب على أيديهم قبل أن يقوموا بجرائمهم وبعده هى الكتاب •

هذا التقدم العلمى الخطير أساسه الأول هو الكتاب •

فبالكتاب عرف العالم الأدوات الحديثة فى الرقـابة وفى التقـدم العلمى فى هذا المضمار الذى لقفه جيل عن جيل استطاعت مصر أن تحقق هذا النصر الحاسم • والكتاب والثقافة والعلم هو الأساس •

ولأن مصر دولة متحضرة انتصرت ولأن القـذافى متخلـف انهزم وأصبح بين العالم أضحوكة وبين قومه أهزوءة وسخرية وهوانا وذلا •

وأخرى :

الحياة الاقتصادية فى مصر وفى كل أرجاء العالم تقوم على النظريات العالمية • وهذه النظريات ولدت فى كتب وانتشرت فى كتب واحتضنتها للعالم كتب وذاعت فى العالم أجمع فى كتب •

والزراعة التى يعنى بها اليوم السيد رئيس الجمهورية فى محاولة منه ذكية أن ينقذ غذاء الشعب • الا تعتمد فى كل تقدم لها على نظريات علمية وكيمائية • أى على الكتاب •

والصناعة التى نحاول أن نتطور بها فى كل ميدان من ميادين الحياة لا تقدم لها الا عن طريق الكتاب والمصانـع المتطورة الحديثة هى نتيجة بحوث ودراسات كانت نظرية ثم صارت واقعا وعملا ولولا الكتاب لاحتاج العالم الى مئات أخرى من السنين ليبلغ فيها ما بلغه اليوم فيها •

وأسمح لى يـا فخامة رئيس الجمهورية أن اخاطبـك فى ميدانك وأذكر لك أنك حققت نصر الطيران فى حرب أكتوبر بمعـرفتك الدقيقة بخصائص الطائرات التى كنت تتعامل بها وبالوقود الذى يستخدم فيها وبما يستطيع هذا الوقود أن يقدم • وكل هذا عرفته من الكتاب •

والأسلحة الأخرى التى حققت نصرها الخالد حققته بالمعرفة والاطلاع من قوادها ومن المخططين لها • والمعرفة والاطلاع كتاب •

والصعود الى القمر ما كان ليتم لولا أن علماءه درسوا علومهم فى الكتاب ووصلوا بهذا العلم الى القمر •

واينما توجه عينيك فى مطارح الحضارة والتقدم سيشرق لناظريك الكتاب مصدرا أساسيا •

وان رأيت فى بلد ما تخلفا وتأخرا وسفولا فلا تبحث عن السبب أنه معروف لاشك فيه • لقد غاب الكتاب عن سمائه فشمله الظلام ولف ربوعه •

أما الأدب بفروعه المختلفة من شعر ورواية وقصة ومسرحية فهو القيـم •

مايو ١٩٨٤/١١/٢٥ م :

أفراح الشعب أحزان الشيوعيين

أما أن الشيوعيين عملاء فأمر لا يحتاج الى مزيد من الحديث • وأما أنهم أغبياء فهذا أمر لا يحتاج الى دليل جديد •

ولكن العجيب حقا هو ما طالعتنا به جريدتهم هذا الأسبوع • فهم ليسوا عملاء فحسب ولكنهم يفخرون بالعمالة ويتيهون بها ويزدهون ويرفعونها شعارا على حزبهم وعقيدتهم ومذهبهم •

وهل أدل على ذلك من تلك الصفحة الكاملة التى أفردوها فى مجلتهم الأهالى للهجوم على رجال الأمن المصريين الذين تمكنوا من القبض على السفاحين المحترفين الذين استأجرهم مجنون الزمان العبيط القذافى •

أمثل هذا العمل يمكن أن يستقبله مصرى الا بالاجلال ؟ فما لهؤلاء يتخذون منه هزءة وسخرية لقد كانوا يريدون للجريمة أن تتم ، هذا أمر لاشك فيه ، فلو انها تمت - لاقدر الله - لكانت لهم فرصة رائعة للهجوم على أجهزة الأمن عندنا وكانت لهم فرصة أكبر وأعظم يتقربون بها الى سادتهم انه الأمن فى مصر مضطرب وان الحالة فوضى وانهم واثبون وثبتهم التى يتقاضون من أجلها الأموال الغزيرة •

لقد كانوا يريدون للجريمة أن تتم حتى يتغنوا بعظمة القذافى المجنون وبعبقريته • فالعباقرة عند أصحاب النظرية المادية وفائض القيمة تتمثل فى القتل والتعذيب والعدوان والتخريب والأمل الذى يسعون اليه هو الخراب الشامل الذى لا يصلح غيره لأزهارهم السوداء بلون اليأس أو الحمراء بلون الدم •

لقد كانوا يريدون للجريمة أن تتم لعلهم أن يتخذوا من ضجيجها شعارا ليشعلوا من ورائه الحرائق ويألبوا السذاج من تابعيهم ويدبروا التجمعات ليعتدوا بها على أمن الناس وعلى المال العام وعلى أرواح الأبرياء وكراماتهم •

لاشك أنهم كانوا يريدون للجريمة أن تتم وهذا جانب العمالة فيهم لاشك فيه ولا منافسة بشأنه •

أما وقد خابت ولم تتم أما كان الأجــدر بهم لو كان فى عقـولهم بصيص من فهـم أن يصمتوا فـلا يجعلوا من النصر هزيمة ويجعلوا من العملية التى فرح بها الشعب جميعه موضوع سخرية واستهزاء وهجوم على رجال الأمن وعلى أعينه اليقظة الواعية وعلى ذكائه الحاد الذى جعل به مجنونهم يعلن على العالم أنه قاتل سفاح وهو رئيس دولة ثم يتضح بعد ذلك انه قاتل خائب وسفاح موهوم .

هذا اذن هو الجديد فى غباء الشيوعيين فأنهم يخترعون فى كل يوم قمة جديدة فى الغباء يصعدون اليها اذا كان مع الغباء صعود أو هم ان شئت الدقة فى التعبير يخلقون فى كل يـوم خضيضـا جديدا من الغباء والسفالة يرقمون فيه .

العالم أجمع معجب بعملية وزارة الداخلية الأخيرة والشعب المصرى الذى يعيش فيه هؤلاء الشيوعيون العملاء الأغبياء سعيد غاية السعادة بما حققه رجال أمنه من نصر حاسم فى ميدان الأمن وفى ميدان السياسة على حد سواء ، أما كان الأولى منكم أيها العملاء الأغبياء أن تراعوا مشاعر الشعب فتكتموا أفواهكم وتقصفوا أقلامكم فلا تجعلوا من أفراح الشعب سخرية وهزءا ولكن كيف ونحن نعلم ان أفراح الشعب هى أحزانكم وان أحزان الشعب هى أفراحهم .

كما كانت هزيمة الشعب هى انتصاركم وكما كان انتصار الشعب هو هزيمتكم التى يمزق حتى اليـوم جنونكم أخزاكم الله وهدم حصـونكم ومذهبكم وعقيدتكم وانه فاعل ان شاء الله .

مايو ١٩٨٤/١١/٢٦ م

أناشد الوزراء جميعا

أقدم للسيد الوزير محمد عبد الحميد رضوان كل شكرى على كريم ظنه بى . كما أشكره أنه يتفق معى فى الرأى أنه لا شىء يسمى الثقافة ولا يكون الكتاب هو مصدره الأول .

وأبادر فاطمئن السيد الوزير أنه لا خلاف بيننا من بعد فأنا حين أسائل وزارة الثقافة لست أقصد أن ألقى حمل المسئولية فى حل مشاكل الكتاب على اختصاصات وزيرها وحده وانما الوزارة يا سيدى وانت على رأسها مسئولان أن تحلا مشاكل الكتاب فى كل مظان هذه المشاكل .

فمن غيرك يا سيادة الوزير مسئول أن يتصل بالوزارة المسئولة عن الجمارك ليدفع الضرائب عن أوراق الطباعة ومستلزماتها .واذا لم تستطع الوصول مع الوزير الى اتفاق فأنت يا سيادة الوزير مسئول أن تعرض الأمر على مجلس الوزراء وعلى مجلس الشعب .

وأنت يا سيادة الوزير وحدك المسئول عن نشر المكتبات فى جميع أنحاء القطر ويقتضى هذا منك أمورا كثيرة فأنت الذى ينبغى أن تتصل بالهيئات المشرفة على النوادى الريفية وبوزارة التربية والتعليم المشرفة على المدارس لتتدارسوا جميعا كيف يمكن انشاء مكتبات فى المدارس والنوادى . وأنت مسئول أن تتصل بوزارة الأوقاف لانشاء مكتبات فى المساجد وبالمطران لانشاء مكتبات فى الكنائس .

وأنت يا سيادة الوزير مسئول قبل هذا جميعا أن تستدعى خبراء المكتبات فى وزارتك وفى غيرها من الوزارات ليضعوا النماذج التى ينبغى أن تكون عليها المكتبة العامة ومحتويات هذه المكتبات وطرق الاستعارة فأنت تعلم يا سيادة الوزير أن المكتبات علم تخصصى له أساتذته الكبار الراسخون فى أصوله وهم يدرسونه فى المعاهد .

وأنت يا سيادة الوزير تفضلت فنقلت كلمة السيد رئيس الجمهورية الخاصة بالكتاب وأحسب أنه فاتك أن تذكر أن السيد الرئيس قد حدد مهلة ثلاثة أشهر ليعرض عليه ما انتهى اليه الرأى . وأنت يا سيادة الوزير تذكر فى كلمتك أنك قمت بحكم مسئولياتك كوزير للثقافة باعداد

مذكرة مبدئية ضمنتها كل ما هو قائم من دراسات لدى وزارة الثقافة وقدمتها للسيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء آنذاك وكانت بتاريخ ٤ مارس سنة ١٩٨٤ ٠

فأنت اذن يا سيادة الوزير قدمت المذكرة قبل الموعد الذى حدده سيادة الرئيس ٠ ولكن خلافي معك يا سيادة الوزير أنك اعتبرت مهمتك قد انتهت عند هذا بينما هى فى الواقع كانت قد بدأت فى ذلك اليوم الذى قدمت فيه مذكرتك ٠ فقد كان من الحتم متابعة المذكرة وابلاغ السيد رئيس الجمهورية بمحتواها وبالعقبات التى تقف فى سبيل تنفيذ ما جاء فيها ٠

فمسئولية الوزير ليست تقديم المذكرة وانما تنفيذ ما جاء فى المذكرة ٠

واسمح لى يا سيادة الوزير أن أعقب على ما جاء فى كلمتك الحميمة من أن الوزارة تقدم الكتاب السهل بثمن زهيد فى تجربتها الجديدة التى أعدت من خلالها مكتبة الشباب ٠

يبدو يا سيادة الوزير أن وجهات النظر عن مشكلة الكتاب متباعدة بين ما نأمله نحن القراء والكتاب وبين ما تتصوره الوزارة ٠

ليس الأمر يا سيادة الوزير مجرد بضعة كتب رخيصة انما الأمر أضخم بكثير جدا من هذا المثل ٠

اننا نريد لجميع الكتب التى تصدر عن مصر أن تكون بثمن معقول ولا صلة بين هذا وبين سلسلة رخيصة تصدر تعتبر بالنسبة لما نهدف اليه أقل كثيرا من نقطة فى محيط ٠

يا سيادة الوزير فى هذا الأسبوع بالذات تضاعف سعر الورق العالمى فكان من الطبيعى أن يطغى الجشع على تجار الورق فيحبسوا ما عندهم من كميات الورق ليبيعوها بأثمان قاتلة ٠ فاذا لم تدرك الجمارك هذه المجزرة للكتب باجراء سريع حاسم يتمثل فى اعفاء الورق من الجمارك فلا أمل هناك فى حل جانب فى غاية الأهمية من مشكلة الكتاب ٠ وكذلك الأمر بالنسبة للأحبار ٠

وكلنا يعلم أنك لست مسئولا عن الجمارك ولكن كلنا يعلم كذلك أن المسئولية الوزارية كل لا يتجزأ وانك لابد أن تعرض الأمر على مجلس الوزراء وتتقدموا بمشروع الى مجلس الشعب ٠٠

هذه واحدة .

وأخرى ، لا يجدى في شيء يا سيادة الوزير أن تجعل عشرات الكتب في مكتبة الشباب رخيصة الثمن والأمر الذى ننشده نحن أن تكون جميع الكتب متاحة فى مكتبات عامة ليقرأها من لا يستطيع أن يشتريها . لاشك يا سيادة الوزير أنك الآن أدركت الفارق بين الأمرين .

اننا نريد كتب التراث جميعا وكتب الأدباء المحدثين جميعا وكتب العلوم جميعا وكتب الجغرافيا جميعا وكتب التاريخ جميعا أن تكون متاحة فى مكتبات عامة للاستعارة .

تلك هى الثقافة ولن تكون الثقافة بضعة كتب للشباب يا سيادة الوزير . وليس يجدى فى هذا أيضا يا سيادة الوزير معارض الكتاب التى تقام فهذه تفيد فى ترويج بيع الكتاب وفى مكاسب الجهات الناشرة من الناحية المالية . ولا بأس فى ذلك ولا ضير .

ولكن هذا أمر يختلف كل الاختلاف عن نشر الثقافة والكتاب للجميع فى مكتبات عامة تعير الكتاب ولا تبيعه .

ويا سيادة الوزير أرجو أن تسمح لى أن أعيد الى ذاكرتك ما جاء فى أغلب المذكرات التى وصلت اليك والتى أعتقد أنك جمعتها فى المذكرة التى قدمتها الى مجلس الوزراء . ان المذكرات تريد :

- اعفاء مستلزمات الطباعة من كافة الجمارك المفروضة عليها .

- انشاء مكتبات لاعارة الكتب بجميع النوادى الرياضية فى القرى وتخصيص جزء من ميزانية هذه لشراء الكتب .

- التوسع فى انشاء المكتبات العامة وتجديد ما اندثر منها فى المحافظات والمراكز والأحياء فى مدينتى القاهرة والاسكندرية .

هذه أهم الأشياء التى شملتها المذكرات .

وهناك كارثة أخرى وما أكثر الكوارث التى تحيط بالكتاب .

الكتاب فى مصر حر لا رقابة عليه . فأنا أدفع بكتابى الى المطبعة فيطبع حتى اذا طبع وتداولته مصر وحاول أن يجد طريقا للعالم وقفت دونه القيود القاتلة .

أنت يا سيادة الوزير تملك أن ترفع بعض هذه القيود وتملك لاشك أن تسعى لدى الجهات الأخرى لترفع القيود الأخرى .

فالأزهر مثلا لابد أن يوافق على أى كتاب دينى يحاول أن يخرج من مصر والأزهر نفسه هو الذى وافق على الكتاب ذاته لينشر فى القاهرة ٠

أيعقل أحد هذا ٠

أيقبل الأزهر أن يقرأ المصريون شيئا لا يرضى لغير المصريين أن يقرأوه ٠

وأنت يا سيادة الوزير تعلم مشاكل الرقابة على الكتاب حين يصدر كل العلم ٠ وعليك وحدك يا سيادة الوزير تقع مسئولية القرار اذا كانت الرقابة من وزارتك وعليك وحدك أيضا تقع مسئولية السعى لدى الجهات الأخرى واستصدار القوانين لانهاء أنواع الرقابة الأخرى التى لا تختص بها وزارتك ٠

وهناك يا سيادة الوزير أمر آخر من أعظم ما يعـانيه الكتاب من كوارث وهو ما يتعرض له النـاشر عند تصدير الكتاب من جهات النقـد وادارات مكافحة التهريب مما يجعل الناشر المحترم مجرما فى غمضة عين اذا تأخر الذى صدر له الكتاب عن دفع ثمن الكتاب بالعملة الحرة فى مدة معينة ٠ وما عرفت فى حياتى قانونا يعاقب شخصا بخطأ غيره البعيد عنه والذى لا يعمل فى ظل مسئوليته الا هذا القانون الفذ العجيب وما أحسب أن ناشرا ما يرضى أن يصبح مهربا مجرما لأى سبب من الأسباب ٠

هذه يا سيادة الوزير عجالة ضئيلة غاية الضآلة عن قيود الكتاب وكبوله الحديدية ٠ فلو كان الكتاب شمشون ذا الطول والحول والجبروت والطغيان لمات تحت هذه الأهوال فما ظنك ببعضعة أوراق لا تجد النصير أو المعين ٠

اسمح لى يا سيادة الوزير أن أتوجه بمقالى هذا الى السيد رئيس الوزراء والى الوزراء جميعـا ليقفوا الى جانبك لتنقذوا الكتاب من القتـل وتنقذوا الثقافـة من الضياع الذى ضاعته فعلا ٠ وانى لأرجـو السيد رئيس الوزراء أن يعـرض الأمر على السيد رئيس الجمهورية المسـئول الأول عن السياسة المصرية ليذللوا العسير ويحطموا عن ثقافة الأمة العربية السدود والقيود ؟ ٠

الأهرام نوفمبر سنة ١٩٨٤

المعتقـل الوحيـد

لست أدرى أو ربما كنت أدرى لماذا أصبحت أشعر اننى حين أكتب مقالا أصبح أشبه شيء بمن يلقى « منولوج غنائى » للنقد والترويح عن نفسى فى وقت معا ثم لا شيء بعد ذلك ٠

قد نجد عند المستمع أو القارىء ابتسامة رضاء أو هزة رأس مترنحة ثم لا شيء بعد ذلك ٠

أما اذا كان الخطاب منا لمسئولين فالأمر يختلف بعض الاختلاف ان كانت المقالة تطالبه بعمل جاد انصرف عنها منشغلا بكل شيء الا ان يقوم بهذا العمل الجاد أو يفكر فيه ٠ وحين نطالع نحن الجرائد الكثيرة والمجلات نجد الوزير معذورا حقيقة ان يفكر فى تحمل أعباء جديدة يلقيها فى رحابه أصحاب المنولوجات هؤلاء ان الأعمال تتزاحم على بابه ومن مفكرة حتى لا تدع له لحظة تفكير أو اهتمام بأشياء أخرى يريد أصحاب الأقلام أو المنولوجات ان يضيفوها الى ثقل حمله وتزاحم ساعات يومه وليله ٠ ومن أين يأتى بوقت يفكر فيه فى عبء جديد حتى ولو كان عبئا أساسيا للدولة جميعا وللأمة العربية بأسرها ٠

وبالمرصاد تقف له افتتاحات الأعمال الجديدة وقص اشرطتها ولقاء الوافدين وأصحاب الحاجات وحضور دعوات الغداء وحفلات العشاء وحذار ان يظن سيىء ظن ان هذه الدعوات لمجرد المطعم أو المشرب انها لقاءات عمل على غاية من الأهمية فهى توطد علاقات بين الوزير وبين أقوام قد تفيد العلاقات بهم فى شيء ٠

وصحيح ان الموضوعات التى نلقيها نحن أصحاب الأقلام أو أصحاب المنولوجات ــ أيهما فاختر ــ قد تكون حيوية وقد تبلغ أهميتها التأثير فى مصير أجيال حاضرة ومستقبلة وقد يكون النكوص عنها تشويها لمصر جميعها فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ولكن كل هذا لا يهم مادام الوزير يقص الشريط ويؤدى واجباته الوزارية الاجتماعية ولا يترك حفلة يؤمها اناس الا حضرها ولا دعوة يؤمها ضيف الا شرفها ٠

وبعد فماذا يســـتطيع أصحاب المنولوجات ان يصنعوا ٠ فليجروا أقلامهم على أوراقهم ٠ ولتنقلب احبار اقلامهم الى احبار جرائدهم وليهز الناس رؤوسهم ثم يمر اليوم الذى ظهر فيه المقال ثم يعقبه آخر ثم تتوالى

الأيام • والوزراء بمواعيدهم مشغولون والقراء أو مستمعو المنولوجات انصرفوا الى هموم حياتهم اليومية و « يا دار ما دخلك شر » وما كتب كاتب ولا ألقى أحد منولوجا :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر

وكان قد قيل وربما لا يزال يقال ان الصحافة سلطة رابعة وفرحت الصحافة وزاطت وتعالت طبولها وتصاعد زمرها ثم مرت الأيام • وفى كثير من الأحيان يكون مرور الأيام كمر السحاب تحسبها ثابتة وهى تمضى فى طريقها الذى لا عودة لها منه • وهى حين تمر ترسى الحق ان شاب الحق شك أو القيت دونه استار من الدعاية أو حجب من التهريج أو ضجيج من الطبول أو عجيج من المزامير •

ومرت الأيام وانتهى النبأ الى مستقر وانبلج الحق واضحا شهيرا ليست الصحافة سلطة وما لها من سلطان انما هى كلام يقال ولا يصنع شيئا •

وقد كانت الصحافة قوة عاتية لهـا فى أزمان الحرية ناب وظفر وحصن ومدفع وما كانت تسمى فى ذلك الحين سلطة الا على أفواه الناس دون أن يصدر بذلك مرسوم أو قانون •

حتى اذا صدرت المراسيم والقوانين بتنصيبها سلطة رابعة خبأ ضوءها وانحطم نابها وانكسر منها الظفر وهدمت منها الحصون وأصبحت مدافعها آلات تصاحب المنولوجات حين ينشد الكتاب هذه المنولوجات •

ليس عجيبا فى زمان أصبح هكذا شأن الكلمة فيه أن يتوارى الكتاب حسيرًا أسيفا منهزما خجلان ينظر كسير الطرف مهشم الجناح •

ونقرأ فيما نقرأ أن معرض فرانكفورت الدولى للكتاب عرض ثلاثمائة وعشرة آلاف كتاب من بينها اثنـان وتسعون ألف كتاب جديد حديث الصدور • ونقرأ فيما نقرأ أن رواد المعرض كانوا مائتين وخمسين ألف زائر أى ربع مليون ونقرأ فيما نقرأ أن دور النشر المشتركة فى المعرض كانت ستة آلاف ، ومائة واثنين وتسعين ناشرا •

ونرى رئيس جمهوريتنا الأمين المؤمن الشريف يقف كالطود الشامخ فى شهر فبراير أى منذ عشرة أشهر مصدرا أوامره للمسئولين جميعا أن يعيدوا الى الكتاب عرشه الذى فقده والذى أصبح بعد أن فقده ضائعا تائها لا يجد بدلا من العرش كرسيا أو حصيرا ينتشر منه الى العالم •

ويصفق المصريون ويصفق معهم العرب • ثم ينشغل المسئولون بكل شيء الا الكتاب •

وأكتب أنا مقالات هذه الخامسة منها أو السادسة ويكتب معى كتاب كبار فى مصر والعالم العربى •

وأناشد الوزير ثم أناشد الوزراء جميعا وأستصرخ الشباب ثم أتبين آخر الآخر اننى وكل من كتب كنا نلقى منولوجات سمعها السامعون من المسئولين فأشاحوا أو لم يسمعوها فكأنها ما قيلت • وانى اليوم أتوجه الى الله العلى العظيم فهو وحده القادر على أن يجعل الصوت يصل الى الأذن ويجعل الأذن تعى ما تسمع ويجعل الناكص من الهمم ينشط والمتقاعس من الجهد يهم •

وأتوجه مرة أخرى الى الرئيس العظيم محمد حسنى مبارك ان ادرك أعظم مظهر للحضارة فى الدولة التى تسعد اليوم بالحرية التى أشعتها فى ربوعها وأفشيتها فى نواحيها فلم يبق فيها من معتقل حبيس بغير ذنب جناه الا الكتاب وهو شمس العلوم والفنون والآداب ومشرقها • وهو الذى اختاره الله سبحانه من فوق سماوات سبع ليكون معجزته الخالدة على الأرض وختم به زمان أنبياء وحديث السماء الى العباد •• أدركه فان الله مثيبك أن فعلت ثواب المحسنين الذين اذا عملوا عملا اتقنوه وأرضوا به الله وعباد الله •

الأهرام ١٩٨٤/١٢/٢ م

لا أحد يعرف كل شيء

من أجمل المقولات الانجليزية التى سمعتها تلك التى تقول لست صغيرا لدرجة اننى أعرف كل شيء · وقد لاحظت أن كثيرا من الكتاب والمشتغلين بالحياة العامة يخوضون فى كل موضوع خوض العالم بدقائقه العارف بكل ما يحيط به ·

وتجد الواحد من هؤلاء يتكلم فى الطب وفى الهندسة وفى الطاقة وفى الأدب وفى الفن · وطبيعى أن هؤلاء المتحدثين يظنون ان رأيهم هو الرأى وان قولهم هو الفصل · فالجاهل دائما هو أعلم الناس بكل شيء وتلك كبيرة من الكبائر العظمى · لان القارئ المسكين يظن أن الرأى الذى يقرأه لكاتب من هذا الصنف أو للمشتغل بالحياة العامة هو وليد علم وفير ودراسة مستفيضة فيشيع بين الناس رأى يوشك أن يكون عاما وهو فى حقيقته مبنى على الجهل كل الجهل بالموضوع الذى تكون حوله الرأى ·

نرى كثيرا من الكتاب يتكلمون فى سهولة ويسر وبساطة عن مشكلة الاسكان ·وتلك عجيبة من عجائب الزمان فموضوع الاسكان لابد أن تجمع لمدارسته معرفة بهندسة البناء وما يحتاجه البناء من مواد والرسومات فى ذاتها تخصص والأساسات فى ذاتها تخصص آخر · وطبيعة الأرض تخصص مختلف ·· والاسكان الرخيص يحتاج الى دراسة اقتصادية كما يحتاج الاسكان الفاخر الى هذه الدراسة والدراسة الاقتصادية فى ذاتها تخصص آخر ·

ومشكلة الاسكان فى مصر تحتاج الى دراسة احصائية عن المبانى القائمة التى هى على وشك الانهيار ثم تحتاج الدراسة الى معرفة احصائية عن عدد زيادة طالبى الاسكان وكيفية مواجهة هذه الزيادة ·

ولكن الكاتب مادام فى يده قلم ومادامت احدى الصحف تتيح له فراغا منها يسارع فيخبط الرأى خبطا عشوائيا ولا يهمه من بعد أصاب أم أخطأ ·

أضر .

وكذلك الأمر فى مشكلة المرور جاء علينا حين من الدهر لانفتح جريدة الا وجدناها تهاجم مترو الانفاق . وننظر الى اسم الكاتب فنجده أبعد ما يكون عن معرفة أى شىء من المرور أو ما يستطيع هذا المترو أن يفعله فى حل الأزمة بينما الأمر يحتاج الى دراسة واسعة فى شتى مجالات وعديد من المناخ .

وقد قدر لى أن أحضر دعوة على العشاء وجدت فيها سيدة من سيدات المجتمع حلا لها أن تظهر حلمها وثقافتها فاذا هى تتحدث عن الطاقة والأخطار الناجمة عنها وسألتها :

هل حضرتك مهندسة كهرباء .

قالت :

ــ لا .

ــ هل درست الطاقة واستخداماتها فى العالم ؟

قالت :

ــ لا ولكن هذا أمر لا يحتاج الى دراسة .

قلت لها :

ــ أنا شخصيا يا سيدتى لا أعرف شيئا عن هذا الموضوع على الاطلاق . ولو قلت لى ياسيدتى ما هو الميجاوات لأجبتك بكل صراحة لا أعرف .

ألا يكون لنا رأى .

قالت :

ــ يكون لك رأى فيما تعرفين ياسيدتى ولا يجوز لك مطلقا أن يكون لك رأى فيما تجهلين .

قالت :

ــ فكيف نعرف الحقيقة ؟

قلت :

ــ بسؤال أصحاب الرأى من حقك ومن حق كل انسان أن يطالب

المسئولين أن يجمعوا أصحاب العلم من كبار الثقاة والمتعمقين فى الطاقة والكهرباء ويناقش هؤلاء وحدهم الموضوع ويخرجوا بالرأى الذى ينبغى أن يحترمه كل ما لا يعرف عن حقائقه العلمية شيئا ·

قالت :

ـــ لكن هذا بعيد عن الحرية ·

قلت :

ـــ بل هذه هى الحرية · الحرية التى هى جزء من الديموقراطية هو هذا النظام الذى يعطى الحق للعـالم أن يقول رأيه بمنتهى الصراحة فيما هو عـالم فيه وليست الحرية ومن تكون أن يحكم الجهـلاء ولا أن يصدروا قرارهم فيما لا يعلمون · واعلمى يا سيدتى ان هتلر وهو من أبشع معالم الديكتاتورية فى التاريخ كان يدعو العلماء الذى يخالفونه فى السياسة ويقول لهم · اننى لا أحترم أراءكم فى السـياسة ولكننى أحترم آراءكم فيما أنتم علماء فيه فعليكم أن تجتمعوا وحدكم لا يشترك فى اجتماعكم أحد من الساسة · والرأى العلمى الذى ستنتهون اليه هو الرأى الذى ستأخذ به الدولة ·

لو كان هتلر صنع فى الخطط الحربية ما كان يصنعه فى المسائل الفنية ما خربت ألمانيا ولكن لو حرف لا يفيد الا ضياع الفرصة وقد ضاعت ألمانيا وانشطرت الى شطرين بفضل غباء الديكتاتور ·

مايو ١٩٨٣/١٢/٣ م

مات رجــل مصرى

رجل عنا بالأمس القريب رجل • أما هو فقد صعد الى أكرم لقاء •

ونذكر أبيات شوقى الخالدة :

الى الله اسماعيل وأنزل بساحه

أطل الندى أقطارها والنواحيا

لدى ملك لا يمنع الظل لائذا

ولا الصفح ثوابا ولا العفو راجيا

ترى الرحمة الكبرى وراء سمائه

تلف التقى فى سيبها والمعاصيا

وقد كان عبد المنعم من أولئك الذين لا نعرف عنهم المعاصى • فما عرفنا فيه الا الصدق مع النفس ومع الناس • وعرفناه يتولى كل قضية تتصل بوطنه وكأنها حرم مقدس •• لا يضن عليها بجهد أو قول•

أصابه المرض فهزمه بايمان منه صادق بالله العلى القدير وبحماسه منه منقطعة النظير ان عليه نحو هذا الوطن واجبا لابد أن يؤديه •• واللهم أشهد لقد أداه •

أما هو اليوم فقد اعتضنــم بصاحب الملكوت • رب العرش العـلى الكبير المتعال • السماء والأرض مطويات بيمينه• فهو فى أمان من الحاقدين والمشائين بنميم والظالمين للاتقياء والعادين على حق الله وحقوق الناس • فهو ثمة فى نعيم أى نعيم •

أما نحن أصدقاؤه وعارفو فضله فنبكى فيه رجلا • وكم تمثل كلمة رجل هذه ثروة لا تدانيها فى العالم ثروة • نبكى فيه الاخلاص والأمانة والشرف • واذا كانت هذه الصفات مفروضــة فى الانسان السوى فقد أصبحت فى زماننا هذا أعجوبة تكاد تصبح من السماعيات التى لا يشهدها الا القلة ولا يتحلى بها الا ذو حظ عظيم •

رضى الله عن عمر الفاروق وارضاه كان يروى بيتين ووالله ما أدرى ماذا كان يروى لو شهد زماننا هذا ؟

وما بقيت من اللـذات الا مخاطبة الرجـال ذوى العقول
وقد كنـا نعدهـم قليـلا فقد صاروا أقل من القليـل

وقد كان عبد المنعم الصاوى من أصحاب العقول وهؤلاء الذين هم فى زماننا هذا أندر من الندرة •

وكان مصريـا بكل ما تعنيه الكلمة من عمق وطول وعرض • كان مصريا حين كان يكتب رواياته فتراهـا تقطر رحيقـا مصريا نعرفه نحن المصريين كل المعرفة ونميز ملامحه كما نميز خلجات وجوهنا وكان مصريا وهو يعمل فى اليونسكو •

وكان مصريا وهو نقيب الصحفيين الأفريقسيين وكان مصريـا وهو يسعى أن تكون مصر عضوا شامخا فى المجتمع الدولى فى كل مسـاحات المجتمع الدولى •

عرفت عبد المنعم الصاوى فى السنوات الأخيرة من الأربعينات ودامت هذه الصـلة حتى اختـاره الله فى أكرم جوار فما سـمعت منه يوما مذمة لصديق أو لعدو ولا رأيته يتحدث الا بما يشعر أنه الحق عنده وكم خالفته فى رحاب مجلس الشورى وكم جـادلته ولكنه رحمه الله كان يعلم اننى أجادله مجادلة رأى لرأى وحق بحق وصدق بصدق فما غضب يوما ولا مسه من جدل طرف من سخط أو غضب بل نحن بعد الجلسة ترانا وقد تعانقت ذراعانا وسرنا وكأننا لم نكن منذ لحظات نقف على طرفى نقيض فى مناقشة • كان رجـلا ••• والداهية التى تدهمنـا من فقدان رجل دهيـاء قاصمة •• فنحن •• مصر أشد ما تكون حاجة الى الرجال رحمه الله وبسط عليه نعمائه ورضاه انه قريب مجيب •

مايو ١٠/١٢/١٩٨٤ م

قولوا حقا أو اصمتوا

يبدو أن المعارضة غير واعية بأبعاد الحياة التى تعيشها مصر اليوم فهى فى واد ومصر ومشاغلها فى واد آخر •

ولو كانت المعــارضة تعيش فى مصر لحاولت أن تبحث ما يعــانيه الشعب بحث قوم من أحباب الشعب لا من أعدائه •

لو كانت المعارضة من مصر لما حاولت أن تمزق الجروح فى جسم مصر بل أن تبحث عن الدواء يجعل الجراح تلتئم والآلام تزول •

ولو كانوا من مصر لما حاولوا أن يثيروا الشباب على نفسه لان الثورة فى النفوس جنون وخروج عن العقــل ومن خرج عن العقــل لا يتحرج أن يعتدى أول ما يعتدى على هؤلاء الذين أثاروه والذين نكأوا جراحه وزادوا من آلامه •

المعارضة فى مصر تعيش زمنا بعيدا عن زماننا وتعيش فى بلاد ليست بلادنا •

فان كانت المعارضـــة فى بعض الأزمان تحــاول أن تجرح الحكومة لتسقطها وتتربع هى على دست الحكم بدلا منها فان هذا الزمن اليوم يختلف كل الاختــلاف عن الاطــار الذى نعيش فيه • فقد كانت الأحزاب فى تلك الأيام متقاربة الأغلبيات وكان من الممكن أن يذهب حزب ويحل آخر •

أما اليوم فهيهات • ومحاولة المعارضة أن تحرج الحكومة محاولة تدل على أنهم بعيدون كل البعد عن واقع الحياة التى نعيشها فى مصر •

فمصر التى يفــكرون فى شـــأنها بعقلية الزمان القديم لما تكن قد تعرضت لما تعرضت له مصر اليوم من تخريب لجميع مرافق الحياة فيها •

ولم تكن قد مرت بالنكبات التى مررنا بها قبل أن يستقر بنا الحكم ويهدأ ما كان فائرا ويثبت ما كان زلزالا لا يبقى ولا يذر فنحن اليوم فى فترة من أدق فترات التاريخ لم تعرفها مصر منذ عهد المماليك حتى الآن ونحن اليوم نحتــاج الى كل محب لمصر أن يبحث مع الحكومة عن الحــل الأمثل لمواجهة ما نعانيه •

وفى المعارضة عقول واعية جديرة بأن تكون مصدر نفع لمصر • لو أن هذه العقول صرفت تفكيرهـا الى خير مصر بدلا من أن تصرفهـا الى احراج الحكومة •

ان احراج الحكومة اليوم عواقبه بعيدة كل البعد عن تلك العواقب التى كانت فى الزمن الماضى •

ان المعارضة اليوم تختلق العيوب لتحاول احراج الحكومة • وهى اليوم تقحم نفسـها فى موضوعات على درجة عالية من التخصص لا يجوز أن تقحم نفسها فيها الا اذا استعانت بكفاءات غاية فى الاكتمال العلمى حتى يتاح للمعارضة اذا تكلمت أن يكون كلامها موضع تقدير من الحكومة ومن الشعب أيضا • وحتى يؤدى كلامها الى المصلحة العليا للبلاد التى ينبغى ألا تفكر المعارضة الا فيها •

ليست المشكلة اليوم هى مشـكلة من يحكم حتى تحاول المعـارضة اختلاق العيوب وتصيدها وان المشكلة الكبرى هى مصر •

ان كانت حقا تقدر قداسة مصر فعليها أن تبحث عن الحل الأمثل لا عن الاثارة الفارغة • وعليها أن تضع يدها على الأدواء لتجد لها الدواء وليست لتزيد الداء استفحالا •

على المعارضة أن تعلم انها لن تكسب شيئا على الاطلاق من محاولة احراج الحكم انها لن تلى الحكم فهى أقلية لا يمكن أن تصلح لتـولى الحكم ولن تكسب احترام الشعب لانه الشعب اليوم لا يعنى فى كثير أو قليـل بالذين يهاجمون لمجرد الهجوم • فقد كان هذا يعتبر بطـولة حين كانت الأفواه مكممة والقيود والكبول مفروضة على أبناء مصر •

أما فى ظل الحرية فالمعارضة بين واحده من اثنتين لا ثالث لهما • أما أن تعارض فى علم وفى ذكاء وفى خبرة وفى محاولة للوصول الى الحل الأمثل • وأما أن تصمت تماما حتى لا تفقد احترام الناس لها • واحترام الناس هو رصيد الذين يعملون بالحياة العامة الذين لا حياة لهم بغيره •

مايو ١٧/١٢/١٩٨٤ م

من الحديث الى التنفيذ

مع هذه الكلمة خطاب أنا أعتبره تحقيقا لأمل عريض ظلت الثقافة فى مصر تهفو اليه زمنا عهيدا ٠٠ وأنا أعتبر ان تحقيق هذا الأمل الذى يفك أسر الكتاب والثقافة المصرية ويطلقها تفشى أضواءها فى العالم العربى أجمع وفى غير العالم العربى من الدول الناطقة بلغة القرآن بشرى تقر بها عين مصر ٠

وانى واثق أن هذا الخطاب الكريم من الأستاذ العظيم الدكتور عاطف عبيد وزير التنمية الادارية يحمل فى اطوائه بشريات أخرى من الاهتمام بالمكتبات العامة فى المحافظات والمراكز وفى القرى فمادام الوزير يبشرنا بأن الأمر معروض على مجلس الوزراء فلا جدال أن المجلس سيبحث فى شئون الكتاب جميعا ٠

ولا شك أن المثقفين فى مصر جميعا والناطقين بالعربية فى كل مكان فى العالم ينبغى لهم أن يتقدموا بشكرهم كله الى رئيس جمهورية مصر الذى القى الى الحكومة أمره ان تعد دراسة شاملة حول قضية الكتاب فوضع بذلك بيده الرشيدة الحكومة أمام مسئوليتها وكانت الحكومة عند هذه المسـئولية ٠

ولهذا فانى أرى أن أى حديث فى موضوع الكتاب منى اليوم تزيد لا يجوز لى ٠ فقد انتقل الأمر فى شأنه من مرحلة الحديث الى مرحلة العمل والنفـاذ ٠

وكما احتسبت الله ألف مرة من قبل آن لى أن أحمـد الله آلاف المرات اليوم ٠ فله سبحانه الحمد كل الحمد ٠٠٠ حمدا يرضيه جل علاه وتقدست أسماؤه سبحانه ذو القوة المتين ٠

وزير شئون مجلس الوزراء ووزير الدولة للتنمية الادارية

الأستاذ / ثروت أباظة

خالص تحياتى وتقديرى ٠

سعدت باستفساركم عن برنامج الحكومة بشأن اعطاء دفعة قوية لصناعة الكتاب المصري ، ويسعدني أن أقدم لكم الحقائق الآتية :

أولا : تلقت الحكومة أمرا من السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك بضرورة اعداد دراسة شاملة تنتهى الى برنامج محدد قابل للتطبيق لرعاية صناعة الكتاب فى مصر واعطائها المساندة التى تمكنها من تأكيد دور مصر القيادى فى مجال نشر الثقافة ٠

ثانيا : تم اعداد هذه الدراسات ، وقد حرصت على الاعتماد على كافة المعلومات المتاحة عن واقع صناعة الطباعة ، والمجالات المتاحة لتسويق الكتاب محليا ، ودور مؤسسات التعليم والثقافة فى تأصـــيل عادات القراءة ، ووسائل تشجيع الكتاب والمفكرين ، وأساليب حماية وتقوية الناشرين ومساندة جهودهم فى الداخل والخارج ، والخطة الواجب تنفيذها لزيادة صادرات الكتاب المصرى ، وازالة العقبات المادية والبيروقراطية والتى قد تعرقل الانتاج والتصدير ٠

ثالثا : سوف تعرض هذه الدراسة وتوصياتها على مجلس الوزراء فى جلسته القادمة فور عودة السيد وزير الثقافة من الخارج ٠

وسوف أوافى سيادتكم بنسخة منها بمجرد اقرار البرنامج الذى سيقرر المجلس تنفيذه ٠

يسعدنى أن التقى بسيادتكم فى أى وقت لمناقشة الأفكار المطروحة فى هذه الدراسة والنابعة من الواقع المصرى ، وأود أن أشكركم على عظيم اهتمامكم بقضية الكتاب المصرى حفظكم الله لهذا الوطن العزيز ٠

وتفضلوا بقبول وافر تحيتى وتقديرى ٠

وزير شئون مجلس الوزراء

ووزير الدولة للتنمية الادارية

مايو ١٩٨٤/١٢/٢٣ م :

انهــا مصر أولا

روعت كما ارتاع غيرى حين خرجت على الناس هذه المقارنة المريرة بين انتاج القطاع العام وانتاج القطاع الخاص ٠

والقطاع العام يمثل ركيزة من أخطر ركائز الاقتصاد المصرى أن لم يكن أخطرها فما هذا الانتاج المتهافت الذى تطالعنا به هذه المقارنة ٠

ترى ايشعر العاملون فى القطاع العام أن المال ليس مالهم وكيف ؟ واليهم يعود عائده ، وعلى أبنائهم وأوطانهم ترتد مكاسبه فكيف اذن يفصلون بينه وبين جهودهم وحرصهم على نمائه وازدهاره ٠

أيمكن أن نتصــــور أن المصريين الذين يعملون فى القطـــاع العام لا يشعرون بالانتماء الى مصر ٠

أيمكن أن يمر بخواطرنا أنهم ليسو حريصين على أموالهم ومستقبل بلادهم اذن فما هذا الفارق الكبير بين الانتاج الذى يحققه القطاع الخاص وهذا الذى يحققه القطاع العام ٠

أيكون السبب هو كثرة العاملين فى القطاع العام كثرة لا يحتاجها العمل ٠ فلماذا اذن تم تعيينهم ولماذا لا ينظر خبراء التخطيط عندنا وهم أصحاب علم وخبرة فى هذه المشكلة ويبحثون عن وسيلة لحلها ٠ ولتتمثل هذه الحلول فى التوسع فى المشروعات أو نقل الزائدين عن الحاجة الى أعمال أخرى أو لتتمثل فى أى حل يراه رجال الاقتصاد والتخطيط حتى يتواءم العمل مع العاملين ٠ وحينئذ يكون الربح وفيرا لمصر أولا ثم لهؤلاء العاملين أنفسهم بما يتحقق لهم من أرباح بعد ذلك ٠

أم يكون السبب متربصا فى القطاع العام فى القيود التى تفرضها القوانين على المسئولين فهم عاجزون غاية العجز ان يوقعوا العقاب على المسىء ويقرروا الثواب للمحسنين ربما كان الأمر كذلك وانه لظلم وما افدح الظلم أن يتساوى المسىء بالمحسن والمجد بالكسلان وصاحب الضمير بغائب الضمير ٠ واذا كان الله سبحانه وهو العدل المطلق يكافىء المحسن باحسانه ويجزى المسىء بمساءته فكيف لا يكون هذا هو ميزان العمل عندنا فى كل مرفق من مرافق حياتنا ٠

أننا لا نستطيع أن نتصور حياة يتســـاوى فيها المخطىء بالمصيب. ولا الجاد بالهازل ولا البرىء بالمذنب ٠

ان حياة لا تعرف القاب والثواب هى والغابة سواء بل ان الغابة تكون ارحم منها بساكنيها واشفق منها باهليها ٠

ام ربما تكون كثرة الأجازات والترخص فيها عاملا هاما في ركود القطاع العام وضآلة الانتاج فيه ٠ اذن فمالنا لا نعيد النظر فى هذه الأجازات ونساوى بينها وبين أجازات القطاع الخاص اليس العاملون فى القطاع الخاص آدميون مثل هؤلاء الذين يعملون فى القطاع العام ٠

فلماذا اذن رفض القطاع الخاص أن يطبق نفس القوانين التى يطبقها القطاع العام على العاملين فيه ٠

وكيف يسوغ فى الأفهام أن يكون فى الدولة الواحدة قانونان أحدهما يخضع له القطاع العام والآخر يخضع له القطاع الخاص ان الذى أجمع عليه العالم أن الدولة يحكمها قانون واحد وبغير هذا تصبح القوانين جميعا مائعة لا ترسى فى نفوس الشعب الجلال الذى ينبغى أن تحاط به القوانين فى النفوس ٠

أن الأمر جد لا هزل فيه ٠ وان فى مصر الأقطاب الائمة فى علوم الاقتصاد والتخطيط والقانون وعليهم جميعا أن يبحثوا هذا الأمر بحثا عميقا جادا فان الخطر الداهم الذى يطل على الاقتصاد انما يواجه اقتصاد مصر جميعا وحاضرها ومستقبلها ومادمنا نقول مصر فانه يتحتم على كل فرد فينا أن يعتبر الأمر أهم ما يسعى له انسان يعيش بين ربوعها ٠

مايو ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٨٤ م :

الانضباط يبدأ بالقانون

لست اتصور ان تنصرف كلمة الانضباط الى المرور • فان كان الأمر كذلك لكانت كلمة التنظيم أولى بالاستعمال • انما تنصرف كلمة الانضباط الى مناحى الدولة جميعا بلا استثناء • وهى كلمة طيبة فيها كثير من الرقة •

والميادين التى ينبغى ان تعمل فيها هذه الكلمة لا يكاد يشملها تعداد أو يحيط بها شمول •

والمقصود بالكلمة هو أن يطبق الجمهور القوانين • فكثير من القوانين لا تطبق • والسبب الرئيسى فى ذلك كثرة القوانين كثرة لم تسمع به أمة قبل اليوم •

وكثرة القوانين مثل كثرة أى شىء يوحى بعدم قيمة هذا الشىء • فالذهب والأحجار الكريمة مرتفع الثمن لندرة كل منهما • والنحاس رخيص تجد القطعة منه ملقاة فى الطريق ولا تعيرها التفاتا ولا تبالى بها وقد تعدوها عيناك ولا تراها •

فحتم أساسى أن يكون القانون ذهبا وحجرا كريما أو هو لا قيمة له ولن يكون كذلك الا اذا صدر بعد تمحيص دقيق وبحث عميق فى أصوله وأثاره ودوافعه ووسائل تطبيقه •

ثم اذا صدر القانون أصبح ثابتا مكينا لا يتزعزع فمن أول شروط القوانين ان تكون ثابتة حتى يستقر احترامها فى النفوس واذا لم يستقر هذا الاحترام فى نفوس الشعب فالقانون عدم ولدا ميتا موءودا لا يلتفت اليه أحد •

فاذا عرفنا عدد القوانين المطبقة اليوم فى مصر لأدركنا على الفور لماذا فشا فى الشعب المصرى التسيب وعدم المبالاة بالقوانين •

ان فى مصر أربعة عشر ألف قانون ومعنى هذا ببساطة انه ليس فى مصر قانون •

فمن ذلك الفرد فى الشعب الذى يعرف بل يحافظ على أربعة عشر ألف قانون •

ومن ذلك القاضى الذى يستطيع ان يلم بمواد أربعة عشر ألف قانون .. هيهات .. ان القضاة جميعا بلا استثناء يواجهون موقفا غاية فى الحرج لما يطالعهم من هذا السيل المتدفق كالشلال من القوانين .

ومن ذلك المحامى مهما تكن عبقريته الذى يستطيع أن يعى فى ذهنه اربعة عشر ألف قانون .

ومن فى رجال الشرطة يستطيع ان يلم بأربعة عشر ألف قانون .

أى انضباط اذن نطمح اليه أو نأمل فيه . هيهات انما هذا الذى يحدث محاولة شجاعة جريئة ولكنها تعمل فى ظل ظروف غاية فى الصعوبة ان لم تكن مستحيلة .

ان الانضباط يبدأ أول ما يبدأ بأن يكون هناك قانون .

ووجود اربعة عشر ألف قانون معناه الوحيد انه ليس هنـــاك قانون .

فاذا لم يبدأ الانضباط باعادة النظر فى هذه القوانين وتأصـــيلها ووضعها فى الاطار الطبيعى المعقول فلا سبيل أن يصل رجال الأمن الى الانضباط الذى ينشدون .

ومراجعة هذه القوانين لا تحتاج الى مال وانما تحتاج الى رجال علماء فى القوانين . ومصر فى المال فقيرة ولكنها فى الرجال وفى رجال القانون ، بالذات ثرية غاية الثراء .

وأعلم ان هذا الذى ادعو اليه ليس غريبا على القائمين بالأمر سواء كانوا من السلطة التشريعية أو السلطة التنفيذية .

ولقد أعلم ان هناك لجانا بدأت فعلا فى علاج هذا الداء الوبيل . ولكن أخشى ما أخشاه ان يستغرق هذا السرطان القانونى وقتا طويلا لعلاجه واستئصاله .

ولهذا كم اتمنى ان توزع كل مجموعة من القوانين على لجنة خاصة بها بحيث لا يزيد عدد القوانين التى ستقوم بنظرها عن ثلاثمائة قانون وتعمل اللجان كلها فى وقت واحد حتى اذا أتمت عملها وأصبحت الثلاثمائة قانون عشرة مثلا اجتمعت اللجان جميعا وتدارست ما انتهت الى اثباته من قوانين حتى لا تكون بينها قوانين متعارضة أو متشابهة .

وفى مصر ـ والحمد لله ـ من رجال القانون عدد يستطيع ان يكون مئات اللجان . ولا صلاح لدولة لا تستفيد بعقولها وعلمائها . فالانسان هو اغلى عناصر هذا الوجود .

مايو ١٩٨٤/١٢/٣١ م :

فهل من هداية ؟

حـــــيرة ..

الذى اعتقده أن هناك انتخابات جرت منذ أقل من عام وأظن أن نتائج هذه الانتخابات أسفرت عن فوز الحزب الوطنى بأغلبية وعن فوز حزب الوفد بمقاعد هيأت له أن يكون حزب المعارضة الأول والذى أظنه أيضا أن حزب التجمع الذى يمثل الشيوعية العالمية لم يستطع أن يحصل على مقعد واحد فى البرلمان .

فاذا كان الذى أظنه حقا فأنا فى ذهول مما أرى حولى . واذا لم يكن حقا فالذى أراه اذن معقول متسق مع طبيعة الأمور .

اننى أرى الحزب الشيوعى المصرى قد لف ذراعه حول حزب آخر ليس له وجود شرعى وان كان يحاول أن يجعل وجوده شرعيا . واسم هذا الحزب هو الحزب الناصرى . تكاتف الحزبان وفرضا على مصر حصارا اعلاميا لا يكون ولا يصح فى الأذهان الا اذا كان هذان الحزبان هما الأغلبية الساحقة وكل الأحزاب الأخرى لا وجود لها فى البرلمان أو فى الســـلطة التنفيذية .

لقد فرض الحزب الشيوعى نفسه على وسائل الاعلام المصرى جميعا وأقام على كل قلم حر يمينى وليس شيوعيا غولا يقف على رأسه ويسلط عليه الرعب والرهبة والجبروت .

ترى الشيوعيين فى التليفزيون وتراهم فى كل جريدة بنسب متفاوتة فهم فى بعض الجرائد أصحاب مقالات . وهم فى بعض الصحف السادة المتفردون قد استولوا على الدار من بابها لا ينفذ منها يمين ولا تتخطى أعتابها شهادة لا اله الا الله .

اذن فالذى يقوم بذهنى عن نتائج الانتخابات الأخيرة وهم لا حقيقة فيه . وانى لأعجب أن أكون واهما فى أمور لا سبيل فى شأنها الى شك . ولكن الأعجب الذى يدعو الى الذهول أن يكون الشعب المصرى والعالم أجمع هو أيضا واهما مثل وهمى يسيطر عليه الظن الكاذب الذى يسيطر على أن الشيوعيين لم ينالوا مقعدا واحدا فى مجلس الشعب ومع ذلك ناقص جزء

التليفزيون فى كل يوم حديث • ان لم يكن فى السياسة ففى الثقافة وان لم يكن فى الثقافة ففى الدراما وان لم يكن ففى غير ذلك •

ومع هذا الانتشار يثور الرعب بين الكتاب فلا يجرؤ كثير من الكتاب أن يذكروا انتصار ٧٣ وصاحب قرارها الزعيم العملاق أنور السادات ولكن للكاتب اذا شاء أن يذكر الأمجاد التى أحرزتها مصر فى كارثة ٦٧ التى أدت الى احتلال مصر بأحقر دولة فى العالم •

أما الحرب التى أوقدها السادات • والتى كان من أكبر أعمدتها رئيسنا الحالى أبقاه الله الذى استطاع أن يجعل ما صنعه الطيران المصرى فى حرب النصر موضوع دراسة فى جميع أنحاء العالم •• هذه الحرب يذكرها كثير من الكتاب وهم يتلفتون حولهم خشية الغول الشيوعى الذى وزع الشيوعيون نماذج منه فى كل ناحية من نواحى الاعلام فى مصر •

ولا يجرؤ الكتاب أن يذكروا رحلة السادات الخالدة الى السلام والتى كان من نتائجها أن تسلمت مصر سيناء كلها •• فقد استطاع الشيوعيون أن يصرخوا بصوت جهير كلما ذكرنا سيناء •• وأين طابا ؟

وطابا هذه لا تزيد مساحتها على مساحة بيت من بيوت مصر يتمسك بها اليهود ليخفوا خيبتهم فى الحرب وفى مفاوضات السلام وهى عاجزة أن تخفى هذه الخيبة الا اذا استطاع دبوس أن يخفى عمارة شاهقة البناء •• وهم يتمسكون بها لأن بعض الحكام لهم أنصبة فى الفندق المقام هناك على بضعة مئات من الأمتار • وهم يعلمون أنهم مهما عضوا بالنواجذ على طابا فهى عائدة الينا بما لنا فيها من حق وبما يساندنا فى شأنها العدل الـدولى •

ولكن الشيوعيين يجعلون منها شعارا على أن الحرب لم تكن انتصارا وعلى أن السلام لم يؤت ثماره •

وهم قادرون على أن يجعلوا الزيف يبدو وكأنه حق • ولكن فالهم يخيب وهراءهم يسقط • ويبقى الحق حقا والنصر نصرا ناقص منا أن ننسى أن زبانية حكم الطغيان كانوا يتاجرون وحدهم فى كل ما يستورده الانفتاح اليوم بصورة شرعية بينما كان يستورده الطغاة بطغيانهم وبالسلطة المطلقة التى اغتصبوها بالسلاح والاعتداء على الأعراض وبالتعذيب وبالقهر •

وهم يصرخون لكل أخبار تنشر عن سرقات وينسون أن النشر عن السرقات هو الحرية وهو السبيل أن يمنع هذه السرقات ويردع مرتكبيها • وينسون أن هذه السرقات كانت مؤممة فى حكم الطغاه وكان الطغاة وحدهم يسرقون بلا رقيب ولا حسيب الا اذا شاء الحاكم أن يفضح واحدا منهم فانه يذيع ما استتر من أمره ويقصيه حتى اذا قبل الحذاء ومرغ وجهه فى تراب

الاعتاب عاد مفضوحا • لكن هو يعود • ويحكم ويتولى كل السلطات التى كان يتولاها • وأقرأ منذ قريب مقالا لأمين هويدى فى الأهرام يقول فيه أى العرب تصطلح معهم مصر ومع أى مصر يصطلحون ••

عجيبة •• أما العرب الذين ينبغى أن يصطلحوا مع مصر فهم كل العرب ماعدا الأخرق الذى أذاع نفسه فى ليبيا أنه ارهابى محترف وماعدا الطاغية الذى ترك وطنه محتلا من اليهود فى الجولان واحتل هو لبنان فى منطقة جبل الشوف •

أما أى مصر فهذا هو السؤال الكارثة ، انها مصر واحدة • مصر التى يعرفها التاريخ منذ مشرق التاريخ والتى يعرفها العالم اليوم محكومة برجل يخاف الله ويتقيه كل تقاته ويعف عن قهر وينأى بنفسه عن تعذيب الشعب ويسمح لك ولحلفائك الشيوعيين أن تقولوا ما تقولون وتفعلوا ما تفعلون •

انها مصر • مصر الواحدة الباقية الخالدة التى صمدت للطغاة من الخارج والداخل •• والتى يشيع فيها الأمن اليوم وتنعم بالحرية والسلام •

ولكن الغريب أن يسيطر هؤلاء على الأغلبية ليس شيوعيا وأن حزب الوفد الذى يمثل الجانب الأكبر من المعارضة ضد الشيوعية •

وهكذا فالذى ينبغى أن يثبت فى يقينى أن أعضاء مجلسى الشعب والشورى جميعا ليس فيهم شيوعى واحد •

فما لهذا اليقين يختلف كل الاختلاف عما أراه فى الاعلام المصرى وما للشيوعيين يظهرون فى كل ميادين الأعلام ولا يسمحون لقلم يمينى واحد أن يكتب سطرا فى مجلتهم • ومالهم لا يكتفون بهذه المجلة ومالهم يبعثرون غيلانهم على سطح مصر جميعا •

عجب يتولانى ويتولى فى مصر كل من يؤمن بالله واليوم الآخر مسلما كان هذا المصرى أو كان من اخواننا المسيحيين •

ألا أجد أحدا يهدى الحائر من نفوسنا والذاهل من عقولنا ؟

أم نقول حسبنا الله ونعم الوكيل ونضم حيرتنا تلك مع حيرات أخرى لا عدد لها ولا حصر لا أستطيع أن أغفل منها ما قرأته من مقالات للشيوعيين يشيدون فيها بالارهابى المحترف صاحب ليبيا وبانجازاته وعدالته فى التوزيع وبعظمته مسقطين من مقالاتهم عمليات الاغتصاب الدولى التى يمارسها فى السودان وفى تشاد بل وفى لندن أيضا •

ولست أدرى ربما يعودون الى هذه الجرائم الدولية فيوســـعونها أكبارا وتعظيما واجلالا ٠ وبما لا يفوتهم أيضا ما قام القذافى به فى مصر من محاولات خائنة وضيعة ليثير الشباب على وطننا المفدى ٠

ترى أيعرف الشيوعيون معنى الوطن المفدى ٠٠ لا ما أظن فليس فداء الوطن أو العمل فى سبيل رفعته من مبادىء الشيوعية وانما مذهبهم أن نهدم الوطن ونغرس الكراهية فى أنحائه لينمو فيه نباتهم القاتل ٠

فما بغريب أن نرى فى غد مقالات تشيد بما يحاول أن يخربه القذافى من أمتنا وسلامتنا ٠

مقـــــالات

١٩٨٥

أيهما أجـدى ؟!

فى أى زمان تعيش المعارضة · وهل تراها تعى أننا اليوم فى عام ١٩٨٥ وانه قد مر على الفترة التى يتحدثون عنها ثلاثون عاما ونيف · كم كنت أرجو أن يخلف الوفد ظنى حين كنت أذكر تاريخه أثناء المعركة الانتخابية وكم كنت اتمنى أن يعود الى الحياة السياسية بوجه يوائم التغييرات الكبرى التى حدثت طوال ثلث قرن · فالشعب الذى يخاطبه الوفد من العشرينات الى الخمسينات مختلف تماما عن الشعب الذى يخاطبه اليوم · والأفكـــار التى كان يعمل بها تغيرت تغييرا كاملا · والمناورات السياسية التى كان يتعامل بها فى تلك الفترة أصبحت غير ذات مكان ولن يكون لها أى جدوى ·

والغريب العجيب أن ساسه حزب الوفد يعرفون ذلك تمام المعرفة ولا يحتاجون الى أحد أن يذكرهم به · فليس فيهم من لا يعلم أنهم بعيدون بهذه القلة التى تمثلهم فى مجلس الشعب عن الحكم بعدا قصيا فاستيلاؤهم على الحكم هو المستحيل بعينه · ولم يكن الأمر كذلك قبل يوليه ٥٢ فقد كانت لهم وسـائل كثـيرة أن يصـلوا الى الحكم أولها الانجليز وآخرها الشعب · وتهجمهم اليوم على الأحزاب التى كانت معهم فى الساحة عبث أطفال · فان التاريخ قد كتب فعلا ولن يغيره اليوم تلك النقوش التى يلهو بها من دمروا هذا التاريخ ·

ومادام الأمر كذلك أليس من الطبيعى والمعقول أن يحاول الوفد أن يكون ولو لمرة واحـــدة ذا نفع فى الحيـــاة العامة فيعمل على خير مصر ومصلحتها مادام لا أمل لهم فى مصلحة شخصية ·

أنا أعلم أن العمل لمصلحة مصر أمر يتجافى مع مبادئهم ومع وسائلهم السياسية · ولكن هم يعلمون اليوم كل العلم أن مبادئهم ووسائلهم لن تأتى بهم الى الحكم فما ضرهم لو تظاهروا بأنهم يريدون مصلحة مصر لوجه الله والمصلحة العامة وحدها وقد يصدقهم الناس ·

لقد جانبهم التوفيق تماما حين بدأوا استجواباتهم بمشكلة الطاقة فهى مشـــكلة فنية لا يجوز الكـــلام فيها لغير المتخصصين المغرقين فى التخصص · والذى يتحدث فى غير علمه جاهل مغرق فى الجهل · ولو أنهم

تناولوا الموضوع تناولا علميا شريفا واستدعوا علماء فى الطاقة وطلبوا اليهم أن يقدموا تقريرا مفصلا كافيا عن مضار الذرة وفوائدها لكانوا بهذا حقا ساسة أذكياء يعرفون كيف يكون العمل الذى يدعو الى الاحترام ٠ ولو كان العلماء الذين دعوهم أدانوا استعمال الذرة لأصبح لكلامهم قيمة ٠ أما أن يهاجموا موضعا فنيا من زاوية سياسية فتلك مهزلة نالوا عليها الجزاء ٠

وأخرى ٠ ما حديثهم اليوم عن الانتخابات ٠ ومتى كانت مثل هذه الأحاديث مجدية أو ذات نفع ٠ أينتظرون مثلا أن يصدر مجلس الشعب قرارا بزيف الانتخابات وبطلانها وحل مجلس الشعب ٠

أم هم يريدون أن يدقوا طبولهم التى مازالوا يحتفظون بها منذ كانت الغوغائية والهتاف والقمصان الزرقاء هى مثلهم الأعلى ٠

فان كان هذا هو هدفهم فالى أى غاية يصلون ٠ وماذا يجدى عليهم هذا ٠ وأنى لأسألهم مخلصا صادقا ٠ أليس الأجدى وبينكم قوم نحترم عقولهم وثقافتهم وخبرتهم أن تبحثوا عن الطرق المثلى التى يستطيع بها الشعب أن يتخلص مما فرضته عليه السنوات العجاف ٠ أولا يعتقدون أنهم لو اتجهوا هذا المتجه أصبحوا وقد أرسوا فى نفوس الشعب الاحترام لهم والتوقير والاكبار بدلا من أن يصبحوا أمامه مسوخا وتشويها للحقائق وطواحين هواء تضرب الا فى فراغ ٠ اللهم أنهم يعلمون الحق ولكنهم كعهدهم يميلون عنه بغريزتهم والأمر لله من قبل ومن بعد ٠

مايو ٧ يناير سنة ١٩٨٥ :

فى تيـه القوانين

هناك بعض القوانين تدعو الى الدهشة والعجب واعتقد أن المشرع ينبغى له أن يعيد النظر فيها ٠

وربما تكون هذه القوانين قد صدرت فى فترة انفعالية فكان الغضب هو الباعث عليها ٠ وما هكذا تصدر القوانين ٠ واعتقد أن هذا لا يجوز الا أن يكون فى مجال المعاملة انما بالمثل تصدر القوانين لتواجه الحياة السوية التى لا يؤثر فيها انفعال الغضب أو سماحة الرضى ٠

ان القوانين ثبات قبل كل شىء تواجه أمور الناس وهم فى هدأة من أمورهم ٠ فالقوانين لا تعنى بغضب الغاضب أو سخطه ولا تحفل برضاء الراضى أو قبوله ٠ انما القوانين للكافة ٠ ولجميع الأوقات ولكل حالات الانسان من سخط ومن رضاء ٠ القانون هو العدالة والعدالة مطلقة وحكمها على العمل وليس تعنى بالأشخاص ولهذا يرسمونها فتاة معصوبة العينين لأنها تسمع الأدلة وتتعرف الحق مما تسمع دون أن يكون لشخص القائل أثر فى اصدار حكمها ٠

تلك هى العدالة ٠ والعدالة هى تطبيق القانون فلابد أذن أن تكون هذه القوانين قد ولدت ميلادا طبيعيا لا تعسف فيه ولا افتعال ولا تعجل ٠ ولابد أن تصدر القوانين بعد البحث العميق ومحاولة التعرف على أثارها فى شتى نواحى الحياة ومختلف مناططها بل ينبغى أن يتحسب المشرع مستقبل الأيام وما قد تتكشف عنه ليواجهها القانون الجديد وفى الأردن توجه أحد الصحفيين بسؤال الى اقتصادى اردنى عن السر فى ثبات الاقتصـــاد الأردنى وانتعاشه فنال الاقتصـــادى ان القوانين فى المملكة الهاشمية الأردنية لم تتغير منذ عام ١٩٥٠ ٠ أى أن القوانين هناك ثابتة منذ خمسة وثلاثين عاما ٠ وليس شىء أكثر ارساء للثقة من هذا الثبات ٠ واذا كنا نريد الانتعاش الاقتصادى لمصر فلن يكون هذا أو يشعر العالم أجمع أن القوانين عندنا ثابتة باقية وانها ولدت لتبقى لا لتتغير تبعا للأهواء وجريا وراء ارضاء أو خوفا من بعض سخط ٠

ولكن القوانين القائمة اليوم لا تصلح أن تكون ثابتة فهى ولدت مشوهة منذ ولدت ٠ وقد تكاثرت حتى أصبحنا بلا قانون على الاطلاق ٠

وان لك أن تسأل أى عالم قانون فى العالم عما يراه فى دولة بها أربعة عشر ألف قانون معمول بها · فانه سيجيبك من فوره ودون لحظة تفكير · هذه دولة بلا قانون ·

وربما كان السبب الذى جعلنى اكتب هذا الكلام اليوم ذلك القانون الذى يمنع العرب من تملك مبانى أو شقق فى مصر الا باذن من مجلس الوزراء · وتلك عجيبة من العجائب ما لها من مثيل · فأما أن مصر لا تريد لأخواننا العرب الا يملكوا عقارات أو شققا فحينئذ لا داعى لهذا الاستثناء الذى يبيح التملك بأمر من مجلس الوزراء وأما أن مصر تريد لأخواننا العرب أن يملكوا ففيهم هذا القيد بالمنع لا يرفعه الا مجلس الوزراء · وقد عجبت لهذا القانون فما أزال عجبى ، الا أننى علمت أننا فى هذا القانون نعامل أخواننا العرب بنفس المعاملة التى يجرون عليها فى معاملتنا فقوانينهم هم أيضا تمنع المصريين أن يتملكوا فى ديارهم ·

لماذا يمنع العرب المصريين أن يتملكوا عقـــارات فى ديارهم ولماذا يرغموننا على أن نمنعهم أن يتملكوا فى ديارنا التى نحب دائما أن نعتبرها ديارهم ·

احرام على بـــلا بلـــه الدوح   حـــلال للطير من كل جنس

على كل حال كم أرجو أن نتفق مع العرب فى وقت واحد أن نغير هذا القانون ويكوم تغيير هذا القانون عندنا بداية النظر فى آلاف القوانين الأخرى التى لا تصنع شيئا الا وضع الناس والقضاء والمحامين ورجال الشرطة وأعضاء النيابة جميعا فى تية هيهات لهم وألف هيهات أن يعرفوا فيه أين الطريق الى العدالة ·

مايو ١٤ يناير سنة ١٩٨٥ م :

أغريب أنا اذن ؟!

مصرى أنا بكل نسمة هواء انشقها · مصرى أنا بكل لحظة من لحظات حياتى ، مصرى وهى رغد وسعادة وهناء · ومصرى أنا وهى مهزومة ومصرى أنا وهى منتصرة · مصرى أنا وهى تفدى الاسلام والعروبة بدمائها الذكية وبحر مالها · ومصرى أنا وهى ســـلام ومصرى أنا وهى محتلة بالامبراطورية أو محتلة بحثالة البشرية وشراذم الدول ومطاريدها ومصرى أنا وهى تسترد أرضها جميعا · مصرى أنا وهى مكبلة ومصرى أنا وهى حرة عزيزة كريمة ·

على ترابها لعبت · دمى كل نقطة فيه مصرية خالصة · تعلمت فى مدارسها وعرفت قريتها من أبعد أعماق قريتها وعرفت الشارع والحارة والعطفة والزقاق · ليس فى مدنها مدينة لم ازرها ·· زيارة عابرة أو زيارة متأنية ·

لم اغب عن مصر فى حياتى أكثر من شهر فلغتى لغتها وتصرفى تصرف الخلص من أبنائها واشارتى مطبوعة على جوارحى من اشارات أبنائها · لا أتصور ان انسانا ما يمكن أن يكون مصريا أكثر مما أنا مصرى · لم أشعر فى حياتى بغير نبضها وما يعنينى فى العالم مجد الا مجدها ·

أنا بعض من أنفاس الليل والنهار بين ربوعها · انا ذرة من ترابها ، أنا نقطة من نيلها أنا ورقة من أشجارها أنا نبتة من حقولها أنا صدى الآذان فى سمائها ·

فماذا حل بى فى هذه الأيام · لقد أصبحت وأنا ذلك الرجل احس انى غريب فى مصرى هذه التى أنا منها نفحة وهى منى كل أمى وكل أبى وكل زوجى وكل ابنى وكل بنتى وكل بيتى ·

ولكنى غريب فيها هذه الأيام ··· اترى هى غربة عن مصر أم غربة عن الزمن · أنا غريب ··· فعن أى المصدرين غربتى · أهى غربة عن بلدى · أم غربة عن زمنى ·

لكم تمنيت ان تكون غربة عن الزمن اذن فيشركنى فى غربتى كل أبناء جيلى فى شتى أنحاء العالم ولكن كم أنا أسيف حزين ·

أنا غريب عن مصر هذه ولست غريبا عن الزمن أنا أقدر وأقبل ولا أعجب لمجرى الحياة في شتى دول ومختلف أمصار • أنا عنها غريب بدمي وبمولدي وبنشأتي •

ولكن ما يجري في مصر اليوم جعلني أحس في كثير من لحظات يومي انني غريب • فأنا بين واحدة من اثنتين كلتاهما أشد مرارة من الأخرى أما أن هذه ليست مصري التي ولدتني وأما انني أنا لم أعد أنا الذي عهدت نفسي •

أجلس أمام التليفزيون واسمع كلاما يقولون عنه شعرا • وأنا رجل صناعتي في الدنيا الأدب والشعر أعرفه منذ نطقت الكلام وحفظته ورويته وصنعته • ليس ما أسمع شعرا ولا هو نثر وكنت قد تعلمت في مدارس مصر ان الأدب هو البيان والبيان أهم ما فيه هو الوضوح • لا بيان فيما أسمع ولا وضوح انه كلام لا أعرف كيف ركب صاحبه ألفاظه ليجعل منها جملا غير مفيدة هل ما أشاهد واسمع جملة مركبة أم جريمة ترتكب ولكن التليفزيون المصري الذي يحمل لواء الدولة ••• الدولة المصرية يذيع هذا الـــكلام •••

فأنا اذن غريب عن مصر •

وأقرأ أخبار الناس فأجد النبالة قد رحلت عنا وأجد الطهارة أصبحت استثناء وأصبحت السرقة وخيانة الأمانة والاختلاس والاعتداء على أموال الشعب هو الأصل •• لا •• ليست هذه مصر •

لا شك ان لكل زمن لصوصه وناهبيه ولكنهم كانوا هم الاستثناء وكان الأصل هو الأمانة فكيف انقلب الأمر كل هذا الانقلاب •

كان الأمين على خزانة اذا مس منها مليما حوكم سواء أعاد ما اختلس أو لم يعده لأن الجريمة تتم بمجرد تحويله المال الذي كان لديه أمانة الى مال خاص له ، ولأنني أعلم اليوم ان الجريمة تسقط اذا هو أعاد المال الذي اختلسه الى الخزانة • والكارثة ان هذا يحدث بحكم مجرى العمل اليومي وليس بحكم القانون الذي لم أكن أتصور أن يحطمه في يوم من الأيام مجرى العمل اليومي •

فأنا أذن غريب عن مصر •

اقتصاد مصر يدمر وتنصب عليه الأيدي العابثة من كل جانب والعمال لا يعملون والانتاج يتضاءل والتبجح يتسيد ولا عقوبة لمسيء ولا مثوبة لمتقن • ويختلط الكسول الجامد الحس الوقح بالنشيط ذي الحياء الابي ويصبح كلاهما سواء في المنح والعلاوات والترقيات •

فأنا اذن غريب عن مصر .

المتعلمون أشد جهلا من الأميين والمنارة الكبرى من الأزهر الشريف أصبحت جامعة مثل كل جامعات العالم وهي التى كانت متفردة لا مثيل لها فى العالم أو فى التاريخ ومن كرسيها الموصول بالعامود صنعت كراسى الجامعات جميعا وتصدع حصن اللغة العربية وهدمت حصونها وأصبحت لغة القرآن غريبة مثلى فى بلد الأزهر الشريف واحد الجامعات وعلمها الفرد واسمع فى التليفزيون والاذاعة لغة غير اللغة التى أعرفها ... لا هى العربية التى تعلمناها ولا هى العامية التى نشأنا نسمعها وانما هى شيء آخر حقير لا لون له ولا دلالة ولا مفهوم .

فأنا اذن غريب عن مصر

وأرى الأفلام ... وويل لمصر من أفلامها دعارة وخدر وسكر وانحدار كل هذا بغير القصة التى تعودنا قراءتها ومشاهدتها على شاشات السينما . مصرية كانت الأفلام أو أجنبية وأسمع أرقام الايرادات وأجور الممثلين فاصيح وأصيح .

فأنا اذن غريب عن مصر

وأبحث عن مسارح الدولة فيقولون ان الممثلين الكبار نزحوا الى حيث المال الوفير فى السينما والتليفزيون واسأل وهل بدأ هؤلاء الممثلون كبارا أم كانوا شبابا شداة صنعوا مستقبلهم على خشبة المسرح ثم انتقلوا الى سماء النجوم وحضيض المال . فلماذا لا يعمل المسرح بالشباب الجديد المتخرج فى المعاهد الفنية والنصوص المصرية موجودة فى تاريخ المسرح المصرى وفى حديثه والنصوص العالمية لا تمتنع على أحد يستطيعون ان يعرضوها مترجمة أو ممصرة . لا أجد الجواب ..

وقد نشأت منذ أنا طفل لا يكاد يعى أجد فى مصر مسارح عددا .

فأنا أذن غريب عن مصر .

وأرى مسلسلات التليفزيون أشاهد منها ما يمثل فى الريف فأجد ريفا غير الذى عجنت فى جنباته كل جارحة من جوارحى .

انه ريف لا أعرفه ولا يعرفنى . لا هو الى الدلتا ينتسب ولا هو الى صلة بالصعيد يمت . ريف يصنعه المؤلف وفق هواه ويحسب انه اذا قلب القاف جيما على لسان الممثل فقد صنع الريف .

واذا كانت الرواية فى القاهرة فالهول الأخذ والزيف المشين وكلنا يعرف القاهرة وما فى بيوت القاهرة . انها قاهرة أخرى غير تلك التى يرزؤنا بها المؤلفون فى التليفزيون .

فاذا تفاضينا عن التضليل في رسم مصر من ريفها الى حضرها وحاولنا ان نبحث عن لمحة من فن أو ومضة أصالة من الدراما فسعينا خائب وبحثنا هباء وقد رأينا أفلاما مصرية غاية في الروعة ورأينا مسرحا مصريا غاية في الرفعة والأصل في الفن ان يزداد على الأيام أصالة وشموخا وتفردا ٠ والأصل في الفنانين أن يزيدوا البناء الذى تركه لهم السابقون سموقا وعلوا ٠ ولكن للأســـف هدموا البناء القديم وما أقاموا مكانه شيئا ٠ وما هكذا مصر ٠

سماء النجوم وحضيض المال ٠ فلماذا لا يعمل الفنانين أن يزيدوا البناء الذى تركه لهم السابقون سموقا وعلوا ٠ ولكن للأسـف هدموا البناء القديم وما أقاموا مكانه شيئا ٠ وما هكذا مصر ٠

فأنا اذن غريب عن مصر

وأخرى لا تقل هولا عما يحيط بنا ٠ ان عضو النيابة هو وكيل النائب العام ٠ والنائب هو الرجل الذى انابه الشعب ليحرك له الدعوى العمومية ضد كل من يعتدى على حق من حقوق أفراد الشعب وهو من باب أولى المنوط به تحريك هذه الدعوى اذا اعتدى شخص ما على قيم هذا الشعب وتراثه وثقافته ٠ فكيف اذن يقيم وكيل من وكلاء النائب العام الدعوى على التراث الأدبى وهو جزء من تاريخ هذا الشعب ٠

ان وكلاء النائب العام محتم عليهم ان يعرفوا ما هو التراث الأدبى ومحتم عليهم ان يكونوا على وعى بجانب كبير منه ٠ ترى هل فكرت النيابة العامة في هذا التراث وفى عدد الأجيال الضخم الذى صاحب فيه هذا التراث الشعب المصرى ٠ ألم يفكر لحظة لماذا لم يقم واحد من زملائه السابقين على مدى مئات السنين بتحريك الدعوى العمومية طوال هذه السنوات أم يريد هو اليوم ان يصحح خطأ وقعت فيه أجيال النيابة المتعاقبة على مدى التاريخ أم تراه يبتدع في وظيفة النيابة العمومية بدعة جديدة ٠ فيصبح وكيل النائب العام الذى هو وكيل الشعب سلاحا على الشعب بدلا من أن يقوم بوظيفته الأصلية فيكون سلاحا لصالح الشعب أنا لا أدرى ٠

فأنا اذن غريب عن مصر

وأخرى أدهى من كل ذلك وأمر : أرى الشيوعيين قد طفوا على سطح الاعلام المصرى في شتى نواحيه ومجالاته وأوشكوا أن يصبغوا مصر المؤمنة الأصيلة بلون الدم ٠ وقد عاشت مصر حياتها جميعا وهى مصر الأزهر حتى بعد أن أصبح الأزهر جامعة ٠ وعاشت مصر من مشرق التاريخ دار الحضارة لا العدوان والحب لا القهر والاخاء لا التمزق ٠

وان تكن فترات قد مرت بها نصب فيها الحب وتسيد العدوان فقليلا ما كانت تمكث هذه الأوقات ٠

وأنا من أكثر الناس علما أن الرئيس حسني مبارك رجل مؤمن عميق الايمان ٠ الديمقراطية مذهبه ٠ والاسلام دينه ٠ والحب ديدنه ٠ والشرف رايته ٠ أذن فما هذا الذى يحدث فى الاعلام المصرى ٠

أنا أذن غريب عن مصر ٠

واستطيع أن أمضى فى الحديث فلا أقف ولكننى أحس خنجرا يغوص فى قلبى مع كل كلمة يخطها قلمى ٠ فحسبى وفوق الحسب ما انغرس فى فؤادى من خناجر ٠ والله وحده هو الموئل وما خاب من جعل الله موئل ٠

الأهرام ١٩٨٥/٣/٣١ م :

فهل من هداية ؟

حـــيرة

الذى أعتقده أن هناك انتخابات جرت منذ أقل من عام وأظن أن نتائج هذه الانتخابات أسفرت عن فوز الحزب الوطنى بأغلبية وعن فوز حزب الوفد بمقاعد هيأت له أن يكون حزب المعارضة الأول والذى أظنه أيضا أن حزب التجمع الذى يمثل الشيوعية العالمية لم يستطع أن يحصل على مقعد واحد فى البرلمان ٠

فاذا كان الذى أظنه حقا فأنا فى ذهول مما أرى حولى ٠ واذا لم يكن حقا الذى أراه اذن معقول متسق مع طبيعة الأمور ٠

اننى أرى الحزب الشيوعى المصرى قد لف ذراعه حول حزب آخر ليس له وجود شرعى وان كان يحاول أن يجعل وجوده شرعيا ٠ واسم هذا الحزب هو الحزب الناصرى ٠ تكاتف الحزبان وفرضا على مصر حصارا اعلاميا لا يكون ولا يصح فى الأذهان الا اذا كان هذان الحزبان هما الأغلبية الساحقة وكل الأحزاب الأخرى لا وجود لها فى البرلمان أو فى السـلطة التنفيذية ٠

لقد فرض الحزب الشيوعى نفسه على وسائل الاعلام المصرى جميعا وأقام على كل قلم حر يمينى وليس شيوعيا غولا يقف على رأسه ويسلط عليه الرعب والرهبة والجبروت ٠

ترى الشيوعيين فى التليفزيون وتراهم فى كل جريدة بنسب متفاوتة فهم فى بعض الجرائد أصحاب مقالات وهم فى بعض الصحف السـادة المتفردون قد استولوا على الدار من بابها لا ينفذ منها يمين ولا تتخطى أعتابها شهادة لا اله الا الله ٠

اذن فالذى يقوم بذهنى عن نتائج الانتخابات الأخيرة وهم لا حقيقة فيه ٠ وانى لأعجب ان أكون واهما فى أمور لا سبيل فى شأنها الى شك ٠ ولكن الأعجب الذى يدعو الى الذهول أن يكون الشعب المصرى والعالم أجمع هو أيضا واهما مثل وهمى يسيطر عليه الظن الكاذب الذى يسيطر على ان

الشيوعيين لم ينالوا مقعدا واحدا ، فى مجلس الشعب ومع ذلك يسيطرون على كل وسائل الاعلام بهذا الجبروت وتلك السعة وهذا الانتشار ·

لهم فى كل جريدة مقال · ولهم فى التليفزيون فى كل يوم حديث · ان لم يكن فى السياسة ففى الثقافة وان لم يكن فى الثقافة ففى الدراما وان لم يكن ففى غير ذلك ·

ومع هذا الانتشار يثور الرعب بين الكتاب فلا يجرؤ كثير من الكتاب أن يذكروا انتصار ٧٣ وصاحب قرارها الزعيم العملاق أنور السادات ولكن للكاتب اذا شاء أن يذكر الأمجاد التى أحرزتها مصر فى كارثة ٦٧ التى أدت الى احتلال مصر بأحقر دولة فى العالم ·

أما الحرب التى أوقدها السـادات · والتى كان من أكبر أعمدتها رئيسنا الحالى أبقاه الله الذى استطاع أن يجعل ما صنعه الطيران المصرى فى حرب النصر موضوع دراسة فى جميع أنحاء العالم ·· هذه الحرب يذكرها كثير من الكتاب وهم يتلفتون حولهم خشية الغول الشيوعى الذى وزع الشيوعيون نماذج منه فى كل ناحية من نواحى الاعلام فى مصر ·

ولا يجرؤ الكتاب أن يذكروا رحلة السادات الخالدة الى السلام والتى كان من نتائجها أن تسلمت مصر سيناء كلها ·· فقد استطاع الشيوعيون أن يصرخوا بصوت جهير كلما ذكرنا سيناء ·· وأين طابا ؟

وطابا هذه لا تزيد مساحتها على مساحة بيت من بيوت مصر يتمسك بها اليهود ليخفوا خيبتهم فى الحرب وفى مفاوضات السلام وهى عاجزة أن تخفى هذه الخيبة الا اذا استطاع دبوس أن يخفى عمارة شاهقة البناء ·· وهم يتمسكون بها لأن بعض الحكام لهم أنصبة فى الفندق المقام هناك على بضعة مئات من الأمتار · وهم يعلمون أنهم مهما عضوا بالنواجذ على طابا فهى عائدة الينا بما لنا فيها من حق وبما يساندنا فى شأنها العدل الدولى ·

ولكن الشيوعيين يجعلون منها شعارا على أن الحرب لم تكن انتصارا وعلى أن السلام لم يؤت ثماره ·

وهم قادرون على أن يجعلوا الزيف يبدو وكأنه حق · ولكن فألهم يخيب وهزاءهم يسقط · ويبقى الحق حقا والنصر نصرا والسلام سلاما ·

وهم يثيرون الحرب الضروس على الانفتاح لأن الانفتاح هو الحرية ويريدون منا أن ننسى أن زبانية حكم الطغيان كانوا يتاجرون وحدهم فى كل ما يستورده الانفتاح اليوم بصورة شرعية بينما كان يستورده الطغاء بطغيانهم وبالسلطة المطلقة التى اغتصبوها بالسلاح والاعتداء على الأعراض وبالتعذيب وبالقهر ·

وهم يصرخون لكل أخبار تنشر عن سرقات وينسون أن النشر عن السرقات هو الحرية وهو السبيل أن يمنع هذه السرقات ويردع مرتكبيها · وينسون أن هذه السرقات كانت مؤممة في حكم الطغاه وكان الطغاة وحدهم يسرقون بلا رقيب ولا حسيب الا اذا شاء الحاكم أن يفضح واحداً منهم فانه يذيع ما استتر من أمره ويصيبه حتى اذا قبل الحذاء ومرغ وجهه في تراب الاعتاب عاد مفضوحا · لكن هو يعود · ويحكم ويتولى كل السلطات التي كان يتولاها · واقرأ منذ قريب مقالا لأمين هويدى في الأهرام يقول فيه أى العرب تصطلح معهم مصر ومع أى مصر يصطلحون ··

عجيبة ·· أما العرب الذين ينبغي أن يصطلحوا مع مصر فهم كل العرب ماعدا الأخرق الذى أذاع نفسه في ليبيا أنه ارهابى محترف وماعدا الطاغية الذى ترك وطنه محتلا من اليهود في الجولان واحتل هو لبنان في منطقة جبل الشوف ·

أما أى مصر فهذا هو السؤال الكارثة ، انها مصر واحدة · مصر التى يعرفها التاريخ منذ مشرق التاريخ والتى يعرفها العالم اليوم محكومة برجل يخاف الله ويتقيه كل تقاته ويعف عن قهر وينأى بنفسه عن تعذيب الشعب ويسمح لك ولحلفائك الشيوعيين أن تقولوا ما تقولون وتعلوا ما تفعلون ·

انها مصر · مصر الواحدة الباقية الخالدة التى صمدت للطغاة من الخارج والداخل ·· والتى يشيع فيها الأمن اليوم وتنعم بالحرية والسلام ·

وبعد فارجو الله العلى القدير أن ينجلى الحق أمام عينى ·

الذى أعرفه أن الحزب الوطنى صاحب الأغلبية ليس شيوعيا وأن حزب الوفد الذى يمثل الجانب الأكبر من المعارضة ضد الشيوعية ·

وهكذا فالذى ينبغى أن يثبت في يقينى أن أعضاء مجلسى الشعب والشورى جميعا ليس فيهم شيوعى واحد ·

فما لهذا اليقين يختلف كل الاختلاف عما أراه في الاعلام المصرى وما للشيوعيين يظهرون في كل ميادين الاعلام ولا يسمحون لقلم يمينى واحد أن يكتب سطرا في مجلتهم · ومالهم لا يكتفون بهذه المجلة ومالهم يبعثرون غيلانهم على سطح مصر جميعا ·

عجب يتولانى ويتولى في مصر كل من يؤمن بالله واليوم الآخر مسلما كان هذا المصرى أو كان من اخواننا المسيحيين ·

الا أجد أحدا يهدى الحائر من نفوسنا والذاهل من عقولنا ؟

أم نقول حسبنا الله ونعم الوكيل ونضم حيرتنا تلك مع حيرات أخرى لا عدد لها ولا حصر لا أستطيع أن أغفل منها ما قرأته من مقالات للشيوعيين يشيدون فيها بالارهابى المحترف صاحب ليبيا وبانجازاته وعدالته فى التوزيع وبعظمته مسقطين من مقالاتهم عمليات الاغتصاب الدولى التى يمارسها فى السودان وفى تشاد بل وفى لندن أيضا ٠

ولست أدرى ربما يعودون الى هذه الجرائم الدولية فيوسعونها آكبارا واجلالا ٠ وربما لا يفوتهم أيضا ما قام القذافى به فى مصر من محاولات خائنة وضيعة ليثير الشباب على وطننا المفدى ٠

ترى أيعرف الشيوعيون معنى الوطن المفدى ٠٠ لا ما أظن فليس فداء الوطن أو العمل فى سبيل رفعته من مبادىء الشيوعية وانما مذهبهم أن نهدم الوطن ونغرس الكراهية فى أنحائه فيه نباتهم القاتل ٠

فما بغريب أن نرى فى غد مقالات تشيد بما حاول أن يخربه القذافى من أمتنا وسلامتنا ٠

ولكن الغريب ان يسيطر هؤلاء على أعلامنا ٠٠ وأمام هذه الغرابة نقف نحن المصريين فى حيرة ٠٠ حيرة ذاهلة فهل من هدايا لحيرتنا ؟ أرجو الله ٠

الأهرام ٧/٤/١٩٨٥ م :

حديث الصباح

قال سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم « قل يأهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن أمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل · ان أكثركم فاسقون · قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة الخنازير وعبد الطاغوته أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل » صدق الله العظيم ·

الأيتان ٥٩ و ٦٠ من سورة المائدة وقد قرأ هذا الكلام كل انسان يحاول أن يكون فى الحياة انسانا · وقد شاء سبحانه فى علياء سمائه أن يكون بين الناس مؤمنون وكفرة وأغلب الأمر بين الناس أن يكون المؤمن مؤمنا عن بينة ويكون الكافر كافرا عن جهل وعن رفض وعن غير بينة ·

وأغلب الأمر مع الملحدين انهم حاقدون على كل ما هو كريم فى الحياة ورحم الله العقاد فقد سمى مذهبهم مذهب أصحاب العاهات · والعاهة قد لا تكون فى عضو ظاهر من أعضاء الجسم · فما أكثر ما رأينا من هؤلاء كراما شرفاء فى لسانهم عفة ، وفى أفعالهم سمو · وما أكثر ما قدم هؤلاء للبشرية من افضال تذكرها لهم الأزمنة على مرور الأزمنة ·

أما الشيوعيون الملحدون فالعاهات تشملهم جميعا ولكن العاهة فى دخيلة نفوسهم متمثلة فى حقدهم على مجتمعهم الصغير فهم يصبون حقدهم الأسود المرير على مجتمعهم الكبير ·

فليس بينهم مؤمن لأن الايمان اشراق ونفوسهم ظلام ولأن الايمان طمأنينة · ونفوسهم تفور بالغليان والرفض والقلق من الغد والذعر من المجهول · ولو عرفوا حلاوة الايمان لذاقوا حلاوة الطمأنينة · ولو أدركوا الطمأنينة لأدركوا السلام مع النفس ومع الناس ومع المجتمع · ولكن من أين لهم وهم كما يصفهم القرآن الكريم قردة وخنازير وعباد طاغوت فهم شر وأضل عن سواء السبيل · وقاك الله يا أخى سخيمة الحقد وبلوى الالحاد · فان أصحاب الحقد والملحدين من عبدة الطاغوت لا يجدون ملجأ يلجأون اليه اذا ضاقت بهم مسالك الحياة وأغلقت أمام عيونهم منافذ الأمل · ولو كانوا على شىء من الايمان لتوجهوا بقلوبهم الى عالم الغيب

والشهادة وهناك يجدون الرحمة تتسع لكل يائس وترطب لهيب الألم وتشمل بالراحة والسكينة كيان الانسان ·

أما الملحدون فيزداد اللهيب بهم اشـــتعالا لأنهم لا ملجأ لهم فهم لا يؤمنون بالله ·

وهل هناك أكثر خبلا من قوم يرشحون أنفسهم للانتخاب والأصوات التى يرجون أن يحصلوا عليها كلها أصوات مؤمنة تؤمن بالله وباليوم الآخر · منهم المسلمون يقيمون الصلوات الخمس وشهادتهم أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وخاتم النبيين · ومنهم المسيحيون الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » المائدة ٨٢ ·

مايو ١٧/٤/١٩٨٥ م :

مقـــالات

١٩٨٨

الأصـــنام الأربعـــة

كتاب جديد جاء الى منذ قريب للكاتب السياسى الكبير طارق حجى • وقد اعجبت أول ما أعجبت فى الكتاب باسمه فهو يطلق الأصناع الأربعة على المؤسسات الأربع الكبرى فى حياتنا التى نوشك أن نعتبر أنها شأن الملك فى النظم الملكية ذاتها مصونة لا تمس • بل هى أدهى من ذلك وأمر • انها عند كثير من رجال التشريع فى مصر الهة ونصب وأصنام تراها العين ولا تقترب منها اليد • اليست الهة وأصنام • وان كان الاسلام قد حطم الأصنام وعبادة الفرد • وان كنا فى مصر قد تخلصنا من الدكتاتورية والحكم الغاشم الظالم الباطش الا أن بقية منه ذات شأن عظيم مازالت تحكمنا بعقل هذه الأصنام الأربعة التى أنشأ لها الكاتب العظيم طارق حجى كتابه الأخير أكاد أحسب أن القارىء عرف الأصنام الأربعة دون أن أذكرها له ولكن من الحتم على أذكرها مجملة كما جاءت فى الكتاب الذى أنا بصدده أما الصنم الأول فهو القطاع العام والتشريعى أيضا والصنم الثانى هو التعليم والصنم الثالث هو الزراعة والصنم الرابع هو الاسكان وليس من سبيل لى أن اتتبع الكاتب فى آرائه جميعا وانما أنا مورد لك بعض هذه الآراء فى هذه الأصنام على سبيل المثال ثم أنا تاركك وشأنك بعد ذلك مع الكتاب جميعه • وأنا لا أقدم على عرض كتاب عليك الا اذا أعجبت به غاية الأعجاب حتى لاعتبر النكوص عن عرضه تقصيرا منى فى حقك أنت • والكتاب يسمو الى مكانة جديرة بكل اعجاب دقة تعبير وعمق بحث وأصالة أسلوب واحاطة واعية بالأزمة وأسبابها منذ بدأت حتى انتهى بها المطاف أن أصبحت أصناما لها من الوقاحة ما للأصنام التى كانت معبودة قبل التاريخ •

انقل عن طارق قوله فى القطاع العام ولا يخفى على العالمين ببواطن أمور الاقتصاد أن مشكلة الاقتصاد الكبرى هى الادارة فان الادارة هى بمثابة العامل الخلاق الذى يمكن أن يخلق كل اطارات الفشل والعقم • ولا شك أن تحرير القطاع العام من عوائق الادارة الفعالة والناجحة هو أمر بالغ الصعوبة ولكنه أمر محتم • فكيف يمكن تطوير القطاع العام فى ظل تشريعات لا تحول فقط بين الادارة وتسيير العمل بل وتفرض على مجالس الادارات حصة مقررة من الجهل عندما تجعل من بين أعضاء مجالس ادارات شركات القطاع العام من لا علاقة لهم بالعلم والادارة والانتاج •

ومشكلة مجالس ادارة شركات القطاع العام توجد على مستوى أكثر خطورة وهو مستوى المجلس التشريعي الأعلى مجلس الشعب والذى يلزم القانون أن يكون نصف أعضائه من الذين توجد أعظم القرائن على أنهم الأقل كفاءة وثقافة وعلما وخبرة ٠

واكتفى بهذا القدر من مقدمته فى الكتاب عن القطاع العام وان هذه النبذة تريك كيف هو على وعى كامل بعمق المشكلة وجذورها الضاربة بعنف فى جسم الوطن ٠

وعن مشكلة التعليم انقل عنه

« فالمستقبل مرهون بما سنقدم عليه من خطوات اصلاحية فى مجال التعليم فاذا قدر أن يغلب الرأى الذى يتمسك بالأصنام التى خلقتها سنوات الأخطاء العظمى وبقينا متمسكين بشعارات ليس لها جوهر حقيقى وحلنا بين العقول المستنيرة واصلاح المؤسسة التعليمية فى مصر فقل على مستقبل بلدنا السلام » ٠

وفى هذه السطور صرخة من المؤلف أن سياسة الأصنام واللافتات المرفوعة على الهواء والشعارات الغوغائية الجوفاء اعدام مؤكد للتعليم فى مصر واعدام التعليم اعدام للمستقبل وكم كتب فى هذا الموضوع وفى موضوع الخمسين فى المائة الذى سقته للمؤلف فى الفقرة السابقة حتى أصبح القلم وقد مل واصابه الزهد فما أن أجد كاتبا مثقفا عالما يتناول هذه الموضوعات حتى احتضن ما يكتب باجنحة حانية يجمعنى وما يكتب وحدة الفكر البعيد كل البعد عن الغوغائية ٠

أما المشكلة الثالثة التى تناولها لتمثل الصنم الثالث فانى ناقل منه هذه الأسطر وما أحسب أنى محتاج بعدها الى تعليق ٠

« اننا لا يساورنا شك أن المرض الأكبر للزراعة فى مصر لم ولن يكون تأميم الأراضى الزراعية وانما كان ولا يزال المرض الأكبر هو القانون أو القوانين التى تنظم العلاقة القانونية بين المالك والمستأجر فبدون تحرير الزراعة المصرية من هذه القوانين وأثرها الهدام على القطاع الزراعى المصرى بأكمله ٠ فان الزراعة ستستمر فى الانهيار والانحدار الذى عرفه منذ أكثر من ثلاثين سـنة عندما أخذ القانون الذى ينظم العلاقة بين المالك والمستأجر يفرز سمومه القاتلة لامكانيات التقدم والابداع والتطور والانطلاق لآفاق أرحب فى دنيا الزراعة المصرية » ٠

وفى الصنم الرابع مشكلة الاسكان يقول طارق حجى :

« أما رابع الأمراض والأصنام الكبرى التى يجب مواجهتها خلال السنوات القليلة المقبلة فهو معضلة الاسكان التى لم تسببها الا القرارات المتوالية الخاطئة التى صدرت فى الخمسينات وأوائل الستينات وكانت تهدف الى « أنصاف المستأجرين » فانتهى الأمر بالدولة الى خلق اطار ذبح المستأجرين لا انصافهم » •

والتعليق هنا يأتى من المشردين فى الطرقات ومن هؤلاء الأحياء الذى يلوذون بالأموات ليتخذوا سكنا مما يعرشون وحسبنا الله وحده فى قوانين جعلت مساكن الأموات مأوى لاحياء مازالوا على ظهر الأرض يسعون ويعيشون ويأملون ويعملون لدنياهم وبعد فتلك اشارات من الكتاب نعرضها اليك وقد اعجبت بالمؤلف حين تحدث عن الأمية كظاهرة استشرى أمرها مع مجانية التعليم واعجبت به أيضا حين كتب عن سعد زغلول فاختار منه جانبا لم يختلف فى شأنه أحد مع آخر وهو جانب توحيد عنصرى الأمة وقد كان غاندى يغبط سعد دائما على مقدرته الفائقة فى هذه الناحية وكان يقول لقد نجح سعد فيما لم انجح فيه أنا بهذا التوحيد •

وبعد فانى أهنىء الكاتب المتمكن المتعمق الأمين طارق حجى بكتابه الجديد هذا وارجو الله له كل نجاح وتوفيق فى كل ما يهدف اليه أنه سبحانه قريب مجيب •

الأهرام ١٩٨٨/٨/٧ م :

شاعر وشعب

الشاعر جائع يريد أن يستجدى الأمير بكل حيل النفاق وبجميع ما تعلمه فى حياته كلها من المديح الذى لا يقف به حد ولا ينتهى عند غاية فراح ينشىء قصيدته ناسيا كل شيء الا مديح الأمير واعلاء قدره والارتفاع بشانه ... باطلا كان شعره أو كان حقا · معقولة كانت قوافيه أو كانت بعيدة عن العقل كل البعد ·

وفى حماة النفاق · يضطرب المنطق ويفقد الانسان معقولية الانسان · ويحطم القيم الثوابت ويدمر المعانى الرفيعة ·

وماله هو وللرفعة · وهو ينافق ويلبس الباطل حقا ، والشين زينا ، والقبح طلاوة ، والدمامة جمالا · وينسى المسكين أنه وهو فى حميا النفاق وسكرته يعلن للناس ان حقه باطل وزينه شين وطلاوته قبح وجماله دمامة ·

وينسى كل ما هو كريم فى الدنيا والآخرة حتى ينسى ايمانه بالله الواحد الأحد القاهر فوق عباده ولا يبقى فى ذهنه ، ولا فى مشاعره ، ولا فى كيانه الا أن يستجلب رضا الممدوح بالوسائل المشروعة وغير المشروعة ويصبح الشاعر مخمورا بالنفاق ، مخدورا بالذلة ، غائب الوعى بالهوان وحقارة الشان ·

وانعقد مجلس الشعراء وألقى الشعراء قصائدهم · وجاء دور الشاعر الملهوج وبدأ يلقى قصيدته وأنشد بيتا فبيتين فثلاثة ثم القى بيتا لم يشعر بفداحة معناه الا حين انتفض المجلس جميعا صائحا كل من فيه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ·

وبهت الشاعر · وهلع الأمير وهب واقفا · كان البيت كفرا ليس بعده كفر قاله الشاعر وهو يحسب انه أتى بما لم يستطع الأوائل ولا الأواخر أن يصلوا اليه ·

قال الشاعر للأمير :

انت الذى تنزل الأيــام منزلهــا
وتنقل الدهر من حال الى حــال

وهكذا جعل الشاعر أميره الانسان الضعيف الهزيل هو الاله القاهر الذى ينزل الأيام منزلها وينقل الدهر من حال الى حال وهو الذى اذا أراد الله أن يوقف يده لوقفت لا تتحرك ولو اجتمع لها أطباء العالم اجمـــع ٠

كفر الشاعر لا شك فى ذلك وارتد ٠

وخشى الأمير على نفسه يوم يعرض على الذى ينزل الأيام منزلها وينقل الدهر من حال الى حال ٠

فاذا بالأمير يصيح بعسكره مشيرا الى الشاعر ٠

ـ اخرجوا لسانه من قفاه ٠

والله غفار رحمن رحيم ولكن العبيد قساة غلاظ لا يرحمون ٠ وسحب رجال الأمير الشاعر من مجلس الأمير وهو ذاهل مذهوب العقل فهو لم ينتبه انه وهو فى عزيف مديحه للأمير تطاول على صاحب الملكوت رب العرش اله الأكوان ٠

ذكرت هذه الواقعة وأنا أقرأ وعود الحكام عندنا فى كل يوم ٠

منذ سنوات نسمع الأحاديث التى لا معنى لها الا المبالغة كل المبالغة والبعد عن الحق كل البعد ٠ يملؤها فراغها ٠ يعمرها هزالها ٠ والناس تصدق فالكلام منشور وحول الكلام دعاية وطبل وزمر ٠

قالوا مديرية تحرير فاذا الفـــدان فيها يكلف ما تتكلفه مزرعة لاصلاحها ٠ وقالوا الوادى الجديد ٠ وقالوا ان فى مصر أرضـــا تصلح للزراعة مقدارها خمسة ملايين من الأفدنة وكأنما فى مصر ، مصر أخرى ونحن لا ندرى ٠

وتتصايح الوعود ولانفاذ وتشتبك الآمال لتلقى جميعا فى هوة الخيبة والفشـــــل ٠

ونرى بين النـــاس عجبا نرى سيارة بمائة ألف جنيه وتجد من يشتريها ونرى فستانا بسبعة آلاف جنيه وتجد من يشتريه ونرى قميصا بمائتى جنيه ويجد شاريه وحلة للرجال بألف جنيــه وتجــد من يدفع الثمن ٠

ونرى بين الناس عجبا ٠ نرى قصورا ذات حمامات سباحة بل نرى حمامات السباحة فى العمارات أيضا ٠

ومظاهر غنى تجعل النفس تموج بالقرف والرفض ٠

أين يعيش هؤلاء ؟

ايعيشون في مصر التي تدعم رغيف العيش والسكر والشاى أم يعيشون في بلاد ما تسامح الناس بها ؟

وننظر الى حالنا ..

فنجد انه لا سبيل لنا الا المواجهة .

فنحن دولة تعيش علي القروض وأين ذلك الذى يقرض دولة تجعل التعليم فيهـــا جميعا مجانا والدول الدائنة لا تجرؤ الآن علي مثل هذا أو شبيهه .

وأين تلك الجهة التى تقرض دولة لا يعمل العمال فيها أكثر من سبع وعشرين دقيقة فى اليوم بينما الدول الدائنة يعمل العمال فيها من ثمانى ساعات الى عشر ساعات فى اليوم .

وأين تلك الجهة التى تقرض دولة تريد أن تعين كل خريجى الجامعة فيها . بينما الدول المنتعشة المقرضة لا تجرؤ على اصدار مثل هذا القانون أو قانون قريب منه .

وبعد هذا جميعه . أين هى تلك الدولة التى تقرض دولة تتفاوت فيها الأسعار كل هذا التفاوت المخزى .

ان الأغنياء عندنا لا حياء لهم ولا كرامة فلو كانت لهم كرامة لحولوا أثمان السيارات وأحواض السباحة والحلل ذات الألف جنيه الى مشاريع تعود على أوطانهم بالربح .

انهم لا يقدرون انما بهذا البذخ الذى يعيشون فيه لا يثيرون الاحترام فى نفوس مواطنيهم وانما يثيرون السخط والازدراء والاحتقار .

والدولة لا تريد ان تواجه .. ولا تريد أن تصحح أخطاء الماضى فى التعليم المجانى وفى القطاع العام الذى يخسر الملايين وفى تعيين جميع الخريجين . لأن الدولة مثل الشاعر تريد ان ترضى الأفكار الغوغائية غير ملتفتة انها بذلك تعدو على حق الله وحق الشعب ومستقبل مصر .

وفى حماة ارضاء الكاذب يقع المسئولون فيما وقع فيه الشاعر من مبالغة . غير ان العقاب لا ينزل فى الدولة بالذى أخطأ وانما يتحمله الشعب جميعه فى حاضره ومستقبله . ولا ملاذ لنا نحن الشعب الا ان نصيح ادركنا يا رحمن يا رحيم فعندك وحدك الملاذ وحسبنا أنت ونعم الوكيـــل .

٢٣ أغسطس سنة ١٩٨٨ م

الحــق أولى

الشعب المصرى أعظم الشعوب سماحة · أبعد ما يكون الشعب المصرى عن الحسد أو الحقد · وهو شعب يفرح أن ينجح انسان ما وينــال من الغنى ما ينال · وطالما ردد الفقراء والفلاحون وهم فى بيوت اللبن اللهم زد فلانا واعطه على قدر جهده ·

وهؤلاء الأغنياء الذين يصلون الى النفس عن طريق شريف يكونون فى أغلب الأمر كرماء على الفقراء فى أكفهم ندى وفى مالهم حق معلوم أو غير معلوم للسائل والمحروم ·

وهذا القلب الخالص من الشعب المصرى يستلهم نقاءه من الدين الاسلامى الحنيف · عند وفاة عبد الرحمن بن عوف قسموا أولاده الذهب الذى تركه بالفؤوس وكان الورثة أحد عشر ابنا أصبح كل واحد منهم أغنى أغنياء العرب ·

والاسلام رأى عبد الرحمن بن عوف يجود بالمال فى كرم لا مثيل له للفقراء ولبيت المال ولتجهيز الجيوش ·

ورأى المسلمون عثمان بن عفــان فى ثراء لا نظــير له فلم يحمــل المسلمون على عثمان حقدا · ورأوه أيضا يتنازل عن ماله جميعا من أجل المسلمين ورأوه وهو يعطى قافلة بأكملها لبيت المال ·

من هذه المعانى الرفيعة ومن بعدهم المصريون أن يحبوا الأغنياء · وقد عاونهم الأغنيــاء على هذا الحب بكرم السجية واعانة ذى الحاجة · والعطاء عند النــازلة والبيت المفتوح والاكناف الموطأة والســعادة كل السعادة حين يقدمون ما يقيم الحياة فى بيوت اخوانهم فى الانسانية ·

أعرف أحد باشاوات العصر الماضى كان يعيش فى بيته ثمان وعشرون نفسا بين خدم وبين أقارب وبين أصدقاء وأبناء أصدقاء ·

ولم يكن هذا الباشا واسع الثراء حتى اننى أعرف انه حين صدر قانون الاصلاح الزراعى لم يأخذ منه القانون فدانا واحدا لأن مســـاحة أرضه كانت أقل من الحد الأدنى الذى حدده القانون ·

فلم يكن عجيبا أن يكون هذا الباشا محبوبا بين أهله وناسه وعارفيه وأعرف كثيرين مثله ٠

ان الشعب المصرى لا يرفض صاحب الغنى ٠ وانما الشعب المصرى يرفض من وصل الى الثراء بالسرقة والنهب وبالنصب وبالاحتيال ٠

والشعب المصرى لا يضيره أن يعيش صاحب الغنى فى بحبوحة من العيش ٠ وانما الشعب المصرى يرفض المبالغة فى مظاهر الغنى مبالغة تدعو الى الازدراء ٠ لا حقدا على الغنى المتظاهر بالغنى وانما احتقارا لشأنه ٠

فالانسان لا يمكن أن يجلس الا فى كرسى واحد ٠ ولا يستطيع مهما بلغ حجم ثرائه ان ينام فى أكثر من سرير واحد ٠ ويستحيل عليه بالغا ما بلغ غناه أن يركب فى وقت واحد أكثر من سيارة واحدة والله سبحانه وتعالى يقول مستنكرا « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ؟!! انها حل للناس ولك أيها الغنى أن تستمتع بها ما شاء لك التمتع ولكن لا تكن فى متعتك أحمق أو مجنونا ٠ ولا تبسطها كل البسط ولا تسرف اسراف الشياطين فانى أقسم لك أنك بانفاقك الفاحش المعتوه لن تجنى الاحترام الذى تنشده من الناس ٠ وان نلت الابهار هنيهة فما هى الا هنية يعقبها الفكر انك سفيه وانك بلا احساس انسانى وانك معتوه ٠

كل هذا قد يخالط النفوس اذا كان المال الذى جمعه صاحبه من موارد نقية شريفة لا سرقة فيها ولا انتهاب لمال الآخرين ٠

انما الكارثة الكبرى اننا نرى اليوم قوما انتهبوا المال العام بأسنان جشعة ويسرقات فادحة وبدلا من أن يستروا المال المنتهب نراهم يتبجحون به ويظهرونه ويوشكون أن يعلنوا عنه اعلانا ٠ هذا المال الذى ينفقون فى وقاحة وسرف وجنون وبلهنية هو مال الشعب يلقون به الى ملذاتهم على مرأى الشعب وفى مواجهته فى غير حياء ولا خجل ولا أثر ولو ضئيل من مراعاة مشاعر الشعب الذى سرقوا أمواله وانتهبوها انتهابا ٠

أصحاب مناصب هم وأصحاب أوامر وجبروت واستغلوا مناصبهم وجبروتهم فى استلاب ماليس لهم ٠ وطريق الحرام اذا فتح فلا اغلاق له ٠ فالحرام يغرى بالحرام والسرقة تحض على السرقة فان الضمير اذا نام لحظة مات الى الأبد ٠ وفى غيبة الضمير كل شئ مباح وكل محرم حلال وكل فجور صلاح ٠

والشعب يغضب حين يرى حكومته ترى هذه السرقات الضخام وتعرفها كل المعرفة فهى معلنة غير خفية ثم هى تقف أمامها موقفا عاجزا

عجز من لا حيلة له وكان الدولة تدعو كل صاحب منصب أن يتخذ هؤلاء اللصوص مثلا أعلى • وان من يفعل فعلهم فلن يلقى الا الاجلال والتكريم والتوقير والاحترام ويذهب الى الجحيم قانون من أين لك هذا وان كان لابد أن يطبق فلنطبقه على قابلة فى قرية انشأت لنفسها بيتا من لبن هو عصارة جهدها الطويل فى اخراج النفوس الى الحياة •

أما السارقون الذين يتبجحون بالمال الشاهق وبالثراء العريض لصوه من مال الدولة جهرا وأنفقوه فى علن فاضح ، أما هؤلاء فحلال لهم ما يصنعون مباركة لهم أموالهم المسروقة وهنيئا لهم ضمائرهم القتلى •

اننا نرى أثرياء نعرف أسرار ثرائهم وتعرفها الدولة كل المعرفة وهم أثرياء من صنف آخر حصلوا على ثرواتهم من أحط الطرق خسة واوضعها لؤما •

أولئك الذين يبيعون كرامتهم على أبواب العاهرات والكباريهات وهم يلقون جزاءهم احتقار المجتمع وتبذه لهم نبذ الكلاب الجرباء •

أما الذين يسرقــون الدولة فان المجتمع المعلن يوسـع لهم المكان ويحيطهم بالتبجيل والاجلال •

٢٩ أغسطس سنة ١٩٨٨ م

عقـــائر ولا بصـــائر

لست أدرى لماذا تتلكأ الحياة فى مصر أى عجيبة فى أجوائها تجعل القرارات تظل متطلعة الى الصدور فهى تصدر ولا تصدر وتتخذ ولا تنفذ وتعلن الحكومة عن الانتهاء منها ولا تعلن الحكومة عن بداية سريانها ٠

وما أحسب الا أن الحكومة تريد أن ترضى جميع الناس وكل الأطراف٠ تريد المعارضة أن ترضى وحزب الأغلبية أن يؤيد وليس الى هذا من سـبيل ٠

فالمعارضة لا تؤيد أبدا ولو ان الحكومة أصبحت يوما فأعلنت كل القرارات التى تدعو اليها المعارضة لرفضت المعارضة هذا الاعلام وطالبت بعودة الحال الى ما كان عليه ٠

والحزب المؤيد أفراد وجماعات وشراذم وكل جماعة لها محور وكل عضو له غرض والبحث يدور عن المصلحة الذاتية وليس عن المصــلحة العــامة ٠

فان كان القرار يؤدى الى نماء فى الثروة الشخصية وازدهار فى الجاه وسعة فى النفوذ فتأييد وتصفيق وتحبيذ وان كان بالقرار انتقاص من مال أو نفوذ فرفض وصخب ومعارضة حتى وان كان القرار متخذا للصالح٠ فالصالح العام عند أغلب الناس هو ما يحقق مصلحتى الشخصية والى الجحيم تذهب الوطنية والذمة واليمين المقسوم والثقة المعطاة وآمال دائرة ومستقبل شعب وحياة أقوام انما حياة الأقوام هى حياتى الشخصية وليكن بعد ذلك ما يكون ٠

أتريد الحكومة أن ترضى النــاس جميعا هيهات انما هى مصــالح متقاطعة مصلحة زيد لابد أن تتعارض مع مصلحة عبيد وهيهات ألف هيهات أن ترضى زيدا وعبيدا فى وقت معا ٠

والأزمات متتالية متجمعة والأمر يحتاج الى حزم حاسـم لا يراعى الا حق الوطن والله سـبحانه هو الموفق وعلى الله فليتـوكل المتوكلون

المال في يد مصر شحيح ، والدائنـون يتكـاثرون وان لم يطمئن هؤلاء الدائنون الى مصائر أموالهم حبسوا عنا المال ٠

وان لهم لمطالب وآراء ٠ وان لهـم لمذاهب ووجهات نظر ٠ وهـم أصحاب مال ولصاحب المال أن يطمئن الى مصير ماله والا فحبسه أجمل به وأكثر ضمانا لمستقبله ٠

والشعارات عندنا توارثناها عالية الصوت مرتفعة الضجيج جهيرة الصراخ تمنع العقل أن يعمل وتقف بالمنطق أن يسود ٠

وعلى الحكومة أن تواجه هذه الغوغائية بحسم صادق وبغير خوف من صراخ الجهلاء ، فأصحاب العقائر بلا بصائر معدوموا الضمائر فليس الأمر لهوا ولا هو استجداء لتصفيق الجماهير بما يؤدى بهذه الجماهير الى الخراب والدمار ٠

وليعلم أصحاب العقائر معدوموا البصائر والضمائر ان الجماهير قد أفاقت من خمارها واستيقظت من سباتها وما أصبح يجوز عليها صراخ النصب والدجل والتضليل ٠

الجماهير تعلم اليوم ان مجانية التعليم ليست مجانية ولا هي تعليما لان الجماهير من الآباء تنفق على تعليم أبنائها المئـات والألوف في الدروس الخصوصية وما كانت المصاريف الا نقطة في بحر النفقات التي يبذلها الآباء المساكين في شعار مجانية التعليم ٠

وكان التعليم يحمل معناه فأصبح لا يحمل اليوم أي معنى الا ورقة لا تفيد شيئا الا أن صاحبها قضى بضع سنوات في سجون المدارس ثم لم يصبح هناك الا الجهل ان كان الجهل يحتاج الى تعليم ٠

وحسبي وحسبك ما نرى في الخريجين من قصور ، ولا أحب في هذا المضمار أن أطيل فانني أشعر انني أنكأ به جراحا في قلبي وما أحسب الا انني أثير به جراحا في قلب كل مصرى ٠

لم يتبق من التعليم المجانى الا شعار تهرأت أقمشته وتمزقت أوراقه فهو قول بلا اثبات ، ومنطوق بلا مفهوم ٠

ولن تخرج مصر من الضائقة التعليمية حتى يدفع القادر لغير القادر وينفق ذو المال على تعليم من لا مال له ٠

أما ان نرفع شعار التعليم المجانى لأصحاب السيارات ذات العشرات من الألوف فتلك كارثة تجعل الدائنين يوقنون اننا نهزل ولا نجد ، ونمزح ولا نقول حقا ٠ هيهات ألف هيهات أن تشعر مصر ان الحكومة أصبحت

تسير على الطريق مادام عدم المساس شعارا مرفوعا على فراغ ، ويأبى أن يترك هواء مصر .

ان دولة مدة العمل فيها بالصانع سبعة وعشرون دقيقة لا يمكن أن تصل الى مأمن من حياتها .

كم أكره أن أعقد المقارنات فهي تمض النفس وتثير في القلوب أشجانا وآلاما وحزنا ولكن الدواء مر ونجرعه لنشفى .

أفيقوا عمال مصر وطالبوا أنتم وطنكم أن يضع القوانين التي تحد من هذه الاجازات المتطاولة .

أفيقوا عمال مصر فان القوانين الحالية تجعل المجد منكم مثل الخامل والعامل الذى يعمل مثل العامل الذى يهمل ، فطالبوا أنتم بتغييرها فانها مصركم ومصر الفلاح قبل أن تكون مصر الحكومة أو المجالس .

عمال مصر هل علمتم أن الحكومة اليابانية تطالب العمال في اليابان أن يقللوا من العمل وأن يتنزهوا ويسافروا ويطلبوا الأجازات واليابان صاحبة أقوى اقتصاد في أيامنا هذه .

ها قد كتبت المقارنة فهيا عمال مصر أما شعرتم الألم الذى أحسه اذا قارنت وبالحزن الذى أشعر به حين وازنت .

عامل في دولة من أعظم الدول ثراء في التاريخ يطالبه المسئولون أن يقلل من العمل ، وعامل في مصر تعطيه الدولة بقوانينها مئات الأجازات فيكون مجموع عمله اليومى سبعا وعشرين دقيقة .

ونسمع أن الدولة ستتخذ القرارات لمواجهة الخسائر في القطاع الحكومى ثم نسمع أن الدولة ستتخذ القرارات لمواجهة الخسائر في القطاع العام ثم نسمع ... ثم نسمع ... وما يفيد قول عن فعل ولايجدى لى سماع عن عيان ونبكى مع المتنبى :

وكـــم ذا بمصر من المضحـــكات
ولكـــنه ضحـــك كالبـــكاء

هيه مصر أما كفانا بكاء من عهد المتنبى منذ ألف عام ونيف ... حسبنا الله ونعم الوكيل .

الأهرام ١٩٨٨/٩/٢٦ م

من هــؤلاء لا نقبل ..

حوار عربي نقلته الى القراء مرات ومرات وفي كل مرة أجدني محتاجا اليه قال أعرابي لآخر :

ــــ والله ما أبالي مدحني الناس أم ذموا .

فأجابه الآخر :

ــــ استرحت من حيث تعب الكرام .

وهذا الذي لا يبالي مدحه الناس أم ذموا رجل من غمار الناس لايتولى وظيفة ولا يمثل معنى الا نفسه . وقد ارتضى لنفسه أن يكون هين القدر ضئيل الشأن ، مختبئا في طوايا العدم . ان ذمه شاعر لبخله لا يبالي الذم . وان مدحه شاعر استجداء لصبابة من ماله منع ماله وأباح عرضه . يرى ان المدح أو الذم مجرد كلام في الهواء لا يزيد من قدره فانه لا قدر له ولا ينقص من شأنه لانه ــ في رأي نفسه ــ لا شأن له ولا قيمة .

فما بعجيب اذن أن يتمطى هذا الحقير ويقول أنه ما يبالي أمدحه الناس أم ذموا فهو انما يريد أن يجمع مالا يستغني به عن مديح النــاس ثم هو لا يهز هجاؤهم منه نخوة أو شعورا . والحقارة طبع ومران وتطبع . وقد تكون في بعض الناس ويكتمها عن الناس ويسترها . ولكنها عند بعض الوقحاء منهم معلنة مشهورة مثل هذا الذي يتبجح بها ويجاهر .

والناس طبائــع وما أنت بقادر أن ترضى عن خلق النــاس أجمعين ولا أنت بقادر أيضا أن ترضي الناس أجمع .

انما طريق الانسان منا يصنعه هو بما وهب الله له من خلق وبما رسخ في نفسه منذ باكورة حياته من قيم ومن فضيلة أو رذيلة ولكل انسان جادته وسننه ومسراه . وطائره في عنقــه من بعد يلقى به الله ان يمينا فيمين أو يسارا فيسار لايظلمون عند ربك فتيلا .

هذا شأن الناس في عامة أمرهم . ولكن هناك ناس من الناس أمرهم ليس مقصــورا عليهم وحدهــم فممثلو الشــعب أجمعون مســئولون عن تصرفــاتهم أمام الذين انتخبوهــم . وهم حين انتخبوا اختارهــم الذين

اختاروهم لا ليمثلوا دائرة واحدة ولا جماعة بعينها من شعب مصر • بل ان كل عضو منهم يمثل مصر جميعا من أقصاها الى أقصاها فان قال واحد منهم لا أبالى أمدحنى الناس أم ذموا أصبح حتما علينا أن نرد على قوله بقولنا قدم استقالتك من الهيئة التشريعية واقبع فى بيتك قطعة من الهمل لا يحسها أحد ولا يعنى بأمرها انسان •

وان أحدا من ممثلى الشعب لن يقول هذا القول علانية • ولكن الكثيرين منهم يصنعونه صنعا • ويرتكبونه ارتكابا والصنع والارتكاب شر ألف مرة فقد يكون هناك قول بلا عمل • ولكن العمل لا يحتاج الى مزيد من التبيان •

أمامك فانظر كم من الجرائد المعارضة هاجمت أعضاء المجالس النيابية واتهمتهم باستغلال مناصبهم فى تجريف الأرض والاستيلاء على التموين والحصول على رشاوى •

وأمامك فانظر أين التكذيب من هؤلاء الأعضاء وأين القضايا يرفعونها اذا كانت التهم الموجهة اليهم باطلة •

أليسوا بهذا يعلنون بالفعل لا بالقول وحده انهم لا يبالون مدحهم الناس أم ذموا ••• وويل كل الويل اذا كان الذين يحاسبون الوزراء والذين نعتبرهم مثلا أعلى فى الخلق والأمانة والشرف يمزقون الخلق ويخونون الأمانة ويماكرون الشرف •

ويقف القلم حسرة وألما وتوجعا •

ان الأمر ليس مقصورا على أعضاء المجالس النيابية بل ان يتسع ويتسع ويوشك أن يكون الفساد عاما ضاربا أطنابه محطما كل ما تواضع الناس عليه من قواعد وأصول •

ظل الناس يقولون – على مدى الأجيال – اذا صلح الرأس صلح الجسم جميعا • فما لهذا القول يصبح فى أيامنا هذه أكذوبة لا حق فيها وماله أصبح بعيدا كل البعد عن واقعنا •

فان رأس الدولة عندنا محمد حسنى مبارك من أعظم رؤساء الدول الذين عرفهم التاريخ طهارة يد • وشرف مقصد ••• ونبالة غاية • ونقاء وسيلة • لا يدخر فى سبيل مصر ومصر وحدها جهدا • ولا يكاد ينام ليلة من أجل الشعب المصرى • ويمد العلاقات أكرم ما تكون العلاقات مع جميع دول العالم لتكون هذه الدول عونا لمصر عند حاجة وسندا لها عند أزمة •

شريف هو الرئيس فى خاصة شأنه • وكريمة هى أسرته ناصعة الصفحة فى كل تصرفاتها •

ان وجود محمد حسنى مبارك على رأس الدولة فرصة قل أن يتاح لها مثيل للشرفاء أن يبذلوا – من أجل اعلاء مصر بين الأمم – كل جهد ٠

فما لى أرى الكثير من المسئولين يبذلون أقصى الجهد من أجل تشويه مصر وسلبها ونهبها وتمزيق الوجوه التى تمثلها بالسمعة المتهرئة بالذمة الضـائعة ٠ حتى أصبحت مصر نهبا لكل عديم الشرف لا يبالى أن مدحه الناس أم ذموا ٠

التهم تنهال على كبار المسئولين وزراء وغير وزراء ثم صمت كصمت القبور وكأنهـم ما أتهمهم أحد بالرشوة واسـتغلال النفوذ واصـطناع التجمعات التى يعود المال منها على خاصة جيوبهم ٠

كل هؤلا المسـئولين يقولون بالعمل لا بالقول ما نبالى ان مدحنـا النـاس أم ذموا ٠ وتعمدوا أن يغفلوا انهم لا يمثلون أشخاصـهم وانما يمثلون مصر جميعا ٠ هم من حروف أسمها ومن سـمات وجهها ٠ ومن معالم مكانتها فى المجتمعات العالمية ٠

التهم تنصب على بعض المسئولين في تصرفاتهم الشخصية والمالية والوزارية٠ولا نسمع من هؤلاء المسئولين تكذيبا أو تصحيحا،أو استقالة ٠ أو على الأقل عدولا الى الطريق الأقوم ٠

من هؤلاء لانقبل ولا تقبل مصر انهم لا يعنيهم مدحهم الناس أم ذموا فان هؤلاء لا يمثلون أشخاصهم وانما هم من المعالم الواضحة فى وجه مصر وما كان لمصر أن تهان فى داخلها وفى المجتمع العالمى من أجل بعض أفراد لا يعرفون كيف يتصدرون الصـفوف ٠ فليختف منهم كل ذى نقيصة ٠ وليذهب الى أغوار النسيان هناك حيث نرجو الله أن ننسى انه كان فى يوم ما صاحب صدارة وكان فى يوم ما واحد من معالم الوجه فى مصر التاريخ ومصر الرفعة ومصر الاباء ومصر الشموخ !

الأهرام ٣ أكتوبر ١٩٨٨ م

لبيك يا رسول الله

بدعوة كريمة من الأمير تركى بن عبد العزيز أنا فى طريقى الى البلاد المقدسة . والأمير تركى رجل من أعظم من عرفت من الرجال سمو خلق وأدبا نادرا وثقافة واسعة ومعرفة بمشاكل العالم العربى أجمع ومشاكل العالم أيضا كثير الاطلاع بصورة مذهلة . ومما زادنى حبا له واعجابا به حبه الشديد لمصر ولرئيس مصر ولكل ما هو شريف عفيف فى مصر . وأنا ألبى دعوته فرحا فبوهم منى أتصور ان أى دعوة توجه الى من الأرض المقدسة هى دعوة مباركة من سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد عليه أشرف الصلاة والسلام وعلى آله أجمعين .

وانى أشعر فى هذه الأيام بنوع من الخمول والفتور وأتصور بسذاجة مؤمنة منى أن هذه الدعوة جاءت الى لتزيل عنى هذا الخمول وذلك الفتور ببركة وقوفى أمام شباك النبى صلى الله عليه وسلم .

وكم أعلم ان مدعى العلمانية سيسخرون من هذا الحديث . وكم أتمتع أنا بسخريتهم فهم قوم حرمهم الله متعة الروح وعظمة الايمان . ولو لم يكن لالحادهم عقاب غير هذا لكفاهم فهم قوم طغت المادة على حياتهم فطمست عنها الشفافية والتعلق بذات الله العلية وبروحانية الايمان ومتعة اليقين وسمو الروح الى عليين نلتمس من الذات الالهية العون على الطريق والهداية الى لسبيل والاستقامة على الجادة .

وان فى سؤاله سبحانه متعة لا يعرفها الا المؤمنون وضل عنها الملحدون ضلالا بعيدا فى حماة من ماديتهم ، يرسفون طغت عابدين جسومهم واضمحلت عنهم أرواحهم . فهم جماد متحرك أو هم أقل شأنا .

لو عرف هؤلاء بماذا أشعر حين أقف فى حضرة الساحة النبوية الشريفة أو لو عرف هؤلاء كيف تصبح خفقات القلب رفيفا من نسائم الجنة وأنا أمر بالروضة الفيحاء أو لو عرف هؤلاء مقدار الجلال والهيبة وأنا أمام الكعبة أول بيت اقيم للناس . ولو عرف هؤلاء مدى السعادة التى تراوح المؤمن وتغاديه لعرفوا كم خسروا بما هم فيه من مادية أرضية كاذبة واهمة خادعة مضلة .

قالوا ان أصل العالم مادة · ويحهم كم يتبجحون · وقالوا ان الذين يؤمنون انما يعتنقون الغيبيات التى لا يقوم عليها دليل · ويلهم كم يصمون عن الحق ويبعدون عن المنطق ·

اننا حين نؤمن نؤمن بخالق هذا الكون العظيم الذى يرفض كل منطق فى العالم أن يكون قد نشأ من تلقاء نفسه دون خالق · والا فكيف أفسر التوائم العجيب بين خلق الشمس وخلق العين وبين خلق الفواكه وخلق الانزيمات التى تهضم اللحوم فى الجسم وبين خلق الأنعام وخلق الشعور بلذاتها وخلق ما يهضمها عند الانسان ولو مضينا فى هذه الأمثلة لما انتهينا ولكنهم هم يقولون المادة · ويحهم الا يعقلون ·

ان آية واحدة فى القرآن لكافيــة بل هى فوق الكفــاية للقوم ان يفيئوا الى الرشد ويرجعوا الى الهدى ويعودوا الى الصواب · يكفيهم أن يسمعوا قوله تعالى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ويتدبروها ·

ولكن من أين لهم أن يتدبروها وعلى العيون غشاواتها وعلى قلوب أقفالها ·

لقد زرت أجمل مناطق العالم وأعظم دول الحضارة الحديثة · أقسم ما شعرت بسعادة مثل التى أشعر بها وأنا أمام شباك الرسول صلى الله عليه وسلم · ولا شعرت بمهابة أو اجلال مثلما أشعر به وأنا أمام أستار الكعبة المشرفة هناك أنا فى الحرمين روح ولا جسد ، نور ولا أعتام ، سماء أنا ولا أرض ، وهناك أنا شفيف كالماس ، خفيف كالهواء ، عيناى دموع وقلبى خشوع ، وروحى رفيف ، وصوتى نغم وكل حديثى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صلى على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم فى العالمين انه حميد مجيد هناك يتوه الزمن وتنساه وتتضاءل الدنيا فلا تذكرها ولا يبقى من الانسان الا روحه ولا يفكر بشر الا فى اليوم الموعود · وشاهد ومشهود فى دار الخلود ·

مساكين أولئك الذين لا يعرفون هذه المشاعر لقد فقدوا انسانيتهم وفقدوا أجمل ما فى هذه الحياة لانهم لم يعرفوا الحياة فى العليا ولم يســعوا لها سعيها مؤمنين بها · ووقفت بهم ماديتهم عند الحياة الدنيا التافهة الهزيلة الزائلة ·

لو لم يكن لله فضل علينا الا فضل الايمان لكفانا عزا ·

الايمان هو الشفاء عند المرض · والأمل عند اليأس · والرحمة عند قسوة الحياة · وهو غدى الذى أحلم أن يكون أجمــل من يومى · وهو

الروحانية فى هجير المادة · وهو شعورى الدائم الذى يلازمنى عند شدة أو عند فرح ان الله سبحانه من فوقى يزيل الشدائد ويبارك الأفراح · بحباله تعلقى وبأسبابه صلاتى وحسبى هو فى لحظة من حياتى ونعم الوكيل ·

أنا فى طريقى الى بيت الله وشباك الرسول صلى الله عليه وسلم وحسبى أن أكون قريبا من الحرمين الشريفين لأتزود لأيامى القادمة ولاشعر أننى أستطيع أن أواجه الحياة الدنيا جميعا بأحقادها وآلامها وقلقها وأحمالها ·

فمن بيت الله ورحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تتفرح نفسى وتشرق وتسمو الى السماوات ·

فحقد الحاقد عندها باعث على السعادة فلولا النجح من الله ما كان الحقد من الحاقدين ·

والآلام آمال فما شعر بالصحة من لم يشعر بالألم واذا مرضت فهو يشفين وانى لدائم الدعاء اللهم ارزقنى واغفر لى وعافنى وارحمنى ·

بهذا الدعاء فى الأرض المقدسة يصح منى الجسم وتصح الروح فما دام سيرزقنى ويغفر لى ويعافينى ويرحمنى فماذا يمكن أن أطلب أبعد من هذا ·

وهناك هيهات أن يعرف القلق الى سبيلا · اننى فى رحاب الله وفى رحاب رسوله وكفى بالله آمنا وبرسوله وسيلة ·

وهناك أضع أحمالى وما أسعد من استطاع أن يتخفف من أحماله فيصبح خفيفا الى الدنيا والآخرة شفيفا لا يشغله الا أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وصلى الله على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين ·

الأهرام ٣ أكتوبر ١٩٨٨ م

الى كل هؤلاء أقصد ٠٠

ومن أعجب ما يواجهني أن تنهال على التليفونات بعد كل مقالة أكتبها عن الفساد يتساءل المتحدثون ٠٠ لا شك أنك تقصد فلانا أو تقصد فلانا الآخر ٠٠

ولقد أسمع أن بعض الناس اعتبر الكلام موجها اليه على غير معرفة منى به كأننى لا أكتب مقالة وانما رواية رمزية تستخفى فيها الشخوص وراء الرموز ٠٠ وعلم الله اننى ما قصدت الى الرمزية مطلقا فى هذه المقالات بل هو كلام فصيح مبين لا يحاول أن يخفى وراءه شيئا وفيم الخفاء ؟ ان التهم موجهة فى صراحة فى الصحف المعارضة منها وغير المعارضة وأنا لا أبيح لنفسى أن أتناول هذه التهم واناقشها فأنا لا أعرف الحق فى شأنها ولا البـاطل من أمرها انما يعرفه الذى نشر وأكد أن لديه من الوثائق والأوراق ما يثبت قوله الحق أيضا الشخص المتهم وأنا لا أملك أن أذكر اسمه لا استخفاء وراء الرمز وانما أبرىء نفسى من اتهام آخرين لست على ثقة من تهمتهم ناظرا الى الحق الصادق الذى لا شك فيه ٠

وفى طوفان التهم لا تسمع ممن تمسهم تكذيبا أو شرحا أو بيانـا ويملكنى العجب وأكتب ما أكتب ٠٠ ان هذه التهم لا تلوث أشـخاصها وحدهم وانما تلوث مصر جميعا وانى أصيح بكل من يسألنى من تقصد ؟ اننى أقصد كل من وجهت اليه تهمة ولم يحاول أن ينفيها عن نفسه مهما يكن شأن هذا المتهم والذى لاشك فيه ان كلا منهم يعرف نفسه وان لكل متهم منهم جماعة تعرف الحقيقة من شأنه ولاشك ان الأغلبية الكاثرة من الشعب المصرى حين تقرأ مقالاتى بالأهرام فى هذا الشأن يتجه ذهن كل جماعة الى شخص بذاته بل ان كثيرا كاثرا من الأفراد يقفز الى أذهانهم اسم معـين ٠٠

الى كل الذين تتجه أسماؤهم الى أذهان الجماعات وكل هؤلاء الذين تتقافز أشخاصهم الى خواطر الأفراد الى كل هؤلاء أقصد وهيهات ألف هيهات أن أكتب فى موضوع عام متقصدا شخصا واحدا بذاته انما الأمر أعظم من الفرد انه أمر أمة بأكملها يشوه وجهها ويمسخ معالمها ويجرح سماتها أمام العالم أفراد بذواتهم ينبغى وجوبا أن ينفوا التهم عن أنفسهم

أو يعتزلوا الكرسى الذى يسمح لهم بتحطيم الثقة فى مصر ·

ان الثقة بين شخصين أو بين دولتين لا تقوم الا بعد معاملات طويلة الأمد بعيدة الأغوار عميقة الأصول ظليلة الفروع وحتى تقوم ثقة فى نفس فرد بفرد آخر يحتاج الأمر الى سنوات وسنوات ·

وحتى تستقر ثقة فى أرجاء دولة عن دولة أخرى يحتاج الأمر الى معاملات عالمية وسنوات طوال حتى يثبت فى نفس القائمين بشأن هذه الدولة أن الدولة الأخرى جديرة بهذه الثقة وهذه الثقة تضيع فى لحظة واحدة أو تصرف واحد وقد نجحت مصر بجهود جبارة وقحة مجرمة ان تمحو الثقة فى التعامل معها محوا كاملا فى عهد الطغيان الفردى وضياع هذه الثقة فى أيام الطغيان هو الآن ما نجنى ثماره المريرة فقد كان هذا الفقدان للثقة من أهم مقومات التركة الفادحة التى ورثها الشهيد نور السادات ثم اكتملت فداحتها وهبطت بثقلها كله فى عهد رئيسنا الحال محمد حسنى مبارك أعانه الله ووهب له القوة والأيد والثبات ··

وقد استطاع بالكلمة الشريفة وبالتصرفات النبيلة البعيدة كل البعد عن الشبهات وبالمعاملات النقية نقاء البللور أن يجعل العالم الذى فقد ثقته فينا يسترد هذه الثقة بمصر وبهذه الثقة نعيش اليوم وأكاد أقول اننا نعيش فى المجتمع الدولى بهذه الثقة وحدها ··

فكيف اذن نسمح لجماعة مغرضة تبحث عن مكاسبها الخاصة وأرباحها الشخصية أن تحطم هذه الثقة أو تهزها أو تمس الثابت من رواسيها والوطيد من أسسها والمتين من حبالها انها مصر التى يطعنون وليست ذممهم الخربة وحدها وهذا عمل اجرامى لا يماثله اجرام ·· فاللص الذى يسرق بيتا يقع شره على أصحاب البيت وحدهم وهم أفراد الخسارة فى شأنهم ميسورة التعويض ·

أما الذى يشوه وجه مصر فهو يعدو على شعب بأكمله وخسائر الشعوب لا سبيل الى تعويضها الا بالسنوات الطوال المليئة بالمرارة والآلام والمعاناة فلا يسألنى اذن سائل من أقصد فكل من يسأل يعرف من أقصد أنه كل من أولته مصر أمانة فخانها وكل من أطلق الشعارات الجوفاء ليحمى بها مكاسب له مادية كانت هذه المكاسب أو غير مادية وكل مسئول صرح تصريحا غير مسئول وكل من تطالبه المصلحة العامة باصدار قرار ونكص عن اصداره أو تلكأ فيه وكل مسئول اتهمته صحيفة بتهمة ولم يكذب التهمة أو يقدم استقالته ·

وكل من لا يبذل فى سبيل مصر جهده كله ·

وكل من يشعر انه أصغر من المنصب الذى يتولاه ويصر على البقاء فيه .

وكل من قدم مصلحته الخاصة أو مصالح الأقربين اليه على المصلحة العـــامة .

وكل من رأى نقصا ولم يصلحه ولم يدع الى اصلاحه فان كان هو المسئول عن النقص فالمصيبة أفدح والكارثة أشد .

وكل من لا يرعى الله فى حق الوطن من المسئولين كان أو كان مثلنا من الشعب والله هو المطلع على الأفئدة .

ولن يفلت ظالم من جزاء .. الحق دائما فوق الجميع .. ولا اله الا الله الحكم العدل .. اليه نلجأ واليه ننيب .

الأهرام ١٠ أكتوبر ١٩٨٨ م

الكلمة محكمة التاريخ ··

ليست الكلمة لهوا نلهو بها ، ولا هي مجرد ألفاظ تتوالى فيتسلى بها أقوام ساعات ، ثم ينقضي أثرها ويبيد فيما يبيد من وقت ··

ان الكلمة هي المعجزة الوحيدة التي اختارها رب السموات والأرض لتكون معجزة البقاء والخلود · ختم بها رسالاته الى الناس · وبالحق أنزلها وبالحق نزلت على خاتم الأنبياء وامامهم والمبعوث رحمة للعالمين للناس كافة في كل بقاع الأرض ··

وبهذه الكلمة كان الاسلام ·· وبهذه الكلمة اعترفنا نحن المسلمين بالديانات الأخرى وصدقنا ان ابراهيم ألقى في النار فكانت عليه بردا وسلاما وان موسى شق البحر بعصاه وان عيسى أحيا الميت بأذن الله ·

ولولا أن هذه الأنباء جاءت في القرآن الكريم بالكلمة المنزلة ما صدقنا من خبرها شيئا ·· فكل هذه المعجزات بصرية لا يصدقها الا من يراها ·· وليس من شأنها أن تحدث آثارها الا فيمن شهدوها · أما القرآن فمشهود في كل زمان · أوحى الله به لنبيه صلى الله عليه وسلم منذ ألف وأربعمائة عام فظل باقيا كما هو بحروفه حتى اليوم · وسيظل خالدا حتى يرث الله الأرض ومن عليها ··

وبالكلمة علم الله الانسان ما لم يعلم ·· وبالكلمة امتاز الانسان على سائر المخلوقات ·· والكلمة بقاء وخلود وثبات يقول شوقي ··

حسن في أوانه كل شيء   وجمال القريض بعد أوانه

وحين أراد أن يلقي رثاءه في أمين الرافعي لم يجد من يلقى له قصيدته فنشرها في « الأهرام » بعد أن زاد عليها بيتين يقول فيهما :

ان يفت فيك منبر الأمس شعري   ان لي المنبر الذي لن يزولا
جل عن منشد سوى الدهر يلقيه   على الغابرين جيلا فجيلا

والغابرون الباقون أو الماضون وهي من كلمات الأضداد حسب شرح العالم الجليل د· أحمد محمد الحوفي ··

ويقول المتنبي عن نفسه وعن شعره :

وتركك في مسامعها طنينا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وصدق جدسه فها نحن أولاء نستشهد بشعره بعد مرور ألف عام وتزيد على زمانه .. لعلك سائلي فيم هذا الحديث عن الكلمة وانى مسارع اليك ..

نستشهد بشعره بعد مرور ألف عام وتزيد على زمانه .. لعلك سائلي فيم هذا الحديث عن الكلمة وانى مسارع اليك ..

لا يحسبن أحد أن كلمات الكتاب تذهب عبثا فيكتبها كتابها لعبا بالكلمات ويقرأها القارىء لهوا بالحديث وقطعا للوقت .

ولا يحسبن أحد أن القارىء حين يطوى الجريدة فهو يطوى معها ما قرأ .. هيهات لقد نفذت الكلمات الى صميم وجدانه وقبل منها ما قبل ورفض منها ما أبى ولكنها تركت في البعيد البعيد من نفسه أثرها ..

فالكاتب نبض لهذا القارىء ان رضى القارىء بما قال .. وهو موضع مناقشته ومحاسبته ان قال ما يرفض ..

والكاتب لا يكون كاتبا الا اذا كان له قارىء .. فان سار في طريق وحده وسار قراؤه في طريق آخر سقطت عنه صفة الكاتب .

فكلمة كاتب تحمل في حروفها وفي مبناها وفي معناها أن له قراءه الذين يعتبرونه كلمتهم المعلنة المشهورة وضميرهم ورأيهم سكتوا هم فقال عنهم كاتبهم وأبان ما استتر من مشاعرهم وما استخفى من أفكارهم ..

والكلمة أقوى سلاح عرفه التاريخ يخشاها الطغاة أكثر من خشيتهم المدافع والصواريخ .. فالكلمة تدوى في ضمائر الأحياء وتكون آراءهم وتتخلق منها مشاعرهم وقيمهم .

والكلمة تعلن عن نفسها بشتى وسائل ومختلف سبل .. فهى رمز اذا شاءت وهى صريحة اذا اتيحت لها الصراحة .. وهى معنيان اذا أراد لها كاتبها أن تكون ذات معنيين وهى ذات مائة معنى اذا أراد لها كاتبها أن تكون كذلك .. وهى تقال ويقصد بها غيرها . .وهى تشير ولا توضح وهى تهمس ولا تجهر .. وهى جهيرة شهيرة اذا أرادت ..

وأعود الى بدء .. لا يحسبن أحد من أصحاب المسئولية في المجالس التشريعية أو في الهيئة التنفيذية أو في القطاع العام أو القطاع الخاص أن كلام الكتاب يذهب سدى ..

انه رأى شعب بأكمله ان عجزت المجالس التشريعية عن ابداء الرأى وهى حساب الرأى العام انه عجز جهاز أن يحاسب ..

فصممت لمتهمين اذن عجيبة من العجائب .. انهم يظنون ان المقالة التى تهاجمهم انما هى بعض حبر ألقى على بعض ورق ثم ألقى به الى الهمل وكأنه ما كان .. هيهات ..

لو كان الأمر كذلك ما خشى الطغـاة هذا الحبر وذلك الورق .. والوزير المحصن اليوم بكرسيه وبأدائه الخدمات لأعضاءالمجالس التشريعية سينكشف عنه حصنه فى غد فكرسى الوزارة عادل لا يعرف الوفاء لمن لا يفى بعهد الله فيه .. وحين ينكشف عن الوزير حصن الكرسى سينفض عنه أولئك الذين يؤدى لهم الخدمات اليوم .. وتبقى الكلمات .. فان كانت حقائق فهو بين اثنتين أما محاكمة قضاء .. أو محاكمة تاريخ .. فان الكلمة هى محكمة التاريخ .. وحكم التاريخ يبقى ولا يزول ..

فليتق الله كل مسئول فى أى ناحية من نواحى حياتنا المصرية .. وليكن له فى رئيس الدولة محمد حسنى مبارك مثلا وقدوة .. فالله يعلم.. ونحن نعلم انه لا يميل مع هوى وانه يعف عند مغنم .. وليس له مأرب الا وجه الله والحق ..

فما لأقوام يميلون عن نهجه ويعوجون عن طريقه ..

اذا لم يخشوا حكم التاريخ فليخشوا الله فى عليين يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا سلطان الا من أتى الله بقلب سليم .

الأهرام ١٧ أكتوبر سنة ١٩٨٨ م

الشفاعة يا رسول الله

فى ذكرى مولدك الشريف نتجه الى رحابك المكرم أن تكون شفيعا لدى مصر عند سدرة المنتهى لدى رب العرش الأعظم تباركت أسماؤه ٠

فان مصر يارسول الله تعانى أكثر ما تعانى من أقوام ادعوا أنهم يسيرون على نهجك ويتبعون خطاك ٠ وقد حسبوا – خطلا منهم وبهتانا وجهلا – ان التظاهر بملابس مثل ملبسك ٠ واطلاق اللحية انها هى الطريق ٠ وما دروا أن طريقك الشرف والأمانة والرسالة التى حملتها وأبلغتها بالحق ٠

وما دروا من هذه الرسالة شيئا ٠

فها هم اولاء يا رسول الله يثيرون الفتنة ويدعون الناس الى الضلال وقد تعلمنا من الكتاب الأشرف انه الفتنة أشد من القتل ٠ وان القتل أبشع ما يرتكبه آدمى من آثام فسبحانه وتعالى يقول « انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا » فكيف بهؤلاء الذين يدعون الناس الى الفتنة والفتنة مقتلة جماعية ٠

جهلوا يا رسول الله ان هذه الفتنة اذا ظهرت بوادرها فسيكون الداعون اليها هم حطبها الأول وستكون رؤوسهم أول رؤوس يطاح بها ٠

وقد ظاهرهم وانتهز من جهلهم فرصة قوم هانت عليهم أوطانهم ورخصت فى ضمائرهم أرواح المصريين ٠ فهم يشجعون على الفتنة ويدعون اليها فى وقاحة تجردت من الانسانية وفى سذاجة برئت من العقل ٠

وكلهم ٠٠ كلهم يا رسول الله يريد أن يتخذ الفتنة وسيلة يركبونها ليصلوا الى الحكم الدنيوى ٠ فان جاز هذا من قوم لا يعرفون الله ولا يسيرون على سنتك يا رسول الله ٠ فكيف له أن يساغ من قوم أطلقوا لحاهم وادعوا انهم على نهجك يسيرون وبسبيلك يهتدون ٠ علم الله ما ساروا الا على نهج أعوج ولا اهتدوا الا الى الضلال ٠

فانك – صلى الله عليك وسلم – نبى الله الذى قال له فى كتابه العزيز « وانك لعلى خلق عظيم » ثم قال للناس عنك « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » التوبة ٠

فما لهؤلاء يستغلون العنت منا شر ما يكون الاستغلال ومالهم يستغلون الأزمة ليمزقوا شملنا ويحطموا جمعنا ويدمروا وحدتنا ويثيروا فينا الفتنة تطيح بنا وبحريتنا وبآمالنا وبأمننا وأماننا .

أهؤلاء يسيرون على نهجك وأنت الذى وصفك رب العرش من فوق سماوات سبع انك بالمؤمنين رءوف رحيم .

وأين الرأفة فى قوم يقتلون ويعتدون على الأرواح بغير محاكمة وفى غير تعقل .

وأين الرحمة فى قوم يحضون قومهم على الأثارة والشغب وقتل الهدوء والعبث بمقدرات الوطن وأرواح بنيه .

أهذه سبيلك يا رسول الله تنزهت عن العنف وبرئت من غير الحق الخالص المخلص الخاشع لرب العرش العظيم .

انك سيد البشر ومثلهم الأعلى ورايتهم وشفيعهم والشهيد على كل العالمين يوم يكون الحساب .

يقول سبحانه فى الكتاب الكريم على لسانك يا رسول الله « هل كنت الا بشرا رسولا » فما لهؤلاء يريدون أن يكونوا شياطين ويطمعون أن يفرضوا أنفسهم علينا بالسلاح أو بالفتنة .. شاه ما يصنعون ويقول سبحانه « وما على الرسول الا البلاغ » فان كنت أنت وأنت المختار للرسالة وأنت سيد البشر فرض الله عليك البلاغ وما فرض عليك محاسبة الناس . فما لهؤلاء يريدون أن يكونوا بلاغا وحسابا ومحاكمة وتنفيذا وفتنة . خسئوا أن يكون هؤلاء أو من تبعهم بسوء سائرين على نهجك أو مهتدين بهديك . فانك الأسوة الحسنة . وانك الرسول الكريم . وأنتم من قال عنك الله فى كتابه الأكرم « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

شفاعتك يا رسول الله عند ذى العرش العظيم ان يبطل كيد هؤلاء الأفاقين وينقذ مصر كنانته من مكرهم ساء مكرهم .. شفاعتك يارسول الله .

أنا ونجيب محفوظ

كان من المفروض أن أكتب كلمة أهنىء فيها العالم العربى بفوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل . ولكننى رددت نفسى فى عنف واكتفيت

بالأحاديث التى تطلبها الصحف ووسائل الاعلام الأخرى جميعا منى علما منها بصلتى بنجيب محفوظ هذه الصلة التى جعلتنى أرد نفسى عن كتابة مقال خاص بجائزة نجيب ٠

فأنا لم أتعود أن أكتب عن نفسى وأنا أحس اننى اذا كتبت عن نجيب محفوظ فكأننى أكتب عن نفسى وقد ثبت لى اننى محق فى شعورى هذا بالتليفونات التى لم تنقطع فى بيتى تهنئنى بفوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل التى جاءت الى نجيب متأخرة عشرين عاما والتى أعلنت ان الأدب العربى أدب عالمى وان رغمت أنوف ٠

وان كان لابد لى أن أقول شيئا لم يقله أحد فهو انه لو كانت هناك جائزة أعظم من جائزة نوبل تعطى على الخلق الأسمى لكان نجيب أولى الناس بها عظمة فى تواضع كبرياء بلا كبر عطاء بلا من بعدا عن الصغائر ٠ شرفا عند الوعد ووفاء عند الصداقة واخلاصا فى العمل ٠

صاحبته خمسة وأربعين عاما هو منى بموقع الأخ والأستاذ وأنا منه بمكان الأخ والتلميذ ويشهد الله ما شهدت منه الا كل ما يشرف الانسانية ويرفع رأسها ويعلى من قدرها ٠

أطال الله عمره رائدا ورمزا للخلق الأسمى وللأدب العالمى ؟

الأهرام ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٨٨ م :

حديث ثروت أباظة : نجيب عالم بفن الحياة

قبل أيام من اعـلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل العـالمية فى الأدب ٠٠ كان الأستاذ ثروت أباظة قد أدلى بحديث لصفحة الأدب أكد فيه أن عميد كتاب الرواية ومثلها الأعلى لم تنقطع صلته بالحياة لحظة وكان تعبيره اعادة خلق للواقع باسلوبه الفنى الفريد الذى يتفوق على كثير من أساليب كتاب الرواية العالمية ٠

وقد انتهى الأديب ثروت أباظة من كتابة روايته الجديدة التى سوف تنشر فى الأهرام على حلقات قبل طبعها فى كتاب ، وقد اختار لها عنوانا موحيا معبرا عن مضمونها : « خشوع » يقول فى بداية الحديث :

لقد اقتبست هذه الرواية الجديدة من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستوحيت توجيهه النبوى فى معالجة المواقف والمشكلات التى تواجه الانسان المعاصر ٠

قلت لأديبنا الكبير : ان هذه الرواية سبقتها روايتا : « طارق من السماء » و « الغفران » فهل يعنى ذلك اتجاها الى الروحانية فى أدب ثروت أباظة ؟ قال : أنا غير ملزم بأى نظرية أدبية ٠٠ اننى أكتب فى الأدب لا فى الاقتصاد ٠٠ وللنقاد أن يفسروا ما يبدع الأديب ٠

سألت : هل انتهت الرواية الرومانسية الطويلة فى هذا الزمان كشكل أدبى ٠

قال : بالطبع لم تمت الرواية الرومانسية ٠٠ ولكن هناك تيارات جديدة ظهرت بعضها أثبت وجوده وبعضها لم يثبت ٠٠ فمثلا الواقعية الجديدة بقيت فى حين لم تستطع السريالية أن تثبت ٠٠

الأستاذ ثروت أباظة : كيف يرى الأدب النسائى المعاصر ؟ يقول : هناك أديبات مجيدات ننتظر منهن الكثير ، بغض النظر عن كونهن نساء ٠ ولكننى أعيب على بعضهن الاكتفاء بكتابة التجربة الشخصية الوحيدة التى لا ترتفع الى مستوى الرواية ، مثلما فعلت « كوليت خورى » فى « الليلة الواحدة » ٠

ان كاتب الرواية يجب أن يكون عالما بفن الرواية ، وباللغة ، وعارفا بكل جوانب الحياة ‧‧ فالروائى ميزته العلم الكامل بالحياة فى مجملها مثلما نجد عند تولستوى وبلزاك وفيكتور هوجو ‧‧ الخ فى الآداب الغربية ومثلما نجد فى أديبنا العربى نجيب محفوظ الذى لم تنقطع صلته بالحياة لحظة ‧‧ وكذلك الحكيم ود‧ محمد حسين هيكل ‧

٥ نوفمبر سنة ١٩٨٨ م

ثروت أباظة و ٠٠ الغفران

منذ خطواته الأولى فى درب الأدب أطل علينا الكاتب الكبير ثروت أباظة أديبا من أصحاب الأساليب المميزة أدبا فكرا وابداعا ، وكان أسلوبه دوما يتسم بالجزالة الراقية المعصـومة من التقعر والحوشـية والاغراب مجدولة هذه الجزلة بالعذوبة والتعامل مع اللغة جماليا وفقا لخصوصيته ما يسوقه مقالا أدبيا أو ابداعا فنيا ، وسر هذا التوافق عنده بين سمو العبارة وبسـاطتها يكمن فى كونه بجانب ثقافته العصرية قد اسـتوعب تراثه جيـدا ٠٠ ونحن نجد هذا التراث مسـتلهما عنده فى الكثير من أعماله الابداعية رواية وقصة قصيرة ، وروايته الأخيرة « الغفران » التى صدرت مؤخرا عن دار مكتبة مصر اجتهدت من خـلال الرؤية الفنية فى استلهام قصة سيدنا يوسف من القرآن الكريم ، وهو لم يتناول القصة كواقعة تراثية أبرزها القرآن الكريم وفقا لما يتوخاه من دلالة ، فقد عمد كاتبنا الى استيعاب الدلالة الباطنة ليشـكل منها فى « الغفران » عملا ابداعيا يحتوى الواقع الانسانى المعاصر والنفوس بمختلف نوازعها ٠٠ فاذا كان قد حافظ على الخطوط الرئيسية من حيث رموزها وشخوصها فقد عرف كيف يشكل من ذلك حياة نراها ناطقة ٠ حولنا بصدق الرؤية وحداثة الايحاء ٠

مجلة أكتوبر ٦ نوفمبر سنة ١٩٨٨ م

انفاق ولا عائد

وانه لمن أعجب العجب أن يشكو الناس وتشكو الدولة من مشكلة الدروس الخصوصية وهم في نفس الوقت يصرون على بقاء التعليم مجانيا للجميع . قادرين وغير قادرين أغنياء ومرهقين .

هل أصبح المنطق غريبا في مصر كل هذه الغربة ؟

مادمت قد كدست التلاميذ في الفصول فهيهات لهم أن يحصلوا من التعليم العام شيئا ، فلا نجاح لهم الا بالدرس الخاص .. والدرس الخاص لا يطيق نفقاته الا الأغنياء غنى فاحشا . فينجح القادرون كل القدرة ويرسب من قدر عليهم رزقهم من قليلي الدخل ، الذين لا يملكون الا مرتبات الحكومة والقطاع العام وهم الكثرة الكاثرة .

ومع ذلك تصر الدولة على أن التعليم مجاني .. أمجاني هذا أم أنه يرغم الأباء على انفاق مبالغ طائلة لا قبل لهم بها !

أرى القادرين اليوم يبدأون الدروس الخصوصية لأبنائهم في الثانوية العامة قبل البدء في الدراسة وفي جميع المواد بلا استثناء حتى في مادة التاريخ التي لا تكلف الطالب الا أن يقرأ الكتاب المقرر فينجح . ولكن الآباء خائفون وهم قادرون . فليكن انفاقهم ضخما ، اذن قد يصل في العام الى عشرة آلاف جنيه أو يزيد .

أما الطلبة من غير القادرين فلا يجرؤ واحد منهم أن يطلب من أبيه أو القائمين بأمره مليما واحدا للدروس الخصوصية . اتكافؤ فرص هذا أو مجانية تلك .. أم هي شعارات جوفاء لا تدل الا على العبث والصياح الفارغ والاعتداء على عقولنا ومنطقنا ؟

ونظرة أخرى الى المدارس الحرة كم تبلغ المصاريف فيها ؟ أليست آلافا مؤلفة . اتكافؤ فرص هذا أو مجانية تلك ؟

حين نسمع أرقام المدارس الخاصة تنتفض منا القلوب في وجيب خائف مذعور .. ما هذا ..وكيف توجد هذه المبالغ كلها في مصر واذا كانت هذه مصاريف التلميذ في المدرسة فقط فكم يكلف أهله في الطعام والشراب والملبس والعلاج .

واذا انتقلنا الى الجامعة ووجدنا الساحات الضخمة تهيأ خصيصا لسيارات الطلبة الفارهة المتوحشة وأقل سيارة الآن ثمنها يبلغ ثلاثين ألف جنيه للسيارة المتواضعة وانك واجد ثمة السيارات ذات المائة ألف جنيه والمائتي ألف وما هو أكثر من ذلك مما لا يطيق القلم أن يخطه • ومع هذا يتلقى صاحب السيارة دروسه فى الجامعة مجانا بصفة رسمية • أما فى الحقيقة فان وراءه جيشا من الأساتذة يتقاضون الآلاف المؤلفة لاعطائه الدروس الخصوصية • وتلك جديدة علينا لم نكن نسمع بها •

فاننا حين كنا طلبة بالجامعة ويستعصى علينا فهم جانب من المقرر نذهب الى الأستاذ الجليل فى حجرته فان رأى ان الاجابة لا تحتاج الى شرح طويل شرح • أما أن رأى أن الأمر يحتاج الى تفصيل فانه يطلب الينا ان نقصد اليه فى مكتبه الخاص أو فى منزله ويشرح لنا ما غمض فى تفصيل واقبال وسعادة ويقدم الينا تحية المضيف للضيف ونتصرف ولا نجرؤ حتى ان نقدم له هدية رمزية والا كان عقابنا فادحا •

وأنا اليوم لا ألوم الأساتذة فالحيـاة أصبحت ثقيلة وسـعار المال سيطر على الحياة سيطرة تامة وأصبحت الرحمة كلمة بلا مدلول •

وفى غمار الدروس الخصوصية من أسـاتذة الجامعة سـمعنا كلاما يندى له الجبين ولكننا نكرم أساتذة الجامعة أن نصدقه •

الا أن يد الأستاذ مادامت قد امتدت الى الطالب أو الى أبى الطالب فلا مندوحة اذن من أن تخرج الاشاعات فاغرة الأفواه دنسة الملامح بشعة كل البشاعة مهينة كل المهانة فأستاذ الجامعة رمز للخلق الأرفع وللشرف والنبـالة •

وحين تخرج الشائعات عنه نشـعر جميعا اننا نصيب كرامة مصر جميعا ونشعر وكأن المصيبة تلفنا جميعا •

والعالم الآن أصبح وحدة واحدة ومصر تعتمد اليوم اعتمادا ضخما على القروض فكيف نسـتطيع أن نقترض من دولة ، التعليـم فيها ليس مجانيا ونصيح نحن ان التعليم عندنا مجانى •

والحقيقة ان هذا الشعار ليس صحيحا الا فى انه يكلف الدولة ملايين الملايين من الجنيهات تذهب هباء منثورا •

فهى تنفق ولا تعلم وتبذل ولا ينال الطلبة من بذلها شيئا لأنهم مضطرون اضطرارا الى الدروس الخصوصية ، وفى هذا المضمار يصبح انفاق الدولة انفاقا بلا عائد الا صيحة فى الهواء أجدا وانما ترهق الدولة

رهقا • شديدا وتصيب الدولة فى أموال ضخام هى فى أشد الحاجة اليهـا •

ان مثلنا ومثل الدول التى تقرضنا كمثل شخص يركب سيارة ثمنها مليون جنيه ويقف بسيارته الفارهة الى جانب شخص يركب دراجة بخارية ويقول له :

ـ أليس معك جنيه سلف •

ان جاز هذا الموقف العجيب بين الأفراد •

أتراه يجوز بين الدول ؟

ترى هل جاء الوقت ان تزيل مصر شعارات لها كانت مرفوعة فى عصور الغوغائية والدجل • لتعيش فى عصرها اليوم عصر الجد والحرية والشرف والصدق •

الأهرام ٧ نوفمبر سنة ١٩٨٨ م

ثروت أباظة : رئيس اتحاد كتاب مصر

مبارك شمل الأدب بالرعاية ولم يقصف قلما ولم يمنع كلمة

الحياة الأدبية عرفت لقب الروائى بظهور نجيب محفوظ

وألقى الكاتب ثروت أباظة رئيس اتحاد كتاب مصر كلمة فى الاحتفال قال فيها :

فخامة الرئيس ·· أستاذى نجيب محفوظ : سيداتى سادتى :

الصدق شرف · ومن الشرف أن أتقدم اليك يا فخامة الرئيس باسم اتحاد كتاب مصر بالشكر والاجلال لحضورك هذا الحفل ·· وان الاتحاد لا يستغرب هذا منك فانك ـ شهد الله ـ قد شملت الأدب بالرعاية الجديرة برئيس مثلك يعرف ما للأدب من مكانة فى حياة العالمين · فانك لم تقصف قلما ·· ولا منعت كلمة أن تقال ·· نزيهة كانت هذه الكلمة أو مائلة عن الحق · شريفة كانت أم كانت مغرضة تاركا فى سعة أفق وذكاء لماح للقارىء الحكم فى شأن الكاتب له ان كان صادقا أو عليه ان لم يكن ··

وما أعظم شوقى الخالد حين قال :

ابتغوا ناصية الشمس مكانا	وخذوا القمة علما وبيانا
واطلبوا بالعبقريات المدى	ليس كل الخيل يشهدن الرهانا
ابعثوها سابقات نجبا	تملأ المضمار ـ معنى وعيانا
وثبوا للعز من صهوتها	وخذوا المجد عنانا فعنانا
لا تثيبوها على ماقلدت	من أياد حسدا أو شنئانا

وهكذا ترى يا فخامة الرئيس أن عظمة الكلمة فى خلودها وفى بقائها معبرة من قريب فى كل زمان ·

على هذا النسق من الخلود كتب نجيب محفوظ رواياته وعلى هذا السمت من البقاء استوى نجيب محفوظ فى دنيا الرواية العالمية ·

فقد ولدت الرواية لقيطة فى الأدب العربى وكان اسمها « زينب » خشى مؤلفها دكتور محمد حسين هيكل أن يضع اسمه عليها فتوهن من المكان المرموق الذى يعد نفسه له واحدا من عظماء الكتاب فى عصره ودهقانا من دهاقين السياسة ·

وكانت الرواية تلقى فى القاهرة على الربابة · وتوقع هيكل أن يصفه أعداؤه السياسيون بأنه قصاص ربابة · ثم شاء الله أن يكتب الرواية عمالقة الجيل ·· فكان من الطبيعى أن ينقذ هيكل مولودته زينب وينسبها فى طبعتها الثانية الى أبيها دكتور محمد حسين هيكل ويتصحح النسب وتلمع الرواية شمسا جديدا فى سماء الأدب العربى الا أن كل الذين كانوا يكتبون الرواية يتناولونها فيما يكتبون ولم تكن كتاباتهم مقصورة على الرواية ·

حتى ظهر نجيب محفوظ والجيل الذى يقف منه الزعيم وحينئذ أصبح هناك فى الحياة الأدبية لقب جديد هو لقب الروائى ولم يكن معروفا قبل نجيب وجيله · وأصبحت الرواية التى كانت مصدر خوف لكاتبها لونا من أعظم ألوان الأدب العربى ·· تسلمها نجيب محفوظ أفكارا لم يكتمل بناؤها ·· وانما هى أساس يترجح بين الحكاية الخاصة والرواية الشفيفة البناء ويترنح بين التجربة الذاتية والقصص التى تجرى فى طريق الحياة اليومية ·

ويكتب نجيب محفوظ القاهرة الجديدة ·· وخان الخليلى ·· فاذا الرواية تشمخ الى مدارج الرواية العالمية فى قفزة واحدة · ويعمل نجيب بعد ذلك فى أدب وصبر وعبقرية باذخة فيرسم مجتمعه كله جاعلا ميدان رواياته القاهرة والأحياء العريقة منها ناظرا الى الأحياء الأخرى كعناصر للبناء الروائى عنده · وتستوى الرواية المصرية على أرفع الأسس العالمية ·

فخامة الرئيس :

ان نجيب محفوظ مازال يعطى وهيهات لعشرات الكتب أن تتبع أعماله وانما حاولت يا صاحب الفخامة أن أشير اليها اشارات هى ومضات من نور يملأ الدنيا كلها ·· وانى يا صاحب الفخامة من كتاب الرواية وأشهد الله.والحق اننى أكتبها على شمس نجيب محفوظ وتحت خيمته الرحبة الفضفاضة ·

ولقد رأيت منه شواهق فى الخلق الأسمى يندر أن تتكرر فى الحياة·· ولو اننى اندفعت فرويت لما توقفت ·· فنوبل التى تكرم الأدب العربى

فى شخص نجيب تكرم أيضا دون أن ندرى مثلا أرفع من مثل الأخلاق والنبل والترفع والتواضع والكبرياء · بغير تكبر والعفة فى غير تصنع والسموق فى غير امتنان ·

ويكفيه فخرا انه فى تواضعه يبدو كمدين مع انه دائما دائن ·· ولعله مما يجل ذكره ان نجيب محفوظ لم يكن فى يوم من الأيام مقترضا قط لا من بنك ولا من شخص ·· وما أكثر ما كان بالنسبة لى دائنا ·· ولكنه كان دائما يبدو كأنك تعطيه الذى أنت سائله ·· وان كنت يا فخامة الرئيس قد ســـددت له دينى المالى وأشهدكم على ذلك فان دينه الأدبى سيبقى خالدا فى عنقى وعنق أدبى ·

: ١٩٨٨/١١/٧

انها سمعة شعب

أعجيبة هذه الحياة ترغمك على ما لا تحب وتجد نفسك فيها مضطرا أن تفعل أشياء لم تكن تتصور أنك ستفعلها فى يوم من الأيام •

وأنا فى هذه الأيام متعرض لهذه النقمة مضطر أن أفعل ما لم أكن أتصور أننى سأفعله فى يوم من الأيام •

فأنا أكتب فى الصحف منذ عام ١٩٤٣ وكانت سنى فى ذلك العام ستة عشر عاما •

وقد أخذت نفسى منذ أول مقالة ظهرت لى ألا أكتب فى موضوع واحد أكثر من مرة واحدة • وهاأنذا اليوم أتبين عقم هذه السياسة منى وعدم جدواها • وأجد نفسى وأنا أتجاوز الستين من عمرى مضطرا فى الحاح ان أكتب فى الموضوع الواحد عشرات المرات • والعجيب اننى وأنا أكتب فى الأهـرام أعظم جريدة فى العـالم العربى لا أجـد السميع الا من القراء أما المسئولون فانهم بشجاعة منقطعة النظير ينقلبون الى قراء • يهنئوننى على مقالاتى ويبدون اعجابهم بما أكتب ثم لايستجيبون له • فقد صحت منهم المسامع أما القلوب فعليها أقفالها •

والأمر جد خطير ليس لهـوا هو ولا هو ألفاظا تتطاير فى الهواء • انما هو مستقبل دولة • واقتصاد أمة • وسمعة شعب •

التهم تملأ صفحات الجرائد عن أشـــخاص بذواتهم وتتزايد هذه التهم اليوم مع النكبة النكباء التى بلينا بها والمسماة شركات الاستثمار التى لم تستثمر الا النهب والسرقة والضمير الغائب •

يتصايح الناس أين كانت الحـــكومة يـوم بدأت هذه الشركات عملياتها التى بدأت مشبوهة وانتهت موصومة • والحكومة التى تحكم اليوم مسئولة عن كل الحكومات التى سبقتها • فالمسئولية فى السلطة التنفيذية لاتنقطع بل هى متواصلة • وعلى الحكومة الماثلة فى الحـــكم ان تتحمل أخطاء الحكومات السابقة بالاصلاح • أو بالاعتذار • والاعتذار من الحكومة الحالية عن الحكومات السابقة يبث الثقـة فى نفوس الشعب بل وفى نفوس جميع الدول التى تتعامل مع مصر • فالاعتراف بالخطأ أول الطريق الى الصواب •

وأنا أعتقد أن الجهات الرسمية في الدولة أخطأت خطأ فادحا يوم سمحت لهذه الشركات أن تبدأ عملها وأن هذه الجهات قد أسهمت اسهاما ضخما في اندفاع المودعين الى هذه الشركات التى كانت بدايتها واضحة الضلال والاحتيال بذلك الفرق الشاسع بين سعر الفائدة الذى عرضوه وبين سعر الفائدة المقرر في البنوك جميعها وليس يجدى هنا اختيار أسماء أخرى للفائدة تتخفى وراءها فما هذه الأسماء الا استكمال للتحايل واتمام لشكل النصب الذى قامت عليه هذه الشركات وحين يصيح اليوم أصحاب الأموال أننا ما أودعنا أموالنا بهذه الشركات الا عندما رأينا الحكومة تسمح لها بأن تمارس عملها وصمت الحكومة عن جريمة معلنة موافقة من الحكومة واسقاط لصفة التجريم عن العمل الذى يمارسه الآخرون ، خاصة وهم يمارسونه في علانية وفي غير سر ولا اخفاء ٠

ولكن هذا القول لا يعفى المودعين أيضا من الخطأ الفادح الذى وقعوا فيه تحت تأثير الجشع والرغبة في الحصول على أكبر ربح دون رؤية من تفكير أو أناة في التدبير ٠ فالذى لاشك فيه انهم مقامرون والمقامر متعرض للخسارة أكثر من تعرضه للربح أما اذا كانت الغفلة هي التى تحكم أعمالهم فان القانون لايحمى المغفل ٠

ولكننى أعود فأقول انه اذا كان القانون لايحمى المغفل فان على الحكومة ان تحميه كما ان على السلطة التنفيذية ان تمنع النصاب أن يمارس نصبه ٠ ولكن حكومتنا لم تحم المغفلين ولا هي حاربت اللصوص النصابين ٠

وعودا على بدء أجد جرائد المعارضة تخرج على الناس قائلة أن كثيرا من الوزراء السابقين وأصحاب المناصب المرموقة قد ساهموا في انعاش هذه الشركات بايداعات وهمية حينا وغير وهمية حينا آخر مما جعل الأفراد العاديين من الشعب يتسابقون الى ايداع أموالهم ٠٠ مغلبين الجشع على العقل وحب الكسب السريع على التفكير السليم ٠ وما لهم لايفعلون وهم يرون المسئولين معهم في نفس الحظيرة ٠٠ ان وجود هؤلاء المسئولين جعل أفراد الشعب المتعجلين للكسب لا يسألون ذوى الخبرة الاقتصادية ولا يستشيرون من يعرفون من أصحاب الرأى السليم بل اندفعوا يودعون متجاهلين أو راغبين أن يتجاهلوا أنهم يقامرون ٠

وأنا لم أقرأ ورقة مما وقع عليه هؤلاء المودعون ولكن الذين قرأوها يقولون أنه لايقبل التوقيع عليها الا جاهل عريق في الجهل أو مغفل عميق الغفلة ٠

ومرة أخرى عودا على بدء ٠ الجرائد تتهم المسئولين السابقين ولا نجد منهم دفاعا ولا ردا وكان الكلام لايعنيهم في شيء والحكومة صامتة

عنهم لاتسألهم وانما هى فى معزل عن كل ما يقال ·

ويعلم الله أن هذا الصمت من المتهمين كارثة · وهذا النكوص من الحكومة عن المحاسبة كارثة أكبر ·

انها لو ساءلتهم لأصبحوا بين واحدة من اثنتين لا ثالثة لهما ، اما انهم أبرياء فصفحتهم اذن ناصعة ويدهم اذن شريفة وسمعتهم اذن كريمة نقية واما أنهم مدانون فعليهم اذن أن يدفعوا دينهم للمجتمع عقوبات مالية أو بدنية فالعدالة تحاسب أصحاب المناصب محاسبتها لغيرهم بلا تفرقة أما المجتمع فحسابه لصاحب المنصب أشد لأنه الى جانب جريمة السرقة التى يرتكبها يرتكب جريمة أخرى أبشع وأحقر وهى خيانة الأمانة فان الشعب حين يوليه منصبا يحمله معه أمانة ان خانها أصبح باحتقار المجتمع جديرا وبغضب الناس عليه موسوما ·

وبعد ·· فعودا على بدء ثالثة · كم كتبت أن الحكومة لاتعنى بما يكتبه الكتاب وكم قلت انها بذلك تزعزع الثقة في اقتصاد مصر بهذا الصمت منها وذلك الانصراف عن صياح أصحاب الأقلام · واقتصاد مصر يقوم على الثقة وحدها وويل لاقتصاد مصر كل الويل يوم تهتز هذه الثقة أو مالت منها الدعائم التى بذل الرئيس حسنى مبارك كل جهده ان يقيم أسسها ويشيد قوامها ويثبت أركانها بخلق صادق منه وكلمة شريفة ووعد منجز وبعد كل البعد الا عن النزاهة والأمانة ونبالة القصد ونقاء التصرف ·

الأهرام ١٤ نوفمبر ١٩٨٨ م

نسمة أمل ..

لابأس على شباب اليوم .. ولاخوف عليهم . فانى مبشرهم ان كل جيل سبقهم الى الشباب كانت له مشاكله ومعاناته . وكل جيل كان يظن ان مايعانيه من مشاكل لم يتعرض له جيل سبق ولن يتعرض له جيل يلحق .

وللانسان عامة قدرة عجيبة ان يضخم مشاكله فقد خلق الانسان هلوعا اذا مسه الشر . يخف الى الجزع قبل ان يشرع فى العلاج . هكذا وصفه خالقه فى سورة المعارج !! ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا !!

والمشاكل أمام شباب اليوم تبدو له ضخاما كالجبال متراكبة كالأمواج . فهم حين يتخرجون فى الجامعة تبدأ رحلات العذاب . تواجههم يريدون الوظيفة والزواج والشقة وكل مطلب من هذه المطالب يؤرق لياليهم وينغص عليهم أيامهم ويجعلها أياما سوداء .

وانى اطمئن هؤلاء الشبيبة ان جيلنا هو أيضا كانت له مشاكله وكانت فى أنظارهم أيام شبابهم لاتقل خطورة ولا قتامة عن خطورة مشاكل اليوم وقتامتها .

وكانت أصعب هذه المشاكل فى الأجيال السابقة الحصول على وظيفة فقد كانت الحكومة منذ ثلاثينيات هذا القرن تكاد تكون متوقفة عن التعيينات الا فى النادر القليل . وكانت الشركات تكتفى بما لديها ولا تستطيع ان تتسع للمتخرجين الجدد . فكانت أزمة الوظيفة على مدى عشرين عاما تكاد تكون خانقة مع ان المتخرجين فى هذه السنوات كانوا قلة قليلة بالنسبة للخريجين اليوم وكان المرتب فى الوظيفة الحكومية هزيلا ولكنه كان على هزاله يستطيع أن يواجه ضرورات الحياة .

ولم تكن هناك فروق شاسعة فى المرتبات مثل التى نراها اليوم بين الذين يعينون فى القطاع الخاص والآخرين الذين يعينون فى القطاع العام أو الحكومة وهذه المقارنة عند شباب الحكومة والقطاع العام تزيدهم مرارة .

ولكن هناك فارقا كبيرا ضخما بين المجتمع الذى واجهه شباب الجامعة فى أيامنا وبين مجتمع اليوم ٠

فالمجتمع فى أيام شبابنا كان يرفض رفضا باتا حازما ان يعمل خريج الجامعة سائقا فى منزل أو على سيارة أجرة أو سيارة نقل ٠

والمجتمع اليوم يرحب بهذا النوع من الشباب ويوفيه حقه من الاكبار والاجلال ولم يكن المجتمع فى أيامنا يسيغ لخريج الجامعة ان يعمل نادلا فى فندق أو فى بيت ٠

والمجتمع اليوم يرى فى خريجى الجامعة الذين يقومون بهذه الأعمال رجالا صدقت منهم العزيمة ونفضوا عن أنفسهم أوهام الماضى ٠

والدليل على ذلك هذا الاقبال الهائل على كليات الفندقة ٠ ويكاد يكون جميع العاملين فى الفنادق من خريجى الجامعة ٠

هذا التغير الخطير فى فكر المجتمع أتاح لشباب اليوم مالم يكن متاحا لشباب الأمس ٠

وهذا التغير نفسه جعل الأسر تقبل ان تعطى بناتها لهؤلاء الشباب غير ناظرة الى مهر مرتفع أو شقة فاخرة ٠

وتغير آخر خطير طرا على المجتمع فقد أصبح عمل المرأة أمرا لا مناقشة فيه وخاصة المرأة التى لم تنجب أو تلك التى بلغ أبناؤها سن المدرسة وأصبحت فى نهارها غير مشغولة ٠

ولم يكن الأمـــر كذلك فى الثلاثينيـــات ولا الأربعينيات ولا فى الخمسينيات الى منتصفها تقريبا ٠

وأخرى كان الشباب منذ قبل ثورة ١٩ الى عام ٥٤ التى خرج فيها الانجليز من مصر ٠ صاحب قضية موحدة تجمع شمله وتلم شتاته ٠ فقد كان جلاء الأجنبى عن مصر قضية عامة لايختلف فيهـــا شخص مصرى عن آخر ولاحزب مصرى عن آخر ٠ ولذلك أصبح من الطبيعى ان نرى ان أحزاب ما قبل عام ٥٤ أصبحت غير ذات موضوع ٠ ولو كانت الحيـــاة الديموقراطية هى المسيطرة حين خـرج الانجليز من مصر لكان ينبغى على الأحزاب ان تجتمع كل حزب على حدة أو فى شكل مؤتمر لتعيد صياغتها وتنظر فى برامج جديدة لايكون الأساس الأول فيها خروج الاحتلال الأجنبى من مصر ٠

ولكن الحكم فى عام ٥٤ وكان حكما شموليا ديكتاتوريا خالصا كان كذلك قبل ٥٤ وظل كذلك بعدها حتى حكم أنور السادات وبدأت فى مصر حياة أخرى غير تلك التى كنا نحياها ٠

وأخرى قد يظن البعض ان سخط الناس اليوم على الحكومة بسبب الغلاء المستعر وقصور المرتبات فى الحكومة والقطاع العام عن مواجهة هذا الغلاء أمر جديد على مصر •

لا وربك • فان الحكومات جميعا قبل الثورة وبعدها كانت تحظى بالنقد الشديد وكان الشعب يتطلع دائما الى التغيير •

وقد كان حزب الوفد حزبا محظوظا لأن الملك كان غبيا فقد كان يصر دائما ان يقيل حزب الوفد من الحكم ولايترك له الفرصة ان يكمل مدته الدستورية وكان لهذه الاقالة فعل السحر فى شأن الوفد •

فقد كانت تجعل الناس ينقلبون من كارهين له أشـد الكراهيـة ضائقين بحكمه كل الضيق الى مؤيدين له أشد التأييد مجندين له كل التجنيـد •

وكان يدخل الانتخابات محوطا بهذا التعاطف فيحصل على أغلبيات كبيرة • وما ان يحكم ويبدأ فى ممارسـة استثناءاته ومحسوبياته حتى يحيط به البغض والكراهيـة • ويقيله الملك فيسترد بالاقالة ما خسره بفساد الحكم •

وكانت الحكومات الأخرى هى أيضا لاتنال التأييد فى الحكم مطلقا • فمادامت تحكم فالنقد ينهال عليها من كل سبيل • من صاحب مصلحة لم تتحقق أو من مخطىء ناله العقاب • وهؤلاء كثرة •

واننى أشهد ان أى حكومة لم تكن تحظى بالتأييد الشعبى مادامت فى كرسى الوزارة •

ولست أدرى هل تنفرد مصر بهذه الخاصية أم ان دولا أخرى كثيرة تشبهها فى ذلك ولكن المؤكد ان الشعب المصرى يتوق دائما الى التغيير ولايطيق ان يظل محكوما من حكومة واحدة سنوات عديدة •

أتراه هكذا لأنه شعب ملول بطبعه أم لأنه شعب متفائل ينتظر الخير من الغيب ولا ينتظره من واقعه أم لأنه شعب كسول يحب دائما ان يقوم عنه غيره بما ينبغى ان يقوم به هو من أعمال •

أم ترى الأمر كذلك لأن الشعب المصرى يتمتع بكل هذه الصفات •

علم هذا عند علام النفوس وبارئها هو الذى سواها وهو سبحانه بشأنها أدرى • ؟

الأهرام ٢١ نوفمبر ١٩٨٨ م

مجلس الشورى والأصابع

قرأت مقالا لأستاذ بكلية الزراعة عن مجلس الشورى منشورا بالعدد الصادر يوم ١١/٢٩ بجريدة الأخبار ·

وقد حزنت كل الحزن · ولم يكن حزنى على مجلس الشورى ·· فأنا لم أعرف مجلسا أصبح له بين الناس من التوقير والاجلال والاكبار ما لمجلس الشورى ·

وما هذا عليه بغريب فهو مجلس يضم القمة العليا من أعلام مصر فى كل ميدان من ميادين الحياة فى مصر ·

والمجلس يشـارك حاليـا فى التشريع فى جميع القوانين المكملة للدستور · ثم هو يشارك فى القرارات بالبحوث الرائعة التى يرفعها لرئيس الجمهورية ويرسل بها الى مجلس الوزراء والوزراء ·

وقيمة المجلس فى الحياة النيابيـة تركت مرحلة النقـاش وليس يعنيه رأى يساق بصورة عشوائية وبألفاظ نابية ان أصابت فانها تصيب قائلها قبل أن تصيب جلال المجلس ورفعة شأنه ·

والمجلس على وعد قريب التحقيق من السيد رئيس الجمهورية ان تحال اليه مشروعات القوانين مع احالتها الى مجلس الشعب · ورئيس جمهوريتنا الحالى لم يعد فى حياته وعدا الا أنجزه ·

فما حزنى اذن على مجلس الشـــورى وانما حزنى ان يكتب أستاذ جامعى فى الزراعة فى شأن هو أبعد ما يكون عنه فى علمه وتخصصه والذى أتصوره فى أستاذ الجامعة أنا ما دمنا نحترم تخصصه فعليه حتما أن يحترم تخصص الآخرين ·

فأين هو من الآراء الفقهية والتشريعية والدستورية والقانونية التى تفضل نظام المجلسين على نظام المجلس الواحد · ولو كان هذا الأستاذ على أقل وعى بالفكر القانونى لأدرك أن نظام المجلس الواحد كان وبالا وكارثة على الفقه والقضاء المصريين وحسبه أن يعرف ــ ان كان يجهل ــ

ان فى مصر اليوم سبعة عشر ألف قانون لا يستطيع أن يحيط بها محام أو قاض وهيهات هيهات وألف هيهات أن يحيط بها المتقاضون أنفسهم ٠

ولو ان هذه القوانين مرت على مجلس له ما لمجلس الشورى من فكر رزين وعلم مكين ورأى رصين لأصبح الحال غير الحال ٠

وكيف لأستاذ جامعى يعمل فى الزراعة أن يدخل نفسه هذا المدخل الوعر الذى لا يسلكه الا رجال القانون وفقهاؤه والمشرعون فيه ٠٠ أم حسب ان القانون ليس علما وانما مجرد ألفاظ يرصها فى فوضى تدعو الى الأسف والى الضحك والى السخرية ٠

وكم يحزننى أن يجلب أستاذ فى الجامعة السخرية على نفسه ٠٠

وبعد فان كانت هناك أصابع زائدة فهى الأصـابع التى تنضم على الأقلام لتكتب فيما لا تعلم ولتصدر رأيها فيما هى جاهلة به كل الجهل ٠٠ وان كان لابد لأصابع أن تقطع فتلك الأصابع التى لا تجلب على صاحبها الا السخرية والعجب البعيد كل البعد عن الاحترام ٠

الأخبار ١٩٨٨/١٢/٤ م

حصانة لا حماية ؟

الحصانة البرلمانية أصبحت اليوم ستارا لبعض أعضاء المجالس التشريعية يجعلها تخرج خروجا كاملا عما شرعت له ٠ ولما كنت قد تخرجت فى كلية الحقوق منذ قرابة أربعين عاما لم أمارس فيها المحاماة الا ثمانى سنوات فقد رأيت ان الأهدى بى والأصوب ان أعود الى رأى أساتذة القانون الدستورى لاتخذ من رأيهم مشكاة بهنا استضىء وعلى نورها أسير ٠

وقبل ان نتوجه الى أساتذة القانون الدستورى أولى بنا ان نرى النص الدستورى نفسه ماذا يقول :

تنص المادة ٩٩ من الدستور ٠

« لا يجوز فى غير حالة التلبس بالجريمة اتخاذ آية اجراءات جنائية ضد عضو مجلس الشعب الا باذن سابق من المجلس ٠٠ » ٠

وتسرى هذه المادة بحكم الدستور على أعضاء مجلس الشورى ٠

بنا الآن الى أساتذة القانون الدستورى نسألهم الرأى فى هذه المادة : يقول الدكتور السيد صبرى الذى درست القانون الدستورى على يديه : « ان المقصود من الحصانة البرلمانية هو أخذ موافقة المجلس على اتخاذ الاجراءات القانونية ضد أعضائه قبل الشروع فيها ٠ وليس المقصود منها حماية الأعضاء من نتائج الجرائم التى يرتكبونها ٠ ويقول الدكتور : انه ما دام العضو متهما فى جريمة فانه لايجوز للمجلس ان يمتنع عن رفع الحصانة البرلمانية عنه ليأخذ العدل مجراه » ٠

ويرى الدكتور السيد ان اللجنة التى يحال اليها طلب رفع الحصانة تقوم بالتثبت من ان الغرض من الطلب المذكور جدى لاكيدى فهى لاتفحص الموضوع الا من الناحية السياسية فقط ٠

ويقول الدكتور محسن خليل : « ان الحصانة لاتمنع العقاب على الجريمة ولا تعتبر الفعل مباحا » ٠

ويقول الدكتوران العظيمان وحيد رأفت ووايت ابراهيم ما معناه :

ان الحصانة البرلمانية لا تعفى من المسئولية الجنائية ولا من العقاب بل فقط تحتم استئذان المجلس الذى يتبعه العضو • وهو ضمانة قوية حتى لاتستعمل الحكومة صفتها التنفيذية وسيلة للتهديد أو النكاية أو التشنيع بخصومها فى البرلمان • أو يحاول الأفراد الاساءة الى سمعة الأعضاء لخلافات شخصية أو لأحقاد نتجت عن مواقف برلمانية أو انتخابية •

ويقول العالمان الكبيران ما معناه :

ان مهمة اللجنة التى تنظر فى طلب رفع الحصانة سياسية لا قضائية فهى لاتجرى تحقيقا قضائيا ولا قانونيا للتثبت من توافر أركان الجريمة بل تقتصر مهمتها على التأكد من ان طلب رفع الحصانة ليس كيديا وانما هو نزيه وجدى •

تلك هى آراء الفقه فى الحصانة ولكنى أرى عجبا حين يعرض على أحد المجلسين طلب لرفع الحصانة عن عضو من أعضائه •

أرى الأعضاء يحاولون ان يقيموا من أنفسهم درجة قضاء خاصة بالأعضاء وهذا أمر لايليق بممثلى • الشعب المسئولين عن كرامته فليس أعضاء مجلس الشعب أو الشورى طبقة خاصة من الشعب لتنشأ لهم درجة تقاض خاصة بهم •

بل انه ليس فى العالم أجمعه طبقة لها نوع خاص من التقاضى الا أيام الاحتلال البريطانى أيام كان المتمتعون بالحماية البريطانية يحاكمون أمام محاكم خاصة •

وربما كان هناك فى ظلام الزمن محاكم خاصة بأصحاب الألقاب فى فرنسا ولو أننى أشك فى ذلك شكا كبيرا •

ومن المؤكد الذى لاشبهة فيه ان أعضاء مجلسى الشعب والشورى لايتمتعون بالحماية البريطانية ومن المؤكد أيضا الذى لاشبهة فيه ان الحماية قد رفعت عن مصر وان الانجليز بكل ظلمهم وسوءاتهم قد جلوا عن بلادنا الى الأبد •

فكيف تسول للأعضاء نفوسهم ان يجعلوا من ذواتهم شخوصا مصونة لاتمس كما كان الدستور يقول عن ملك مصر •

وقد كانت هذه المقولة منصوصا عليها لأن المفروض ان الملك يملك ولا يحكم ومادام لايحكم فلا مسئولية عليه ومادام بلا مسئولية فلا مساءلة له انما تتجه المساءلة من الشعب والبرلمان والصحافة الى رئيس الوزراء الذى يفترض فيه أنه مسئول حتى عن تصرفات الملك ذاته •

وعلى كل حـــال هذا زمن انقضى بخيره وبشره وأصبح لايجوز لانسان فى أرض مصر ان يتمتع بميزة قضائية لا يتمتع بها من انســان على أرض مصر ٠

والذى كنا نشهده فى البرلمانات قبل الثورة فى مناقشـــة رفـع الحصانة كان يدل على فهم صحيح لأركان الحصانة ٠ فقد كان رفع الحصانة لايستغرق نظره من المجلس أكثر من دقائق معدودات ٠

أما ما كان يحدث أيام الحكم العسكرى فى وزارة الوفد من اعتقال لأعضاء البرلمان وللزعماء السياسيين فقد كان أمرا استثنائيا لايقاس عليه ولا يتوسع فيه فقد بلغ الأمر بمرارة هذه الفترة ان المرحوم على باشــا ماهر دخل متخفيا قاعة مجلس النواب ليحتمى بحرم البرلمان من الاعتقال الذى كانت تبيته له الحكومة فلم تأبه الحكومة بحرم البرلمان وتم اعتقال حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا تحت قبة البرلمان ٠

ولكن هذا زمان قد مضى بقضه وقضيضه ولقد نعـلم ان الوفديين سيقولون ان الحكم فى هذه الفترة كان تحت سيطرة الانجليز وكانوا فى حرب ضارية ولو لم تنفذ لهم الحكومة المصرية أوامرهم لأمست العواقب وخيمة لا يعرف مداها غير الله سبحانه ٠

وبعد أفيريد أعضاء البرلمان اليوم ان يتخذوا من هذه الحصـــانة وسيلة تتيح لهم ماليس متاحا للشعب وتجيز لهم هتك القوانين وتمزيقها ٠٠ هيهات فما لهذا وجدت الديمقراطية بل ان الاســـلام الذى سبق الديموقراطية يساوى بين الناس جميعا كأسنان المشط ولا يصلح المشط ان علا فيه سن عن سن فانه حينئذ يمسى أداة تجريح لا أداة تجميـــل ويصبح سلاحا لا سلاما ٠

ان النواب فى مجلسى الشعب والشورى هم صورة الشعب ومجلاه أمام العالم وعلى أكتافهم يقع عبء الثقة والاحترام أمام العـــالم أجمع فليحملوا عبئهم ويتقوا ربهم فى أنفسهم ووطنهم الذى كرمهم بما وهب لهم من ثقة عليهم ان يردوها اليه كاملة غير منقوصة ولينســوا ذواتهم ومنافعهم الشخصية اذا خطوا الى قاعتى المجلســين وليصبحوا لا شىء الا صوت مصر وضمير شعب وسلام على المخلصين المؤمنين ٠

الأهرام ديسمبر سنة ١٩٨٨ م

مقـــــالات

١٩٨٩

رحمـاك يا رب العـالمين

الذى لا شك فيه ان الشعب المصرى شعب يحب الغناء بصورة يندر أن نجدها فى الشعوب الأخرى • وقد كنت فى لندن فى هذا العام وكنت أتتبع البرامج التليفزيونية فى كثير من أوقات الليل والنهار وقد وجدت أن البرامج الغنائية بها تكاد تختفى تماما فى حين أن تليفزيون مصر فى ليال كثيرة من الأسبوع يعتمد على الغناء وحده • وكثيرا ما لجأنا ــ نحن الروائيين ــ الى الأدوار الغنائية لتحديد الحقبة الزمنية التى تجرى احداث رواياتنا فى أثنائها •

ولم يخل زمن فى مصر من مغنين كبار حتى أشرق محمد عبد الوهاب وأم كلثوم فى سماء مصر فأصبح كلاهما علامة زمنية وفنية فى تاريخ مصر •

وبالأمس القريب طلبنى الأستاذ محمد عبد الوهـاب فى التليفون وهو فى حالة عجيبة من الغضب والحزن والأسف والألم اختلطت هـذه المشاعر جميعها فى صوته الوضاح المبين وقال : « تصور ان يظهر بالأسواق شريط غنائى كلماته تقول •• » •

وقال الكلمات ــ وصوته يقطر أسى ــ والكلمات غير قابلة أن يخطها قلمى فلو أردته أن يفعل لأبى على واستعصى فما لمثل هذا حملته يدى وما خلق الورق لتكتب عليه هذه الألفاظ ••

وان كانت الأغنية التى بلغت هذا المدى من السفول والانحطاط واحدة فالذى لا شك فيه ان هناك أغانى كثيرة لا تقل عنها سفولا وانحطاطا وان لم تبلغ الكلمات فيها من الوقاحة ما بلغته الكلمات التى أثارت ثائرة عميد الموسيقى العربية فى عصرنا •

والذى يحزننى ان هذه الأغانى انتشرت انتشار النار الحارقة فى المواد القابلة للاشتعال •

وأصبح غناء الأطفال والشباب والغوغاء وسـائقى السيارات ذات المذياع كله من هذا النوع الساقط •• الحقير وبعد ان كنا نسمع الشباب والأطفال يغنون نبويات شوقى بصوت أم كلثوم • « وقصـائد شوقى

والأخطل الصغير بصوت عبد الوهاب وبعد أن كان الصف الثانى للعملاقين مثل فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ ومن يليهم فى المكانة يحرص كل الحرص على اختيار الكلمة الشريفة واللفظ النقى والحرف المشرف أصبحنا نسمع الغثاء ولا أقول الغناء ومن العجب المحزن المرير أن الشعب يردد ما يرموننا به ٠

اننى أعتقد أن هؤلاء المغنين يسبون الشعب المصرى بل الشعب العربى كله بما يقدمون له من كلمات حقيرة تنشدها أصوات نكيرة وترددها أذواق فقيرة ٠

اننا نشهد عصر تدمير الذوق الفنى فى الشعب العربى ٠

وانني لأعلم أن هناك رقابة على هذه الأغانى ٠ أتراها ما زالت تحيا أم طواها الموت فيما يطوى وان كانت على قيد حياة فأين هى ٠ وان كانت بمثل هذا الهذر تسمح ٠ فماذا تمنع اذن ٠ وان لم تمنع الاعتداء على حياء الشعب المصرى وذوقه وتراثه الفنى فماذا بقى لها أن تصنع وما معنى وجودها ؟

من حق شباب آخرين من المغنين أن نستثنيهم من هذا الوباء مثل : محمد ثروت وعلى الحجار وايمان البحر درويش وقليل من الآمال الأخرى الذين يتبناهم جيل الملحنين الكبار وعلى رأسهم محمد عبد الوهاب ٠ ولكن هذه الأصوات الشريفة يوشك صداها أن يضيع فى زحمة الضوضاء الكئيبة التى يتبناها الشريط المسجل الذى يحطم الأمل بما يصنعه من تخريب للفن والأخلاق وشرف الكلمة وسمو الأداء ٠

كيف استطاع المال الدنس أن يسوغ لهؤلاء السفاحين هذا القتل الجماعى لوجه مصر الفنى وهو جزء من تراث البشرية جمعاء ٠

ان هذا الانحطاط الذى أصاب الأغنية هو نفسه الذى أصاب الفيلم المصرى ويزيد عليه الصورة الكئيبة يصورون بها حياتنا التى أصبحت فى أفلامهم لا شىء الا الأخربة وسفلة الناس واللصوص والقتلة والمرتشين وتجار المخدرات ومن يتعاطونها ٠

أقسم ــ غير حانث ــ اننى أشعر بالخوف كلما بدأت فى مشاهدة فيلم جديد من الأفلام المصرية أن يصيبنى بالكآبة والحزن أو اذا تواضع فى الاساءة أصابنى بالقرف والعزوف عن الحياة ٠

هل خبا الاشراق من وجه مصر وأصبحت كل سماته غضون الأخربة والبيوت المهدمة والأخلاق المنهارة والطلبة يعتدون على المدرسة · والشباب يجهزون على شرف الشريفات وعلى الكرامة والاباء والنبالة ·

هل اختفى من وجه مصر الجبين المشرق والأمل والضمير الحى وتقوى الله ·

هل أصبحنا لا شيء الا خرابا وحياء ساقطا ويدا قاتلة وضميرا قتيلا وكآبة وحزنا فى الأفلام ، وألفاظا وقحة ولحنا ضوضائيا فى الأغانى ·

لك الله يا مصر الاشراق والأمل ويا زعيمة الشرق فى الأدب والفن والعلوم ·

ولك الله أيتها الأجيال المتلاحقة من عهد محمد على حتى اليوم فقد بنيتم وخرب الأبناء · وأعليتم منائركم فى السماء ليطفىء أبناؤكم النور ويهدموا المنارات ·

ولكن لا · فما أحسب الله الا ماكرا بكم « وهو خير الماكرين » ، وهو سبحانه وتعالى الذى جعل مصر كنانته فى أرضه وأنه محطم ما تأتمرون به على أذواقنا وتاريخنا وذوقنا وحياتنا وشرفنا ·

انها فترة ستقتل نفسها بيديهـا · وبقولنا ــ نحن المصريين ــ : الله أكبر ولا اله الا الله عزت آلاؤه وتقدست أسماؤه ·

الأهرام ١٩٨٩/١/٢ م

الجانب الآخر وحديث الذكريات

شيء ممتع بدون شك ان تجلس وتستمع الى خلاصة خبرة وتجارب انسان ما من خلال حديثه عن ذكريات طفولته وشبابه ورجولته • فما بالك اذن اذا كان هذا الانسان رجلا ذا مكانة وحيثية وحيـاته حافلة ومليئة بالأحداث واسمه يدوى فى الأوساط الأدبية • قطعا الحديث ستكون له متعة مضاعفة ، وأكيد ستكون رؤيته للحياة من زاوية مختلفة تماما عن أى انسان آخر •• سيراها من خلال عين الأديب عين الفنان ، العين التى تضفى على كثير من الأمور رؤية خاصة مميزة •

مع الأديب ثروت أباظة كان لنا هذا اللقـاء مع ذكريات طفولته واحداث شبابه •

ثروت أباظة كان الابن البكر على ٣ أبناء ، جاء بعد ٣ سنوات من عدم الانجاب • عاش طفولة هانئة سعيدة فى ظل والد عظيم من عظماء عصره ، لم تشغله السياسة ولا الوزارة ولا مجلس النواب عن أن يرعى أبناءه أحسن رعاية وتقديم كل ما تهفوه اليه نفوسهم •

وأم رحيمة شفوق حنون تعطى كل ما تعطيه الأمهات وأكثر من حنان وحب • وتمتع ثروت أباظة بالحب أكثر قليلا من أخوته وكانت له بعض الدلالة على أمه بالذات وليس أباه فوالده كان يعامل أبنـاءه جميعـا بالمساواة • وكان أخوته يعرفون انه أثير عند أمه بحكم الأولوية •• فهو لا يستطيع أن يشكو طفولته اذن •

الوالد ابراهيم الدسوقى أباظة باشا ، حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩١٢ م وهو من رواد ثورة ١٩١٩ وكان أول موظف استقال فى تلك السنة فلقد كان زعيم ثورة الموظفين وكانوا يجتمعون فى بيته •

ليس يعنى ... !

انتهزت فرصة نشر روايتى « خشوع » بالأهرام ، لأمنح نفسى أجازة من كتابة المقال الأسبوعى الذى تعودت ان أنشره فى يوم الاثنين من كل اسـبوع .

وحسبت أن عشرة أسابيع كفيلة أن تمدنى بموضوعات كثيرة اعود بها الى القراء مجددا نفسى وكاتبا فى أمور لم يسبق لى الكتابة عنها .

ومرت الأسابيع العشرة وجرى بها من الأحداث ما جرى . وكتب الكتاب والصحفيون عن كل حدث فى حينه مما يجعله فى غنى عنى وعن أى اضافة جديدة منى . واهتم الناس بعض الاهتمام بكل حدث وقع يوما أو يومين ثم انصرفوا الى خاصة حياتهم فكل منهم له من مشاكله الخاصة ما يقصيه عن المشاكل العامة .

ومشاكلهم الخاصة على حالها كما تركتها يوم منحت نفسى هذه الأجـازة .

فمشكلة التعليم والدروس الخصوصية مازالت تطحن حياة الأسرات ومازالوا لا يعرفون كيف يواجهونها . والدخل قليل والمدرسون يغالون فى أسعار دروسهم ما طابت لهم المغالاة . وان اسرات هذا شأنها هيهات لها أن تعنى بالأحداث العامة التى تجرى فى بلادهم .

ومشكلة ضريبة التركات التى ثار حولها الجدل أشد ما يثور الجدل مازالت جاثمة على الصدور تفرض على الوارثين رهقا أى رهق وتدفع بهم الى متاهات من ردهات مصلحة الضرائب ذاهلين حيارى بين حزنهم على من فقدوا من عزيز مورث وبين عنت رعبهم مما ستطالعهم به الأيام من ضريبة لا تبقى لهم مما ورثوه الا ما يتبقى من مائدة اللئام الجوعى .

وكان الأمر قد استقر على الغاء ضريبة التركات ولكنها مازالت سارية وكان الأمر يترجح بين الابقاء والالغاء فى شأن رسم الأيلولة ومازال الأمر مترجحا فى شأنه مع أن الابقاء عليه سيحطم الآمال التى تعلقت بالغاء ضريبة التركات .

وما زالت الدخول للموظفين فى الحكومة والقطاع العام عاجزة عن مواجهة متطلبات الحياة ولولا ستر الله الذى لا يعلم سره الا هو سبحانه وتعالى لما عرف هؤلاء الموظفون كيف يعيشون حياتهم وكيف يحصلون على المأكل والملبس وأجر الاضاءة ٠

لا والله ما يهمهم من الأحداث العامة شىء وهم فى كل يوم يواجهون أحداثا خاصة تنوء بحملها الجبال العوالى الراسيات ٠

وفى غضون هذه الأسابيع العشرة اسمع أن فلانا من الناس أقام فرحا لابنه أو ابنته لا أدرى ولا أريد أن أدرى وكتب رقاع الدعوة على صحائف من خالص الفضة ٠

وسألنا ما الخبر فقيل لنا ان هذا الرجل أقام مدرسة ومسجدا ومنشآت كثيرة وقال من يريد ان يدافع عنه انه لا يحبس ماله على نفسه ترى ألم يشعر هذا الداعى ببعض خجل أو بعض حياء ـ مهما يكن كريما مغداقا ـ أن يكون اخوته فى الوطن على حالهم هذا من الضيق والعوز ويوزع رقاع دعوته على صحائف من فضة فى جرأة لم يقدم عليها اغنى الأغنياء فى الحاضر أو فى الزمن الماضى ٠

يا رعاك الله اتراك تقدر كم كانت تستطيع هذه الرقاع الرقيعة ان تصنع فى وطن يعيش على القروض والمنح ؟

أفكرت أن تنشىء مكتبة عامة أفكرت أن تقدم هذا المال لمستشفى يعالج الفقراء بالمجان ؟؟ وان كنت قد أقمت واحدة فما البأس عليك أن تقيم أخرى وأخرى مادام الله سبحانه وتعالى قد وسع عليك ووهب لك من المال ما لا تعرف اين تنفقه ؟

تألم الناس وهم يقرأون هذا الخبر عنك وانى لأعجب أيفرحك أن تصيب الناس بالألم فى يوم فرحك وأنت فى حاجة الى دعائهم أن يبارك الله الزواج الذى عقدت ؟

تحدث الناس فى هذا الحديث ثم عادوا والمرارة عصير نفوسهم الى خاصة شأنهم ٠

الناس يحاولون أن يتلهوا بالحياة العامة عن حياتهم الخاصة ولكنهم ـ علم الله ـ فى شغل عن السياسة بما فرضته عليهم الحياة من عنت قد يعنيهم ما يشيعه الارهابيون وتجار الدين الجاهلون به من ذعر فى النفوس وتحطيم للأمن وتهـديد للطمأنينة ٠ ويحمدون للدولة أنها تقف لهؤلاء السفاحين بكل مرض ٠

وقد يعنيهم أن تنجح الدولة فى ضبط كميات هائلة من المخدرات فتحمى بذلك شباب مصر من الهلاك ٠

ولكن الذى يعنى بهذا أو بذاك عناية خاصة أولئك الذين يطل عليهم خطر الارهابيين أو وباء المخدر من قريب ٠

ولكن غيرهم ممن انقذهم الله من هذه المهاوى مشغولون بحياتهم اليوميـة ٠

ها قد عدت والمعاناة بين الناس كما تركتها ٠ وانى واثق أن الحكومة وحدها لن تستطيع أن تواجه هذه المعاناة الا بكثير من الحزم والحسم ٠ وبعون القادرين من أهل مصر لها على تخطى هذه الصعاب ٠

وابحث عن هذا الحزم أو ذلك الحسم فيستبهم على الطريق وتطبق أمام ناظرى من الظـلام طبقات بعضـها فوق بعض فاذا أخرجت يدى لا أكاد أراها ٠

أين القرارات التى تيسر الاستثمار ٠ اين القانون الذى يبيح للأخوة العرب حرية السكنى فى القاهرة ٠ وكيف يقيمون المشاريع واقامتهم فى مصر بهدوء ٠ ومن عجب أن أسمع قائلا يقول نحن لا نبيع مصر خاب فأل هذا القائل وشاه قوله ٠ أكانت مصر لفافة يحتملها من يقيم بها ويرحل عنها ٠ لا سبيل للحكومة الا الحزم ولابد للشعب أن يعنيها ما أستطاع الى ذلك من سبيل أما أن نرى الأثرياء يطبعون رقاع الدعوة على صحائف الفضة فذلك معناه ان الأغنياء فى مصر يعيشون فى وطن آخر ولا يرعون حق الله فى أوطانهم ٠

الأهرام ١٢ مارس سنة ١٩٨٩ م

الضعف الشرائى

مساكين أولئك الذين لا يؤمنون باله لهم . لقد اقفلوا بعقولهم الصدئة منافذ الرحمة أن تدرك أرواحهم وقلوبهم . ومن لنا غيره يشملنا بعنايته ويرزقنا وهو لنا الغفران عند الزلل . والشفاء عند المرض . والرحمة عند الشدة واللطف عند الواقعة .

ولكم تلهى الملحدون وحاولوا أن يصطنعوا الشهرة بالعدوان على الرحاب الأقدس فاذا هم يشعلون الحريق فى خاصة دنياهم واذا الحياة تستحيل جحيما حواليهم قبل أن يستقبلهم الجحيم الأكبر .

عبث أبو نواس فيمن عبث حتى اذا علت به السن نظر الى ماضيه وراءه ما صنع واستهول ما قال فصرخ طالبا الغفران ويقول لرب العزة .

ان كان لا يرجوك الا محسـن فبمن يلوذ ويستجير المذنب

لقد ادرك أخيرا أنه لا رحمة الا هو جل شأنه وتقدست أسماؤه . ولا ملجأ الا ساحته ولا أمل الا عنده .. ويصيح :

كن مع اللـه .. يكن لك واتق اللـه لعلـك
لا تـكن الا معـدا للمنـايا فكأنـك
ان للـه لسـهما واقعا دونـك أو بـك

وكم عبث أمثال أبى نواس وكم لهوا .. ثم أفاق منهم من أفاق وأصر منهم من أصر .. وعند الله الحساب يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ..

وأنظر الى مصر .. ان حالها اليوم معجزة كبرى من معجزات السماء . الأسعار فى غلاء مستمر .. والحياة ضيق .. والمال قليل فان جاء فما أهون الأمور التى نستطيع ان نواجهها به .. فليس للجنيه المصرى الذى نتعامل به أى قوة شرائية حتى كلمة « قوة » أصبحت أبعد ما تكون عن الجنيه المسكين وأصبح الأجدر بنا أن نقول الضعف الشرائى أو الهزال الشرائى .

وأذكر أياما للجنيه كان يشرق فيها من جيب صاحبه فيفعل بالسوق الأفاعيل ويسطع فى دنيا المال قوة شرائية شامخة تزلزل التجار زلزالا واليوم أصبحوا ينظرون اليه باحتقار شديد · ويأخذونه أخذا هينا بلا حفاوة ولا اهتمـــــام ·

عزيز ذل جنيهنا المصرى وكريم هان ·· وغنى أصابه الفقر والعوز وسوء الحال · ولكن القوة الالهية الجبارة الرحيمة تشرق فى حياتنا فاذا نحن نعيش ونأكل ونشرب ونعالج المريض منا ونسعف المحتاج ونخف الى المكرمات كل هذا بجنيهنا الهزيل الذى تحيط به من الله آيات اللطف ومن يلطف بالعباد ان لم يكن هو الرءوف الرحيم صاحب النفوس وخالقها وملهمها فجورها وتقواها ·

ونرى الفجور فى بعض المحافل وعند بعض الناس يتمثل فى أسعار البيوت وأثمان السيارات والملابس والحلى والدعوات والأفراح والأتراح ونرى التقوى فى غنى يبذل من حر ماله لوطنه ، لا ، ما نضب الخير فى بلدى وما جف ماء المعروف عند كل الأثرياء بل منهم من لايزال يعرف للوطن حقه ولأهل وطنه ذمتهم فى عنقه ·

مازالت مصر تحيا ·· وان ارتفعت الأسعار وان قلت الموارد وان جف ماء الحياة وأصبح نهرها بخيل النبع واهن التيار ·· نعم وأن ·· بما ايمان لنا يرحمنا الله ·· وبما قولنا : « لا اله الا الله محمد رسول الله » تدركنا من السماء المرحمة ويحيط بنا اللطف · وبما تسبيحنا قياما وقعودا وعلى جنوبنا مازلنا نعيش وسنظل نعيش دون ان تهون منا النفوس ودون أن تطحن الأزمات ارادتنا التى هى بعون من الله صلبة المكسر عزيزة المعـــــدن ·

ولقد نسمع أن عالما من علماء الاقتصاد جاء يوما الى مصر واطلع على حالتها الاقتصادية وقال : انه طبقا لما أرى كان من الحتم أن تكون مصر فى مجاعة منذ سنوات · وان كل ما تعلمته من الاقتصاد وما أعلمه لغيرى يقف عاجزا أمام حالتكم هذه ·· كيف تعيشون ووضعكم الاقتصادى هو هذا الذى تطالعنى به الأوراق وانصرف العالم عن مصر فى ذهول ··

فان علم الاقتصاد لا يعرف المعجزات ولا يتصورها ولا يدخلها فى حساباته حين يحسب ٠٠ انما مجاله الأرقام وليس مجاله معجزات السماء ولا ستر المولى سبحانه وتعالى ٠

ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ٠ الى أى مدى سيظل سبحانه يرعانا بسابغ أنعمه وكريم معجزاته ٠٠ والله سبحانه وتعالى جعل الملك يقول لمريم « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » فحتى الوالدة النفساء أراد الله لها أن تعمل وتهز النخلة لتساقط عليها رطبا جنيا وما كان أهون عليه سبحانه وتعالى أن يسقط عليها الرطب الجنى دون أن تهز جذع النخلة ٠٠

وأرى رئيس الجمهورية وحده هو الذى يهز جذع النخلة بينما أرى البعض من الوزراء يخافون أن يقربوا النخلة أو يهزوا منها شيئا حتى يبقى الحال على ما هو عليه ويبقوا هم فى الوزارة واذا لم تهز النخلة فلن يتساقط الرطب ٠٠ ولا يرضى الله بهذا ولا المؤمنون ٠

الأهرام ١٩٨٩/٣/٢٥ م

عملت بدار الهلال لمدة نصف ساعة فقط

ولم يكتب مؤرخ عن ثورة ١٩١٩ الا وذكره فهو له مواقف ضد الانجليز وحقق ضدهم (مع انهم كانوا تحت الحماية) وكانت تحقيقاته من أهم المستندات التي استند اليها محمد محمود باشا في مفاوضاته في انجلترا ــ أتم التحقيق ثم استقال ــ ثم دخل مجلس النواب من أول انشائه سنة ١٩٢٣ وظل فيه حتى انفضت الحياة النيابية في مصر . وكان وزيرا لعدة مرات .. مرة وزيرا للشئون الاجتماعية في سنة ١٩٤٣ واستمر فيها حوالي ٧ شهور ، ثم وزيرا للمواصلات والأوقاف والخارجية لمدة ٥ سنوات متتالية ، وخمس سنوات متتالية في العهد الماضي شيء لم يكن يحدث ، يعني يمكن القول انه هو الوزير الوحيد الذي استمر خمس سنوات في وزارات مختلفة .

يقول ثروت أباظة لي اخوة الحمد لله ناجحون .. أخ ناجح جدا رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية للأقطان بالاسكندرية بدرجة نائب وزير وحاصل على الدكتوراه وهو الدكتور محمد شامل أباظة ، وعلى فكرة أنا أسمي محمد ثروت أباظة فقد كان والدي حريصا على أن يسمي بأسماء النبي عليه الصلاة والسلام . وبيني وبين أخي كل مشاعر الاخوة من حب ورعاية وحدب وأعتبره كابني ويعتبرني كوالده رغم ان فارق السن بيننا ثلاث سنوات فقط . وهو الأخ الوحيد لي .

ولي أختان احداهما متزوجة لحسن أباظة ابن عمنا . وهي حبيبة وقريبة الى جدا ، والأخرى زوجة أحمد عبد العزيز اسماعيل الطبيب المشهور . لكن الأخيرة فارق السن بيني وبينها تسع سنوات فكنت أنا الذي توليت تربيتها وتعتبرني بمثابة الوالد أكثر من الأخ . وهما متعلمتان تعليما مدرسيا لكن لم تدخلا الجامعة طبعا فلم يكن دخول الجامعة بهذا اليسر المتحقق الآن ، كما أن والدي لم يكن يتصور ان بناته ممكن أن يدخلن الجامعة .

● أسأله : هل كان والدك تقليديا ؟

ــ تقليدي ومتفتح في آن واحد ، فهو متفتح الى أبعد حد لأنه كان يحب الشعر والرواية وكانت ثقافته فرنسية عربية ، كما انني على سبيل

المثال عندما كنت فى سنة أولى ابتدائى وكان ذلك فى سنة ١٩٣٢ أو ١٩٣٣ م وكان عندى ٥ سنين طلبت منه كمنجة كى أعزف عليهـا فى المدرسة ٠ الكمنجة فى ذلك الحين كانت ب ٥ جنيهات وناهيك بخمسة جنيه وقتها وهى تساوى الآن ٥٠٠٠ جنيه ٠٠ أحضرها لى ، وكان حريصا على أن يغذى ملكاتى كلها ويتكشفها الى ان استقرت على الأدب ٠ لكنه فيما يتصل بالبنات كان تقليديا قليلا ٠

● يعنى لو أختك طلبت نفس الطلب هل كان سيرفض ؟

ـ اطلاقا فهو كان يريد أن يعلمهما بيانو فى المدرسة وفى البيت ، وقد أدخلهما مدارس لكنه لم يتصـور ان يدعهما تختلطان فى الجامعة بالأولاد ٠

رحلة قراءة سهلة ٠٠

وأنا صغير فى سن الخامسة أو السادسة تقريبا كنت أتمنى أن أكون عسكرى مرور فلقد كانت هذه الوظيفة عجبانى قوى ، والحمد لله اننى لم أكن كذلك لأننى لا أستطيع أن أقف ١٠ دقائق على بعضها لأن عندى أقدام مسطحة لا تسمح لى بالوقوف ٠ وكان أبى يعرف عنى حبى لهذه المهنة فاشترى لى لعبة فيها عسكرى مرور ببطارية وكنت سـعيدا بها جدا ٠

لكن علاقتى بالقراءة بدأت فى سن الثامنة ، وكان كامل الكيلانى صديقا خاصا لوالدى وكان بدأ يخرج مكتبته للأطفال ، فكان يهدى كتبه لأبى وقرأتها كلها ونشأت عليها ، وانتقلت من كتب الكيلانى الى الأدب الكبير فلم أشعر بأى اجهاد يعنى انتقلت من الكيلانى الى الحكيم والعقاد والمازنى وهيكل وطه حسين كأنى بدأت رحـلة عادية ليس بهـا أى اجهـاد أو انتقـال ٠ فكنت أدخل الى حجرتى وأجلس على الأرض ـ كان لى فى البيت دائمـا حجـرة خاصـة ان لم تـكن حجـرتين يعنى عندما انتقلنا من شارع الملك الناصر أمام مستشفى الملك كان لى حجرة خاصة وعندما انتقلنا الى العباسية كان لى حجرة مكتب تحت ونوم فوق ، يعنى عشت حياة ولله الحمد مرفهة ـ كنت لا أخرج من الحجرة الا بعد أن أنتهى من القراءة ، كان عندى نهم فظيع واستمر معى لدرجة اننى فى الابتدائية وأنا أنتظر النتيجة قرأت مجنون ليلى ثلاث عشرة مرة متعاقبة أقفلها وأفتحها أقفلها وأفتحها ٠٠ وهكذا ٠

كما شغفت بالشعر ولذلك تجديننى أستشهد كثيرا بالشـعر فى مقالاتى الأدبية لأنى أحفظ كثيرا ٠٠ أحفظ تقريبا معظم شوقى وعزيز أباظة وكثيرا جدا من المتنبى والرومى والبحترى ٠ كنت متعلقا بالشعر

جدا وعلى تعلقى به لم أكتبه لأننى من كثرة اعجابى وحبى له جعلنى هذا أخاف منه لأننى اذا لم أكتب مثل الذى أقرأه فلا يجوز لى أن أكتب على الاطلاق ٠٠ الشعر طبعا ٠

وعندنا فى البيت كان التشـــجيع مستمرا على القراءة وكان أبى يشجعنى ، وأبى بالمناسبة هو الذى أقام لسانى العربى فأنا أكاد لا ألحن سواء وأنا أرتجل أو وأنا أكتب لأن والدى كان يجعلنى أقرأ له كثيرا وكنت أحرص على أن أكون سليم اللغة ٠٠ اذن التشجيع استمر مع شيء من الحذر والخوف من أن تتعدى القراءة وقت المذاكرة ٠٠ وأذكر حكاية لوالدتى تعـد من العلامات المهمة فى حياتى ٠٠ دخلت على مرة وأنا فى الابتدائية وكنت أقرأ فى رواية غير مقررة على فى المدرسة فصرخت فى وجهى وغضبت خـوفا من رســـوبى ، فانتابنى الغضب وقلت لها والله العظيم انتحر وكنا فى الدور الثانى ، فذهبت بكل هدوء واطمئنان وثقة وفتحت الشباك وقالت اتفضل انتحر ويستطرد مبتسما ولا أظن اننى انتجرت ، لكننى تعلمت من هذه الحادثة شيئين : الأول تعلمت أن موت الانسان خير من فشله عند الأم حتى ولو لم تكن متعلمة فأمى كانت تقرأ وتكتب فقط لكنها كانت تقدر ان موتى خير من حياتى وأنا فاشل ٠

الشيء الثانى اننى تعلمت ألا أقول شيئا وأنا أعرف اننى لن أستطيع أن أفعله ٠

محامى مع وقف التنفيذ

أنا بدأت أكتب من سن الثانيـة عشرة وبدأت فى مجلة الثقافـة لأحمد بك أمين وبدأت بمقالات وكان النشر بها فى ذلك الوقت شرفا كبيرا ٠ ثم كتبت فى الرسالة ثم فى جميع الجرائد والمجلات وكان لى عمود ثابت فى جريدة المصرى الاسبوعى ، وبمرور الوقت أصبحت كاتبا معروفا فى الأوساط الأدبية ٠

وعندما جاءت الثورة كنت معدا نفسى أن أكون محاميا وسياسيا وان أترصد خطى أبى ، كنت أريد أن أدخل مجلس النواب وان أتعلق بالحياة السياسية ٠ لكن طبعا عندما جاءت الثورة لم تصبح هناك حياة سياسية ولم تصبح هناك أيضا حياة قضائية لأن الاشتباكات المالية لا تحدث فى ظل الثورة لأن الثورة هى التى تتولى كل الأمور المالية ٠

س : متى تعرفت بالسيدة حرمكم ؟

ج : الواقع اننى أعرفها منذ الصغر لكننى عندما كبرت بدأت أتعرف على شخصيتها وعلى أخلاقها فأحببتها حبا عن بصيرة واختيار ٠ والحمد لله ربنا وفقنى فى زواجى كل التوفيق ولا يوجد أحد فى بيتى أسعد منى ٠

وهى متعلمة تعليما غير جامعى وصـــلت تقريبا لرابعة أو خامسة ثانوى ، وتقرأ انتاجى وتبدى رأيها فيه ولكن بعد أن ينشر لأن المقالات أكتبها وأرسلها مباشرة ، أما القصص فتنشر مسلسلة فليس من المعقول أن كل جزء أكتبه اسمعه لها ، لكن عندما تنتهى الرواية تقرأها وتعطينى رأيها فيها • وهى ليست موظفة انما ربة منزل ، لكنها شاعرة ولها كتاب عن والدها ، ولها كتاب أيضـــا عنى لكنها لا تريد نشره لأنه دخل فى خصائص بيتنا زيادة عن اللزوم ، فأرادث نشره من غير اسم أى دون أن تقول للمؤلفة فلانة وذلك طبعا لن يعطى الكتاب أهمية لأنه ان لم يكن الكتاب معروفا عنه انه للمؤلفة فلانة أو المؤلف فلان فقد أهميته •

أنجبنا اثنين ولد وبنت ، البنت ليسانس آداب قسم فرنســاوى وتعمل فى الاذاعة الآن وليس لديها أولاد • وأمينة غاوية أدب وحساسة جدا له وعملت فى الصحافة لفترة ثم عملت فى الاذاعة • وقد تركت لها حرية أن تعمل ما تريده فأنا بعد الشهادة لا يوجد لى عندهم أى شىء • فأنا مثل والدى فى هذه النقطة يأخذوا شهادتهم ثم هم أحرار • وابنى دسوقى على اسم والدى • وهو ليسانس حقوق وقاضى فى محكمة الجيزة ، وبينه وبين أمينة ثلاث سنوات •

وطريقة تعاملى مع أولادى مختلفة عن الطريقة التى كان يعاملنا بها والدى لأن الاختلاف هنا اختلاف جيل ، فمثلا والدى عندما كان يدخل على كان لازم أقف ، لم أكن أقبل يده لأنه كان يمنعنا من ذلك لكن كان لازم أقف وهو بيتكلم •• الآن أولادى يقولون لى رأيهم بصراحة وأحيانا تكون صراحة عبيطة شوية ، وأذكر دخلت مرة على دسوقى وهو صغير كان عنده ٥ أو ٦ سنين فوجدته نائما على الكنبة فقلت له مش تقف عندما ترانى فقال لى أقف ليه ؟! قلت له مش تحترم والدك ، فقال لى هو الاحترام بالوقوف !؟ الاحترام من الداخل •

أيضا أنا لم أقل له أن يصلى وهذا من الأشياء الغريبة جدا ، فقد كان والدى عندما يصلى يغلق الباب على نفســه بالمفتــاح ولا يحب أن يراه أحد •• وفى مرة سألت على دسوقى ابنى فقالوا لى قافل على نفسه بالمفتاح فقلت أيه الحكاية ؟ فاذا به يصلى بعد ان أغلق على نفسه بالمفتاح كما كان يفعل جده دون أن يراه ولا أن يراه جده انما انتقلت اليه بالوراثة•

وأعتقد اننى ديمقراطى مع أولادى فلم أكن أفرض عليهم شيئا ولم أتدخل فى حياتهم الا بالارشاد • فمثلا ابنتى تحب الرسم جدا وترسم جيدا وكانت تريد أن تلتحق بكلية الفنون ، فقلت لها الرسم تستطيعين أن تدرسيه فى أى وقت ، لكن أنت لا تحبين الاستذكار كثيرا وبما أن تعليمك كله فرنساوى فانك عندما تدخلين آداب فرنساوى ستكونى شاطرة

فى الكلية أكثر من زميلاتك فخذى الليسانس ثم ادخلى أى كلية تعجبك من الكليات الفنية . وفعلا سمعت كلامى ونجحت وتخرجت وهى تفكر فى هذه الأيام ان تدرس رسم فى قسم الدراسات الحرة فى الفنون الجميلة .

أيضا ابنى يحب القراءة جدا والأدب وخصوصا الفلسفة وكان يفكر فى دخول الآداب قسم الفلسفة وقال لى عن رغبته هذه فقلت له تعال نقابل عمك نجيب محفوظ ونستشيره لأنه آداب فلسفة فاذا وافق فأدخل. ونجيب صداقة ٤٥ سنة الآن فنحن نعرف بعض من قبل أن أنجب أولادى ، وكنا نجلس مع بعض عصر كل يوم ، فقلت لدسوقى تعال واجلس معنا واسأله وجاء فعلا وقال له والله أنا عايز أدخل كلية الآداب قسم فلسفة فقال له نجيب محفوظ كويس .. قوى .. بس هناك شرط واحد هو انك تطلع الأول ، فقال له لماذا !؟ فرد عليه وقال : ما هو يا اما تطلع الأول يا اما تشتغل فى جمعية تعاونية لأن الفلسفة تستمر فى دراستها حتى تصل لمنصب أستاذ فى الجامعة لأن الفلسفة خارج الجامعة لا قيمة لها ماذا ستفعل بها !؟ لا شىء .

فالحجة كانت مقنعة وقال دسوقى انه لا يضمن أن يكون الأول ، فدخل كلية الحقوق وكان خايف من انها صعبة فقلت له هى صعبة لأن الطلبة الذين يدخلونها لا يدخلونها عن رغبة لكن أنت مجموعك يدخلك أى كلية أنت تريدها ، وأنت متقدم عن زملائك الذين دخلوا ب ٦٠ و ٦٥٪ فأنت ستكون فى وسطهم مميزا بالمجموع . والحمد لله مرت الأربع سنوات وتخرج بجيد وعين فى النيابة .

وابنى الآن عنده بنت هى حياتى كلها اسمها ياسمين ، عندها سنة و ٥ شهور ولا يوجد شىء فى الدنيا يسعدنى قدر انى أجلس معها وألاعبها .

تعاسة غير مرئية ..

● هل حققت كل ما كنت تتمناه أم هناك بداخلك أمنيات أخرى تود أن تتحقق ؟

ـ الأمنيات تتجدد مع الحياة وكل سن له أمنياته الخاصة به . والآن ربما تنقصنى الناحية المالية لأننى من الناحية المادية غير موفور ومطالبى كثيرة لكننى مستور ولله الحمد انما هل كان يعقل أن يكون لدى وفرة من المال أيضا وربنا أتاح لى أولاد والحمد لله ناجحين . وأنا أؤمن بأن كل شىء له الناقص والزائد فربنا أعطانى ما أعطى الناس جميعا من ساعات رضا وسعادة وهناء وساعات سخط وضيق وألم ، ولا يوجد انسان فى سعادة كاملة ولا انسان فى تعاسة كاملة وربنا سبحانه وتعالى قسم

الحظوظ بعدالة غير معقولة ، ولا تنظرى الى خارج الانسان وتقولى هـذا هو أسعد انسـان لأنك لا تعرفين ماذا فيـه وربمـا يكون فى نفسـه حزينا ومكتئبا ٠

عموما أنا أمنياتى الآن مقصورة على أولادى فقط لكن أنا شخصيا لا أرجو من الله شيئا الا أن أظل لآخر حياتى مستطيعا أن أمسك القلم وأكتب ٠

● كيف تقضى يومك ؟

ـ بعد العمل أذهب للبيت أتغذى وأنام ثم أسـتيقظ أتفرج على التليفزيون شوية ، واذا كان يوجد لدى ما أقرأه أقرأ ، وأكتب عادة بعد القيلولة الساعة ٦ أو ٧ عندما توجد رواية ، أما المقالات فأنا أكتبها فى الصباح اما فى مجلس الشورى أو فى مكتبى فى الأهرام ، الا اذا جاءتنى فكرة ما بالليل وأنا فى البيت فأكتبها فورا ٠

● والرياضة ؟

ـ لا أمارسها اطلاقا الا بالمشاهدة فقط أما أيام زمان فلقد كنت ألعب كرة فقط ٠

● والمطربين ؟

ـ أم كلثوم وعبد الوهاب على قمة المطربين طبعا وما زالا موجودين وأصواتهم موجودة ، بعد ذلك فأنا لست بسميع قوى لكن محمد ثروت وعلى الحجار وايمان البحر درويش كلهم سواسية لكن محمد ثروت أقربهم الى نفسى لأنه حبيبى وصديقى وعمرو دياب مش بطال والله أما المطربات فأنغام وسوزان عطيه لا بأس بهما ٠

● وما هو الكتاب الذى أعجبك وأثر فيك جدا ؟

ـ القرآن معجزة الهية لا يمكن أن يقترب من ساحتها ولو على بعد مائة ألف مليون كيلو أبدا أدب ، لا أتكلم عن القرآن كأحكام فهذه مسألة لا تحتاج لكلام طبعا ٠ لكن أسلوب القرآن ولغته شيء لم يحدث ، وأنا كرجل محترف أدب قرأت القرآن ما يقرب من مائة مرة وفي كل مرة أقرأه كأنني لم أقرأه من قبل ٠

● ما هي النصيحة التي توجهها لشباب اليوم ؟

ـ نصيحة أعتقد انهم لن يستطيعوا تنفيذها فأنا لا أريد لهم أن يدخلوا أي كلية بسبب المجموع ، أريدهم ان يدخلوا الكلية التي يحبونها كي يستطيعوا بعد ذلك أن يستمروا ويتفوقوا ، فأتمنى أن يراعوا ذلك وهم يذاكرون في الثانوية العامة ٠

● ما هي خلاصة تجربتك في الحياة ؟

ـ « السنون تمر سريعة والأيام تمر بطيئة » بمعني اننا نشعر ان الأيام بطيئة متمهلة في سيرها ولا نشعر بالسنين ٠ فأنا مثلا فوجئت بنفسي وأنا في الستين من عمري كيف ؟ لا أعرف ! يعني مرت بسرعة جدا أكثر مما تصورت ، بينما أنا شعوري بالزمن عبيط جدا فأنا لا أستطيع أن أمشي في غير ساعة وفي مكتب ما يقرب من ٣ ، ٤ ساعات وأتأكد من الزمن باستمرار يعني أشعر باليوم دقيقة بدقيقة ولكن الشعور بالسنوات سريع ٠

● والحكمة التي تؤمن بها ؟

ـ « لن ترضي الناس جميعا ، لكنك تستطيع أن ترضي الله وترضي نفسك » فاذا أرضيت الله ونفسك أديت واجبك ٠ فليس هناك رأى في العالم لا يرضي قوما ويسخط أخرين ، وكل من حاول ارضاء الجميع سقط في شبكة النفاق وأسقط الناس جميعا عليه لأنه منافق ، فخير وسيلة أن يرضي الله ويرضي نفسه ٠ ما يرى أنه حق يقوله ويتوكل على الله ٠ هذه هي حكمتي وأحمد الله عليها لأنني لم ألم نفسي على كلمة كتبتها ولم أكتب حرفا أنا غير مقتنع به ٠

● هل أنت راض عن نفسك ؟

ـ لا ولا أدرى لماذا ؟ ولو رضيت عن نفسي يخيل الى انني أتوقف ٠

● هل هذا يعني ان كل محاولاتك للكتابة ما هي الا محاولة للوصول الى الرضاء عن النفس ؟

ـ لا طبعا وهل الكاتب يكتب لارضاء نفسه ، انه يكتب لأنه مرغم على الكتابة ٠ انه يجد في نفسه شيئا لابد أن يقوله ، أنا عندما لا أجد في نفسي شيئا لا أكتب ، أنا لي الآن ٢٠ رواية وما يقرب من ٤٠ كتابا ولم يبق الآن ما يرغمني على الكتابة ، أنا ان لم تأتني الفكرة وأرى انها

جديرة بان تكتب واقلبها ذات اليمين وذات اليسار وذات الطول وذات العرض واطمئن تماما انها تصلح لا أضع القلم على الورق ٠

● اذن ماذا تقصد بالرضاء عن النفس ؟

ـ هذا موضوع آخر فأنا لو قلت لنفسي انني بلغت ما يكفي من الثقة يزول الشعور بالرهبة عندما أمسك بالقلم وأضعه على الورقة ، واذا زال هذا الشعور زال الكاتب تماما ٠

بلادى ١٩٨٩/٣/٢٥ م

شعارات جوفاء ..

هل آن للشعارات التى قامت على فراغ أن ترحل عن سماء مصر . ان مصر اليوم قد عادت سيدة على كل مكان من أراضيها المقدسة . فهى ــ بحمد الله اليوم ــ فى أقوى حالاتها وقد استردت بفضل حرب السادات وسلامه وبفضل ايمان مبارك الثابت بالحق والعدالة كل ما فقدته فى حرب ٦٧ الشائهة .

فهل آن لها أن تسترد الثقة بالنفس وقد استردت الأرض . ومن أجلى معالم الثقة بالنفس الا ترتفع فى اجواء البلاد شعارات جوفاء تؤدى الى الخراب فى حقيقتها وان كان ظاهرها الرحمة .

وأعظم ما تصنعه هذه الشعارات ان تخادع الناس ــ بعض الناس ــ عن الحقيقة . وان تستتر فى غباء ما وراءها من سوء المصير .

هذه الشعارات كانت صاحبة الفضل الأول ان يكون الانتاج فى مصر على هذا القدر من الهوان فحين ترتفع ساعات العمل فى الدولة الواثقة بنفسها الى عشر ساعات وأكثر تتضاءل فى مصر . لتصبح سبعا وعشرين دقيقة .. وعلم الله أن مصر تحتاج الى عشرات الساعات من العمل لتعوض ما انفقته فى حروبها المشروعة وغير المشروعة التى لم يزج بها فيها الا الشعارات الملتاثة الحمقاء والرغبة الرعناء فى الزعامة الفردية وأموالها وما كان بها من ذهب اطاحت به كلمة أنا تحيط بها الشعارات المجنونة واللافتات الرعناء .

هل نطلب كثيرا اذا سألنا كل عامل فى مصر سواء كان موقعه على مكتب أو كان على آلة أن يؤدى واجبه ويرضى ربه وضميره ووطنه .

هل نطلب كثيرا ان طالبنا بانصاف الجاد من الهازل والنشيط من الخامل فلا يتساويان فى الحقوق مادامت المساواة قد اختلت بينهما فى الواجبات .

هل آن للعاملين أن يذكروا حق الله ويضربوا صفحا عن كل قانون يهب لهم حقا ولا يرتب عليهم واجبا . فانهم مصر التى تطالبهم بذلك ومصر أمهم وأبوهم فان لم يرعوا حق الأمومة والأبوة فمصر ولدهم وبناتهم فليرعوا

حق البنوة عليهم اذا غلظت أكبادهم أن يرعوا حقوق والديهم أو فليرعوا حق أنفسهم على أنفسهم فمصر هى أنفسهم • ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم وما بعد حياتهم •

وبالشعار الأجوف نادينا بمجانية التعليم واسقطنا القادرين من تقديرنا حين صاح الصائحون بهذا الشعار وكانت النتيجة أننا أصبحنا بلا تعليم ولا مجانية فى وقت معا •

وأين التعليم فى طلبة يتكدسون فى الفصول يضن عليهم المدرس بان يعلمهم جماعات ليتصيدهم بعد ذلك فرادى فى الدروس الخصوصية وأين العدل فى هذا الشعار اذا كان القادرون يعلمون أبناءهم فى المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية فى المدارس الخاصة ويقدمون عن طواعية واختيار الآلاف المؤلفة لهذه المدارس حتى اذا وصل أبناؤهم الى الجامعة أصبح تعليمهم مجانيا بفضل الشـــعار الكاذب المخاتل المحتال بمجانية التعليم •

واين العدل فى فتى يقصد الى الجامعة وهو يقود سيارة بعشرات الألوف تصل فى بعض الأحيان الى مائة ألف وأكثر وينزل متبخترا فى قماش حلته المستورد الذى اشتراه بمئات الجنيهات وبذل فى تفصيله مئات أخرى وان شاء التخفف فقميص وبنطلون بمئات أخرى من الجنيهات ويدخل مختالا على اخوانه من الذين لا يكادون يجدون قوت يومهم الا الجهد الشديد ويجلس بينهم ويتلقى التعليم مجانا من عرق آبائهم أو أمهاتهم أو من عرق الآباء والأمهات المعوزين جميعا •

فمال الدولة هو عمل العاملين بها وليس للدولة مورد الا جهد شعبها فبأى حق لهم يستحل الأثرياء من آباء الطلبة أن ينتهبوا دماء الموظفين الذين لا يملكون الا مرتباتهم وويل كل الويل لموظف لا يملك الا مرتبه مهما يكن هذا المرتب ومهما تكن المرتبة التى يشغلها الموظف •

كره الله هذا والمؤمنون •

ولكن شعار مجانية التعليم هناك بالمرصاد • وفى بعض الأغنياء جشع يسمح لهم ان يعلموا أبناءهم مجانا فى الجامعة متعامين عما يغتالونه من جهد الفقراء من أموال الدولة •

وشعار ضريبة التركات التى لا تريد ان تتركنا مكتفية ان تغير اسمها الى رسم أيلولة وكلاهما غير شرعى وغير مقبول وانى مبشر وزير المالية ان رسم الايلولة هذا الذى يحاول ان يجمله ويزينه لا يصلح معه تجميل ولا زينة بل انه ـ بالقطع واليقين ـ جاعل الناس يهربون بأموالهم منه ٠ فبشرى لوزير المالية فانه لن يجد عند صاحب مال انتقل الى رحمة الله مليما يفرض عليه ايلولة بل هو قبل ان يموت قد حجب ماله عن بنوك الدولة ووزعها بين ورثته ما حلا له التوزيع ٠

ولن يصادف رسم الايلولة هذا الهزيل الا من هو أشد هزالا منه نصف بيت يتوارى ولا يصلح معه توزيع أو بضعة أفدنة تزيد الورثة فقرا على فقرهم فيا شعار التركات والايلولة أغرب عن حياتنا وابتعد فقد استبدلت الذى هو ادتى بالذى هو خير وابعدت الأموال ان تستقر هادئة هانئة فى بنوك الدولة ورددت الملايين لتحصل على الملاليم ٠٠ فكم أنت مرذول أيها الشعار ٠

وحسبنا الله فيك وفى الشعارات الأخرى انه نعم الوكيل ٠

الأهرام ١٩٨٩/٣/٢٧ م :

تســـابيح

أكتب هذه المقالة وأنا أعد نفسي لزيارة البيت الحرام ومثوى رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام · وهذه الزيارة بدعوة كريمة من الأمير تركى ابن عبد العزيز وهو ـ أعزه الله ـ يكرر هذه الدعوة لى ويرعانى فى الأراضى المقدسة أعظم رعاية وأكرمها ·

الدعوة الى البلاد المقدسة دعوة اتلقاها دائما بكل ترحيب فليس احب الى من أن أقف فى رحاب البيت وان أمثل أمام النبى عليه الصــلاة والســـلام ·

عند البيت أشعر بجلال العالمين جميعا حاضرا أمام عينى ويتولانى خشوع نورانى فاذا الدنيا جميعا لا تساوى عندى قلامة ظفر · أنسى آلامى وضيقى واختلاف الرأى والتوجس من المستقبل والحسرة على الماضى ·· وأصبح مولودا جديدا تتمثل آماله كلها فى ان يسبح فى نور الاله الأعظم ولا أذكر الا جلال الله وعزته الغفور الرحيم ذا العزة المتعال وأصيح مع الشاعر ·

ياكبير الذنب عفو الله من ذنبـــك أكـــبر

وينتفض عن قلبى كل ما كان يشغله أو يشقيه فاذا أنا هباءة هائمة فى ملكوت السماوات العلى أرشف الضياء صافى الورد ، طهور المنبع ، كريم المسرى ، سنى المنطلق ·

وانثنى الى الدنيا وقد خلقت خلقا آخر · وما العجب وهو الذى يحيى بعد الموت وهو من قبل واهب الحياة وخالق الروح التى لا يعرف سرها الا هو جل علاه ·

وعند النبى تتولانى رعشة الحب الاسنى فالقلب وجيب والعين دموع هنا نزل الوحى على أكرم الأنبياء ·· وهنا كانت ختام رسالات السماء ·· صلى الله عليك وسلم تسليما ·· يا من اختاره الله سبحانه وتعالى ، ليحمل معجـزته الخالدة على الزمان ·· فمـا بعجيب أن تكون على خلق عظيم وما بعجيب أن يكون عزيزا عليه ما عنت المسلمون وما بعجيب أن تكون حريصا على المؤمنين رؤوفا بهم رحيما ·

كم بذلت يا صلى الله عليك وسلم من جهد لتنشر الرسالة وكم لاقيت من جهد ومن صلف وما أردت ملكا ولا جاها ، فقد عرضوا عليك الجاه والملك فقلت قولك الخالد على العصور لو وضعتم الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه وما الى مال نظرت فلو ان الجبل صار لك ذهبا ما نظرت اليه ٠٠ وكم سعيت ودميت قدماك ـ فدى لقدميك أرواحنا ـ وما كان فى ركابك سيارة أو طائرة وانما هى بغلتك الغراء أو ناقتك وكم أوذيت من الكفرة المجرمين وتقبلت ٠ لا تريد الا وجه الله ، ونشرت رسالته وبعزم منك وبتأييد من رب العزة المكين وبنصرة المؤمنين الأوائل الاعلام تنطلق « لا اله الا الله محمد رسول الله » الى العالمين تمـلأ الخافقين وتضىء وجه الحياة وتصبح للبشرية ملجأ وملاذا ونور هداية وطريق حرية ودرب فلاح ومحجة اصلاح ورفعة وشموخا ٠

ولا أنساك يا صلى الله عليك وسلم وقد وقف ببابك رجل أراد أن يعلن اسلامه على يديك فتتملكه الهيبة من نورك وتحتجزه الرهبة من جلالك فاذا انت تقول كلمتك الخالدة التى تدوى فى أرجاء التاريخ تزلزل كل مختال فخور :

ـ ادخل فما أنا الا أبن امرأة كانت تأكل القديد بمكه : « أنك لعلى خلق عظيم » أأنت جميعك بالرسالة التى حملت وبالأمانة التى تنشر بها رسالتك ٠٠ وبصبرك وبحربك وبسـلامك ٠٠ انت يا من جعلك الله شهيدا على جميع الشهود من أصحاب الرسالات ٠٠ أنت لست الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بوركت يا رسول الله وبوركت هذه المرأة التى كانت تأكل القديد بمكة ٠

أنا فى طريقى اذن الى مكة والى المدينة بهذه الدعوة الكريمة التى وجهها الى الأمير النبيل وانى واثق اننى سأجد الشعب السعودى العظيم سعيدا بهذا اللقاء الحبيب الحار الذى استقبلت به مصر خادم الحرمين الملك فهد ٠٠٠ وانى أريد أن أهمس فى اذن جلالته ان مصر اليوم حرة وان الناس حين خرجوا الى لقائك لم يحشدهم لذلك حاشد ٠٠ فالناس اليوم فى بلادنا لا يخرجون الا للقاء من يحبونه أعظم الحب لا تحثهم على ذلك سلطة ولا يجمع جمعهم موظف أو هيئة أو حزب انما خرجوا لتحيتك فى شخصك وفى الرياح الطيبة تحملها من البيت العتيق والعبق الكريم فى ردائك من النبى الأعظم ٠

اننا فى مصر نحبك وقد شعرنا ان زيارتك لنا تحمل فى طواياها مشارق آمال ٠ من أهمها أن تعود مصر الى مكانها الخليق بها فى المنظمات العربية وقد لمست جلالتك هذا المعنى بنقدك أن يكون الرأى اجماعا فى

الجامعة العربية . وقد كان هذا منك ذكاء متوقدا ، فقد أدركت أن الرأى حين يكون اجماعا يصبح نوعا من الديكتاتورية البغيضة . فبهذا الرأى الاجتماعى يستطيع فرد واحد ان يصادر رأى الجميع . وهل بعد هذا ديكتاتورية .

ان الشعب المصرى يحبك لما يسمعه عنك من خلق رفيع ولما يقرؤه عن أعمالك الباهرة في بلادك حتى لأصبحت تسامى أعظم البلاد تقدما فى طرقها وبيوتها ومظهرها الحضارى . ولما لقبت به نفسك من « خادم الحرمين الشريفين » وأعظم به خادما وأكرم بهما من مخدومين .

وأنا لم يكن لى شرف الجلوس مع الملك وان كنت صافحته فى بعض مناسبات وقد كرمني وهو يصافحنى بتحية كريمة لا أنساها له ولكننى أعرف الأمير تركى بن عبد العزيز شقيقه معرفة وطيدة وأشهد اننى أجد فيه رجلا يندر وجوده فى الرجال تواضعا ، وكرم خلق ، وصفاء سريرة ، واشراق نفس ، هذا الى علم وافر عظيم بالقضايا العالمية عامة والقضايا الاسلامية والعربية خاصة . فهو قارىء من الطبقة الأولى وله قدرة فريدة على استيعاب ما يقرأ متفهما ما وراء الأحداث فى ذكاء حاد وبصر نافذ جديد ، عظيم اللماحية كل ذلك فى هدوء وبساطة جديرين بمن كان فى مكانته .

الأهرام ١٣ ابريل سنة ١٩٨٩ م

لك الله يا مصر ..

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك .. تكاثرت حولك السهام تصوب اليك من الخارج ومن الداخل فى وقت معا .. وتتناوشك مشاعر الغضب عليك أحيانا أو عوامل الحقد فى أحيان أخرى ثم لا يرحمك من تجرى مياهك فى دمائه وهواؤك فى صدره .

يطلع عليك من الغرب عفريت يدعى أننا نصنع الأسلحة الكيماوية . وهى أسلحة لا يستعملها أحد مهما يكن مجرما ولكنهم لا يجدون ما يهاجموننا به الا هذه القالة الساذجة الرخيصة وعلم الله انهم بهذه التهمة انما يخفون أسبابا سياسية أخرى فهم يريدون صلتنا بهم أن تكون صلة التابع بالمتبوع لا الند بالند متوهمين أننا لا ندرك كل الادارك انهم اذا كانوا يقدمون لنا المنح والقروض فما ذاك الا لصوالحهم الوطنية فى منطقة نحن فيها الدولة الكبرى . ولا بأس عليهم ولا حرج علينا ان تكون المعاملة بيننا تبادل مصالح لدولنا .. أما أن يتصوروا أن نكون تابعين فهيهات وكبرت كلمة تخرج من أفواههم . فاذا بينا راحوا يلقون هذه الحجارة الرعناء الخرقاء التى لا يصدقها أحد . ووالله ما اهتزت لك شعرة من تهمتهم ..

ولقد تصدى للتهمة رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك بما يحيط به من ثقة وطيدة فى صدقه يعرفها عنه العالم أجمع وقمع الفتنة فى مهدها وجعل حديثهم هراء هذا الحديث الذى يذكرنا بالبيت القديم . هذا كلام له خبىء معناه ليست لنا عقول *

ويطلع علينا من بعض صحفهم حديث آخر يتناقله المغرضون فى مصر بصحفهم أن أموال المنح والقروض لا تنفق جميعها فى المصالح العامة وانما تختانها وتستولى على نسبة كبيرة منها أيد ليست أمينة .

وانتظر أن أجد تكذيبا لهذا التصريح الخطير ولكن لا تكذيب وكأن التهمة ما وجهت . والوزراء المسئولون كل لهم شأن يغنيه تاركين تهمة على هذه الدرجة من الخطورة تجتاح سمعتنا .

وان ما يترتب على هذا التصريح أمور على درجة بشعة من آثار ان لم تفعل الا أن تفزع الآمن من نفوس الدول التى تتعامل معنا لكان هذا حسبها وفوق الحسب ٠

اذا لم يكذب الوزراء مثل هذه الأقاويل فماذا يكذبون ٠٠ بل أى شىء يصنعونه أهم من أن يجعلوا سمعة مصر المالية نقية نقاء البللور شفيفة متألقة كأحجار الماس ٠

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك ٠٠

أم ينتظرون أن يكذب رئيس الدولة ـ مع كل الشواغل التى تحيط به ـ كل كلمة تقولها صحف الغرب عن مصر فهم اذن فى لهو يلعبون ٠٠ ان رئيس الدولة بما يعرفه العالم عن شخصيته العظيمة لا يعنيه مطلقا أن يتخلف وزير عن استقباله ويشغل نفسه بأى شىء يكون فيه مصلحة مهما تكن ضئيلة لمصر ٠٠ علم الله ليس يعنى رئيس جمهوريتنا بالمظاهر والمظاهرات وعلم الله أنها لا تحرك منه ساكنا وعلم الله أنه يهتم كل الاهتمام بأقل نفع يعود على مصر والمصريين ٠ فمتى متى ـ بحق الله ـ يعرف عنه الوزراء هذا ٠ وقد ظلوا فى مناصبهم سنوات عرفوا فيها خلق الرئيس وترفعه عن صغائر الأمور واهتمامه بكل ما يعود على مصر بالخير والوفر والرفاهية ٠

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك ٠٠

أما كان بحسبك أن تواجهى المتالبين عليك من خارجك بل فرض عليك أيضا أن تشقى ببعض العاملين بالفنون بين ربوعك ٠

وأشهد ـ فيما أشهد ـ أفلاما للسينما تقدم أسوأ ما فى مصر من أماكن وقبور واطلال وحفائر ولا يقف بهم الأمر عند هذا ٠٠ بل أرى منذ أيام فيلمـا يرمى كل شىء فى مصر بالقذارة ٠٠ فالبنوك المصرية حافلة بالقذارة فى أرضها ومبانيها وبسوء المعاملة من العاملين للعملاء وعلم الله أن ما قاله الفيلم كذب واختلاق ٠

أيحتمل الحال فى مصر أن نختلق المساوىء اذا لم توجد ٠٠ أمصريون هؤلاء ؟! اقسم غير حانث لو أن أعداء مصر كتبوا عن مصر بكل الحقد الذى يحملون ما تجرأوا أن يختلقوا هذه الأكاذيب عن مصر ٠٠ ولا يكتفى المؤلف والفنانون الذين شاركوا فى هذا الفيلم بهذا بل انهم يزيدون كاذبين أن الكراسى فى الفنادق الكبرى عندنا تمزق الملابس لما بها من مسامير وأدق حـــادة ٠٠

أين هذا ؟

كذبوا والله وافتروا ٠

بل ان الفنادق الكبرى عندنا تنافس أعظم فنادق العالم فى أناقة الأثاث والنظافة وحسن المعاملة ٠٠

وأريد أن أسأل أمثال هؤلاء المتهجمين على مصر من داخلها أما اختلجت فى نفوسكم نامة أو خلجة من حب مصر ٠٠ وهل تدركون ماذا انتم صانعون بوطنكم عند من يرغب فى زيارتها سائحا أو مستثمرا ٠٠ وهل قدرتم وأنتم تختلقون هذه العيوب الخرقاء الحمقاء التى لا تمثل الحقيقة فى شىء ٠٠ أى سلاح فتاك تغوسونه فى صدر الاقتصاد المصرى بمثل هذا الهذر الذى ألقاه ممثلكم فى الفيلم ببساطة كانما يذكر حقائق لا تقبل المجادلة ٠٠

وان عجبت فاعجب معى من شخص يلقى على أمة ٠٠ وهى أمة السخرية والهجوم وكأنه لا يصنع جرما يتصاغر معه كل جرم ٠

عشت يا مصر ٠٠ وستعيشين خفاقة الاعلام وأن رغمت من الخارج أنوف ٠٠ وأن ضمرت فيك من الداخل عقول ٠٠ فان الله جل علاه هو راعيك فى علياء سمائه ٠٠ وحسبك الله راعيا وكفيلا ٠٠

الأهرام ابريل سنة ١٩٨٩ م

صــائد الاعجــاب

تعرض لنا الحياة نماذج من البشر تســـتحق التفكير والتأمل • وتستحق أيضا الضحك وان كانت هى جادة • والسخرية وان كانت هى عابسة مكشرة •

بين هذه النماذج ذلك الكيان البشرى المعجب بنفسه غاية الاعجاب حتى إنه اذا تكلم خيل اليه انه يلقى الدر الثمين والماس الذى لا مثيل له الا عنــــده •

هذا الكيان البشرى يقضى حياته باحثا عمن يعجب به • ويعرض نفسه فى صلافة وخسة • ولا تعجب اذا اجتمع الوصفان فما الصـلافة والتكبر الا خســـة••

فالخسة شعور بالهوان • وما الصلافة والتكبر الا عن شعور بالهوان فهو يحاول ان يستمر فى الخيلاء الكاذبة والتكبر المقيت ولو لم يشعر انسان ما انه وضيع لما حاول ان يتكبر ولو لم يكن فى داخله يشعر انه هزيل لما فكر ان يتكبر •

وأمثال هؤلاء يحبون الظهور حبهم للحياة وقد كان التليفزيون نعمة على البشر الا عليهم •

فقد أظهر خلقهم بصورة واضحة لا تقبل الشك •

رأيت منهم قوما ذوى مناصب رفيعة بلغوها بالهوان أمام أصحاب السلطان وبالتصاغر وبالتظاهر جميعا • ولكن المناصب الكبرى لم تزدهم الا صغارا وظنوا انهم يستطيعون ان يكونوا فى حجم المنصب اذا هم قفزوا الصفوف ليتصدروا الصور • رأيت منهم من يسارع الى احتلال المكان الأقرب للتليفزيون ــ ولو لم يكن المكان الذى خصص له ــ ليراه الناس واقسم قد رأيت منهم وهو من أصحاب المناصب الكبرى من يشب على أطراف أصابعه ليظهر وجهه فى التليفزيون •

وعرفت منهم من يعلم ان هناك دعوة فيها كبار القوم فاذا هو يجن جنونه أن لم يدع اليها • وشهدت منهم من يكلم صاحب الدعوة يتوسل اليه أن يكون بين المدعوين وبين الخجل والاحراج يضطر صاحب الدعوة

ان يدعو صاحب الصفاقة والحياء الغائب ورأيته يفرح بعد ذلك انه دعى غير شاعر بماء الوجه الذى اراقه لكى يدعى ·

وأذكر بيت المتنبى الباذخ :

وتكبر فى عين الصـــغير صغارها

وتصــــغر فى عين الكبير الكبائر

وأحسب ـ وما أنا مبالغ فى حسبانى ـ ان آفة الرجال عندنا تكمن فى هذا البيت الفرد للمتنبى فكثير من أصحاب الحل والربط يشغلون أنفسهم بالأصاغر من الأمور وينصرفون عن الكبريات ·

وعذرهم فى ذلك واضح ولكنه غير مقبول ، فهم حين ينشغلون بتوافه الأمور لا خوف عليهم من الزلل · فاذا زلوا فليس هناك خطر من زللهم أما كبريات المشاكل فانهم اذا تصدوا لها بغير شجاعة واثقة ومراعاة للصالح العام وحده دون نظر الى هتاف بالتأييد من هنا أو صراخ بالمعارضة من هناك كانت النتيجة وبيلة الشر واغلقت الطرق أمام من يحاول ان يصلح ما افســــدوه ·

ولماذا يعرضون أنفسهم اذن للعظائم فليبقوا قابعين فى الظل هناك يكتفون بنقل موظف وترقية آخر ثم يتقافزون أمام مصــــور التليفزيون ليوهموا أنفسهم ظانين انهم يوهمون الناس أيضا انهم على قدر كبير من الأهمية وانهم من صورة السلطان فى الصدارة ·

وهم يجهلون ان الناس تسخر منهم غاية السخرية وتضحك من شأنهم ضحكات الاحتقار والهوان مدركين انهم هازلون فى أنفسهم هزلاء عند الناس ورحم الله الشاعر ·

ومهما تكن عند امرىء من خليقة

وان خالها تخفى على الناس تعلم فما بال هؤلاء وهم لا يخفون خليقتهم بل يشهرونها فى صغار وتفكير هزيل وهوان على النفس وماداموا قد هانوا على أنفسهم فهم على الناس أشد هوانا ورحم الله المتنبى مرة أخرى حين قال :

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت ايــــلام

وهؤلاء أموات فى كرامتهم وفى حقيقة أمرهم وان بدوا احياء غاية الحياة بالصورة والتفاخر وبتصعير خدودهم وباختيالهم وبتفاخرهم وبدا يشبون على أطراف أصابعهم ليظهروا أمام الناس فى التليفزيون واحياء

بما يأكلون ويشربون وبما يلبون من دعوات لا تنقطع واحياء بنفاقهم وتملقهم لمن بيده مصائرهم واحياء أيضا بتقبل النفاق والملق ممن يملكون هم مصائرهم · واحياء بما تسكبه عليهم الدولة لا يفكرون لحظة ان كانوا يستحقونه أو لا · احياء بالذهاب الى الدواوين والعودة منها وبوقوف الناس لهم كلما خطروا ذاهبين أو عائدين ·

ولكنني أقسم لهم انهم بكل هذا ليسوا من الحياة فى شىء انما الحياة الحقة لهؤلاء ان يعملوا العمل الحاسم الصالح بعد أن يتعمقوه ويحيطوا بدقائقه كل الاحاطة ثم يتخذوا فيه القرار الحاسم الشامل بجرأة صاحب الحق غير مرتعدين ولا خائفين ولا هالعين ·

الحياة ان يدركوا أن كل وظيفة مادامت بدأت فلابد أن تنتهى ولا يبقى الا وجه الله ولو كانت وظيفة بقيت لصاحبها ما جلس هو على الكرسى الذى يجلس اليه ·

الحياة ان يدركوا قدرهم الحق بلا تزيد فيتكبروا وبلا نقصان فيهونوا ·

الحياة كل الحياة ان يرعى الانسان ربه ووطنه ولا يسعى الا لارضاء الله جل وعلا والوطن هو صاحب الحق الأول علينا بعد حق الله ومن يرعى حق الله يرعى حق الوطن ·

الحياة ان يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويتوكلوا عليه ويعملوا حتى وان لم يظهروا على شاشة التليفزين لحظة وتنقضى والوطن خـــلود ·

الأهرام ١٩٨٩/٥/٨ م

رمضان والتليفزيون

انتهى رمضان وانتهى المهرجان الذى يقيمه له التليفزيون فى كل عام • وما كان فى حسبانى ان اكتب فى هذا الموضـوع أبدا • ولكننى احسست ظلما فادحا من التعليقات التى أثيرت حول الأعمال التليفزيونية وكتابها وممثليها ومخرجيها جميعا •

وسأحاول ما وسعنى الجهد أن أعرض رأيى لامتحيفا فيه ولا مجاملا وأحسب أن سنى وما عرفه عنى القراء وما تعودت ان أواجه به القارىء من صراحة يجعلنى على قدر من النزاهة عند الناس •

فاذا قلت رأيا اعجبهم فهذا هو رأيى وان قلت رأيا لا يتفق ـ وهو أهم ـ فهذا هو رأيى أيضا • ولو اتفق الناس على أمر لما كان العالم على ما نراه اليوم من صراع وحروب ومقتلة وثورات •

ولن يستطيع كاتب أن يرضي الناس أجمعين فان الله خلق النـاس بآراء شتى وأفكار متصارعة وعقول متفاوتة ولو شاء سبحانه لجعل الناس امة واحدة ورأيا واحدا •

كان لابد لى ان اتقدم بين يديك بهذه المقدمة حتى أفسح لرأيى مكانا الى نفسك فان رضيت عنه فحمدا لله ولك وأن لم ترض فما على المجتهد من سبيل •

أبدأ بألف ليلة وليلة لشيخ شعراء الجيل وعميدهم طاهر أبو فاشا ولا أعتقد أن أى مديح يوفيه حقه •

وأنا أكتب هذا الكلام قبل أن يفجعنى القدر بأن الله اختاره الى جواره فاختار رجلا عرفته منذ ما يزيد على خمسين عاما ، عرفته وأنا طفل صغير وهو شاعر كبير يلقى شعره على أبى فيعجب به غاية الاعجاب ، وظل علامة على جيله سامقه وهو الآن يخلى مكانا عزيزا على الشعر العربى كله وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصبر على ما أصابنا فيه •

● ● ●

فوازير رمضان أراها أنا خفيفة الظل فى مقدمتها متعة وفى ازجال عبد السلام أمين قدرة خارقة أن يقول كل ما يريد فى تعبير جديد شريف

اللفظ أنيقـــة دون أن يلجـأ الى الألفـــاظ المقيتة ومع حرص على الوزن لا يستغرب منه ٠

والكلمة عماد العمل الغنـــائي والاستعراضي وعجيب ان يكتب من يكتب عن ملابس الممثلين ولا يكتب عن الكلمة التي لولاها ما كان العمل كـــله ٠

فأنا أهنىء اذن الأستاذ عبد السلام أمين على شاعريته ومقدرته ٠ أما بطلا الفوازير فكلاهما يدعو الى الاعجاب الفائق مع انهما كلاهما فى بداية الطريق ٠ فشيرين تتمتع بجمال فائق يزيده تفوقا عدم شعورها به فتصرفاتها بعيدة كل البعد عن الشعور بما وهبه الله لها من جمال شامخ وأداؤها لا خروج فيه ولا تزيد وصوتها سائغ فى الأذن ٠

أما مدحت صالح فاننى اعجبت به غاية الاعجاب وأول شيء فاجأنى منه هو قوة الحضور والقبول عندى وعند الناس فوجهه حبيب الى النفس تتلقى ما يقول وما يفعل فى رضاء وحب ٠ يحس الكبار نحوه كأنه أحد أبنائهم ويحس الشباب انه أخ لهم حتى ليهيأ لكل منهم كأنه هو الذى يقوم بهذا الاستعراض خفيف الظل الذى يؤديه ٠ وصوت مدحت صالح من الأصوات التى تقبلها الأذن فى اقبال ومتعة وانى أهنئه على نجاحه الكبير فى الفوازير وأهمس فى أذنه انك تغنى وتمثل فحذار ان تفتعل ضجة حول نفسك لا تكون قائمة على أساس من الحقيقة ٠ وأترك الناس يمدحك بعضهم ويهاجمك بعض منهم آخر فانت كاسب على الحالين ٠ واتقن انت فنك ولا تتعجل الاعجاب ولا تعمل السوط على ظهور الأيام لتجعلها تقدم اليك الشهرة قبل أوانها ٠ وتوكل ــ من قبل ومن بعد ــ على الله واجعله وجهتك يهيىء لك من أمرك رشدا ٠

وينبغى ان اشيد بالجهد الفنى العظيم الذى بذله الأستاذ الفنان القدير فهمى عبد الحميد فاليه يرجع الفضل فى العمل جميعا ٠

●●●

« ليالى الحلمية » الحقيقة ان النص رائع وتسلسل الأحداث فيها يدل على تمكن المؤلف وقدرته الفائقة على التحكم فى موضوعه ٠

ولا أحب هنا أن أتناول المسلسل من الناحية التاريخية ٠ فالتاريخ عند الكاتب الفنان مسمار يعلق عليه الكاتب آراءه فهو ليس مؤرخا انما للتاريخ مؤرخوه ٠ أما الكاتب الفنان فيرى التاريخ من وجهة نظره هو فانا أهنىء الأستاذ اسامة أنور عكاشة على مسلسله ليالى الحلمية كما أهنىء المخرج اسماعيل عبد الحافظ تهنئة خاصة ، فعلى طول الحلقات

لم أشعر بلحظة ملل واحدة ولم أشعر بجملة حوار أطالت الموقف حيث ينبغي له الا يطول وتلك منه حساسية فائقة تدل على مقدرته العظيمة وشعوره المرهف بنبض الجماهير ٠

أما الممثلون في المسلسل فقد تفوقوا جميعا على أنفسهم وكانوا قمة في الأداء الفني وفي الاحساس بالحوار الذي كتبه لهم المؤلف القدير ٠

●●●

الاسلام حضارة الأستاذ محمود شعبان اعتبره أنا شيخ كتاب الاذاعة والتليفزيون وان العمل الذي قدمه في هذا العام يعتبر قمة أدبية وفنية في وقت معا ٠

وقد استطاع في قدرة بالغة ان يبث تعاليم الاســـلام داخل العمل الدرامي في مهارة بالغة لا تستغرب عليه ٠

وأشهد أن مخرج الحلقات كان موفقا في تقديم النص وفي التحكم في المشـــاهد بغير اطالة تدعو الى الملل وما هذا بالأمر اليسير في عمل تليفزيوني جاد كل الجدية وحواره الرائع مكتوب باللغة العربية وقد كان الممثلون جميعا سواء منهم القدامى العتاة أو البراعم الجديدة من الشباب على أرفع مستوى في التمثيل والأداء ٠

طارق حبيب ٠ وقد تعمدت أن أذكر اســـمه لأنه هو كل شيء في الحلقات التي يقدمها والتي تجمع بين المتعة الخفيفة والمعلومات القيمة التي يحب كل مشاهد أن يعرفها ٠ واني أقدم له أصدق التهنئة على توفيقه الذي يصاحبه في كل برنامج قدمه الى الشاشة الصغيرة ٠

اني أرجو الله أن يديم عليه نعمة التوفيق التي وهبها له انه سبحانه قريب مجيب ٠

الأهرام ١٩٨٩/٥/١٥ م :

آن الأوان لعودة اتحاد الأدباء العرب لمصر

« العالم العربى لم يغب عن مصر وهى لم لم تغب عنه » كانت هذه هى الكلمات التى أعلنها الرئيس محمد حسنى مبارك أمام ملوك ورؤساء الدول العربية ، وقال أنه اذا كان الشعب العربى فى مصر قد عبر عن سعادته الكبرى بتوحيد الصفوف ولم الشمل ، فان الشـــعوب العربية بقياداتها ومفكريها قد عبرت بكل الوضوح والصدق بان تكون مصر بين شقيقاتها تؤدى دورها فى هذا التحول التاريخى الى مرحلة ايجابية فى بناء الكيان العربى الموحد ٠

مع رئيس اتحاد الكتاب الأديب الكبير ثروت أباظة ، كان هذا الحديث حول دور الأب فى بناء الكيان العربى الموحد ٠٠ قال :

لم يرتبط الادب العربى المصرى وغير المصرى فى انتشاره فى العالم العربى بوجود التوافق السياسى وعدم وجوده فالسياسة تجرى فى نهر يختلف كل الاختلاف عن نهر الأدب ، وقد ظلت الدول العربية تقرأ لمصر وظلت مصر تقرأ للدول العربية طوال سنوات الجفوة التى وقفت بين الدول العربية ٠

ـ وماذا عن عودة اتحاد أدباء العرب الى مصر ؟

عن مؤتمر الأدباء العرب فى ذاته فان الحرج الذى كان يقف دون انعقاده قد زال الآن ، واتصور ان يعود الى الوجود بشكل رسمى ، وان كان قد ظل موجودا بصورة غير رسمية طوال السنوات الماضية ٠

ـ ومكان انعقاد مؤتمر الأدباء العرب ؟

هذا أمر تتفق عليه الدول العربية ، ومكان وجوده فى مصر يتساوى تماما مع مكان وجوده فى أى دولة عربية ٠

ـ قبل فوز الأديب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل كان الحديث عن العالمية ، وكنت تؤكد على أن يصبح أدبنا عربيا أولا ؟

اتصور اننا اذا خلعنا القبعة عن الأدب المعاصر ٠ فانه يستطيع ان يقف شامخا الآن ٠ ويكون ذلك بكتابة الروايات والقصص العربية لقراء

عرب ، وقد ثبت ان قراء الغرب يحبون أن يقرأوا الأدب فى وطنه الخالص ، ولا يحبون الذى يقلد أدبهم ، فلا أحد يترك الأصل ليطلع على التقليد • عندهم أدبهم فلا حاجة عندهم لأدب يقلدهم •

وقبل نوبل كانوا يقرأون أدبنا فى باب « علم الأجناس » الى ان أعلنت نوبل ان أدبنا عالمى وعرفوا حقيقته •

ـ الكتاب العربى مازال توزيعه قليلا ، كيف يمكن تيسير تداوله فى العالم العربى ؟

ربما أجابك بعضهم بأن عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة فى العالم العربى قليلون ونحن لا نحاسب من لا يعرفون القراءة والكتابة ولكن للأسف الشديد أن عدد الكتب الموزعة فى العالم العربى أقل بكثير مما ينبغى ان تكون عليه حتى لو نسبنا العدد الى من يعرفون القراءة •

ـ ما هو دور الأدب العربى فى توثيق صلات الدول العربية بعضها البعض ؟

ـ ان الدول العربية لم تشعر شعوبها بما فرض عليها من خلافات مع بعضها البعض انما ظلت الشعوب دائما تشعر بالاخوة فى الوطن والله •

والأدب العربى مرآة لكل وطن عربى والدليل على ذلك اننا نحن أدباء مصر لم تنقطع عنا الدعوات الى البلاد العربية طوال السنوات الماضية دون النظر الى العلاقات السياسية المتأزمة فى بعض الأحيان والجرائد العربية تطلق على كثير من كتاب مصر الكاتب العربى فلان •• فهم يعتبروننا كتابهم بقدر ما نحن كتاب مصر ولهذا لا اعتقد ان عودة الدول العربية الى مصر ستزيد هذه العلائق توثقا فقد ظلت طوال عمرها وعلى مدى الأيام غاية فى التوثق بحيث لا تحتاج الى مزيد انما الذى نتوقعه ان تسهم العلاقات الأدبية فيما بعد الاجتماع العربى بالصفة الرسمية بقدر ما كانت متسمة بالصفة الشعبية •

هل يمكن ان تنشىء الجامعة العربية جائزة للأدب على الصـــعيد العربى ؟

أنا لا أظن ان الجائزة ذات أثر فى الخلق الأدبى فما من كاتب يكتب كتابا لينال به جائزة ، انما هو يكتب استجابة لضميره أولا ، ثم يقدم كتابه لقرائه • والجوائز الموجودة الآن فى العالم العربى اعتقد انها كافية ولسنا فى حاجة الى جوائز جديدة فلتنصرف الجامعة العربية •

ولكن الناس ضمائر ٠٠ !

ليس بين الناس من لا يعرف واجبه ولكن هناك من يقصر فى أداء هذا الواجب ٠

ليس هناك عامل لا يعرف كيف يتعامل مع الالة التى يقف عليها انما هو على دراية كاملة بأسرارها وكيف يجعلها تعطيه أعظم ناتج ، وهو يدرى أيضا حقوقه كاملة ويعرف واجباته ٠ ولكنه يحاول ما وسعه الجهد أن ينال حقوقه كاملة دون أن يؤدى واجبه بنفس الكمال ٠ هو يعرف أجازاته وكيف يحصل عليها مثلما يعرف أوقات العمل التى يجب أن يعطيها لمصنعه ٠

ولكن بين العمال من يقوم بواجبه وهناك بعض منهم آخر ينكص عن هذا الواجب ويظن ان المهارة الحقيقية هى فى الحصول على أكبر قدر من الأجازات ٠

وليس بين العمال من لا يعرف أن الأزمة التى تمر بها مصر لا خروج منها الا بالانتاج وهراء ما يقال عن النوعية والتبصير ومناشدة العمال ان يؤدوا واجبهم فهم أدرى بهذا الواجب ٠ من كل الذين يحاولون ان يبصروهم به أو يناشدوهم ان يؤدوا واجبهم ان لم يستيقظ ضمير الكسول منهم « فلا حياة لمن تنادى » ٠

وعلى المجدين المخلصين من العمال ــ وهم كثرة ــ ان يحتملوا الظلم الواقع عليهم حين يرون أجورهم ومكافآتهم وحوافزهم تتساوى مع العامل الكسول بلا امتياز لهم يستحقونه وتحجبه عنهم الادارة الجائرة أو القانون الظـــالم ٠

وهكذا الأمر مع الفلاح ٠ فانه ادرى الناس بأسرار أرضه ووسائل استنباتها وهو يعلم حين يقصر انه قصر ٠٠ ولا تجدى معه الكلمات المعسولة التى يسوقها له التليفزيون ٠ انما قد يجدى معه ان يشعر انه نال الثمن العادل لمحصوله ٠ والفلاح ــ شأن الأغلبية الكاثرة ــ ينظر الى مصلحته الشخصية ومصلحة أسرته ودعوة الدولة له أن يزرع القطن مثلا لن تجدى ان لم تشفع الدولة هذه الدعوة بثمن عادل للقطن ٠

والفـــلاح يعرف كل المعرفة بكم يباع القطن المصرى فى الخارج ولا تستطيع أجهزة الاعلام فى العالم أجمع أن تخفى عنه حقيقة تهمه ٠

ان الفلاح هو أكثر الناس دراية بكل ما يتصل به والذى يحاول ان يصوره فى صورة الساذج الذى يســـتطيع ان يخدعه من يدعى الذكاء والقدرة على اللف بالحديث والدوران به ٠ الذى يتوهم هذا عن الفلاح المصرى أعظم الناس سذاجة وأكثرهم جهلا بحقيقة الفلاح ٠

قد يبدو غير معنى بالسياسة العامة أو قد يبدو غير مهتم بشئون الثقافة ولكنه على علم وافر لا يطاوله فيه أحد بمصالحه الخاصة ٠

وقد يستطيع نصاب ان يحصل من متقف على ما يشاء من مال ولكنى اتحدى هذا النصاب نفسه لو حاول ان يحصل من فلاح على مليم واحد هو لا يريد ان يعطيه له ٠

لقد تحصن الفلاح المصرى بذكائه وحده ضد كل القوى التى مرت بتاريخه الطويل من عهد ما قبل التاريخ الى اليوم مرورا بكل الطغاة الذين حكموا مصر من فراعنة الى انكشارية الى اتراك ٠٠٠ الى غيرهم ٠

على الدولة أن تدرك هذا فى معاملتها للفلاح أو لا سبيل لها اليه ٠

وليس فى مصر موظف لا يعرف الواجب عليه والحقوق التى يتمتع بها ٠ وليس فى مصر موظف لا يعرف المال الحلال الطيب والمال الحرام المقدم اليه ٠ انه يعرف الرشوة كل المعرفة مهما تحاول هذه الرشوة إن تختفى فى شكل هدية بريئة المظهر حقيرة المخبر ٠

وليس فى مصر موظف لا يعرف عقوبة الرشوة وما قد يتعرض له هو وأولاده وبيئته من خراب شامل اذا قبلها ٠

ولكن المرتشى يظن ـ وهنا يخطىء ـ ان الذكاء الذى وهبه الله له لم يهبه لأى انسان آخر ٠ وانه قادر بذكائه هذا على أن يسرق ما تشاء ويتقاضى من الرشى ما حلا له دون ان يكشفه أحد ٠

ومن باب هذا الظن يسقط المرتشون واللصوص من موظفى الدولة ويصبح أمرهم شهيرا جهيرا ٠ ويصم المجتمع أبناءهم بوصمة هم منها أبرياء ٠ ويصيحون مع الشاعر :

هذا جنـــاه أبى على وما جنيت على أحـــد

وليس فى مصر وزير لا يعرف ما ينبغى ان يتخذه من قرارات ٠ ولكن بعضا منهم يخشى المعارضة أو يخشى الرأى الآخر من غير المعارضين

ويبحث هذا البعض عن الوسائل التى تتيح له ان يؤجل القرار ما استطاع ان يؤجله ·

وقد يكون القرار غير قابل للتأجيل · ولكن نرى هذا البعض من الوزراء ينظرون الى مصالحهم الخاصة أكثر من نظرهم الى المصلحة العامة ·

وينسى هذا البعض ـ أو يريد ان ينسى ـ انه عضو فى السلطة التنفيذية وان واجب هذه السلطة ان تنفذ لا ان تؤجل وان تواجه لا ان تسوف وان تتحرى المصلحة العامة للدولة لا المصلحة الخاصة لوزير من الوزراء ·

وليس فى الدولة عضو فى الهيئة التشريعية بمجلسيها : الشعب والشورى ، لا يعرف واجبات العضو وحقوقه ·

وليس منهم من لا يدرك ان الحصانة التى يتمتع بها انما هى حصانة سياسية حتى لا يعتدى أحد عليه مهما يكن شأنه من أجل آرائه التى يبديها فى ساحة مجلس الشعب أو مجلس الشورى · من أجل هذا خلقت الحصانة البرلمانية ولم تكن فى يوم من الأيام وسيلة لحماية عضو المجالس التشريعية فى صلاته الخاصة بقومه وأقاربه ومعارفه وأبناء وطنه ·

وليس منهم من لا يعرف ان التحلق بالوزراء أثناء الجلسات للطلبات الخاصة به أو بأبناء دائرته أمر لا يتفق وكرامة المجلس التشريعى الذى ينتسب اليه ·

وليس منهم من لا يعرف ان حقه فى محاسبة الوزراء انما شرع له مراعاة للمصلحة العامة لا للمصلحة الشخصية ·

كل انسان فى العالم ـ لا فى مصر وحدها ـ يعرف حقوقه كاملة ويعرف واجباته دون حاجة الى توعية أو ارشاد ·

ولكن الناس ضمائر ولكل ضمير نصيبه من الوجود والغياب وبين هذا الغياب وذلك الوجود يؤدى الناس أعمالهم ولله المثل الأعلى ومنه الهدى ·

الأهرام ١٩٨٩/٥/٢٢ م

كتاب آيات سماوية

أهدانى الشـــيخ الدكتور شمس الدين الفاسى كتابه الأخير آيات قرآنية وهو كتاب يضع فى عنوانه انه كتبه فى الرد على كتاب سلمان رشدى وأنا أعرف الدكتور شمس الدين الفاسى منذ ١٩٥٤ وكنت حين ذاك مدير تحرير مجلة عربية تصدر فى مصر اسمها « صرخة العرب » وكان رئيس التحرير الذى اختارنى للعمل معه صديق العمر الشاعر الكاتب القصاص الانسان اسماعيل الحبروك وكان الدكتور شمس الدين الفاسى المدير الادارى للمجلة فكان العمل معه متعة حقا فهو جم الأدب رقيق الاحساس لين الجانب موفور الحياء وقامت بيننا صلة صداقة منذ ذلك الحين ٠

وكتابه الأخير هذا غيرة حقة على الدين وغضبة لوجه الله والاسلام ونبيه والمؤمنين ٠

والحقيقة اننى أكره الكتابة عن ذلك السلمان رشدى مرتئيا أننا حين نكتب عنه ننيله أهمية لا يستحقها ونقيم له ضجيجا سعى اليه بكتاب السوء الذى نشره ٠

ولكن الدكتور شمس الدين الفاسى معذور فهو يقيم أغلب وقته فى لندن ويرى عن كتب ما يثيره ذلك الفتى الزنديق السافل من دعاية حول نفســـه ٠

وهكذا أبت نفس الدكتور شمس المسلمة أن تسكت عن هذا الفاسق اللعين فكان هذا الكتاب ٠

ويقع الكتاب فى ثمانية عشر فصلا بما فى ذلك المقدمة وهو يتقدم فيها الى رحاب النبى عليه أزكى الصلاة والسلام ويستأذنه فى كتابة هذا الكتاب ويقول :

« فقد وصفك الله تبارك وتعالى بأنك سراج منير » ٠

« يا أيها النبى أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ٠

ووصفك تبارك وتعالى بأنك نور فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. فقال وقوله الحق « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » .

وقد رأيت ان انقل هذه السطور لأبين أن الدكتور شمس كان على تمام الوعى أن الدين الاسلامى ورسول الله الخاتم صلى الله عليه وسلم أقوى من أى هجوم وانه انما يكتب احتسابا لوجه الله ونفورا من أن يسكت عن الحق واباء أن يرى مجرما أفاقا يتهجم على الدين والنبى صلى الله عليه وسلم والصحابة ولا يلزمه الحجة وهى لازمة أو يرد عدوانه الى نحره شاه عدوانه وهان نحره .

ويتكلم الدكتور شمس بعد ذلك عن تاريخ ذلك الزنديق ويبين لنا أنه زنديق بالوراثة وانه نشأ مع الكفر والالحاد وكراهية الاسلام فى بيت واحـــد .

وقد أعجبت بالتحليل فى هذا الفصل غاية الاعجاب لأن الدكتـور شمس استطاع أن يضع يده فيه على دخيلة نفس المجرم ونشأته التى مهدت له أن يكون ذلك الزنديق حين علت به السن :

وفى الفصل الثالث يتكلم الدكتور شمس عما دعا الزنديق أن ينسب روايته الى الشيطان وقال انه يعنى بهذه التسمية قصة الغرانيق المدسوسة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد أفرد لها الدكتور شمس فصـــلا بأكمله فندها فيه وأوضـــح مدى الكفر والزندقة فى هذه الأحدوثة الـــكاذبة .

ويتكلم الدكتور شمس فى الفصل الرابع عن الافتراء على عصمة النبى عليه الصلاة والسلام ويبين فى الفصل الخامس أكاذيب الزنديق عن الصحابة عليهم رضوان الله ويتكلم فى الفصل الســـادس عن استهزاء الزنديق بأمهات المؤمنين ويفند أقواله فى ذكاء وبراعة .

وفى الفصل السابع يكتب تحت عنوان « أوروبا تعلن عن عداوتها للاسلام » ويقول فيه : ان رواية الزنديق كانت بمنزلة الغطاء الذى كشف عن عداوة أوروبا للاسلام حتى درجة الغليان .

ويتكلم فى الفصل الثامن عن أعداء الكتب الســماوية : التوراة والقرآن والانجيل ذاكرا الآية الشريفة :

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله » .

وفى الفصل التاسع يذكر الدكتور الفاسى ما قام به فى مواجهة الفتنة

متحريا ألا يروى الا الوقائع وحدها فى تواضع جم وفى التزام كامل بالصدق وحده .

ويتكلم فى الفصل العاشر عن قصة الغرانيق وزندقة رشدى ويفندها بالحجج والأسانيد القاطعة ..

وفى الفصل الحادى عشر يتكلم عن حرب الكلمة ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف بدأت منذ بداية الرسالة ولكن الله سبحانه حفظ نبيه وأعلاه فوق كل هجوم ونصر جنده وايده بروح من عنده .

ويتناول فى الفصل الثانى عشر موضوعا بعنوان « شتائم الرسول لا تقبل التوبة » ثم يتحدث فى الفصل الثالث عشر عن واجبنا المقدس .

وفى الفصل الرابع عشر يتكلم عن القرآن الكريم وذم الزنادقة له وخذلانهم بقول الله عز وجل « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . وقد فعل سبحانه وتعالى وبقى القرآن الكريم عاليا خالدا على مر الزمان .

ويكتب فصله الخامس عشر بعنوان « هذا هو نبى الاسلام » وفصله السادس عشر عن النبى « اسخى الناس وابداهم يدا » ويكتب الفصل السابع عشر عن الرسول فى بيته ويختم الكتاب بفصل عنوانه « كلمة حق » .

وانى أهنىء الدكتور شمس الدين الفاسى على جهده العظيم هذا وأشكر له صنيعه كمسلم يغار على دينه ويرد عنه كيد الكائدين وفقه الله .

الأهرام ٢٩ مايو سنة ١٩٨٩ م :

النــور والاجــلال

من أطهر بقعة في العالم عائد أنا من الحرم المكي هناك حيث الجلال والعظمة منه والخشوع والتبتل والتصاغر منا نحن العباد .

هناك حيث يدرك الانسان ـ كل انسان ـ أنه بغير الله ضائع كذرة من الغبار تتناوحها الأهواء مهما تكن هذه الاهواء هينة الشأن ضئيلة العصف هناك حيث يدرك المتكبر الذى يزين له كبره أنه لا مثيل له فى الأقدمين أو القادمين . والذى تجمل له وضاعته الا يتواضع بعض الشيء فيحقق قول الشاعر عنه أنه يتواضع كبرا ان يقال به كبر .

هناك يدرك أنه لا شيء الا كتلة آدمية هزيلة كانت أو كانت من الضخامة بمكان تتساوى مع كل الطائفين من الساعين والركع السجود . لا كبر هناك ولا تكبر الا لله الواحد القهار الرحيم المتعال المتجبر الغفار هناك ينكسر كبر الانسان ويتحطم وهناك فى نفس المكان يرتفع الانسان ويصبح روحا شفيفة بلورية الأديم نورانية الاشعاع .

هناك لا يصبح الانسان ذلك الانسان الذى نألفه فى مختلف بقاع الأرض . لا سعار هناك ولا تكالب على المال ولا تهافت على السلطان .

... لا سلطان هناك ولا مال ولا سعار وانما نظرة التضرع والاستغفار من المخلوق الى الخالق . وتعلق باستار بيت الله وتزاحم على التقرب من هذه الأستار لعلها أن تحمل دعواتهم الى رب العرش العظيم . هناك الطواف والسعى عمل وجهد ليعلن الله الى عبيده أنهم ان كانوا يسعون الى الدنيا بالجهد الجهيد والعمل الشديد فمن حق الآخرة عليهم أن يطوفوا حول الحرم ويسعوا مثلما سعت هاجر لتجد الماء لوليدها .

ان الله لا يحب أن ينال الانسان خيرا فى الدنيا أو الآخرة الا بالسعى . وقد خص الآخرة سبحانه بقوله فى كثير من آياته أن على من يريد الآخرة من عباده أن يسعى لها سعيها وهو مؤمن .

قد ترك الله لك الدنيا تتوجه بالسعى فيها بما شئت الا أن تطغى أو تتجبر أو تصعر خدك للناس فانه لا يحب كل مختال فخور الا أن تخون

الأمانة أو تأتى ما حرم الله سبحانه من الذنوب ما هان منها وما كبر فيها وانت فى الدنيا عليك أن تعمل حتى تعيش فيها ويكون لك مكان فى زحامهـــا ٠

واذا كان الانسان يعمل للدنيا وهى دنيا فكيف يجوز له الا يعمل للعليا وهى العليا ٠

انما الطواف والسعى رموز لما يجب أن يبذله الانسان من جهد ليصل الى رضـــاء ربه فانه سبحانه وتعالى لا يحب القـــاعدين عن الرزق أو العبـــادة ٠

وشتان بين الهدفين ٠ تجهد فى الدنيا وتشقى لتعيش حياة هى زائلة طالت أم قصرت وتعمل للآخرة وتصطبر على صلاتك وتنصب فى الرغب الى الله بالدعاء لتنال رضا الخالق العزيز المقتدر وتكون لك جنات الفردوس نزلا ٠

هناك الطواف الجسدى والسعى بالجسم ليصبح الجسد روحا ترتفع خلجاته الى السماوات السبع متشوقة الى النور الالهى الأعظم فاذا الجسم فناء بها واذا الجسد هباء واذا الانسان روح ولا جسد واذا هو نفس متعلقة بكل النبالة والشرف والاشراق النفسى يراها رأى عين ويحس بها تسرى فى جسمه وكأنها حلت فى العروق بدلا من الدماء ٠

هناك يتزاحم الناس ولكنك فى ذاتك ملكوت مستقل لا تحس الزحام ولا تضيق به ولا تأبه وكأنك أمام الأستار وحدك ولكنك لست وحيدا ٠٠٠ وحدك أنت ولكنك تحس روح الله حولك فى أمن من الدنيا جميعا ٠ وفى نجاء من كل شرورها التى يحيطك بها الانسان مطمئن أنت هناك فى حصن من الانسان الشره الحقود المتجبر الخؤون غليظ الكبد عنيف الخصومة أنت هناك غالب لهؤلاء جميعا وكيف لا وأنت فى حصن الاله وحسبك الله كفيلا ومجيرا ٠

وانثنى من الحرم المكى وكاننى انسان غير الانسان الذى جاء الى الحرم المقدس ٠

ووقفت عند النبى صلى الله عليه وسلم أمام الانسان فى قمة جلال الانسان وعظمته وشموخه ٠ حامل الرسالة ومبلغها ٠ المبشر والنذير أول من تلقى آيات القرآن الكريم الذى قال عنه الله « وبالحق انزلناه وبالحق نزل » شهد له الله سبحانه أنه أبلغ الرسالة بالحق الذى نزلت به وانه على خلق عظيم وانه الشفيع للعباد جميعا يوم القيامة ٠ والشهيد على جميع الشهود ٠

أى خفق هذا وأى وجيب ذاك الذى يجيش بقلبى وأى دموع صماء صامتة تتقاطر فى نفسى حبا وفناء فى ذات الرسول صلى الله عليه وسـلم ٠

هنا الانسان الذى واجه ما واجه من الأقارب قبل أن يلاقى مالاقى من الاباعد والغرباء ٠

وظـلم ذوى القربى أشـد مرارة
على النفس من وقع الحسـام المهنـد

ولكنها الرسالة ولابد له أن يبلغها ويبلغها وتملأ الخافقين وينتشر المسلمون فى كل بقاع الأرض بما جاهد صاحب هذا المقام الأسنى وبجانبه وزيره واخو كفاحه وحامل العبء من بعده أبو بكر الصديق ٠

وبجانبه ظاهرة العدل الكونية وفاتح البلاد براية « الله أكبر » عمر بن الخطاب ٠ أن واحدا من هؤلاء يعدل الدنيا ما مضى فيها وما حضر وما هو فى مطوى الأيام غيب ٠

أنا فى حضرة ثلاثتهم اجلال كلى وأكبار ووجيب قلب وينبوع دموع وحسبى هذا سعادة لا تطاولها سعادة وهناء لا يقاربه هناء ٠

تفضت لك نفسى بعد عودتى من عمرتى أحاول أن انقل اليك خطرة من سعادتى أو قبسا من النور الذى عشت فيه أياما تساوى العمر كله ٠

الأهرام مايو سنة ١٩٨٩ :

لله العزة جميعا

صـــنف من النـــاس ليس جديدا على الحيـــاة بل هو قديم ‥ قدم الحياة ‥ ذلك النوع الذى يصـــــاب ـ والعيـــاذ بالله ـ بداء الكبر أو التكبر ‥

ولا أدرى كيف يكون انسانا ويتكبر ۰ وهو يعلم ان الانسان مخلوق مسكين تقتله نسمة هواء وينحنى اذا اختلت حلقة من حلقات سلسلته الفقرية ۰ ويرعبه وســواس لا وجود له ، وتمرضه خاطرة من خوف ۰ ويزلزله أهون الأمور وأقلها شأنا عجيب أن يكون على هذا القدر من الهزال ويتكبر أو يمس نفسه لافح من التعاظم ۰

ان تكبر لغنى ناله فما لغنى بقاء وما غناه اذا ذكر الغنى الحميد الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ‥

وان تكبر لأصل كريم فأى فضل له فى أصل كريم ۰

وان تكبر لمنصب فمتى بقى صاحب منصب فى منصبه ۰

والحقيقة أن الذى أرسلنى أكتب هذا الحديث اليك هم المتكبرون لمناصبهم أراهم وزراء أو أقل من الوزراء وأرى فى ملامح وجوههم صلف الكبر والعزة الكاذبة التى يتسم بها الحقراء ويحاولون ان يخفوها بالتجهم والتكبر وكأنهم سيخرقون الأرض أو سيبلغون الجبال طولا ۰

صغارهم داخل نفوسهم ويريدون أن يمثلوا دور الكبار فيصبحوا مثل القراقوز الثقيل لا شرفا أبقى ولا كرامة حفظ بريق ماء وجهه لينال ضحكة مغتصبة ۰

وان كان القراقوز يسعى ببيع كرامته لينال قوته فهؤلاء المتكبرون شر منه لأنهم زاحموا القراقوز ولم يصيبوا بما فعلوا الا احتقار الناس وكراهيتهم ومقتهم وثقل ظلهم عند المجتمع ۰

ترى هل قرأ هؤلاء القرآن فان لم ‥ فلا شك انهم سمعوه وسمعوا قوله تعالى عز وجل فى سورة الحج ‥

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون

الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ٠

ترى هل قدر المتكبرون مقدار ضآلة الانســان الواضحة فى هذه الآية ٠ ان الله سبحانه حين يقول ضعف الطالب والمطلوب يقرن الانسان هنا بما سلبه الذباب منه ولك أن تقدر مقدار تفاهة ما يسلبه الذباب من الانسان ٠٠

ففيم الكبر اذن ٠٠

لا أراك الله متكبرا يتحدث ٠٠ أعوذ بالله العلى الكبير ٠ له الكبرياء وحده والعزة والملكوت ٠٠

يتكلم المتكبر من بين ضروسه أو من أنفه ويحسب كل كلمة يقولها تنزيلا من التنزيل أو وحيا من السماء ٠٠ أو هو يحسب أن ما يقوله لم يأت به الأوائل ولن يأتى به فى الآخرين انسان أو ملاك ٠٠

ولا أراك الله ذلك المتكبر وهو أمام رئيس له أو واحد ممن يملكون من شأنه شأنا ٠

فالذلة والهوان والنفاق الرخيص الحقير والانحناء فى القامة وفى الحديث معــا ٠ والمديح الرخيص لمحدثه وتنظر فى وجه الرئيس الذى يسمع ويرى فترى ملامح الاشمئزاز والاحتقار للمتكبر الذليل ٠ المتعجرف الحقير ٠

والمتكبر يحس هو انه أمام أولئك الذين بيدهم مصيره ولكن من أين له عزة النفس أو الشعور بالكرامة لينهج نهجا يرضى العزة أو يتفق مع الكرامة ٠

والمتكبر مغرور ٠ وخيط رفيع بين الغرور والثقة بالنفس فالذى يثق بنفسه لا يتكبر ولا يهين كرامته ٠
والمغرور يتكبر ويهين كرامته وكرامة الآخرين فى وقت معا ٠

والمتكبر لا كبرياء له لأنه يصطنع العزة وهى ليست فيه اما صاحب الكبرياء فلا يضع نفسه فى مكان لا كرامة فيه ثم هو قريب من الناس لا يعاملهم فى كبر وانما فى تواضع شديد لأنه واثق من مكانته عندهم ٠ وتواضعه هذا يكون مع جميع من يعاملهم ٠ فالتواضع حب للناس واحترام لهم وتقدير لانسانيتهم ٠ وكل انسان فى العالم يستحق الاحترام ما دام شريفا مهما يكن عمله ومهما تكن الصنعة التى يقوم بها فى الحياة ٠

والذى يحترم نفســه ينبغى له أن يحترم جميــع النــاس الشرفاء بلا تفرقة ولا تمييز فهم أخوته فى الانسانية ٠

أما هؤلاء المتكبرون فليغضوا من أبصارهم ، وليخفضوا رؤوسهم . ولتخشع قلوبهم وليخفضوا أجنحتهم ، فانى ملق اليهم آيات من القرآن الكريم لو فهموها لأقلعوا عن التكبر الى الأبد ..

يقول سبحانه فى سورة الطور الآية ٣٤ وما بعدها ..

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون .. أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين . أم له البنات ولكم البنون . أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون . أم عندهم الغيب فهم يكتبون » .

صدق الله العظيم

أيستطيع انسان بعد أن يقرأ هذا أو يسمعه أن يتكبر .

ولكن نعم . فان قلوب المتكبرين عليها أقفالها فهم لا يتدبرون القرآن ولا يدركون حقيقة الانسان ولا يعرفون معنى الكرامة فهم فى لهوهم يلعبون وهم فى كبرهم يعمهون . وسبحان القاهر فوق عبادة الكبير المتعال . له وحده الكبرياء جميعا ولعزته سجودنا وركوعنا وحسبنا هو أنه نعم الوكيل .

الأهرام ١٥ يونية سنة ١٩٨٩ م

ويل للكبار من الصغار

ولك أن تقرأ الصغار بفتح الصادر فتكون مصدرا ولك أن تقرأها بالكسر فتصبح جمعا والى المعنيين كليهما قصدت فقد امتحن الله الناس بأشخاص صغار احتلوا كراسى كبيرة ٠٠ وتلك كبيرة لا يكشفها الا كاشف الضر سبحانه فان الصغير اذا احتل كرسيا كبيرا أصبح كارثة على نفسه وعلى الكرسى وعلى من ألقى بهم القدر الى العمل معه ٠ فالصغير يعلم انه صغير ولهذا يهوله منظر الكرسى الكبير ويروعه ويهز كيانه ويؤز وقاره ، ويستخف عقله ، ويزلزل ثباته ويجعله امام نفسه وامام الناس أضحوكة أتعس بها من أضحوكة ٠

ضائع هو ملتاث تتضارب بين يديه القرارات وتضطرب الأمور ويغشى بصيرته ما يغشيها فلا يعرف أقدار الناس ويصبح العاملون معه بلا أقدار ولا منازل ينزلهم فيها انما أقربهم اليه أكثرهم نفاقا وأقلهم شأنا ، وأهونهم مكانة وأذلهم قيمة ، وأهزلهم كرامة ، وأحقرهم شخصية ، وأندرهم عملا ، وأبخسهم عزة ٠

ويصبح الصغير فى فوضى من أمره فيتكبر حين ينبغى له أن يتواضع ، ويعنف حين يجمل به أن يلين ، ويصرخ حين يخلق به ان يهمس ، ويعاقب حين يجب أن يكافىء ويجيز ويكرم ٠

وحين نقارنه بالأسوياء من أصحاب المناصب يصدق عليه قوله تعالى فى سورة النحل الآية ٧٦ :

« وضرب الله مثلا رجلين احدهما أبكم لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لآيات بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » ٠

والصغير حريص على منصبة أشد الحرص لأنه يعلم انه حين يتخلى كرسيه عنه يعود الى صغاره مجردا من ستار المنصب عاريا مما كان فيه من عظمة الوظيفة التى ألقى اليها فى غفلة من غفلات الزمان ٠

وفى حرصه هذا الشديد تغوص نفسه فى الخوف ويصبح ويمسى

مرتعش الفؤاد ممزق الخاطر مضطرب العقل يحاول قدر جهده أن يبدو شجاعا وهو بلا شجاعة جريئا وهو من الجرأة برىء كل البراءة !

ولا يجد الهزيل وقاية له من حاله هذه المثيرة للاشفاق والأسف الا أن يتكبر ما وســـعه التكبر والله يقول عز وجـل « فلبئس مثوى المتكبرين » ٠

وفى كل مكان للعمل كبار بأشخاصهم معتزون بايمانهم بالله يؤدون واجبهم كما تمليه عليهم ضمائرهم متوكلين على الحى القيوم الذى لا يضيع عنده أجر من أحسن عملا ٠٠

والصغير يعرف هؤلاء ولكنه بدلا من أن يكرمهم ويعلى مكانهم ويقربهم اليه يزجرهم لأنهم يشعرونه بهوانه فهم أعزة وهو ذليل بخوفه ورعبه وقشعريرته ٠ وهـم أقوياء بالله وبالحق وهو ضعيف بجهله واضطرابه ولوثته ٠

ويصبح مكان العمل مضطربا لا يدرى العاملون به أيؤدون واجبهم فيصيبهم رئيسهم الأخرق بالعقـاب أم يجعلون عملهم هو نفاق الرئيس وليذهب العمل الى الجحيم ؟ !!! ٠

وكل رئيس عمل تبرأس لمن يعملون معه وقدوة ومثل وويل لعمل يكون الرئيس فيه مرتعش الأوصال. صغير النفس هينا على نفسه ومن يهن على نفسه يصبح أكثر هوانا على الناس ٠

وأهم جانب فى رئاسة العمل سلامة الشخصية للرئيس ٠ ويوم تتضارب قرارات الرئيس وتصبح بلا قاعدة واحدة ولا مبدأ ثابت واضح المعالم بين السمات يصبح العمل فوضى ضاربة ٠ فاذا كان هذا العمل متصلا بالجماهير عانى الناس منه أعظم المعاناة ٠

واليك فانظر الى المؤسسات جميعها تجد الصالح فيها هو الذى صلح فيها الرئيس ٠ وتجد المنهار منها هو الذى يكون الرئيس فيها منهارا هين القدر اينما يتجه لا يأت بخير ٠

وتطالعك الصحف فى الصباح وفى المســاء وفى كل وقت بأنباء مؤسسات خربت فى القطاع العام والخاص على السواء ولا تحتاج الى كثير بحث عن السبب فانك تجد مع الخبر ان سبب الخراب الأول هو القائمون على أمور هذه المؤسسات ٠

وما نسمعه من همس الناس ومن أقوالهم أشد مرارة على النفس مما تنشره الصحف ٠ فالصــحف فى أغلب الأمر لا تنشر الشائعــات ولا الأقاويل انما هى تنشر ما ارتقى الى مرتبة الخبر ٠

أما الهمسات والشائعات والأقاويل فمكانها ألسنة الناس وأسماعهم وقد يكون فيها كثير من المبالغة وانما هى فى مجموعها تدل على قدر من الحقيقة لا ينبغى أن نستهين به ٠

وجماع هذه الأقاويل ترمى كثيرا من القائمين على الأمور بأقوال يندى لها الجبين ٠

ولكننى أحب أن أحاول العدالة ما وسعنى الجهد وما أمكننى الله عز وجل ٠٠

ان الرئيس فى كل مكان من عمل يعاقب ويكافىء ٠٠ ولا أحد يرضى بالعقاب ٠٠ وكل انسان ينزل به العقاب يرى نفسه مظلوما ٠ وما بغريب أن يحاول هؤلاء أن يثيروا حول رؤسائهم ما يجعل الرئيس من هؤلاء شأنها عند الناس ساقطا فى نظر المجتمع ٠ ولذلك فاننى أستمع الى الأقاويل الهامسة والشائعات الدائرة بكثير من الحذر وكلما كثرت الأقاويل وجب أن يكون الحذر أشد ٠

وانما قصدت بحديثى اليك به من صدق عليه اليقين لا الهمس ٠٠ والواقع لا الشائعة ٠٠ وما هؤلاء بالقلة وانما هم ـ وللأسف الشديد ـ هم كثرة لا نستطيع أن نتجاهلها ولا أن نتعامى عن أثرهم العميق فيما تواجه من أزمات ولله الأمر من قبل ومن بعد ٠٠

الأهرام ٢٤ يونية سنة ١٩٨٩ م

خواطر عن الشعر والنفاق

وقف الشعراء بباب الأمير وكل منهم يعتقد أن قصيدته خير قصيدة تنشد في ساحة الأمير • وانه سينال بها من المال ما لا يدور بخيال بشر •

واذن الأمير للشعراء وراح كل منهم يلقى قصيدته فى انشاد ضخم فخم • حتى جاء دور أحدهم وراح يلقى شعره • وبلغ منه بيتا يزلزل السماوات والأرض والجبال والمخلوقات • أنشد بيته وهو يظن انه جاء بما لم يأت به الأوائل ولا الآواخر وان الأمير سيقوم من مجلسه ويحتضنه ويسكب عليه المال والجوهر ويجعله شاعره الأول • ولكن ويل له ان ما حدث كان عكس ما توقعه جميعا وما أعد نفسه له • كان البيت يقول للأمير •

أنت الذى تنزل الأيام منزلهـــــا وتنقل الدهــر من حال إلى حــال

أنشـــد الشاعر بيته الكافر فاذ جميع الجالسين يهبون وقوفا من مجالسهم • والأمير أيضا ولكنه يقف فى غضبة شديدة ويصيح بجلاده •

ــ خذوا هذا الشاعر الكافر واخرجوا لسانه من قفاه •

وهكذا أعدم الشاعر حتف نفاقه وحتف رعب الأمير من اله الكون العزيز القاهر فوق عباده •

والشاعر له عذره فقد نسى الله ولم يفكر الا فى مدح الأمير والجائزة التى سينالها لقاء مديحه له • والأمير معذور فقد خشى أن يقول الناس انه سمح لأحد أن يرفع مرتبته الى مرتبة الألوهية ولم يعاقب الكافر على قوله ••

وهكذا كان الحال أيام كان الشـعراء لا يحصلون على قوت يومهم الا بمديح الأمراء والمبالغة فى هذا المديح ما وسعهم البيان وما استجابت له المعانى والكلمات •

ولم يكن للشعراء رأى فى هذه الأيام مع أنهم كانوا هم أعظم مجالات الاعلام وكانت السنة الناس تدور بشعرهم فيذيع فما كانت هناك مطبعة ولا صحف ولا اذاعة ولا تليفزيون •

وكان الأمراء يغدقون على الشعراء ويستجلبونهم الى أعتابهم ليكونوا هم صحفهم واذاعتهم وتلفزتهم . ولم يكن للشاعر خيار . فهو اما أن يمدح أو يصمت واذا أصيب شاعر بالضمير اليقظ فمصيره الزجر والأبعاد ولعل قصة أبى العلاء الشهيرة خير شاهد على ذلك قيل أن أحد الأمراء استقدم أبا العلاء ليكون ضمن حاشيته . وقبل أبو العلاء وذهب الى ديوان الأمير . فى جلسة ضمت الشعراء ووجوه البلاد وأقطابها أحب الأمير أن يظهر علمه بالشعر فراح يذم شعر المتنبى ويهون من شأنه والجميع يوافقونه على ما يقول فما كانوا يملكون الا الموافقة . الا أبا العلاء الذى لم يستطع ضميره أن يموت . فما كان من قبل من جلساء الأمراء وما يدرى كيف يسكت عن الرأى الحق فاذا هو يقول للأمير غير مكتف بابداء الرأى بل غامزا الأمير أيضا :

ـ والله يا مولاى لو لم يكن للمتنبى الا قصيدته التى يقول فى مطلعها :

لك يا منازل فى القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

لكفاه فخرا

فاذا الأمير يثور بابى العلاء ويقول لحراسة :

ـ اخرجوا هذا الأعمى من مجلسى ولا أراه بعد اليوم .

ويخرج أبو العلاء بأيدى الحراس الفراسة العنيفة وينظر الأميرالى جلسائه ويقول لهم : ـ أفهمتهم ما قصد اليه هذا الشاعر اللعين :

ويرتج على القوم ويكمل الأمير حديثه .

ـ انه يشير الى البيت الذى جاء فى هذه القصيدة والذى يقول فيه المتنبى بيته الوقح :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

وكان الشعراء يحبون أن يكونوا أصحاب الحظوة عند الأمراء ويغضبهم أن يروا الأمير يقدم شاعرا آخر أو يرضى عن شعره .

ترى المتنبى غاضبا ان قرب سيف الدولة اليه شاعرا آخر ، ويذم الشاعر الآخر المتنبى فيصغى له الأمير ويقول المتنبى قصيدته الخالدة .

أن كان سركمو ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكمو ألم

ويقول :

أعيذهـا نظرات منـك صـادقة   ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وينقضي هذا العهد ويصبح الشاعر صادقا مع نفسه فاذا نافق اليوم شاعر فهو ينافق مختارا لا مرغما ·

وحسبنا ان نذكر بيت شوقي في قصيدته الرائعة الخالدة :

سـنون تمـر ودهـر يعيـد   لعمـرك ما في الليـالى جـديد

التي يقول في آخرها :

وانى نـواسى هـذا الزمـان   فمـن للزمـان اذن بالرشـيد

ونراه يهاجم المعتمد البريطاني وبريطانيا تحتل مصر · فيذكر الأمير حسين كامل بنصف بيت ما حق يقول فيه :

شهد الحسين عليـه لعن أصـوله   وتصـدر الأعمى بهـا تطفيـلا

ويغمز السلطان فؤاد حين منع استقبال أم المحسنين بقوله :

برىء الرفـق من السـيف الذى   منـع الأم ملاقـاة البنـين

لا ترومى غـير شـعرى موكبـا   ان شـعرى درجـات الخالدين

كل حمـد لم أصـغه زائـل   خالد الحمـد بمـا صـغت رهين

رحم الله شوقي لقد كان والله كذلك :

الأهرام ٢٦ يونية سنة ١٩٨٩ م

الانتخاب أمانة الوطن

أخى المصرى أنت قادم بعد أيام على انتخـاب من يمثلك فى مجلس الشورى . واحسب انك لست فى حاجة الى من يقدم بين يديك أهمية هذا المجلس ، فقد شاهدت وقرأت وسمعت المناقشات فيه وعلمت علم يقين الى أى مستوى رفيع يعلو فيه النقاش .

وأنا عضو بهذا المجلس منذ انشائه وشرفت بوكالته فى السنوات الثلاث الماضـية وأخشى ان أكيل له المديح الذى يستحقه فأصبح مادحا لنفسى وقبيح بالانسان أن يمدح نفسه عند الناس . واننى فى غنى عن المديح أصف به مجلس الشورى فقد توليت أنت عنى هذا العبء وسمعت منك رأيك كلما لقيتك أو قرأت لكتابك الشرفاء الذين يمثلونك أصدق تمثيل ويعرفون خوافى مشاعرك وخبىء رأيك ..

أنت اليوم تنتخب لهذا المجلس انتخابا فرديا مبـاشرا فمن ترانا نختار ليمثلنا فى مجلس العمالقة هذا .

اذا كنا سننتخب قريبا لنا لمجرد انه قريب أو صديقا لنا لمجرد انه صديق فما هذا بانتخاب فالانتخاب اختيار واصطفاء وانتقاء . وانت ـ ان فعلت ـ فما انتخبت ولا اخترت ولا اصطفيت اما ان كان صـديقك أو قريبك كفء المسئولية التى سيحملهـا وأهلا للرأى يبديه الى المصلحة العامة لا المصلحة الشخصية فقد وفقت فيمن انتخبت .

والانتخاب أمانة الوطن فى عنقك وهيهات ان تسلم لك نفسك ويهدأ ضميرك اذا اختننت هذه الأمانة .

واذا كنت ستنتخب ممثلك ليكون وسيلتك لقضـــاء حوائجك فى الحكومة وليدخل ابنك الى المدرسة وليرفع عنك المخالفات الزراعية وغير ذلك من خاصة شأنك .. فما انتخبت .

فأنت فى انتخابك انما تمثل أمة بأكملها ووطنا بأسره ولا تمثل أسرتك الصغيرة ولا نفسك . والوطن جميعه ينظر اليك فيمن تختار وأنت فى انتخابك حر . والحر هو الذى يعمل حريته للمصلحة العامة وليس لمصلحته الشخصية أو لمصلحة أسرته الصغيرة .

واذا كنت تتحلق فى المساء حول التليفزيون وتدخن المعسل ووجدت المرشح يقصد اليـك فى حلقتك هذه ويجتذب معك من أنفاس الجوزة فأنت أدرى الناس بباعثه الى هذا القدوم • ويا طالما سمعتك تقول فى دهشة لماذا يظن المرشحون اننا لا نفهم • ونحن نجلس طوال عمرنا هذه الجلسة فما له لم يقصد اليها الا ايام الانتخابات • فأنت أدرى الناس انه يحاول أن يمكر بك ولا يدرى أنك أنت الذى تماكره وتعلم دواخله والخبىء المستتر من أفكاره • وتعلم انه يحاول أن يظهر التواضع والبساطة • ولا يدرى انك تقول فى نفسك أين كان هذا التواضع وهذه البساطة قبل أيام الانتخاب ونحن أبناء اقليم واحد ؟ !!

وأنت بذكائك الفطرى تدرك ان الذى يتظاهر بالتواضع هو أقرب الناس الى التكبر حين ينال ما يريد ويصل الى ما يشتهى من صوتك •

اذا انتخبت هذا العضو أهدرت حق الوطن فى عنقك وكان اختيارك وبالا على وطنك وعلى حقوقك الدستورية فى وقت معا •

ومن بين المرشحين قوم باعوا دينهم بدنياهم وتظاهروا انهم هم حماة العرين وسدنته وحراس القرآن الكريم وحماة الذكر الحكيم • وأنت أدرى الناس ان هؤلاء يتاجرون بالدين • وشر المسلمين وغير المسلمين من تاجر بدينه من أجل منفعة دنيوية أو سلطان على الناس فى معاشهم وحياتهم وأنت تقرأ القرآن الكريم وتسمع آياته خمس مرات فى اليوم على الأقل • وتعلم كل العـلم أن الله سبحانه قال « انا نحن نزلنـا الذكر وانا له لحافظون » أفهؤلاء أشد قوة من رافع السـماء وخالق الأرض والجبـال والانسان والحيوان • أى شيطان جعلهم يتخيلون أنهم هم المسئولون عن المحافظة على القرآن الكريم • اللهم اننا نعرف اسم هذا الشيطان ومصدره ومستقره ومبتداه ومنتهاه •

أفلم أقل لك أنهم باعوا دينهم بدنياهم ؟!

يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم « لست عليهم بمسيطر » ويقول له فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم ما معناه انما عليك البلاغ وعلى الله الحساب • فمن نصب هؤلاء مدعين وقضاة ومنفذين وحكاما فى وقت معا • وتلك منزلة لم تكن للأنبياء وهم الأنبياء • والله يقول لنبيه فى سورة الأنعام « وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل » •

الى هؤلاء قولوا رأيكم وتمسكوا بدينكم فانه لا حياة لنا ان لم نتمسك بديننا الذى أنزله الله سبحانه وتعالى بالحق على نبيه صلى الله عليه وسلم •

وليس ديننا هذا الذى يدعو اليه هؤلاء الارهابيون ولن يكون والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز القدير ·

ومن بين المرشحين من تقدم لينال بوجوده فى مجلس الشورى وجاهة بين الناس وهو فى نفس الوقت أبعد الناس عن رأى يسوقه أو علم ينتفع به الوطن · وأنت أعرف الناس بهؤلاء ـ بعد الله ـ فاذا انتخبت منهم من يمثلك فما انتخبت ولا أديت الأمانة ·

وبين المرشحين من يرشح نفسه لمكسب يناله أو غنم يهتبله بكرسيه فى المجلس العتيد هؤلاء النفعيون أنت أدرى الناس بهم وبمقاصدهم فالانسان لا يستطيع أن يخفى حقيقته وتاريخ الانسان حلقة متصلة · ومن تعود أن يمد يدا غير أمينة تمسي نفسه هينة عليه · ومن يهن مرة يسهل عليه الهوان الى أن يلاقى ربه · واياك أن ترجو لمثل هذا صلاحا أو تأمل عنده خيرا انما الشرف غريزة والخيانة طبيعة · ومن عرف الخيانة فى لحظة من لحظات عمره فهيهات هيها تأن يعرف الشرف فى يوم من الأيام ·

وبعد فهذه أمثلة أسوقها اليك ليست جامعة ولا هى مانعة وانما أضربها لك لتقيس عليها وأنت تختار ممثليك في مجلس من أعظم المجالس التي عرفتها مصر فى تاريخها الطويل ·

والاختيار أمانة يضعها الوطن فى عنقك فكن عند ثقة الوطن فيك · وفقك الله وهداك الى قصد السبيل انه سميع مجيب ·

يونية سنة ١٩٨٩ م

ديــوان الجــارم

لو لم يكن الجارم أصــغر سنا من الثلاثة العظام الذين اقترنت أسماؤهم بجيل الازدهــار الأدبى فى مصر لذكر الناس شوقى وحافظ ومطران والجارم فى اطار واحد . فالجارم أحد العمالقة العظام فى تاريخ الشعر العربى تقرأ شعره فتقرأ النغم المسترسل الجميل والجرس الفخم المتآلق واللفظ المختار المستقر فى موضعه وكأن العرب ما قالوه الا ليكون فى هذا المكان وانه من أعجب العجب أن يظهر ديوان الجارم منذ شهور ولا يتكلم عنه أحد وكأنه ما ظهر . أم ترى لم يصبح أى لون من ألوان الجهالة مستغربا فى زمن التردى الأدبى الذى نعيش فيه .

ظهر الديوان فى جزءين يضمهما مجلد واحد ويطيب لى ان أذكر تاريخ حياة الشاعر الكبير فى سطور كما جاءت فى صدر المجلد .

ولد الشاعر بمدينة رشيد عام ١٨٨٢ ونال دراسته الأولية وحفظ القرآن ببلدته ثم انتقل الى الأزهر لينهل من علومه العـديدة على أيدى أساتذة أجلاء مثل الشيخ محمد عبده والشيخ عبد العزيز جاويش ثم التحق بدار العلوم حتى تخرج فيها وكان ترتيبه الأول على أقرانه فأوفد فى بعثة الى انجلترا عام ١٩٠٨ ومكث بها أربع سنوات ثم عاد الى الوطن عام ١٩١٢ حيث عمل مفتشا للغة العربية بوزارة المعارف ثم كبيرا لمفتشى اللغة العربية وعضوا بمجمع اللغة العربية منذ انشائه ثم عميدا لدار العلوم حتى سن الستين عام ١٩٤٢ وتوفى فى ٨ فبراير ١٩٤٩ وهكذا تجد من هذا العرض الموجز لحياة الشاعر الكبير انه جمع بين الأدب العربى من أصوله الباذخة وبين الأدب الانجليزى ولهذا لم يكن غريبا ان نجده فى القمة حين كتب رواياته التاريخية وحين تنــاول بالتاريخ حيــاة بعض الشعراء .

أما الشعر الذى جمعه هذا المجلد الجديد فهو شعر يقف مع أرفع قصائد العربية كافة .

ويطيب لى ان أبدأ مقتبساتى من شعره بقصيدة من أشهر القصائد

العربية فى عصرنا وهى قصيدة بغداد التى ألقاها هناك فاذا العراق كلها ترددها في اليوم التالى • أقرأ معى :

بغداد يا بلد الرشيد ومنارة المجد التليد
ويا بسمة لما تزل زهراء فى ثغر الخلود
يا موطن الحب المقيم ومضرب المثل الشرود
يا سطر مجد للعرو بة خط فى لوح الخلود
يارابة الاسلام والاسلام خفاق البنود يا مغرب الأمل القديم
ومشرق الأمل الجديد يا بنت دجلة قد ظمئت
لرشف مبسمك البرود يا زهرة الصحراء ، ردى
بهجة الدنيا وزيدى يا بسمة لما تزل
يا جنة الأحلام طال يا بهرة الملك الفسيح
وصخرة الملك الوطيد بغداد يا دار النهى
والفن يا بيت القصيد نبت القريض على ضفا
فك بين أفنان الورود

وبعد فلو أطلقت لنفسى العنان لأوردت القصيدة كلها فهى — لا شك — من عيون الشعر العربى • وليس بغريب عليها ما سمعناه من اعجاب العراق بها وترديده • ومن الشعر الذى أحفظه له قصيدته فى تكريم أمير الشعراء أحمد شوقى حين توافد أدباء الأقطار العربية لتكريمه وتنصيبه أميرا للشعر والشعراء •

يقول الجارم :

وقفت تجدد آثارها وتنشر للعرب أشعارها
وتبعث حسان من رمسه وتحيى عكاظ وسمارها
بشعر له نبرات تهز نياط القلوب وأوتارها
أطاعت قوافيه بعد الشماس جرىء القريحة جبارها
ونظم له نفحات الرياض اذا نقط الطل أزهارها
فمن حكمة علمتها السنون حوار النفوس وأسرارها

لهـــا صـــفحة الكون منشـــورة يترجـــم بالشـــعر أسطارهـــا
وتشيب لاه لعـوب الشـباب ينـــاجى السـمـــاء وأقمـــارها
تـــراه وظـــل الصـــبا وارف جمـــوح العريـــكة موارهـــا
يغنى كمـــا صـــدحت أيـــكه وقـــد نبـــه الصـــبح أطيـــارها
ويبـــكى فيبـــكى رســـوم الديار حنانـــا عليـــه وآثارهـــا
وينتسب حتى يلـــين الهـــوى وتقضى الصـــبابة أوطارهـــا
وتنسى الكواعـــب أى الحجـــاب وتبـــكى العجائـــز أعمارهـــا

الى أن يقـــول :

ويرســـم أندلســـا باليـــراع فتلمس كفـــك أســـوارها
وان وصف الحرب خلت الحراب تســـد من الأرض أقطارهـــا
فتمسك جنبـــك ذعـــرا تخـــاف قنـــاهـــا وترهب بتارهـــا

رحم الله المادح والممدوح • فانك لا شك قد هزك هذا الشعر هزا كريما فانه لا يقوله الا شاعر محلق قادر ثرى النفس جياش العاطفة قادر على الكلمة يمسك بها حيثما تكون ويجريها فى نمير شعره فاذا هى جدول رقراق وبحر عظيم العطاء ونهر يجرى فى تاريخ الشعر العربى جمالا حيث يجرى وروحا وريحانا وزهرا وورودا •

وأسأل أين النقاد ليقدموا التحية لهذا الديوان فاذا هم فى شغل لاهون يشاهدون فيلما أو يبحثون عن جلسة فى التليفزيون أو حديث فى الاذاعة لا يكلفهم رهقا ولا يرغمهم على قراءة ديوان من أعظم دواوين الشعر العربى وأجد نفسى جالسا فى مقعد الناقد ولست به ولكن ما أحب الى نفسى أن أردد هذا الشعر وأرويه فاوقظ له من النقاد نائما أو أنبه له من أساتذة الشعر فى الجامعات غافلا • وحسبى الله ونعم الوكيل من قبل ومن بعد •

الأهرام يونية سنة ١٩٨٩ م

و ٠٠ رأى آخر

جاءنى هذا الخطاب من الأستاذ مهدى بندق وقد رأيت أن أنشره لان هذا حقه ولمكانة الكاتب ٠

« أخى الأستاذ ثروت ٠٠ السلام عليكم ورحمة الله وبعد طالعتك ـ كعادتك ـ سمحا كريما فى ردك على خطاب الأستاذ مصطفى الشكعة بصفحتك بالأهرام ٨٩/٢/١٧ والمنشـور تحت عنـوان « خطابان » ٠٠ بيد أن السماحة والكرم لا تغنيان عن الحقيقة التى يطلبها القارىء ويسعى جاهدا وراءها الكاتب ، ولان الموضوع الذى دار حوله الرأى والرأى الآخر جد خطير اذ هو ضوء يلقى على علاقة الأديب بالسلطة ؛ فلقد كان ضروريا أن أكتب اليك « والى القارىء الذكى » قائلا : بل لقد كنت على صواب فيما ذهبت اليه من ايراد حادثة المعـــرى مع الشريفين الرضى والمرتضى باعتبار مغزاها الأخلاقى والسياسى لا بقصد تحقيقها تاريخيا كمـا ظن الأستاذ الدكتور فبادر من ثم الى تصويب « الهنات » وما أدراك ما هى ٠٠ أخبار الشعراء الخالية ! ولكن من سيكون مرجعنا الأصدق حين نؤرخ ٠٠ ابن خلدون أم ابن الأثير ، المسعودى أم ابن العماد الحلى ، ياقوت الحموى أم القفطى والذهبى ، فون كريمر ومرجليوث أم نيكلسون أم سلمون ؟! وهم جميعا يضطربون فيما بينهم أشد ما يكون الاضطراب حين يقصون عن الشعراء أصحاب الفكر بالذات ، فما بالك سيدى حين يأتى دور التعليق والتحليل والتأويل ؟!

أولا يكفى أن قصـة قدوم أو استقدام ، أبى العـلاء لمجلس الرضى مازالت محل خلاف بين مؤرخى الأدب حتى اليوم ٠٠ وها هو ذا الأستاذ المحقق محمد فهمى عبد اللطيف يرويها بأسلوب (فى مقاله بمجلة الهلال عدد أغسطس ٨٢) ويرويها بغيرة المحقق المفكر سمير الصارم (فى كتابه «أبو العلاء المعرى » طبعة دمشق دار كرم) ومن قبلهما برأى ثالث العميد الدكتور طه حسين فى تجديد ذكرى أبى العلاء (طبعة دار المعارف) ؟! وكيف السبيل الى التثبت من حقيقة الواقعة (أقول حقيقتها وأركز على الكلمة) الا باللجوء الى أدوات الأديب الأصيل وأهمها وسيلة الاستبصار

Insigdt كما يقول أصحاب منهج الجشتالت الألمان ، وهى الادراك المباغت لما ينطوى عليه الموقف من دلالة ، وقد سبقهم الى تعريفها أبو الهلال العسكرى فى كتابه « الفروق اللغوية » حين عرفها بما يعنى انها « ما يتضح به الأمر للمتأمل كأنه يبصره » !

ويقيني انك ــ أيها الأستاذ ثروت ــ قد استبصرت بما علمته جملة عن أبى العلاء منذ شبابك ، ان الرجل ما كان له أن يقصد مجالس الطالبيين الا مضطرا أو مدعوا ، فلقد كان أزهد الناس طلبا للمناصب وللخلع السنية وفوق هذا فلقد كان معارضا صريحا لفكر الشيعة ونظرية الامامة وتنظيمات الباطنية ، حتى انه تصدى لهذا الكهنوت الذى تسلل الى الفاطمية من المسيحية الكاثوليكية فى « رسالة الغفران » وراح يعده مروقا عن الاسلام القائم على العقل ، فكيف لرجل تجاوز فى ايمانه بالعقل موقف المعتزلة أنفسهم أن يقبل مختارا على أصحاب دعوة دوجمائية معادية للاجتهاد ، دعوة تحصر العلم وطلبه فى طبقة أو فئة محدودة من الأئمة والدعاة وأهل الصفوة ؟! هو الذى قال فى اللزوميات :

يرتجى الناس أن يقوم امام ناطق فى الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العقل مشيرا فى صبحه والمساء

فالأصح اذن ان المعرى استقدم الى مجلس الشريفين لغرض فى نفس يعقوب سرعان ما انكشف مع أولى خطوات أبى العلاء داخل المجلس اذ صاح به واحد من الطالبيين : من هذا الكلب ؟ وعلى الفور ردها الشاعر قائلا : « الكلب من لا يعرف للكلب سبعين أسما » موقف مشحون ملغوم لا ينتظر الا من يفجره ، فكان الشريف المرتضى هذا المفجر حين راح يسب المتنبى شاعر أبى العلاء المفضل ، فكان ما كان من الماح بنقص الشريف الرضى وعاهته العرج ، وكان ما كان من ضرب وطرد أبى العلاء على هذا النحو الذى رأيناه · وكان ما كان ··· من بعد ــ أن غرض أبو الحسن على النحو بعاهة أبى العلاء حين قال عنه « ليص بعد الاصطبل » وهى فى لغة سمعها أبو العلاء انصرف مغضبا ولم يعد الى أبى الحسن أبدا » الى هذا أهل الشام تعنى الأعمى ، وفى هذا يقول ياقوت الحموى فى معجمه « فلما الحد كان شعور الأديب بكرامته وعزة نفسه مما يتنافى مع الظن بأنه هو الذى كان يقصد مجالس أصحاب السطوة والنفوذ مختارا ساعيا وطالبا للرضا والقبول كما أراد لنا الدكتور أن نفهم ·

قضايا فكرية وسياسية وأدبية على أقصى درجة من الخطورة ، اختصرها قلمك المبدع فى عجالة تشى وتنم عن هذا المغزى الأخلاقى العظيم والذى اردت تكريسه بمقالك الأول ، الا وهو تأكيد كبرياء الكاتب المفكر

في مواجهة عنفوان المنصب وصلف بعض أصحاب السلطة ، فأصبت بما نوهت وذكرت انما أنت مذكر ·

وأما عن « الهنات » فلو شئنا أن نصحح بعضها للأستاذ الدكتور لقلنا له ان أبا العلاء ذكر العدد « سبعين » - يقينا - وليس « ثمانين » كما قلت أنت ، ومرجعنا في ذلك كتاب السيوطي « التبري من معرة المعري » وهذا أعظم دليل على قصور وسيلة النقل ، فالناقلون كثير وهم رواة من البشر جائز جدا أن يخطئوا ، لذا لزم التنويه والتأكيد على انك - أيها الأستاذ ثروت - قد أصبت في حين أخطأ الدكتور · والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

مهدي بندق

وبعد فهذا هو رأي الأستاذ مهدي واني أقدمه ولا أعلق عليه فان أكن أنا موضوع المناقشة الا انني لا أستطيع أن أدعي ما ليس لي بحق فأقتعد كرسي الاستاذ الذي يقتعده الدكتور الشكعة أو كرسي الدارس المتعمق الذي يقتعده الأستاذ مهدي بندق ·

وقصارى الرأي عندي انني ان كنت أصبت فبها والحمد لله وان أكن أخطأت فقد اعتذرت مرة من قبل وأكرر اعتذاري اليوم والحمد لله أيضا أولا وأخيرا انني أملك الجرأة على الاعتذار ·

أما انني اعتمدت على الذاكرة فأمر لا شك فيه·فهل أسعفتني الذاكرة أم لم تسعفني · هذا أمر أترك للأساتذة الدارسين أن يناقشوه واقف أنا بمعزل على الحياد ·

والله وحده ولي التوفيق

الأهرام ٣ يوليو سنة ١٩٨٩ م

أساور من حديد وصفيح

كم أشفق على أصحاب الرئاسة فى شتى مواقعهم ٠٠٠ وأكثر اشفاقى على هؤلاء الذين يحرصـــون على أن يقوموا بكل صـــغيرة وكبيرة فى مؤسساتهم ٠٠٠ ان هؤلاء يقضـــون على أنفسهم بالفشـــل الكامل الذى لا يدانيه فشل ٠

فأحسن الرؤساء هو الذى يختار لكل قسم فى مؤسسته رئيسا يثق فيه ويجعله ــ فى نفس الوقت ــ تحت عينيه يحاسبه ان أخطأ ويكافئه ان أصاب فان كان الخطأ جسيما نحاه وأتى بغيره ٠

أما رئيس العمل الذى يدعى انه يبت فى كل صغيرة وكبيرة فهو أجهل الناس بأصول الادارة ٠ ونتيجة جهله هذا انه سيقع فى أخطاء جسيمة حين يوقع ويعطل العمل تماما اذا لم يوقع ٠

وأغلب هؤلاء يفضلون عدم التوقيع وتكون النتيجة تكدس القرارات واذا كان العمل متصلا بالجمهور ضاع الجمهور وتبددت مصالحه ٠

وأعرف مسئولين يتولون مناصب كبرى هوايتهم جمع الرئاسات والاختصاصات فى يدهم ليتحكموا فى أقدار الناس وليعلوا فى الأرض متكبرين متغطرسين عتاة جزاؤهم كره من الناس شديد واحتقار وتجاهل لهم ٠

ولكنهم على موقفهم يصرون ويحسبون انهم آلهة فى الأرض خاب ما يحسبون ٠

ومن المؤسسات من ترى فيها جماعات تتحلق حول الرئيس كأنهم سوار من حديد ويكونون من أنفسهم جماعة ذات طقوس ماسونية لا تسمح للهواء الحر بأن يصل الى رئيسهم فى العمل انما يتنفس أنفاسهم وينطق ألفاظهم ويطيع أراءهم لأنه لا يعرف رأيا غير رأيهم ولا يسمع صوتا الا صوتهم ٠ فان سمعوا رئيس العمل يمدح موظفا ليس من جماعتهم فالويل والثبور لهذا الموظف يختلقون عليه الأكاذيب وينبشون قبور أهله بل وأصـــدقائه وينبثون فى الأرض منتشرين يبحثون عن أخطائه فاذا لم يجدوها اختلقوها فانهم يهلعون ان ينفذ واحد من ســـوارهم الحديدى

الصدىء الى أذن رئيسهم أو الى قلبه أو الى اهتمامه وهم يفزعون أن يتنفس هواء نقيا ليس من أنفاسهم فالسلطة هي معبودهم والتحكم فى أقدار الناس هو شغلهم الشاغل وهو وجودهم وكيانهم وحياتهم ٠

وهم حريصون كل الحرص على الا يصدر رئيسهم قرارا بترقية أو غير ترقية الا ان يكون هذا القر ر قرارهم ٠ فانهم يريدون لكل من يعمل فى المصلحة ـ التى رماها القدر فى أيديهم ـ الا يكون له ولاء الا لهم ٠ يسبح بحمدهم وحمدهم وحدهم ويشيد بفضلهم فلا فضل الا فضلهم وسبحان الله الملك الحق وعلا عما يدعون علوا كبيرا ٠

هؤلاء القوم يجهلون أنهم يجمعون على أنفسهم البغض والكراهية والمقت الشديد من كل الذين يعملون معهم لأن النتيجة الطبيعية لهذا الذى يرتكبون ان يكون السبق لأكثر العاملين نفاقا وليس لأكثرهم انتاجا ويتقدم الجهول الذليل ويتأخر الشريف الأمين ويضيع الحق ويفشو الباطل وينتصر الظلم ويتأخر العدل خجلان أسفا ٠

واذا كان هذا السوار يتحلق حول رئيس العمل من كبار الموظفين فانه يتلوه ـ دائما وبطبيعة الحال ـ سوار آخر من الصفيح يتمثل فى السكرتارية واللائذين بالسكرتارية ومن السعاة والمتصلين بالسعاة وان كان السوار الحديدى يبحث عن السلطة وحدها فان سوار الصفيح يبحث عن السلطة والمال الحرام فى وقت معا ٠

وقد شهدت مصر أمثلة كثيرة لهذه الأساور وكانت وبالا مقيتا وكانت شرا مستطيرا ٠

ولهذا الأساور أمثلة أكثر فى أيامنا هذه فى شتى المؤسسات قطاعا عاما كانت أو كانت قطاعا خاصا ٠

ولست أنسى ـ وأنا فى غمار هذا الحديث ـ مدى الظلم البين الذى شهده أستاذنا نجيب محفوظ فى عهد أحد وزراء الأوقاف حيث كان يعمل أستاذنا نجيب وكيف حرمته هذه الأساور من درجة يستحقها وظلت محجوبة عنه حتى نالها بحكم من مجلس الدولة بعد عشر سنوات من تاريخ أحقيته ٠

وانما ذكرت مثلا واحدا لأنه وقع على صديق لى يعرفه الناس أجمعون ولو شئت ان أذكر الأسماء التى وقع عليها هذا الظلم ما اتسعت جريدة الأهرام لها ولو جئنا للجريدة بعشرة أمثالها مددا ٠

وقد أقيل الوزير ونسيه الناس وجاء بعده وزراء كثيرون وخرجوا من الوزارة ٠

فليت هذه الأساور تذكر ان أى وظيفة الى زوال ولا يبقى الا وجه الله سبحانه وتعالى ويبقى ذكر الناس لصاحب الوظيفة وحكمهم عليه ٠

فليت هذه الأساور تعمل ليوم تزول فيه عنهم السلطة ولا يبقى منها الا ما قدمت أيديهم فى الأيام الخالية ٠

وليت هذه الأساور تذكر يوما لا ينفع فيه سلطان ولا مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سليم ٠

نحمد الله جل وعلا أن رئيسنا المبارك حسنى مبارك أبعد ما يكون انسانا عن تكوين جماعات حوله وأساور ٠ فكل صاحب رأى يجد منه ــ أبقاه الله ــ أذنا صاغية وقلبا لا يعنيه الا مصلحة الوطن والخير العام ٠٠٠ وفق الله خطاه وهدى الى السؤدد يمناه انه سبحانه قريب مجيب ٠٠٠

الأهرام ٣ يولية سنة ١٩٨٩ م :

خطابان

جاءنى هذا الخطاب الكريم من الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة وانى أنشره بجملته ..

أخى الأستاذ ثروت .. حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

فاننى أتابع بمودة وحب ما ينطلق به قلمكم البليغ على صفحتكم بجريدة الأهرام مثلما يتابعكم غيرى من صفوة المثقفين وجمهرة القراء ومن هنا كان حرصى على التعليق على ما جاء بمقالكم يوم الاثنين ٢٦ من يونيو تحت عنوان « خواطر عن الشعر والنفاق » فى حادثتين أو خبرين .

الأولى : القول بأن « أحد الأمراء استقدم أبا العلاء المعرى ليكون ضمن حاشيته » الى آخر الحادثة أو الخبر والصواب فى هذا الشأن ان أحدا ـ أميرا أو غير أمير ـ لم يستقدم أبا العلاء لمثل ذلك الغرض ، وانما المعروف ان أبا العلاء كان قد ارتحل فى شبابه الى بغداد لطلب العلم والأدب ، وكانت بغداد حينذاك مدينة النور بلغة عصرنا ، وكانت أشهر ندوة علمية فيها آنذاك هى ندوة الشريف المرتضى ، وكان أمرا طبيعيا ان يتوجه اليها أبو العلاء فقد كان الشريف المرتضى هو نقيب الطالبيين وعالم بغداد وأديبها وكان يبدأ مجلسه بشرح آية من القرآن الكريم ثم شرح حديث نبوى شريف . ثم يبحث فى الأدب من شعر ونثر ، وقد جمعت هذه الدروس جميعا فى كتاب نفيس من جزءين تحت عنوان « أمالى الشريف المرتضى » لا أشك فى انه على رفوف مكتبتك .. كان الشريف المرتضى هو الذى قصد اليه أبو العلاء وله قصة طريفة وهو يدخل المجلس اذ انه وهو يتخطى الصفوف اصطدم بأحد الجالسين والذى يبدو انه كان ضيق الصدر ، فشتم أبا العلاء قائلا : من هذا الكلب ؟ فقال له أبو العلاء : الكلب هو الذى لا يعرف للكلب ثمانين اسما ـ وفى رواية خمسين ـ ثم أخذ أبو العلاء مجلسه فى المنتدى وجاءت سيرة المتنبى فى حديث الشريف المرتضى بسوء وكان المرتضى يكره المتنبى كراهية غيره له ممن لم يفرقوا بين عبقرية المتنبى كشاعر وبين شخصيته كانسان ، وكان أبو العلاء مفتونا بالمتنبى حسبما هو معروف حتى انه شرح ديوان المتنبى فيما بعد وأطلق

عليه « معجز أحمد » أى أحمد بن الحسين وهو الاسم الحقيقى للمتنبى ، ثم كانت بقية الحادثة كما وردت في مقالكم · بقى ان ننبه الى أن غضب الشريف من القصيدة لأن بها البيت الذى يقول :

واذا أتتــك مذمتــى مــن ناقص   فهــى الشــهادة لى بأنى كامل

ان الشريف المرتضى كان أعرج ، والأعرج من حيث المفهوم اللغوى يلقب بالناقص ومجمل الخبر ان الحادثة لم تكن بين أمير وأبى العلاء وانما كانت بين الشريف المرتضى وأبى العلاء والخبر مشهور عند المهتمين بأبى العلاء والمتنبى على حد سواء وان غضب الشريف سببه أن كان ناقصا أى أعرج ومن ثم فقد كان أبو العلاء يعرض بالشريف ·

وأما الحادثة الثانية فتحتاج بدورها الى تصويب بسيط فقد جاء بنفس المقال ان المتنبى غضب من أن سيف الدولة قرب اليـه شـاعرا آخر ·· الى آخر الخبر ، والصواب ان سيف الدولة لم يكن قرب شاعرا آخر وانما كان المتنبى ينشد قصيدته المشهورة ـ ولعلها الأخيرة فى حضرة سيف الدولة ـ التى مطلعها ـ ·

وأحر قلبــاه ممن قلبــه شبم   ومن بجسمى وحـالى عنـده سقم

وفيها غلا المتنبى فى مدح نفسه والفخر بشعره غلوا شديدا ووجه ، اهانات واضحة للأمير سيف الدولة مما لا يليق ان توجه الى مثله ، فغضب الحاضرون ووجهوا الى المتنبى الفاظا غليظة وفى مقدمتهم الحسين بن خالوية الذى اتبع شتائمه بضرب المتنبى بمفتاح كان فى يده وتبع ذلك ان قذفه سيف الدولة بمحبرة كانت أمامه ، ومثل ذلك لا يحدث من ابن خالوية أو من الأمير نفسه الا اذا كان الشاعر قد تجاوز المعقول وخرج على المألوف والذى يقرأ القصيدة يدرك ذلك جيدا ، فما كان من المتنبى الذى جرح حقيقة لا مجازا الا ارتجل هذا البيت البليغ ··

ان كان سركم ما قال حاسـدنا   فمـا لجـرح اذا أرضـاكم ألم

والحاسد هنا لم يكن شاعرا آخر قربه سيف الدولة ، وانما كان العالم اللغوى النحوى الشهير الحسين بن خالوية أستاذ كل من سيف الدولة والأمير أبى فراس ·

وبعد فاننى على ثقة من أنكم فى زحمة افتتاح مجلس الشـورى وضرورة كتابة المقال اعتمدتم على الذاكرة التى تسعف أحيانا ولا تلبى أحيانا أخرى ، ولم تكن ملبية هذه المرة ·

الأخ العزيز الأستاذ ثروت ··

ان مودتى لك وحرصى على أن تظل صـفحتك بعيدة عن الهنـات

دفعانى الى أن أكتب اليك هذه السطور ، والمرء يسر حين يكتب لأحبابه ، والمحبة تسبق التصويب ، وتقبل مودتى وتقديرى ..

المخلص

مصطفى الشكعة

وبعد فهذا هو خطاب الدكتور الشكعة وانى أشكر له التصحيح وأصدقه القول .. اننى أعتمد فى الخطابات الأدبية التى أوردها بمقالى على الذاكرة وهى كما تقول تسعف أحيانا ولا تسعف أحيانا أخرى ، وانما اعتمادى فيما أروى على الغفران من الذى يعرف دقائق ما أروى ثم على التصحيح من الأساتذة العظام أمثالك ممن تتيسر لهم المراجع حين لا تتيسر لى ، فقد قرأت هذا الكلام وأنا بعد فى مطالع الشباب وبقى منه فى الذاكرة المجمل وتسربت التفاصيل فى مسارب الأيام وأنا حين أكتب هذا الكلام تعليقا على كتابك الكريم لا أعتبره يرد عنى الخطأ فقد أخطأت لا شك فى ذلك . والفضل لك كل الفضل حين ترد القصة الى أصلها التاريخى المحكم .

ولست أملك ازاء كتابك الا الشكر والاعتذار .

وانتهز الفرصة وأنشر خطابا آخر وصل من الأستاذ محمود محمد مهران المحامى .

أستاذى المحترم ثروت أباظة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

أكتب اليكم من أسيوط وهى فى جوف الصعيد ولذلك أكون سعيدا ولو وصلت اليكم رسالتى هذه حيث ان وصول مثلها بعد كثرة ترنحها فى عربات البريد بالسكة الحديد يعد أمرا جديرا بالاشادة به ، فان وصلت اليكم فذلك خير كثير لى وان لم تصل فحسبى اننى سعيد الى خير لم أنله وكما قال الشاعر :

على المرء أن يسعى الى الخير جهده   وليس عليه أن تتم المطالب

أستاذى قرأت حديثكم فى الأهرام عن الشاعر على الجارم رحمه الله تعالى فوددت أن أخاطبكم بما يلى :

أولا : ذكرتم ان الجارم رحمه الله قد مات فى ٨ فبراير ١٩٤٩ ولكننى قرأت ان وفاته كانت عام ١٩٤٨ وهو يشهد حفل رثاء ويستمع لقصيدة من قصائده يلقيها ابن له فى رثاء سياسى مصرى ، فكم أكون سعيدا لو تفضلتم بتبيان هذا الأمر ومن هو ذلك السياسى المصرى المرثى .

ثانيا : ذكرتم أبياتا من قصيدة له عن أمير الشعراء شوقى حيث قال :

ويرســـم أندلســـا بالـــيراع   نتلمس كفـــك أســـوارها

وبعده ورد بيتان آخران وفى الحقيقة فاننا يجب الا نغفل شاعرا قديما مجيدا كان أسبق من الجارم الى مثل هذا الوصف وهو البحترى حيث قال فى وصف ايوان كسرى :

فـاذا ما رأيت صـــورة انطاكيـة   ارتعـــت بـين روم وفـــرس

والمنـايا مواثـل وانو شـــروان   يزجى الصـــفوف تحت الدرفس

تشـــهد العـين انهم جـد أحيـاء   لهـم بينهم اشـــارة خـرس

يغتـلى فيهـم ارتيـــابى حتى   تتقراهـــم يـــداى بلمس

وقبل انهاء رسالتى فان للجارم أبيـاتا يتحدث فيهـا عن العروبة ويخص فيها سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بأبيات رائعات وددت أن أذكركم بها ، فيقول مخاطبا سنا الشرق :

وشاهدت وسـط الجحفلين محمدا   وبين هدى الايمان والشرك مصرع

ان صـــال فالدنيـــا مجر رماحه   وان قال فالأيام عـــين ومسـمع

ألم تره فى بردة الليـــل ساجدا   ومنـه دروع الروم حيرى تفزع

سنا الشرق أشرق وأبعث النور ساطعا   يشق دياجير الظـــلام ويصـدع

وأخيرا تقبل وافر تحياتى والى رسالة أخرى ان شاء الله المرسل محمود محمد مهران المحامى ٠

أما سؤالك عن المناسبة التى توفى فيهـا الشاعر الكبير الأسـتاذ الجارم فأنا فى الحقيقة لا أذكرها أما تاريخ وفاته فهو مكتوب فى الديوان الذى تحدثت عنه وقد تم طبع الديوان باشراف أبنائه وهم أساتذة لهم كل توقير واحترام منهم د٠ أحمد الجارم ٠ ومنهم الشاعر الرقيق بدر الدين الجارم ٠

أما الأبيات التى تفضلت فذكرت الشبه بينها وبين أبيات الجارم فهذا أمر ليس جديدا على الشعر العربى ٠ وأذكر أن أحد كبار النقاد قال عن الشعر ان الصياغة فيه هى الأساس وان المعانى لقى فى الطريق ٠ فلا بأس على الجارم فى التشابه ٠

وأشكر لك اهتمامك ولك خالص تحيتى ٠

الأهرام ١٧ يولية سنة ١٩٨٩ م

الثغر الباسم

لاترى حقيقة الناس الا حين يلتئم منهم شمل ويجتمع لهم جمع ٠٠ وقد جئت الى الاسكندرية أحمل على أكتافى كل ما تعانيه مصر من ازمات وكل ما تنشره الجرائد من مرارة ٠ وحسبت اننى سأجد الثغر فى الاسكندرية مكشرا عن أنيابه مما تطالعه به الصحف من جهامة ٠ أو أرى فى وجهه قترة الحزن وتقطيب مهموم وكيف لا أنتظر ذلك والصحف لا عمل لها الا مطالعة الناس بكل ما هو باك يئوس بلا أمل ٠ ولا بارقة من اشراق ٠

البطالة وويل لمصر من البطالة ٠ لا تخلو صحيفة من الحديث عنها٠ وأعتقد ان البطالة مصدرها الحقيقى رفض خريجى الجامعة أن يعملوا فى الأعمال اليدوية التى تنقصنا فيها الأيدى العاملة وهكذا أصبحنا بين الشعوب عجبا ٠

بطالة فى ناحية ونقص فى الأيدى العاملة من ناحية أخرى وهو أمر ما رأيناه ولا سمعنا به فى أى بلد من البلدان وهذا فى تصورى ــ تخلف فى التفكير وتمسك بتقاليد عفى عليها الزمان وأصبحت لا تصلح لأيامنا هذه بأية حال من الأحوال ٠

ومع ذلك يصر خريج جامعة على أن يجلس الى مكتب بمرتب شهرى حقير ويرفض أن يعمل فى عمل يدوى بدخل يومى كبير !

وتصيح الصحف أدركوا الشباب من البطالة ٠

ونرى فى الصحف أزمة السكن ومع نفس الحبر وفى نفس الصحيفة الاقبال الحاشد على الزواج حين سرت بين الناس شائعة كاذبة مؤداها أن مواثيق الزواج توقفت عن التداول !

وأزمة نقود ونرى معها السيارات الفارهة تزحم الشوارع ونسمع عن أثمان الشقق فى العمارات الفاخرة فنسمع عجبا وجنونا وهوسا ماله من مثيل يقول بعضهم ربع مليون ويقول بعض آخر بل نصف مليون وبصوت هامس كفحيح ثعبان ضخم بل مليون ٠٠

ويل للناس من الناس ·· كيف يقبل انسان على نفسه أن يعيش في بيت ثمنه يتراوح بين ربع مليون ومليون ولا يفكر في اخوان له في الوطن يكادون لا يملكون قوت يومهم ؟ ··

ولا تكتفي الصحف بهذا بل هناك أنباء هذا الوبال الجديد الزاحف على مصر بمخدرات يشمها من يشم أو يبتلعها من يبتلع أو يدخنها من يدخن ··

وهيهات أن أستقصى كل ما نصبح عليه من أنباء بل ان بعض الصحف والاذاعات لم تكتف بهذا البلاء بل هي تخوفنا من بلاء آخر قادم في طوايا الزمن من بحر سيأكل الدلتا جميعا بعد ما لا أعرف من السنين وكأنما حللنا مشاكلنا الحالية وأصبح واجبا علينا أن نبحث مشاكلنا التي ستأتي بعد السنوات الطوال ·

كل هذا يتحمله قارىء الصحف والى جانبه أيضا مصائب الأفراد من اغتصاب الى قتل الى سرقة الى حوادث من كل ذى عجل أو ذات جناح !

ويل للانسان من الانسان ···

ليس عجيبا اذن أن أتوقع وأنا في طريقي الى الاسكندرية أن أجد العبوس والأسى والحزن على شواطئها فالجموع هناك تجسم الحقيقة ·· وفي الحشد الحاشد ترى ما لا تراه عند الشخص المنفرد ·

سبحانك جل جلالك يامللك الناس وملاذهم ومرفا الأمن والطمأنينة في حياتهم ··

الناس هنا سعداء يطفح البشر على وجوههم كأنهم يعيشون في وطن غير الوطن الذى تصدر فيه هذه الجرائد والتي تذاع فيه هذه الأنباء ·

هم في البحر يسبحون ويقفزون وهم يتضاحكون في سعادة هادرة داخل نفوس لا دخل فيها ولا تكلف ولا اصطناع · وفيم يتكلفون ولمن ولكن هو الله سبحانه في قدرته المعجزة أرسل الطمأنينة الى قلوبهم فهم يعلمون ان في السماء رزقهم وما يوعدون ·· وان ما قدره الله كائن وعليه فليتوكل المؤمنون ·

انهم جميعا مؤمنون حتى من يخطىء منهم أو يرتكب معصية هو في داخل نفسه ذو ايمان عميق وما الخطأ منه الا ضعف انسان هو بعده عائد الى الله تائب منيب ·

وان لم يكن مؤمنا عميق الايمان فكيف يستطيع أن يضحك ويسبح ويقفز في البحر مرحا وهذه الأنباء القائمة تحيط به من كل جانب ··

بهذا الايمان عاشت مصر على مدى القرون ..

بهذا الايمان واجهنا الاحتلال من عهود الفراعنة حتى اذن له الله أن يمحى .. والعجيب المذهل ان روايات التليفزيون تزيد الأمر بؤسا وقتامة وكيف بك وأنت ترى مسلسلا الأخ فيه يأكل أخاه ويحتال عليه وينزل به من الشرور ما لا تدعو اليه حاجة .. فالشرير غنى والمظلوم فقير ولا يكتفى المؤلف العبقرى بشرير واحد بل يصنع شريرا آخر يعتبر مثالا غاية فى الحقارة غير المبررة . وتستمر الحلقات وتنتهى فاذا بالشر ينتصر انتصارا باهرا واذا بالمظلوم يأكل حريق دبره له الشر أيضا !!

ومع ذلك فالجموع الزاخرة فى الاسكندرية سعيدة بلا عون الا عون الله فاذا تلمست من التليفزيون سلوى وجدته يزيد الهم هموما والحزن أحزانا ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز ذى القوة المتين ..

الأهرام ٢٤ يوليو ١٩٨٩ م

وا أزهراه

وقعت امرأة من اشياع المعتصم فى يد أعدائه فراحوا يعذبونها عذابا نكرا ولم تجد المرأة ما تفعله الا أن تصيح بأعلى صوت لها « وامعتصماه » وسخر منها زعيم معذبيها قائلا :

ـــ سيأتى اليك على الخيل البلق • (والأبلق من الخيل ما فيه سواد وبياض) •

وسمع المعتصم هذا الحوار وأقسم ليردن كيد عدوه الى نحره وأعد جيشا من الخيل البلق وأرسله الى المرأة وأنقذها من يد أعدائه ومعذبيها •

وأصبحت الحكاية أمثولة يضربها من يكتبها اذا أراد أن يطلب الغوث والانقــاذ •

فدعونا اليوم نحن المسلمين نصيح بأعلى صوت لنا « وا أزهراه » أين أزهرنا وما له يضرب دون صياحنا استارا تبعد به عنا •• اننا نريده لينقذنا من جهلاء الدين الذين يفتون فيه بلا علم ولا تعمق أولئك الذين حسبوا الاســلام لحية وجلبابــا ونعــالا • وهم بما يفعلون يظنون انهم يحافظون على ديننا وهم أبعد ما يكونون عنه • تعاظم الاسلام أن يكون لحية وجلبابا ونعالا •

الاسلام هو حياتنا الأولى والثانية هو عصامنا وايماننا أحب الينــا

وتنعقد الندوات ونرى فيها مشايخ أجلاء ليس من بينهم من يمثل الأزهر لتكون الكلمة منه صادرة عن أعظم جامعة اسلامية فى العالم وعن أقدم جامعة عرفها التاريخ •

جدير بنا أن نقدم التحية الى مفتى الديار المصرية والى وزير الأوقاف فكلاهما يبذل فى هذه الندوات الجهد الجهيد ولست أدرى ولا يدرى أحد لماذا لا يشارك الأزهر بصفة رسمية فى هذه الندوات بأن يرسل واحدا من شيوخه ممثلا رسميا له •

وا أزهراه هناك من تجرأ وادعى ان المخدرات ليس على متعاطيها حرج وأن الاسلام لم يمنعها • وربما يكون الأزهر قد أصدر بيانا متخافت الصوت

خفيض النغمة • لماذا لا يشارك الأزهر فى كل ندوة عن المخدرات ليكون رأيه مرجعا حاسما •

وكنت قد ناديت من سنوات أن يكون حفظ القرآن الكريم شرطا لمن ينتسبون الى الكليــات الدينية • ولقيني شــيخ الأزهر فى ذلك الحــين د• بيصار ووعدنى أن الذى أطالبه به سيكون ساريا فى مدى عامين ومر قرابة عشرة أعوام وما أحسب أن ما ناديت به تم •

وأذكر ان المرحوم الشيخ الجليل أحمد الباقورى ناقشنى فى هذا وكان من بين ما قال ان الصحابة لم يكونوا جميعا يحفظون القرآن الكريم فقلت له أنا أطالب بحفظ القرآن الكريم لأن الدارسين للدين اليوم ليسوا صحابة •• كفى الصحابة علما نور النبى الذى كانوا حوله • أما الدارسون اليوم فليس لهم عاصم الا القرآن الكريم وقلت له أيضا ان المشايخ لم يكونوا يلحنون فى اللغة العربية وكثير من خريجى الأزهر اليوم لا يستقيم لسانهم العربى وما ذلك الا لأنهم لم يحفظوا القرآن الكريم •

واننى حين أنادى بحفظ القرآن الكريم لا أطالب بذلك محافظة على القرآن الكريم فالذى أنزل القرآن وعد بحفظه وانفذ وعده فعلا • وأصبح القرآن الكريم بأمر الاله الأعظم خالدا على الزمان ولا يحتاج الى من يحفظه ليخلد وانما ندعو أن يحفظ رجال الدين القرآن الكريم ليستقيم لهم هم دينهم ولسانهم • وليستطيعوا أن يكونوا أهلا للفتوى فى الدين واللغة جميعا •

ولست فى حاجة الى أن أبين مقدار ضخامة الوشائج التى تربط بين القرآن الكريم وبين لغته •

يقول سبحانه وتعالى « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه • بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » •

وا أزهراه من اللغة العربية ان لم تكن أنت تأتى الى المخطابات من بعض المتخرجين فى الكليات التى تدرس اللغة العربية يفشوا فيها للأسف الشديد أخطاء نحوية بل واملائية أحيانا فواضيعتاه للغة القرآن الكريم اذا لم يحافظ عليها أزهرنا والمصابيح المهداة من أشياخه •

لماذا يعتزل الأزهر الشريف دنيانا وماله لا يشارك مشاركة رسمية فى الأزمات التى نتعرض لها •

وا أزهراه •• أما كان جديرا بك أن تتصدى لما يحدث فى لبنان • الا من بيان والمسلمون هنــاك يقتل بعضهم بعضا • ان أزهرنا الشريف

صاحب قيمة عليا فى جميع البلاد التى يسجد فيها مسلمون لذى العرش سبحانه وتقدست آلاؤه ٠

وا أزهراه ٠٠ أما كان يخلق بك أن تتصدى لما يجرى فى أفغانستان وهى حرب المؤمنين المسلمين ضد الطغاة الغاشمين الذين يدعون انهم يدينون بدين الشيوعية ٠

الأهرام ٧ أغسطس ١٩٨٩ م ؟

وميض

في ضباب الأزمات ووسط ضجيج الأزمات في لبنان وأفغانستان يندلع الى سماء الأمل اشعاعات من نور ترد عنا اليأس وتهب لنفوسنا وميضا من الهناء والسعادة ٠

فقد كان للعرب دائما السبق في مجالات العلم ، وكانت أسماء العلماء العرب علما شامخا يحدو سماوات العلم والثقافة والكرم والعطاء في شتى عصور ومختلف مجالات ولعل أشهر الأسماء التي لا يزال العالم كله يسير مقتفيا ما تركوه من آثار ٠ ابن خلدون وابن سينا وغيرهم كثير ممن لا تسعف بأسمائهم الذاكرة وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تعود الأسماء العربية تتردد على ألسنة الانسانية وكانت بادرة خير حصول أديبنا الفذ وأستاذنا الكبير نجيب محفوظ على جائزة نوبل في الآداب ليعلن الى الدنيا في جميع أنحائها ان العالم يتابع دائما العصير النقي الكريم لعقول مثقفينا ويدرس ما تنتجه العقول العربية ومهما يطل الاهمال من العالم للرفيع الصريح من انتاجنا فلابد أن يأتي الوقت الذي لا يستطيع فيه أن ينكر فضل ريادتنا وعمق فكرنا وشمول دراساتنا ٠

وما هي الا شهور قليلة حتى تخرج علينا وكالات الأنباء العالمية تعلن انتخاب العالم المصري الكبير الأستاذ الدكتور ممدوح جبر نقيب الأطباء رئيسا للاتحاد العالمي لجمعيات أطباء الأطفال في العالم وهو يعد بحق أكبر منصب علمي عالمي في مجال طب الأطفال وما جاء هذا الانتخاب الا اعترافا بدور الدكتور ممدوح جبر الرائد وخطواته المتميزة في هذا المجال وكان وبحق هذا الانتخاب فوز لمصر والدول العربية جميعا وتقديرا للرسالة السامية التي يحمل العرب لواءها المتميز ٠

ولا ننسى ونحن في مجال الطب أن نذكر الجراح المصري العالمي الدكتور مجدي يعقوب الذي أصبح في غنى عن أي تعريف بما صنعته أنامله – بفضل من الله تعالى – وبما منح من الأمل لقلوب شاء قدرها أن تتوانى في طريق الحياة والدكتور ذهني فراج جراح القلب المشهور وابن البلد المصري الذي لم تجرؤ برودة انجلترا أن تمس دفء لقائه بمرضاه العرب أو تنال من رحابة صدره وسعة قلبه وهو أمر ذاع فسمعناه ونرجو

الله ألا نجربه عن تجربة شخصية الا أن يكون لقاء معجب بمعجب به لا مريض بطبيب ٠

وأن يذيع أمر هؤلاء بين الناس أمر هو فى ذاته اشراقة عربية ترغم لمكافحة السرطان وجاء هذا الاختيار باجماع العلماء ورجال الطب

ثم جاء أخيرا نصر جديد للعرب فى لندن فى نهاية الشهر الماضى حين أختير سمو الأمير تركى بن عبد العزيز رئيسا فخريا للاتحاد العالمى لمكافحة السرطان وبماء هذا الاختيار باجماع العلماء ورجال الطب والشخصيات الانسانية العامة الذين شاركوا فى الندوة العلمية فى لندن من بين عدد كبير من المرشحين لهذا المنصب ولعلها المرة الأولى فى عمر هذا الاتحاد العالمى الذى أنشىء عام ١٩٣٣ أن يقع الاختيار على شخصية من غير الأطباء ٠

وقد صادف هذا الاختيار أهله بحق فالذين يعرفون الأمير تركى ، يعرفون عنه الشهامة والخلق واهتمامه الكبير بالخير ورعايته الشاملة للمؤسسات العلمية والطبية والانسانية ان اهتمام الأمير تركى بدعم المؤسسات الطبية بمختلف فروعها يعكس اهتماما واضحا منه بضرورة العرب حتى لقد أصبحت « المؤسسة العالمية لمساعدة الطلاب العرب »

وقد جاء اهتمامه هذا استكمالا لخطوات كبيرة واثقة فى دعم الطلاب العرب حتى لقد أصبحت « المؤسسة العالمية لمساعدة الطلاب العرب » صرحا شامخا يذكر دائما مقرونا باسم الأمير تركى الذى أعطاها من ماله وجهده الكثير وقد شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء وأصبح لسمعتها الدولية ثقة دفعت الجامعات الكبرى فى العديد من الدول على رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الى تخصيص عدد من المقاعد العلوية للطلبة الذين ترعاهم المؤسسة ٠٠٠

ان اختيار الأمير تركى فى هذا المنصب الرفيع تقدير تعتز به العروبة التى ثبت دائما انها رائدة متميزة فذة مهما تتباعد أضواؤها حينا من الدهر عن سماوات العلم والثقافة والمجتمع الانسانى ٠

محاولة هذه منى أن تشرق نفوس من العرب عاشت وتعيش أزمات طاحنة خبا فيها البريق وأعجزها اليأس ولولا ايمان لها بالله قوى لايتزعزع لانهار الصلب من عمادها وتحطم الشامخ من عمودها وزلزل الثابت من يقينها ولكن الله اللطيف بعباده لا يزال يمدهم بلطف منه كريم لا ينقطع برطب الهجير من الحياة ويدفىء الزمهرير من البرودة ٠ فما من كارثة والا معها لطفها سبحانه هو القاهر فوق عباده وهو نفسه تقدست آلاؤه الذى كتب الرحمة على نفسه وهو القريب أقرب من حبل الوريد يجيب

دعوة المضطر والعانى بوسائل لا تكون الا من عنده وبيده هى الرحمة وهى الصبر وهى الاشراق جل علاه ··

يكثر الحديث عن الكاتب والتزامه واعجب فليس هناك كاتب يستحق هذا اللقب الا أن يكون ملتزما · فالكاتب يمثل القيم العليا فى المجتمع ويدعو اليها ويحث عليها وأخلاق الأجيال تتكون من المعانى الرفيعة التى تدعو اليها كتابات الكتاب ··

والمعانى السامية تأخذ سمتها الأسنى مما يكتبه الكتاب ··

فالأعمال القصصية والروائية والمسرحية تتسلل الى خفايا النفس وخبىء الحنايا من المشاعر البشرية لتثبت هناك معانى الشرف والنزاهة والكبرياء ومجابهة الظلم ومواجهة الطغيان والعفو عند التمكن والوقوف مع الضعفاء والمطحونين ونجدة الصديق عند العسرة ··

الأهرام ١٤ أغسطس ١٩٨٩ م ¤

بين الالتزام والالزام ٠٠٠

كل هذه المعانى وغيرها هى مضمار الأعمال الأدبية والفنية وهكذا يكون الكاتب ملتزما وهذا الالتزام لا يفارق الأديب وهو نابع من دخيلة نفسه ٠٠ وما رأينا كاتبا يدعو الى الانحلال أو الجبن أو الخيانة أو السرقة أو الضعة أو السفول واستحق أن ينال لقب كاتب ٠ وهو لقب لا يمنحه حاكم أو ملك أو سلطان انما تمنحه للكاتب الجماهير التى تقرأ له فهى وحدها التى تجعل منه كاتبا أو لا تجعله ٠ وهذه الجماهير لا تصلح عندها وساطة ولا ينفع لديها رجاء فأما انه تجعل الكاتب كاتبا من تلقاء نفسها ومن لقائها المباشر به أو لا تجعله ٠

ليس فى العالم قوة الا مشيئة الله جل علاه تستطيع أن تفرض كاتبا على جمهور ٠٠ وليس فى العالم قوة الا مشيئة الله جل علاه تستطيع أن تمنع كاتبا أن ينال مكانته عند الجماهير ٠٠ وليس يجدى فى هذا مديح كل السلاطين فى العالم ٠٠ ولا تجدى أيضا أوسمة الدنيا كلها وألقابها ٠٠ انما الكاتب بقرائه ٠٠ فاذا استطاع عهد من عهود الطغيان أن يفرض كاتبا بأن يأمر بنشر ما يكتب فى جريدة ما أو فى جرائد عدة ٠ فلا بأس سينشر ما شاء ويكتب ما حلا فى جريدة أو ألف اذا شاء ولكن حين يأتى دور القارىء فهو واحد من اثنين أما قارىء يسخر مما يكتبه الكاتب ، أو قارىء يمتنع عن القراءة وهكذا يدرك الحاكم الطاغية انه عاجز وان الله وحده هو مقلب النفوس وهو الذى يهب لها الحب أو الكره ويهيىء لها الاقبال أو النفور ٠

وهكذا نجد أنفسنا ما دمنا تكلمنا عن الحاكم والكاتب نميل الى الالتزام وننأى به كل منأى عن الالتزام ٠

الالتزام ينبع من نفس الكاتب ومن صادق حسه بغير أن يفرضه عليه أحد أما الالزام فهو ما تسير عليه دول البغى والبطش من العدوان والدكتاتورية وهى دول فشلت أن تصل بالزامها للكاتب الى ما تريد ٠٠

ان الكاتب لا يزدهر ولا يشرق ولا يصل الى قمته ان لم يصدر فيما يكتب عن نفسه هو ٠٠ وقد يضطر كاتب أن يخضع لسلطان غشوم ولكن

القلم ينفر منه ويصبح ما يكتبه بعيدا عن نفوس الناس .. وللناس ذكاء خالق يهتك ما وراء الاستار ويكشف الخفى من الأسرار .. سيعلم الناس من القراء أن كاتبهم أرغم على ما يكتب فيصبح ما كتبه غثاء أحوى غير ذى أثر عليهم ولا قيمة .

والناس تغفر للكاتب ما أرغمه عليه الحاكم الطاغية فهم يعرفون قسوة الطواغيت وبلاءهم وبلواهم .. حتى اذا ارتفع القهر عن الكاتب عرف القراء أنه عاد الى نفسه وعادت نفسه اليه وأقبلوا عليه كما تعودوا أن يقبلوا على كتابته حين كانت متحررة من القهر والالزام . فالالزام كارثة تشل الصلة بين الكاتب والقارىء وتحطمها وتمزقها تمزيقا . وعلى مدى السنين والأيام ما اصطرع حاكم وكاتب الا كان النصر للكاتب حتى وان قتل الطاغية الكاتب .. فانه حين يفعل يجعل من الكاتب شهيدا ويصير اسمه شهيرا جهيرا فى أرجاء المعمورة جميعا .

ولقد شهدنا دولا عذبت كتابا وعلماء .. وأطالت عذابهم وأفحشت فيه ولكن النصر كان أخيرا للكتاب والعلماء . ومهما يمدح المؤرخون الطغاة فانهم حين يصلون الى قهر الطاغية للكلمة الحرة يضطرون الى توجيه اللوم للطاغية وتفنيد عدوانه تفنيدا شديدا .

كنت أقرأ كتابا لأحد الكتاب الفرنسيين عن نابليون .. وكان الكاتب معجبا غاية الاعجاب بنابليون حتى انه وهو الكاتب المعاصر الذى لم ير نابليون قط كان يتكلم عنه بضمير الجمع المتكلم فيقول ذهبنا وكتبنا وحاربنا وهكذا اعتبر نفسه جزءا لا يتجزأ من الامبراطور ..

وحين بلغ الى الحرية فى عهد نابليون اضطر أن يقول ما معناه الواقع أن الحرية فى عهد الامبراطور كانت قتيلا فقد كان يمنع الكتاب أن يكتبوا رأيهم حتى لقد بلغ عدد الصحفيين الذين سجنوا فى عهده أربعة وعشرين كاتبا .. طبعا الكاتب الفرنسى لم يكن يعلم ما سيجرى بعد ذلك فى عهود طغيان أخرى والا لاعتبر هذا العدد الذى يراه ضخما ضئيلا غاية الضآلة اذا ما قارناه بأعداد المعتقلين والمعتدى على أعراضهم وحياتهم وهم فى سجون المعتقلات .

لا علينا ..

انما الكاتب له أيضا وسائله .. فاذا منعه الطاغية أن يقول كلمة الحق صريحة واضحة مباشرة وجد وسيلته فى الرمز والاشارة وفى الكلمة التى تحمل المعانى الخفية ليدركها القارىء .. فالقارىء أذكى الناس حين يقرأ لكاتبه .. وكثيرا ما أدرك القارىء ما غاب عن بعض نقاد ومتخصصين .

فالكلمة الحرة تستطيع دائما أن تتنفس وأن تنطلق وقد يكون انطلاقها فى صاروخ الرمز أقوى ألف مرة من مركب المباشرة والوضوح .

استدراك

فأتنى أن أذكر من بين الأطباء العرب العالميين الذين ذكرتهم فى الأسبوع الماضى اسم الدكتور العربى العالمى أحمد عكاشة ٠ مع أنه يمثل مصر فى المؤتمرات العلمية التى تجتمع للطب النفسى والأعصاب فى العالم أجمع وهو الآن رئيس الجمعية المصرية للطب النفسى والأعصاب ومرشح لرئاسة الجمعية العالمية لأطباء النفس والأعصاب ٠٠ رافعا بذلك اسم العرب ومصر ليصبح فى تخصصه علما خفاقا عربيا مصريا سماؤه العالم كله ٠٠ نرجو أن نهنئه قريبا بانتخابه للجمعية العالمية التى تشير بوادرها انها ستختاره رئيسا لها ان شاء الله ٠

الأهرام ٢١ أغسطس ١٩٨٩ م

سمعة أمراء الكويت يفوح

منها دائما أريج عبق العدالة والحرية

فى اطار ترحيب كل الأوساط المصرية بزيارة أمير الكويت سمو الشيخ جابر الأحمد لمصر ٠٠ قال الأستاذ ثروت أباظة وكيل مجلس الشورى ورئيس اتحاد الكتاب بمصر : الحقيقة ان زيارة أمير الكويت لمصر هى زيارة أخ لأخوته وشقيق لاشقائه ونحن حين نقول ذلك عن زيارة سمو أمير الكويت للقاهرة فهى حقيقة لأن مصر بالنسبة للكويت تعتبر نفسها أرضا واحدة ومشاعر واحدة ولا يتصور القراء كم كان أسفنا حين نسمع عن أحداث تقع فى الكويت وكأنها تقع فى مصر نفسها وهذا شعور لا يكون الا بين أخوة ٠٠ وليست أخوة حكم فقط ولكن أخوة فى الشعب ٠٠ مشاعر الشعب المصرى تحمل للشعب الكويت وأمرائه أعظم التقدير وأعظم الاخلاص وخاصة ان سمعة أمراء الكويت عندنا يفوح منها عبق جديد دائما فى العدالة وحب الحرية والديمقراطية وهذا أمر يجعلنا نشعر أن أخواننا الكويتيين يعيشون فى بحبوحة من الحرية وكل نظام لا تكون فيه حرية الواقع أنه يكون وبالا على الشعب والحرية التى يعيش فيها وينعم بها اخواننا فى الكويت تدعونا الى الاكبار والاجلال لكل الحكام الذين يتولون مسئولية العمل فى الكويت وعلى رأسهم أمير البلاد ٠

وأنا أتصور ان أمير الكويت فى لقائه مع الرئيس محمد حسنى مبارك سيناقش العديد من القضايا بحكم موقعيهما فى بلديهما العربيين فالعرب لن يكونوا القوة الثالثة فى العالم الا بالتآخى والتكاتف والتوافق والتواصل بين بعضهم البعض ٠

وأرى ان من أهم القضايا التى يجب ان تطرح على بساط البحث بين سمو الأمير والرئيس مبارك القضايا الاقتصادية للوطن العربى ٠٠ قضية لبنان ٠٠ وقضية أفغانستان ٠٠ وقضية ايران ٠٠ فالقضايا ضخمة وكبيرة وثقتى كبيرة فى أن خبرة أمير البلاد أمير الكويت وخبرة الرئيس واسعة على طريق الحل لكل القضايا المطروحة على مائدة البحث والمناقشة ٠

وحول العلاقات الثقافية بين دولة الكويت وجمهورية مصر العربية تحدث ثروت أباظة رئيس اتحاد كتاب مصر فقال : سأعطيكم مثلا : حين

ذهبت الى الكويت عام ١٩٧٣ لأول مرة عقدت ندوات فى جميع مكتبات الكويت ودهشت اننى لم أدخل مكتبة الا ووجدت فيها كتبى جميعا كاملة حتى ما كان منها قد ظهر قبل زيارتى بشهر أو شهرين وجدتها فى مكتبات الكويت والمكتبات العامة وهذا أمر يدل على مدى التلاحم الثقافى والفكرى بين مصر والكويت ٠٠ كما أننى لم أدهش لأننى وجدتهم فى الكويت يعتبرون أدبهم أدبنا وأدبنا فى مصر أدبهم وهم دائما يعلقون على ما نكتب ويكون مثار جدل بين المثقفين هناك ٠٠ وهكذا الأمر أيضا بالنسبة لنا ٠

وهناك بالطبع العديد من القضايا الثقافية التى يجب ان تناقش على هامش زيارة سمو أمير الكويت للقاهرة ومنها تبادل الكتب والمكتبات وليت الكويت تعاوننا فى ترجمة الأدب العربى الى اللغات الحية حينئذ يكون التعاون الثقافى بيننا مثمرا ومؤديا الى نتائج عظيمة جدا لشعبينا وللأمة العربية كلها ٠ وليت الكويت ومصر تقيمان دارا خاصة لترجمة الأدب العربى وخصوصا الروايات والمسرحيات والقصص وقد استثنيت ترجمة الشعر ٠٠ لأن الشعر عندما يترجم يفقد مذاقه وجان بول سارتر له كلمة عظيمة عن الشعر يقول فيها الشاعر يخدم اللفظ والكاتب يستخدم اللفظ فاللفظ سيبهت اذا ترجم الشعر من العربية الى غيرها ، لكن البحوث والقصة القصيرة الروايات والمسرحيات اذا ترجمت الى الأدب الغربى تبقى معانيها وفحواها كما هى ٠

واننى بصفتى رئيس اتحاد الكتاب فى مصر أرحب كل الترحيب بالأخ القادم الى بيته الأكبر وأنا أثق ان مشاعرهم تتعاطف مع مشاعر الشعب المصرى كما تتعاطف مشاعر الشعب المصرى مع مشاعر الشعب الكويتى ٠

جريدة السياسة ٢٨ أغسطس ١٩٨٩ م

الأزهر عند الأقباط

أقدم بين يدى القراء هذا الخطـــاب الذى وصلنى من الأســتاذ حليم فريد تادرس .

استجابة لطلبك الغوث والانقاذ بعنوان « وا أزهراه» ـ أهرام ٨/٧ ـ وسؤالك : أين أزهرنا ؟ وهو أزهرنا أيضا نحن المسيحيين أقباط مصر وليس أزهر المسلمين فحسب لأنه أولا مجمع لحماية الدين الاســلامى الذى كفل لنا نحن المسيحيين حرية العقيدة والاعتقاد وهما أسمى ما يملك الانسان ، ووضع قوله تعالى « لا اكراه فى الدين » عنوانا لمعاملاته مع غير المسلمين ولأن من فوق منبره ـ ثانيا ـ خطب أقباط مصر سنة ١٩١٩ ضد الاستعمار الانجليزى وهو ثالثا ـ الذى خضع له الحكام والأمراء وتزعم الحركات السياسية الكبرى وكان حربا على الظلم والطغيان وعوانا على الحكام الظالمين « حتى ٢٣ يوليو !! » وهو رابعا ـ الذى حفظ ما بقى من التراث العلمى والعربى وقاوم عوامل الانحلال والضعف والعجمة خلال العهد العثمانى ، وهو خامسا ـ ومن قبل ومن بعد ـ جامعة كبرى للتربية والتعليم الدينيين ، أقول استجابة لطلبك الغوث والانقاذ ولأن الأزهر هو أزهر جميع المصريين .

أشاركك استغاثتك وأعتذر عن الانقاذ طالما بقى « قانون تطوير الأزهر » الصادر سنة ١٩٦١ وهو القانون الذى بمقتضاه تحول الأزهر الجامع والجامعة الاسلامية الكبرى الى جامعة مدنية شائهــة وممسوخة يدرس فيها الطب والصيدلة والهندسة والمحاسبة والزراعة والترجمــة الفورية حتى كلية الدراسات الاسلامية غيروا اسمها قبل سنوات قليلة الى كلية الدراسات الانسانية مع أن الدراسات الاسلامية أشمل وأعم من الدراسات الانسانية ، وكلية دار العلوم وطوروها الى كلية مدنية يلحقون بها حملة الثانوية العامة من الحاصلين على أدنى مجموع درجات ليتخرجوا فيها معاول هدم للغة القرآن الكريم ، وبمقتضاه أيضا الغيت « جماعة كبار العلماء » التى قامت منذ سنة ١٩١١ لتتفرغ لدراسة أمهات الكتب فى العلوم القديمة وتكليف كل عالم من أعضائها بتدريس العلم المتمكن منه بالطريقة الأزهرية فى التدريس ولكى تكتمل الحلقــة الجهنمية أدخلوا

شيوخ الأزهر فى دائرة الكادر المدنى ليكون من بينهم « المدير العام » و « وكيل الوزارة » و « نائب رئيس مجلس الوزراء » وفى مستهل العام الحالى دعانا الجهاز المركزى للتنظيم والادارة بالقاهرة الى دورة تدريبية للترقية الى درجة « مدير عام » وفوجئت فى هذه الدورة بوجود شيوخ أجلاء من علماء الأزهر رشحتهم وزارة الأوقاف والأزهر لحضور هذه الدورة دارسين مع المرشحين لها من مختلف الوزارات والمؤسسات فلا عجب ان تخلى شيوخ الأزهر وعلماؤه عن لقب « الشيخ » وأثروا عليه الألقاب العلمية والدرجات المالية من قبيل دكتور ومدير عام ووكيل وزارة ورحم الله أستاذنا الشيخ الجليل محمد عبد الله دراز الذى كان يحاضرنا ـ ندبا من الأزهر ـ فى « تاريخ الأديان » فى قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة فؤاد « القاهرة حاليا » فى أواخر الأربعينات ومستهل الخمسينات ، وكان يحمل درجة دكتوراه الدولة من جامعة باريس بمرتبة الشرف الأولى ، وكان يغضب أشد الغضب حين نستخدم فى مخاطبته لقب « دكتور » وكان غلاف مؤلفه المرجعى « الدين : بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان » يشير الى أن مؤلفه « عضو جماعة كبار العلماء » فحسب ، وقل مثل ذلك فى أستاذنا حجة الفلسفة الاسلامية الشيخ مصطفى عبد الرازق وأحمد أمين وأمين الخولى وأبو زهرة وغيرهم والواحد منهم بألف مما يعدون وقارن ذلك بحمى الألقاب والدرجات المالية التى أصابت شيوخ أزهرنا العتيد بعد « تأميمه » سنة ١٩٦١ وكله على طريقة « العالم العلامة والجهبذ الفهامة » أو « الشيخ الفقيه والعالم النبيه مفتى الأنام الوالى الولى » الى آخر ما نقرأه تحت أسماء المؤلفين فى عصور الضعف والتدهور والانحطاط لكن فى أسلوب عصرى مطور فكان لقب « دكتور » سابقا على الاسم وكانت الدرجة المالية مدير عام أو وكيل وزارة لاحقة عليه . وبعد ذلك لاتسأل : لماذا انصرف الأزهر عن ساحته وخرج من جلده ولماذا أصابه العقم فلم يقدم أمثال رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وطه حسين وأحمد أمين وأمين الخولى وعلى عبد الواحد وافى وعبد الحليم محمود وغيرهم مئات ، علامات مضيئة على طريق الثقافة الاسلامية ولاتسأل لماذا لم يتصد الأزهر ـ كما تصدى من قبل ـ للحكام الذين طوروا انسان مصر الى غراب حزين تمطر السماء من فوقه سلاحف وجرذانا رغم انهم رفعوا شعار « ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد » ولا تسأل لماذا أصبح مدرس اللغة العربية فى المدرسة أفنديا لايميز بين الصفة والحال ، و « ان » و « ان » ويهرب من تدريس التربية الدينية بعد ان ارتدى ملابس « الجينز » ورحم الله أساتذتنا من شيوخ الأزهر الأجلاء الذين جلسنا اليهم فى الفصول الدراسية فى منتصف الأربعينات وعلى يديهم تذوقنا اللغة العربية نحوا وصرفا وأدبا وبلاغة ولايزال جيلى يذكر منهم الشيخ الصوالحى بعمامته وجبته وقفطانه وعلمه

الموسوعي وأحمد عبد اللطيف بدر الذى يحمل فى دماغه « لسان العرب » و « القاموس المحيط » ومحمد محمود خليل الشاعر المجيد ولاتسال لماذا هبت على شعبنا الطيب الوديع رياح التطرف الدينى ولا تسأل لماذا ادمن كثرة من نشء هذه الأمة بنين وبنات الهيروين شما أو حقنا ولاتسـال لماذا مصر لم تعد مصر ولم يعد المصريون هم المصريين وكان مصر ــ كما قال شيخنا توفيق الحكيم فى لحظة يأس وغضب مقدس ــ قد أصبحت بطنـا كبيرا أو جيبا مع ان عين ابن أدم وبطنه لايملأهما الا التراب وغدا أو بعد غد . وكما قال بحق الرئيس حسنى مبارك فى أول خطاب له أثر تولى الأمانة : الكفن بغير جيوب .

لقد ارتفعت من قبل مأثر الحملة الفرنسية على مصر وما صاحبها من تحولات بعض الأصوات بالشكوى مما آل اليه أمر الأزهر آنذاك وعلى الخصوص اصـوات الشيوخ الأجـلاء حسن العطار ومصطفى العروسى ورفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى ، ولو كان هؤلاء قد عايشوا محنة تحويل الأزهر بقانون الى جامعة مدنية وتخلى شـيوخه عن لقب الشـيخ لكانوا قد أشعلوها نارا ولو كان هؤلاء قد عاصروا الغاء « جماعة كبـار العلماء » لكانوا قد استشهدوا فى سبيل الدفاع عنها .

والى أن يعود الأزهر ذلك الحاضر الغائب الى ساحتـه مسـجدا جامعا ، وجامعة اسلامية كبرى ، حارسا لدعوة الاسلام حاميـا لفضائله ومعرفا بها دارئا الشـبهات عنه مقربا من مذاهبه مصححا عقائد أفراده والشعوب بصدده ، مبصرا ولاة الأمور وغيرهم بأحكامه وموجها أنظارهم الى التزام حدوده مفتيا فى مسائل العقيدة وما الى ذلك مما أصبح بالنسبة للأزهر المطور فى خبر كان ، والى أن يتبوأ الأزهر مكانه البـارز الذى كان له فى الزعامة الفكرية والقومية ويعود مشاركا فى قيادة الحيـاة السياسية والاجتماعية فى مصر والعالم الاسلامى ، والى أن يعود شيوخه وطلابه على ما كانوا عليه تأميمه من اخـلاص للعلم فى ذاته وطلب المعرفة للمعرفة والتضحية بكل شىء فى سبيل الدرس والبحث وشرف العلم والأعراض عن مغريات الدنيا من ألقاب ومناصب ودرجات مالية الى أن يتحقق للأزهر مجده القديم وليس ذلك بمستحيل ، أرجو ألا تمل من دعوتك الى الانقاذ .

أثرت أن أنشر هذا الخطاب من بين سيل الخطابات الذى جاء الى وقد أختلف مع الأستاذ حليم فى بعض تفصيلات ، ولكننى ولا شك معجب بخطابه هذا كل الاعجاب وكم يسعدنى أن أنشره معبرا عن رأى اخواننا

الأقباط الذين يعتبرون الأزهر حاملا لرسالة قومية تعين العرب أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها وانى أرجو أن يجد الأزهر فى هذا المقـــال مايستنهض عزيمته فيعود الى الحياة العامة التى يفتقده فيهـــا العـــرب فلا يجـــدون ٠

ولله الأمر من قبل ومن بعد ٠

الأهرام ٢٨ أغسطس ١٩٨٩ م

نعم ۰۰۰ وا ۰۰ أزهراه

الأزهـــر الحاضر والمستقبل

نعم ۰۰ وا ۰۰ أزهراه ۰۰ فان فى جنابه الأمان والسكينـــة لمصر وللمجتمعات الاسلامية من حولها ۰۰ بل وللعالم أجمـع ، وان فى رأيه الأمين المخلص سبيل الرشاد ۰۰

لقـد نادى الأستاذ ثروت أباظة فى مقـالة بصحيفة الأهـرام يوم ۱۹۸۹/۸/۷ ۰۰ وا ۰۰ أزهراه ۰۰ ونحن نقول : لبيك ۰۰ فان الأزهر لم يتغير ، ولايزال على العهد به علميا لمصر ، حافظا لتراث الاســـلام ۰ وفيا للأمانة التى حملها ــ منذ كان ــ قادرا على أدائهـــا ، بفضل وعون من الله ، سبحانه ، باذلا من أجل دينه وأمته غاية الجهد ۰

لقد جاءت كلمات الأستاذ ثروت أباظة فى مقاله ، نداء وربما عتابا للأزهر الذين يرحب بندائه وعتابه المخلص ، فهو صديق قريب ۰۰ يكتب عن ايمان وغيره على الأزهر ۰

وكنت قد عزمت أن أتحدث الى الأستاذ ثروت فى لقـــاء خاص به أفضى اليه بما يطمئنه ۰ وبما يدفع التساؤلات التى عرضها المقال ، فانى لا أستحسن أن تكون أمور الأزهر وسياسته ــ بصفة عامة ــ مكشـوفة مطروحة للمناقشة على صفحات الصحف يتلقفها من يحسن قراءتها ومن يزور عنها لذات نفسه ، ويحرف الكلم عن مواضعه ۰ لكننى ألفيت فيما بعد قوما استغلوا المقال وجعلوه ســـبيل للمز الأزهـــر ۰ والعيب له ۰ والتنقص منه ۰

والذين يلمزون الأزهر قوم يظلمون أنفسهم ، ويظلمون دينهـــم ووطنهم فالأزهر ــ فى سمو مكانته ــ يخطو بثبات ووقـــار ، فى الألف الثانية من عمره المديد المفيد يشيع الأمن والأمان فى نفوس هذا الشعب الذى هو منه وله ، ويمتد نفعه ونفحاته الى شعوب الاسلام كافة وللعالم جميعـــا ۰

وانما يعرف الفضل من الناس ذووه ، فها هو الأزهر الشريف فى ماضيه التليد وحاضره المجيد ينهض بأعباء كبيرة جدا ، تتسع دوائرها

ومجالاتها ، ولاتقتصر على مجرد عمل تعليمى ، أو توجيـــه ارشــادى ، أو رأى فى الدين ـ وهذا فى ذاته عبء ضخم يحمله الأزهر ويؤدى حقه بعون الله ٠٠ ولله ٠٠

ان من مسئولية الأزهر وعمله حفظ الكيان المعنوى ٠ لهذا الوطن ولأمة المسلمين ، وبث الطمأنينة فى هذا الكيان ، ليبقى عامرا بالايمان نابضا بالحياة قويا أمام الأحـــداث والمحن التى تتربص به ٠ ويربـط الأزهر بين مصر والعالم الاسلامى ويجعلها مطمح أنظار المسلمين ومهوى قلوبهم وآمالهم من كل مكان ٠ يؤدى كل هذا وغيره دون من أو تفاخر ، يؤديه فى وقار يليق بمكانته ، يقول ما يفعل ، وهو دائب على العمل لله ، عاكف عليـــه ٠

وان من نعمة الله على هذه الدولة أن حباها الأزهر وباركها به وبارك لها فيه ٠٠ فأصبح رمزا لها وجزءا عزيزا من كيانها ٠

ولقد تغيب هذه الحقائق أو بعضها عن بعض الصــادقين المخلصـــين من أبناء هذا الوطن ، فيسارعون باللوم كلما ساورهم القلق ، أو أخذتهم الغيرة على الأزهر ، ويتوجهون اليه بالعتاب ـ الهين تارة ، والعنيف أحيانا أخرى ـ لظواهر رأوها أو أقوال سمعوها أو قرأوها وهى فى الواقع حديث افك يحب بعض الناس ن يشيع عن الأزهر لغرض أو مرض ٠

ونحن نشكر لأولئك الصادقين حسن نواياهم وسلامة مقاصدهم ونأسف لموقف هؤلاء الذين يفصحون بأفكهم عن دخائل نفوسهم ٠ وليس بين الأزهر وأصدقائه ـ مثل الأستاذ ثروت ـ أستار نبعـد بهـا عنهـم فالنفوس حفية بهم ٠ والتواصل قائم باذن الله ٠٠

أما الشباب ممن وصفهم المقال « بأنهم حسبوا الاسلام لحية وجلبابا » والذين اشتدوا بالرأى فى الدين ، وخاصموا جمهور أمتهم على غير بينة ، فان الأزهر يعالج أمر هؤلاء بجهود علماء الدعوة وعلماء المعاهد الأزهرية المنبثين فى ريف مصر وحواضرها ، بل فى كفورها وعزبها ، وبواديها وان كان لايلاحقهم التليفزيون أو الصــــحافة ، لانهم يؤدون العمـــــل حسبة لله ، وفى الله ، لا للاعلام والاعلان ، يتحدثون لكل بيئة بما يناسبها وأعتقـد أن هــذا يرضى الأستاذ ثروت وأمثـاله من الغيورين على حماية الاسلام وأمن هذا الوطن ٠

وينبغى الا ننسى أن الأزهر للجميع : للمخطىء والمصيب ، وسيظل الأزهر ـ ان شاء الله وبعونه ـ على نهجه هذا يقيل العثرة ، ويرشــد الضال ، ويعين على الخير ويهدى اليه ٠

هؤلاء الأبناء لايستطيع الأزهر ان يخاصمهم مهما اشتدوا فى النفرة والبعد عن جادة الطريق . ولا أن يتخلى عنهم أو يبرأ منهم ، فان مخاصمتهم تقطع الأمل فى أن يسمعوا النصح ، أو يعملوا به ، أو يعودوا الى الحق والرشاد الذى نرجوه لنا ولهم .

بهذا المنهج وبالصبر والمصابرة والمثابرة بعث الأزهر علماءه الى المساجد والمصانع والجامعات ، والمدارس فى المدن والقرى ، بعث اليها كبار الدعاةوقادة الوعظ ، وعلماء المعاهد يختلطون بهم ، ويجلسون اليهم ، فى شتى مجتمعاتهم ويجرى بينهم الحوار حرا طليقا ، يرشدونهم الى الحق فيما يثار من قضايا ، وهكذا يجرى الحديث على تواصل لاقناع الشباب ، واقناع أهليهم بوجه الحق .. وصحيح الرأى فى الدين ، دون تشهير بهم بين المواطنين .

هذا خط ارتاه الأزهر أجدى وأنفع فى علاج هذه المسائل حيث شاع أن هؤلاء الشباب لا يحضرون الندوات ، التى تعقد وتحشد لها وسائل الاعلام المتنوعة ويديرون ظهورهم للعلماء اشارة الى كراهية الحضور والاستماع اليهم ، لأنهم يرون أن فى هذا اثارة لهم ولغيرهم ، وليس هذا غضا من قيمة هذه الندوات فى توعية الشباب بوجه عام لا سيما أولئك الذين لم يتورطوا فيما نسب الى بعض الفئات من الغلو فى الدين ومحاولة فرض آرائهم بالقوة والعنف .

ومن ثم فالازهر مع الأستاذ ثروت أباظة فى تقديم التحية والتقدير لصاحبى الفضيلة مفتى الجمهورية ووزير الأوقاف على ما يبذلون من جهد فى هذه الندوات ..

لكنه ينبغى أن يلاحظ أن وجوه العمل فى هذا المجال كثيرة ، وانها لاتنحصر فى أسلوب واحد . وقد اختار الأزهر لنفسه مهام أخرى هى أصعب المهام فى هذا المجال ، تحمل الأزهر وحده عبئها ، وهو يرى انها هى السبيل الأساسى لعلاج هذه المشكلة .. « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات » ..

ان المهمة التى اختارها الأزهر لمواجهة هذا الموقف وأمثاله تعنى بأمرين :

الأمر الأول : حماية المفاهيم الاسلامية — بصفة عامة — ان يتسرب اليها هذا الخلل أو التشدد ، وحماية الأجهزة الحيوية بهذا البلد أن تضطرب مفاهيمها أو يهتز كيانها المعنوى .

الأمر الثانى : محاولة اللقاء بهذا الشباب المتشدد والقرب منه ، واجراء الحوار معه اجراءمباشرا دون اثارة أو تشهير أو مصادرة ، وانما بالايضاح والاقناع .

وفى سبيل تنفيذ هذه المهمة فى شقها الأول يعنى الأزهر عناية خاصة بجهاز العلماء والدعاة الذين يبعثهم للقيام بمهمة التوجيه المعنوى لرجال الجيش والشرطة بالذات ، والشعب بوجه عام ٠

ثم يقف بالمرصاد لكل فكر يتهدد استقرار هذا الوطن فى معنوياته وعقائده ، وما يطمئن اليه من أحكام الشرع الحنيف ، فيما يحرر أو يصدر من كتب ونشرات ٠

وقد حشد الأزهر لهذه المهمة مجموعة واعية من الباحثين والفاحصين ، تفودهم ادارة متخصصة ، ويشرف عليهم عالم على درجة كبيرة من المسئولية والخبرة ، فلا يأذن لفكر دخيل أو رأى متشدد أو عدو مهاجم ، أو ذى هوى مفسد ، ان ينفذ الى ضمير الأمة ، أو يحرف عقائدها ، أو يوقد الفتنة بين طوائفها لتتفجر من داخلها ٠

ويعلم الله والمنصفون من أولى البصر ـ ان مايدفع الأزهر خطره من هذا النوع عن الوطن ، كم رهيب من المحررات والكتب والنشرات : رهيب فى مقداره : رهيب فى مكره وخبثه : رهيب فيما يبثه من أفكار ٠ رهيب فيما يتذرع به من حجج ، رهيب فى خطره ٠ يدفع ذلك بالكلمة الهادفة والعمل الصادق المخلص ويقف الأزهر مدافعا ، محتسبا ، فيواجه الحجة بحجة أقوى منها ، ويدفع البرهان ببرهان يدمغه فاذا هو زاهق ٠ ويرد هذه التيارات خاسئة خاسرة ، حتى سلمت ساحة مصر بوجه خاص وشعوب الاسلام بوجه عام مما أصاب غيرها من دوار ، اختلت به موازين الفكر ، فلم تعد تميز الخبيث من الطيب ٠

وأما الجانب الثانى من المهمة التى اختارها الأزهر لنفسه فى معالجة مشكلة الشباب المتشدد ـ فهو القرب من الشباب والصبر عليه ، والحوار معه مباشرة ، واللقاء به فى مدارسه ومصانعه ، ومساجده ، بل وفى قراه ، وبين عشيرته وفى المؤسسات الاجتماعية والسجون ودور الاصلاح وغيرها ٠

وقد أعد الأزهر لهذه الغاية دراسات كاملة فيما يتحدث عنه هذا الشباب من مسائل ، وعهد بهذه الدراسات الى علماء مشهود لهم بالكفاءة ممن تجلهم مجتمعاتهم وتوقرهم ، وتحترمهم ليواجهوا بها حجة الشباب ويناقشوه على ضوئها ٠

وهذا فى رأى الأزهر أجدى الوسائل فى معالجة فكر هذا الشباب وتصرفاتهم وهو ناجع بعون الله ـ فى الطب لهذه المشكلة مع الأيام ٠ ولاسيما اذا اتخذ هذا منهجا مدرسيا فى مراحل التعليم المتنوعة ٠

على انه ينبغى الا ننسى ان العلماء الأفاضل الذين يحاضرون فى الندوات التى تحدث المقال عنها هم من الأزهر : أصلا ، وانتماء ، وحضورهم

فيها حضور للأزهر ، وبهذه الصفة وحدها يتلقى الناس منهم التوجيه والارشاد الدينى ٠٠

وانه لا افتراق بين المؤسسات الاسلامية فى مصر ـ بقصد أو بغير قصد ـ فى حقل الدعوة وطرائقها وان افتقدت التنسيق بينها « وأهملت » مؤسسات مؤثرة فى حقل الدعوة وواقعها ، ولكل ان يختار السبيل الذى يناسبه من سبل العمل لخير الوطن وخدمة الدين وان كان الأولى التنسيق والتكامل بين كافة المؤسسات ٠٠

بقى لنا ان نتناول نقطة بارزة فى مقال الأستاذ ثروت أباظة وهى مقولة ان خريجى الأزهر لايحفظون القرآن الكريم ، ولا يحسنون الحديث باللغة العربية وهو تعميم فيه الكثير من التهويم ، وهذه المسألة يعرفها الخبراء والعلماء وذوو البصر بمجريات الأحداث ونتائجها وأثرها فى المجتمع ٠

وانه لا مراء فى أن دوافع الكتابة فى هذه المسألة بهذا المقال انما هى تعبير عن غيرة على الأزهر ، ورغبة فى أزجاء الخير له ٠ لكن قوما يتخذون من هذه المسألة شعارا وسيفا يشهرونه على الأزهر كل يوم ويجعلونها سبيلا للتعريض به ، والنيل منه ، والكيد له ٠

انهم يتذرعون بهذه المسألة مثلما تذرع قوم من قبل للانتقاض على الامام على رضى الله عنه بمقولة : « لا حكم الا لله ياعلى » : شعار : يستتر به من يريد الطعن على الأزهر ٠

ان حقيقة هذه المسألة انه حدث بعد الحرب العالمية الثانية بهذا الوطن كما حدث بغيره حركة اجتماعية واضحة من حيث التحول الى الصناعة ، وتغير أنماط الكسب والعمل والسلوك ، واستهداف الوظائف ٠٠ مما أدى الى انصراف المحفظين عن مهنة تحفيظ القرآن الكريم ، وانصراف الآباء عن الحاق أبنائهم بالكتاتيب بالريف أو الحضر لحفظ القرآن الكريم ٠٠ وكان صدور القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بتعديل قانون الأزهر ، وصاحب هذا توسع من الأزهر فى انشاء المعاهد الأزهرية ـ الأمر الذى أدى الى قبول دفعات من ضعاف حامل الاعدادية العامة ، بل ومن راسبيها للالتحاق بالمعاهد الثانوية ، ومن حملة الثانوية العامة الذين لم يقبلوا بالجامعات الأخرى ، للالتحاق بجامعة الأزهر مما كانت حصيلته بعض هذا النتاج الذى يلمز به الأزهر ويغمز ٠ ولم يكن فى مكنة أحد ممن حملوا أمانة الأزهر بعدئذ ان يحذف هذه الدفعات ويلقى بها بكاملها فى الشارع بحجة انهم لايصلحون للدراسة الأزهرية ٠ ولم يكن هذا ممكنا من الناحية العملية ، ولقد سهر الأزهر لعلاج آثار هذا الخطأ وتفادى ان يقع فيه مرة أخرى ، فقرر اغلاق الباب فلا يسمح لحاملى الاعدادية

العامة أو الثانوية العامة ، وما فى حكمهما بالالتحاق بالدراسة بالأزهر بكافة المراحل . هذا : بالرغم من المعارضة الشديدة لهذا القرار .

كما قرر حفظ القرآن الكريم بكامله بالمرحلة الابتدائية ، ثم يراجع الطلاب حفظ القرآن الكريم بالمراحل التالية من التعليم الأزهرى .

ورفع الأزهر مكافآت المحفظين الى مثل مرتب حاملى الشهادات الجامعية وجعل حفظ القرآن الكريم شرطا أساسيا لكل ترقية بين وظائف المعاهد الأزهرية والوعظ . كما جعله شرطا للابتعاث الى الخارج ، ورصد جوائز حسنة للفائزين فى مسابقات حفظ القرآن الكريم فى دورات شتوية ، وصيفية ، وعقد دورات تدريبية للمدرسات فى تجويد تلاوة القرآن الكريم بمعاهد الفتيات . وعزز نظام الاشراف والتوجيه للمدرسين ، وحفزهم للاجادة بحوافز سخية ، وأجرى بينهم مسابقات دراسية .

واتخذ الأزهر اجراءات تنظيمية واصلاحية بالغة العمق : من أبرزها تعديل خطط الدراسة بالمعاهد ، وتعديل المناهج ، وتغيير الكتب الدراسية ، وغير هذا كثير مما لايتسع المقام لبسطه .

والاصلاح التعليمى انما يجرى على أساس من الدراسة المتأنية ، ولاينفذ الا متدرجا وفى حذر ومع مراعاة الظروف الاجتماعية للطلاب ، وللعاملين بالحقل التعليمى ، فلا يتصور ان يؤخذ التعليم بالاصلاح فجأة ، وان تأتى النتائج فورا .

هذه اشارات محدودة لجانب واحد من جوانب الاصلاح والخدمة للأزهر جرى تطبيقها الآن واقعا عمليا ، ولكن أكثر الناس لايعلمون .

اما أن الأزهر لايتصدى لما يجرى فى لبنان . وما يجرى فى أفغانستان فهذه قضايا دولية ، تمسك بزمامها قوى عظمى ، تتحكم فى مصير العالم ، وتتنازع مناطق النفوذ فيه ، وتوجه حركات الشعوب ، فهل يكون للأزهر فى هذا المضمار مجال .. ؟؟

ومع هذا وللحقيقة فان الأزهر لم يتخل عن أداء واجبه تجاه لبنان وتجاه أفغانستان ، وهو حاضر بأرضهما ومع شعوبهما فى أحلك الظروف ، لم يقطع صلته بهما فى يوم من الأيام .

الأهرام ٤ سبتمبر ١٩٨٩ م

للأميـة أن تستشرى ..

ماذا نحن قائلون للأجيال القادمة اذا عيرتنا ان نسبة الأمية زادت فى عهد مجانية التعليم . وهل سترضى هذه الأجيال حين تطالعها الحقيقة المريرة ان خريجى الجامعة تزايدوا الى درجة أنهم لا يجدون عملا يعملونه وانه وفي نفس الوقت تزايدت نسبة الأمية الماحقة فى الشعب المصرى .

واعجب ما شاء لك العجب حين تجد بعض المتشدقين ذوى الألسنة المعوجة والأنوف المرتفعة على فراغ يقارنون بيننا وبين انجلترا مثلا فى احترام القوانين وتطبيقها وكيف أنهم هناك يطبقون القانون بفطرة مواتية وبوازع من دخيلة نفوسهم بينما نحن هنا نتحايل لنصل الى الوسيلة التى تعفينا من تطبيق القوانين .

والمقارنة غير واردة فقد احتفلوا فى انجلترا بوفاة آخر أمى عندهم منذ مايزيد عن عشر سنوات ومعنى ذلك ان الشعب عندهم على قدر من الوعى لايجوز معه ان تقارنه بشعب لديه من الأمية الماحقة ما عندنا .

واعجب ما شاء لك العجب ان المتمتعين بالأمية ليسوا مقصـورين على من فاتهم سن التعليم . وانما تشهدهم فى الأجيال الجديدة التى ولدت فى عصر مجانية التعليم المجيدة . ذات اللافتة العريضة والطنين المرتفع عالى الضجيج .

شاهدت برامج فى التليفزيون ظهـــر فيها فتيـان وفتيـات بين الثانية عشرة والعشرين من عمرهم أعلنوا علينا انهم أميون واميات وان آباءهم آثروا أن يجعلوا منهم ومنهن موارد رزق بدلا من أن يدخـــلوهم المدارس ويجعلوهم يتلقون من التعليم ما يرد عنهم غائلة الجهل الطامس المشـــين .

واعجب ما شاء لك العجب أن تتعالى شكوانا من التجـار الجشعين يغرزون مخالبهم فى ظهور أفراد الشعب ويبيعون لهم البضائع وقد رفعوا أثمانها أضعافا مضاعفة . والشعب يئن بالصوت الاعجمى الجاهل لأنه شعب به من الأميين مايندى له جبين الحضارة والانسانية . ولا يستطيع الشعب ان يرد غائلة التجار أو غيرهم ومن أين وبه هذه الكمية الهائلة من الأميين .

واعجب ما شاء لك العجب من الحملات المكثفة ضد مرض البلهارسيا تلك الحملات التى تكلف الدولة ما تكلفها من مال وجهد • ولو لم يكن بين الشعب هؤلاء الأميون ما احتاج أحد أن يبصرهم بمخاطر البلهارسيا وادران الترعة وآثار هذا المرض الذى يدل أول ما يدل على الجهل والأمية • فالأمية نكوص عن البشرية وتقهقر عن الانسانية وبعد عن كرامة الآدمى •

ان أول كلمة نزلت على النبى عليه أزكى الصلاة والسلام « اقرأ » ثم أكمل الآية « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » •

فالقراءة هى أكرم ماشرف الله به الانسان وحذار ان يعلوف بذهن أحد مقولة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أميا •• لقد أراد الله له الأمية لتتم المعجزة ولينزل القرآن •• على المثل الأعلى الذى لايقرأ ولا يكتب •• ثم هو نبى فى غير حاجة الى علم بشر لان العلم ينزل على فؤاده من فوق سبع سماوات علما لايعلمه الله الا لمن اصطفاه ليكون رسوله الى البشرية كافة •

فأين هذا الانسان الفرد الذى لم تعرف له البشرية مثيلا والذى هو بحق وبصدق سيد البشر أجمعين أين هذه السماء من قوم ينزلون الى الترعة لتصيبهم البلهارسيا •

ان الآباء الذين حرموا أبناءهم التعليم حجبوا عنهم نور الانسانية وشرف البشرية وكرامة الآدمية •

واعجب ما شاء لك العجب أن تقوم الحملات المكثفة من أجل تحديد النسل •• ولو انك اطلعت على الاحصاء الخاص بعدد أبناء المثقفين وعدد الجهلاء لتبينت على الفور ان المشكلة مشكلة ثقافة •• فالمثقفون لاينجبون الا عددا قليلا من الأبناء بينما الأميون والجهلاء يطلقون المدى لذريتهم فتكون الكارثة •

والثقافة أقصى ما يصل اليه الانسان فكل مثقف متعلم وليس كل متعلم مثقفا •

فكيف اذن بالأمى الذى لم يتعلم •• ان هؤلاء هم اللب والأساس والسبب المباشر فى مشكلة كثرة العيال ونذكر بيت الشاعر القديم :

بغاث الطير أكثرها فراخا
وأم الصقر مقلاة نزور

واعجب ما شاء لك العجب من هذه الحملات الواسعة التى لا تنتهى عن الجفاف عند الأطفال وكيف ينبغى لأمه ان تسعفه بالمحلول ولو لم تكن

الأمهات جاهلات لبحثن هن عن الدواء ولما احتاجت الدولة ان تلح عليهن هذا الالحاح ..

والأمومة غريزة والأم التى تسيء الى ابنها لاتفعل ذلك الا عن جهل وأمية أو عن خطأ غير مقصود .. والخطأ بطبيعته عند الأمهات قليل الا أن يكن جاهلات فحينئذ يصبح الخطأ هو الأصل والصواب هو الاستثناء . فلو كانت الامهات على شيء من العلم ما احتاجت الدولة ان تلحف عليها وتلح ان تستعمل المحلول المضاد للجفاف .

وهل هناك أعز علينا من أبنائنا ؟ لقد جعل الله حبنـــا لهم غريزة مركبة فينا نحبهم كما تنبض قلوبنا وكما تسرى الدماء فى أوعيتها من جسومنا ولا نتصور ان يلح علينا أحد ان ننقذ أبناءنا من مرض الا أن نكون جهلاء لاندرى كيف نواجه ما يحيق بأبنائنا من أذى لاقدر الله .

ولا تعجب فما دمنا نصيح ان التعليم مجانى الى الأبد وان التعليم حق للجميع ولا مساس ومادمنا نصيح ليل نهار الماء والهواء التى تبرأ منها صاحبها وأشهد الله على ذلك لا تعجب فما دمنا نصيح فلتزدد الأميـــة ما طاب لها ان تزيد ولتستشر ماحلا لها ان تستشرى .

ولا حول ولا قوة الا بالله ..

الأهرام ١١ سبتمبر ١٩٨٩ م

أقســم بالقلم لا بالسـيف

جاءنى خطاب من الأستاذ مجدى عواجة من العياط · وأنى أشكره أعمق الشكر على ما صدر به خطابه من ثناء ثم انطلق الى موضوع الخطاب الذى يحاول فيه الأستاذ مجدى أن يجد الوسائل لمحو الأمية وقد جعلنى هذا أفكر هل من وظيفة الكاتب أن يبحث عن الحل للمشكلة التى يثيرها·

الاجابة فى ـ الوهلة الأولى ـ تقتضينا أن نقول نعم ، ولكنك بعد ريث من التفكير تجد أن هذا مستحيل استحالة مطلقة فان محاولة الكاتب ايجاد حل لكل مشكلة يعرض لها بكتاباته تعنى منطقا ان الكاتب ملم بكل المشــاكل فى المجتمع وبأصــول هذه المشــاكل وبالآراء التى كتبت عنها وما تراه كل دولة من دول العالم وكل عالم مختص فى العالم أجمع وذلك هو المستحيل بعينه ·

أما أن يورد الكاتب الحل عفو الخاطر دون دراسة كاملة مستوعبة شــاملة فان هذا يجعل منه كاتبــا تافها يهرف ما لا يعلم ويشقشق بما لا يفهم ·

وواضح أن للأستاذ مجدى عباس دراسات فى مشكلة الأمية ولكن ان نشرت له رأيه أصبح لزاما على أن أنشر آراء جميع المهتمين بهذه الكارثة المهينة التى تدمر سمعة مصر وكرامتها · انما ينبغى أن يشارك الأستاذ مجدى برأيه فى دراسة شاملة تقوم بها وزارة الثقافة ووزارة التربية والهيئة العامة للشباب وينبغى أن تختار هذه الجهات العلماء من مصر ومن خـارج مصر وتأخذ الأمــر بالجدية الخليقة به ، هذا ما أستطيع أن أقوله ·· أما أن أدلى برأيى أنا فى الطريقة المثلى لمحو الأمية فهو أمر أنا غير مهيأ له بحكم ثقافتى ·

وكذلك أمرى اذا أنا كتبت عن مشكلة اقتصادية فانما قصارى الأمر منى أن أضع المشـكلة تحت نظر المسئولين ولكن هيهات أن أقول فى الاقتصاد رأيا على الرغـم من اننى درسته أربع سنوات كاملة فى كلية الحقوق ولكن الأمر ليس بهذه البساطة : ان الاقتصاد هو حياة الدول ولا يجوز لغير المتعمقين فيه أن يدلوا برأى ·

وقد رأينا الجهل الاقتصادى حين حكم كيف هوى باقتصاد مصر الى الحضيض ففى تلك الأيام ـ لا أرجعها الله ـ كان خطيبهم وخطبهم يقول لقد قرأت كتابين فى الاقتصاد فوجدته كلاما فارغا • وكان يقول أنا لا شأن لى بالنظـريات الاقتصـادية • أنا أعمل وعلى رجال الاقتصـاد أن يضعوا النظرية لما أعمله •

كلام ما سمعنا مثيلا له فى الجرأة على قيمة العلم ، وانصاف الجهلاء هم أعظم الناس هجوما على العلماء • لأن نصف الجاهل يخيل اليه دائما انه عالم بكل شيء • أما الجاهل فيعرف أنه جاهل ولا يعدو بجهله على العلماء وهناك مثل انجليزى أحبه يقول : « لست صغيرا لدرجة اننى أعرف كل شيء » وأنصاف الجهلاء ـ فى الغالب الأعم ـ صغار لدرجة انهم يعرفون كل شيء ـ فى ظنهم المريض طبعا •

والكتاب ليسوا أنصاف جهلاء ولن يكونوا وانما هم علماء فى الأدب متفهمون للحياة فى ألوانها الشـتى الأخرى وهذا التفهم يسمح لهم بأن يقدموا المشكلة وما يحيط بها اذا كانت مشكلة لا تتصل بدراستهم ثم هم يتركون المشكلة بعد ذلك لعلمائها والمسئولين عنها •

واعتقادى أن مشكلة محو الأمية ينبغى أن تهتم بها ـ أولا وقبل أى جهـة أخرى الهيئات ـ الشبابية التى أراها ـ للأسف الشديد ـ تعنى بأقدام الشباب ولا تهتم برؤوسه وتلك عجيبة من عجائب القدر •

كم صرخنا أن يضعوا مكتبات فى النوادى الرياضية الريفية وغير الريفية ولكن لا حياة لمن تنادى •

وهنا يثب الى ذهنى ذلك السؤال الذى سأله لى صديق أثير :

وماذا بعد أن تكتبوا كل هذا الذى تكتبون ما الفائدة ؟

واذا فكرنا هذا التفكير لطوينا أشرعتنا وتركنا أقلامنا تجف وقد جفاها أصحابها وراحوا يبحثون عن عمل آخر غير فن القول وقد نخسر نحن الكتاب • بل ان مرارة الكلمة الحبيسة قد تقتلنا قتلا فالذى تعود أن يقول لايستطيع أنه يسكت •

ينطبق هذا على جميع الناس فكيف بالكتاب وكل عملهم فى الحياة أن يقولوا •• وأذكر قصة طريفة عن صديق لوالدى كان لا يكف عن نقد الناس ومواجهتهم بعيوبهم • ومرض هذا الصديق يوما وذهب أبى ليعوده فقال له :

ـــ ما رأيك يا حاج أن تنذر نذرا لوجه الله •

ـــ ماذا أنذر ٠

ـــ اذا شفاك الله أتعاهد الله ألا تواجه الناس بعيوبهم ولا تسيء اليهم فى مواجهتهم وكان الصديق المريض مستلقيا على السرير حين قال له أبى هذا الحديث ٠ فاذا بالمريض يجلس فى فراش مرضه ويقول فى استنكار :

ـــ تعنى ألا أقول للمسيء أسأت ٠

ـــ هذا ما أعنيه ٠

فاذا بالمريض يصرخ ٠

ـــ لا يمكن ٠٠ الموت أحسن ٠

وعاد الى نومته يستقبل الموت فى ترحاب وسعادة ٠

فاذا كان هذا حال من تعودوا أن يقولوا ٠٠ فكيف اذن يكون حال من خلقهم الله لكى يقولوا ولا عمل لهم الا أن يكتبوا ٠

انما الكاتب وظيفته أن يكتب فقط وعلى المسئولين التنفيذيين من أهل السلطة أن يقلبوا الرأى فيما كتبه الكاتب ٠ لهم أن يأخذوا به ولهم أن يميلوا عنه ولكن واجبهم أن يجيبوا الكاتب عما قدم من مشكلة ولماذا أخذوا برأيه اذا هم أخذوا ولماذا مالوا عنه اذا هم مالوا :

فاذا لم يفعلوا وهم غالبا لا يفعلون فعلى الكاتب أن يظل ممسكا بقلمه فبالقلم أقسم الله من فوق سبع سماوات ولم يقسم سبحانه وتعالى بالسيف وبالخنجر ٠ لأن القلم أعظم شأنا من أى سلاح فى العالم ٠ والكاتب فى منصبه يختاره الله بما أنعم على الكاتب من موهبة ٠

فالأرض تستطيع أن تختار أمراءها ووزراءها ٠ أما الكاتب فلا يختاره الا الله سبحانه وتعالى فى سمائه جل علاه الحى القيوم لنوره عنت الوجوه وخشعت الأبصار ٠

الأهرام ١٩٨٩/٩/٢٥ م ـ

الكتاب وضمير المجتمع

أمسكت حفيدتى ياسمين ابنة السنتين من عمرها بكوب كبير من زجاج وكوب آخر صغير وراحت تغترف الهواء من الكوب الصغير وتملأ به الكوب الكبير وظللت أتأملها وهى جادة كل الجد فيما تقوم به من عمل وقد كسا الاهتمام وجهها كأنها تقوم بعمل جليل ٠

وبهرتنى اللعبة التى تقوم بها ياسمين لقد وجدت فيها درجة من عدم المعقولية تقرب بها الى واقـع الحياة التى نحياهـا فى عالم الكتابة والسياسة فنحن الكتاب نفنى حياتنا فى القراءة ومتابعة الحياة ثم نبذل حياة لنـا أخرى يمدنـا بها الله القدير فى سـبيل أن نقدم ما نكتب الى المسئولين ولكن كتابتنـا لا سميع لها ولا مجيب كأننـا نحن الكتاب نملأ الفراغ فى الكوب الكبير بما نحمله اليه من الكوب الصغير ٠ وكله فراغ فى فراغ ٠

ولكنه فرغ يكلفنا أعمارنـا وجهدنا وصحتنا ٠ وقد كتب الله علينا الا نستطيع القيام بعمل آخر ٠

ولكن اذا كنا فى الكتابة السياسية وكتابة المقالات نلقـح الفراغ بالفراغ عند المسئولين فان عزاءنا اننا عند الناس موضع تقدير واجلال٠ ولم لا والكلمة التى نطلقها ليست عندهم فراغـا وانما هى نبض قلوبهم وكلمتهم التى يريدون أن يقولوها ولا يجدون السبيل أو الأداة فاذا الكاتب سبيلهم وأداتهم ٠

وحسبنا نحن الكتاب أن نكون عند قرائنا كذلك وليس يعنينا من بعد اذا اعتبر المسئولون كلامنا فارغا أو اعتبروه شيئا جديرا بكل اهتمام ورعاية ٠

اننا نحن الكتاب سنظل نكتب وسنظل مصرين على أن نقول كلمة الحق التى نعيش لها وبها فان عملنا فى الحياة أن نكتب رضى عما نكتب أقوام أو لم يرضوا ٠٠

انما نرضى نحن الله وأنفسـنا وانها لجليـلة عند ربك أن ترضى نفسك ٠ فالنفس الشريفة لا ترضى الا بالجهد الجهيد والصدق القاسى

العنيف . سنظل نكتب مهما يكن الثمن الفادح الذى نبذله من حياتنا ومن أعصابنا ومن أنفسنا . وعند الله حسابنا وهو سبحانه لا يخزى القوم المؤمنين .

وهناك جزاء لنا نحمده حين نفكر فى أنفسنا ككتاب أعمال فنية من رواية وقصة قصيرة ومسرح وشعر اننا فى هذه المجالات نتوجه بأعمالنا الى الناس كافة وقد نرضى بعض ناس ونسخط آخرين ولكن لا شك أن الأخلاق العامة للبشرية تأثرت تأثرا كبيرا بالأعمال الفنية لأصحاب الأقلام .

ترى ذلك أوضح ما يكون فى الشعر والشعراء وانى ذاكر لك بضعة أبيات تريك أو على الأقل تذكرك بالأثر الهائل فى حياة العرب لهذا الشعر أقرأ مثلا :

ويجهد للمعروف فى طلب العلا   لتحمده يوما عند ليلى شمائله

وأقرأ معى هذه الأبيات وكان يتمثل بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم   طابوا وطاب من أولاد ماولدوا
محسدون على ما كان من نعم   لا زايل الله عنهم ماله حسدوا

ألا تجد فى هذين البيتين كل قيم العرب أذاعها البيتان مؤثرين فيها متأثرين بها فى وقت معا .

واقرأ معى :

مصابيح فى الهيجا مكاشف للدجى   بنى لهم أباؤهم وبنى الجد
وتعذلنى أفناء سعد عليهمو   وما قلت الا بالذى علمت سعد

خلق عربى أصيل واذاعة للفضل وانتقاص من الظلم وهجوم على الباطل فى صياغة عربية فذة تريننا كيف كان الشعر العربى مؤثرا فى حياة الجماعة ومتأثرا بها فى وقت معا .

واقرأ معى :

وان الذى بينى وبين بنى أبى   وبين بنى عمى لمختلف جدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم   وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومى وانما   ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهمو   فليس كبير القوم من يحمل الحقدا

وبعد فقد رويت لك كل هذا الذى رويت من الذاكرة ولو اننى عمدت الى الكتب لما اتسع لأمثلتى عشرات المقالات بل مئاتها ٠

والشعر أوضح الآداب تأثيرا وأثرا فى المجتمع أما الرواية والقصة القصيرة والمسرحية فهى تتسلل الى النفوس فى دروب خفية وتصنع المثل العليا والخلق الأسنى دون أن يكون لها صراحة الشعر وضجيجه ٠ فالشعر خطيب والقصـــة والرواية والمسرح متحدثون اليك يلقون الكلام كأنهم لا يعنون من ورائه شيئا غير التسلية بينما هم فى الحقيقة أصحاب أهداف ورسالات تصل الى العميق من نفوسهم المتلقين وتصنع دون أن يحسوا أخلاقهم ومثلهم الرفيعة ٠ وترسم لهم طريق حياتهم الانسانية جميعا ٠

وبعد فان كان الكتاب فى بعض الأحيان يكتبون فلا يجدون سميعا من مسئول ويحسب المســئولون أقوالهم مثل كوب حفيدتى فراغا يملأ فراغـا ٠

فان الكتاب أنفسهم مع ذلك هم الذين يشـــكلون ضمير المجتمع ويرسمون طريقه ويرفعون الى الســماء معالم الشرف والفضيلة والنبل وحسبهم هذا مكانا عند الله وعند عباده أجمعين ٠

الأهرام ٢٠ أكتوبر ١٩٨٩ م

بين القديم والحـديث

سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا الله . كلما أنعم الانسان النظر فى تاريخ الاسلام يجد عجبا . فترتيب الخلفاء الراشدين معجزة فى ذاته . ان يأتى أبو بكر ثم عمر آية من السماء ليصبح الاسلام على ما هو عليه اليوم من انتشار وقوة ومنعة .

ففى السقيفة رفع أبو بكر يد عمر ويد أبى عبيدة وناشد المجتمعين ان يختاروا واحدا من الاثنين وكلاهما من أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول عمر فيما بعد ما معناه ما تولانى رعب فى حياتى أشد من رعبى فى ذلك اليوم وأنا أنظر الى نفسى رئيسا على قوم فيهم أبو بكر . وهكذا لم يكن عجيبا أن يصبح عمر يومذاك ببيعة أبى بكر ويتبعه أبو عبيدة ويبايع الحاضرون جميعا أبا بكر رضى الله عنه وتتم البيعة بعد ذلك .

وبعد فمن كان يتصور حين يتألب الخوارج على الحكم الاســـلامى رافضين أن يدفعوا الزكاة .. من كان يتصور أن يجرى هذا الحوار بين عمر المعروف بصلابته فى دينه وشدته وبين أبى بكر المعروف بطيبته ولين قلبه وميله للمهادنة يقول عمر ما معناه .

ـ أتحارب قوما يقولون لا اله الا الله ؟!

فيقول ابو بكر ما معناه .

ـ أحاربهم حتى يقولوها بحقها والله لو منعونى عقالا كانوا يقدمونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاربتهم عليه أو أقتل دونه .

كيف أصبح عمر فى لحظة بهذه الملاينة وكيف أصبح أبو بكر فى نفس اللحظة بهذه الشدة الا أن تكون معجزة سماوية كبرى ليصبح ديننا الأسنى الى ما صار اليه .

وينتصر المسلمون فى حرب الخوارج ويواجه ابو بكر أول تحـد للاسلام بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، بقلب من حديد وعزيمة لا تعرف الوهن وينتصر بأمر الله ويواجه التحدى الآخر الذى يشنه أدعياء النبوة بنفس الحسم وينتصر باذن الله .

ويوطد أبو بكر الرجل اللين العريكة الشفيف النفس الأواه الحليم القريب الدمعة أركان الاسلام بعزيمة لا تعرف الوهن ولا تمسها المهادنة .

ثم يأتي عمر ويفتح بالجيوش الاسلامية مشارق الأرض ومغاربها ويعزل « خالد بن الوليد » ويعرف العالم ان المسلمين هم الذين ينتصرون لا خالد . ويقوم عمر بانشاء الدولة الاسلامية فى الداخل أيضا ويضع القواعد والقوانين لعماله فى أنحاء العالم الاسلامى المترامى الأطراف .

فاصبح للدولة ميزانية مستقلة لأول مرة فى عهده أما الآداب التى أخذ بها عماله فانى مقدم لك مثلا وسأكتفى به لأن الأمثلة كثيرة لا تسعها رواية أو قص .

هذا مثل قرأته فى كتاب العلامة الجليل أحمد التاجى سيرة عمر ابن الخطاب الخليفة الراشد . يروى فيه ما يلى :

« سمع عمر ان سعد بن أبى وقاص فاتح العراق ، سكن فى قصر الامارة بالكوفة ، وجعل له بابا يحجبه عن المسلمين .

فنادى عمر محمد بن مسلمة الأنصارى وقال له :

انطلق الى سعد بالكوفة فاذا بلغتها فامض الى سوقها ، واشتر بدرهم حطبا ، وأحرق به باب القصر الذى يسكنه سعد ثم أعرف خبره وعد الينا سريعا .

وذهب ابن مسلمة وأحرق الباب وسعد فى دار الامارة فسأل سعد : من وضع هذا ؟

قالوا : محمد بن مسلمة ، وهو فى خارج الدار .

فأرسل اليه سعد ليدخل اليه فأبى . فقام سعد اليه حتى أتاه عند الباب ، وطلب منه الدخول فرفض وسلمه كتاب عمر . وقرأه سعد :

« بلغنى انك بنيت قصرا اتخذته حصنا ، وسميته قصر سعد .

وجعلت بينك وبين الناس بابا وحجابا .

فهذا ليس بقصرك ، ولكنه قصر الخبال .. (أي الجنون) .

فلا تجعل لقصرك بابا يمنع لناس من دخوله ، وتنفيهم به عن حقوقهم حتى يستطيعوا ان يوافوا مجلسك اذا جلست .

فأخذ سعد ينفى عن نفسه ما نسب اليه ، ويستشهد بمن حوله من الناس فشهدوا له .

ورجع ابن مسلمة يقص على عمر ما رأى وما سمع ٠

وبرأ سعدا من اتهام أهل الكوفة له ٠

فاذا كان عمر يفعل هذا بسعد بن أبى وقاص وهو من هو تاريخه مثل أعلى للمسلمين فكيف هو فاعل بعماله الآخرين ٠ وقصص عمر فى هذا المضار شهيرة جهيرة ٠

وانى أقدم هذا المثل الى أصحاب الوظائف الكبرى عندنا من طالبى الفخامة فى المكاتب والعظمة والجاه والوجاهة فى السيارة ٠

وما كان عمر ليفعل هذا بعماله الا ليكونوا مكان ثقة عند الناس أجمعين وقد استطاع أن ينتزع لهم هذه الثقة وأصبح عمر مثلا رفيعا لم يعرف التاريخ له مثلا فى تاريخ العالم أجمع ٠

ولقد حلت الديمقراطية مكان عمر بن الخطاب ولكنها عجزت أن تكون عدل عمر بن الخطاب ٠

فالديمقراطية تلقى المسئولية على ضمير كل مسئول ولا تستطيع الديمقراطية أن تلاحق المسئولين فردا فردا ٠

وقد كان المسئولون جديرين ان يجعلوا من رئيسنا محمد حسنى مبارك مثلا لهم فى نظافة اليد وفى الجهد الجهيد الذى يقوم به وفى طهر المقصد وشرف الوجهه ونبالة الهدف والسعى لها بكل صدق وأمانة ٠

ولكنهم للأسف الشديد أو كثير منهم على الأقل لا يروم ولا يريد الا ان يبقى فى مكانه وليكن بعد ذلك ما يكون ٠

وحين يصبح المسئول لا هدف له الا البقاء فى كرسيه يضطرب أمره وتصبح قراراته مذعورة مضطربة به متوجسة ليس فيها حسم الدارس ولا جرأة صاحب الحق ٠ ولا حول ولا قوة الا بالله من قبل ومن بعد ٠

الأهرام ١٣/١١/١٩٨٩ م

زلزال فى كلمتين

الحكايات الشعبية قصص قصيرة تروى للموعظة أو للمفاكهة وهى متناثرة فى الكتب لا يجمعها جامع وانى أعجب أن المهتمين بالتراث الشعبى عندنا لم يلتفتوا الى هذه الحكايات ولم يولوها أية عناية ٠

هناك حكاية سمعتها أعجبت فيها بقوة السبك وعظمة الاقناع ولو أن الجانب القصصى فيها ساذج بعض الشىء وهذا أمر طبيعى فكتاب هذه الحكايات ليسوا قصاصين ولا روائيين بالمعنى المفهوم ٠

لا أدرى ما الذى أورد هذه الحكاية الى ذهنى ولا أدرى ما الذى جعلها تلح على الحاحا شديدا أن أرويها لك ولا أدرى ان كنت سترضى عنها أم لا ٠ ولكن ما البأس فى أن أرويها على كل حال والحكم فى آخر الأمر لك إن ترضى فتحتسبها لى من حسناتى أو لا ترضى فتحتسبها على وأمرى الى الله الحكم العدل سبحانه وتعالى وتقدست آلاؤه ٠ قيل فيما قيل ان الملك قال للوزير ـ ولا أعرف أى ملك ولا أى وزير ولا أحسب الراوى نفسه كان يعلم ـ قال الملك للوزير :

ـ أرأيت هذا الخاتم الجميل الذى أهداه الى تاجر الجواهر ٠

وقال الوزير وهو يمسك بالخاتم :

ـ لله دره يا مولاى أنه خاتم فريد فى نوعه ٠

قال الملك :

ـ أريد أن تأخذه معك وتعيده الى فى مدى أسبوع منذ اليوم وقد كتبت عليه كلمتين لا تزيدان يقرأهما الحزين فيفرح ويقرأهما الفرحان فيحزن ٠

فقال الوزير فى دهشة :

ـ ومن أين آتى بهاتين الكلمتين يا مولاى ؟

ويقول الملك في اصرار :

ـ هذا شأنك وأنا ـ بعد ـ لم أكمل كلامي

وقال الوزير في دهشة ٠

ـ وهل ما زال للكلام بقية ؟

وقال الملك :

ـ طبعا اذا لم تأت بهاتين الكلمتين ٠

مكتوبتين على الختام أقتلك ٠

وطار لب الوزير وارتعدت منه الفرائص وقال وهو يرتعش ٠

ـ تقتلنى يا مولاى ؟

ـ أقتلك أيها الوزير ٠

وقال الوزير وهو في رعدته لا يزال :

ـ وهل كنت اخترتنى للوزارة لأنى أديب ٠

أحسن الكلام ؟

ـ وفى اصرار الطغاة قال الملك :

ـ ما دمت وزيرا فلابد أن تحسن الكلام ٠

قال الوزير :

ـ أنت تعلم يا مولاى انني أحسن الكلام في شئون الحكم والسياسة وقد ظللت أعمل معك السنوات الطوال ٠

وقال الملك :

ـ اذن فقد جاء الوقت لتتركنى ويجيء غيرك الى الوزارة ٠

وقال الوزير :

ـ هكذا بلا سبب ٠

قال الملك :

ـ ربما كان السبب طول عهدك بالوزارة ؟

قال الوزير فى محاولة يائسة للنجاة :

ـ اذن أترك الوزارة حيا • ليس من الحتم أن أتركها ميتا •

قال الملك ساخرا :

ـ انك بعد ان بقيت هذه المدة كلهـا فى الوزارة ستجد حياتـك لا معنى لها من غير الوزارة وستجد أن الموت أرحم لك من حياة بلا وزارة •

قال الوزير فى محاولة يائسة أن يميل بالملك عما أمر به •

ـ يا مولاى أترك لى حياتى وأترك لك وزارتك فليس هناك من داع أن أموت وأترك ابنتى الشابة يتيمة وزوجتى بلا عائل •

ـ أأجعلك تترك الوزارة بلا سبب حتى يقول الناس أن الملك يعين الوزير بلا سبب ويخرجه من الوزارة بلا سبب •

وقال الوزير :

ـ أليس هذا خيرا من قولهم ان الملك يقتل وزراءه بلا سبب •

ـ بل السبب موجود •

ـ أين هو •

ـ لقد عجزت أن تكتب كلمتين على خاتم •

ـ وهل صناعة الوزير كتابة الكلمات على الخواتم •

ـ الوزير عندى يجب أن يكون عالما بكل شىء •

ـ هل أنت مصر يا مولاى •

ـ بلا جدال • كلام الملوك لا يرد •

ـ أمرك •

وخرج الوزير يدور على الأدباء وأصحاب المواهب الأدبية فى كل مكان فاذا الجميع عاجز وكتم الوزير مصيبته عن أهل بيته زوجته وابنته حتى لا يثير فيهما الفزع والرعب واثقا انهما لا تستطيعان له عونا •

وقبل أن ينتهى الاسبوع بليلة واحدة جلس الوزير الى ابنته وزوجته وقال لهما :

ـ لابد ان أودعكما الوداع الأخير ٠

وروى لهما مصيبته فاذا بابنته تقول له هون عليك يا أبى هات الخاتم وانفردت الفتاة بالخاتم ليلتها وفى الصباح قالت الفتاة لأبيها :

ـ هاك الخاتم لقد كتب الله لك النجاة ٠

وذهب الوزير الى الملك وقدم اليه الخاتم فاذا الفرحة تشرق على وجه الملك ويستخفه المرح ويضحك ملء شدقيه ثم ما يلبث أن يقطب حزينا ويملكه الفزع والرعب حتى كأن به زلزالا وظل يتقلب بين فرحة وحزن فقد فعلت الكلمتان فعلهما ٠ وقال الملك للوزير ٠

ـ هذا خاتم يجب أن يلبس مثله كل ذى سلطة أو جاه ٠٠ ويجب أن يلبس مثله كل حزين يتملكه الغم وتحيط به دواعى اليأس ٠

ونجا الوزير ولبس الملك الخاتم بكلمتيه ٠ وأصبح منذ ذلك اليوم ملكا عادلا لا يصنع الصنيع الا بعد تدبر وتفكير ٠

كانت الكلمتان ٠

كل يزول ٠

الأهرام ١٩٨٩/١١/٢٣ م ٠

النبى والشعر

حين فتح الله مكة للمسلمين حدث ذلك الحوار الرحيم الرائع بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين أهلها ٠

ـ ما تظنون انى فاعل بكم ؟

ـ اخ كريم وابن اخ كريم

ـ اذهبوا فانتم الطلقاء

ولم يستثن النبى صلى الله عليه وسلم من عفوه الا اثنين هما عقبة بن أبى معيط والنضر ابن الحارث بن كلدة وكانا من أشد الناس عداوة للرسول عليه الصلاة والسلام وللرسالة ٠

فأما عقبة فقد أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى الحجر فوضع ثوبه في عنقه وخنقه به خنقا شديدا فأقبل عليه أبو بكر رضى الله عنه وارضاه وقال جملته الشهيرة اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ٠

وأما النضر فكان اذا تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش القرآن قال : « ان ما يأتيكم به محمد أساطير الأولين » ويقول فيحدثهم بأخبار ملوك الفرس وغيرهم وكأن القرآن الكريم لم يأت بجديد وانما أساطير يعرف هو مثلها وهكذا امر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل هذين فقط ٠

وحين قتل عقبة بن ابى معيط قالت اخته فى رثائه شعرا من أروع الشعر العربى أذكره لك ـ وأذكر لك موقف النبى الكريم العظيم من هذا الشعر ٠

قالت أخت عقبة واسمها « قتيلة » مع ضم القاف وفتح التاء :

ياراكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وانت موفق

بلغ به ميتا فان تحية
ما ان تزال بها الركائب تخفق

منى اليــك وعبرة مسفوحة
جـادت بوادرهـا واخرى تخنق

هـل يسمعن النضر ان ناديتـه
ان كـان يسـمع هالـك أو ينطق

ظلت سـيوف ابيـه تنوشـه
لله ارحـام هنـاك تشـقق

صـبرا يقـاد الى المنية متعبـا
رسـف المقيـد وهو عـان موثق

أمحمـد ولانت نسـل نجيبـة
فى قولهـا والفحـل فحـل معرق

مـا كـان ضرك لو مننت وربمـا
من الفتى وهـو المغيـظ المحنـق

لو كنت قابـل فديـة فلتـاتين
باعز ما يغـلو لديـك وينفـق

فالنضر أقـرب من اخـذت بزلـة
وأحقهـم ان كـان عتق يعتق

ولا أعرف فيما قرأت ان شعرا مثل هذا قيل سابقا لهذا الشعر أو لاحقا به يماثله فما سمعنا أو قرأنا شعرا يمدح القتيل والقاتل ويرثى الميت ويشيد فى نفس الوقت بمن اقتص به ٠

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع هذا الشعر ما معناه لو كنت سمعت هذا الشعر قبل قتله لعفوت عنه ٠

فما أعظم هذا الذى يقوله النبى عليه الصلاة والسلام وما أعظم رحمة الله ٠ فما كان النبى صلوات الله عليه وسلامه يقول هذا القول ان لم يكن واثقا ان الله من فوق السموات السبع يبارك ما يقول ٠

وهذا دليل ان كان الأمر يحتاج الى دليل على سعة العفو عند النبى عليه الصلاة والسلام رسول من يبدأ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم ٠

وهل هناك ابشع من الجريمة التى ارتكبها هذا المجرم الآخر الذى اقتص منه النبى عليه الصلاة والسلام وهو يشوه القرآن الكريم ويغض من شأنه ويكذبه ويحارب الدعوة ٠ وهى بعد وليد لم تثبت فى الأذهان والقلوب ولم تتمكن من الأنفس والمشاعر ويثير حولها الريب والظنون ٠

ولكن نبى الاسلام يقول وهو الذى لا ينطق عن الهوى • انه لو كان سمع شعر « قتيلة » اخت القتيل قبل ان ينفذ حكمه ما انفذه •

لقد قدر النبى الكريم عفة الأخت واعتبر ان مدحها له وهو من قتل أخاها أدبا لا يتفق مع الطبيعة البشرية وانما يتفوق عليها • ورأى فى شعرها مغالبة للنفس ومجاهدة للغضب فهى تحاســـن النبى وتمتدحه وتترضاه وهو هو من قتل أخاها وهذا يدل على أنها تدرك مدى فداحة الجريمة التى تردى فيها أخوها فكان هذا العتاب الرقيق لرسول الله صلى الله عليه وسلم •

ما الذى حدث فى الحياة اليوم مالنا نرى الانسان قد ابتعد ابتعادا قصيا عن هذا الخلق الكريم وما له قد أخذه الزهد وأصبح يتوهم انه قادر ان يخرق الأرض وان يبلغ الجبال طولا •

كل تافه صغير حصل على بعض مال امتلأ زهوا ونسى ربه وهو الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره تقديرا • وبدلا من أن يشكر الله على سابغ نعمته يعلو ويستكبر ويوغل فى المنكرات ايغالا •

وقد يقول قائل من نصبك علينا واعظا وأقول والخشوع يملأ قلبى ورأسى على أرض الله ضارع مكبر للاله الأعظم أريد أن أشكر الله على نعمته ولا أجد لى وسيلة وأريد ان اسبح بنعمته فانا أتلمس بابا الى القارىء حتى لا يقف من شكرى ذاهلا أو عاجبا ناسيا ان حمد الله وشكره هو الأصل وحبس الشكر وكتمانه هو الأمر الذى يدعو الى العجب والدهشة •

فاللهم حمدا لك فى البلاء والنعمى وفى اللطف عنه وقوع القضاء حمدا لا ينتهى يا رب العالمين يا من نعمتك نعم متكاثرة ويا من بفيض رحمتك تتجدد فى نفوسنا الآمال • وبها وحدها نعيش وبها نلقى وجهك يوم يكون الحســـاب •

لك الحمد بما قضيت به ولك الحمد وانت تشفع القضاء باللطف ولك الحمد وانت تزيل عنا البلاء ولك الحمد فى البدء والنهاية وفى الدنيا والعليا حمدا بقدر كل شهيق وزفير وحمدا بعد الشهيق والزفير ونحن فيما قدرت لنا فى الحياة الآخرة حمدا لا ينتهى يارب العالمين •

الأهرام ١٨/١٢/١٩٨٩ م

لافتات على فراغ ٠٠ !

عجيب أمر بعض الناس انهم يخلقون لأنفسهم الهة يعبدونها من دون الله وكأنهم قوم بلا دين ٠

وقد خلق أصحاب اللافتات المرفوعة على فراغ الهة من هذه اللافتات واستظلوا بها وكان من الطبيعي ان تحرقهم الشمس وتكوى اقفاءهم ولكنهم يظنون لغيبة الرشد عن عقولهم انهم من لافتاتهم فى ظل وريف وقصر منيف وجنات وعيون ٠

من هذه اللافتات « القطاع العام » يصيحون حوله بالتقديس والتكبير والتعظيم ٠ لا الغاء للقطاع العام سبحان الله العظيم ٠ وهل طالب أحد بالغائه ؟! وهل يمكن ان يلغى القطاع العام ؟! وكيف ٠ وهل هناك دولة فى العالم مهما يكن ايغالها فى الرأسمالية بلا قطاع عام ٠ وكيف يلغى وأين يذهب اذا هو الغى كيف نجعل الشركات الكبرى مثل شركات النسيج قطاعا خاصا ٠ ومن هذا الذى سيشتريها الا أن تكون شركة استثمار كبرى وهيئات ، وكيف نلغى مصنع الحديد والصلب أو شركة الألمونيوم ٠ أو غير هذا من الشركات التى فى هذا الحجم الضخم ؟

لا أحد يتصور الغاء القطاع العام ٠ انما لابد ان يتطور ولابد أن تتحول المحلات الوسيطة الى قطاع خاص وقد ضرب الرئيس حسنى مبارك المثل من الشركات التى تبيع الطعمية وقال انها لا يجوز أن تنتسب الى القطاع العام ليسمح لى فخامة الرئيس ان أذهب الى البعد من ذلك ٠ فالشركات التى تقوم بعملية البيع عامة لا يجوز أن تظل فى أيدى القطاع العام ٠ فمثل هذه المحلات أو أغلبها على الأقل لا يأتى بخير على الدولة ومعاملة موظفيها للجمهور معاملة السادة للعبيد لأن الحافز الشخصى غير قائم ولا يهم الموظف أن يكسب المتجر أو لا يكسب وهذا أمر شهدناه ثم ان هذه المتاجر لا تمثل صناعة كبرى تخسر الدولة اذا هى خرجت من يدها ٠ بل أغلب هذه المتاجر عبء ضخم على الدولة لانعدام الدافع الشخصى فى ادارتها ومثل هذه المتاجر لا يتبع الدولة الا فى البلاد الشيوعية التى تتحرر اليوم من النظام الشيوعى وتتجه الى الحرية فى المال والنفس جميعا ٠

ومن عجب ان تتحرر الدول الشيوعية من ربقة هذه القيود ونظل نحن أسرى هذه الكبول والاصفاد ٠

انه لا أمل للاقتصاد المصرى ان ينتعش الا اذا واجهنا اللافتات المرفوعة على فراغ والتى تثقل كاهل الدولة اثقالا وتكتم أنفاس الاقتصاد المصرى حتى لا يستطيع ان يتنفس ٠

واللافتة الأخرى هى لافتة « التعليم المجانى » ولا مساس وسبحان الله العظيم ، ويجادلون قائلين كيف للفقير ان يتعلم اذا نحن الغينا مجانية التعليم ؟ ولم يدع أحد الى الغاء المجانية وانما نادينا ان تكون لغير القادر وليس للقادر ٠

والا فكيف يسوغ فى الأذهان ان نرى التلميذ فى المدارس الخاصة فى مرحلة الحضانة والتعليم الابتدائى والتعليم الاعدادى والتعليم الثانوى يدفع مبالغ يشيب من هولها الولدان حتى اذا بلغ الجامعة قمة التعليم يصبح تعليمه مجانيا ٠

وكيف يسوغ فى الأذهان ان نرى السيارات الفارهة الفخمة تحمل التلميذ الى حرم الجامعة حتى اذا دخل الى المدرج أو المعمل فى الكلية التى ينتسب اليها انقلب بفعل السحر الى طالب فقير يستحق ان ينال تعليمه بالمجـــان ٠

أى عقل يرضى بهذا ؟

أى منطق ؟

أى عـــدل ؟

أتكون الدولة مرهقة هذا الارهاق الاقتصادى ويتعلم أصحاب الثراء تعليما مجانيا ويكلف الدولة التى تنوء بأحمالها آلاف الجنيهات للطالب ٠

أليس من المنطق الطبيعى للأمور ان يدفع القادرون مصاريف تعليمهم ويتركوا المجانية لغير القادرين ؟

وأمر آخر أن مجانية التعليم حق رتبته الدولة على نفسها وليس هناك حق لا يقابله واجب فكيف يعقل أحد أن يسقط الطالب ولا يؤدى واجبه نحو نفسه ووطنه ويظل متمتعا فى نفس الوقت بمجانية التعليم ٠

أليس من الطبيعى ان تحرم الدولة الطالب الذى لا يذاكر من مجانية التعليم ام يلعب هو ويلهو والدولة تدفع مصاريف تعليمه وياليتها تدفع هذه المصاريف من حر مالها ٠ وانما هى فروض ذات فوائد وحشيه فاحشة اتستدين الدولة ليتعلم الأثرياء والفاشلون واللاهون عن أبسط واجباتهم ؟

وانني اتساءل فى أى دولة رأسمالية فاحشة الثراء نجد هذا النظام .. ان وجد فلابد ان الدولة التى تصطنع هذا النظام دولة غاية فى الثراء وليست دولة مدينة بديون بالغة الضخامة ٠

ومن اللافتات المرفوعة على فراغ أيضا لافتة الدعم ٠ ذلك النظام الذى جعل الناس يقدمون العيش طعام الآدمى الى البهائم لرخص العيش وغلاء العلف ٠

ان المستفيدين من نظام الدعم ليسوا هم الفقراء وحدهم ومن ضاق بهم الوسع وانما يستفيد به أيضا الأثرياء وتلك عجيبة أخرى من العجائب الكبرى ٠

ان الدعم هو من مال الشعب وليس مالا ملقى فى الطريق لا صاحب له ٠ تتحمله الدولة وتكون النتيجة ان ينتفع به أكبر انتفاع الأثرياء من أصحاب المزارع التى يربون فيها العجول وغيرها من الماشية ٠

ترى هل فرضت الحكومة الدعم على نفسها ليستفيد به الأثرياء ؟

الأهرام ١٩٨٩/١٢/٢٥ م :

مقـــــالات

١٩٩٠

تصحيح لابد منه

اعتمدت فى المقال المنشور فى ١٢/١٨ من العام الماضى على كتاب الأغانى الذى ذكر واقعة مقتل عقبة بن معيط والنضر بن الحارث بن كلدة وقصيدة أخت النضر فى رثاء أخيها ومدح النبى صلى الله عليه وسلم فى وقت معا ٠

ويبدو أن كتاب الأغانى ، الا ان شئت الحق « تجريد الأغانى » تحقيق أستاذنا عميد الأدب العربى د٠ طه حسين وابراهيم الأبيارى ، لا يصلح مرجعا دينيا فقد جاءتنى خطابات كثيرة تصحح الواقعة وهم يعتمدون على كتب دينية أعظم تثبتا من كتاب الأغانى الذى يعتبر مرجعا أدبيا ولا يعتد به كمرجع تاريخى لأحداث الشريعة الاسلامية ٠

وانى انشر واحدا من هذه الخطابات يغنى عنها جميعا لعلى بهذا اعتذر عن اعتمادى على مرجع أدبى فى واقعة دينية وليغفر لنا الله خطايانا أنه سبحانه العفو الغفور ٠

أما اننى ذكرت اسم عقبة بدلا من النضر فهذا الخطأ عن سهو منى فى النقل وكنت خليقا أن أصححه وأنا أقرأ الأبيات وفيها اسم النضر ولكن قاتل الله السهو فقد أوقعنى فى هذا الخطأ وحسبت أن الجمهور سيدرك أنه ما أوقعنى فيه الا السهو ٠

أديبنا الكبير ثروت أباظة ، لا شك أنك كاتب مرموق ، من أعلام أدبائنا لا فى مصر فحسب ولكن فى كل أرجاء الوطن العربى ومن ثم فالقراء يأخذون عنك ٠٠ وهم واثقون من صحة ما تكتب ٠٠

بيد أن الكمال لله وحده ٠٠ ولكل عالم هفوة ٠٠ لذا ، فقد وجدت بعض الأخطـــاء التاريخية فى مقالتكم « النبى والشعـــر » فى أهرام ١٩٨٩/١٢/١٨ فبادرت بالكتابة اليكم مصححا تلك الأخطاء وهى مرفقة : الأخطاء والتصحيح ٠٠ وهى مرسلة اليكم رجاء نشرها فى نفس المكان الذى وقعت فيه الأخطاء ٠٠ وذلك ليتم للقراء معرفة الخطأ والصواب ٠٠ وهذا فى رأيى يرفع من قدرك لدى القراء لسببين اثنين : الأول : شجاعتكم

اذ بادرت بنشر التصويب ، لأخطاء وقعت منك ، وأنت من أنت كاتبا ومفـــكرا ؟!!

الثاني : عدم مكابرتك واذعانك للحق ولو كان عليك لا لك !!

أستاذنا الكبير ثروت أباظة ، دفعني للكتابة اليك كوني واحدا ممن شرفوا بكتابة السيرة النبوية ، وبأسلوبين اثنين : شعرا ونثرا ، وهذا أمر لم يسبق اليه كما قالوا ذلك في مجمع البحوث الاسلامية ، طبع الجزء الأول في المجلس الأعلى للشئون الاسلامية عام ١٩٨٠ وتم طبع الأجزاء كلها هذا العام في دار التراث وهو في مجلدين اثنين ·· بأذن الله سوف أهديك نسخة من هذا العمل الذى يعتبر لونا جديدا في تأليف الكتب ··

أكرر الرجاء بنشر هذا التصويب ذلك لأنني أعتبر نفسي مسئولا عن السيرة النبوية لكوني أحد كتابها ··

في أهرام ١٩٨٩/١٢/١٨ كتبتم تحت عنوان « النبي والشعر » ما يلي :

حين فتح الله مكة للمسلمين حدث ذلك الحوار الرحيم بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين أهلها ··

ــ ما تظنون أني فاعل بكم ؟

ــ أخ كريم وابن أخ كريم ··

ــ اذهبوا فانتم الطلقاء ··

ولم يستثن النبى صلى الله عليه وسلم من عفوه الا اثنين هما : عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وكانا من أشد الناس عداوة للرسول عليه الصلاة والسلام وللرسالة ·

فأما عقبة ، فقد أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى في الحجر ، فوضع ثوبه في عنقه ، وخنقه خنقا شديدا ، فاقبل أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه وقال جملته الشهيرة :

اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ــ تقصد هذا كان قبل الهجرة النبوية من مكة الى المدينة ··

وأما النضر فكان اذا تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش القرآن قال : « ان ما يأتيكم به محمد أساطير الأولين» ، ويقوم فيحدثهم بأخبار ملوك الفرس وغيرهم وكان القرآن الكريم لم يأت بجديد ، وانما أساطير يعرف هو مثلها ، وهكذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل هذين فقط ·

وحين قتل عقبة بن أبي معيط قالت اختة في رثائه شعرا من أروع الشعر العربي ثم ذكرت القصيدة المكونة من عشرة أبيات أولها :

يا راكبـــا أن الأثيـــل مظنـــة
من صـــبح خامســـة وانت مـــوفق

وأخرها :

فالنضر أقـــرب من أخـــذت بزلـــة
وأحقهـــــم أن كـــان عتق يعتـــق

وبعد التأكد من صحة ما قرأت لاحظت أخطاء ثلاثة :

الأول : الذين أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دماءهم يوم فتح مكة كانوا سبعة وليسوا اثنين ، وليس من بينهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث ٠

الثاني : ان عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قتلا صبرا في أعقاب غزوة بدر الكبرى ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما ، وقد كانا بين الأسرى ــ أسرى بدر ــ بعد أن تم النصر لرسول الله عليه الصلاة والسلام والمسلمين في غزوة بدر الكبرى ، عادوا بالغنائم ، وقد سبق الأسرى مقيدين يعلوهم الذل والصغار بين أولئك الأسرى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وقد نزلوا الى جنب الطريق ليستريحوا من عناء السفر وهنالك قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفيء بين أصحابه وفي نفس المكان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يضرب عنق النضر بن الحارث بحد السيف ٠

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى النضر بن الحارث وهو أسير فقال النضر للذي بجانبه : محمد والله قاتلي ، فانه نظر الى بعينين فيهما الموت ، فقال له : والله ما هذا الا رعب منك ٠٠

وارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم نزلوا في موضع آخر ، وفيه أمر بضرب عنق عقبة ابن أبي معيط ، أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه ٠٠ وحينما قدم ليضرب عنقه قال : فمن للصـــبية يامحمد ؟! قال : النار ٠٠

الثالث : انك قلت : وحين قتل عقبة بن أبي معيط ، قالت أخته في رثائه شعرا من أروع الشعر العربي ٠٠ وهي ليست أخت عقبة ٠٠

والصحيح انها أخت النضر بن الحارث وآخر بيت فى القصيدة يؤكد ذلك اذ يقول البيت الأخير :

فالنضر أقرب من أخـــذت بزلـــة
وأحقهـــم ان كـــان عنق يعتـــق

محمد عايش عبيد رئيس نادى الأدب
بالعريش ـ شمال سيناء »

الأهرام ١/١/١٩٩٠ م :

الكاتب والبصيرة

جاء لزيارتي الأستاذ على ابراهيم وكيل النيابة وهو مني بمكان الابن وجرى الحديث أمامه عما يجرى الآن فى الدول الشيوعية فاذا بالأستاذ على ابراهيم ينبهني انني كتبت مقالا عن كتاب فرنسى فى ٨ مارس سنة ١٩٧٧ فعجبت لذلك فأنا لا أذكر عن هذا المقال شيئا ٠

وانفض المجلس ولكن الأستاذ على ابراهيم طالعني فى اليوم التالى بأحد الكتب التى تجمع بعض مقالات لى وقدم لى هذه المقالة التى لا أتردد فى نشرها مرة أخرى لأثبت ان الكتاب بما وهب الله لهم من شفافية قادرون على توقع الأحداث قبل حدوثها ٠ ولا أقصد بذلك نفسى - لاقدر الله - وانما أقصد الكاتب الذى كتبت عنه هذا المقال منذ ثلاثة عشر عاما ٠

وهاك المقال الذى نشر بالأهرام فى ٨ مارس ١٩٧٧ ٠

« السقوط النهائى »

أعطانى الأستاذ الكبير حسين أبو الفتح مجلة المستقبل اللبنانية ولفت نظرى فيها مقال جدير بأن أقدمه اليك ٠ فالأستاذ حسين أبو الفتح صحفى متعمق وكان نقيبا للصحفيين ويستطيع بخبرته أن يضع يده المدربة الواعية على المواضع الهامة ٠ يلخص المقال كتابا جديدا صدر عن دار « الحريات عام ٢٠٠٠ » الفرنسية التى يشرف عليها الكاتب الفرنسى جان فرانسوا رفيل وعنوان الكتاب « السقوط النهائى » للكاتب « ايمانويل تود » والسقوط النهائى الذى يعنيه المؤلف الشاب هو سقوط النظام القائم حاليا فى الاتحاد السوفيتى ويشرح الكاتب نظريته قائلا ٠٠ هناك رأيان غريبان فى الاتحاد السوفيتى رأى أهل اليمين الذين يتعاملون معه وكأنه حقيقة ثابتة لا تقبل التغيير ٠

ورأى الشيوعيين الأوربيين الذين يرون فى موسكو نهاية المطاف والحلم الأزلى للنظام الشيوعى الذى أرسى قواعده كارل ماركس ويرى المؤلف أن الرأيين خاطئان لأن المجتمع السوفيتى يعانى من أزمات قد تنفجر بعد خمس أو عشر أو عشرين سنة ٠

ويرى الكاتب ان هذه الأزمات تتمثل فى جمود الوضع الاقتصادى والتمايز القومى داخل الاتحاد السوفيتى وتصاعد حالات المعارضة والمظاهرات وحوادث العنف •

ويمضى المؤلف الشاب فى تفصيل كل سبب من هذه الأسباب ثم يتكلم الكاتب بعد ذلك عن الارهاب ويقول انه لم ينفرد به العصر الستالينى بل أنه مازال يسيطر على روسيا حتى اليوم فالحكام فى خوف دائم من الانتقاد ولذلك فهم يستعينون دائما بالشرطة ، الأمر الذى يدل على وجود تناقضات طبقية واجتماعية لم تحل بعد على عكس ما تدعيه خطب المسئولين الرسميين ويستشهد الكاتب بنظريات ومؤلفات كتاب يساريين ويمينيين حول حتمية تفكك دولة الديكتاتورية البروليتارية وتحولها الحتمى الى دولة بوليسية فيختار من فلاسفة اليسار « هيشيل باكرنين » الذى توقع هذا التحول وجادل فيه ماركس ثم « روزا لوكسمبورج » التى حذرت من هذا الخطر فى رسائل لها شهيرة الى لينين ومن فلاسفة اليمين يستشهد بالمفكر الانجليزى « هيلربيلوك » و « ماكس ويبر » و « ج • ك جالبريت » •

ويقول المؤلف ان خروشوف حاول تحرير النظام من عدم المساواة الناشئة عن الميزات التى يحظى بها أعضاء الحزب ولكن مرحلة خرشوف كانت قصيرة والسبب ان المستفيدين من هذه الفوارق أحسوا بالخطر من جراء السياسة الخروشوفية التى ستقضى على ما يتمتعون به من ميزات •

ويمضى الكاتب قائلا ان تفكك الامبراطورية السوفيتية أمر محتم خلال السنوات العشرين المقبلة والأسباب هى الجمود الاقتصادى حيث لم يصل العامل السوفيتى بعد ستين سنة من الثورة الى نفس مستوى زميله العامل فى ايطاليا أو أسبانيا أو حتى المكسيك فبرغم أن الدولة تخصص سنويا ٢٥٪ من الدخل القومى لاستثمارات جديدة ، فان العائدات تقتصر فقط على زيادة فى عدد الآليات وليس فى كمية الانتاج ثم البيروقراطية التى لا توزع الآليات حيث يجب أن توزع بل هى تحاول المتاجرة بها ثم مركزية التخطيط التى ثبت فشلها فى بلد شاسع المساحة كالاتحاد السوفيتى الذى بلغ مساحته ٢٣ مليون كيلو متر مربع •

أما العامل الأهم فى فشل الانتاج فهو الحالة السلبية للعمال الذين لا يجدون أى تحسن ملموس فى مستوى معيشتهم منذ ثلاثين سنة بل يلاحظون ان معظم جهودهم تذهب للصناعات الحربية ولرفع سمعة الاتحاد السوفيتى عالميا •

الى هنا ينتهى ما أردت أن أقدمه اليك من هذا المقال عن هذا الكتاب أما أنا فلا تعليق عندى ••• لا ••• لا تعليق •••

ومرة أخرى لا تعليق •••

الأهرام ٨/١/١٩٩٠ م :

قصتان فى قصة الجراء ..!

الجراء جمع جرو والجرو صغير كل شيء ولكنه غلب على أبناء الكلب والجراء فى الكلاب تتعلق بذويها تعلق الخائف من المجهـول والحرص على الحياة مقدرة ان ذلك الكلب أباها وتلك الكلبة أمها تستطيعان أن يحمياها مما لا تعرف. وفي الجراء غباء فهى ترى أباها مزجورا مدحورا تنهال عليه الحجارة ويزجره الناس ويرغمونه على الابتعاد عنهم ولكن الجراء لا تقدر ما يلاقيه أبوها من هوان . فهى تظل متشبثة به متصورة انه الأسد الهصور الذى يستطيع أن يرد عنها عادية الزمان والطبيعة عجيبة فى تكوينها فكما تشاهد هذه الجراء فى الكلاب تشهد أمثالها فيمن نطلق عليهم آدميين . وان كانت صلة الدم تجمع بين الجرو والكلب والكلب وأبيه فان صلة عجيبة طالعتنى فى كتاب أقرأه تجمع بين بعض الناس وبين انسان ما ولقد ذكرتنى هذه الصلة العجيبة بأسرة كلاب فى قرية قريبة من قريتنا غزالة بالشرقية فان بها كلبا كان يعيش عيشة مرفهة فى بيت عمدة وهذا العمدة كان قاطع طريق كون ثروة ثم حلا له أن يكون ذا سلطان فترك قطع الطريق غير الشرعى ورشح نفسه عمدة فأصبح قاطع طريق شرعيا يفرض الأتاوات على أهل البلد جميعا يعززه سلطانه وتحميه سمعته القديمة ترتعد لها الفرائص من الرعايا فيقدمون الاتاوات عن يد وهم صاغرون .

وكان فى بيت العمدة كلب وكان هذا الكلب مدللا حسن المأكل مخيف المظهر جشع المطالب . تزوج كلبة من القرية وأنجبا معا عدة جراء وظلت الجراء متعلقة بأبيهـا وأمهـا فى طفولتها وما فى ذلك عجب وليس فيه ما يدهش . ولو ان الأمـر اقتصر عند ذلك ما خـرجت سيرة هذه الأسرة الكلابية من قريتها لتبلغ قريتنا وتتناقل القرى الأخرى أمرها فى دهشـة وعجب .

فطبيعة الجراء انها اذا شبت عن الطفولة وأصبحت كلابا صغيرة راح كل منها يبحث عن مراحه الخاص ومأكله وملعبه ، الا أسرة هذا الكلب ، فقد استطابت العيش فى بيت العمدة وألهمها ذكاؤها انها ان تركت هذا البيت فانها لن تجد ما تنعم به من عيش خفيض وطعام وفير وملاذ لين . ومرة أخرى لا عجب فى هذا فقد يكون حرصها على المطعم وخفض العيش سببـا ان تبـقى بجانب أبيها وأمها . ولو ان الأمر اقتصر عند ذلك لما بلغ

قريتنا ولا تناقلته القرى الأخرى • ولكن ما حدث بعد ذلك هو ما جعل أسرة الكلاب هذه أحدوثة المنطقة جميعها وهو ما جعلنى أنقلها اليكم لقد مات العمدة وتولى العمودية رجل آخر من أعيان القرية وأصبح الكلب المدلل كلبا أجرب يتلمس رزقه مما تلقى البيوت على أكوام السباخ وفى الأزقة وفى زرائب المواشى ، ولكن الناس كانوا يردونه عن هذا الرزق ذاكرين ما كانوا يلاقونه من خسف على يد صاحبه السابق • انما الغريب حقا الذى دعانى أن أقص عليك هذا النبأ ان الجراء التى كانت تلازمه جراء ثم كلاب صغيرة فى بيت العمدة السابق كبرت وأصبحت كلابا كبيرا وأصبح من الميسور لها أن تتوه وسط كلاب القرية فلا يزجرها زاجر ولا يردها كاره لأبيها ولكنها مع ذلك أصرت أن تظل ملاحقة لأبيها فى دورانه على أكوام القمامة ، وأخلاف البهائم • مسكينة هذه الجراء • لقد أصبح الرزق فى عقولها القاصرة مرتبطا بأبيها حتى وهو فى هذه الحال الضنك التى صار اليها •

وحين يتناقل أهل قريتنا هذه العجيبة يمصمص الرجال الحكماء شفاههم قائلين ان الكلاب ترعى صلة الدم وأصرة الرحم • ولست أدرى ـ فما سألت ـ ماذا ترى يقول علماء الحيوان والأجناس عن هذه الظاهرة •

الا أن العجب عندى زاد أضعاف أضعافه ، وأنا أقرأ فى هذه الأيام فى كتاب عن المماليك فقد نبتت من ثنايا الكتاب قصة قريبة من قصة الكلب والجراء فى بعضها وتفوقها غرابة فى بعض منها آخر • فان تكن وشيجة الدم وأصرة القربى عذرا عن الكلب وأبنائه فأى أصرة أو وشيجة تفسر ما قرأته فى هذا الكتاب الذى يروى عن مملوك طغى وبغى وعدا على الناس كل عدوان • وكان له تابع يجمع عنه المال معملا السوط فى جمعه • وكان هذا التابع يشترى للمملوك عبيدا يخدمونه وكان يغرر هؤلاء العبيد بالمال حينا ويرعبهم بالسوط حينا آخر • وأصبح للمملوك والتابع عبيد كثيرون يدينون بولائهم لصاحب السوط وكيس النقود وان كانوا معزولين عن المملوك نفسه فقد كان المعاون هو الصلة بين الأوامر منه والتنفيذ منهم •

ويقول الكتاب ان المملوك مات وان التابع انزوى فى بيته خاسئا مغلوبا على أمره وان المملوك الجديد أصدر أمره فحرر كل العبيد الذين استذلهم التابع النخاس بسوطه وماله •

وساح العبيد السابقون أحرارا فى معاشهم ومنهم من أصاب مالا ومنهم من أصاب مكانة ، ومنهم من افتتح مقهى ومنهم من تاجر فى غلال • وحاول كثير منهم أن ينسى تلك الأيام التى كان فيها عبدا مهينا يساق بالسوط ويستذل بكيس النقود •

ولكن الكتاب يقول فى اندهاش مذهول ، ان بعض العبيد مع انهم أصابوا الغنى وبعضا منهم آخر أصابوا المكانة وبعضا ثالثا منهم أصاب الأمرين معا ما يزالون بالنخاس صاحب السوط والكيس مع ان السوط زال عن يده والكيس الذى عنده ينفق منه على نفسه وعياله ولا ينفق منه على أحد ممن كانوا أتباعه ويصرون على أن يظلوا أتباعه . ويعجب الكتاب الذى أقرأه أتكون العبودية عند بعض الناس غريزة فمالهم لا يعبدون الله الذى فى عبادته سيادة للانسان وشرف ويستذلون رقابهم فيعبدون من كان بالأمس يمزق جسومهم وكرامتهم وانسانيتهم بالسياط ويجعلهم يبصبصون وراءه بذيولهم اذا أبدى لهم الدينار .

أتكون عبودية الفرد نوعا من الأمراض عند الأذلاء الذين هانوا على أنفسهم فهانوا على الناس .

والكتاب قديم فهو بطبيعة الحال لا يستطيع أن يتقصى هذه الظاهرة حولنا فى كثير من الأحيان فالنفس البشرية لا تتغير وما كان يحدث فى عصر المماليك لابد يحدث فى مصر اليوم . أم ترى أكون أنا بعيدا عن هذا المبحث ويكون الأطباء قد أوسعوه تنقيبا وتعميقا وأنا عن أبحاثهم بمعزل؟؟ ربما كان الأمر كذلك . وربما كان هذا هو السبب فى مشاركتى الدهشة المذهولة التى تلبست صاحب الكتاب الذى يروى هذه الواقعة .

وأعود الى نفسى قليلا وأذكر أثرا من الآثار العربية الخالدة أردده كثيرا وكأن قائله كان يستشرف من وراء السنين هذا الذى وقع فى عصر المملوك والذى قد يكون واقعا فى اليوم فى مصر فى عصر الذرة يقول الأثر :

« الذليل بغير قيد مقيد كالكلب اذا لم يسند بعصا عن ... » .

أو ليس من التوفيق أن يجتمع لك هذا الأثر والقصتان اللتان رويتهما عليك فكأنما صاحبه قاله لأختم به هاتين القصتين فان لم ترض عن تسميتهما قصتين فليكن الأمر حديثا أسوقه اليك لا أكثر ولا أقل .

نشر بالأهرام ٢٥/١٠/١٩٦٩

كبرت كلمة تخرج من أفواههم

عرفنا الحكم العاتى الظالم الذى يمنع الكلمة أن تقال والرأى ان يعلن وكانت أياما اعتدى فيها الحاكم على أعراض الرجال وحياتهم • وعلى قيمة الانسان وعزته وعلى شرف الانسانية وكرامتها •

ليست غريبة علينا هذه الأنواع من الحكم فقد رأيناها رأى العين وشاهدناها وهى تمارس على كرامات الناس وأجسادهم • وعلى طمأنينة الشعب وسلامته •

كان الانسان فى مصر يعيش مرتعدا فى داخله حتى لقد روى بعض من الشجعان انه كان اذا فكر فى حال مصر تلفت حواليه حذرا ان يكون أحد قد اطلع على دخيلة نفسه وهمس خواطره فى داخل رأسه •

ليست غريبة عنا هذه الأنواع من الحكم التى قام العالم اليوم يرفضها فى ثورات عنيفة وصاحت أوروبا الشيوعية تطالب بالحرية وتغلبت على الحكام الظالمين وقهرتهم • ودفعت بعض الشعوب الثمن فادحا مثل رومانيا التى مات فيها سبعون ألفا وجرح فيها ما يقرب من ثلاثمائة الف كما قيل كل هؤلاء قدموا دماءهم فداء للحرية والحرية وحدها •

وانى لأعجب اليوم ان أرى بعض المعارضة تعقد المقارنة بيننا وبين شاوشيسكو • كبرت كلمة تخرج من أفواههم فلو كان الأمر كذلك أو شبيها بذلك ما تجرأوا ان يقولوا هذا •

بل هم يعلمون أن مصر اليوم تعيش حرية لم تعرفها فى أى تاريخ لها • فان قلما واحدا لم يقصف وفما واحدا لم يكمم والآراء تقال ضد الحكومة بكل صراحة ووضوح بل كثيرا ما تتجنى هذه الآراء وتظــــلم فلا يردها أحد ولا يمنعها حاكم أن تقول •

فكيف يسوغ فى الأذهان أن تعقد المقارنة بيننا وبين شاوشيسكو • ألا يتقون الله ؟ ألا يخشون فتنة اذا اشتعلت سيكونون هم أول حطب فيها فى مقدمة الحريق •

هل نحن شاوشيسكو بكل ما نعزاه عنه من ظلم وجبروت وطغيان ؟

هل نحن شاوشيسكو بكل النهب والسلب والسرقة التى مارسها هو وزوجته وأقرباؤه ·

هل نحن ساوشيسكو بكل التفرد بالأمر وحده دون أن يكون لغيره فى الحكم رأى أو كلمة تقال ·

هل نحن شاوشيسكو والجرائد لاعمل لها الا التسبيح بحمـــده الرجال واذلال الانسان فى الانسان ·

ألم يمر بنا هذا جميعه ونعرفه ونعرف منه كم يمض النفس قهر وبالانتخابات التى كان ينال فيها الأصوات بالاجماع ·

أنحن اليوم كذلك ؟

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ·

هاهو ذا رئيسنا ناصع الصفحة شريف اليد لم تقترب من ساحته مظنة ولاتحدث أحد من أشرس أعدائه عن ذمته الا بالاعلاء والتقدير والاجلال والاعجاب وهو فى السياسة الخارجية علم باذخ ينال من العالم أجمع كل توقير واحترام وتبجيل · وهو فى السياسة الداخلية يواجه أخطاء العصر المظلم تراكمت جميعها فى عهده ويقوم بالأحمال راضيا بقـدره مستعينا بكل رأى مستأنسا بكل فكر يتمنى ان يصل الى الطريق الأقوم · وتعوقه أفكار مازالت تسيطر على بعض الناس متخلفة من عهد الجبروت والطغيان ويأبى الرجل أن يقول هذا بل يحمل قدره على كتفيه ويمضى فى طريقه مرفوع الرأس عزيزا شامخا مفسحا المجال لكل الآراء ان تقول ولكل الأقلام أن تكتب ·

أمثل هذا الرجل فى نزاهته وسماحته واجتهاده الدائب من أجل مصر فى خارج مصر وداخلها يقال عنه ما تقوله المعارضة ·

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ·

فى عصور الطغيان تنقطع الصلة بين الانسان ووطنه ويعيش مرتعدا مذعورا لايأمن يومه أو ليله فهو نهب للتهديد فى كل لحظة من لحظات حياته يتلفت حوله يحسب كل صيحة عليه من الرعب ·

ليس يطمئن الانسان فى عهد الطغيان انه لايقول شيئا ولايتدخل فى السياسة فهو لا يدرى من أين ستأتيه المصيبة القاصمة ويومئذ لا عاصم من هول الطغيان ·

والكتاب الذى يكتبون اليوم ما يكتبون معارضين مبالغين فى المعارضة

مغالين فيها لايردهم أحد الا ان يقول الشعب المؤمن الذى يعرف الزيف ويرفضه والذى يدرك الحق ويكبره « قتل الانسان ما أكفره » ·

القلم شرف · والقلم أمانة · والهجوم اليـــوم على الحاكم والحكم ليس شجاعة ولاعنترية فيه مادام اليوم الحاكم والحكم لايمنع كلمة أن تقال ولا يعاقب صاحب رأى على رأيه والدار سلام والحياة أمن والقلوب اطمئنان والانسان فى أمان والحمد لله من قبل ومن بعد ·

فأى شجاعة أن يتهجم الكتــاب بالأباطيـــل وان يثيروا النفوس منتهزين فرصة الغلاء الذى نواجهه والله يعلم وهم يعلمون ان هذا الغلاء الذى نرزح تحت سطوته قطعة متخلفة من عهد الظلام والطغيان · كبرت كلمة تخرج من أفواههم · انهم يعلمون أن الشعب لن يلتفت الى مايكتبون الا بكل احتقار واستهانة · ويعلمون ان الحق غالب وان ســـعيهم فى الاثارة مصيره الفشل باذن الله جل علاه !

الأهرام ٢٩ يناير ١٩٩٠ م

الشورى ٠٠ والديمقراطية

كان أحد العلماء مشغولا بغسيل ثوبه واعتصار الماء منه حين مر به أحد المتشككين وقال له : ـ هل هناك مانع من وجود اله آخر مع الله ؟٠٠ فأجابه العالم وهو يعتصر ثوبه وفى بساطة وهدوء : ـ لا مانع ولكن لاشك انك تعنى وجود الهين لايختلفان فى شئون العالمين !!

ـ بالطبع لايمكن ان يختلفا ٠٠

وقال الشيخ فى نفس البساطة : ـ فمادااما لن يختلفا فما فائدة الاله الثانى ؟؟

فما لبث ان زال عن المتشكك شكه وقال : ـ صدقت لا اله الا الله ٠٠

أعجبت بهذا الحوار حين قرأته فان ايمان العالم ايمان ثابت هادىء لم يجزع للسؤال الجرىء ولا غضب وانما أدلى برأيه فى هدوء وهو رأى قاطع لايقبل المناقضة ٠٠ ذلك ان الوحدانية لاتصلح الا لله سبحانه وتعالى فهو يعلم الظاهر والباطن ويعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ثم هو سبحانه ترك لعباده حرية الاختيار وهو لن يعذبهم ليعرف منهم معلوماته ، تخفى عنه فما يخفى عنه شىء وهو سبحانه لن يعذبهم بمظنة ، بل هو اليقين تشهد عليهم به جلودهم وجوارحهم والشهادة هنا ليست اعلاما للمولى جل وعلا وانما الشهادة لتسكت صاحب الخطيئة فلا يناقش ٠ والله سبحانه وتعالى قوى بذاته فهو لن يحتاج الى جند وعتاد ليؤمن وجوده فى الحكم كما يفعل الحاكم الفرد فى الحياة والله سبحانه وتعالى فوق الجميع لايخشى أحدا وهو غنى عن العالمين ، أما الحاكم الفرد فجبان رعديد وكلما ازداد جبنه وهلعه ازداد جبروته وفجوره فهو لا يخاف على كرسيه فقط وانما يخاف على حياته والحيوان أشرس ما يكون حين يخاف على حياته ٠ والانسان فى خوفه على حياته أشد شراسة من الحيوان فهو حينئذ لايعرف حدا لجبروته ينتهى عنده ٠

ولم يحكم حاكم فرد الا وظلم وكان ظلمه فادحا ذلك ان حكم الفرد من خصائص الله وحده جل وعلا ٠ حتى سيدنا النبى محمد عليه الصلاة والسلام أوصاه الله بالشورى فى آيتين ، حين يقول سبحانه « وشاورهم

فى الأمر » وحين يقول « وأمرهم شورى بينهم » ·· وقد أراد الله سبحانه وتعالى ان تحل الشورى هذا مكان الالهـــام فالنوافذ بينــه وبين النبى صلى الله عليه وسلم مفتوحة يأتى اليه منها القرآن الكريم فلا عجب اذن ان يوحى الله الى النبى عليه الصلاة والسلام بالحكم الفصل ولكنه سبحانه وتعالى اختار الشورى بدلا من الوحى ينزل من السماء حتى يتعلم الحكام بعد النبى صلى الله عليه وسلم ان خير حكم بعد حكم الله هو حكم الشورى ·· والشورى فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام هى مجلس الشعب عندنا ومجلس الشورى وهى الديموقراطية فى العالم أجمع ·

هذه الديموقراطية التى ثارت اليها الدول التى كانت شـــيوعية وبذلت الأرواح لتصل اليها متحدية جبروت الحكم الفرد بكل ما يحمل من سلاح وعتاد وجيوش وظلم وبعد عن الضمير وجمود فى المشاعر · مدركة ان الحاكم الفرد وقد أصبح مهددا فى حكمه أصبح مهددا فى حياته ومادام قد هدد فى حياته فلا يقف أمامه ضمير فهو فى الأصل بلا ضمير ولا يمسك زمامه عطف أو اشفاق · فهو فى الأصل بلا عاطفة ولا شفقة ·

وأرى المعارضة تعقد مقارنة بين حكم الفـــرد وبين الحكم فى مصر وتلك والله عجيبة من العجائب فلو كان الحكم عندنا حكم فرد لما تجرأ واحد من المعارضة أن يكتب كلمة مما يكتب · بل لو كان الحكم كذلك عندنا لما وجدت المعارضة أصلا · ولأختفت كلمة الحق فكيف بهم وهم يتجاوزون الحق فى كثير من الأحيان ولا يصادر رأيهم سلطان ولا يعصف برأيهم عاصف أو يقصف أقلامهم قاصف ·

وأغلب هؤلاء المعارضين عاشـــوا حكم الفرد وعرفوا كيف كانت السلطة تعد عليهم أنفاسهم وتضع أعناقهم فى خوانق لاتبارحها مصرة ان تشد فى أى لحظة فاذا هم عدم من العدم · وأغلب هؤلاء المعارضين عرفوا كيف كان حكم الفرد يعتدى على أعراض الرجال والنساء على السواء وكيف تحطم الانسان فى داخل الانسان · وانى الجأ اليهم اليوم ان يقولوا كلمة حق ولو على سبيل الخطأ والاستثناء أهم اليوم يحكمون حكم الفرد ؟ ·· فكيف يتاح لهم ان يصدروا هذه الصحف التى يصدرون وكيف يتاح لهم ان يهاجموا السلطان بما يهاجمون وهل عرفوا فى حياتهـــم حـكم فرد يسمح بما يتمتعون هم به اليوم من حرية فى القول والفعل ؟ ·· أيريدون اذن فوضى فيسمح لمدبرى الجرائم ان يتمادوا فى أعمالهم العدوانية وان يجعلوا مصر تحكم بالحديد والنار من الجماعات الارهابيـــة التى ترفع المصاحف على سيوف القتل والفتك والعدوان ·· أتلك هى الحرية التى ينشدون ·· أم ذلك هو الحكم الذى يبغون ؟؟

أم تراهم يريدون تجار المخدرات ان يعبثوا فى الأرض فســـادا

فيحطموا الأجيال ليثروا هم ويدمروا الاقتصاد المصرى ليزدهر اقتصادهم الشخصى .. أى حرية تريد المعارضة .. وأى حكم ينشدون الا أن تكون شقشقة فارغة يهرفون بها ولايدركون عواقبها .. وسبحان الله العظيم في قوم لايرعون لبلادهم حرمة ولا لوطنهم كرامة ..

الأهرام ١٢ فبراير ١٩٩٠ م

المفسدون في الأرض

قال عليه الصلاة والسلام « حفت الجنة بالمكاره » والكلمة عظيمة ورائعة فالطريق الى الجنة لا يكون الا بمنع النفس عن شهواتها والوقوف بجانب الشرف فى كل ما يصنع الانسان ويأتى فى هذه الحياة الدنيا ·

الطريق الى الجنة ان تمتنع عن النواهى من الرغبات المحرمة الى شرب الخمر الى القتل الى سرقة مال الغير الى النصب الى التدليس والى هـذه المحرمات التى نهت عنها الأديان جميعا · فالنفس مولعة بالمحرمات · والنفس بعيدة الرغبات لا يقف بها الجشع عند حد تنتهى اليه وان لم يردعها وازع من ضمير فلابد أن يردعها وازع من سلطان مؤيد بنصوص القوانين ·

ولا شك أن الفساد قد استشرى فى دواوين الحكومة فى مصر وفى القطاع العام وتلك ظاهرة مخيفة · وأولئك المفسدون الفاسدون لا يجدى معهم نصح أو تبصرة · وانها لعجيبة ان يكون الرأس عندنا الذى يتمثل فى رئيس الجمهورية صالحا طاهرا بريئا من أى فساد بعيدا كل البعـد عن أى مظنة ومع ذلك يستشرى الفســاد فى قاعات الدولة ودواوينهـا وقطاعها العام ·

لقد أصبحت الرشوة شبه قاعدة وأصبح كثير من الموظفين لا ينظر الا الى مصلحته الشخصية مهما تتعارض هذه المصلحة الخاصة من المصلحة العامة وهكذا غاب الضمير وتفشت السرقات وكثرت الأقاويل وسرى الهمس حتى أصبح علنا ·· ولكن ليس معنى هذا ان نأخذ البرىء بما اقترفه المذنب وان نلقى على الأطهار الأبرار · ذنوب الأشرار الفجار · لابد أن يعالج الأمر بحكمة بالغة ولكن لابد أن يعالج ولا يترك لهم الحبل على الغارب بلا رقيب ولا حسيب ولا قضاء ولا عقاب · فترك مفسد واحـد تشجيع لعشرات المفسدين والتراخى فى الضرب على يد اللص يجعل أيدى كثيرة تلص أموال الدولة وتنتهبها فى غير شفقة ولا رحمة ·

وكلما علا منصب اللص وجب الاسراع فى عقابه لأن رئيس العمل نبراس لموظفيه وهو امام لهم ان مال مالوا وان استقام استقاموا فمالى أرى الوزراء يتباطأون فى انزال العقاب باللصوص والنهابين فى الوزارات والشركات العامة ·

لقد نعلم ان اثبات الرشوة صعب غاية الصعوبة وان الوزير قد يدرى أن فلانا من موظفيه يتقاضى الرشوة ولكنه لا يستطيع ان يتخذ ضده اجراء قانونيا · فى هذه الحالة يستطيع الوزير فى بساطة أن ينحى هذا الموظف عن المكان الذى يمكنه من تناول الرشوة ، وليست الرشوة هى المفسدة الوحيدة بين الموظفين بل ان المفاسد واسعة الرقعة هيهات ان يدركها عدد أو يلحق بها حصر ·

ولكن أسوأ هذه المفاسد أن يسكت رئيس عن مرؤوس بمقولة من الرحمة أو الشفقة فليس أرحم من الرحمن الرحيم واسع العفو ولكنه سبحانه جلا علاه ينزل بالمفسدين العذاب الأعظم ولا يستوى فى ساحته الصالح والطالح ولا المحسن والمسىء ·

والرئيس الذى يسكت على سرقة يرتكبها مرؤوس له ، شريك لهذا المرؤوس وان لم ينله من المال المسروق جانب بل ان جرمه أعظم من جرم السارق لأنه بسكوته عنه يشجع كل من يعفون عن السرقة خوف العقاب ان يسرقوا ، بل قد يشجع أصحاب الضمائر أن ينيموا ضمائرهم ويغافلوها ليسرقوا هم أيضا فما دام لا أعقاب فاللصوصية مباحة اذن للجميع لا فرق هناك بين ضمير حاضر وضمير غائب ·

وان أعجب ما أعجب له ان أرى فى الصحف المعارضة التهم تكال لموظفين بذواتهم ثم لا أرى من الحكومة تعقيبا · وعدم التعقيب تأييد لهذه التهم وسكوت المسئولين عما يوجه الى الموظفين الذين يعملون معهم يجعل الناس تعتقد عن يقين ان هذه التهم صحيحة ويجعل الخائف يتشجع أن يسرق ان كان خائفا ·

ربما كان كثير من هذه التهم باطلا لا أساس له من الصحة · ولكنه ما دام قد نشر فقد أصبح واجبا حتميا على الوزير المسئول أو الرئيس المسئول ان يكذبه ان كان كاذبا أو يتخذ فيه قرارا ان كان صادقا ·

على الوزراء أن يقدروا أهمية الكلمة المكتوبة فان لها دويا صارخا لا ينتهى مداه فاذا لم يقدر الوزراء قيمة الكلمة سقطت مكانتهم عند الشعب ·

والصلة بين الحاكم والمحكوم ثقة قبل أن تكون دستورا أو قانونا · فاذا فقد الحاكم ثقة المحكومين به أصبح بقاؤه فى الحكم مستحيلا ·· والثقة أمر خطير لا يتكون فى النفس الا بعد تجارب طويلة مريرة فالانسان يكسب الثقة بعد ممارسات شتى وقد يفقدها فى كلمة واحدة أو تصرف صغير لا يوليه هو اهتماما ·

فالوزراء الذين لا يهتمون بالكلمات المنشورة يعرضـــون الثقة بهم للضياع وان ضاعت الثقة فهيهات لها ان تعود ٠

وكنا قد تعودنا أن يكون في مكتب كل وزير موظف ـ وما أكثر الموظفين فى مكتب الوزير ـ مختص بشئون الصحافة يطلع الوزير على كل ما ينشر متصلا بالوزارة فى الصحف ٠٠ ترى هل يوجد مثل هذا الموظف ، وان وجد فهل يقوم بعمله !! وان كان فما للوزراء لا يهتمون بما ينشر عن وزاراتهم فى حين أراهم مشغولين بما لا يجوز أن يشغل الوزير من افتتاح المحلات التجارية والظهور فى التليفزيون فى اجتماعات لا قيمة لها وأولى بهم ثم أولى ان يقرأوا ما يكتب عن وزارتهم والموظفين الذين يعملون معهم ويناقشوا الصحف فيما تقول حتى لا يفقدوا ثقة لا يستطيعون العمل اذا فقدوها ٠٠ وعلى الله قصد السبيل ٠

الأهرام ٢٦ فبراير ١٩٩٠ م

دواوين ثلاثة

وما ضرنا أن ننسى السياسة مرة ونتكلم فى الأدب والشعر فنرطب سعير الحياة ونندى سعارها ٠

هذه دواوين ثلاثة ظهرت للشاعر الكبير الأستاذ ابراهيم عيسى وقد خرجت الدواوين الى الحياة منذ أكثر من شهرين وانتظرت أن أقرأ ترحيبا بها أو اشارة اليها أو نقدا لها ولكن هيهات وأين لها ذلك وصاحبها شاعر فقط ليس منضما الى فئة بذاتها ولا هو ذو لون سياسى كل حياته شعر وفن ومن كان كذلك فان نقاد اللون الواحد لن يتناولوا فنه أو يذكروه وحسبه الله ونعم الوكيل ٠

يمتاز الشعر ابراهيم عيسى انه شعر عمودى أصيل ولعل هذا من ضمن الأسباب التى وقفت بشعراء التفعيلة السائبة ان يهللو له ويصفقوا ذلك التصفيق الشديد الذى تعودوا ان يستقبلوا به كل أوراق تصدر لهم من المطبعة أو من غير المطبعة ٠

ولكن الشاعر الأصيل لا يبحث عن الضجة وانما يبحث عن الفن الرفيع تعلقت روحه به ٠ وتآلف مع النغمة الكريمة والوزن والقافية دون رجعية أو جمود بل في حداثة فنية عذبة الايقـاع رفيعة البناء قادرة معطاءة ٠

الدواوين الثلاثة هى بغير ترتيب معين لأنها ظهرت دفعة واحدة هى « كلنا عشاق » وحبيبى عنيد ـ وشراع فى بحر الهوى ٠ وانى عارض لك بعضا منها حتى تستمتع كما استمتعت وتصفو نفسك كما صفت نفسى ونحمد الله ان بربوع مصر شاعرا ساميا سمو ابراهيم عيسى رفيعا رفعته ٠

فى الصفحات الأولى من ديوانه كلنا عشاق قصيدة جميلة بعنوان الرجل المجنون تروى فيها فتاة لأمها كيف يغازلها محب وتصد عنه ويقدم الشاعر حديث الفتاة ومشاعرها فى قدرة فائقة ولولا طول القصيدة لقدمتها اليك جميعا ٠

اقرأ معي من قصيدته كيف يبكي الحجر .

منى الأمس هـذا لقـائى الأخـير وهـذا أوان أفـول القمـر

بعينيـك كنت تركت زمـانى فهـاتى زمـانى وهـاتى العمر

فى الليـل والشجون والذكريات ولى منـك جفـاف النهـر

زرعت خطى الشمس فى كل ليـل فكنت سحاب الدجى المنهمر

الا تسمع معى النغمة الملتاعة كيف صارت موسيقى عذبة الايقاع جميلة الرنين .

وفى نفس الديوان نجد موشحا أندلسيا فى غاية الجمال من أبياته يقول :

وارتوت من خمرة الوجد الكؤوس وبثغرينـا اسـتبدت نغمـا

يا زمان الحب فى وادى الشموس ما لأشـواقى تبـكى ندمـا

آهة الناس توارت فى الضـلوع فـرأت لما سرت بين الخفـايا

رقصـة النار وتسبيح الدمـوع وحنينا يشـتكى حمـق الشظايا

فمضت تسـأل أطـلال الربـوع فشـدا صـمت تغنيه العشـايا

قال للحب جحيـم فى النفـوس كلمـا غنى لظـاه ابتسـما

يا زمان الحب فى وادى الشموس ما لأشـواقى تبـكى ندمـا

واكتفى بهذه الأبيات من ديوان كلنا عشاق حذرا ان يغرينى شعره فلا أجد مكانا للديوانين الآخرين .

ولنتصفح معا ديوانه « حبيبى عنيد » واعجبنى فيه بيتان يقدم بهما الديوان يقول :

قصـيدى اليـك جنـاح يرف ويحمل نحـو سـمائك بعضى

وشـعرى حـروف ولكننـى تركت عليهـا عيـونى ونبضى

ولنقرأ معا بعض أبيات من قصيدته الرائعة ذكريات صغيرة :

وما زلت أذكر حـين التقينـا صـغيرين فى شاطىء الجـدول

ومالت علينـا ظـلال الغصـون كـأنى بنيت بهـا منـزلى

ونرسـل للسـماء سيقاننـا كطفلين فى مـرح سـلسل

تداعب أمواجـه العـابثات ونضـحك حبـا ولـم نحفل

الى آخر القصيدة التى وجدت الألفاظ أبياتهـا تنقل اليـك الحالة الشـعورية للحبيبين فتعيش معهما تلك الفرحة اللاهية الخضراء المنداة بمياه الجدول وننتقل الى الديوان الثالث « شراع فى بحر الهوى » فاختار لك منها قصيدة الشاعر وهى قصيدة تحمل وجد الشعراء فى كل زمان ومكان يقول فيها :

تشـــتت بـــين المنـى والألـــم ففجـــر قيثـــاره بالنغـــم
طـوى عمـره قلقـــا كالحيـــاة يغـرد بالنـــور بـين الظلـــم
بنى عشبـــه فى حنـــايا الخلـود وخـــف يغنـى على كـل فـيـنم
ويخلـــق بالوهـــم آمالـــه ويبنى صـــروح المنى بالحلـــم
فيحسبـــه وهو بين السفـــوح تخطى الســـحاب وخلى القمم
وعـــذبه بأحاســـيسه زمـــان يعربد فـــوق القيـــم
فبث أســـــاه الى كـــونه فلم يحن فى الكون غـــير القلم

وبعد فما أحاول فى هذه العجالة ان أعرض الدواوين الثلاثة جميعا وانما أحاول فقط أن أقدم الى القراء فنا رفيعا رويت بعضا منه قليلا لأمتع القراء بما تمتعت به أنا ٠٠ فهنيئا لشاعرنا الكبير ما حباه الله من موهبة باذخة داعيا له الله جل علاه أن يوفر له التوفيق والنجاح مع قوافيه وأوزانه ٠

الأهرام مارس سنة ١٩٩٠ م

أحذية الكرة والثقافة

لا شك ان اعادة مكتبة الاسكندرية الى اشعاعها عمل عظيم ولا يجوز لنا أن نذكر هذا العمل الخالد دون أن نشكر الدول التي شاركت بأموالها في انبثاق هذا الاشعاع الرائع الى العالم ٠٠٠ وينبغي لنا أن نشكر الأمير تركي بن عبد العزيز الذي تبرع وحده بثلاثة ملايين من الجنيهات أتصور انها تستحق أوفر الشكر وأعمقه فهذا رجل وحده تبرع من مال فردي لا من مال دولة والواقع انك اذا تابعت هذا الرجل وجدته يستبق الخيرات في كرم مغدق ووجدته يحب مصر كل الحب عن عاطفة شريفة وعن عقلية واعية مدركة ٠ وانك اذا جلست اليه وجدته واسع الاطلاع على علم شامل بالقضايا العالمية عامة والقضايا العربية خاصة ٠

وان مساهمته في اقامة مكتبة الاسكندرية حلقة من سلسلة مشرفة تشرق بالكرم والخير وصدق المتجه وسماحة النفس ٠٠ فهو يشفع رأيه بماله في اغداق ورجولة وكرم باذخ ٠

أما مكتبة الاسكندرية فنعم ولكن ماذا بعد ٠ ان السيدة الفاضلة حرم رئيس الجمهورية تشجع اقامة المكتبات للأطفال ما وسعها الجهد وهو جهد مشكور تحمد عليه كل الحمد ٠

ولكن ٠٠ ما شأن المكتبات في القرى والمحافظات ٠٠ اني لا أرى بها أي اهتمام فمكتبات قصور الثقافة في الأقاليم مكتبات قاصرة لا تكاد تصلح للراغبين في الثقافة أو تمدهم ببعض ما يحتاجون من كتب ومراجع ٠٠

ولا أنسى خطابا جاءني من أحد الشباب يقول لي فيه انه لم يقرأ في حياته الا نصف كتاب لأنه يعيش في الصعيد ولا يجد حوله أو قريبا منه مكتبة يسعى اليها ليستعير كتابا وهو غير ذي مال حتى يشترى كتابا ٠ ولا شك ان حال الذي أرسل لي هذا الخطاب هو حال أغلب الشباب في المحافظات والقرى ٠٠ وأوقات الفراغ عند هؤلاء الشباب متراخية متطاولة ولا يجدون الا اللعب واللهو ليقضوا فيه فراغهم ٠

والثقافة كتاب وبغير كتاب لا ثقافة فليس يغني عن الكتاب اذاعة مرئية كانت هذه الاذاعة أو مسموعة ٠

وأشهد ان الدولة اهتمت بالرياضة فى القرى اهتماما بالغا ولست أدرى أى شيطان جاهل أوحى الى القائمين بشأن الشباب ان الاهتمام بالشباب يكون بالاقدام وليس بالرؤوس ·

فاذا حلا لنا ان نهتم بالرياضة فما لنا لا تقرن الاهتمام بالثقافة مع الرياضة ·· ان القرى بها نواد رياضية فى أبنية مقامة لها يمارسون من خلالهـا كل اللعب فما ضر ان تكون هناك مكتبة فى كل ناد من نوادى القرى ·

وما ضر ان تقام فى هذه النوادى الرياضية ندوات ثقافية تحت رعاية القائمين على شئون الشباب ·

أذكر اننى فى كثير من الأحيان كنت أفاجأ فى الخمسينيات بمجلة الاذاعة تنشر ان لى تمثيلية ستقدم فى نفس الاسبوع ولم أكن كتبتها ويتصادف أن أكون بقريتى « غزالة » فى ذلك الحين وقد كانت التمثيليات التى أقدمها عربية ولابد من وجود مراجعى تحت يدى لأكتب التمثيلية ومراجعى فى القاهرة · ولم تكن الحيرة تطول بى فسرعان ما كنت أقصد الى المكتبة العامة بالزقازيق فكنت أجد بها ما أريد وأكثر · وكانت المكتبة مقصد الشرقية جميعها ولم يكن بالقرى نواد رياضية ومع ذلك لم ننقطع فى طفولتنا عن لعب الكرة والألوان الأخرى من الألعاب وبطبيعة الحال لم نكن ننتعل أحذية خاصة بالكرة توزع على اللاعبين ومع ذلك كانوا يلعبون ·

ولم تكن الكتب مرتفعة الثمن ومع ذلك كانت المكتبة فى الزقازيق مقصد الشباب وغير الشباب للاستعارة منها ·· وأنا أزعم ان ثمن أحذية الكرة فى هذه النوادى جدير بأن يقيم مكتبة فى كل ناد ·

وليس من الضرورى أن ينتعل اللاعبون أحذية خاصة للكرة ولكن من المحتم ان يثقف هؤلاء الشباب أنفسهم ·

وفى الخمسينيات كان عدد الشباب الذى يتعلم فى المدارس قليلا وقد تضاعف عدده اليوم بشكل مذهل ·· ألا يستحق هؤلاء الشباب ـ وهم اليوم كثرة كاثرة ـ ان تكون لهم مكتبات فى القرى كما أصبح لهم نواد للعب الكرة ·

أنا لا أعترض على اهتمام أولى الشأن بالرياضة للشباب ولكنى أبكى دما لانعدام اهتمامهم برؤوس الشباب وثقافتهم ·

ان التعليم غير الثقافة · فكثير أولئك الذين يعرفون القراءة والكتابة ولكن ما أندر المثقفين بين هؤلاء ·

لو انك تعمل فى جريدة واطلعت على الخطابات التى ترد الينا من المتعلمين لتولاك الحزن الطاغى لما صار اليه حال المتعلمين عندنا ٠

وقد انتقل المال اليوم الى يد فئة لا تقدر الثقافة ولا تعنى بها فى شىء وجل همها ينحصر فى سيارة فارهة أو تليفزيون على أحدث طراز وقد تجد فى البيت الواحد عدة أجهزة تليفزيونية ولا تجد فيه كتابا واحدا وينشأ الأطفال فى فراغ كامل أمانيهم ثراء مادى يؤدى الى اللهو هذا اذا لم يتجهوا الى المخدرات كمظهر من مظاهر الثراء ٠

وان كان هذا حال القادرين فان حال غير القادرين أعظم بلاء وشر سبيلا ٠

بل اننى أزعم ان زيادة النسل مرجعها الحقيقى هو انعدام الثقافة

ان الثقافة هى أملنا ولا أمل لنا غيرها ٠

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد ٠٠

الأهرام ٢ ابريل سنة ١٩٩٠ م :

ليس من جناتها ..

حين قامت ثورة يوليو قالت فى بيانها الذى أعلنت به الثورة انها جاءت لتحمى الدستور ولتثبت دعائم الديمقراطية وما هو الا حين قريب من الزمن حتى ألغت الدستور كله فهدمت بذلك الديمقراطية جميعا فكان بين الناس عجبا أن يكون الطبيب الذى جاء ليعالج الدستور مما ألم به من جراح هو نفسه قاتل الدستور والمجهز عليه وهو هو من يقضى عليه ولا يبقى منه باقية ٠

فانقلبت أفراحنا نحن الشباب الذى كان متحمسا للثورة مواكبـا لها ، وكنا حين جاءت الثورة جيلا لم يكد يفرغ من الدراسة ، وحين أقبلنا على الحياة طالعتنا الثورة فاستقبلها جيلنا بالبهجة واستبشرنا بحياة تموج بالحرية والديمقراطية والكرامة ، فكان الغاء الدستور صدمة عنيفة لنا ، ورجفت قلوبنا رعبا وتوقعنا حكما دكتاتوريا طاحنا وصح ما توقعناه ٠

فما لبث الحكم الشمولى أن فرض سيطرته على البلاد وأنشب فيها أظافر من حديد تحميها قوة باطشة باغية ٠

وكان لابد للحكم الشمولى أن يبرر وجوده ويرضى الشعب ويوهمه بانتصارات لاوجود لها ٠

وصاح بنا الحكم الشمولى نحن الشعب أن لك أن تعلم أولادك بالمجان ولك أن توظف الحكومة جميع الخريجين من الجامعة ولكن ليس لك أن تتكلم فى سياسة بلدك أو تشارك فيهـا ٠ ومع الأيام لاكسبنا التعليم ولا التوظيف ولا الحرية ٠

ومنذ ذلك اليوم أصبح الشعب يرمى أحماله كلها على الحكومة تدبر له حياته جميعا وأصبح الكلام فى السياسة همسا متخافتا لا يكاد يبين ٠ فاذا أصر البعض على المشاركة السياسية فليس له الا أن يشارك بالهتاف العريض حين تأمر الحكومة بهذا الهتاف والحكومة وحدها هى التى تحدد هذا الهتاف ونوعه تأييدا ان أرادت التأييد أو عداء اذا أرادت العداء ٠

وراحت مصر تعادى الدول حتى كادت فى فترة من الفترات أن تكون فى خلاف مع معظم دول الأرض كبيرها وصغيرها ..

وراحت الأموال تنفق فى بذخ طاغ لاقامة امبراطورية فردية للحاكم الذى لم يكتف بحكم مصر وحدها فقد وجدها أصغر من أن تحقق له أحلامه وآماله .

فكانت المؤامرات تصــــدر الى الدول العربية وكانت حرب اليمن والمعاونة فى حروب أفريقيا وغيرها وغيرها .

واقترن هذا الخراب بحربنا الأســاسية من أجل القضية العربية فكانت حرب ٥٦ ثم ٦٧ ، وخسرنا الأموال مخضبة بدماء شهدائنا الأبرار وبدماء كرامة مصر وعزتها وتاريخها ..

وكانت الوحدة المصرية السورية التى خسرنا فيها أموالنا كما خسرنا سوريا نفسها . وأذكر اننى كنت عضوا فى وفد مصرى من الأدباء والفنانين الى سوريا أيام الوحدة وقبيل الانفصال وكان الوفد يضم ما يقرب من ثلاثين عضوا بين كتاب ونجوم سينما وفنانين تشكيليين .

ولمسنا بأنفسنا كره الشعب السورى للحــــكم المصرى ونحن نمر بالشــارع السورى فمثلا أراد الكاتب الكبير محمود البدرى ان يشترى راديو ترانزستور ، ولم يكن الحصول عليه يسيرا فى مصر اذ ذاك فراح يمر بالمحلات وكنت فى رفقته .. ووجد الأستاذ محمود الراديو الذى يرضيه وهم بشرائه وطلب من البائع ان يعطيه البطاريات التى يعمل بها الراديو ولكنه فوجىء بالبائع يقول :

ـ ليس عندى بطاريات لهذا الراديو .

فقال الأستاذ محمود :

ـ فكيف أشتريه اذن ؟

فقال البائع .

ـ قبل الوحدة كان عندنا بطاريات ..

وخجلنا وانصرفنا مسرعين ومندهشين أيضا ..

ولكن دهشتنا ما لبثت ان زالت من قريب فقد التقى بالوفد أحد الضباط الذين يمثلون مصر فى سوريا وكان صديقا لواحد من وفدنا فاذا به يدعو الوفد الى عشاء .

وذهبنا الى العشاء فاذا بالطعام يكفى أضعاف عـدد الوفد ، واذا

بزجاجات الويسكي تفتح بغير حساب لشاربيه ، وعلمنا ان كل هذا كان من المال العام · فزالت دهشتنا من عدم رضا الشارع السورى عن الحكم الذى أرسلنا به اليهم ، بعد ان كان متحمسا للوحدة تحمسا لا مثيل له ·

وحين تولى الزعيم الخالد أنور السادات الحكم انشغل بالحرب وانتصرنا ولكننا أيضا أنفقنا الأموال ·

واجتمع كل هذا الخراب المالى فى عهد رئيسنا العظيم الحالى محمد حسنى مبارك وواجه دولة هى فى الحقيقة أنقاض · فأما أن يعيد البناء أو تصبح الدولة الى الفناء التام الكامل ·

وحمل الرجل قدره ومسئوليته وهو يقول مع الشاعر : ·

لم آكن من جناتهـــا ـ علم الله ـ وانى بحرهـــا اليوم صـــال

وتكلمت التليفونات وانتظمت المصارف الصحية وأضاءت الكهرباء وتحسنت المواصلات وظهر جهد واضح فى مشكلة السكن ولكن الشعب وهو يرى هذا التقدم جميعا يغضب اذا طلب اليه أن يشارك بشيء من الجهد وله بعض العذر فقد أعلنه الحكم الشمولى ان لا شأن له بوطنه وله بعض العذر أيضا فالغلاء أصبح ضاريا مسعورا حتى لا يصلح أى مرتب أن يواجه الحياة ، لا أستثنى من ذلك مرتب الوزير ··

ولكننى ـ وأنا دائمـا أحب أن أتفاءل ـ وأثق ان الله سـبحانه سيتداركنا بفضل منه ورحمة وفى ظل رحمته التى كتبها على نفسه أملنا سبحانه جل علاه ·

الأهرام ٢ مايو سنة ١٩٩٠ م

الوظيفة للجميع

ذلك الشعار الذى رفعه الحكم الدكتاتورى ليحاول به ان يعمى الشعب عن حقوقه فى حياة تليق بالانسان وكرامته وحريته ٠

لقد طغى فاعتدى على الناس من الرجال والنساء واعتدى على الحياة أقدس ما وهبه الله للبشر واعتدى على الكرامات والأموال ٠ وجعل الابن عينا على أبيه وأمه وذويه وأقام حفلة تكريم لأخت أبلغت عن أخيها انه يقول فى بيته أراء ضد الحكم فدمر صلات الرحم الذى اشتق الله سبحانه وتعالى اسمه من أحب أسمائه اليه الرحمن جل وعلا ٠٠

مما أعتقد معه أن المغالاة التى يتسم بها بعض شباب المسلمين اليوم انما هى رد فعل عنيف لسنوات الالحاد التى أشاعها الشيوعيون فى أيام الحكم الشمولى ٠٠ وأحكام المحاكم التى تواترت بعد الحكم الشمولى أثبتت هذه الأحداث جميعها مما جعلها غير قابلة للنقاش أو التشكيك ٠

وحتى يلهى الحكم الشمولى الشعب أعلن ان الحكومة ستعين جميع الذين يتخرجون فى الجامعة ٠٠ فكيف كان مصير هذا التعهد ٠ والى أين ساق الدولة والخريجين والعمل فى الحكومة والقطاع العام ؟!

أصبح الأمر فوضى لا مثيل لها تكدس الموظفون فى الحجرات بغير عمل يعملون الا أن يشربوا القهوة والشاى والمرطبات ويقرأوا الصحف ثم يتحايل كل منهم ليخرج من مكان العمل ويجلس الى مقهى أو يمشى فى الطرق العامة ويعود قبل موعد ، الخروج بدقائق ليوقع للانصراف وكأنه لم ينصرف قبل ذلك بساعات ٠٠ واختلط الحابل بالنابل وأصبحت لا تدرى من يعمل ومن لا يعمل فى الحكومة والقطاع العام ٠٠

واضطربت مصالح الناس ٠٠ فأصبح الشعب لا يجد من يؤدى عمله ولا يعرف من صاحب الحق فى تيسير الاجراءات الحكومية المتصلة بصوالح الشعب ٠٠

وأصبحت الوزارات والمصالح الحكومية والقطاع العام ينوء بموظفيه وتفاقمت خسائر القطاع العام الذى ينتهب العاملون به كل أرباح يمكن أن يحققها وأصبحت مرتبات الحكومة كارثة اقتصادية لا مثيل لها فى

العالم .. فالعمل الذى ينبغى أن يؤديه موظف واحد مرصود له عشرة أو عشرين موظفا . ضاعت بينهم الواجبات واغتصبت فيما بينهم الحقوق. وامتلأت حجرات الحكومة والقطاع العام بالموظفات وانك لترى التمثيليات والمسارح والأفلام تظهر المرأة العاملة تقوم بشئون منزلها فى مقار العمل وليس ببعيد أن نرى تلك التمثيليات والمسارح والأفلام تظهر العاملات يرضعن أطفالهن بمبانى العمل أو يغسلن ملابس أزواجهن وأبنائهن على مكاتبهن بالحكومة والقطاع العام .

وكانت النتيجة الطبيعية لذلك ان عجزت الحكومة عن توظيف جميع الخريجين وأصبح الشباب ينتظر خطاب القوى العاملة سنوات طوالا يقضيها – للأسف – متسكعا بلا عمل يقوم به . وأصبح مرتب الحكومة الذى ينتظره الشباب لا يساوى شيئا .. ومع ذلك نجد الشاب من الخريجين يلهث خلفه لهاثا لاهبا ..

وليس هناك مفسدة للشباب شرا من الفراغ وخاصة اذا كان هؤلاء الشباب بلا هواية يستعينون بها على الفراغ كالأدب أو الموسيقى أو الرسم .. فهم من وقتهم ومن داخلهم فى خواء مطلق ..

وهكذا نجد ان التزام الحكومة بتوظيف الخريجين كان وبالا كل الوبال على الخريجين وعلى الحكومة والقطاع العام جميعا ..

والله سبحانه وتعالى يبشر عباده بأن مع العسر يسرا ويكررها سبحانه تأكيدا لمن ضاقت عليهم حلقات العسر ..

وها نحن أولاء نرى الشباب نزل الى ميدان العمل اليدوى فمنهم من يعمل فى البناء أو فى اصلاح العطب فى السيارات أو الكهرباء أو السباكة أو سائقين وكثير منهم يعمل فى ميدان الفندقة .. وتراهم فى كل موطن من مواطن أعمالهم يحافظون على كرامتهم معتزين ان يعملوا مرفوعة هاماتهم وضاحا جبينهم يشرفهم انهم ينالون مالا مقابل عمل وانهم ليسوا عالة على ذويهم أو مجتمعهم .

الا انني أرى أن هؤلاء العاملين قلة قليلة اذا نحن قارنا بينهم وبين العاطلين من الشباب فيا ليت الشباب المتعطل ينسى الشهادة التى حصل عليها وينزل الى ميدان العمل اليدوى . وليت كل العاملين فى الأعمال اليدوية يصبحون من ذوى الأعمال اليدوية يصبحون من ذوى الشهادات العالية فان هذا يشرف مصر والمصريين جميعا .

أما المرأة فان لها ان تعمل بل يجب عليها ان تعمل لتعين زوجها وأهلها على الحياة ما دامت لم تنجب أطفالا فاذا أنجبت وجب عليها وجوبا

أن تمتنع عن العمل لترعى طفلها حتى يذهب الى المدرسة ولتأخذ أجازة بلا مرتب فى هذه الفترة فان أى مرتب ستتقاضـــاه وطفلها محتاج الى رعايتها لا يساوى ما يخسره الطفل من حنانها وحدبها واهتمامها ..

أما اذا استأجرت له مربية فان أى مرتب ستحصل عليه فسيكون أقل من أجر المربية .. وهيهات وألف هيهات أن تعوض المربية الطفل عن حنان أمه وبرها به وحدبها عليه .. والله ولى التوفيق .

الأهرام يونيو سنة ١٩٩٠ م

أوهـــام

لابد للحكم الشمولى أن يخادع الناس عن حريتهم ويدخل فى وهمهم ان العسف الذى يحكمهم به انما هى من أجل صالح المجموع حتى يظنوا أن ما يفقدونه من حـرية وكرامة فى مقـابل فوائد تعود عليهم • ولكى يحسبوا ان القهر المفروض عليهم انما هو من أجل أن يوفر لهم الحاكم معيشتهم ووسائل حياتهم • وكان من بين هذه المخادعات مجانية التعليم العالى • أما التعليم الابتدائى والثانوى فقد كان مجانيا منذ رفع عميد الأدب العربى د• طه حسين شعار التعليم كالماء والهواء حين كان وزيرا للمعارف •

وبهذه المناسبة لى حديث قصير مع د• طه حسين أرى من واجبى أن أذكره هنا وليس لى عليه شاهد الا الله سبحانه وتعالى وحسبى الله شهيدا ود• طه حسين بين يدى الله الآن وليس من الخلق أن أفترى عليه ما لم يقل وانى سأقدم الحديث بين يديك :

كنت أجلس الى د• طه حسين فى بيته ولم يكن معنا ثالث الا الله سبحانه وتعالى وقلت له :

ـ هل قرأت معاليك مجلة كذا ؟

قال : ـ لا ••• ماذا بها ؟

قلت : ـ بها مقال عن معاليك •

قال : ـ ماذا يقول المقال ؟

قلت : ـ يمتدح معاليك •

قال : ـ وماذا يمتدح فى ؟

قلت : ـ يمتدح الشعار الذى رفعته ان التعليم كالماء والهواء •

قال : ـ هيه •

ثم صمت قليلا وعاد يقول :

ـ والله لا أدرى ان كنت أخطأت أم أصبت بهذا الشعار •

ولم أعلق وانتهى الحديث فى هذا الشأن •

كانت مساوىء الأخذ بهذا الشعار دون الاعداد له اعدادا مناسبا قد وضحت · فكثر التلاميذ فى المدارس بلا أماكن معدة لهم وبلا مدرسين يواجهون هذا الزحف الهائل ·

على أية حال الأمر يمكن قبوله فى التعليم الابتـدائى والثانوى · ولو ان تكافؤ الفرص أصبح معدوما وأصبح النجاح من نصيب القادرين الذين يطيقون ان يلجأوا الى الدروس الخصوصية التى أصبحت تكلف أولياء أمور التلاميذ مبالغ طائلة هيهات هيهات ان يستطيع غير القادرين الاقتراب منها ·

ولكن الكارثة الحقيقية فى الجامعة ، فان ميزانية التعليم فى مصر ثلاثة مليارات ونصف مليار يستغرق التعليم الجامعى وحده منها ثمانمائة مليون جنيه فأى دولة يمكن أن تواجه هذه المبالغ التى تثير الذعر والهلع فى النفوس · ومن عجب أن ترى بين طلبـة الجامعة ممن نال شهادة الثانوية العامة فى مدارس خاصة كانت مصاريفه فيها آلافا مؤلفة كان يدفعها راضيا وفوقها المبالغ الاستثنائية من أجل أتوبيس ومعونات وغير ذلك · حتى اذا بلغ الجامعة أصبح تعليمه مجانيـا بينما يكلف طالب الجامعة الدولة ألفا وأربعمائة وخمسة وتسعين جنيها فى العام · وهذا المبلغ لا شك انه يثقل الدولة أثقالا ضخما · ولا يكاد يثقل الطالب الذى كان يتعلم بالمدارس الثانوية الخاصة · فقد كان يدفع أضعاف أضعافه ·

فأى بأس ان يعاون القادرون غير القادرين فى التعليم الجامعى ؟

لتكن المجانية للمتفوقين وغير القادرين ويدفع القادرون مصاريف تعين الدولة على حملها هذا الثقيل ·

فان النفس تجزع ان ترى السيارات الفاخرة للطلبة تسد منافذ الجامعة حتى أصبح لها مواقف خاصة لا تكفى على سعتها العدد الهائل من السيارات التى يملكها الطلبة : ومع ذلك يتعلم هؤلاء الطلبة مجانا على حساب الدولة ·

وكما غاب تكافؤ الفرص عن المدارس الابتدائية والثانوية غاب أيضا غيابا تاما عن ساحة الجامعة · فقد انتشرت الدروس الخصوصية بين أساتذة الجامعة وأجورهم يشيب لها الولدان ولا يقترب منهم الا من كان على ثراء فاحش خيالى · هذا الطالب يدفع الآلاف للدروس الخصوصية ويضن على بلده ان يدفع له مصاريف تعينها على تعليم غير القادرين من أبناء وطنه ·

لا تستطيع دولة ما ان تستمر على هذا التناقض فى الأوضاع ·

وان كان الحكم الدكتاتورى قد أعلن التعليم المجانى ليثبت أركانه فى نفوس الشعب فنحن اليوم نعيش عهدا حرا ينبغى ان تكون القرارات فيه لصالح الشعب وليس لصالح الفئة الحاكمة • فالقرارات التى تتغيا مصلحة فئة حاكمة قرارات باطلة من أساسها • والله يهدى الى الصراط المستقيم •

الأهرام يونيو سنة ١٩٩٠ م :

... وهزم الأحزاب وحده

يستطيع الشيوعيون المصريون أن يؤمنوا بالله أو يلحدوا فهذا شأنهم وحدهم مع الخلاق العظيم وهو سبحانه يعرف النفوس وهو جل شأنه لهم الهوى بفائض القيمة والمادية التاريخية والدولية الأولى والثانية والثالثة .

ويستطيع الشيوعيون المصريون ان يؤلهوا ماركس فهو ربهم الأعلى ويستنبئوا لينين فهو رسولهم الذى لا ينطق عن الهوى فكلامه وحده هو الحق الذى لا حق غيره ولا هدى الا هداه ولا صراط مستقيما الا طريقه ..

ويستطيع الشيوعيون المصريون ان يضربوا صفحا عن البروسترويكا التى صرخت فى روسيا ودوى صراخها فى جميع دول أوروبا الشرقية فاذا النظرية الشيوعية فى عاصمتها الكبرى تعلن فشلها اعلانا صريحا ناصعا لا شك فيه ولا مراء .. فقد ثاروا هناك على الاقتصاد المملوك للدولة ورفضوه رفضا كاملا واعتبروه كارثة عظمى على الدول التى تسير على نهجه والتى تتخذه نظامها المالى . وثاروا على الحريات المكبوتة والكلمة المكتومة والانسانية المحطمة المهشمة واعلنوا ان الانسان هو حريته وان الله كرمه فكل من يهينه بعد ذلك فهو طاغية ظالم باغ ما ينبغى له ان يكون من الحاكمين .

وتداعت الشيوعية فى جميع حصونها وتقوضت أركانها واندك بنيانها وانهار أساسها وصاحت الشعوب التى كانت الشيوعية جاثمة على صدورها : تحيا الحرية ، وانتهت الشيوعية الى غير رجعة وتوحدت ألمانيا فى ظل الديمقراطية والحرية وقضت الشعوب على طغاتها بالقتل أو بالسجن أو بالطرد .

الا الشيوعيين فى مصر فهم وحدهم الذين يلعبون خارج الملعب ويصطرخون لينين وما هو بمصرخهم ولا بمجيب هتافهم فقد انقشعت ظلاله عن عالمه وأصبح هو ومبادئه فى خبر كان ..

مازال الشيوعيون المصريون مصممين على شيوعيتهم . ومالهم

لا يفعلون وقد عادت عليهم الشيوعية بالحياة المرفهة والنعيم المدلل وبالأموال الفـــارهة ٠

وهذا أيضا يستطيعونه ٠٠

يستطيعون ان يثروا ما شاء لهم الثراء بمذهبهم الذى يدعو الى الفقر ولا غرو فهم قد رأوا أساطين الشيوعية فى البلاد التى كانت تدين بمذهبهم يعيشون عيشة القياصرة بينما الشعوب مطحونة لا تكاد تجد قوت يومها ٠

فقد وعدوهم برغيف العيش مقابل الحرية ثم اغتصبوا منهم رغيف العيش والحرية جميعا ٠٠

ومازالت هناك دولة اسمها البانيا يحكمها الفكر الشـيوعى وكانما بقيت لتكون ذكرى لمن لم يقتنع بعد بهول الشيوعية والكارثة التى تحققها على شعوبها ٠

انظر الى البانيا اليوم ٠٠ فقر مروع مخيف ٠٠ وقتل لجميع الحريات وخراب ما بعده خراب ٠٠ وها هم أولاء أبناؤها يلجأون الى سفارات الدول الأخرى لاجئين من هول ما يصيبهم ٠ وقد لجأ بعضهم الى سفارة مصر ٠٠

ولكن الشيوعيين المصريين لا يزالون يدعون الى مذهبهم بصوت جهير مرتفع فى التليفزيون والصحف ٠٠ وهذا أيضا يستطيعونه ٠ لهم ان يقولوا ما يشاءون ويطالبوا بالحرية فى مصر وهى قتيل فى كل البلاد التى كانت تتمذهب بمذهبهم وترفع اعلامهم يستطيعون هذا أيضا ٠ ولكنهم باليقين لا يستطيعون ان يقطعوا صلات الرحم فى مصر بين الأبناء والآباء ٠ فالأبناء هنا يحبون آباءهم ويتفانون فى سبيل مرضاتهم ٠ وان كانت الشيوعية التى قضى عليها بالموت الى الأبد تمزق صلات الرحم هذه وتجعل الأبناء حاقدين على آبائهم وتقيم منهم جواسيس على ذويهم أجمعين من آباء الى أخوة الى أقرباء ٠٠

ولكن هذا لن يكون فى مصر مهما تحاول التمثيليات الشيوعية ان تصنع ٠ فصلات الرحم مقدسة فى الأديان جميعا وعليك ان ترى قرب كلمة الرحم من الرحمن أحب أسماء الله اليه سبحانه وتعالى ٠٠

لا ٠٠ لن تستطيع اقلام الشيوعيين وتمثيلياتهم ان تمس صلات الرحم مهما يجيشوا الأقلام والأعمال التليفزيونية ٠

ولن يستطيع الشيوعيون مهما يكتبوا ان يقلبوا التاريخ ويجعلوا الهزيمة نصرا والنصر هزيمة ٠

وانهم لا يثيرون الا سخرية المصريين وهزءهم حين يصوروونهم وقد

فرحوا بالهزيمة الماحقة الشـــنعاء وحزنوا للنصر الرائع العمـــلاق الذى لم يتحقق منذ أيام صلاح الدين الى يومنا هذا ..

النصر نصر والهزيمة هزيمة ..

وقد أدى النصر الى السلام ومع الأيام أصبح العرب كلهم معنا ..

وقد كنا فى أيام الهزائم نهاجمهم فى أشخاصهم وفى دولهم بالدعاية الخرقاء الرعناء وبالمؤامرات بل بلغ الفجور بسياسة هذه الأيام السوداء انها كانت تدبر لقتل بعضهم وبلغ التدبير غايته ..

ليكتب الشيوعيون ما حلا لهم ان يكتبوا مستخفين بعقولنا مزورين لمشاعرنا فانهم لن يبلغوا من حقيقة مشاعرنا الا السخرية والرفض وقولنا دائما والى ان نلقى الله لا اله الا الله جل وعلا نصر عبده وهزم الأحزاب وحـــده .

الأهرام ٣ يوليو سنة ١٩٩٠ م :

ارجعو الى الحق

ربنا سبحانك وتعاليت تهدى من تشاء وتضل من تشاء وانت على كل شيء قدير وما تهدى سبحانك الا من اختار الهدى ولا تضل الا من اختار الضلالة فانك جل علاك قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ٠

فما لأقوام يبغون فى الأرض ويصدرون أحكامهم علينا نحن المسلمين ويثيرون الفتن حتى بلغ الظلم باثنين منهما ان قتلا أباهما لأنه يحاول أن يمنعهما من الذهاب الى اجتماعات الارهابيين ممن يدعون انهم يحافظون على ديننا والله سبحانه وتعالى يقول فى سورة لقمان (الآية ١٤ ، ١٥) « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان أشكر لى ولوالديك الى المصير ٠ وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » ٠

أفشكر الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف تعنى ان يقتل الابن أباه فاذا كان الله يأمر عبـاده أن يصحبوا آباءهم بمعروف حتى ولو كانوا مشركين أيسوغ فى الأذهان ان يقتل الابن أباه لمجرد انه ينهاه عن مصاحبة الارهابيين ثم يظنان انهما بذلك ينصران الله والاسلام الا خاب ما يفتريان ٠

من أين لهؤلاء الارهـابيين ان يعرفوا الحلال والحرام والله تعالى يقول فى سورة النحل (فى الآيتين ١١٦ و ١١٧) « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ٠ متاع قليل ولهم عذاب أليم » ٠

فكيف تحلون لأنفسكم قتل الناس وايذاءهم واثارة الفتنة بينهم الا أن يكون فى ذلك متاع دنيوى لكم ٠٠ والله سبحانه يقول فى نفس السورة (الآية ١٢٥) « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ٠ وهو أعلم بالمهتدين » ٠

وهو جل علاه يقول ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم حامل رسالته

والأمين عليها والذى أبلغها بالحق الى العباد أجمعين . فمن نصبكم أنتم دار افتاء وقضاة يحكمون دون ان يسمعوا حجة الذين يتهمونهم ثم منفذين للأحكام بلا تعزير أو استئناف أو روية فى الأمر .

لا سبيل أمامنا نحن المسلمين الا أن نرى فيكم قوما يسعون الى الحياة الدنيا وزخرفها ضاربين صفحا عن دينكم وآخرتكم ووعد الله ووعيده تقدست أسماؤه .

هل دين الاسلام يقبل منكم العنف والفتنة وقتل الناس بلا محاكمة وتنصيب أنفسكم مشرعين وقضاة ومنزلين لعقوبة لم تحاكموا أهلها .

علم الله أن ديننا براء منكم .

هل قرأتم القرآن ؟ اللهم لا والا لكنتم قرأتم قوله تعالى (فى الآية ١٠٨ من سورة الأنعام) « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » .

فاذا كان الله ينهانا ان نسب الذين يدعون من دونه فمن أذن لكم أنتم ان تعتدوا على من آمنوا بالله واليوم الآخر ومن سمح لكم ان تجعلوا من أنفسكم أربابا والله يقول ان مرجع الناس جميعا اليه سبحانه جل شأنه فينبئهم بما كانوا يعملون ان الدين لله وهو وحده سبحانه الذى يحاسب عليه وكم من آية فى القرآن الكريم تقول للنبى صلى الله عليه وسلم حامل الرسالة وسيد البشر أجمعين لست عليهم بمسيطر وان عليه البلاغ والحساب لله وحده وانه صلى الله عليه وسلم ليس وكيلا عن الناس وليس مسئولا عما يفعلون . أمكانكم من الله أقرب من مكان النبى عليه الصلاة والسلام كره الله هذا والمؤمنون .

وأين أنتم من قول الله تعالى (فى الآية ٩٩ من سورة يونس) « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » . فما لكم أنتم تكرهون الناس ان يسيروا على رأيكم وأنتم لا تعلمون ان كان ما تدعون اليه هو الدين القيم أم هو الضلالة والبعد عن الهدى .

سذاجة ان تفرحوا قليلا بأن تقيموا من أنفسكم هداة ومرشدين الى الدين الحق أفتئاتا على الدين والحق وما أنتم من المرشدين أو الهداة فى شىء ثم الى الله مرجعكم فتعلم كل نفس ما قدمت وويل يومئذ للظالمين .

هل الحكمة والموعظة الحسنة هى هذه الأسلحة الفتاكة التى تحملون والتى تثيرون بها الفتنة فى الوطن الآمن وفى الايقاع بين المسلمين وغير

المسـلمين علم الله انكم لتفعلون أمرا منكرا لا يرضى الله عنـه ولا نبيه ولا المؤمنون ٠٠ هذه آيات من القرآن الكريم ولو كنتم قرأتم هذه الآيات لما رضيتم عن هذا الجرم الفادح الذى ترتكبون ٠ وان لم تكونوا على بينة منها فكيف تسمحون لأنفسكم ان تدعوا الى هدى الاسلام وأنتم لم تدرسوا قرآنه ولا أنتم بذاكرى آياته العلوية ٠

أن الذين يدعون الى قواعد الدين هم أولئك الذين توفروا على مدارسة الدين والقرآن وتفاسيره المختلفة أما ان يدعى الهدى من لا يعرف من الدين الا قشوره فأمره يأباه المسلمون ويرفضه الاسـلام وان جزاءه عند الله شديد ٠

اتقوا الله فى دينـكم ووطنـكم وارجعوا الى الحق فان الحق قديم والرجـوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل ٠ هدى الله ضـلالتكم وأعادكم الى الصراط المستقيم ٠ انه قريب سميع الدعاء ٠

الأهرام ٩ يوليو سنة ١٩٩٠ م :

انها محنة أخلاق

ومحنة الأخلاق أعظم عند الله وعند النـاس من أى محنة فالطاغية العراقى يضرب مثلا فادح السوء فى انعدام الخلق ٠

ألم يكن قبل طغواه وغزوة اختطافه للكويت يحتضن أميرها وممثليه ويظهر الود ويخفى البغضاء متخلقا بالنفاق فى أبشع صوره وفى أحقر معانيه ؟ ألم يقطع على نفسه عهد للرئيس حسنى مبارك انه لن يقرب الكويت بأى عدوان مسلح ؟

أكان وهو يصنع هذا جميعه لا يعرف ان الكويت جزء من العراق فى الأزمان الماضية ٠ هل اكتشف هذه الحقيقة بغتة فى لحظة واحدة أم كانت هذه الحقيقة من قبل نسيا منسيا ثم ومضت فى ذهنه على غرة منه ؟ ٠٠ ويخطب فى الناس معلنا انه لا يجوز لدولة عربية أن تتدخل فى شئون دولة عربية أخرى ٠٠

ولا يجوز لأى دولة أن تعتدى على دولة أخرى وأن هذا العدوان اجرام كبير ٠٠ أو لم يوقع معـاهدة مع خادم الحرمين الملك فهد بهذه المعـانى وكان يريد أن يوقع مثلهـا مع أمير الكويت ولكن الرجل أبى متصورا انه لا داعى الى هذه المعاهدة واثقا ان صدام لن يقدم على أى عمل يوجب توقيع هذه المعـاهدة ٠ ولو كان الأمير الكويتى وقع هذه المعاهدة ما احترمها صدام ولمزقها اربا اربا وقام بغزوه الأحمق الذى لا شك انه كان يعد له منذ أزمان بعيدة وصدق الله العظيم حين يقول فى كتابه العزيز فى سورة الصف الآيتان ٢ ، ٣ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ٠ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » ٠٠

وأين هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع « ان دماءكم وأموالكم حرام بينكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شـهركم هذا » ٠ أى دين ذلك الذى يدعى صدام انه يدافع عنه ٠ علم الله ان الدين الاسلامى وجميع الأديان لا ترى فى صنعه الا جرائم من أبشع الجرائم التى ارتكبها بشر ٠

ويل للاسلام من مدعى الاســلام ٠ من مخبر العالم أجمع من غير المسلمين ان هذا الذى يصنعه صدام ليس من الاسلام فى شىء ٠ فالأسلام تعاطف ومحبة ومودة وحب ولو اننا استقصينا الآيات والأحاديث عن تراحم الاسلام وحبه للسلام لكتبنا مئات الصفحات ولكننى أذكر آية من أعظم ما جاء فى القرآن وهى قوله سبحانه فى سوزة مريم الآية ٩٦ « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » ٠٠ فاذا كان الود هو الجزاء الأوفى الذى يقدمه سبحانه الى الذين آمنوا عملوا الصالحات ،فأين هذا الود فيما يصنعه صدام حسين بالمسلمين فى كل مكان ؟ وأين هذا الود من اعتداء جنوده على الأعراض والأموال والأنفس فى الكويت ٠

أين الاسلام مما يصنعه صدام بالرهائن الذين شاء سوء حظهم وخده ان يكونوا بالكويت والعراق حين قام هو بالتهام الكويت فى يوم قاتم الشمس مظلم الجنبات ؟ ٠٠ ماذا نحن قائلون للعالم المتحضر أو غير المتحضر عن هذا التصرف الأحمق الشائن الذى يقوم به صدام مع الرهائن ؟ ٠٠ أتراه يقول انه يحمى نفسه ؟ ٠٠ هيهات فما يعقل أحد أن أمريكا والدول الغربية لتضيع صوالح شعوبها جميعا من أجل الرهائن ٠٠ صحيح ان النفس البشرية لها مكانتها الرفيعة عند الدول المتحضرة ولكن المؤكد أن الدول ما كانت لتقبل أن يفرض فرد واحد وصايته على حياتها من أجل انه يحتفظ لديه برهائن يحاول أن يجعل منها درعا بشرية ٠

ان مصالح الأمم هى صاحبة المرتبة العليا فكيف يتصور صدام أو غيره ان هذه الدول تتنازل عن حياتها من أجل حياة أفراد قل عددهم أو كثر ؟

ان لكل حرب ضحاياها ولا شك ان أمريكا والدول الأوروبية المساندة لها ستعتبر هؤلاء الرهائن ضمن التضحية الحربية التى يفرضها كل نزاع مسلح وتكمل عملها الذى تجمعت من أجله ٠ أم يتصور صدام أن تمر الشهور والقوات الأمريكية ومعها القوات الأخرى باقية فى المنطقة دون أن تصنع شيئا حتى اذا أصاب الدول الملل أمرت القوات ان تعود الى قواعدها دون أن تقوم بالمهمة التى احتشدت لها ؟

هيهات ٠٠ ان هذه الأموال وجهد هذه القوات من شعوب تحاسب الرؤساء على ما يقومون به من أعمال ٠ وهذه الشعوب لا تسمح لحكامها ان ينفقوا أموال الشعب وجهده فيما لا طائل وراءه ٠ ووجود هذه القوات

يكلف الدول أموالا طائلة وعنتا شديدا ولابد أن يكون لتحركها معنى . ولابد أن تعيد الكويت الى الكويت وان تعيد حكامها الشرعيين الى أماكنهم . والا كان حساب الشعوب لرؤسائهم حسـابا عسيرا . بل ان التاريخ والانسانية لن يغفرا لهؤلاء الرؤساء انهم لم يقوموا بواجبهـم أمام طاغية جبار فرض نفسه على الزمن ولم يجد من يرد عاديته ويكسر شوكته .

جريدة الأهرام ١٠ سبتمبر سنة ١٩٩٠ م :

انهـا كارثة عالمية

ان هذا الذى حدث فى الكويت ليس مشكلة عربية وانما هو كارثة حضارية عالمية لا يتصور أحد أن تحدث فى أيامنا هذه ٠

كيف يمكن أن يدور بذهن البشر ان أخا يهاجم أخاه ويستولى على كل ما فى بيته من آدميين وأموال لمجرد أن الأخ المعتدى أقوى من أخيه المعتدى عليه وأشد بأسا ٠

وكيف يمكن أن يدور بذهن بشر أن يتم هذا العدوان الدولى الغادر ثم يسكت العالم عنه وكأن شيئا لم يحدث ان الأمر ليس مجرد دولة قوية اغتالت دولة لا جيش لها ولكنه مستقبل عالم بأسره ٠ واذا سكت العالم فويل له من المعتدى ٠ فالذى يعتدى مرة سيعتدى ألف مرة ٠ وما دام استطاع أن يخرج من المعركة سليما معافى فهو بلا شك مستمر فى العدوان ومستيسره ٠ وهو بلا شك سيواصل عدوانه على كل الدول الأخرى التى لا جيوش بها ٠

ان الأمر الذى لا شك فيه ان النظام الفردى يحمل عوامل هدمه فى داخله والذى يدمر نفسه بنفسه بتصرفاته الرعناء الحمقاء فان نفسه تصور له انه اله منفرد لا يدانيه أحد فى جبروته ٠

ولننظر الى التاريخ منذ يوليوس قيصر الذى لم يحتمله صديقه الأقرب بروتس واذا عبرنا الأجيال الى العصور الحديثة لوجدنا هتلر الذى أراد أن يغزو العالم وانتهى نهاية مفجعة بعد ان دمر بلاده تدميرا كاملا ووجدنا أيضا حليفه موسيلينى الذى انتهى معلقا بيد الشعب ٠

المؤكد ان الحاكم الذى يقضى على نفسه بما يتوهمه فى نفسه من عظمة هى فى حقيقتها كاذبة ومن جبروت هو فى أساسه خداع ومخادعة للنفس ٠

والآن وأنا أكتب هذا الحديث لست أدرى بماذا يأتى غد أو بعد غد فالأحداث متلاحقة وكلها ذات آثار غاية فى العنف ٠

وانه لعجيب ان يطالب العرب بالحرية وبجلاء اسرائيل ثم يقدم حاكم عربى على ابتلاع دولة عربية أخرى : بأى حجة نخاطب اسرائيل

اليوم ؟! وهم أعداء الاسلام منذ ظهوره • وليس غريبا ان يظلم العدو وان يعتدى وان يفجر فى تصرفاته • ولكن الغريب أن يظلم الأخ أخاه ويلتهم آدميته وماله وأرضه •

وظلم ذوى القربى أشد مرارة على النفس من وقع الحسام المهند

ويقول الشاعر عزيز أباظة :

وكيــف نصـــول بأعدائنــــا اذا الأخ صـــال على أخـــوته

كيف يقبل بعض العرب هذا الذى يحدث فى الكويت • ان الذى يقبل من العرب ما يقع فى الكويت عليه ان يتوقع ان يكون هو الضحية التالية • ويومئذ سيصرخ طالبا المدد وسيكون جواب صراخه حاضرا من قريب لقد أعنت على أخيك فلا تعجب الا يعينك أخوك •

وماذا نحن قائلون اليوم للغرب وللعالم وهو يجمع اليوم أمره ضد العراق وينزل به العقوبات الاقتصادية تمهيدا للعقوبات العسكرية •

كيف نجرؤ ان نرفض تصرفه ما دام العرب لم يستطيعوا ان يوقفوا عدوان بعضهم على بعض واغتيال بعضهم بعضا • والسياسة فى العالم أجمع وعلى مدى التاريخ مصالح فكيف نتصور ان يسكت العالم وصوالحه أصبحت جميعها فى يد فرد واحد يريد أن يتحكم فى أمره ويملى عليهم ارادته •

والغرب يعلم كما يعلم أى انسان فى العالم ان الكويت لن تكون نهاية المطاف العسكرية العراقى • وها هى ذى أمريكا تحذر من غزو السعودية ولكن هل يجدى التحذير والى أى مصير مدلهم سيلقى أمر أمريكا وأوروبا اذا اتجهت جيوش العراق الى دول الخليج الأخرى وابتلعوها لقمة سائغة اذا ساغت لهم لقمة الكويت واستطاعوا ابتلاعها •

ان المستقبل مخوف مظلم داكن اذا استطاعت العراق ان تخرج منتصرة من هذه الحرب •

وان العرب اليوم يواجهون موقفا غاية فى الجهامة ، فهم حيارى ذاهلون لا يدرون ماذا هم صانعون فالرافض منهم لا يدرى الى أى مدى يذهب فى رفضه والقلة المؤيدة لا تدرى أيضـــا الى أى مدى تذهب فى تأييدها • والرافضون والمؤيدون جميعهم فى حزن عميم مقيم •

ولسان حالهم جميعا يصيح :

وا ضيعة الاسلام ان لم تقهروا أهواءكم وا ضيعة الاسلام •

هل يمكن ان يقبل العالم ان يصبح قانون الغاب هو قانون العصر ؟؟

فما قيمة هذا التقدم البشرى على مدى السنوات والقرون ٠

ما الأديان اذن وما التحضر وما قيمة الصلات الانسانية الرفيعة بين البشر بعضهم وبعض ؟ ٠

ها هوذا العـــالم يقول كلمته مجتمعة فى مجلس الأمن ويفرض عقوبات اقتصادية وعسكرية ٠ وها هوذا القرار يصدر فى شبه اجماع من دول العالم ٠

ونفاجأ بدولة لم نعرف انها شاركت المجتمع الدولى فى مواقفـه السياسية على مدى السنوات بل هى ليست عضوا فى هيئة الأمم ٠ نفاجأ بسويسرا تجمد الأرصدة الكويتية والعراقية متضامنة مع دول أوروبا ٠ ولا شك انها رأت ان هذا الذى يحدث فى الكويت أمر لا يختلف فيه الرأى وانه حتم على العالم أجمع ان يقف منه موقفا موحدا لا حياد فيه ٠ وهكذا تخلت سويسرا عن حيادها التاريخى واتخذت موقفها ٠

وبعد فانه من حق كل مصرى ان يرفع رأسه الى السماء بهذا الموقف التاريخى الذى اتخذته مصر برئاسة زعيمها العظيم محمد حسنى مبارك أعزه الله فقد وقفنا موقفا ايجابيا متحضرا ٠ وكان أبناء مصر عند مكانتهم الرفيعة التى تعودوا ان يقفوا عندها فى كل الشدائد وحسبك ما سمعنا من ان بعض المصريين تركوا مفاتيح بيوتهم فى السفارة الكويتية لتستضيف اخوانهم الكويتيين الذين تصـــادف وجودهم فى مصر عند وقوع الغزو البربرى الغاشم وهكذا دائما أبناء مصر الكرام الشرفاء ٠

جريدة الأهرام ١٢ أكتوبر سنة ١٩٩٠ م

صدام هو المعتدى

ليس غريبا على اسرائيل ما قامت به من عدوان آثم على المسجد الأقصى فالعدوان فيهم قديم • وهو فى التاريخ أبشع من جريمتهم فى الاستيلاء على الأرض العربية وادعائها لهم •

ولو كان العالم منعهم يومئذ لما تمكنوا مما تمكنوا منه •• ولكن مباركة العالم لما صنعوه جعلتهم يزدادون طغيانا •

وان هذا الذى صنعوه بالمسجد الأقصى لمحاولة محمومة رعناء لاثارة العرب كل العرب من مسلمين ومسيحيين عليهم وهم بفعلتهم الشنعاء هذه ما كسبوا شيئا وانما خسروا خسرانا مبينا •

واذا كان الذين قاموا بهذه العملية جماعة منهم ضالة مضللة فقد كان أحرى بحكومتهم ان تقف من هذه الجماعة موقفا حاسما حازما يثبت انها على شىء من الحضارة •

ولكن الحكومة الاسرائيلية كشفت عن غباء شديد وهى تتخذ ما اتخذته من تصرفات محاولة الدفاع عمن أساءوا اليها أكثر مما أساءوا الى الاسلام •

واليهود حكومة وشعبا لن يستطيعوا أن ينالوا من الاسلام منالا وكل الذى يصنعون لينالوا منه انما يرتد الى نحورهم • وينال من قيمتهم ومن وجودهم المغتصب فى فلسطين المحتلة •

ولكنهم انتهزوا الفرصة ـ كما يصنعون دائما ـ وهم يجدون الفلسطينيين يؤيدون الاغتصاب الذى أجرمه صدام حسين على الكويت وترتفع عقائرهم اشادة بالجريمة العراقية على العرب فقامت هذه الفئة الملعونة بما قامت به من حرم المسجد الأقصى وأيدتها الحكومة الاسرائيلية بغباء شديد • وكأنها تقول للفلسطينيين الذين يؤيدون ما فعله صدام أليس الاغتصاب هو مثلكم الأعلى فذوقوا مما تؤيدون •

واذا كنتم أحللتم ان يعتدى العربى المسلم على العرب المسلمين فما لكم لا تحلون ان يعتدى غير العربى وغير المسلم عليكم •

ترى هل رأى صدام ما فعله بالقضية العربية الفلسطينية • هذا بعض من كل •

انه أعطى الفرصة للمجرمين ان يوغلوا في اجرامهم واتخذوه مثلا أعلى لهم واقترفوا ما اقترفوا من عمل اجرامي حقير بشع •

بل ان صداما أصاب بما اغتصب ودمر العراق أول ما أصـــاب وما أشبه العراق اليوم بالقرية التي ضرب بها الله سبحانه وتعالى مثلا فى الآية ١١٢ من سورة النحل حيث يقول جل وعلا « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » صدق الله العظيم •

ولو اننى أحسب ان شعب العراق مظلوم مع قائده • عقائده ومن حوله ـ اذا كان حوله أحد ذو قيمة ـ هم الذين كفروا بأنعم الله وأصابوا بكفرهم شعبهم المظلوم •

ولو اننى لا أستطيع أن أقول هذا واطلقه حـكما عاما على جميـع العراقيين فان بينهم من يستحق النقمة التى أنزلها بهم رئيسهم والتي سيصلون وبالها ساطعا مبيدا فان أولئك الذين كانوا يصفدون عليهم من أنفسهم من يذيقهم مر العذاب •

فليروا اليوم عاقبة ظلمهم وما ربك بظلام للعبيد •• ان الذى لا شك فيه ان صداما لن يرجع عن غيه فهو فى صلفه ماض الى غايته وهو بغبائه سائر الى حتفه وحته شعبه معه •

واذا كان يظن ان تطاول الأيام يكسبه حقا مغتصبا فهو واهم غارق فى الوهم •

ان للدول الكبرى شعوبا تحاكم الرؤساء فيها وتحاسبهم وما يستطيع هؤلاء الرؤساء ان يسـارعوا الى أعمال حربية متعجلة رعناء كهذه التى سارع اليها صدام •

لابد أن يستنفد هؤلاء الرؤساء كل الوسائل حتى وان كانوا واثقين بأنه لا جدوى من الانتظار •

ولكن هناك دائما غير المنظور الذى لا يعلمه الا الله ولابد لرؤساء الدول الديمقراطية ان تعطى هذا الأمر غير المنظور حقه من الروية والتريث•

وهم يحسبون بدقة كل خطوة يخطونها ويحددون بمنتهى الذكاء الوقت المناسب لكل عمل يقومون به •

فليس الأمر فوضى وليست حياة شعوبهم العوبة يتسلون بهـا ، وليست أموال الدولة مباحة لأهوائهم كما هو الأمر عند صدام حسين ٠

حتى اذا حان الحين وتأكدوا الا سبيل لهم الا الحرب خاضوهـا مقدرين كل أخطارها وخسائرها الانسانية والمالية في وقت معا ٠

ولكن كل خطر وخسائر تهون أمام مصالح الدولة العليا وليس الأمر عند أمريكا والدول الكبرى الأخرى التى تقف معها أمر عراق وكويت انما هو مصالح هذه الدول ومستقبلها ومستقبل شعوبهـا وأمام هذا كل صعب يهون ٠

● ● ●

الأهرام ١٥/١٠/١٩٩٠ م

آمـــال

لم تستطع أحداث الخليج الكبرى ولا محاولة الارهاب الغادر الحقير ان تلهينا عن حياتنا الديمقراطية والسير قدما فى الطريق الذى اخترناه من الحرية والشورى وها نحن أولا ندخل انتخابات جديدة لمجلس الشعب وكم أرجو أن يحقق مجلس الشعب الجديد الآمال الكبرى ٠

فليس يكفى أن يكون فى مصر مجالس نيابية انما يتحتم علينا ان يكون أعضاء هذه المجالس عارفين بواجباتهم قوامين على شئون مصر ٠

وأشهد أن مجلس الشورى يقوم بما يتاح له من مكنات خير قيام ٠ وكم أرجو أن يتمكن فى الدورة القادمة من الاضطلاع بساحة أكبر من الشئون التشريعية فان العقول العالمة الواعية التى يتمتع بها مجلس الشورى من حقها أن تقول رأيها فى التشريعات التى تسن لمصر ولا شك أن الانتفاع بهذه العقول سيعود بالنفع العام على البلاد وعلى القوانين التى تشرع لها فتخرج هذه القوانين مضيئة مشرقة مكتملة ٠

ان مجلس الشعب اذا عرض القوانين على مجلس الشورى لأصاب من هذا فائدة كبرى تعود على البلاد كافة بالخير العميم ٠

واليوم ينبغى لنا أن ننظر الى المجلس الجديد وهو بسبيله الى التكوين والمرشحون ـ كما تعودت مصر ـ كثيرون ٠٠ افترى هؤلاء المرشحون يريدون أن ينالوا لقب عضو مجلس الشعب وينتقلوا بالوجاهة والحصانة التى يوفرها المجلس لأعضائه أم هم يدركون الأعباء الثقال التى ينبغى أن الأعباء لوجه الله والوطن ٠

ان عضو مجلس الشعب نائب عن الوطن جميعه وليس عن الدائرة التى يمثلها فى المجلس فقط ٠ وهذه قاعدة دستورية معروفة تعرفها دول العالم الديمقراطى جميعا ٠

فليس عمل النائب أن يخدم الأفراد من ناخبيه فيعين ابن هذا ويدخل ابن ذاك الى المدرسة أو المستشفى ٠

ينبغى على النائب أن يعرف أن وظيفة الناخب تنتهى عند صندوق الانتخاب واذا عرف النائب ذلك تحرر من محاولة ارضاء الناخب على حساب الوطن ٠

وقاعدة ان النائب فى البرلمان ممثل للدولة كلها تحتم عليه ان ينظر الى النفع العام لا مصلحة دائرته وحدها ، وقد يقول قائل أليست الدائرة جزءا من الوطن ؟ ‥ وهذا حق ‥ ولكن بعض النواب ـ ولا أمانع حين أقول ان كثيرا من النواب ـ ينظر الى دائرته وكأنها منطقة منسلخة عن الوطن أجمع فهو يطالب لها بما لا تطيق ميزانية الدولة ان تنهض به ولا يعنى فى قليل أو كثير بحق الدولة وانما يصر على المطالبة ولا يكتفى بهذا بل يذهب الى بعيد فيروح يقدم الاستجوابات والأسئلة الى الوزير الذى لم يجبه الى طلبه ويناصبه العداء مستخدما ضده كل الوسـائل التى تضعها النيابة فى يديه ٠

وياليت الأمر يقتصر على مطالبة النائب بمصالح دائرته بل انه يمتد الى مصالحه الشخصية التى تعود عليه وحده بالنفع والفائدة واننا نذكر ذلك والكلمات تقطر حسرة وألما فما كانت النيابة فى يوم ما الا مصلحة الوطن أجمع وويل للوطن كل الويل اذا اتخذ منها النائب نفعا شخصيا ٠

وأخرى ‥ هناك نواب يتخذون من الحصـانة البرلمانية موئلا يسيئون به الى أعدائهم وتلك كارثة كبرى ٠ فالحصانة شرعت حتى لا يضار النائب نتيجة لآراء أطلقها فى المجلس النيابى فهى حصن له ممن يحاول أن يحجر على رأيه ٠

أما اذا أصبحت حصنا له يحتمى به ليسيء الى الآخرين ومجنا حاميا لذاته ليعتدى على حقوق المواطنين فانها تصبح وبالا مستطيرا ٠

ولا يجوز لأعضاء المجالس النيابية أن يتمتعوا بدرجة رابعة من القضاء غير متاحة لأفراد الشعب أجمع ولذلك فينبغى على المجلس حين ينظر فى الوطن أجمع وويل للوطن كل الويل اذا اتخذ منها النائب نفعا شخصيا ٠ أمر رفع الحصانة البرلمانية عن أحد أعضائه ان ينظر فى خصوصية واحدة هى : هل طلب رفع الحصانة جاء ليرد النائب عن ممارسة واجباته النيابية أم هو مقدم للمجلس نتيجة تصرفات تمت بعيدا عن المجلس ؟ فان كانت الأخيرة وجب رفع الحصانة دون تحقيق من أعضاء المجلس ‥ من حق المجلس فقط ان يتأكد ان رفع الحصـانة جاد وليس كيديا ثم يرفع الحصانة فورا ٠

كم من آمال نعلقها على المجلس الجديد فهل تراه يستطيع أن يحقق لنا بعضها ؟ ‥

الأهرام ٢٩/١٠/١٩٩٠ م :

حق وواجب

الادلاء بالصوت الانتخابى حق وواجب فى وقت معا . هو حق اتاحة الدستور للمواطن ان يختار ممثله وهو واجب ينبغى ان يؤديه المواطن لوطنه .

وكل حق يلازمه واجب ، ومعروف ان الحق والواجب كوجهى العملة لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

والدستور أعطى هذا الحق للمواطن فلابد للمواطن كواجب عليه ان يختار ممثله فيحسن الاختيار .

ويجب الا يتأثر حسن الاختيار بالقرابة أو الصداقة أو العلاقات الشخصية ، ولذلك نحزن كل الحزن ان نجد المرشح يقصد الى الناخبين ويحاول ان يصطنع لهم ما قد يكون بعيدا عن خلقه كل البعد تقربا منهم ومحاولة منه ان يجتذب أصواتهم حتى ولو كان اجتذاب هذه الأصوات بطرق غير كريمة .

وأعف عن ذكر التفاصيل ويأبى حبى لوطنى ان أشرح ما أجملت فان التفاصيل والشرح قد يؤديان بى الى ما لا يجعل بى ان أذكره عن بعض المرشحين فهو يعيب الوطن كله وليس هؤلاء المرشحين وحدهم .

وليس جديدا أيضا أن استعمال المال فى الانتخابات لم يعد يجدى ان لم يرصد هذا المال لنفع عام والناخبون يدرون ان المال الذى يقدم للنفع العام هو محاولة اجتذاب لأصواتهم ولكن الرشـــاوى التى تقدم للناخبين يدا بيد لا جدوى منها .

فالناخب الذى يقبل مالا من مرشح يقبله من كل المرشحين ، وهذا الناخب المرتشى لص يبيع قيادته من أجل المال .. وكم من مرشحين أنفقوا فى هذا السبيل أموالا طائلة وكان مصيرهم السقوط الذريع .

ان الناخب عليه أن يختار أصـلح المرشحين ليكون ممثلا له فى البرلمان وليكون ممثلا للأمة كلها .

وتلك أمانة ومن يخن الأمانة يبوء بخزى من الله ومن الناس ويبوء بخزى من نفسه اذا خلا الى نفسه .

قد تضطر الحياة الناخب ان يصادق من لا يحترمه .. وعند الانتخاب ينبغى عليه أن ينسى هذه الصداقة ويطرحها وراء ظهره ولا يختار الا الذى

يحترمه والذى يعلم حق العلم انه سيقوم بواجبه خير قيام نائبا عن الدائرة وعن الوطن جميعه .

ان الناخب اذا كانت له قضية قيمتها بضعة جنيهات يختار لها أحسن المحامين .. فكيف اذا اختار نائبا فى مجلس نيابى ؟ الا يجب عليه وجوبا ان يختار أحسن من يعرف بهذه المهمة العظيمة التى لا ينبغى ان يقوم بها الأمناء الشرفاء الحريصون على مصلحة الوطن ؟ .

ان النائب فى البرلمان صورة لمصر جميعها وأمين على مصالح الوطن كله والوطن هو أنت وهو ابنك وهو أخوك وهو أبوك .. وصورة النائب هى صورة لك وصورة لهؤلاء جميعا واذا انتخبت نائبا ذا صورة شائهة فكأنك قدمت صورتك وصورة ذويك شائهة لتعلنها على الناس أجمعين .

ان النائب هو أنت فى المجالس النيابيـة فقد بدأت فكرة الحياة النيابية من عهد الرومان وكان الشعب يجتمع كله فى الساحات ليستمع الى الخطباء ثم يدلى الناس برأيهم مجتمعين ومع الأيام أدرك الشعب أن الأمر بهذا الوضع لا يمكن أن يستقيم فرأوا ان يمثلهم بضـــعة أفراد يختارونهم وبدأت فكرة النيابة .

فالنائب هو أنت أيها الناخب وشر النفوس نفس تخون ذاتها فأنت اذا انتخبت غير الصالح خنت نفسك قبل ان تخون وطنك وهل وطنك .. إلا أنت وأهلك وذووك .

وفى انتخاب من الانتخابات رشح أحدهم نفســه وكان متهما فى قضايا مالية تتصل بالذمة وسمعنا انه فى زياراته لاحدى القرى فى دائرته هتف بعض الناخبين « حرامى حرامى ولكننا نحبه » فكانت كارثة تسامع بها الناس أجمعون وملأهم الأسى والأسف والألم والمرارة .

فليس المهم ان تحبه أو لا تحبه انما المهم ان يحبه الوطن وان تحبه الأمة الناصعة النقية وان تحبه الأخلاق الكريمة الفاضلة فهو ممثل شعب بأسره .. واذا لم يكن الخلق هو السيد فى الشعب فسلام على العالمين .

لقد عادت الانتخابات الفردية وأصبح الناخب اليوم ينتخب الشخص لا الحزب فالخطأ اليوم يقع على الناخب فى الاختيار أما فى الانتخابات بالقائمة فقد كان الخطأ يقع على الحزب الذى اختار مرشحيه .

أمانة والله يأمرك ان ترعى الأمانة اذا استأمنك عليها فرد من أفراد الناس فكيف بك والذى يضع هذه الأمانة فى عنقك هو وطنك جميعا ؟ .

سدد الله خطاك ووفقك ان تقوم بأمانتـك قيـاما يرضى عنه الله والوطن .

الأهرام ١٢/١١/١٩٩٠ م

اليـــوم وشيك

ما أشبه صدام حسين بفتى أغر أحمق يمشي طريقه الى الهلاك المبيد ويحاول أهلوه وعشيرته أن يبصروه بعاقبة جنونه ويزيلوا عمى البصيرة الذى يغشى عينيه ولكنه مصر على غيه يأبى أن يهتدى الى السبيل الأقوم ويرفض أن يميل عن طريق الدمار الذى يسير فيه غير ملتفت الى الهاوية السحيقة التى يسير اليها حثيثا •

أما تراه يدمر كل محاولة يقوم بها ملوك العرب وحكامهم ليتفادوا الحرب الوشيكة التى يحيط به سرادقها •

أما تراه يخرج كل يوم على العالم بمبادرة تافهة شأن أشد الأغبياء غباء حين يظنون ان العالم كله لا يفهم وهم وحدهم الذين يفهمون والذين يستطيعون ان يسخروا من عقول الآخرين •

وانك تعرف الغبى العميق الغباء حين تراه لا يقدر ذكاء الآخرين وتعرف أعمى البصيرة حين تراه لا يقدر النتيجة الحتمية لأعماله الخرقاء •

وما الذى تبصره من فساد الشباب من قتلة ولصـــوص ومدمني مخدرات الا نتيجة حتمية لعدم تبصرهم ورفضهم لكل نصيحة مخلصـة يقدمها لهم أهلوهم وفصيلتهم التى تأويهم ممن يرجون لهم الخير ويخشون عليهم الهلاك والدمار والانهيار •

وها هم حكام العرب ـ الا قليلا منهم ذوى أغراض خاصة ـ يحاولون ما وسعهم الجهد ان يفسحوا الطريق لصدام ليرجع عن غيه ويثوب الى بعض الرشد منه ولكنه يجمح عنهم ويأبى ويستكبر ويخرج عليهم بما يسميه مبادرات تراها فترى الهزل •

والشعب يساق الى حتفه مغلول الأيدى مكمم الأفواه لأن كل فرد فيه يعلم انه لو صدرت منه بادرة تعنى انه معارض لصدام فالويل الأخذ والعذاب الوبيل الذى يهون معه الموت والفناء ولذلك فانى أرفض ان ألوم شعب العراق فهو مسوق الى الدمار كالشاة تساق الى القتل بيد جبار ذى بطش •

وانى لمعجب كل الاعجاب بالرئيس مبارك الذى يحاول ما وسعه الجهد ان يجنب المنطقة حربا ضارية لا تبقى ولا تذر ولست أدرى الأمل الذى يبنى عليه الرئيس مبارك محاولته لتجنب هذه الحرب فهو يرى اصرار صدام العجيب على ان يحتفظ بالكويت فلا يتركها ·· ربما كان الرئيس ينتظر ان يحدث شيء غير منظور يجعل صداما يميل الى الحق ويعود الى العقل ·

فالذى نراه من صدام حتى اليوم لا ينبىء مطلقا انه قد يرجع الى بعض العقل ·

ولكن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ·

ولكن هل تستطيع جيوش الدول ـ وفى مقدمتهـا جيش أمريكا الضخم ـ ان تنتظر وهل تحتمل الدول أن يطول الأمد بقواتهم يصلون حياة الصحراء والعيش فى مهامه الجبال والى متى · وماذا يرون فى الأفق حتى يصبح انتظارهم مقبولا أمام شعوبهم ·

ان الحكام فى هذه الدول مسئولون أمام الشعوب يؤاخذونهم على كل بادرة منهم ·

فماذا يقول بوش للشعب الأمريكى وقد ألقى منهم ما يقرب من أربعمائة ألف جندى فى الصحراء دون أن يصنعوا شيئا ·

وماذا يقول هو ورؤساء الدول الأخرون عن هذه الأموال الباهظة التى ينفقونها يوميا فى انتظار سلام لا تبدو منه أية ملامح ·

لكل صبر نهاية والدول التى تشترك قواتها فى هذا الاعداد الحربى لا تلعب ولا تلهو · وليس فى مقدور أى دولة منها ان تنهى الموقف بأن تعيد قواتها الى بلادها الا اذا تحقق ما تجيشت له وما ذهبت الى الصحراء والمحيطات لانجازه ·

ومهما يبلغ غباء صدام فما أحسب انه يظن أن يصبح عليه صباح يجد فيه الأوامر قد صدرت من أمريكا وحلفائها ان تعود الجيوش التى أرسلوها الى بلادهم دون ان ينسحب من الكويت ويعود الحكم الشرعى اليها ·

فالأمر ليس لهوا ولعبا وما صنعه هو مع ايران من تنازل عن كل ما حصل عليه بدماء شعبه وأمواله لا يستطيع رئيس من هؤلاء الرؤساء أن يصنعه فلكل من هؤلاء الرؤساء شعب يحاسب وبرلمان يسائل وتاريخ

يسجل ولا يرحم حين يسجل .

ليخش صدام يوما وشيكا ما أظنه ببعيد يضطر فيه أن يخشع راكعا على قدميه ترهقه ذلة يصدق عليه قول الله جل وعلا : « ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » ..

وصدق الله العظيم

الأهرام ١٩٩٠/١١/٢٦ م

ويل لصدام من الغد

لست أدرى كيف يفكر صدام حسين هل يتصور أن تأتى أمريكا بجيوشها وطائراتها وبوارجها حاملة الطائرات وسفنها الحربية وتنشر هذا جميعه فى الخليج وفى السعودية وفى أبى ظبى ومعها جيوش الدول التى شاركت ثم ينصرفون جميعا الى بلادهم دون أن يحققوا ما جاءوا من أجله الذى حدده رئيس جمهورية أمريكا فى أربعة أسس واضحة لا غموض فيها ولا شك وأولها انسحاب القوات العراقية من الكويت وثانيها عودة الحكومة الشرعية الكويتية الى حكم الكويت وثالثها تأمين السعودية ورابعها عودة الرهائن الأمريكيين والأوروبيين الى بلادهم ٠

هل يعقل أن يصبح صباح أو يمسى مساء فاذا هذه القوات العالمية قد عادت الى بلادها دون أن تحقق هذه الأهداف ؟! ٠

أيتصور صدام حسين هذه الدول ورؤساءها والسياسيين فيها والعسكريين يلعبون ويلهون ويتسلون بأن يجيشوا الجيوش وينشروا قواتهم ويستدعوا الاحتياطيين عندهم لمجرد اضاعة الوقت ورفع الملل عن نفوسهم ٠

هل يتصور أن هذه الرهائن التى يحتجزها عنده فى عملية تنافى جميع الشرائع الانسانية والدولية ما نعته وأنها تحميه من أن تحقق هذه الجيوش الأغراض التى خرجت من أجلها ٠

اذا كان هذا معقولا فى ذهنه فما الذى يمنعه ان يهاجم دول الخليج جميعا مادام مطمئنا أن أمريكا والدول الأوروبية التى تعاونها لن تهاجمه مادام يحتفظ بالرهائن عنده ٠

فليهاجم اذن السعودية ودول البترول الأخرى ويعربد ما شاء له أن يعربد فى المنطقة مادام قد وضع الرهائن فى أماكن تعرضهم للقتل عند أول هجوم عليه ومادام واثقا انه يستحيل على أمريكا والدول الأوروبية أن تجرؤ على مهاجمته والرهائن تقف من دونه حصنا لا يمس ودرعا يرد عنه كل عادية ٠

هل يتصور أنه بهذه الرهائن التى اغتال أمنها وكلهم برىء لا شأن له بهذه الحرب يستطيع أن يحكم العالم ؟

هل يدخل في ذهنه أن صوالح هذه الدول الكبرى كلها تترك يديه يتصرف فيها كيف يشاء لمجرد انه يحتفظ برهائن أبرياء من رجال مدنيين ونساء وأطفال أمنوا المنطقة وقدموا اليها مختارين أغلبهم يقدم لها خبرته وعلمه وتجاربه فاذا جزاؤهم هذا الذى يصنعه بهم الحاكم الطاغية المتجبر ؟

هل يصدق نفسه انه يستطيع أن يهزم أمريكا بكل التقدم العلمى الذى بلغته ويهزم معها الدول الأوروبية الكبرى التى تقف معها ؟

ان كان يصدق نفسه فما له لا ينظر الى ماضيه القريب وهو مشتبك فى حرب شعواء مدمرة مع ايران لمدة ثمانى سنوات كاملة لم يحقق فيها انتصارا ظاهرا والقليل الذى غنمه تنازل عنه كاملا فى ذلة حقيرة وفى هوان مخجل وكأنه يحكم شعبا لا رأى له ولا كلمة ٠

ماذا هو قائل لأهل القتلى الذين لقوا حتفهم فى ايران ؟

أى كارثة أوقع فيها صدام نفسه ؟!

كان أولى به ثم أولى أن ينتهز من نداء الحكمة الذى وجهه اليه حسنى مبارك فرصة ويرجع الى العقل وينقذ نفسه ووطنه والعالم العربى أجمع من ذلك الهول الذى ينتظره ٠

ان هذا الهول واقع لا محالة ٠

وهيأت لصدام أن يعود الى بعض العقل منه فالقاعدة التى حكمت التاريخ حتم لها أن تنطبق عليه وكل ديكتاتور يحمل عوامل هدمه فى داخله ٠ وكما يصنع طغيانه يصنع نهايته ٠

بأى ضمير أو أى عقل يعيش صدام اليوم ٠ ان الرؤساء لا يعيشون بهتافات مذعورة من شعوبهم لا تعنى شيئا الا أن الشعب يخاف حاكمه ولكل خوف نهاية ، كما أن لكل حاكم نهاية ٠

والحكام سير وتاريخ فماذا يحسب صدام أن التاريخ قائل عنه ٠

كيف يعيش صدام اليوم يومه أتراه قد اطمأن الى الانذارات التى يوجهها الى أمريكا والى قواعد الصواريخ التى نشرها فى الكويت وهدأ بالا وقر به القرار ٠

أينام صدام ليله ؟ واذا لم يكن فكيف يستطيع التفكير وهو لا يملك النـــوم ؟

ان مصائر دول بأكملها معلقة اليوم بعقل رجل واحد اثبتت الأحداث أنه عقل بعيد كل البعد عن السلامة فويل للغد من صدام وويل لصدام من الغـــد !

فهـــــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٧٥٤ / ١٩٩٦

ISBN — 977 — 01 — 4662 — 5